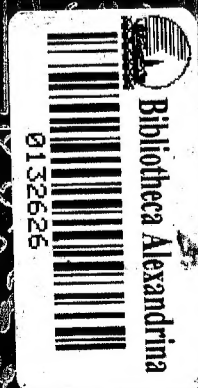


الحافظ ابن كثير

البيكار في النجاة

مشرت مكتبة المعارف بيروت







الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

الْبُدَائِيَّةُ وَالنَّهْثَانِيَّةُ

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف
رقم التسجيل : ١٨٨٨٨ / ٩ - ١٠ / ١٤

الجزء التاسع

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذبلت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر



الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
General Organization of the Library and Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina
بيروت - لبنان

مكتبة المحرارف
ص. ب. : ١٧٦١ - ١١
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم وخلى من سنة أربع وسبعين

فيها عزل عبد الملك طارق بن عمرو عن إمارة المدينة وأضافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ،
فقدّمها فأقام بها أشهرا ثم خرج منصرفا ثم عاد إلى المدينة في صفر فأقام بها ثلاثة أشهر ، وبنى في بني
سلة مسجدا ، وهو الذي ينسب إليه اليوم ، ويقال إن الحجاج في هذه السنة وهذه المدة شتم جابرا
وسهل بن سعد وقرعهما لم لا نصرا عثمان بن عفان ، وخاطبهما خطابا غليظا قبحه الله وأخزاه ،
واستقضى أبا إدريس الخولاني أظنه على اليمن والله أعلم . قال ابن جرير : وفيها نقض الحجاج
بنيان الكعبة الذي كان ابن الزبير بنه وأعادها على بنيانها الأول ، قلت : الحجاج لم ينقض ببنيان
الكعبة جميعه ، بل إنما هدم الحائط الشامي حتى أخرج الحجر من البيت ثم سدده وأدخل في جوف
الكعبة ما فضل من الأجرار ، وبقية الحيطان الثلاثة بحالها ، ولهذا بقي البنيان الشرقي والغربي وهما
ملصقان بالأرض كما هو المشاهد إلى يومنا هذا ، ولكن سد الغربي بالكلية وردم أسفل الشرقي حتى
جمله مرتفعا كما كان في الجاهلية ، ولم يبلغ الحجاج وعبد الملك ما كان بلغ ابن الزبير من العلم النبوي
الذي كانت أخبرته به خالته عائشة عن رسول الله - ﷺ . كما تقدم ذلك من قوله : « لولا أن قومك
حديث عهدم بكفر - وفي رواية - بجاهلية لتقضت الكعبة وأدخلت فيها الحجر ، وجعلت لها بابا
شرقياً وباباً غربياً ، ولألصقتها بالأرض ، فان قومك قصرت بهم النفقة فلم يدخلوا فيها الحجر ولم

للخليفة

يتممها على قواعد إبراهيم ورفعوا بابها ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا . فلما تمكن ابن الزبير بنائها كذلك ، ولما بلغ عبد الملك هذا الحديث بعد ذلك قال : ودنوا لو تركناه وما تولى من ذلك وفي هذه السنة ولي المهلب بن أبي صفرة حرب الأزارقة عن أمر عبد الملك لأخيه بشر بن مروان أن يجهز المهلب إلى الخوارج في جيوش من البصرة والكوفة ، ووجد بشر على المهلب في نفسه حيث عينه عبد الملك في كتابه . فلم يجد بداً من طاعته في تأميره على الناس في هذه العزوة : وما كان له من الأمر شيء ، غير أنه أوصى أمير الكوفيين عبد الله بن مخنف أن يستبد بالأمر دونه ، وأن لا يقبل له رأياً ولا مشورة ، فسار المهلب بأهل البصرة وأمرأه الأرباع معه على منازلهم حتى نزل برامهرمز ، فلم يبق عليها إلا عشر آحق جاء نعي بشر بن مروان ، وأنه مات بالبصرة واستخلف عليها خالد بن عبد الله ، فأرخصي بعض الجيش ورجعوا إلى البصرة فبعثوا في آثارهم من يردمهم ، وكتب خالد ابن عبد الله إلى الفارين يتوعدهم إن لم يرجعوا إلى أميرهم ، ويتوعدهم بسطوة عبد الملك ، فسلوا يستأذنون عمرو بن حريث في المصير إلى الكوفة فكتب إليهم : إنكم تركتم أميركم وأقبلتم عاصين مخالفين ، وليس لكم إذن ولا إمام ولا أمان ، فلما جاءهم ذلك أقبلوا إلى رحلم فركبها ثم ساروا إلى بعض السلال فلم يزالوا مخنفين بها حتى قدم الحجاج واليا على العراق مكان بشر بن مروان كما سيأتي بيانه قريباً .

وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح التميمي عن إمرة خراسان وولاه أمية بن عبد الله ابن خالد بن أسيد القرشي ليجتمع عليه الناس فانه قد كادت الفتنة تتفاقم بخراسان بعد عبد الله ابن خازم ، فلما قدم أمية بن عبد الله خراسان عرض على بكير بن وشاح أن يكون على شرطته فأبى وطلب منه أن يوليه طخارستان فخوفه منه أن يخلعه هنالك فتركه مقبلاً عنده . قال ابن جرير : وحجج بالناس فيها الحجاج وهو على إمرة المدينة ومكة واليمن واليمامة . قال ابن جرير : وقد قيل إن عبد الملك اعتمر في هذه السنة ولا نعلم صحة ذلك .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

رافع بن خديج بن رافع الأنصاري ، صحابي جليل شهد أحداً وما بعدها ، وصفيين مع علي وكان يتبعنا المزارع والفلاحة ، توفي وهو ابن ستة وثمانين سنة ، وأسنده ثمانية وسبعين حديثاً . وأحاديثه جيدة . وقد أصابه يوم أحدسهم في ترقوته فغيره رسول الله (ص) ، بين أن ينزعه منه وبين أن يترك فيه المطبة ويشهد له يوم القيامة ، فاختره هذه ، وانتقض عليه في هذه السنة فمات منه رحمه الله .

ابو سعيد الخدري

هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي ، صحابي جليل من فقهاء الصحابة استصغر

يوم أحد ، ثم كان أول شاهده الخندق ، وشهد مع رسول الله - ﷺ ، ثلثي عشرة غزوة ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، وحدث عنه خلق من التابعين وجماعة من الصحابة ، كان من نجباء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم . قال الواقدي وغيره : مات سنة أربع وسبعين وقيل قبلها بعشر سنين فآله أعلم .

قال الطبراني : حدثنا المقدم بن داود ثنا خالد بن نزار ثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري . قال : قلت لرسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : « النبيون قلت : ثم أي ؟ قال ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا السيرة - وفي رواية - إلا العباءة أو نحوها ، وإن أحدهم ليبتلى بالثقل حتى يذهب القمل ، وكان أحدهم بالبلاء أشد فرحاً منه بالرخاء » . وقال قتيبة بن سعيد : ثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري : أن أهله شكوا إليه الحاجة فخرج إلى رسول الله - ﷺ ، يسأل لهم شيئاً ، فوافقه على المنبر وهو يقول : « أيها الناس قد آن لكم أن تستغنوا عن المسألة فآله من يستغن يغني الله ومن يستغن يغني الله ، والذي نفس محمد بيده ما رزق الله عبداً من رزق أوسع له من الصبر ، ولئن أئينم إلا أن تسألوني لأعطينكم ما وجدت » . وقد رواه الطبراني عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد نحوه .

عبد الله بن عمر

ابن الخطاب القرشي العدوي . أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني أسلم قديماً مع أبيه ولم يبلغ الحلم وهاجرا وعمره عشرة سنين ، وقد استصغر يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق أجازته وهو ابن خمس عشرة سنة فشهدها وما بعدها ، وهو شقيق حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، أمها زينب بنت مظلون أخت عثمان بن مظلون ، وكان عبد الله بن عمر ربة من الرجال آدم له جمة تضرب إلى منكبيه جسياً يغضب بالصفرة ويحني شاربته ، وكان يتوضأ لكل صلاة ويدخل الماء في أصول عينيه ، وقد أراد عثمان على القضاء فأبى ذلك ، وكذلك أبوه ، وشهد اليرموك والقادسية وجولاء وما بينهما من وقائع الفرس ، وشهد فتح مصر ، واختط بها داراً ، وقدم البصرة وشهد عز و فارس وورد المدائن مرارا وكان عمره يوم مات النبي - ﷺ ، ثنتين وعشرين سنة ، وكان إذا أعجبه شيء من ماله يقر به إلى الله عز وجل ، وكان عبده قد عرفوا ذلك منه ، فربما لزم أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحال أعتقه ، فيقال له : إنهم يخذعونك ، فيقول : من خدعنا الله نخدعنا له ، وكان له جارية يحبها كثيراً فأعتقها وزوجها لمولاه نافع ، وقال : إن الله تعالى يقول [لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون] واشترى مرة بعبداً فأنجبه لما ركبته فقال : يا نافع أدخله في إبل الصدقة ، وأعطاه ابن جعفر في نافع عشرة آلاف فقال : أو خيراً من ذلك ؟ هو حر لوجه الله ، واشترى مرة غلاماً بأربعين ألفاً وأعتقه فقال الغلام :

ياملاً لى قد أعتقنى فهب لى شيئاً أعيش به فأعطاه أربعين ألفاً ، واشترى مرة خمسة عبيد فقام يصلى
فقاموا خلفه يصلون فقال : لمن صليتم هذه الصلاة ؟ فقالوا : لله ! فقال : أنتم أحرار لمن صليتم له ،
فأعتقهم . والمقصود أنه مامات حتى أعتق ألف رقبة ، وربما تصدق فى المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ،
وكانت تضحى عليه الأيام الكثيرة والشهر لا يذوق فيه لحماً إلا وعلى يديه يقيم ، وبعث إليه مائة
بمائة ألف لما أراد أن يبايع يزيد ، فما حال عليه الجول وعنده منها شيء ، وكان يقول : لى لا أسأل
أحدًا شيئاً ، وما رزقنى الله فلا أرد . وكان فى مدة الفتنة لا يأتى أمير إلا صلى خلفه ، وأدى إليه
زكاة ماله ، وكان أعلم الناس بمناسك الحج ، كان يقتبص آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعمل فيها ، حتى أن
النبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة وكان ابن عمر يتعاهدها ويصب فى أصلها الماء ، وكان إذا فاتته العشاء
فى جماعة أحيا تلك الليلة ، وكان يقوم أكثر الليل ، وقيل إنه مات وهو فى الفضل مثل أبيه ، وكان
يوم مات خير من بقى ، ومكث ستين سنة يفتى الناس من سائر البلاد ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
أحاديث كثيرة ، وروى عن الصديق وعن عمر وعثمان وسعد وابن مسعود وحفصة وعائشة وغيرهم .
وعنه خلق منهم بسوء حمزة وبلال وزيد وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر إن كان محفوظ ، وأسلم مولى
أبيه وأنس بن سيرين والحسن وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وطاووس وعروة وعطاء وعكرمة
ومجاهد وابن سيرين والزهرى ومولاه نافع .

وثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن عبد الله رجل صالح لو كان
يقوم الليل » . وكان يصوم يقوم الليل ، وقال ابن مسعود : إن من أهلك شجلب قر يش لنفسه عن
الدنيا ابن عمر . وقال جابر : ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها ، إلا ابن عمر ، وما أصاب
أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله وإن كان عليه كرماء ، وقال سعيد بن المسيب :
مات ابن عمر يوم مات وما من الدنيا أحد أحب أن لقي الله بمثل عمله منه ، وقال الزهرى لا يعمل
برأيه فانه أقام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستين سنة ، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه رضى
الله عنهم . وقال مالك : بلغ ابن عمر ستانين سنة وأفقى فى الاسلام ستين سنة ، تقدم عليه وفود
الناس من أقطار الأرض ، قال الواقدي وجماعة : توفى ابن عمر سنة أربع وسبعين ، وقال الزبير بن
بكار وآخرون : توفى سنة ثلاث وسبعين والأول أثبت والله أعلم .

عبيد بن عمير

ابن قتادة بن سعد بن عامر بن خندع بن ليث ، الليثى ثم الخندعى ، أبو عاصم المسكى قاضى أهل
مكة ، قال مسلم بن الحجاج . ولد فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال غيره وراه أيضاً ، وروى عن أبيه ،
وله صحبة ، وعن عمر وعلى وأبى هريرة وابن عباس وابن عمر وعبيد الله بن عمر وأم سلمة وغيرهم .

وعنه جماعة من التابعين وغيرهم ، ووثقة ابن معين وأبو زرعة وغير واحد . وكان ابن عمر يجلس في حلقة ويكي وكان يعجبه تذكيره ، وكان بليغا ، وكان يكي حتى يبل الحصى بدموعه . قال مهدي ابن ميمون عن غيلان بن جري قال : كان عبيد بن عمر إذا آتى أحداً في الله استقبل به القبلة فتمال اللهم اجعلنا سعداء بما جاء به نبيك ، واجعل محمدًا شهيداً علينا بالآيمان ، وقد سمعت لنا منك الحمقى غير متناول علينا الأمد ، ولا قاسية قلوبنا ولا قائلين ما ليس لنا بحق ، ولا سائلين ما ليس لنا به علم . وحكى البخاري عن ابن جريج أن عبيد بن عمر مات قبل ابن عمر رضي الله عنه .

أبو جحيفة

وهب بن عبد الله السوائي ، صحابي رأى النبي (س) ، وكان دون البلوغ عند وفاة النبي (س) . لكن روى عنه عدة أحاديث ، وعن علي والبراء بن عازب ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم إسماعيل بن أبي خالد ، والحكم وسلي بن كميل والشعبي وأبو إسحاق السبيعي ، وكان قد نزل الكوفة وأبقى بها داراً وتوفي في هذه السنة ، وقيل في سنة أربع وتسعين لله أعلم . وكان صاحب شرطة علي ، وكان على إذا خطب يقوم أبو جحيفة تحت منبره .

سلمة بن الأكوع

ابن عمرو بن سنان الأنصاري وهو أحد من بايع تحت الشجرة ، وكان من فرسان الصحابة ومن علمائهم ، كان يفتي بالمدينة ، وله مشاهد معروفة في حياة النبي (س) ، وبعد ، توفي بالمدينة وقد جاوز السبعين سنة .

مالك بن أبي عامر

الأصبحي المدني وهو جد الامام مالك بن أنس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم وكان فاضلاً عالماً ، توفي بالمدينة .

أبو عبد الرحمن السلمي

مقرئ أهل الكوفة بلا مدافعة واسمه عبد الله بن حبيب ، قرأ القرآن على عثمان بن عفان وابن مسعود ، وسمع من جماعة من الصحابة وغيرهم ، وأقرأ الناس القرآن بالكوفة من خلافة عثمان إلى إمرة الحجاج ، قرأ عليه عاصم بن أبي النجود وخلق غيره ، توفي بالكوفة .

أبو معرض الأسدي

اسمه مغيرة بن عبد الله الكوفي ، ولد في حياة النبي (س) ، ووفد على عبد الملك بن مروان وامتدحه ، وله شعر جيد ، ويعرف بالأقطشي ، وكان أحمر الوجه كثير الشعر ، توفي بالكوفة في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين سنة .

بشر بن مروان

الأموي أخو عبد الملك بن مروان ، ولى إمرة العراقيين لأخيه عبد الملك ، وله دار بدمشق عند عقبة اللباب ، وكان سمحاً جواداً ، وإليه ينسب دير مروان عند حمير ، وهو الذى قتل خالد بن حصين المكلابي يوم مرج راهط ، وكان لا يفتلق دونه الأبواب ويقول : إنما يحتجب النساء ، وكان طليق الوجه ، وكان يميز على الشعر بألوف ، وقد امتدحه الفرزدق والأخطل ، والجهمية تستدل على الاستواء على العرش بأنه الاستيلاء ببيت الأخطل .

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مہراق

وليس فيه دليل ، فان هذا استدلال باطل من وجوه كثيرة ، وقد كان الأخطل نصرانياً ، وكان سبب موت بشر أنه وقمت القرحة في عينه فقتل له يقطعه من المفصل فخرج فداً أحس حتى خالطت الكتف ، ثم أصبح وقد خالطت الجوف ثم مات ، ولما اختضر جعل يبكي ويقول : والله لوددت أنى كنت عبداً أرعى الغنم في البادية لبعض الأعراب ولم أله ما وليت ، فذكر قوله لابن حازم - أو لسعيد بن المسيب - ، فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يفرزون إلينا ولم يجعلنا نفر إليهم ، إنما نرى فيهم عبراً ، وقال الحسن : دخلت عليه فإذا هو يتامل على سريره ثم نزل عنه إلى صحن الدار ، والأطباء حوله . مات بالبصرة في هذه السنة وهو أول أمير مات بها . ولما بلغ عبد الملك موته حزن عليه وأمر الشعراء أن يرثوه والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين

ففيها غزا محمد بن مروان - أخو عبد الملك بن مروان وهو والد مروان الحار - صائفة اليوم حين خرجوا من عند مرعش ، وفيها ولى عبد الملك نيابة المدينة ليحيى بن أبى العاص ، وهو عمه ، وعزل عنها الحجاج . وفيها ولى عبد الملك الحجاج بن يوسف نيابة العراق والبصرة والكوفة وما يتبع ذلك من الأقاليم السكبار ، وذلك بعد موت أخيه بشر ، فرأى عبد الملك أنه لا يسد عنه أهل العراق غير الحجاج اسطوته وقهره وقسوته وشهامته : فكتب إليه وهو بالمدينة ولاية العراق ، فسار من المدينة إلى العراق في اثني عشر راكباً ، فدخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وكان تحتهم النجائب ، فتنزل قرب الكوفة فاغتسل واغتضب ولبس ثيابه وتقلد سيفه وألقى عذبة العمامة بين كتفيه ، ثم سار فتنزل دار الإمارة ، وذلك يوم الجمعة وقد أذن المؤذن الأول لصلاة الجمعة ، فخرج عليهم وهم لا يعلمون ، فصعد المنبر وجلس عليه وأمسك عن الكلام طويلاً ، وقد شخصوا إليه بأبصارهم وجثوا على الركب وتناولوا الحصى ليحذفوه بها ، وقد كانوا حصبوا الذى كان قبله ، فلما سكنت أمتهم وأحبوا أن يسموا كلامه ، فنكأن أول ما تكلم به أن قال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق

والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، والله إن كان أمركم إليهمنى قبل أن آتى إليكم ، ولقد كنت أدعو الله أن يتليكم بى ، ولقد سقط منى البارحة سوطى الذى أودبكم به ، فأتخذت هذا مكانه - وأشار إلى سيفه - ، ثم قال : والله لا آخذن صغيركم بكبيركم ، وحرمت بعبدكم ، ثم لا رصعكم رصع الحداد الحديدية ، والخباز المعينة . فلما سمعوا كلامه جعل الحصى يتساقط من أيديهم ، وهيل إنه دخل الكوفة فى شهر رمضان ظهر آفئى المسجد وصعد المنبر وهو معتجر بعامة حمراء مثلهم بطرفها ، ثم قال : على بالناس ! فظنه الناس وأصحابه من الخوارج فهموا به حتى إذا اجتمع الناس قام وكشف عن وجهه اللثام وقال : أنا ابنُ كَلا وطلاعُ الثنايا متى أضعُ العامة تعرفونى

ثم قال : أما والله إني لأحمل الشئ بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأحزمه بنقله ، وإني لأرى رؤساً قد أينمت وأن اقتطافها ، وإني لأنظر إلى الدماء تترقق بين المائم والاحى ، قد شمرت عن ساقها فشمري ، ثم أنشد : -

هذا أوانُ الشدِّ فاشتدي زيمٌ قد لقيها الليلُ بسواقٍ حطَمٌ
لست براعى إبلٍ ولا غنمٍ ولا بجزّارٍ على ظهرٍ وشمٍ
قد لقيها الليلُ بمُضَلِّبٍ أروعُ خراجٍ من الدَّويِّ
مهاجرٍ ليس بأعرابيٍّ

ثم قال : إني والله يا أهل العراق ما أغمر بغماز ، ولا يقمق لي بالشنان ، ولقد فررت عن ذكاه وجربت من الغاية القصوى ، وإن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان نثر كنياته ثم عجم عيدانها عوداً عوداً فوجدنى أمرها عوداً وأصلها مغمزاً فوجئنى إليكم ، فأنتم طالما رتعتم فى أودية الفتن ، وسلكتم سبيل النى ، واخترتم جدد الضلال ، أما والله لأخونكم لى العود ، ولأعصبنكم عصب السلعة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الأبل ، إني والله لا أعد إلا وفيت ، ولا أحلق إلا فريت ، فإياى وهذه الجماعات وقيلاً وقالوا ، والله لتستقيم على سبيل الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا فى جسده .

ثم قال : من وجدت بعد ثلاثة من بعث المهلب - يعنى الذين كانوا قد رجعوا عنه لما سمعوا بموت بشر ابن مروان كما تقدم - سفكت دمه وانتهبت ماله ، ثم نزل فدخل منزله ولم يزد على ذلك ، ويقال إنه لما صعد المنبر واجتمع الناس تحته أطال السكوت حتى أن محمد بن عمر أخذه كفا من حصى وأراد أن يحصبه بها ، وقال : قبحه الله ما أعياء وأذمه ! فلما نهض الحجاج وتكلم بما تكلم به جعل الحصى يتناثر من يده وهو لا يشعر به ، لما يرى من فصاحته وبلاغته . ويقال إنه قال فى خطبته هذه : شأته الوجوه إن الله ضرب [مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتونها رزقا رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون] وأنتم أولئك فاستنوا

واستقيموا ، فوالله لأذيقنكم الموان حتى تدروا ، ولأعصبنكم عصب السله حتى تنقادوا ، واقسم بالله لتقبلن على الانصاف ولتدعن الارجاف وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، وإيش الخبر وما الخبر ، أولأهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والاولاد ينامى ، حتى تشوا السهمى وتقلعوا عن ها وها . فى كلام طويل بليغ غريب يشتمل على وعيد شديد ليس فيه وعد بخير .

فلما كان فى اليوم الثالث سمع تكبيرا فى السوق فخرج حتى جلس على المنبر فقال : يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ، ومساوى الأخلاق ، إني سمعت تكبيرا فى الأسواق ليس بالتكبير الذى يراد به الترغيب ، ولكنه تكبير يراد به الترهيب . وقد عصفت عجاذة نحتها قصف ، يابى اللكعة وعبيد العصا وأبناء الأمان والأيامى ، ألا يربع كل رجل منكم على ظلمه ، ويحسن حقن دمه ويبصر موضع قدمه ، فأقسم بالله لأوشك أن أوقع بكم وقعة تكون نكالا لما قبلها ، ألدما بعدها . قال فقام إليه عمر بن ضابى التميمى ثم الحظلى فقال : أصليح الله الأمير إنا فى هذا البعث وأنا شيخ كبير وعليل ، وهذا ابني هو أشب مني . قال : ومن أنت ؟ قال عمر بن ضابى التميمى ، قال : أسمعت كلامنا بالأمس ؟ قال : نعم قال : ألسنت الذى غزا عثمان بن عفان ؟ قال : بلى . قال : وما حملك على ذلك ؟ قال : كان حبس أبى وكان شيخا كبيرا ، قال أوليس هو الذى هو يقول :

هممت ولم أفعل وكنت وليتني فملت ووليت البكاء حلايلا

ثم قال الحجاج : إني لأحسب أن فى قتلك صلاح المضرين ، ثم قال قم إليه يا حرمى فاضرب عنقه ، فقام إليه رجل فضرب عنقه وانتهب ماله ، وأمر فناديا فنادى فى الناس ألا إن عمر بن ضابى تأخر بعد سماع النداء ثلاثا فأمر بقتله ، فخرج الناس حتى ازدحموا على الجسر فغير عليه فى ساعة واحدة أربعة آلاف من مذحج ، وخرجت معهم العرفاء حتى وصلوا بهم إلى المهلب ، وأخذوا منه كتابا بوصولهم إليه ، فقال المهلب : قدم العراق والله رجل ذكر ، اليوم قوتل العدو . وروى أن الحجاج لم يعرف عمر بن ضابى حتى قال له عنيسة بن سعيد : أيها الأمير ! إن هذا جاء إلى عثمان بعد ما قتل فلطم وجهه ، فأمر الحجاج عند ذلك بقتله .

وبعث الحجاج الحكم بن أيوب الثقفى نائبا على البصرة من جهته ، وأمره أن يشند على خلد ابن عبد الله ، وأقر على قضاء الكوفة شريحا ثم ركب الحجاج إلى البصرة . واستخلف عن الكوفة أنا يعفور ، وولى قضاء البصرة لزارة بن أوفى ، ثم عاد إلى الكوفة . وحج بالناس فى هذه السنة عبد الملك بن مروان ، وأقرمه يحيى على نيابة المدينة ، وعلى بلاد خراسان أمية بن عبد الله . وفى هذه السنة ونب الناس بالبصرة على الحجاج ، وذلك أنه لما ركب من الكوفة بعد قتل عمر بن ضابى قام فى أهل البصرة فخطبهم فظهر لهم أظلم ما خطب أهل الكوفة من الوعيد والتشديد والتهديد الأكيد ، ثم

أتى رجل من بني يشكر فقبل هذا عاص ، فقال : إن بني فتقا وقد عذرنى الله وعذرنى بشر بن مروان ، وهذا عطائي مردود على بيت المال ، فلم يقبل منه وأمر بقتله فقتل ، ففرغ أهل البصرة وخرجوا من البصرة حتى اجتمعوا عند قنطرة رامهرمز . وعليهم عبد الله بن الجارود ، وخرج إليهم الحجاج - وذلك في شعبان من هذه السنة - في أمراء الجيش فاقتتلوا هناك قتالا شديدا ، وقتل أميرهم عبد الله بن الجارود في رأس من القبائل معه ، وأمر برؤسهم فقطعت ونصبت عند الجسر من رامهرمز ، ثم بعث بها إلى المهلب فقوى بذلك وضعف أمير الخوارج ، وأرسل الحجاج إلى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف فأمرهما بمناهضة الأزارقة ، فنهضا بين معهما إلى الخوارج الأزارقة فأجلوهم عن أماكنهم من رامهرمز بأيسر قتال ، فهربوا إلى أرض كازرون من إقليم سابور ، وسار الناس وراهم فالتقوا في العشر الآخر من رمضان ، فلما كان الليل بيت الخوارج المهلب من الليل فوجدوه قد تحصن بخندق حول معسكره ، فجأؤا إلى عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه غير محترز - وكان المهلب قد أمره بالاحتراز بخندق حوله فلم يفعل - فاقتتلوا في الليل فقتلت الخوارج عبد الرحمن بن مخنف وطائفة من جيشه وهزمهم هزيمة منكرة ، ويقال إن الخوارج لما التقوا مع الناس في هذه الواقعة كان ذلك في يوم الأربعاء لعشرين بقين من رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديدا لم يعهد مثله من الخوارج ، وحملت الخوارج على جيش المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى معسكره ، فجعل عبد الرحمن يمدد بالخيال بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فالت الخوارج إلى معسكر عبد الرحمن بعد العصر فاقتتلوا معه إلى الليل ، فقتل عبد الرحمن في أثناء الليل . وقتل معه طائفة كثيرة من أصحابه الذين ثبتوا معه ، فلما كان الصباح جاء المهلب فصلى عليه ودفنه وكتب إلى الحجاج بمهلكه ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يعزیه فيه فنعاه عبد الملك إلى الناس بمنى ، وأمر الحجاج مكانه عتاب بن ورقاء ، وكتب إليه أن يطيع المهلب ، فكره ذلك ولم يجده بدا من طاعة الحجاج ، وكره أن يخالفه ، فسار إلى المهلب فجعل لا يطيعه إلا ظاهراً ومصيه كثيراً ، ثم تقاولا فهم المهلب أن يوقع بعتاب ثم حجز بينهما الناس ، فكتب عتاب إلى الحجاج يشكو المهلب فكتب إليه أن يقدم عليه وأعفاه من ذلك ، وجعل المهلب مكانه ابنه حبيب بن المهلب .

وفيها خرج داود بن النعمان المازني بنواحي البصرة ، فوجه إليه الحجاج أميراً على سرية فقتله . قال ابن جرير : وفي هذه السنة تحرك صالح بن مسريح أحد بني أمي القيس ، وكان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان سبب ذلك أنه حج بالناس في هذه السنة ومعه شبيب بن يزيد ، والبطين وأشباههم من رؤس الخوارج ، واتفق حج أمير المؤمنين عبد الملك فهم شبيب بالفتك به ، فبلغ سبب الملك ذلك من خبره بعد انصرافه من الحج ، فكتب عبد الملك

إلى الحجاج أن يتطلبهم ، وكان صالح بن مسرح هذا يكثر الدخول إلى الكوفة والاقامة بها ، وكان له جماعة يلوذون به ويعتقدونه ، من أهل دارا وأرض الموصل ، وكان يعلمهم القرآن ويقص عليهم وكان مصغراً كثير العبادة ، وكان إذا قص بحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ، ثم يأمر بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، ويبحث على ذكر الموت ويترحم على الشيخين أبي بكر وعمر ، ويثني عليهما ثناء حسناً ، ولكن بعد ذلك يذكر عثمان فيسبه وينال منه ويشكر عليه أشياء من جنس ما كان يشكر عليه الذين خرجوا عليه وقتلوه من فجرة أهل الأمصار ، ثم يحض أصحابه على الخروج مع الخوارج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنكار ما قد شاع في الناس وذاع ، ويهون عليهم القتل في طلب ذلك ، ويذم الدنيا ذمّاً بالغاً ، ويصغر أمرها ويحقّر ، فالتفت عليه جماعة من الناس ، وكتب إليه شبيب بن يزيد الخارجي يستبطئه في الخروج ويحثه عليه ويندب إليه ، ثم قدم شبيب على صالح وهو بدارا فتوافعوا وتوافقوا على الخروج في مستهل صفر من هذه السنة الآتية - وهي سنة ست وسبعين - وقدم على صالح شبيب وأخوه مصاد والمجلل والفضل بن عامر ، فاجتمع عليه من الأبطال وهو بدارا نحو مائة وعشرة أنفس ، ثم وثبوا على خيل محمد بن مروان فأخذوها ونفروا بها ثم كان من أمرهم بعد ذلك ما كان ، كما سند كره في هذه السنة التي بعدها إن شاء الله تعالى وكان ممن توفي فيها في قول أبي مسهر وأبي عبيد - العرباض بن سارية - رضي الله عنه السلمي أبو نجيح سكن حصص وهو صحابي جليل ، أسلم قديماً هو وعمر بن عنبسة ونزل الصفة ، وكان من البكائين المذكورين في سورة براءة كما قد ذكرنا أسماءهم عند قوله [ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم] الآية . وكانوا ، تسعة وهو راوى حديث « خطبنا رسول الله » ، خطبة وجأت منها القلوب وزرفت منها العميون » الحديث إلى آخره . ورواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وغيره ، وروى أيضاً أن النبي (ص) « كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً وعلى الثاني واحدة » وقد كان العرباض شيخاً كبيراً ، وكان يحب أن يقبضه الله إليه ، وكان يدعو : اللهم كبرت سنّي ووهن عظمي فأقبضني إليك ، وروى أحاديث .

أبو ثعلبة الخشني

صحابي جليل شهيد بيعة الرضوان وغزاه حنيناً وكان ممن نزل الشام بداريا غربي دمشق إلى جهة القبلة ، وقيل ببلاط قرية شرقي دمشق فأنه أعلم . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة ، والأشهر منها جرثوم بن ناضر ، وقد روى عن رسول الله (ص) ، أحاديث وعن جماعة من الصحابة ، وعنه جماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ومكحول الشامي وأبو إدريس الخولاني ، وأبو قلابة الأيرمي ، وكان ممن يجالس كعب الأحمار ، وكان في كل ليلة يخرج فينظر إلى السماء فيستفكر ثم يرجع إلى المنزل فيسجد لله عز وجل ، وكان يقول : إني لأرجو أن لا يخنقني الله عند الموت كما أراكم تخنقون ،

فبينما هو ليلة يصلى من الليل إذ قبضت زوجته وهو ساجد . ورأت ابنته فى المنام كأن أبها قد مات فانتبهت مذعورة فقالت لأبها أين أبى ؟ قالت : هو فى مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فجاءته فخر كنه فسقط جنبه فاذا هو ميت رحمه الله ، قال أبو عبيدة ومحمد بن سعد وخليفة وغير واحد : كانت وفاته سنة خمس وسبعين ، وقال غيرهم : كانت وفاته فى أول إمرة معاوية فأنه أعلم . وقد توفى فى هذه السنة .

الأسود بن يزيد

صاحب ابن مسعود ، وهو الأسود بن يزيد النخعى من كبار التابعين ، ومن أعيان أصحاب ابن مسعود ، ومن كبار أهل الكوفة ، وكان يصوم الدهر ، وقد ذهب عينه من كثرة الصوم ، وقد حج البيت ثمانين حجة وعمره . وكان يهل من الكوفة ، توفى فى هذه السنة ، وكان يصوم حتى يخضر . يصفر ، فلما احتضر بكى فقل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : ما لى لا أجزع ؟ ومن أحق بذلك منى ؟ والله لو أنبتت بالمغفرة من الله لأهابن الحياء منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنوب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مسيحياً منه .

حران بن أبان

مولى عثمان بن عفان كان من سبى عين النمر اشتراه عثمان ، وهو الذى كان يأذن الناس على عثمان توفى فى هذه السنة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

كان فى أولها فى مستهل صفر منها ليلة الأربعاء اجتمع صالح بن مسرح أمير الصفرية ، وشبيب ابن يزيد أحد شجعان الخوارج ، فقام فيهم صالح بن مسرح فأمرهم بنقوى الله وحشهم على الجهاد ، وأن لا يقاتلوا أحداً حتى يدعوهم إلى الدخول معهم ، ثم مالوا إلى دواب محمد بن مروان نائب الجزيرة فأخذوها فنفروا بها ، وأقاموا بأرض دارا ثلاثة عشر ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا ونصيبين وسنجار ، فبعث إليهم محمد بن مروان نائب الجزيرة خمسمائة فارس عليهم عدى بن عدى بن عميرة ، ثم زاده خمسمائة أخرى فسار فى ألف من حران إليهم ، وكانما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ، لما علموا من جلد الخوارج وقوتهم وشدة بأسهم ، فلما التقوا مع الخوارج هزمتهم الخوارج هزيمة شنيعة بالغة . واحتوا على مائى مسكرهم ، ورجع فلهم إلى محمد بن مروان ، فغضب وبعث إليهم ألفاً وخمسمائة مع الحارث بن جعونة ، وألفاً وخمسمائة مع خالد بن الحر ، وقال لهما : أيكما سبق إليهم فهو الأمير على الناس ، فساروا إليهم فى ثلاثة آلاف مقاتل ، والخوارج فى نحو من مائة نفس وعشرة أنفس ، فلما انتهوا إلى آمد توجه صالح فى شطر الناس إلى خالد بن الحر ، ووجه شبيباً فى الباقي إلى الحارث ابن جعونة ، فاقتتل الناس قتلاً شديداً إلى الليل ، فلما كان المساء انكشف كل من الفريقين عن

الآخر ، وقد قتل من الخوارج نحو السبعين وقتل من أصحاب ابن مروان نحو الثلاثين ، وهربت الخوارج في الليل فخرجوا من الجزيرة وأخذوا في أرض الموصل ومضوا حتى قطعوا الدسكرة ، فبعث إليهم الحجاج ثلاثة آلاف مع الحارث بن عميرة ، فسار نحوهم حتى لحقهم بأرض الموصل وليس مع صالح سوى تسعين رجلا ، فالتقى معهم وقد جعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس ، فهو في كردوس ، وشبيب عن يمينه في كردوس ، وسويد بن سلبان عن يساره في كردوس ، وحمل عليهم الحارث بن عميرة ، وعلى ميمينته أبو الرواح الشاكري ، وعلى يسارته الزبير بن الأرواح النخعي ، فصبرت الخوارج على قتلهم صبرا شديدا ، ثم انكشف سويد بن سلبان ، ثم قتل صالح بن مسطح أميرهم ، وصرع شبيب عن فرسه فالتف عليه بقية الخوارج حتى احتملوه فدخلوا به حصنا هنالك ، وقد بقي معهم سبعون رجلا ، فأحاط بهم الحارث بن عميرة وأمر أصحابه أن يحرقوا الباب ففعلوا ، ورجع الناس إلى معسكرهم ينتظرون حريق الباب فيأخذون الخوارج قهرا ، فما رجع الناس واطمأنوا خرجت عليهم الخوارج على الصعب والذلول من الباب فبيتوا جيش الحارث بن عميرة فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وهرب الناس سراعا إلى المدائن ، وانحاز شبيب وأصحابه مافي معسكرهم ، وكان جيش الحارث بن عميرة أول جيش هزمه شبيب ، وكان مقتل صالح بن مسرح في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفيها دخل شبيب الكوفة ومعه زوجته عزالة ، وذلك أن شبيباً جرت له فصول يطول تفصيلها بعد مقتل صالح بن مسرح ، واجتمعت عليه الخوارج وبايعوه ، وبعث إليه الحجاج جيشاً آخر فقاتلوه فهزموه ثم هزمهم بعد ذلك ، ثم سار غاز المدائن فلم يزل منهم شيئا ، فسار فأخذ سوابغاً للحجاج من كلوا ، وفي عزمه أن يبيت أهل المدائن فهرب من فيها من الجند إلى الكوفة ، فلما وصل فلمهم إلى الحجاج جهز جيشاً أربعة آلاف مقاتل إلى شبيب ، فروا على المدائن ثم ساروا في طلب شبيب فجعل يسير بين أيديهم قليلا قليلا وهو يريهم انه خائف منهم ، ثم يكر في كل وقت على المقدمة فيكسرهما وينهب مافيها ، ولا يواجه أحداً إلا هزمه ، والحجاج يلح في طلبه ويجهز إليه السرايا والبعوث والمدد وشبيب لا يبالي بأحد وإن ما معه مائة وستون فارسا ، وهذا من أعجب العجائب ، ثم سار من طريق أخرى حتى واجه الكوفة وهو يريد أن يحاصرها ، فخرج الجيش بكاله إلى السبخة لقتاله ، وبلغه ذلك فلم يبال بهم بل انزعج الناس له وخاف منه وفرقوا منه ، وهم الجيش أن يدخل الكوفة خوفا منه ويتحصنوا بها منه ، حتى قيل لهم إن سويد بن عبد الرحمن في آثارهم وقد اقترب منهم . شبيب نازل بالمدائن بالدري ليس عنده خبر منهم ولا خوف ، وقد أمر بطعام وشواء أن يصنع له فقبل له . قد جاءك الجند فأدرك نفسك ، فجعل لا يلتفت إلى ذلك ولا يكثر بهم ويقول للدهقان الذي يصنع له

الطعام : أجده وأصمجه وحمل به ، فلما استوى أكله ثم نوضاً وضوءاً تاماً ثم صلى بأصحابه صلاة تامة بتطويل وطمأنينة ، ثم لبس درعه وتقلد سيفين وأخذ عمود حديد ثم قال : أسرجوا إلى البغلة ، فركبها فقال له أخوه مصاد : اركب فرساً ، فقال : لا حارس كل أمر أجله ، فركبها ثم فتح باب الدير الذي هو فيه وهو يقول : أنا أبو المدله لاحكم إلا الله ، وتقدم إلى أمير الجيش الذي يليه بالعمود الحديد فقتله ، وهو سميد بن الجالد ، وحمل على الجيش الآخر اليكشيف فصرع أميره وهرب الناس من بين يديه ولجأوا إلى الكوفة ، ومضى شبيب إلى الكوفة من أسفل الفرات ، وقتل جماعة هناك ، وخرج الحجاج من الكوفة هارباً إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، ثم اقترب شبيب من الكوفة يريد دخولها ، فأعلم الدهاقين عروة بن المغيرة بذلك فكتب إلى الحجاج يعلمه بذلك فأسرع الحجاج الخروج من البصرة وقصد الكوفة فأسرع السير ، وبادره شبيب إلى الكوفة فسبقه الحجاج إليها فدخلها القصر ، ووصل شبيب إلى المربد عند الغروب ، فلما كان آخر الليل دخل شبيب الكوفة وقصد قصر الامارة فضرب بابه بعموده الحديد فأثرت ضربته في الباب ، فكانت تعرف بعد ذلك ، يقال هذه ضربة شبيب ، وسلك في طرق المدينة وقصد محال القتال ، وقتل رجالاً من رؤساء أهل الكوفة وأشرفهم ، منهم أبو سليم والدليلث بن أبي سليم ، وعدي بن عمرو ، وأزهر بن عبد الله العامري ، في طائفة كثيرة من أهل الكوفة ، وكان مع شبيب امرأته غزالة ، وكانت معروفة بالجماعة ، فدخلت مسجد الكوفة وجلست على منبره وجلت تدم بنى مروان .

ونادى الحجاج في الناس يا خيل الله اركبي ، فخرج شبيب من الكوفة إلى محال الطعن والضرب ، فجهز الحجاج في أثره ستة آلاف مقاتل ، فصاروا وراءه وهو بين أيديهم ينمسون بهز رأسه ، وفي أوقات كثيرة يكر عليهم فيقتل منهم جماعة ، حتى قتل من جيش الحجاج خلقاً كثيراً ، وقتل جماعة من الأمراء منهم رائدة بن قدامة ، قتله شبيب ، وهو ابن عم المختار ، فوجه الحجاج مكانه لحر به عبد الرحمن بن الأشعث ، فلم يقابل شبيباً ورجع ، فوجه مكانه عثمان بن قطن الحارثي ، فالتقوا في أواخر السنة فقتل عثمان بن قطن وانهرمت جموعه بعد أن قتل من أصحابه ستائة نفس ، فن أعيانهم عقيل بن شداد السلولي ، وخالد بن نهيك الكندي ، والاسود بن ربيعة ، واستفحل أمر شبيب وتزلزل له عبد الملك بن مروان والحجاج وسائر الأمراء وخاف عبد الملك منه خوفاً شديداً ، فبعث له جيشاً من أهل الشام فقدموا في السنة الآتية ، وإن ما مع شبيب شزيمة قليلة ، وقد ملأ قلوب الناس رعباً ،^١ ووجرت خطوب كثيرة له معهم ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى استهلكت هذه السنة . قال ابن جرير : وفي هذه السنة نقش عبد الملك بن مروان على الدراهم والدنانير وهو أول من

نقشها . وقال الماوردي في كتابي الأحكام السلطانية : اختلف في أول من ضربها بالعربية في الاسلام فقال سعيد بن المسيب : أول من ضرب الدرام المنقوشة عبد الملك بن مروان ، وكانت الدنانير والدرام رومية وكسروية ، قال أبو الزناد : وكان نقشه لها في سنة أربع وسبعين ، وقال المدائني : خمس وسبعين ، وضربت في الآفاق سنة ستة وسبعين ، وذكر أنه ضرب على الجانب الواحد منها الله أحد ، وعلى الوجه الآخر الله الصمد ، قال : وحكى يحيى بن النعمان الغفاري عن أبيه أن أول من ضرب الدرام مصعب بن الزبير عن أمر أخيه عبد الله بن الزبير ، سنة سبعين على ضرب الأكرسة ، عليها الملك من جانب ، والله من جانب ، ثم غيرها الحجاج وكتب اسمه عليها من جانب ، ثم خلصها بعده يوسف بن هبيرة في أيام يزيد بن عبد الملك ، ثم خلصها أجود منها خالد بن عبد الله القسيري في أيام هشام ، ثم يوسف بن عمر أجود منهم كلهم ، ولذلك كان المنصور لا يقبل منها إلا الهبيرية والخالدية واليوسفية وذكر أنه قد كان للناس ثود مختلفة منها الدرام البعلبية ، وكان الدرهم منها ثمانية دنانق ، والطبرية وكان الدرهم منها أربعة دنانق ، واليماني دنانق ، فجمع عمر بن الخطاب بين البعلی والطبري ثم أخذ بنصفها فجعل الدرهم الشرعي وهو نصف مثقال وخمس مثقال ، وذكروا أن المقاتل لم يغيروا وزنه في جاهلية ولا اسلام ، وفي هذا نظر والله أعلم

وفيهما ولد مروان بن محمد بن مروان بن الحسك وهو مروان الحمار آخر من تولى الخلافة من بني أمية ، ومنه أخذها بنو العباس . وفيها حج بالناس أبان بن عثمان بن عفان نائب المدينة ، وعلى امرأة العراق الحجاج وعبي خراسان أمية بن عبد الله والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان أبو عثمان النهدي القضاعي اسمه عبد الرحمن بن مل أسلم على عهد النبي ص ، رغب أجولاء والقادسية وتستر ، ونهروند ، وأذر بيجان وغيرهما ، وكان كثير العبادة زاهداً عالماً يصوم النهار ويقوم الليل ، توفي وعمره مائة وثلاثين سنة بالكوفة .

صلة بن اشيم العدوي

من كبار التابعين من أهل البصرة ، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد ، كنيته أبو الصهباء ، كان يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي الفراش إلا حبوا ، وله مناقب كثيرة جداً ، منها أنه كان يمر عليه شباب يلعبون ويلعبون فيقول : أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا في النهار عن الطريق وناموا الليل حتى يقطعون سفرهم ؟ فقال لهم يوماً هذه المقالة ، فقال شاب منهم : والله يا قوم إنه ما يهني بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلعب ، وبالليل ننام . ثم تبسع صلة فلم يزل يتعبد معه حتى مات . ومر عليه فتى يجرب به فهم أصحابه أن يأخذوه بالسفهم فقال : محدوني أكنفكم أمره ، ثم دعاه فقال : يا ابن أخي لي إليك حاجة .

قال : وما حاجتك ؟ قال : أن ترفع إزارك ، قال : نعم ، ونعمت عين ، فرفع إزاره ، فقال صلة : هذا أمثل مما أردتم لو شتمتموه لستمكم . ومنهما حكاة جعفر بن زيد قال : خرجنا في غزاة وفي الجيش صلة بن أشيم فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله الليلة ، فدخل غيضة ودخلت في أثره فقام يصلي وجاء الأسد حتى دنا منه وصعدت أنا في شجرة ، قال فتراه التمت أو عده جرواً حتى سجد فقلت : الآن يقترسه ، فجلس ثم سلم فقال : أيها السبع إن كنت أمرت بشئ فافعل وإلا فاطلب الرزق من مكان آخر ، فولى الأسد وإن له زئيراً تصدع منه الجبال ، فلما كان عند الصباح جلس فحمد الله بحمده لم أسمع بمثله ثم قال : اللهم إني أسألك أن تحيّرني من النار ، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة . ثم رجع إلى الجيش فأصبح كأنه بات على الحشا ، وأصبحت وفي من القيرة شئ الله به عليم . قال : وذهبت بغلته بثقلها فقال : اللهم إني أسألك أن ترد علي بغلتي بثقلها ، فجاءت حتى قامت بين يديه ، قال : فلما التقيتا العدو حمل هو وهشام بن عامر فصنبننا بهم طعننا وضربا ، فقال العدو : رجلان من العرب هما يا هذا فكيف لو قاتلونا كلهم ؟ أعطوا المسلمين حاجتهم -- يعني انزلوا على حكمهم -- ، قال صلة : جمعت مرة في غزاة جوعاً شديداً فبينما أنا أسير أدعور بي وأستطعمه ، إذ سمعت وجبة من خلقي فالتفت فإذا أنا بمسديل أبيض فإذا فيه دوخلة ملائكة رطباً فأكلت منه حتى شبعتم ، وأدركني المساء فلت إلى دير راهب فحدثته الحديث فاستطعمني من الرطب فأطعمته ، ثم إني مررت على ذلك الراهب بعد زمان فإذا نخلات حسان فقال : إنهن من الرطبات التي أطعمتني ، وجاء بذلك المسديل إلى امرأته فكانت تزيه للناس ، ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتاً مطيباً فقام يصلي فقامت تصلي معه ، فلم يزل الا يصليان حتى برق الصبح ، قال : فأنذيت فقلت له : أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقامت تصلي وتركها ؟ قال : إنك أدخلتني بيتاً أوّل النهار أذكرتني به النار ، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة ، فلم تزل فكرتني فيهما حتى أصبحت ، البيت الذي أذكره به النار هو الحمام ، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس . وقال له رجل : أذعو الله لي : فقال رغبك الله فيما يهني . وإهدك فيما يهني ، ورزقك اليمين الذي لا يركن إلا إليه ، ولا يعول في الدين إلا عليه . وكان صلة في غزاة معه ابنه فقال له : أي بني تقدم فتنازل حتى أحسبك . فحمل فتنازل حتى قتل ، ثم تشدد عليه فتنازل حتى قتل ، فاجتمع النساء عند امرأته معاذة العسوية فقالت : إن كنتن جثتين لهينتي فرجباً يكن ، وإن كنتن جثتين لنعز يفتي فارجمن ، توفي صلة في غزاة هو وابنه نحو بلاد فارس في هذه السنة .

زهير بن قيس الهلوي ،

شهد فتح مصر وسكنها ، له صحبة ، قتلته الروم بركة من بلاد المغرب ، وذلك أن الصريح أتى

الحاكم بمصر وهو عبد العزيز بن مروان أن الروم نزلوا بركة ، فأمره بالنهوض إليهم ، فساق زهير ومعه أربعون نفساً فوجد الروم فأراد أن يكف عن القتال حتى يلحقه العسكر ، فقالوا : يا أبا شداد احمل بنا عليهم ، فحملوا فقتلوا جميعاً المنذر بن الحارود . مات في هذه السنة . تولى بيت المال ووفد على معاوية والله أعلم

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

فيها أخرج الحجاج مقاتلة أهل الكوفة وكانوا أربعين ألفاً ، وانضاف عليهم عشرة آلاف ، فصاروا خمسين ألفاً ، وأمر عليهم عتاب بن ورقاء وأمره أن يقصد لشبيب أين كان ، وأن يصمم على قتاله . وكان قد اجتمع على شبيب ألف رجل . وأن لا يفعلوا كما كانوا يفعلون قبلها من الفرار والهزيمة . ولما بلغ شبيب ما بعث به الحجاج إليه من العساكر والجنود ، لم يعأ بهم شيئاً . بل قام في أصحابه خطيباً فوعظهم وذكرهم وحشهم على الصبر عند اللقاء ومناجزة الأعداء ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو عتاب بن ورقاء ، فالتقيا في آخر النهار عند غروب الشمس ، فأمر شبيب ، مؤذنه سلام بن يسار الشيباني فأذن المغرب ثم صلى شبيب بأصحابه المغرب صلاة نامة الركوع والسجود ، وصفت عتاب بأصحابه . وكان قد خندق حوله وحول جيشه من أول النهار . فلما صلى شبيب بأصحابه المغرب انتظر حتى طلع القمر وأضاء ثم تأمل الميمنة والميسرة ثم حمل على أصحاب رايات عتاب وهو يقول : أنا شبيب أمير المؤمنين لا حكم إلا لله ، فهزمهم وقتل أميرهم قبيصة بن الولق وجماعة من الأمراء معه ، ثم كر على الميمنة وعلى الميسرة ففرق شمل كل واحداهما ، ثم قصد القلب فما زال حتى قتل الأمير عتاب بن ورقاء وزهرة بن جونة ، وولى عامة الجيش مدبرين وداسوا الأمير عتاب وزهرة فوطئته الخيل . وقتل في المعركة عمار بن يزيد الكلبي . ثم قال شبيب لأصحابه : لا تتبعوا منهزماً ، وانهزم جيش الحجاج عن بكرة أبيهم راجعين إلى الكوفة ، وكان شبيب لما احتوى على المعسكر أخذ ممن بق منهم البيعة له بالامارة وقال لهم إلى أي ساعة تهربون ؟ ثم احتوى على ما في المعسكر من الأموال والحواسل ، واستدعى بأخيه مصاد من المدائن ، ثم قصد نحو الكوفة ، وقد وفد إلى الحجاج سفيان بن الأبرد الكلبي وحبيب بن عبد الرحمن الحنكي من مذحج في سنة آلاف فارس ومعهما خلق من أهل الشام ، فاستغنى الحجاج بهم عن نصرته أهل الكوفة ، وقام في الناس خطيباً لحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة لا أعز الله من أراد بكم العز ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنا فلا تشبهوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالخيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، فلا يقاتلن معنا إلا من كان عاملاً لنا ، ومن لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء ، وعزم الحجاج على قتال شبيب بنفسه وسار شبيب حتى

بلغ الصراة ، وخرج إليه الحجاج بن منه من الشاميين وغيرهم ، فلما توجه الفريقان نظر الحجاج الى شبيب وهو في ستمائة نخطب الحجاج أهل الشام وقال : يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين لا يغفلن باطل هؤلاء الأراجس حقكم ، غضوا الأبصار واجنوا على الركب ، واستقبلوا بأطراف الأسنة ، ففعلوا ذلك ، وأقبل شبيب وقد عبي أصحابه ثلاث فرق ، واحدة معه ، وأخرى مع سويد ابن سليم ، وأخرى مع المجل بن وائل . وأمر شبيب سويداً أن يحمل فحمل على جيش الحجاج فصبروا له حتى إذا ذنا منهم وثبوا إليه وثبة واحدة فانهزم عنهم ، فنادى الحجاج : يا أهل السمع والطاعة هكذا فافعلوا ، ثم أمر الحجاج فقدم كرسية الذي هو جالس عليه إلى الامام ، ثم أمر شبيب المجل أن يحمل فحمل فثبتوا له وقدم الحجاج كرسية إلى امام ، ثم إن شبيباً حمل عليهم في كنيسته فثبتوا له حتى إذا غشي أطراف الأسنة وثبوا في وجهه فقاتلهم طويلاً ، ثم إن أهل الشام طاعنوه حتى ألحقوه بأصحابه ، فلما رأى صبرهم نادى : يا سويد احمل في خيلك على أهل هذه السرية لعلك تزيل أهلها عنها فأت الحجاج من ورائه ، ونحمل نحن عليه من أمامه . فحمل فلم يند ذلك شيئاً ، وذلك أن الحجاج كان قد جعل عروة بن المغيرة بن شعبة في ثلاثمائة فارس ردأ له من ورائه لئلا يؤتوا من خلفهم ، وكان الحجاج بصيراً بالحرب أيضاً ، فعند ذلك حرص شبيب أصحابه على الحيلة وأمرهم بها ففهم ذلك الحجاج ، فقال : يا أهل السمع والطاعة اصبروا لهذه الشدة الواحدة ، ثم ورب السماء والأرض ماشى دون الفتح ، فنجثوا على الركب وحمل عليهم شبيب بجميع أصحابه ، فلما غشيه نادى الحجاج بجماعة الناس فوثبوا في وجهه ، فما زالوا يطعنون ويطعنون وهم مستظفرون على شبيب وأصحابه حتى ردوهم عن مواقفهم إلى ما ورائها ، فنادى شبيب في أصحابه يا أولياء الله الأرض الأرض ، ثم نزل ونزلوا ونادى الحجاج يا أهل الشام يا أهل السمع والطاعة ، هذا أول النصر والذي نفسي بيده ، وصعد مسجداً هنالك وجعل ينظر إلى الفريقين ، ومع شبيب نحو عشرين رجلاً معهم النبل ، واقتتل الناس قتالاً شديداً عامة النهار من أشد قتال في الأرض ، حتى أقر كل واحد منهم لصاحبه ، والحجاج ينظر إلى الفريقين من مكانه ، ثم إن خالد بن عتاب استأذن الحجاج في أن يركب في جماعة فيأتي الخوارج من خلفهم ، فأذن له ، فانطلق في جماعة معه نحو من أربعة آلاف ، فدخل عسكر الخوارج من ورائهم فقتل مصاداً أخاً شبيب ، وغزاة امرأة شبيب ، قتلها رجل يقال له فروة بن دقاق السكبي ، وخرق في جيش شبيب ، وفرح بذلك الحجاج وأصحابه وكبروا ، وانصرف شبيب وأصحابه كل منهم على فرس ، فأمر الحجاج أن ينطلقوا في طلبهم ، فشدوا عليهم فزموهم ، وتحلف شبيب في حامية الناس ، ثم انطلقت وابنه الطلب فجعل ينس وهو على فرسه حتى يخفق برأسه ، ودنا منه الطلب فجعل يض أصحابه ينهائهم عن النعاس في هذه الساعة فجعل لا يكثر بهم

ويود فيخفق رأسه ، فلما طال ذلك بعث الحجاج إلى أصحابه يقول دعوه في حرق النار ، فتركوه ورجعوا .
ثم دخل الحجاج الكوفة فخطب الناس فقال في خطبته . إن شبيباً لم يهزم قبلها ، ثم قصد شبيب
الكوفة فخرجت إليه سرية من جيش الحجاج فالتقوا يوم الأربعاء فلا زالوا يتقاتلون إلى يوم الجمعة
وكان على سرية الحجاج الحارث بن معاوية النخعي في ألف فارس معه ، لحمل شبيب على الحارث
ابن معاوية فكسره ومن معه ، وقتل منهم طائفة ، ودخل الناس الكوفة هاربين ، وحصن الناس
السكك فخرج إليه أبو الورد مولى الحجاج في طائفة من الجيش فقاتل حتى قتل ، ثم هرب أصحابه
ودخلوا الكوفة ، ثم خرج إليه أمير آخر فأنكسر أيضاً ، ثم سار شبيب بأصحابه نحو السواد فروا
بعمال الحجاج على تلك البلاد فقتلوه ، ثم خطب أصحابه وقال : اشتغلتم بالدنيا عن الآخرة ، ثم رمى
بالمال في الفرات ، ثم سار بهم حتى افتتح بلاداً كثيرة ولا يبرز له أحد إلا قتله ، ثم خرج إليه بعض
الأمراء الذين على بعض المدن فقال له : يا شبيب ابرز إلى وأبرز إليك ، .. وكان صديقه - فقال له
شبيب : إني لا أحب قتلك ، فقال له : لكني أحب قتلك فلا تغرنك نفسك وما تقدم من الوقائع ،
ثم حمل عليه فضربه شبيب على رأسه فبهس رأسه حتى اختلط دماغه بلحمه وعظمه ، ثم كفنه
ودفنه ، ثم إن الحجاج أنفق أموالاً كثيرة على الجيوش والعساكر في طلب شبيب فلم يطيعوه ولم
يقدروا عليه ، وإنما سلب الله عليه موتاً قدرأ من غير صنعهم ولا صنعه في هذه السنة

مقتل شبيب عند ابن الكلبي

وكان سبب ذلك أن الحجاج كتب إلى نائبه على البصرة - وهو الحكم بن أيوب بن الحكم بن
أبي عقيل وهو زوج ابنة الحجاج - يأمره أن يجيز جيشاً أربعة آلاف في طلب شبيب ، ويكونون
تبعاً لسفيان بن الأبرد ، ففعلوا وطلعتوا في طلبه فالتقوا معه . وكان ابن الأبرد معه خلق من أهل
الشام ، فلما وصل جيش البصرة إلى ابن الأبرد التقوا معه جيشاً واحداً هم وأهل الشام ، ثم ساروا
إلى شبيب فالتقوا به فاقتتلوا قتالاً شديداً وصبر كل من الفريقين لصاحبه ، ثم عزم أصحاب الحجاج
لحملوا على الخوارج حملة منكراً والخوارج قليلون ففروا بين أيديهم ذاهبين حتى اضطروهم إلى
جسر هناك ، فوقف عنده شبيب في مائة من أصحابه ، وعجز سفيان بن الأبرد عن مقاومته ، وردد
شبيب عن موقفه هذا بعد أن تقاتلوا نهائياً طويلاً كما لا عند أول الجسر أشد قتالاً يكون ، ثم أمر
ابن الأبرد أصحابه فرشقوهم بالنبال رشقاً واحداً ، ففرت الخوارج ثم كرت على الرماة فقتلوا نحو
من ثلاثين رجلاً من أصحاب ابن الأبرد ، وجاء الليل بظلامه فكف الناس بعضهم عن بعض ،
وبات كل من الفريقين مصراً على مناهضة الآخر ، فلما طلع الفجر عبر شبيب وأصحابه على الجسر ،

فبينما شبيب على متن الجسر راكبا على حصان له وبين يديه فرس أنثى إذ نزا حصانه عليها وهو على الجسر فنزل حافر فرس شبيب على حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ثم انغمس في الماء ثم ارتفع وهو يقول [ذلك تقدير العزيز العليم] ففرق . فلما تحققت الخوارج سقوطه في الماء كبروا وانصرفوا ذاهبين متفرقين في البلاد ، وجاء أمير جيش الحجاج فاستخرج شبيباً من الماء وعليه درعه ، ثم أمر به فشق صدره فاستخرج قلبه فاذا هو مجتمع صلب كأنه صخرة ، وكانوا يضربون به الأرض فيرتفع قامة الإنسان . وقيل إنه كان معه رجال قد أبغضوه لما أصاب من عشائهم ، فلما تخلف في الساقة اشتدوا وقالوا نقطع الجسر به ففعلوا ذلك فالتفت الجسر ونفر فرسه فسقط في الماء ففرق ، ونادوا غرق أمير المؤمنين ، فعرف جيش الحجاج ذلك فجاءوا فاستخرجوه ، ولما نعى شبيب إلى أمه قالت : صدقتم إني كنت رأيت في المنام وأنا حامل به أنه قد خرج منها شهاب من نار فعملت أن النار لا يطفئها إلا الماء ، وأنه لا يطفئه إلا الماء ، وكانت أمه حارية اسمها جبهة ، وكانت جميلة ، وكانت من أخصب النساء ، تقاثل مع ابنه في الحروب . وذو رءوس خلص كان أنها قتلت في هذه الغزوة ، وكذلك قتلت زوجته غزالة ، وكانت أيضاً شهيدة البأس تقلل قتلاً شديداً يعجز عنه الأبطال من الرجال ، وكان الحجاج يخاف منها أشد خوف يحيى قال فيه بعض الشعراء :

أسد عليّ وفي الحروب نعمة * فتخاف تنفر من صغير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغا * بل كان قلبك في جناح طائر

قال : وقد كان شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت بن قيس بن شراحيل ابن صبرة بن ذهل بن شيبان الشيباني ، يدعى الخلافة ويتسمى بأمر المؤمنين ، ولولا أن الله تعالى قهره بما قهره به من الفرق لنال الخلافة إن شاء الله ، ولما قدر عليه أحد ، وإنما قهره الله على يد الحجاج لما أرسل إليه عبد الملك بمسكر الشام لقتاله ، ولما ألقاه جواده على الجسر في نهر دجيل قال له رجل : أغرقا يا أمير المؤمنين ؟ قال [ذلك تقدير العزيز العليم] قال ثم أخرج وحمل إلى الحجاج فأمر فترع قلبه من صدره فاذا هو مثل الحجر ، وكان شبيب رجلاً طويلاً أبيض جعداً ، وكان مولده في يوم عيد النحر سنة ست وعشرين ، وقد أمسك رجل من أصحابه لحمل إلى عبد الملك بن مروان فقال له أنت

القائل : فان يك منكم كان مروان وابنه * وعمر ومنكم هاشم وحبيب

فنا حصين والبطين وقنبر * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : إنما قلت ومنا يا أمير المؤمنين شبيب ، فأعجبه اعتذاره وأطلقه والله سبحانه أعلم .

وفي هذه السنة كانت حروب كثيرة جداً بين المهلب بن أبي صفرة نائب الحجاج ، وبين الخوارج من الأزارقة وأميرهم قطري بن النجاء ، وكان قطري أيضاً من الفرسان الشجعان المذكورين المشهورين

وقد تفرق عنه أصحابه ونفروا في هذه السنة ، وأما هو فلا يدرى أحد أين ذهب فانه شرد في الأرض وقد جرت بينهم مناوشات ومحاولات يطول بسطها ، وقد بالغ ابن جرير في ذكرها في تاريخه . قال ابن جرير : وفي هذه السنة ثار بكير بن وشاح الذي كان نائب خراسان على نائبها أمية بن عبد الله ابن خالد وذلك أن بكيراً استجاش عليه الناس وغدر به وقتله ، وقد جرت بينهما حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير في تاريخه . وفي هذه السنة كانت وفاة شبيب بن يزيد كاقدمنا ، وقد كان من الشجاعة والفروسة على جانب كبير لم ير بعد الصحابة مثله ، ومثل الأشراف ابنه إبراهيم ومصعب بن الزبير وأخيه عبد الله بن يناب هؤلاء في الشجاعة مثل قطري بن النعمان من الأزارقة والله أعلم . وفيها توفي من الأعيان كثير بن الصلت بن معدي كرب الكندي ، كان كبيراً مطاعاً في قومه ، وله بالمدينة دار كبيرة بالمصلى ، وقيل إنه كان كاتب عبد الملك على الرسائل ، توفي بالشام . محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله كانت أخته تحت عبد الملك وولاه سجستان ، فلما سار إليها قيل له إن شبيباً في طريقك وقد أعيا الناس فاعدل إليه لعلك أن تقتله فيكون ذكر ذلك وشهرته لك إلى الأبد ، فلما سار لقيه شبيب فاقتتل معه فقتله شبيب . وقيل غير ذلك والله أعلم .

عياض بن غنم الأشعري

شهد اليرموك ، وحدث عن جماعة من الصحابة وغيرهم توفي بالبصرة رحمه الله .

مطرف بن عبد الله

وقد كانوا إخوة ، عروة ومطرف وحزمة ، وقد كانوا يميلون إلى بني أمية فاستعملهم الحجاج على أقاليم ، فاستعمل عروة على الكوفة ، ومطرف على المدائن ، وحزمة على همدان .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ففيها كانت غزوة عظيمة للمسلمين ببلاد الروم افتتحوا إريقية ، فلما رجعوا أصابهم مطر عظيم وثلج وبرد ، فأصيب بسببه ناس كثير . وفيها ولي عبد الملك موسى بن نصير غزو بلاد المغرب جميعه فسار إلى طنجة وقد جعل على مقدمته طارقاً فقتلوا ملوك تلك البلاد ، وبيضهم قطعوا أنفه ونفوه ، وفيها عزل عبد الملك أمية بن عبد الله عن إمرة خراسان وأضافها إلى الحجاج مع سجستان أيضاً ، وركب الحجاج بعد فراغه من شأن شبيب من إمرة الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة المنيرة بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقدم المهلب على الحجاج وهو بالبصرة وقد فرغ من شأن الأزارقة أيضاً ، فأجلسه معه على السرير واستدعى بأصحاب البلاء من جيشه ، فأنهى عليه المهلب أنجز الحجاج له العطية ، ثم ولي الحجاج المهلب إمرة سجستان ، وولى عبد الله بن أبي بكر إمرة خراسان ، ثم ناقل بينهما قبل خروجهما من عنده ، فقيل كان ذلك بأشارة المهلب ، وقيل إنه استعان بصاحب

الشرطة وهو عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشمي ، حتى أشار على الحجاج بذلك فأجابه إلى ذلك . وألزم المهلب بألف ألف درهم ، لأنه اعترض على ذلك . قال أبو مهشر : وحج بالناس فيها الوليد بن عبد الملك وكان أمير المدينة أباان بن عثمان ، وأمير العراق وخراسان وسجستان وتلك النواحي كلها الحجاج ، ونائبه على خراسان المهلب بن أبي صفرة ، ونائبه على سجستان عبد الله بن أبي بكرة الثقفي ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة موسى بن مالك الأنصاري . وقد توفي في هذه السنة من الأعيان جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، أبو عبد الله الأنصاري السلمي ، صاحب رسول الله . وله روايات كثيرة ، وشهد العقبة وأراد أن يشهد بدرآ فثمه أبوه وخلفه على إخوانه وأخواته ، وكانوا تسعة ، وقيل إنه ذهب بصره قبل موته . توفي جابر بالمدينة وعمره أربع وتسعون سنة ، وأسند إليه ألف وخمسمائة وأربعين حديثا .

شريح بن الحارث

ابن قيس أبو أمية الكندي ، وهو قاضي الكوفة ، وقد تولى القضاء لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ، ثم عرله على ، ثم ولاء معاوية ثم استقل في القضاء إلى أن مات في هذه السنة ، وكان رزقه على القضاء في كل شهر مائة درهم ، وقيل خمسمائة درهم ، وكان إذا خرج إلى القضاء يقول : سيعلم الظالم حظ من نقص ، وقيل إنه كان إذا جلس للقضاء قرأ هذه الآية (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى) الآية ، وكان يقول : إن الظالم ينتظر العذاب والمظلوم ينتظر النصر ، وقيل إنه مكث قاضيا نحو سبعين سنة . وقيل إنه استمعى من القضاء قبل موته بسنة فأنه أعلم . وأمه من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن ، وقدم المدينة بعد موت النبي . س . ، توفي بالكوفة وعمره مائة وثمان سنين .

وقد روى الطبراني قال : حدثنا علي بن عبد العزيز بن ثعلبة عن أبي النعمان حدثنا حماد بن زيد عن شعيب ابن الحبش عن إبراهيم التيمي . قال : كان شريح يقول : سيعلم الظالمون حق من نقصوا . إن الظالم ينتظر العقاب ، وإن المظلوم ينتظر النصر . ورواه الامام أحمد عن إسماعيل بن علية عن ابن عون عن إبراهيم به . وقال الأعمش : اشتكى شريح رجله فطلوها بالمسك وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا : كيف تجدك ؟ فقال : صالحا . فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : قد فعلت ، قالوا : فإذا قال لك ؟ قال : وعد خيرا . وفي رواية أنه خرج باهمه قرحة فقالوا : ألا أريتها الطبيب ؟ قال : هو الذي أخرجها . وقال الأوزاعي : حدثني عبدة بن أبي لبابة قال : كانت فتنة ابن الزبير تسع سنين وكان شريح لا يختبر ولا يستخير . ورواه ابن ثوبان عن عبدة عن الشعبي عن شريح قال :

لما كانت الفتنة لم أسأل عنها . فقال رجل لو كنت مثلك ما باليت متى مت ، فقال شريح : فكيف بما في قلبي . وقد رواء شقيق بن سلمة عن شريح قال : في الفتنة ما استخبرت ولا أخبرت ولا ظلمت مسلماً ولا معاهداً ديناراً ولا درهما ، فقال أبو وائل : لو كنت على حالك لأحببت أن أكون قدمت ، فأوى إلى قلبه فقال : كيف يهدأ ، وفي رواية : كيف بما في صدري تلتقي الفتيتان وإحداهما أحب إلى من الأخرى . وقال لقوم رأيهم يلعبون : مالي أراكم تلعبون ؟ قالوا : فرغنا ! قال : ما بهذا أمر الفارغ . وقال سوار بن عبد الله العنبري : حدثنا العلاء بن جابر العنبري حدثني سالم أبو عبد الله أنه قال : شهدت شريحاً وتقدم إليه رجل فقال : أين أنت ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، فقال : إني رجل من أهل الشام ، فقال : بعيد سحيق ، فقال : إني تزوجت امرأة ، فقال : بالفاء والبنتين ، قال : إني اشتريت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : أقض بيننا ، قال : قد فعلت . وقال سفيان : قيل لشريح بأي شيء أصبت هذا العلم ؟ قال : بمعاوضة العلماء ، آخذ منهم وأعطيتهم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن عبد الله بن محمد بن سالم عن إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن هبيرة أنه سمع علياً يقول : يا أيها الناس ! يأتوني فقهاؤكم يسألوني وأسألهم ، فلما كان من الغد غدونا إليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم : ما كذا ما كذا ، ويسألونه ما كذا ما كذا فيخبرهم ويخبرونه حتى إذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فإنه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء إلا أخبره به ، قال : سمعت علياً يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب . وأنت شريحاً امرأتان جدة صبي وأمه يختصمان فيه كل واحدة تقول : أنا أحق به

أبا أمية أتينالك وأنت المستعانُ بدي . أتاك جدة ابن وأُم وكلتا ثا تفهيد^(١)
فلو كنت تأميت لما نازعتني فيه . تزوجت فهاتيه ولا يذهب بك القيه
* ألا أيها القاضي فهذه قصتي فيه *

قالت الأم : —

ألا أيها القاضي قد قالت لك الجدة * قولاً فاسمعه مني ولا تطردني رده
تعزى النفس عن ابني * وكبيدي حملت كبته
فلما صار في حجرى * يتبها مفرداً وخده
تزوجت رجاء الخير * منه يكفيني فقده
ومن يظهر لي الود * ومن يحسن لي رِفده

فقال شريح : —

(١) هذه الايات طبق الاصل ولم نجد لها نظيراً .

قد سمع القاضي ما قلنا ثم قضى * وعلى القاضي جهداً إن غفل
قال للجدّة ربيني بالصبي * وخذي ابنك من ذات الملأ
إنها لو صبرت كان لها * قبل دعوى ما تبغيه للبلاء

فقضى به للجدّة . وقال عبد الرزاق : حدثنا معمر بن عون عن إبراهيم عن شريح أنه قضى على رجل باعتراه فقال : يا أبا أمية قضيت على بغير بينة ، فقال شريح : أخبرني ابن أخت خالتك . وقال علي بن الجعد : أنبأنا المسمودي عن أبي حصين قال : سئل شريح عن شاة تأكل الذباب فقال : علف هجان ولبن طيب . وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن سعيد عن أبي حيان التيمي حدثنا أبي قال : كان شريح إذا مات لأهله سنور أمر بها فألقيت في جوف داره ، ولم يكن له مشعب « شارع » إلا في جوف داره يفعل ذلك اتقاء أن تؤذى المسلمين - يعني أنه يلقى السنور في جوف داره لئلا تؤذى بنتن ويحبها المسلمين - ، وكانت مياذيب أسطحه داره في جوف الدار لئلا يؤذى بها المارة من المسلمين . وقل الرياشي : قال رجل لشريح : إن شأنك لشوين . فقال له شريح : أراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجعلها في نفسك . وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تغلب النحوي حدثنا عبد الله بن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن زياد بن سميان . قال : كتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون ، أما بعد فانك والمكان الذي أنت فيه والمكان الذي خرجت منه بعين من لا يعجزه من طلب ، ولا يفوته من هرب ، والمكان الذي خلفته لم يمسد امرأ لكجاده ومن تظله أيامه . وإنك وإيام لملى بساط واحد ، وإن المنجع من ذى قدرة لقر يب .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا علي بن مسهر عن الشيباني عن الشعبي عن شريح أن عمر كتب إليه : إذا جاءك الشيء من كتاب الله فاقض به ولا يلفتك عنه رجاء ما ليس في كتاب الله ، وانظر في سنة رسول الله - ﷺ - فاقض بها ، فان جاءك ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به ، وفي رواية : فانظر فيما قضى به الصالحون ، فان لم يكن فان شئت فتقدم وإن شئت فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً ، والسلام .

وقال شريح : كنت مع علي في سوق الكوفة فأنتهى إلى قاص يقص فوقف عليه وقال : أيها القاص ! قص ونحن قريبو العهد ، أما إني سألك فان تجب فما سألتك وإلا أدبتك ، فقال القاص سل يا أمير المؤمنين عما شئت ، فقال علي : ما ثبت الايمان وزواله ؟ قال القاص : ثبت الايمان الورع وزواله الطمع . قال علي : فذلك قص . قيل إن هذا القاص هو نوف البكالي . وقال رجل لشريح : إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها في نفسك ، قال : إني والله لأحسدك على ما أرى بك . قال : ما فعلك الله بهذا ولا ضرني .

وروى جرير عن الشيباني عن الشعبي قال : اشترى عمر فرسا من رجل على أن ينظر إليه ، فأخذ الفرس فسار به فمطب ، فقال لصاحب الفرس : خذ فرسك ، فقال : لا ! قال : فاجعل بيني وبينك حكما ، قال الرجل نعم ! شريح ، قال عمر : ومن شريح ؟ قال : شريح العراقي ، قال : فانطلقا إليه فقضا عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين رد كما أخذت أو خذ بما ابتعته ، فقال عمر : وهل القضاء إلا هذا ؟ سر إلى الكوفة فقد وليتك قضاءها ، فانه لأول يوم عرفه يومئذ .

وقال هشام بن محمد السكبي : حدثني رجل من ولد سعد بن وقاص قال : كان لشريح ابن يدعو الكلاب ويهارش بين الكلاب ، فدعا بدواة وقرطاس فكتب إلى مؤدبه فقال : -

ترك الصلاة لأكل يسمي بها طلب الهراش مع الغواة الرجس
فاذا أتاك فعه بلامه وعظه من عظة الأديب الأكيـس
فاذا هممت بضربه فبدرة فاذا ضربت بها ثلاثا فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت نفسه مع ما تجرعي أعز الأنفس

وروى شريح عن عمر عن عائشة أن النبي (ص) قال لها : « يا عائشة ! إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا [] إنهم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة ، إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب الأهواء والبدع ، أنا منهم بريء وهم مني براء » . وهذا حديث ضعيف غريب رواه محمد بن مصفى عن بقية عن شعبة - أو غيره - عن مجاهد عن الشعبي ، وإنما تفرد به بقية بن الوليد من هذا الوجه وفيه علة أيضا . وروى محمد بن كعب القرظي عن الحسن عن شريح عن عمر بن الخطاب . قال قال رسول الله (ص) : « إنكم تستغربون حق تصيروا في حثالة من الناس قدم منحتهم عهدهم ولحرت أمانتهم ، فقال قائل : فكيف بنا يا رسول الله ؟ فقال : تعملون بما تعرفون وتقرعون ما تنكرون ، وتقولون : أحد أحد ، انصرونا على من ظلمنا وأكفنا من بئانا » . وروى الحسن بن سفيان عن يحيى بن أيوب عن عبد الجبار بن وهب عن عبد الله السلمي عن شريح ، قال : حدثني البديريون منهم عمر بن الخطاب أن رسول الله (ص) قال : « ما من شاب يدعو لذة الدنيا ولها ويستقبل بشبابه طاعة الله تعالى إلا أعطاه الله تعالى أجر اثنين وسبعين صديقا ، ثم قال : يقول الله تعالى : أيها الشاب التارك شهوته من أجل ، المبتذل شبيبته لي ، أنت عندى كعص ملائكتي » . وهذا حديث غريب .

وقال أبو داود : حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عمران الجوني عن قيس بن زيد - وقال أبو داود : أو عن زيد بن قيس - عن قاضي المصريين شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أن النبي (ص) قال : « إن الله تعالى يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول : يا ابن آدم فيم أضعت حقوق

الناس ؟ فيم أذهبت أموالهم ؟ فيقول : يارب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقاً وإما حرقة ، فيقول الله سبحانه أنا أحق من قضى عنك اليوم ، فترجع حسناته على سيئاته فيؤمر به إلى الجنة . لفظ أبي داود ورواه يزيد بن هارون عن صدقة به وقال فيه : « فیدع الله بشئ فيضعه في ميزانه فينقل » ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم عن صدقة به ، ورواه الطبراني أيضاً عن حفص بن عمر وأحمد ابن داود المسكي قالوا : حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة به ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

عبدالله بن محمد

الأشعري نزيل فلسطين وقد روى عن جماعة من الصحابة وقيل إن له صحبة وقد بعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليقفه أهلها في الدين وكان من العباد الصالحين .

جنادة بن أمية الأزدي

شهد فتح مصر وكان أميراً على غزو البحر الماوية ، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير ، توفي بالشام وقد قارب الثمانين .

العلاء بن زياد البصري

كان من العباد الصالحين من أهل البصرة ، وكان كثير الخوف والورع ، وكان يعتزل في بيته ولا يخاطب الناس ، وكان كثير البكاء ، لم يزل يبكي حتى عمى ، وله مناقب كثيرة ، توفي بالبصرة في هذه السنة . قلت : إنما كان معظم بكاء العلاء بن زياد بعد تلك الرؤيا التي رآها له رجل من أهل الشام أنه من أهل الجنة ، فقال له العلاء : أما أنت يا أخي فجزاك الله عن رؤياك لي خيراً ، وأما أنا فقد تركتني رؤياك لا أهدأ بليل ولا نهار ، وكان بعدها يطوى الأيام لا يأكل فيها شيئاً وبكى حتى كاد يفارق الدنيا ، ويصلي لا يفتر ، حتى جاء أخوه إلى الحسن البصري فقال : أدرك أخى فإنه قاتل نفسه ، يصوم لا يفطر ، ويقوم لا ينام ، ويبكى الليل والنهار لرؤيا رآها بعض الناس له أنه من أهل الجنة ، فجاء الحسن فطرق عليه بابه فلم يفتح ، فقال له : افتح فاني أنا الحسن ، فلما سمع صوت الحسن فتح له ، فقال له الحسن : يا أخى الجنة وما الجنة للمؤمن ، إن للمؤمن عند الله ما هو أفضل من الجنة ، فقاتل أنت نفسك ؟ فلم يزل به حتى أكل وشرب وقصر عما كان فيه قليلاً . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أتاه آت في مقامه فأخذ بناصيته وقال : يا غلام قم فاذكر الله يذكرك . فما زالت تلك الشعرات التي أخذ بها قائمة حتى مات ، وقد قيل : إنه كان يرفع له إلى الله كل يوم من العمل الصالح بقدر أعمال خلق كثير من الناس كما رأى ذلك بعض أصحابه في المنام . وقال العلاء : نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا . وقال : كان رجل يراني بعمله فجعل يشمر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ ، فجعل لا يأتي على أحد إلا سبه ، ثم رزقه الله الاخلاص واليقين

نفض من صوته وجعل صلاحه بينه وبين الله ، فجعل لا يأتي على أحد بعد ذلك إلا دعاه بخير
 سراقه بن مرداس الازدي كان شاعراً مطبقاً ، هجا الحجاج فنفاه إلى الشام فتوفي بها
 الثابغة الجعدي الشاعر . السائب بن يزيد الكندي ، توفي في هذه السنة . سفيان بن سلمة
 الأسدي . معاوية بن قرة البصري . زر بن حبیش .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ففيها وقع طاعون عظيم بالشام حتى كادوا يفنون من شدته ، ولم يغز فيها أحد من أهل الشام
 لضعفهم وقتلهم ، ووصلت الروم فيها انطاكية فأصابوا خلقاً من أهلها لعلهم بضعف الجنود والمقاتلة .
 وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك حتى أوغل في بلاده ، ثم صالحه على مال يحمله
 إليه في كل سنة ، وفيها قتل عبيد الملك بن مروان الحارث بن سعيد المنفي الكذاب ، ويقال له
 الحارث بن عبد الرحمن بن سعيد الدمشقي ، مولى أبي الجلاس العبدري ، ويقال مولى الحكم بن
 مروان ، كان أصله من الجولة فنزل دمشق وتعبس بها وتسلك ونزهد ثم مكر به ورجع القهقري على
 عقبه ، وانسلخ من آيات الله تعالى ، وفارق حزب الله المفلحين ، واتبع الشيطان فكان من الغاوين
 ولم يزل الشيطان يزج في قفاه حتى أخسر دينه وديناه ، وأخزاه وأشقاه . فإنا لله وحسبنا الله ولا
 حول ولا قوة إلا بالله

قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا عبد الوهاب بن جندب الجولي حدثنا محمد بن مبارك ثنا الوليد بن
 مسلم عن عبد الرحمن بن حسان قال . كان الحارث الكذاب من أهل دمشق ، وكان مولى لأبي
 الجلاس ، وكان له أب بالجولة ، فمرض له إبليس ، وكان رجلاً متعبداً زاهداً لو ليس جبة من ذهب
 لرؤيت عليه الزهادة والعبادة ، وكان إذا أخذ بالتحميد لم يسمع السامعون مثل تحميده ولا أحسن من
 كلامه ، فكتب إلى أبيه وكان بالجولة : يا أبتاه أعجل على فاني قد رأيت أشياء أخوف أن يكون
 الشيطان قد عرض لي ، قال فزاده أبوه غيا على غيه ، فكتب إليه أبوه : يا بني أقبل على ما أمرت
 به فان الله تعالى يقول [هل أنبشكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أنيم] وأست بأفك
 ولا أنيم ، فامض لما أمرت به ، وكان يجيئ إلى أهل المسجد رجلاً رجلاً فيذاكرهم أمره ويأخذ عليهم
 العهد والميثاق إن هو يرى ما يرضى وإلا كتم عليه .

قال : وكان يريهم الأعاجيب . كان يأتي إلى رخامة في المسجد فينقرها بيده فتسبح تسبيحاً بليغاً
 حتى يضح من ذلك الحاضرون . قلت : وقد سمعت شيخنا العلامة أبا العباس بن تيمية رحمه الله يقول
 كان ينقر هذه الرخامة الحمراء التي في المقصورة فتسبح ، وكان زنديقا . قال ابن أبي خيثمة في روايته

وكان الحارث يطعمهم فأكهة الشتاء في الصيف ، وفاكة الصيف في الشتاء ، وكان يقول لهم : اخرجوا حتى أريكم الملائكة ، فيخرج بهم إلى دير المراق فيريهم رجالا على خيل فيتبعه على ذلك بشر كثير ، وفشا أمره في المسجد وكثر أصحابه وأتباعه ، حتى وصل الأمر إلى القاسم بن مخيمرة ، قال فعرض على القاسم أمره وأخذ عليه العهد إن هورضى أمراً قبله ، وإن كرهه كتم عليه ، قال فقال له : إني نبي ، فقال القاسم : كذبت يا عدو الله ، ما أنت نبي ، وفي رواية ولكنتك أحد الكذابين الدجالين الذين أخبر عنهم رسول الله - ﷺ : « إن الساعة لا تقوم حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي » وأنت أحدهم ولا عهد لك . ثم قام فخرج إلى أبي إدريس - وكان على القضاء بدمشق - فأعلمه بما سمع من الحارث فقال أبو إدريس نعرفه ثم أعلم أبو إدريس عبد الملك بذلك ، وفي رواية أخرى أن مكحولاً وعبد الله بن أبي زائدة دخلا على الحارث فدعاهما إلى نيوته فكذباها وردا عليه ما قاله ، ودخلا على عبد الملك فأعلماه بأمره ، فتطلبه عبد الملك طلباً حثيثاً ، واخفى الحارث وصار إلى دار بيت المقدس يدعو إلى نفسه سرّاً واهتم عبد الملك بشأنه حتى ركب إلى النصرية فترها فورد عليه هناك رجل من أهل النصرية ممن كان يدخل على الحارث وهو يبيح المقدس فأعلمه بأمره وأين هو ، وسأل من عبد الملك أن يبعث معه بطائفة من الجند الأتراك ليحيطوا عليه ، فأرسل معه طائفة وكتب إلى نائب القدس ليكون في طاعة هذا الرجل ويفعل ما يأمره به ، فلما وصل الرجل إلى النصرية ببيت المقدس بمن معه انتدب نائب القدس لخدمته ، فأمره أن يجمع ما يقدر عليه من الشموع ويجعل مع كل رجل شمعة فإذا أمرهم بأشغالها في الليل أشعلوها كلهم في سائر الطرق والأزقة حتى لا يخفى أمره ، وذهب الرجل بنفسه فدخل الدار التي فيها الحارث فقال لبوابه استأذن علي نبي الله ، فقال : في هذه الساعة لا يؤذن عليه حتى يصبح ، فصاح النصرى أسرجوا ، فاشعل الناس شموعهم حتى صار الليل كأنه النهار ، وهم النصرى على الحارث فاخفى منه في سرب هناك فقال أصحابه هيهات يريدون أن يصلوا إلى نبي الله ، إنه قد رفع إلى السماء ، قال فأدخل النصرى يده في ذلك السرب فإذا بشوبه فاجتره فأخرجه ، ثم قال للفرعانيين من أترك الخليفة قال فأخسوه فقيدهم ، فيقال إن القيود والجماعة سقطت من عنقه موارراً ويعيدونها ، وجعل يقول : [قل إن ضللت فإني أضل على نفسي ، وإن اهتديت فإني أوحى إلى ربي إنه سميع قريب] وقال لأولئك الأتراك [أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله] ؟ فقالوا له بلسانهم ولغتهم : هذا كرانا فهاك كرانا ، أي هذا قرأنا فهاك قرأنا ، فلما انتهوا به إلى عبد الملك أمر بصلبه على خشبة وأمر رجلاً فطعنه بحربة فانتسب في ضلع من أضلاعه ، فقال له عبد الملك : ويحك أذكرت اسم الله حين طعنته ؟ فقال : نسيت ، فقال : ويحك سم الله ثم طعنته ، قال فذكر اسم الله ثم طعنته فأنفذه ، وقد كان عبد الملك حبسه قبل صلبه وأمر رجلاً

من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويعلموه أن هذا الذي به من الشيطان ، فأبى أن يقبل منهم فصلبه بعد ذلك ، وهذا من تمام العدل والدين .

وقد قال الوليد بن مسلم عن ابن جابر فحدثني من سمع الأعور يقول : سمعت الملاء بن زياد العدوي . يقول : ما غبطت عبد الملك بشئ من ولايته إلا بقتله حارثاً حيث إن رسول الله سر . قال : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي ، فمن قاله فاقتلوه ، ومن قتل منهم أحداً فله الجنة » . وقال الوليد بن مسلم : بلغني أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك لو حضرتك ما أمرتك بقتله ، قال : ولم ؟ قال : إنه إنما كان به المذهب فلوجوعته لذهب ذلك عنه ، وقال الوليد عن المنذر بن نافع سمعت خالد بن الجلاخ يقول لبنيان : ويحك يا غيلان ، ألم تأخذك في شبيبتهك ترا من النساء في شهر رمضان بالتفاح ، ثم صرت حارثياً فحجب امرأته وتزعم أنها أم المؤمنين ثم تحولت فصرت قدرياً زنديقاً .

وفيها غزا عبيد الله بن أبي بكر رتبيل ملك الترك الأعظم فيهم ، وقد كان يصانع المسلمين تارة ويتمرد أخرى ، فكتب الحجاج إلى ابن أبي بكر تأخذه بمن معك من المسلمين حتى تستبيح أرضه وتهدم قلاعهم وتقتل مقاتلتهم ، فخرج في جمع من الجنود من بلاده وخلق من أهل البصرة والكوفة ثم التقى مع رتبيل ملك الترك فكسره وهدم أركانه بسطوة بئارة ، وجاس ابن أبي بكر وجنوده خلال ديارهم ، واستحوذ على كثير من أقاليمه ولغده وأمصاره ، وتبر ما هنالك بتبيرا ، ثم إن رتبيل تقهر منه وما زال يتبعه حتى اقترب من مدينته العظمى ، حتى كانوا أمثا على ثمانية عشر فرسخا ، وخافت الأتراك منهم خوفا شديدا ، ثم إن الترك أخذت عليهم الطرق والشعاب وضيقوا عليهم المسالك حتى ظن كل من المسلمين أنه لا محالة هالك ، فعند ذلك طالب عبيد الله أن يصلح رتبيل على أن يأخذ منه سبعمائة ألف ، ويفتحوا للمسلمين طريقا يخرجون عنه ويرجعون عنهم إلى بلادهم ، فانتدب شريح بن هاني - وكان صحابيا ، وكان من أكبر أصحاب علي وهو المقدم على أهل الكوفة - فندب الناس إلى القتال والمصاهرة والنزال والجلاد بالسيوف والرماح والنبال ، فنهاه عبيد الله بن أبي بكر فلم يلبته ، وأجابه شرذمة من الناس من الشجعان وأهل الحفاظ ، فما زال يقاتل بهم الترك حتى فنى أكثر المسلمين رضى الله عنهم ، قالوا وجعل شريح بن هاني يرتجز ، ويقول :

أصبحت ذابث أقاصي الكبرا * قد عشت بين المشركين أعصرا
ثم أدركت النوى المنذرا * وبعثت صديقه وعمرا
ويوم مهران ويوم تسرا * والجمع في صفينهم والنهرا
هتات ما أطول هذا عمرا

ثم قاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقتل معه خلق من أصحابه ، ثم خرج من خرج من الناس صحبة عبيد الله بن أبى بكره من أرض رتبيل ، وهم قليل ، وبلغ ذلك الحجاج فأخذ ما تقدم وما تأخر ، وكتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك ويستشير به في بعث جيش كثيف إلى بلاد رتبيل لينتقموا منه بسبب ما حل بالمسلمين في بلاده ، فحين وصل البريد إلى عبد الملك كتب إلى الحجاج بالموافقة على ذلك ، وأن يجعل ذلك سرياً ، فحين وصل البريد إلى الحجاج بذلك أخذ في جمع الجيوش فجهز جيشاً كثيفاً لذلك على ماسياتي تفصيله في السنة الآتية بعدها . وقيل إنه قتل من المسلمين مع شريح بن هانئ ثلاثون ألفاً وابتاع الرغيف مع المسلمين بدينار وقاسوا شدائد ، ومات بسبب الجوع منهم خلق كثير أيضاً ، فثأله وإنا إليه راجعون . وقد قتل المسلمون من الترك خلقاً كثيراً أيضاً قتلوا أضعافهم ويقال إنه في هذه السنة استعفى شريح من القضاء فأعفاه الحجاج من ذلك وولى مكانه أبا بردة ابن أبى موسى الأشعري ، وقد تقدمت ترجمة شريح عند وفاته في السنة الماضية والله أعلم .

قال الواقدي وأبو معشر وغير واحد من أهل السير : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان أمير المدينة النبوية ، وفيها قتل قطري بن الفجاءة التميمي أبو نعامه الخارجي ، وكان من الشجعان المشاهير ، ويقال إنه مكث عشرين سنة يسلم عليه أصحابه بالخلافة ، وقد جرت له خطوب وحروب مع جيش المهلب بن أبى صفرة من جهة الحجاج وغيره ، وقد قدمنا منها طرفاً صالحاً في أما كنه ، وتأن خروجه في زمن مصعب بن الزبير ، وتغلب على قلاع كثيرة وأقاليم وغيرها ، ووقائع مشهورة وقد أرسل إليه الحجاج جيوشاً كبيرة فهزمها ، وقيل إنه برز إليه رجل من بعض الحواريه وهو على فرس أعجف ويده عمود حديد ، فلما قرب منه كشف قطري عن وجهه فملى الرجل هارباً فقال له قطري إلى أين ؟ أما تستحي أن تفر ولم تطلعنأ ولا ضرباً ؟ فقال إن الإنسان لا يستحي أن يفر من مثلك ، ثم إنه في آخر أمره توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي في جيش فاقتنلوا بطبرستان ، فمثر بقطري فرسه فوق إلى الأرض فسكثروا عليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الحجاج ، وقيل إن الذي قتله سودة بن الحارث الدارمي ، وكان قطري بن الفجاءة مع شجاعته المفرطة وإقدامه من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة وجودة الكلام والشعر الحسن ، فن مستجاد شعره قوله يشجع نفسه وغيره ومن سمعها انتفع بها :

أقولُ لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو طلبت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لم تطاعى
فصبراً في مجال الموت صبراً * فسا كئيلُ الخلود بمستطاعى
ولا ثوبُ الحياق بثوب عزيز * فيطوى عن أخي الخلق البراعى

سبيل الموت غايه كل حي * وداعيه لأهل الأرض داع
فن لا ينبت يسأم وبرم * وتسله النون إلى انقطاعي
وما للمرء خير في حياة * إذا ما عدت من سقر المتاعى

ذكرها صاحب الحماة واستحسنها ابن خلكان كثيراً

وفيهما توفى عبيد الله بن أبي بكره رحمه الله وهو أمير الجيش الذي دخل بلاد الترك وقاتلوا
رتبيل ملك الترك ، وقد قتل من جيشه خلق كثير مع شريح بن هاني كما تقدم ذلك ، وقد دخل
عبيد الله بن أبي بكره على الحجاج مرة وفي يده خاتم فقال له الحجاج : وم خمنت بخاتمك هذا ؟
قال على أربعين ألف دينار ، قال ففيم أنفقتما ؟ قال في اصطناع المعروف ، ورد الملهوف
والمكافأة بالصناع وتزويج العقائل . وقيل إن عبيد الله عطش يوماً فأخرجت له امرأة كوز ماء بارد
فأعطاه ثلاثين ألفاً ، وقيل إنه أهدى إليه وصيف ووصيفة وهو جالس بين أصحابه فقال لبعض أصحابه
خذهما لك ، ثم فكر وقال : والله إن إشارت بعض الجلوساء على بعض لشح قبيح ودناءة رديئة ، ثم قال
يا غلام ادفع إلى كل واحد من جلسائي وصيفاً ووصيفة ، فأحصى ذلك فكانوا ثمانين وصيفاً ووصيفة .
توفى عبيد الله بن أبي بكره ببست وقيل بديره والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم ، والحمد لله رب العالمين
ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة النبوية

ففيها كان السيل الحجاج بمكة لأنه حجف على كل شيء فذهب به ، وحمل الحجاج من بطن مكة
الجمال بما عليها ، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن يتقدم منه ، وبلغ الماء إلى الحجون ، وغرق
خلق كثير ، وقيل إنه ارتفع حتى كاد أن ينطى البيت والله أعلم .

وحكى ابن جرير عن الواقدي أنه قال : كان بالبصرة في هذه السنة الطاعون ، والمشهور أنه كان
في سنة تسع وستين كما تقدم . وفيها قطع المهلب بن أبي صفرة نهر ، وأقام بكش سنتين صابراً مصابراً
للاعداء من الأتراك ، وجرت له معهم هناك فصول يطول ذكرها ، وفد عليه في غضون هذه المدة
كتاب ابن الأشعث بمخلعه الحجاج ، فبعثه المهلب برمته إلى الحجاج حتى قرأه ثم كان ماسياً بيبانه
وتفصيله فيما بعد من حروب ابن الأشعث ، وفي هذه السنة جهز الحجاج الجيوش من البصرة والكوفة
وغيرهما لقتال رتبيل ملك الترك ليقضوا منه ما كان من قتل جيش عبيد الله بن أبي بكره في السنة
الماضية ، فجهز أربعين ألفاً من كل من المصريين عشرين ألفاً ، وأمر على الجميع عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث مع أنه كان الحجاج يفضضه جداً ، حتى قال مارأيت قط إلا هممت بقتله ، ودخل ابن
الأشعث يوماً على الحجاج وعنده عمار الشعبي فقال انظر إلى مشيته والله لقد هممت أن أضرب
عنقه ، فأسرهما الشعبي إلى ابن الأشعث فقال ابن الأشعث : وأنا والله لأجهدت أن أزيله عن

سلطانه إن طال بي وبه البقاء . والمقصود أن الحجاج أخذ في استعراض هذه الجنود وبذل فيهم العطاء ثم اختلف رأيهم فيمن يؤمر عليهم ، ثم وقع اختياره على عبيد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقدمه عليهم ، فأتى عمه إسماعيل بن الأشعث فقال للحجاج : إني أخاف أن تؤمره فلا ترى لك طاعة إذا جاوز جسر الصراء ، فقال : ليس هو هنالك هولى حبيب ، ومتى أذهب أن يخالف أمرى أو يخرج عن طاعتي ، فأضاء عليهم ، فسار ابن الأشعث بالجيش نحو أرض رتبيل ، فلما بلغ رتبيل مجىء ابن الأشعث بالجنود إليه كذب إليه رتبيل يعتذر مما أصاب المسلمين في بلاده في السنة الماضية ، وأنه كان لذلك كارها ، وأن المسلمين هم الذين أُلجئوا إلى قتالهم ، وسأل من ابن الأشعث أن يصلح له وأن ييذل المسلمين الخراج ، فلم يجبه ابن الأشعث إلى ذلك ، وصمم على دخول بلاده ، وجمع رتبيل جنوده وتبأله ولحقه ، وجعل ابن الأشعث كلما دخل بلداً أو مدينة أو أخذ قلعة من بلاد رتبيل استعمل عليها نائباً من جهته يحفظها له ، وجعل المشايخ على كل أرض ومكان مخوف ، فاستحوذ على بلاد ومدن كثيرة من بلاد رتبيل ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، وسبى خلقاً كثيرة ، ثم حبس الناس عن التوغل في بلاد رتبيل حتى يصلحوا ما بأيديهم من البلاد ، ويتقوا بما فيها من المفلات والحواصل ، ثم يتقدمون في العام المقبل إلى أعدائهم فلا يزالون يهزؤون الأراضى والأقاليم حتى يحاصروا رتبيل وجنوده في مدينتهم مدينة العطاء على الكنوز والأموال والذرائع حتى ينضموها ثم يقتلون مقاتلتهم ، وعزموا على ذلك ، وكان هذا هو الراى ، وكتب ابن الأشعث إلى الحجاج يخبره بما وقع من الفتح وما صنع الله لهم ، وبهذا الراى الذى رآه لهم ، وقال بعضهم كان الحجاج قد وجه هيمان بن عدى السدوسى إلى كرما مساحاً لأهلها ليجد عامل سجستان والسند إن احتاجا إلى ذلك ، فمضى هيمان ومن معه على الحجاج ، فوجه الحجاج إليه ابن الأشعث فهزمه وأقام ابن الأشعث بمن معه ، ومات عبيد الله بن أبى بكرة فكتب الحجاج إلى ابن الأشعث بأمره سجستان مكان ابن أبى بكرة وجهز إلى ابن الأشعث جيشاً أنفق عليه ألفى ألف سوى أعطياتهم ، وكان يدعى هذا الجيش جيش الطواويس ، وأمره بالاقدام على رتبيل فكان من أمره معه ماتقدم .

قال الواقدى وأبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وقال غيرهما : بل حج بهم سليمان بن عبد الملك ، وكان على الصائفة في هذه السنة الوليد بن عبد الملك ، وعلى المدينة أبان بن عثمان ، وعلى المشرق بكاله الحجاج ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبى موسى ، وعلى قضاء مصر موسى بن أنس بن مالك

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

اسلم مولى عمر بن الخطاب

وهو أبى زيد بن أسلم أصله من سبى عين النمر اشتراه عمر بمكة لما حج سنة إحدى عشرة ،

وتوفى وعمره مائة وأربع عشرة سنة، وروى عن عمر عدة أحاديث، وروى عن غيره من أصحابه أيضاً وله مناقب كثيرة رحمه الله .

جبير بن نغير

ابن مالك الحضرمي له صحبة ورواية، وكان من علماء أهل الشام وكان مشهوراً بالعبادة والعلم توفى بالشام وعمره مائة وعشرون سنة، وقيل أكثر وقيل أقل .

عبدالله بن جعفر بن أبي طالب

ولد بأرض الحبشة وأمه أسماء بنت عيسى، وهو آخر من رأى النبي (ص) من بني هاشم وفاة، سكن المدينة، ولما استشهد أبوه جعفر بمؤتة « أتى النبي (ص) إلى أمهم فقال: اثبتوني ببني أخي، فأني بهم كأنهم أفرخ، فدعا بالخلق لخلق رؤسهم ثم قال: اللهم اخلف جعفرآ في أهله وبارك لعبد الله في صفقته، فجاءت أمهم فذكرت للنبي (ص) أنه ليس لهم شيء، فقال أنا لهم عوضاً من أبيهم » وقد بايع النبي (ص) عبد الله بن جعفر وعبد الله بن الزبير وعمرهما سبع سنين، وهذا لم يتفق لغيرهما، وكان عبد الله بن جعفر من أسخى الناس، يعطى الجزيل الكثير ويستقله، وقد تصدق مرة بألف ألف، وأعطى مرة رجلاً ستين ألفاً، ومرة أعطى رجلاً أربعة آلاف دينار، وقيل إن رجلاً جلب مرة سكرًا إلى المدينة فكسده عليه فلم يشتره أحد فأمر ابن جعفر قيمه أن يشتريه وأن يهديه للناس . وقيل: إن معاوية لما حج ونزل في دار مروان قال يوماً لحاجبه: انظر هل ترى بالباب الحسن أو الحسين أو ابن جعفر أو فلانا - وعد جماعة - فخرج فلم ير أحداً، فقيل له: هم مجتمعون عند عبد الله بن جعفر يتغدون، فأتى معاوية فأخبره فقال: ما أنا إلا كأحدكم، ثم أخذ عصا فتوكأ عليها ثم أتى باب ابن جعفر فاستأذن عليه ودخل فأجلسه في صدر فراشه، فقال له معاوية: ابن غداؤك يا ابن جعفر؟ فقال: وما تشتهي من شيء فأدعوه؟ فقال معاوية: أطمئنا محناً، فقال يا غلام هات محناً، فأتى بصحيفة فأكل معاوية، ثم قال ابن جعفر لغلامه: هات محناً، فجاء بصحيفة أخرى ملأته محناً إلى أن فعل ذلك ثلاث مرات، فتمعجب معاوية وقال: يا ابن جعفر ما يشبعك إلا الكثير من العطاء، فلما خرج معاوية أمر له بخمسين ألف دينار، وكان ابن جعفر صديقاً لمعاوية وكان يفد عليه كل سنة فيعطيه ألف ألف درهم، ويقضى له مائة حاجة . ولما حضرت معاوية الوفاة أوصى ابنه يزيد، فلما قدم ابن جعفر على يزيد قال له: كم كان أمير المؤمنين يعطيك كل سنة؟ قال ألف ألف . فقال له: قد أضعفتها لك، وكان يعطيه ألفي ألف كل سنة، فقال له عبد الملك بن جعفر: بأبي أنت وأمي ما قلتها لأحد قبلك، ولا أقولها لأحد بعدك، فقال يزيد: ولا أعطاكها أحد قبلي ولا يعطيكها أحد بعدى، وقيل إنه كان عند ابن جعفر جارية تغنيه تسمى عمارة، وكان يحبها محبة عظيمة، فحضر عنده يزيد

ابن معاوية يوماً ففنت الجارية ، فلما سمعها يزيد افنتن بها ولم يجسر على ابن جعفر أن يطلبها منه ، فلم يزل في نفس يزيد منها حتى مات أبوه معاوية ، فبعث يزيد رجلاً من أهل العراق وأمره أن يتطلع في أمر هذه الجارية ، فقدم الرجل المدينة ونزل جوار ابن جعفر وأهدى إليه هدايا وتحفا كثيرة ، وأنس به ، ولا زال حتى أخذ الجارية وأتى يزيد . وكان الحسن البصري يذم ابن جعفر على سماعه الغنى والاهو وشرائه المولدات ، ويقول : أما يكفيه هذا الأمر القبيح المتلبس به من هذه الأشياء وغيرها ؟ حتى زوج الحجاج بنت رسول الله (ص) ، وكان الحجاج يقول : إنما تزوجتها لأذل بها آل أبي طالب ، وقيل إنه لم يصل إليها ، وقد كتب عبد الملك إليه أن يطلقها فطلقها . أسند عبد الله ابن جعفر ثلاثة عشر حديثاً .

ابو ادريس الخولاني

اسمه عائذ الله بن عبد الله ، له أحوال ومناقب ، كان يقول : قلب نقي في ثياب دنسة خير من قلب دلس في ثياب نقية ، وقد تولى القضاء بدمشق ، وقد ذكرنا ترجمته في كتابنا التكميل .

معيد الجهني القدري

يقال إنه معبد بن عبد الله بن عليم ، راوى حديث : « لا تلتفتوا من الميتة بأهاب ولا عصب » . وقيل غير ذلك في نسبه ، سمع الحديث من ابن عباس وابن عمر ومعاوية وعمران بن حصين وغيرهم . وشهد يوم التحكيم ، وسأل أبا موسى في ذلك وصاه ثم اجتمع بعمر و بن العاص فوصاه في ذلك فقال له : أيها يا تيس جهنة ما أنت من أهل السر والعلانية ، وإنه لا ينفك الحق ولا يضرك الباطل . وهذا توسم فيه من عمرو و بن العاص ، ولهذا كان هو أول من تكلم في القدر ، ويقال إنه أخذ ذلك عن رجل من النصارى من أهل العراق يقال له سوس ، وأخذ غيلان القدر من معبد ، وقد كانت لمعبد عبادة وفيه زهادة ، ووثقه ابن معين وغيره في حديثه ، وقال الحسن البصري : إياكم ومعبداً فار ضال مضل ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله . وقال سعيد بن عفير : بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله ، وقال خليفة بن خياط : مات قبل التسعين فآله أعلم ، وقيل إن الأقرب قتل عبد الملك له والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة احدى وثمانين

ففيها فتح عبيد الله بن عبد الملك بن مروان مدينة قاليقلا وغنم المسلمون منها غنائم كثيرة ، وفيها قتل بكير بن وشاح ، قتله بجير بن ورقاء الصريمي ، وكان بكير من الأمراء الشجعان ، ثم ناز بكير ابن وشاح رجل من قومه يقال له صعصعة بن حرب العوفي الصريمي ، فقتل بجير بن ورقاء الذي قتل بكيرا ، طعمه بخنجر وهو جالس عند المهابل بن أبي صفرة فحمل إلى منزله وهو بأخر رمق ، فبعث

المهلب بصمصعة إليه ، فلما تمكن منه بجير بن ورقاء قال ضعوا رأسه عند رجلي ، فوضوه فطعن به بجير بجرته حتى قتله ومات على إثره . وقد قال له أنس بن طارق : اعف عنه فقد قتلت بكبير بن وشاح ، فقال : لا والله لا أموت وهذا حتى ثم قتله . وقد قيل إنه إنما قتل بعد موته فالله أعلم .

فتنة بن الأشعث

قال أبو مخنف : كان ابتداءؤها في هذه السنة ، وقال الواقدي : في سنة ثنتين وثمانين ، وقد ساقها ابن جرير في هذه السنة فوافقناه في ذلك ، وكان سبب هذه الفتنة أن ابن الأشعث كان الحجاج ينفذه وكان هو يفهم ذلك ويضمر له سوء وزوال الملك عنه ، فلما أمره الحجاج على ذلك الجيش المتقدم ذكره ، وأمره بدخول بلاد رتبيل ملك الترك ، ففضى وصنع ما قدمناه من أخذه بعض بلاد الترك ، ثم رأى لأصحابه أن يقيموا حتى يتقوا إلى العام المقبل ، فكتب إلى الحجاج بذلك فكتب إليه الحجاج يستحسن رأيه في ذلك ويستضعف عقله ويقرعه بالجبن والنكول عن الحرب ، ويأمره حتما بدخول بلاد رتبيل ، ثم أورد ذلك بكتاب ثان ثم ثالث مع البريد ، وكتب في جملة ذلك يا ابن الخائنك الفادر المرتد ، امض إلى ما أمرتك به من الايفال في أرض العدو ، وإلا حل بك مالا يطاق . وكان الحجاج ينفذ ابن الأشعث : ويقول هو أهوج أحق حسود ، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقتله ، ودل عبيد الله بن زياد على مسلم بن عقيل حتى قتله ، وجده الأشعث ارتد عن الاسلام وما رأيته قط إلا هممت بقتله ، ولما كتب الحجاج إلى ابن الأشعث بذلك وترادفت إليه البرد بذلك ، غضب ابن الأشعث وقال : يكتب إلى يمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمني لحوره وضعف قوته ؟ أما يذكر أباه من تقيف هذا الجبان صاحب غزاة - يعني أن غزاة زوجة شبيب حملت على الحجاج وجيشه فانهزموا منها وهي امرأة لما دخلت الكوفة - ثم إن ابن الأشعث جمع رؤس أهل العراق وقال لهم : إن الحجاج قد ألح عليكم في الايفال في بلاد العدو ، وهي البلاد التي قد هلك فيها إخوانكم بالأمس ، وقد أقبل عليكم فصل الشتاء والبرد ، فانظروا في أمركم أما أنا فلست بخلية ولا أنقض رأيا رأيته بالأمس ، ثم قام فيهم خطيباً فاعلمهم بما كان رأى من الزأى له ولهم ، وطلب في ذلك من إصلاح البلاد التي فتحوها ، وأن يقيموا بها حتى ينقروا بناتها وأموالها ويخرج عنهم فصل البرد ثم يسرون في بلاد العدو فيفتحونها بلداً بلداً إلى أن يحسروا رتبيل ملك الترك في مدينة الظلاء ، ثم أعلمهم بما كتب إليه الحجاج من الأمر بمجاعة رتبيل . فنار إليه الناس وقالوا : لا بل نأبى على عدو الله الحجاج ولا نسمع له ولا نطيع . قال أبو مخنف : فحدثني بطرف بن عامر بن وائلة الكندي أن أباه كان أول من تكلم في ذلك ، وكان شاعراً خطيباً ، وكان مما قال : إن مثل الحجاج في هذا الرأي ومثلنا كما قال الأول لأخيه اعمل عبدك على الفرس فان

هلك هلك ، وإن نجبا فلك ، أنتم إذا ظفرتكم كان ذلك زيادة في سلطانه ، وإن هلكتم كنتم الأعداء
 البغضاء ، ثم قال : اخلعوا عدو الله الحجاج - ولم يذكر خلع عبد الملك - ويايعوا لأمرهم عبد الرحمن
 ابن الأشعث فاني أشهدكم أني أول خالع للحجاج . فقال الناس من كل جانب : خلعنا عدو الله ،
 ووثبوا إلى عبد الرحمن بن الأشعث فبايعوه عوضاً عن الحجاج ، ولم يذكروا خلع عبد الملك بن
 مروان ، وبعث ابن الأشعث إلى رتبيل فصالحه على أنه إن ظفروا بالحجاج فلا خراج على رتبيل
 أبداً . ثم سار ابن الأشعث بالجنود الذين معه مقبلاً من سمجستان إلى الحجاج ليقاتله . يأخذ منه
 العراق ، فلما توسطوا الطريق قالوا : إن خلعنا للحجاج خلع لابن مروان فخلعوهما وجددوا البيعة
 لابن الأشعث فبايعهم على كتاب الله وسنة رسوله وخلق أمة الضلالة وجهاد الملاحدين ، فإذا قالوا نعم
 بايعهم . فلما بلغ الحجاج ما صنعوا من خلعه وخلع ابن مروان ، كتب إلى عبد الملك يعلمه بذلك
 ويستعجله في بعثه الجنود إليه ، وجاء الحجاج حتى نزل البصرة ، وبلغ المهلب خبر ابن الأشعث ،
 وكتب إليه يدعو إلى ذلك فأبى عليه ، وبعث بكتابه إلى الحجاج ، وكتب المهلب إلى ابن
 الأشعث يقول له : إنك يا ابن الأشعث قد وضعت رجلك في ركاب طويل ، أبق على أمة محمد ،
 انظر إلى نفسك فلا تهلكها ، ودماء المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنسكها ،
 فإن قلت أخاف الناس على نفسي فאלله أحق أن تخافه من الناس ، فلا تعرضها لله في سفك الدماء ،
 أو استغلال محرم والسلام عليك . وكتب المهلب إلى الحجاج : أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا
 إليك مثل السيل المنحدر من علو ليس شيء يردده حتى يذهب إلى قراره ، وإن لأهل العراق شدة
 في أول مخرجهم ، ومباينة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردم حتى يصلوا إلى أهلهم وينبسطوا
 إلى قصائهم ويشموا أولادهم . ثم واقعهم عندها فإن الله ناصرهم عليهم إن شاء الله . فلما قرأ الحجاج
 كتابه قال : فعل الله به وفعل ، لا والله مالى نظر ولكن لابن عمه نصيح . ولما وصل البريد بكتاب
 الحجاج إلى عبد الملك هاله ذلك ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فأقرأه
 كتاب الحجاج فقال : يا أمير المؤمنين إن كان هذا الحدث من قبل خراسان نخفه ، وإن كان من
 قبل سمجستان فلا نخفه ، ثم أخذ عبد الملك في تجهيز الجنود من الشام إلى العراق في نصرة الحجاج
 وتجهيزه في الخروج إلى ابن الأشعث ، وعصى رأى المهلب فيما أشار به عليه ، وكان في شوره النصيح
 والصدق ، وجمعت كتب الحجاج لا تنقطع عن عبد الملك بخبر ابن الأشعث صباحاً ومساءً ، أين
 نزل ومن أين ارتحل ، وأى الناس إليه أسرع . وجعل الناس يلتفون على ابن الأشعث من كل
 جانب ، حتى قيل إنه سار معه ثلاثة وثلاثون ألف فارس ومائة وعشرون ألف راجل ، وخرج الحجاج
 في جنود الشام من البصرة نحو ابن الأشعث ، فنزل تسروا وقدم بين يديه مطهر بن حبي الكمي

أميراً على المقدمة ، ومعه عبد الله بن زميت أميراً آخر ، فأنهبوا إلى دجيل فاذا مقدمة ابن الأشعث في ثلاثمائة فارس عليها عبد الله بن أبيان الحارثي ، فالتقوا في يوم الأضحي عند نهر دجيل ، فهزمت مقدمة الحجاج وقتل أصحاب ابن الأشعث منهم خلقاً كثيراً نحو ألف وخمسمائة ، واحتازوا مائتين من أسلحتهم من خيول وقناش وأموال . وجاء الخبر إلى الحجاج بهزيمة أصحابه وأخذته مآذب ودرج . وقد كان قائماً يخطب فقال : أيها الناس ارجعوا إلى البصرة فإنه أرفق بالجند ، فرجع بالناس وتبعهم خيول ابن الأشعث لا يدركون منهم شاذاً إلا قتلوه ، ولا فاذا إلا أهلكوه ، ومضى الحجاج هارباً لا يلوي على شيء حتى أتى الزاوية فمسكر عندها وجعل يقول : لله در المهلب أي صاحب حرب هذا ، قد أشار علينا بالرأي ولكننا لم نقبل ، وأنفق الحجاج على جيشه وهو بهذا المكان مائة وخمسين ألف ألف درهم ، وخندق حول جيشه خندقاً ، وجاء أهل العراق فدخلوا البصرة واجتمعوا بأهلهم وشتموا أولادهم ، ودخل ابن الأشعث البصرة فخطب الناس بهم وبإيعامهم وبإيعامه على خلع عبد الملك ونائبه الحجاج بن يوسف ، وقال لهم ابن الأشعث : ليس الحجاج بشيء ، ولكن اذهبوا بنا إلى عبد الملك لنقاتله ، ووافق على خلعهما جميع من في البصرة من الفقهاء والقراء والشيوخ والشباب ، ثم أمر ابن الأشعث بخندق حول البصرة فعمل ذلك ، وكان ذلك في أواخر ذي الحجة من هذه السنة . وحج بالناس فيها إسحاق بن عيسى فيما ذكره الواقدي وأبو معشر والله سبحانه وتعالى أعلم . وفيها غزا موسى بن نصير أمير بلاد المغرب من جهة عبد الملك بلاد الاندلس فافتتح مدناً كثيرة ، وأراضى عامرة ، وأوغل في بلاد المغرب إلى أن وصل إلى الرقاق المنبثق من البحر الأخضر المحيط بالله أعلم . ومن توفي فيها من الأعيان بجير بن ورقاء الصرمي أحد الأشراف بخراسان ، والقواد والأمراء الذي حارب ابن خازم وقتله ، وقتل بكير بن وشاح ثم قتل في هذه السنة .

سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر

أبو أمية الجعفي الكوفي ، شهد اليرموك وحدث عن جماعة من الصحابة ، وكان من كبار المخضرمين ويقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مولده عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم وصلى معه ، والصحيح أنه لم يره ، وقيل إنه ولد بعده بستين ، وعاش مائة وعشرين سنة لم يربو يوماً محتلياً ولا متسانداً ، وافتنى بكراً عام وفاته في سنة إحدى وثلاثين ، قاله أبو عبيد وغير واحد ، وقيل إنه توفي في سنة ثلاثين وثلاثين والله أعلم .

عبد الله بن شداد ابن الهاد

كان من العباد الزهاد ، والعلماء ، وله وصايا وكلمات حسنة ، وقد روى عدة أحاديث عن الصحابة وعن خلق من التابعين ،

محمد بن علي بن أبي طالب

أبو القاسم وأبو عبد الله أيضاً ، وهو المعروف بابن الحنفية ، وكانت سوداء سندية من بني حنيفة اسمها خولة . ولد محمد في خلافة عمر بن الخطاب ، ووفد على معاوية وعلى عبد الملك بن مروان وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فنأشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه ، فلما وفد على عبد الملك ذكره بذلك فقال عفواً يا أمير المؤمنين فمعا غنه وأجرل له الجائزة ، وكان محمد ابن علي من سادات قريش ، ومن الشجعان المشهورين ، ومن الاقوياء المذكورين ، ولما بويح لابن الزبير لم يبايعه ، فخرى بينهما شر عظيم حتى هم ابن الزبير به وبأهله كما تقدم ذلك ، فلما قتل ابن الزبير واستقر أمر عبد الملك وبايعه ابن عمر تابعه ابن الحنفية ، وقدم المدينة فأت بها في هذه السنة وقيل في التي قبلها أو في التي بعدها ، ودفن بالقيع . والرافضة يزعمون أنه يجبل رضى ، وأنه حي برزق ، وهم ينتظرونه ، وقد قال كثير عزة في ذلك

ألا إن الأئمة من قريش * ولادة الحق أربعة سواء
علي والثلثة من بليد * هم الأسباط ليس بهم كفاء
فسبط سبط إيمان وبر * وسبط غيبتة كربلاء
وسبط لا تراه العين حتى * تعود الخيل يقدمها لواء

ولما هم ابن الزبير بابن الحنفية كتب ابن الحنفية إلى شيعتهم بالكوفة مع أبي الطفيل واثلة بن الأسقع وعلى الكوفة المختار بن عبيد الله ، وقد كان ابن الزبير جمع لهم خطباء كثيراً على أبوابهم ليحرقهم بالنار ، فلما وصل كتاب ابن الحنفية إلى المختار ، وقد كان المختار يدعو إليه ويسميه المهدي ، فبعث المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف فاستنفذوا بني هاشم من يدى ابن الزبير . وخرج معهم ابن عباس فات بالطائف وبقى ابن الحنفية في شيعته ، فأمره ابن الزبير أن يخرج عنه فخرج إلى أرض الشام بأصحابه وكانوا نحو سبعة آلاف ، فلما وصل إلى أيلة كتب إليه عبد الملك : إما أن تبأىنى وإما أن تخرج من أرضي ، فكتب إليه ابن الحنفية : بأياك على أن تؤمن أصحابي ، قال نعم فقام ابن الحنفية في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه فقال : الحمد لله الذي حقن دماءكم وأحرز دينكم فمن أحب منكم أن يأتي مأمته إلى بلده محفوظاً فليفعل ، فرحل عنه الناس إلى بلادهم حتى بقي في سبعمائة رجل ، فأحرم بصرة وقلد هدياً وسار نحو مكة ، فلما أراد دخول الحرم بعث إليه ابن الزبير خيلاً فمنعه أن يدخل ، فأرسل إليه : إنا لم نأت الحرب ولا قتال ، دعنا ندخل حتى نقضى نسكتانم فخرج عنك ، فأبى عليه وكان معه بدن قد قلدها فرجع إلى المدينة فأقام بها محرماً حتى قدم الحجاج وقتل ابن الزبير ، فكان ابن الحنفية في تلك المدة محرماً ، فلما سار الحجاج إلى العراق مضى ابن الحنفية إلى مكة وقضى نسكه

وذلك بعد عدة سنين ، وكان القمل يقتات منه في تلك المدة كلها ، فلما قضى سكه رجع إلى المدينة أقام بها حتى مات ، وقيل إن الحجاج لما قتل ابن الزبير بعث إلى ابن الحنفية : قد قتل عدو الله فبايع ، فكتب إليه إذا بايع الناس كلهم بايعت ، فقال الحجاج : والله لا قتلناك ، فقال ابن الحنفية : إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ ، في كل نظرة ثلاثمائة وستون قضية ، فلعل الله تعالى أن يجعلني في قضية منها فيكفينيك . فكتب الحجاج إلى عبد الملك بذلك فأعجبه قوله وكتب إليه قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف فارق به فهو يأتيك ويبايعك ، وكتب عبد الملك بكلامه ذلك - إن لله ثلاثمائة وستين نظرة - إلى ملك الروم ، وذلك أن ملك الروم كتب إلى عبد الملك يتهدهه بمجموع من الجنود لا يطيقها أحد ، فكتب بكلام ابن الحنفية فقال ملك الروم : إن هذا الكلام ليس من كلام عبد الملك ، وإنما خرج من بيت نبوة ، ولما اجتمع الناس على بيعة عبد الملك قال ابن عمر لابن الحنفية : ما بقي شيء فبايع ، فكتب يبعثه إلى عبد الملك ووفد عليه بعد ذلك . توفي ابن الحنفية في الحرم بالمدينة وعمره خمس وستين سنة ، وكان له من الولد عبد الله وحزرة وعلى وجعفر الأكبر والحسن وإبراهيم والقاسم وعبد الرحمن وجعفر الأصغر وعون ورقية ، وكلهم لأمهات شتى . وقال الزبير بن سكار : كانت شيعته تزعم أنه لم يميت وفيه يقول السيد :

الأقل للوصي فدتك نفسي * أطلت بذلك الجليل المقام
أضرب بعشر والوك منا * ومحوك الخليفة والامام
وعادوا فيك أهل الأرض طراً * مقامك فيهم ستين عاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارث له أرض عظاما
لقد أمسى بمورق شعب رضوى * تراجع الملائكة الكلاما
وإن له بهر لمقيل صدق * وأندية تحبته كراما
هدانا الله ادخرتم لاصبر * بهر عليه يلتبس النماما
تمام نوره المهدي حتى * تروا راياته تترى نظاما

وقد ذهب طائفة من الرافضة إلى إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان ، كما ينتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري ، الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامرا ، وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وتوهماتهم ، وسنزيد ذلك وضوحا في موضعه وإن شاء الله .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين

في الحرم منها كانت وقعة الزاوية بين ابن الأشعث والحجاج في آخره ، وكان أول يوم لأهل العراق على أهل الشام ، ثم توافوا يوما آخر لحمل سفيان بن الأبرد أحد أمراء أهل الشام على

ميمنة ابن الأشعث فهزمها وقتل خلقا كثيرا من القراء من أصحاب ابن الأشعث في هذا اليوم ، وخر الحجاج لله ساجداً بعد ما كان جثى على ركبتيه وسل شيئاً من سيفه وجعل يترحم على مصعب بن الزبير ويقول : ما كان أكرم حتى صبر نفسه للقتل ، وكان من جملة من قتل من أصحاب ابن الأشعث أبو الطفيل بن عامر بن وائلة اللثي ، ولما فر أصحاب ابن الأشعث رجوع ابن الأشعث بمن بقي معه ومن تبعه من أهل البصرة ، فسار حتى دخل الكوفة فعمد أهل البصرة إلى عبيد الرحمن بن عياش بن ربيعة بن الحارث بن عبيد المطلب فبايعوه ، فقاتل الحجاج خمس ليال أشد القتال ، ثم انصرف فلحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة ، فاستناب الحجاج على البصرة أيوب بن الحكم ابن أبي عقيل ، ودخل ابن الأشعث الكوفة فبايعه أهلها على خلع الحجاج وعبد الملك بن مروان . وتفاقم الأمر وكثر متابعو ابن الأشعث على ذلك ، واشتد الحال ، وتفرقت الكلمة جداً وعظم الخطب ، واتسع الخرق على الراقع .

قال الواقدي : ولما التقى جيش الحجاج وجيش ابن الأشعث بالزاوية جعل جيش الحجاج يحمل عليهم مرة بعد مرة ، فقال القراء - وكان عليهم جبلة بن زحر - : أيها الناس ليس الفرار من أحد بأقبح منكم فقاتلوا عن دينكم ودنياكم . وقال سعيد بن جبير نحو ذلك ، وقال الشعبي : قاتلهم على جورهم واستذلهم الضملاء وإماتهم الصلاة ، ثم حملت القراء - وهم العلماء - على جيش الحجاج حملة صادقة فبرعوا فيهم ثم رجموا فاذا هم بمقدمهم جبلة بن زحر صريعا ، فهدم ذلك فناداهم جيش الحجاج يا أعداء الله قد قتلنا طاغيتكم ، ثم حمل سفيان بن الأبرد وهو على خيل الحجاج على ميسرة ابن الأشعث وعليها الأبرد بن مرة التميمي ، فانهزموا ولم يقاتلوا . كثير قتال ، فأنكر الناس منهم ذلك : وكان أمير ميسرة ابن الأشعث الأبرد شجاعاً لا يفر ، وظنوا أنه قد خامر ، فنقضت الصفوف وركب الناس بعضهم بعضاً ، وكان ابن الأشعث يحرض الناس على القتال ، فلما رأى ما الناس فيه أخذ من أتبعه وذهب إلى الكوفة فبايعه أهلها ، ثم كانت وقعة دير الحجاج في شعبان من هذه السنة .

وقعة دير الحجاج

قال الواقدي : وذلك أن ابن الأشعث لما قصد الكوفة خرج إليه أهلها فتلقوه وحفوا به ودخلوا بين يديه ، غير أن شزيمة قليلة أرادت أن تقاتله دون مطر بن ناجية نائب الحجاج فلم يمكنهم من ذلك ، فعدلوا إلى القصر ، فلما وصل ابن الأشعث إلى الكوفة أمر بالسلام فنصب على قصر الامارة فأخذه واستنزل مطر بن ناجية وأراد قتله فقال له : استبقني فاني خير من فرسانك ، فحبسه ثم استدعاه فأطلقه وبايعه واستوثق لابن الأشعث أمر الكوفة وانضم إليه من جاء من أهل البصرة ، وكان ممن قدم عليه عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن عبد المطلب ، وأمر بالمسالح من كل جانب ، وحفظت

النفور والطرق والمساك . ثم إن الحجاج ركب فيمن معه من الجيوش الشامية من البصرة في البر حتى مر بين القادسية والمذيب وبعث إليه ابن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في خيل عظيمة من المصريين فنعوا الحجاج من دخول القادسية ، فسار الحجاج حتى نزل دبر قره ، وجاء ابن الأشعث بمن معه من الجيوش البصرية والكوفية حتى نزل دبر الحجاج ، ومنعه جنود كثيرة ، وفيهم القراء وخلق من الصالحين ، وكان الحجاج يمد ذلك يقول : قاتل الله ابن الأشعث ، أما كان يزجر الطير حيث رآى قد نزلت دبر قره ، ونزل هو بدبر الحجاج . وكان جملة من اجتمع مع ابن الأشعث مائة ألف مقاتل من الشام ، وخذل كل من الطائفتين على نفسه وحول جيشه خندقاً يمنع به من الوصول إليهم ، غير أن الناس كانوا يبرزون بعضهم لبعض في كل يوم فيقتتلون قتلاً شديداً في كل حين ، حتى أصيب من رؤوس الناس خلق من قريش وغيرهم ، واستمر هذا الحال مدة طويلة ، واجتمع الأمراء من أهل المشورة عند عبد الملك بن مروان فقالوا له : إن كان أهل العراق يرضيهم منك أن تعزل عنهم الحجاج فهو أيسر من قتالهم وسفك دماهم ، فاستحضر عبد الملك عند ذلك أخاه محمد بن مروان وابنه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ومعهما جنود كثيرة جداً ، وكتب إليهم كتاباً إلى أهل العراق يقول لهم : إن كان يرضيكم مني عزل الحجاج عنكم عزائته عنكم ، وبعثت عليكم أعطيائكم مثل أهل الشام ، وليختر ابن الأشعث أي بلد شاء يكون عليه أميراً عاش وبعث ، وتكون إمرة العراق لمحمد بن مروان ، وقال في عهده هذا : فإن لم يحب أهل العراق إلى ذلك الحجاج على ما هو عليه وإليه إمرة الحرب ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك في طاعة الحجاج ونحت أمره لا يخرجون عن رأيه في الحرب وغيره .

ولما بلغ الحجاج ما كتب به عبد الملك إلى أهل العراق من عزله إن رضوا به شق عليه ذلك مشقة عظيمة جداً وعظم شأن هذا الرأي عنده ، وكتب إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين والله لئن أعطيت أهل العراق نزعهم لا يلبثون إلا قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تروسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر النخعي على ابن عفان ؟ فلما سألهم ماتريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تتم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ؟ وإن الحديد بالحديد يُفْلَح ، كان الله لك فيها ارتأيت والسلام عليك .

قال : فأنى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق كما أمر ، فتقدم عبد الله ومحمد فنادى عبد الله : يا معشر أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإنه يعرض عليكم كيت وكيت ، فذكر ما كتب به أبوه معه إليهم من هذه الخصال ، وقال محمد بن مروان : وأنا رسول

أحى أمير المؤمنين إليكم بذلك ، فقالوا : ننظر في أمرنا غداً ونرد عليكم الخبر عشية ، ثم انصرفوا فاجتمع جميع الأمراء إلى ابن الأشعث فقام فيهم خطيباً وندبهم إلى قبول ما عرض عليهم من عزل الحجاج عنهم وبيعة عبد الملك وإبقاء الأعطيات وإمرة محمد بن مروان على العراق بدل الحجاج ، ففر الناس من كل جانب وقالوا : لا والله لا نقبل ذلك ، نحن أكثر عدداً وعدداً ، وهم في ضيق من الحال وقد حكننا عليهم وذلوا لنا ، والله لا نجيب إلى ذلك أبداً . ثم جددوا خلع عبد الملك وفأثبه ثانية ، واتفقوا على ذلك كلهم .

فلما بلغ عبد الله بن عبد الملك وعمه محمد بن الخضر قالا للحجاج : شأنك بهم إذا ، فنحن في طاعتك كما أمرنا أمير المؤمنين ، فكانا إذا لقياه سلما عليه بالامرة ويسلم هو أيضاً عليهم بالامرة ، وتولى الحجاج أمر الحرب وتذبيرها كما كان قبل ذلك ، فعمد ذلك برز كل من الفريقين للقتال والحرب ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن بن سليمان ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى الخيل سميان بن الأبرد وعلى الرجلة عبد الرحمن بن حبيب الحسكي . وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن حازمة الجشمي ، وعلى الميسرة الأورد بن قرة النخعي ، وعلى الخيلة عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة ، وعلى الرجلة محمد بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، وعلى القراء جبلة بن زحر بن فيس الجعفي ، وكان فيهم سميد بن حير وعامر الشعبي وعبد الرحمن بن أبي ليلى وكيل بن زياد . وكان سحاعاً فانسك على كبر سنه . وأبو المحنري الطائي وغيرهم ، وحملوا يقتتلون في كل يوم ، وهزل العراق تأتتهم الميرة من الرساتق والأقاليم ، من الملك والطعام ، وأما أهل الشام الذين مع الحجاج فهم في أصو حال من العيش ، وقلة من الطعام ، وقد قعدوا اللحم بالكلية فلا يجدونه ، وما زالت الحرب في هذه المدة كلها حتى اسلحت هذه السنة وهم على حالهم وقتلهم في كل يوم أو يوم بعد يوم ، والدائرة لأهل العراق على أهل الشام في أكثر الأيام . وقد قتل من أصحاب الحجاج ريان بن غنم ، وكسر بسطام بن مصقلة في أربعة آلاف جفون سيوفهم وأسنة نلوا وكانوا من أصحاب ابن الأشعث . وفي هذه السنة كانت وفاة المهلب بن أبي صفرة ، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم أبو سعيد الأزدي أحد أشرف أهل البصرة ووجوههم ودهاتهم وأجوادهم وكرمانهم ، ولدعاهم الفتح ، وكانوا ينزلون بها بين عجمان والبحرين ، وقدارتد فومه فقاتلهم عكرمة بن أبي جهل فظفر بهم ، وبعثهم إلى الصديقي وفيهم أبو صفرة وابنه المهلب غلام لم يبلغ الحنث ، ثم نزل المهلب بالبصرة وقد غزا في أيام معاوية أرض الهند سنة أربع وأربعين ، وولى الجزيرة لابن الزبير سنة ثمان وسنين ، ثم ولى حرب الخوارج أول دولة الحجاج ، وقتل منهم في وقعة واحدة أربعة آلاف وثمانمائة ، فعمظت منزلته عند الحجاج . وكان فاصلاً متجاعاً كرمياً يحب المدح ، وله كلام حسن ، فنه نعم الخصلة السخاء تستر عمة الشريفة

وتلاحق خسيصة الوضع ، ونحبب المزهود فيه . وقال : يعجبني في الرجل خصلتان أن أرى عقله زائداً على لسانه ، ولا أرى لسانه زائداً على عقله

توفي المهلب غازياً بمروالروذ وعمره سنة وسبعون سنة رحمه الله . وكان له عشرة من الولد هم : يزيد ، وزيد ، والمفضل ، ومدرک ، وحبيب ، والمغيرة ، وقبيصة ، وعمر ، وهند ، وفاطمة . توفي المهلب في ذى الحجة منها ، وكان من الشجيمان وله مواقف حميدة ، وغزوات مشهورة في الترك والأزارقة وغيرهم من أنواع الخوارج ، وجعل الأمر من بعده ليزيد بن المهلب على إمرة خراسان فأضى له ذلك الحجاج وعبد الملك بن مروان

اسماء بن خارجة الفزاري الكوفي

وكان جواداً ممدحا ، حكى أنه رأى يوماً شاباً على باب داره جالساً فسأله عن قعوده على بابه فقال : حاجة لا أستطيع ذكرها ، فألح عليه فقال : جارية رأيته دخلت هذه الدار لم أر أحسن منها وقد خطفت قلبي معها ، فأخذ بيده وأدخله داره وعرض عليه كل جارية عنده حتى مرت تلك الجارية فقال : هذه ، فقال له : أخرج فاجلس على الباب مكانك ، فخرج الشاب فجلس مكانه ، ثم خرج إليه بعد ساعة والجارية معه قد ألبسها أنواع الحلى ، وقال له : مامنعني أن أدفعها إليك وأنت داخل الدار إلا أن الجارية كانت لأختي ، وكانت ضنينة بها ، فاشتريتها لك منها بثلاثة آلاف ، وألبستها هذا الحلى ، فهي لك بما عليها ، فأخذها الشاب وانصرف .

المغيرة بن المهلب

ابن أبي صفرة ، كان جواداً ممدحا شجاعا ، له مواقف مشهورة .

الحارث بن عبدالله

ابن ربيعة الخزومي المعروف بقباع ، ولى إمرة البصرة لابن الزبير .

محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة

كان من فضلاء أبناء الصحابة وأعقلمهم ، توفي بالمدينة ودفن بالبقيع .

عبدالله بن أبي طلحة بن أبي الأسود

والد الفقيه إسحاق حملت به أمه أم سليم ليلة مات ابنها فأصبح أبوطلحة فأخبر النبي (ص) ،

فقال (ص) : « عرستم بارك الله لكافي ليلتكما » . ولما ولد حنكه بتمرات .

عبد الله بن كعب بن مالك

كان قائد كعب حين عي ، له روايات ، توفي بالمدينة هذه السنة .

عفان بن وهب

أبو أيمن الخولاني المصري له صحبة ورواية ، وغزا المغرب ، وسكن مصر وبها مات .

جهيل بن عبدالله

ابن معمر بن صباح بن ظبيان بن الحسن بن ربيعة بن حرام بن ضبة بن عبيد بن كثير بن عنزة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سرهد بن أسلم بن الحاف بن قضاة . أبو عمرو الشاعر صاحب بئينة ، كان قد خطبها فنمت منه ، فتفرل فيها واشتهر بها ، وكان أحد عشاق العرب ، كانت إقامته بوادي القرى ، وكان عفيفاً حياً ديناً شاعراً إسلامياً ، من أفصح الشعراء في زمانه ، وكان كثير عزة راويته ، وهو يروى عن هذبة بن خثرم عن الحطيئة عن زهير بن أبي سلمى ، وابنه كعب ، قال كثير عزة كان جهيل أشعر العرب حيث يقول : -

وأخبرتماني أن تيماء منزل * ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهو الصيف عنا قد انقضت * فواللنوى ترمي بليلى المراميا
ومنها قوله وما زلت بي يابئ حتى لو ألقى * من الشوق أستبكي الحلم بكى ليا
وما زادني الواشون إلا صابة * ولا كثرة الناهين إلا تماديا
وما أحدث النأي الفرق بيننا * سلوا ولا طول اجتماع تقاليا
ألم تملئ يا عذبة الريق أنى * أظل إذا لم ألق وجهك صاديا
لقد خفت أن ألقى المنية بفتة * وفي النفس خالجت إليك كما هيا
وله أيضا إني لأحفظ غيبكم ويسرني * لو تملين بصالح أن تذكرني
إلى أن قال ما أنت والوعد الذي تعدلني * إلا كبرق سحابة لم تطر
وقوله وروى لعمرو : ما زلت ابني الحى أتبع فلم * حتى دفعت إلى ربيعة هودج
ابن أبي ربيعة . فدوت مخنفاً ألم بيننا * حتى ولجت إلى خفي المولج
فيما نقله ابن عساكر قالت وعيش أخى ونعمت والى * لأنهن الحى إن لم تخرج
فتناولت رأسى لتعرف مسه * بمخضب الاطراف غير مشنج
فخرجت خيفة أهلها فتيسمت * فقلت أن يمينها لم تخرج
فلثمت فاهاً أخذت بقرونها * فرشفت ريقاً بارداً منتلج

قال كثير عزة : لقيني جهيل بئينة فقال : من أين أقبلت ؟ قلت : من عند هذه الحبيبة ، قال
وإلى أين ؟ قلت : وإلى هذه الحبيبة - معنى عزة - قال : أقسمت عليك لما رجعت إلى بئينة
فواعدتها لي فإن لي من أول الصيف ما رأيته ، وكان آخر عهدي بها بوادي القرى ، وهي تسمى

وأما نوباً فتحادثنا إلى الغروب ، قال كثير : فرجعت حتى أنخت بهم . فقال أبو بئينة : ما ردك يا ابن أخي ؟ قلت : أبيات قلتها فرجعت لأعرضها عليك . فقال : وما هي ؟ فأنشده وبئينة تسمع من وراء الحجاب : -

قلتُ لها يا عزُّ أرسلَ صاحبي * إليك رسولاً والرسولُ موكلُ
أنَّ تجلي بيني وبينك موعداً * وأن تأمريني ما الذي فيه أفلُ
وآخرُ عهدي منك يومَ لقيتني * بأسفل وادي الدوم والثوبُ يغسلُ

فلما كان الليل أقبلت بئينة إلى المكان الذي واعدته إليه ، وجاء جميل وكنت معهم فـ رأيت ليلة أعجب منها ولا أحسن منادات ، وانفض ذلك المجلس وما أدري أيهما أفهم لما في ضمير صاحبه منه .

وذكر الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي أنه دخل على جميل وهو يموت فقال له : ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ، ولم يزن قط ، ولم يسرق ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال : أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فن هذا ؟ قال : أنا ، قلت الله : ما أظنك سلمت وأنت تشبه بالنساء منذ عشرين سنة ، ببئينة . فقال : لا نالتني شفاعة محمد (س) ، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها بريبة ، قال : فما برحنا حتى مات . قلت : كانت وفاته بمصر لأنه كان قد قدم على عبيد العزيز بن مروان فأكرمه وسأله عن حبه ببئينة فقال : شديداً ، واستنشده من أشعاره ومدائح فأنشده فوعده أن يجمع بينه وبينها فعاجنه المنية في سنة ثنتين وثمانين رحمه الله آمين .

وقد ذكر الأصمعي عن رجل أن جميلاً قال له : هل أنت مبلغ عنى رسالة إلى حى ببئينة ولك ماعندي ؟ قال نعم ! قال : إذا أنامت فاركب ناقى والبس حلقى هذه وأمره أن يقول أبياتاً منها قوله قومي بُبَيْئِنَةُ فَأَنْدُبِي بِعَوِيلٍ * وابكي خَلِيلاً دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ فلما انتهى إلى حبيهم أنشد الأبيات ففرجت ببئينة كأنها بدرسرى في جنة وهي تقتنى في مرطها فقالت له : ويحك إن كنت صادقاً فقد قتلتنى ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتنى . فقلت : بلى والله صادق وهذه خلتي وناقته ، فلما تحققت ذلك أنشدت أبياتاً ترثيه بها وتأسف عليه فيها ، وأنه لا يطيب لها العيش بعده ، ولاخير لها في الحياة بعد فقده ، ثم ماتت من ساعتها : قال الرجل : فما رأيت أكثر باكياً ولا باكياً من يومئذ .

وروى ابن عساكر عنه أنه قيل له بدمشق : لو تركت الشعر وحفظت القرآن ؟ فقال : هذا أنس بن مالك يخبرني عن رسول الله (س) ، أنه قال : « إن من الشعر لحكمة »

عمر بن عبيد الله

ابن عمر بن عثمان أبوحنص القرشي التميمي أحد الأجراد والأمرأه الأبحاد ، فتحت على يديه بلدان كثيرة ، وكان نائباً لابن الزبير على البصرة ، وقد فتح كابل مع عبد الله بن خازم ، وهو الذي قتل قطري بن العجاء ، روى عن ابن عمر وجابر وغيرهما ، وعن عطاء بن أبي رباح ، وابن عون ، ووفد على عبد الملك فتوفي بدمشق سنة ثنتين وثمانين . قاله المدائني . وحكى أن رجلاً اشترى جارية كانت تحسن القرآن والشعر وغيره فأحبها حباً شديداً وأنفق عليها ماله كله حتى أفلس ولم يبق له شيء سوى هذه الجارية ، فقالت له الجارية : قد أرى مابك من قلة الشيء . فلو بمنى وانتفعت بمنى صلح حالك ، فباعها لعمر بن عبيد الله هذا - وهو يومئذ أمير البصرة - بمائة ألف درهم ، فلما قبض المال ندم وندمت الجارية ، فأشارت تخاطب سيدها بأبيات شعر وهي : -

هنيئاً لك المال الذي قد أخذته * ولم ينق في كفى الا تنكرى
أقول لنفسى وهى في كرب عيشة * أقل فقد بان الخليط أو كثرى
إذا لم يكن في الأمر عندك حيلة * ولم تجدى بداً من الصبر فاصبرى

فأجابها سيدها فقال : -

ولولا قمود الدهر بي عنك لم يكن * لفرقتنا شيء سوى الموت فاصبرى
أوب بحزن من فراقك موجد * أناجى به قلباً طويلاً التذكر
عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل إلا أن يشاء ابن عمر

فلما سمعها ابن عمر قد شببت قال : والله لا فرقت بين محبين أبداً ، ثم أعطاه المال - وهو مائة ألف - والجارية لما رأى من توجعها على فراق كل منهما صاحبه ، فأخذ الرجل الجارية ونهها وانطلق . توفي عمر بن عبيد الله بن عمر هذا بدمشق بالطاعون ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان ، ومشى في جنازته وحضر دفنه وأثنى عليه بعد موته ، وكان له من الولد طلحة وهو من سادات قریش تزوج فاطمة بنت القاسم بن محمد بن جعفر على صداق أربعين ألف دينار ، فأولدها إبراهيم ورملة ، فتزوج رملة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس على صداق مائة ألف دينار رحمهم الله .

كسيلة بن زياد

ابن نهيك بن خيثم النخعي الكوفي . روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي هريرة . وشهد مع علي صفين ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وزاهداً عبداً ، قتله الحجاج في هذه السنة ، وقد عاش مائة سنة قتله صبراً بين يديه ، وإنما نقم عليه لأنه طلب من عثمان بن عفان القصاص من لطمة اطعمها إياه . فلما أمكنه عثمان من نفسه عفا عنه ، فقال له الحجاج : أو مثلك يسأل من أمير المؤمنين القصاص ؟

ثم أمر فضربت عنقه ، قالوا: وذكر الحجاج علياً في غبون ذلك فنال منه وصلى عليه كليل ، فقال له الحجاج : والله لأبعثن إليك من يبنض علياً أكثر مما نحبه أنت ، فأرسل إليه ابن آدم ، وكان من أهل حمص ، ويقال أبا الجهم بن كنانة فضرب عنقه ، وقد روى عن كليل جماعة كثيرة من التابعين وله الأثر المشهور عن علي بن أبي طالب الذي أوله «القلوب أوعية لغيرها أوعاها» وهو طويل قد رواء جماعة من الحفاظ الثقات وفيه مواعظ وكلام حسن رضى الله عن قائله .

ذاذان ابو عمرو الكندي

أحد التابعين كان أولاً يشرب المسكر و يضرب بالطنبور ، فرزقه الله التوبة على يد عبد الله ابن مسعود وحصلت له إنابة ورجوع إلى الحق ، وخشية شديدة ، حتى كان في الصلاة كأنه خشبة . قال خليفه : وفيها توفي زر بن حبيش أحد أصحاب ابن مسعود وعائشة ، وقد أنت عليه مائة وعشرون سنة . وقال أبو عبيد : مات سنة إحدى وثمانين ، وقد تقدمت له ترجمة (شقيق بن سلمة) أبو وائل ، أدرك من زمن الجاهلية سبع سنين ، وأسلم في حياة النبي (سـ) .

ام الرداء الصغري

اسمها هجيمة ويقال هجيمة تابعة عابدة عالمة فقيهة كان الرجال يقرؤن عليها ويتعقون في الحائط الشمالي بجامع دمشق ، وكان عبد الملك بن مروان يجلس في حلقتها مع المتفهمة يشتمل عليها وهو خلية ، رضى الله عنها .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

استهلت هذه السنة والناس متوافقون لقنال الحجاج وأصحابه بديرة ، وابن الأشعث وأصحابه بدير الجاهم ، والمبارزة في كل يوم بينهم واقعة ، وفي غالب الأيام تكون النصر لأهل العراق على أهل الشام ، حتى قيل إن أصحاب ابن الأشعث وهم أهل العراق كسروا أهل الشام وهم أصحاب الحجاج بضعا وثمانين مرة ينتصرون عليهم ، ومع هذا فلحجاج ثابت في مكانه صابر ومصابر لا يتزعزع عن موضعه الذي هو فيه ، بل إذا حصل له ظفر في يوم من الأيام يتقدم بجيشه إلى نحو عنده ، وكان له خبرة بالحرب ، وما زال ذلك دأبه ودأبهم حتى أمر بالحملة على كتيبة القراء ، لأن الناس كانوا تبعاً لهم ، وهم الذين يحرضونهم على القتال والناس يقتدون بهم ، فصبر القراء لحملة جيشه ، ثم جمع الرماة من جيشه وحمل بهم ، وما أفك حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، ثم حل على ابن الأشعث وعلى من معه من الجيش فانهزم أصحاب ابن الأشعث وذهبوا في كل وجه ، وهرب ابن الأشعث بين أيديهم ومعه فل قليل من الناس ، فأتبعه الحجاج جيشاً كثيفاً مع عمارة بن غنم اللخمي ومعه محمد بن الحجاج والامرة لعمارة ، فساقوا وراءهم يطردهونهم لعلمهم يظفرون به قتيلاً أو أسيراً ، فما زال يسوق ويخترق الأقاليم

والسكر والرسانيق ، وهم في أثره حتى وصل إلى كرمان ، واتبعه الشاميون فزولوا في قصر كان فيه أهل العراق قبلهم ، فاذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل السكوفة من أصحاب ابن الأشعث الذين فروا معه من شعر أبي خلدة اليشكري يقول :

أَيَا كَهْفًا وَيَا حُرْنَا جَمِيعًا * وَيَا حُرَّ الْفُؤَادِ لِمَا لَقِينَا
تَرَكَنَا الدِّينَ وَالْدُنْيَا جَمِيعًا * وَأَسْلَمْنَا الْخِلَافَةَ وَالْبَلِيَّةَا
فَمَا كُنَّا أَنَاسًا أَهْلَ دُنْيَا * فَهِنَمْنَعَا وَلَوْلَمْ نُرْجُ دِينَا
تَرَكَنَا دُورَنَا لَطْفَامٍ عَكٍّ * وَأَبْطَأَ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا

ثم إن ابن الأشعث دخل هو ومن معه من الفل إلى بلاد رتبيل ملك الترك ، فأكرمه رتبيل وأنزله عنده وأمنه وعظمه

قال الواقدي : ومروا ابن الأشعث وهو ذاهب إلى بلاد رتبيل على عامل له في بعض المدن كان ابن الأشعث قد استعمله على ذلك عند رجوعه إلى العراق ، فأكرمه ذلك العامل وأهدى إليه هدايا وأنزله ، فعمل ذلك خديعة به ومكرا ، وقال له : ادخل إلى عندي إلى البلد لتتحصن بها من عدوك ولكن لا تتبع أحداً ممن معك يدخل المدينة ، فأجابه إلى ذلك ، وإنما أراد المكر به ، فتمعه أصحابه فلم يقبل منهم ، فنفروا عنه أصحابه ، فلما دخل المدينة وثب عليه العامل فسكه وأوثقه بالحديد وأراد أن يتخذ به يداً عند الحجاج ، وقد كان الملك رتبيل سر بقدوم ابن الأشعث ، فلما بلغه ما حدث له من جهة ذلك العامل بمدينة بست ، سار حتى أحاط ببست ، وأرسل إلى عاملها يقول له : والله لئن آذيت ابن الأشعث لا أبرح حتى أستنزلك وأقتل جميع من في بلدك ، فخافه ذلك العامل وسير إليه ابن الأشعث فأكرمه رتبيل ، فقال ابن الأشعث لرتبيل : إن هذا العامل كان عاملي ومن جهتي ، ففندرتني وفعل ما رأيت ، فأذن لي في قتله ، فقال : قد أمنتك . وكان مع ابن الأشعث عبد الرحمن بن عياش ابن أبي ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان هو الذي يصلي بالناس هناك في بلاد رتبيل ، ثم إن جماعة من الفل الذين هربوا من الحجاج اجتمعوا وساروا وراء ابن الأشعث ليدركوه فيكونوا معه - وهم قريب من ستين ألفاً - فلما وصلوا إلى سجستان وجدوا ابن الأشعث قد دخل إلى عند رتبيل فقتلوه على سجستان وعذبوا عاملها عبد الله بن عمر الثمار وإخوته وقرايته ، واستحذوا على مافيها من الأموال ، وانتشروا في تلك البلاد وأخذوها ، ثم كتبوا إلى ابن الأشعث : أن اخرج إلينا حتى نكون مملكاً نصرك على من يخالفك ، ونأخذ بلاد خراسان ، فإن بها جنداً ومنعة كثيرة منا ، فنكون بها حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك ، فترى بعد ذلك رأينا نخرج إليهم ابن الأشعث وسار بهم قليلاً إلى نحو خراسان فأنزله شردمة من أهل العراق مع عبيد الله بن سمرة ، فقام فيهم ابن الأشعث

خطيباً فذكر غدرهم ونكولهم عن الحرب ، وقال : لا حاجة لي بكم ، وأنا ذاهب إلى صاحبي رتبيل فأكون عندهم . ثم انصرف عنهم وتبعه طائفة منهم وبقي معظم الجيش . فلما انفصل عنهم ابن الأشعث بايعوا عبد الرحمن بن عياش بن أبي ربيعة الهاشمي ، وساروا معه إلى خراسان ففرج إليهم أميرها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، فمنعهم من دخول بلاده ، وكتب إلى عبد الرحمن بن عياش يقول له : إن في البلاد متسعاً فاذهب إلى أرض ليح بها سلطان فأني أكره قتالك ، وإن كنت تريد مالا بعثت إليك . فقال له : إنا لم نجئ لقتال أحد ، وإنما جئنا نستريح ونريح خيلنا ثم نذهب وليست بنا حاجة إلى شيء مما عرضت . ثم أقبل عبد الرحمن على أخذ الخراج مما حوله من البلاد من كور خراسان ، ففرج إليه يزيد بن المهلب ومعه أخوه المفضل في جيوش كثيفة ، فلما صادفهم اقتتلوا غير كثير ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن بن عياش ، وقتل يزيد منهم مقتلة كبيرة ، واحتار مافي معسكره ، وبغث بالأسارى وفيهم محمد بن سعد بن أبي وقاص إلى الحجاج ، ويقال إن محمد بن سعد قال ليزيد بن المهلب : أسألك بدعوة أبي لأبيك لما أطلقتني ، فأطلقه .

قال ابن جرير : ولهذا الكلام خبر فيه طول ، ولما قدمت الأسارى على الحجاج قتل أكثرهم وعفاهن بعضهم ، وقد كان الحجاج يوم ظهر على ابن الأشعث نادى مناديه في الناس : من رجع فهو آمن ومن لحق بمسلم بن قتيبة بالرى فهو آمن ، فلحق بمسلم خلق كثير ممن كان مع ابن الأشعث فأمتهم الحجاج ، ومن لم يلحق به شرع الحجاج في تتبعهم ، فقتل منهم خلقاً كثيراً حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير على ماسياتي بيانه

وكان الشعبي من جملة من صار إلى مسلم بن قتيبة فذكره الحجاج يوماً فقبل له . إنه سار إلى مسلم بن قتيبة ، فكتب إلى مسلم : أن ابعث لي بالشعبي قال الشعبي : فلما دخلت عليه سلمت عليه بالأمرة ثم قلت : أيها الأمير إن الناس قد أمرؤى أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق ، وإيم الله لا أقول في هذا المقام إلا الحق كأنا في ذلك ما كان ، قد والله تمردنا عليك ، وخرجنا وجهدنا كل الجهد فما ألونا ، فما كننا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا فان سطوت فبذنوبنا وما جرت إليك أيدينا ، وإن عفوت عنا فبجملتك ، وبمد فلك الحجة علينا . فقال الحجاج : أنت والله يا شعبي أحب إلي من يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول : ما فعلت ولا شهدت ، قد أمنت عندنا يا شعبي . قال : فانصرفت فلما مشيت قليلاً قال : هلم يا شعبي ، قال : فوجدت لذلك قلبي ، ثم ذكرت قوله قد أمنت يا شعبي فاطمأنت نفسي ، فقال : كيف وجدت الناس بعدنا يا شعبي ؟ قال : وكان لي مكروماً قبل الخروج عليه - فقلت : أصلح الله الأمير ، قد اكتحلعت بمسك السهر ، واستوخرت السهل ، واستوخرت الجناب ، واستحلست الخوف ، واستحللت الهمة ،

وفقدت صالح الاخوان ، ولم أجهد من الأمير خلفا . قال انصرف ياشعبي ، فانصرفت . ذكر ذلك ابن جرير وغيره . ورواه أبو مخنف عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن الشعبي .

وروى البيهقي أنه سأله عن مسألة في الفرائض وهي أم زوج وأخت وما كان يقوله فيها الصديق وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ، وكان لكل منهم قول فيها ، فنقل ذلك كله الشعبي في ساعة فاستحسن قول علي وحكم بقول عثمان ، وأطلق الشعبي بسبب ذلك . وقيل إن الحجاج قتل خمسة آلاف أسير من سيرهم إليه يزيد بن المهلب كما تقدم ذلك ، ثم سار إلى الكوفة فدخلها فجعل لا يبايع أحداً من أهلها إلا قال : أشهد على نفسك أنك قد كفرت ، فإذا قال نعم بآيمه ، وإن أبى قتله ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ممن أبى أن يشهد على نفسه بالكفر ، قال فأتى برجل فقال الحجاج : ما أظن هذا يشهد على نفسه بالكفر لصلاحه ودينه . وأراد الحجاج مخادعته . فقال : أخادعي أنت عن نفسي ؟ أنا أكفر أهل الأرض وأكفر من فرعون وهامان ونمرود . قال : فضجك الحجاج وخلي سبيله .

وذكر ابن جرير من طريق أبي مخنف أن أعشى همدان أتى به إلى الحجاج . وكان قد عمل قصيدة هجا فيها الحجاج وعبد الملك بن مروان ويمدح فيها ابن الأشعث وأصحابه . فاستنشدته إياها فأنشدته قصيدة طويلة دالية ، فيها مدح كثير لعبد الملك وأهل بيته ، فجعل أهل الشام يقولون : قد أحسن أيها الأمير ، فقال الحجاج : إنه لم يحسن ، إنما يقول هذا مصانعة ، ثم ألح عليه حتى أنشدته قصيدته الأخرى ، فلما أنشدها غضب عند ذلك الحجاج وأمر به فضربت عنقه صبراً بين يديه . واسم الأعشى هذا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث أبو المصباح الهمداني الكوفي الشاعر ، أحد النضحاء البلغاء المشهورين ، وقد كان له فضل وعبادة في مبتداه ، ثم ترك ذلك وأقبل على الشعر ففرقه به ، وقد وفد على النعمان بن بشير وهو أمير بجمص فامتدحه ، وكان محصوله في رحلته إليه منه ومن جند حصص أربعين ألف دينار ، وكان زوج أخت الشعبي ، كما أن الشعبي كان زوج أخته أيضاً ، وكان ممن خرج مع ابن الأشعث ، فقتله الحجاج كما ذكرنا رحمه الله .

وقد كان الحجاج وهو موافق لابن الأشعث بعث كميناً يأتون جيش ابن الأشعث من ورائه ، ثم توافق الحجاج وابن الأشعث وهرب الحجاج بمن معه وترك معسكره ، فجاء ابن الأشعث فاحتاز مافي المعسكر وبات فيه ، فجاءت السرية إليهم ليلاً وقد وضعوا أسلحتهم فقالوا عليهم ميلاً واحدة ، ورجع الحجاج بأصحابه فأحاطوا بهم فاقتتلوا قتلاً شديداً ، وقتل من أصحاب ابن الأشعث خلق كثير وغرق خلق كثير منهم في دجلة ودجيل ، وجاء الحجاج إلى معسكرهم فقتل من وجده فيه ، فقتل منهم نحواً من أربعة آلاف ، منهم جماعة من الرؤساء والأعيان ، واحتازوه بكاله ، وأطلق ابن الأشعث هاربا في ثلاثمائة فركبوا دجيلا في السفن وعقروا دوابهم وجازوا إلى البصرة ، ثم ساروا من هنالك

إلى بلاد الترك، وكان في دخوله بلاد رتبيل ما تقدم، ثم شرع الحجاج في تتبع أصحاب ابن الأشعث فجعل يقتلهم مثنى وفردى، حتى قيل إنه قتل منهم بين يديه صبراً مائة ألف وثلاثين ألفاً، قاله النضر ابن شميل عن هشام بن حسان، منهم محمد بن سعد بن أبي وقاص، وجماعات من السادات الأخيار، والعلماء الأبرار، حتى كان آخرهم سميد بن جبير رحمهم الله ورضى عنهم كما سيأتي ذلك في موضعه.

بناء واسط

قال ابن جرير: وفي هذه السنة بنى الحجاج واسط، وكان سبب بنائه لها أنه رأى راهباً على أنثان قد أجاز دجلة، فلما مر بموضع واسط وقفت أنثاه فبالت، فترل عنها وعمد إلى موضع يولها فاحتفره ورمى به في دجلة، فقال الحجاج: على به، فأتى به فقال له: لم صنعت هذا؟ قال: إنا نجد في كتبنا أنه يبنى في هذا الموضع مسجد يمد الله فيه مادام في الأرض أحد يوحده. فعند ذلك اختط الحجاج مدينة واسط في ذلك المكان وبنى المسجد في ذلك الموضع. وفيها كانت غزوة عطاء بن رافع صقلية. ومن توفى فيها من الأعيان:

عبد الرحمن بن جحيرة

الطولاني المصري، روى عن جماعة من الصحابة وكان عبد العزيز بن مروان أمير مصر قد جمع له بين القضاء والقصاص وبيت المال، وكان رزقه في العام ألف دينار، وكان لا يدخر منها شيئاً.

طارق بن شهاب

ابن عبد تميم الأحمسي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وغزا في خلافة الصديق وعمر رضي الله عنهما بضعاً وأربعين غزاة، توفى بالمدينة هذه السنة.

عبيد الله بن عدي

ابن أنطيار أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وحدث عن جماعة من الصحابة عبد الله بن قيس بن مخزومة، كان قاضى المدينة. وكان من فقهاء قریش وعلمائهم وأبوه عدي ممن قتل يوم بدر كافرين وتوفى بها في هذه السنة مرثد بن عبد الله أبو الخير المزني. وفيها فقد جماعة من القراء والعلماء الذين كانوا مع الأشعث، منهم من هرب ومنهم من قتل في المعركة، ومنهم من أسر فضرب الحجاج عنقه، ومنهم من تقبمه الحجاج حتى قتله، وقد سمى منهم خليفة بن خياط طائفة من الأعيان، فمنهم مسلم بن يسار المزني، وأبو مرانة المجلي قتل، وعقبة بن عبد الغفار قتل، وعقبة بن وشاح قتل، وعبد الله بن خالد الجهمي قتل، وأبو الجوزاء الربيعي قتل، والنضر بن أنس، وعمران والد أبي حمزة الضبي، وأبو المنهال سيار بن سلامة الرياحي، ومالك بن دينار، ومرة بن ذباب الهذلي وأبو نجيد الجهمي، وأبو سبيح الهنائي، وسعيد بن أبي الحسن، وأخوه الحسن البصري قال أيوب:

قيل لابن الأشعث : إن أحببت أن يقتل الناس حولك كما قتلوا حول هو دج غائشة يوم الجمل فأخرج الحسن ملك ، فأخرجه . ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وعبد الله بن شداد ، والشعبي ، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، والمعوذ بن سويد ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبو البختري ، وطلحة بن مصرف ، وزبيد بن الحارث اليماني ، وعطاء بن السائب . قال أيوب : فما منهم صرع مع ابن الأشعث إلا رغب عن مصرعه ، ولا نجأ أحد منهم إلا حمد الله الذي سلمه . ومن أعيان من قتل الحجاج عمران بن عصام الضبعي ، والد أبي حمزة ، كان من علماء أهل البصرة ، وكان صالحاً عابداً ، أتى به أسيراً إلى الحجاج فقال له : أشهد على نفسك بالكفر حتى أطلقك ، فقال : والله إني ما كفرت بالله منذ آمنت به ، فأمر به فضربت عنقه . عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن جماعة من الصحابة ، ولأبيه أبي ليلى محبة ، أخذ عبد الرحمن القرآن عن علي بن أبي طالب ، خرج مع ابن الأشعث فأتى به الحجاج فضرب عنقه بين يديه صبراً .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

قال الواقدي : فيها افتتح عبد الله بن عبد الملك المصيصي ، وفيها غزا أحمد بن مروان ارمينية فقتل منهم خلقاً وصرف كنائسهم وضياعهم وتسعى بسنة الحريق ، وفيها استعمل الحجاج على فارس محمد ابن القاسم الثقفي ، وأمره بقتل الأكراد . وفيها ولي عبد الملك الأسكندرية عياض بن غنم البجلي وعزل عنها عبد الملك بن أبي الكنود الذي كان قد وليها في العام الماضي . وفيها افتتح موسى بن نصير طائفة من بلاد المغرب من ذلك بلد أرومة ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً جداً ، وأسر نحواً من خمسين ألفاً . وفيها قتل الحجاج أيضاً جماعة من أصحاب ابن الأشعث ، منهم :

أيوب بن القرية

وكان فصيحاً بليغاً واعظاً ، قتله صبراً بين يديه ، ويقال إنه ندم على قتله . وهو أيوب بن زيد ابن قيس أبو سليمان الهلالي المعروف بابن القرية . وعبد الله بن الحارث بن نوفل . وسعد بن إلياس الشيباني ، وأبو غنيم الخولاني . له محبة ورواية ، سكن حمص وبها توفي وقد قارب المائة سنة . عبد الله ابن قتادة ، وغير هؤلاء جماعة منهم من قتلهم الحجاج ، ومنهم من توفي : أبو زرعة الجندامي الفلسطيني ، كان ذا منزلة عند أهل الشام ، تخاف منه معاوية ففهم منه ذلك أبو زرعة فقال يا أمير المؤمنين لا تهدم ركناً بليتته ، ولا تحزن صاحباً سريره ، ولا تشمت عدواً كبتة ، فكف عنه معاوية .

وفيها توفي عتبة بن مسعود السلمي صحابي جليل ، كان يفسد في أهل الصفة . عمران بن حطان الخارجي ، كان أولاً من أهل السنة والجماعة فزوج امرأته من الخوارج حسنة جميلة جداً فأحبها . وكان هو دميم الشكل ، فأراد أن يردّها إلى السنة فأبته فارتدت معها إلى مذهبها . وقد كان من الشعراء

الملتقين ، وهوالقائل في قتل علي وقاتله :

ياضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش رضواناً
إلى لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزاناً
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم * لم يخلطوا دينهم بغيّاً وعدواناً
وقد كان الثورى يتمثل بأبياته هذه في الزهد في الدنيا وهي قوله : -

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على أنهم فيها جراحة وجوع
أراها وإن كانت تحب فانها * سحابة ضيف عن قليل تنشق
كركب قضوا حاجاتهم وترحلوا * طريقهم بادي العلامة مئيع
مات عمران بن حطان سنة أربع وثمانين . وقد رد عليه بعض العلماء في أبياته المتقدمة في قتل
على رضى الله عنه بأبيات على قافيتها ووزنها :

بل ضربة من شقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش خساراً
إلى لأذكره يوماً فأحسبه * أشقى البرية عند الله ميزاناً .

روح بن زنباع الجذامى

كان من أمراء الشام وكان عبد الملك يستشير في أموره .

وفيه كان مهلك عبد الرحمن بن الأشعث الكندى وقيل في التي بعدها فله أعلم . وذلك أن
الحجاج كتب إلى رتبيل ملك الترك الذى لجأ إليه ابن الأشعث يقول له : والله الذى لا إله إلا هو لئن
لم تبعث إلى بابن الأشعث لأبعثن إلى بلادك ألف مقاتل ، ولأخربنها . فلما تحقق الوعيد من
الحجاج استشار في ذلك بعض الأمراء فأشار عليه بتسليم ابن الأشعث إليه قبل أن يخرب الحجاج
دياره ويأخذ غنمه أمصاره ، فأرسل إلى الحجاج يشترط عليه أن لا يقاتل عشرين سنين ، وأن لا يؤدى
في كل سنة منها إلا مائة ألف من الخراج ، فأجابه الحجاج إلى ذلك ، وقيل إن الحجاج وعده أن
يطلق له خراج أرضه سبع سنين ، فعند ذلك غدر رتبيل بابن الأشعث فقتل . إنه أمر بضرب عنقه
صبراً بين يديه ، وبعث برأسه إلى الحجاج ، وقيل : بل كان ابن الأشعث قد مرض مرضاً شديداً
فقتله وهو بأخر رمق ، والمشهور أنه قبض عليه وعلى ثلاثين من أقربائه فقيدهم في الأصفاة وبعث بهم
مع رسل الحجاج إليه ، فلما كانوا ببعض الطريق بمكان يقال له الرجج ، صعد ابن الأشعث وهو
مقيّد بالحديد إلى سطح قصر ومعه رجل موكل به لثلايفر ، وألقى نفسه من ذلك القصر وسقط معه
الموكل به فماتا جميعاً ، فعمد الرسول إلى رأس ابن الأشعث فاحتزّه ، وقتل من معه من أصحاب ابن
الأشعث وبعث برؤوسهم إلى الحجاج فأمر فطيف برأسه في العراق ، ثم بعثه إلى عبد الملك فطيف

برأسه في الشام ، ثم بعث به إلى أخيه عبد العزيز بمصر فطيف برأسه هنالك ، ثم دفنوا رأسه بمصر وجنته بالرجح ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك : -

هيات موضع جنة من رأسها * رأس بمصر وجنة بالرجح
وإنما ذكر ابن جرير مقتل ابن الأشعث في سنة خمس وثمانين لله أعلم .

وعبد الرحمن هذا هو أبو محمد بن الأشعث بن قيس ، ومنهم من يقول عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي الكوفي ، قد روى له أبو داود والنسائي عن أبيه عن جده عن ابن مسعود : حديث « إذا اختلف المتبايعان والسلمة قائمة فالقول ما قال البائع أو تشاركا » . وعنه أبو العيس ويقال إن الحجاج قتله بعد التسعين سنة لله أعلم . والعجب كل العجب من هؤلاء الذين يأمرون بالامارة وليس من قريش ، وإنما هو كندي من النين ، وقد اجتمع الصحابة يوم السبت على أن الأمانة لا تكون إلا في قريش ، واحتج عليهم الصديق بالحديث في ذلك ، حتى إن الأنصار سألوا أن يكون منهم أمير مع أمير المهاجرين فأبى الصديق عليهم ذلك ، ثم مع هذا كله ضرب سمد بن عبادة الذي دعا إلى ذلك أولا ثم رجع عنه ، كما قررنا ذلك فيما تقدم . فكيف يعملون إلى خليفة قد بويع له بالامارة على المسلمين من سنين فيعزلونه وهو من صلبية قريش ويأيمون لرجل كندي ببيعة لم يتفق عليها أهل الحل والعقد ؟ ولهذا لما كانت هذه زلة وفلته نشأ بسببها شركبير هلك فيه خلق كثير فانا لله وإنا إليه راجعون

أيوب بن القرية

وهي أمه واسم أبيه يزيد بن قيس بن زرارة بن مسلم النخعي الهلالي ، كان أعرايا أميا ، وكان يضرب به المثل في فصاحته وبيانه وبلاغته ، صحب الحجاج ووفد على عبد الملك ، ثم بعثه رسولا إلى ابن الأشعث فقال له ابن الأشعث : لئن لم تقم خطيبا فتخلع الحجاج لأضرب عنقك ، ففعل وأقام عنده ، فلما ظهر الحجاج استحضره وجرت له معه مقامات ومقالات في الكلام ، ثم آخر الأمر ضرب عنقه ونجم بعد ذلك على ما فعل من ضرب عنقه ، ولكن ندم حيث لا ينفعه الندم . كما قيل : وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل * وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه وابن خلكان في الوفيات وأطال ترجمته وذكر فيها أشياء حسنة ، قال : والقرية بكسر القاف وتشديد الياء وهي جدته واسمها جماعة بنت جشم قال ابن خلكان : ومن الناس من أنكر وجوده ووجود مجنون ليلى ، وابن أبي المقرب صاحب الملحمة ، وهو يحيى بن عبد الله بن أبي المقرب والله أعلم .

روح بن زنباع

ابن سلامة الجندى أبو زرعة ويقال أبو زنباع النمى داره بدمشق في طرف البزوريين عند دار

ابن عقب صاحب الملحمة . وهو تابعي جليل ، روى عن أبيه - وكانت له محبة - ونعيم الدار ، وعبادة بن الصامت ومعاوية وكعب الأبحار وغيرهم ، وعنه جماعة منهم عبادة بن نسي . كان روح عند عبد الملك كالوزير لا يكاد يفارقه ، وكان مع أبيه مروان يوم مرج راهط ، وقد أمره يزيد بن معاوية على جند فلسطين ، وزعم مسلم بن الحجاج أن روح بن زنباع كانت له محبة ، ولم يتابع مسلم على هذا القول ، والصحيح أنه تابعي وليس بصحابي ، ومن ما أثره التي تفرد بها أنه كان كلما خرج من الحمام يمتق نسيمة ، قال ابن زيد : مات سنة أربع وثمانين بالاردن ، وزعم بعضهم أنه بقي إلى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد حج مرة فقل على ماء بين مكة والمدينة فأمر فأصلحت له أطعمة مختلفة الألوان ، ثم وضعت بين يديه ، فبينما هو يأكل إذ جاء راع من الرعاة يرد الماء ، فدعاه روح بن زنباع إلى الأكل من ذلك الطعام ، فجاء الراعي فنظر إلى طعامه وقال : إني صائم ، فقال له روح : في مثل هذا اليوم الطويل الشديد الحر تصوم ياراعي ؟ فقال الراعي : أفاغبن أياي من أجل طعامك ؟ ثم إن الراعي ارتاد لنفسه مكاناً فقله وترك روح بن زنباع ، فقال روح بن زنباع : -

لقد ضللت بأيامك ياراعي * إذ جاد بها روح بن زنباع

ثم إن روحاً بكى طويلاً وأمر بتلك الأطعمة فرفعت ، وقال : انظروا هل تجدون لها آكلاً من هذه الأعراب أو الرعاة ؟ ثم سار من ذلك المكان وقد أخذ الراعي بجميع قلبه وصغرت إليه نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين

فيها كما ذكر ابن جرير كان مقتل عبد الرحمن بن الأشعث بالله أعلم ، وفيها عزل الحجاج عن إمرة خراسان يزيد بن المهلب وولى عليها أخاه المفضل بن المهلب ، وكان سبب ذلك أن الحجاج وفد مرة على عبد الملك فلما انصرف مر بدير فقيل له إن فيه شيخاً كبيراً من أهل الكتاب عالماً ، فدعى فقال : يا شيخ هل تجدون في كتبكم ما أنتم فيه وما نحن فيه ؟ قال : نعم . قال له فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجد ملكاً أقرع ، من يقيم في سبيله يهرع ، قال : ثم من ؟ قال : ثم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال ثم رجل اسمه اسم نبي يفتح به على الناس ، قال : فتعرفني له قال : قد أخبرتك بك . قال : أتعرف ما أنا ؟ قال : نعم . قال : فن يلى العراق بعدى ؟ قال رجل يقال له يزيد ، قال أنى حياتي أو بعد موتي ؟ قال لا أدري ، قال : أتعرف صفته ؟ قال يفدر غيرة لا أعرف غيرها قال : فوقع في نفس الحجاج أنه يزيد بن المهلب ، وسار سبعا وهو وجل من كلام الشيخ ، ثم بعث إلى عبد الملك يستمفنه من ولاية العراق ليعلم مكانته عنده ؟ فجاء الكتاب بالتقرير والتأنيب والتوبيخ والأمر بالثبات والاستمرار على ما هو عليه . ثم إن الحجاج جلس يوماً مفكراً واستدعى

بعبيد بن موهب فدخل عليه وهو ينكت في الأرض فرفع رأسه إليه فقال : ويحك يا عبيد ، إن أهل
المكئبل يذكرون أن ماتحت يدي سليله رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ويزيد
ابن حصين بن نمير ويزيد بن دينار وليسوا هناك ، وما هو إلا يزيد بن المهلب . فقال عبيد : لقد
شرقهم وعظمت ولايتهم وإن لهم لقدماء وجلدًا وحظًا فأخلق به . فأجمع رأى الحجاج على عزل يزيد
ابن المهلب ، فكتب إلى عبد الملك يذمه ويخوفه غدره ويخبره بما أخبره به ذلك الشيخ الكتابي ،
فجاء البريد بكتاب فيه قد أثيرت في شأن يزيد فسم رجلا يصلح لخراسان ، فوقع اختيار الحجاج
على المنفل بن المهلب فولاه قليلا تسعة أشهر ، ففزا بلاد عبس وغيرها وغنم مقام كثيرة ، وامتنحه
الشعراء ثم عزله بقتيبة بن مسلم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم بترمذ ، ثم ذكر سبب ذلك
وملخصه أنه بعد مقتل أبيه لم يبق بيده بلد يلجأ إليه بمن معه من أصحابه ، فحمل كلما اقترب من بلدة
خرج إليه ملكها فقاتله ، فلم يزل ذلك دأبه حتى نزل قريبا من ترمذ وكان ملكها فيه ضعف ، فحمل
يهادنه ويبعث إليه بالالطاف والتحف ، حتى جعل يتصيد هو وهو ، ثم عن الملك فعمل له طعاما وبعث
إلى موسى بن عبد الله بن خازم أن اثني في مائة من أصحابك ، فاختار موسى من جيشه مائة من
شجعانهم ، ثم دخل البلد فلما فرغت الضيافة اضطلع موسى في دار الملك وقال : والله لا أقوم من هنا
حتى يكون هذا المنزل منزلي أو يكون قبري : فثار أهل القصر إليه فحاجف عنه أصحابه ، ثم وقعت
الحرب بينهم وبين أهل ترمذ ، فاقتلوا قتل من أهل ترمذ خلق كثير وهرب بقيتهم ، واستدعى
موسى ببقية جيشه إليه واستحوذ موسى على البلد فخصنها ومنعها من الأعداء ، وخرج منها ملكها
هاربا فلجأ إلى إخوانه من الأتراك فاستنصرهم فقالوا له : هؤلاء قوم نجو من مائة رجل أخرجوك من
بلدك ، لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب ملك ترمذ إلى طائفة أخرى من الترك فاستنصرهم فبعثوا
معه قصادا نحو موسى ليسمعوا كلامه ، فلما أحس بقدمهم - وكان ذلك في شدة الحر - أمر أصحابه أن
يؤججوا نارا ويلبسوا ثياب الشتاء ويدنوا أيديهم من النار كأنهم يصطلون بها ، فلما وصلت إليهم الرسل
رأوا أصحابه وما يصنعون في شدة الحر فقالوا لهم : ما هذا الذي تراكم تفعلون ؟ فقالوا لهم : إنما نجد البرد
في الصيف والكر في الشتاء ، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا : ما هؤلاء بشر ، ما هؤلاء إلا جن ثم
عدوا إلى ملكهم فأخبروه بما رأوا فقالوا : لا طاقة لنا بقتال هؤلاء . ثم ذهب صاحب ترمذ فاستجلس
بطائفة أخرى فجأوا فحاصروا بترمذ وجاء الخراعي فحاصروا أيضا ، فحمل يقاتل الخراعي أول النهار
ويقاتل آخره المجمع ، ثم إن موسى بينهم قتل منهم مقتلة عظيمة وأفرغ ذلك عمر الخراعي فصله
وكان معه ، فدخل يوما عليه وليس عنده أحد ، وليس يرى معه سلاحا فقال له على وجه النصيح

أصلح الله الأمير، إن مثلك لا ينبغي أن يكون بلا سلاح، فقال: إن عندي سلاحاً، ثم رفع صدره فراشه فاذا سيفه منتصب فأخذه عمر فضربه به حتى برد وخرج هارباً، ثم تفرق أصحاب موسى بن عبيد الله بن خازم.

قال ابن جرير: وفي هذه السنة عزم عبد الملك على عزل أخيه عبد العزيز بن مروان عن إمرة الديار المصرية، وحسن له ذلك روح بن زنباع الجندابي، فبينما هما في ذلك إذ دخل عليهما قبيصة بن ذؤيب في الليل، وكان لا يحبب عنه في أي ساعة جاء من ليل أو نهار، فعزله في أخيه عبد العزيز فندم على ما كان منه من العزم على عزله، وإنما حمله على إرادة عزله أنه أراد أن يعهد بالأمر من بعده لأولاده الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وذلك عن رأى الحجاج وترتيبه ذلك لعبد الملك، وكان أبوه مروان عهد بالأمر إلى عبد الملك ثم من بعده إلى عبد العزيز، فأراد عبد الملك أن ينحيه عن الأمرة من بعده بالسكينة، ويجعل الأمر في أولاده وعقبه، وأن تكون الخلافة باقية فيهم والله أعلم.

عبد العزيز بن مروان

هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو الأصبغ القرشي الأموي ولد بالمدينة ثم دخل الشام مع أبيه مروان، وكان ولي عهده من بعد أخيه عبد الملك، وولاه أبوه إمرة الديار المصرية في سنة خمس وستين فكان والياً عليها إلى هذه السنة، وشهد قتل سعيد بن عمرو بن العاص كما قدمنا، وكانت له دار بدمشق وهي دار الصوفية اليوم، المعروفة بالخانقاه السيمساطية ثم كانت من بعده لولده عمر بن عبد العزيز، ثم تنقلت إلى أن صارت خانقاه للصوفية. وقد روى عبد العزيز بن مروان الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبه بن عامر وأبي هريرة، وحديثه عنه في مسند أحمد وسنن أبي داود أن رسول الله (ص)، قال: «شر ما في الرجل حين خالغ وشح هالغ». وعنه ابنه عمر والزهرى وعلى بن رباح وجماعة. قال محمد بن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وقال غيره: كان يلحن في الحديث وفي كلامه، ثم تعلم العربية فأقنعها وأحسنها فكان من أفصح الناس، وكان سبب ذلك أنه دخل عليه رجل يشكو ختنه - وهو زوج ابنته - فقال له عبد العزيز: من ختنك؟ فقال الرجل: خنتي الختان الذي يختن الناس، فقال لكتابه ويحك بماذا أجابني؟ فقال الكاتب: يا أمير المؤمنين كان ينبغي أن تقول من ختنك، فألى على نفسه أن لا يخرج من منزله حتى يشلم العربية، فكث جمعة واحدة فتملأها ففرج وهو من أفصح الناس، وكان بعد ذلك يجزل عطاء من يعرب كلامه وينقص عطاء من يلحن فيه، فتسارع الناس في زمانه إلى تعلم العربية. قال عبد العزيز يوماً إلى رجل: ممن أنت؟ قال: من بنو عبد الدار، فقال: تجدها في جارتك، فنفقت جارتك مائة دننا:

وقال أبو يعلى الموصلى : حدثنا مجاهد بن موسى ثنا إسحاق بن يوسف أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن القمطاع بن حكيم قال : كتب عبد العزيز بن مروان إلى عبد الله بن عمر : ارفع إلى حاجتك . فكتب إليه ابن عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول » . ولست أسألك شيئاً ولا أرد رزقا رزقنيه الله عز وجل منك . وقال ابن وهب : حدثني يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس قال : بعثني عبد العزيز بن مروان بألف دينار إلى ابن عمر قال : فبحثت فدفعت إليه الكتاب فقال : أين المال ؟ فقلت : لا أستطيعه الليلة حتى أصبح ، قال : لا والله لا يبيت ابن عمر الليلة وله ألف دينار ، قال : فدفع إلى الكتاب حتى جثته بها ففرقه رضى الله عنه .

ومن كلامه رحمه الله : محبا لمؤمن يؤمن ويوقن أن الله برزقه ويخلف عليه ، كيف يجبس مالا عن عظيم أجر وحسن ثناء . ولما حضرته الوفاة أحضر له مالٌ يحصيه وإذا هو ثلاثمائة مدين من ذهب ، فقال : والله لوددت أنه بعر خائل بنجد ، وقال : والله لوددت أنى لم أكن شيئاً مذكوراً ، ولوددت أن أكون هذا الماء الجارى ، أو نباتة بأرض الحجاز ، وقال لهم : اثبتوا بكفنى الذى تكفونى فيه ، فجعل يقول : أف لك ما أقصر طولك ، وأقل كثيرك .

قال يعقوب بن سفيان عن ابن بكير عن الليث بن سعد قال : كانت وفاته ليلة الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ست وثمانين ، قال ابن عساکر : وهذا وهم من يعقوب بن سفيان والصواب سنة خمس وثمانين ، فانه مات قبل عبد الملك أخيه ، ومات عبد الملك بعده بسنة سنة ست وثمانين . وقد كان عبد العزيز بن مروان من خيار الأمراء كريماً جواداً ممدحاً ، وهو والد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وقد اكتسب عمر أخلاق أبيه وزاد عليه بأمر كثيرة . وكان لعبد العزيز من الأولاد غير عمر ، عاصم وأبو بكر ومحمد والأصبغ - مات قبله بقليل فحزن عليه حزناً كثيراً ومرض بعده ومات . وسهيل وكان له عدة بنات ، أم محمد وسهيل وأم عثمان وأم الحكم وأم البنين وهن من أمهات شقى ، وله من الأولاد غير هؤلاء ، مات بالمدينة التى بناها على مرحلة من مصر وحمل إلى مصر فى النيل ودفن بها ، وقد ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال والابل وغير ذلك ما يعجز عنه الوصف ، من جملة ذلك ثلاثمائة مدين من ذهب غير الورق ، مع جوده وكرمه وبذله وعطاياه الجزيلة ، فانه كان من أعطى الناس للجزيل رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أخيه عبد العزيز وهو بالديار المصرية يسأله أن ينزل عن العهد الذى له من بعده لولده الوليد أو يكون ولى العهد من بعده ، فانه أعز الخلق على . فكتب إليه عبد العزيز يقول : إني أرى فى أبى بكر بن عبد العزيز ما ترى فى الوليد . فكتب

إليه عبد الملك يأمره . بحمل خراج مصر - وقد كان عبد العزيز لا يحمل إليه شيئاً من الخراج ولا غيره ، وإنما كانت بلاد مصر بكاملها وبلاد المغرب وغير ذلك كلها لعبد العزيز ، مقامها وخراجها وحملها - فكتب عبد العزيز إلى عبد الملك : إني وإياك يا أمير المؤمنين قد بلغنا سنّاً لا يبلغها أحد من أهل بيتك إلا كان بقاؤه قليلاً ، وإني لا أدري ولا تدري أينما يأتيه الموت أولاً ، فإن رأيت أن لا أعتب على بقية عمري فأفل ، فرق له عبد الملك وكتب إليه : لعمري لا أعتب عليك بقية عمرك . وقال عبد الملك لابنه الوليد : إن برد الله أن يعطيكها لا يقدر أحد من العباد على رد ذلك عنك ، ثم قال لابنه الوليد وسليمان : هل قارفتما محرماً أو حراماً قط ؟ فقالا : لا والله ، فقال : الله أكبر ، نلتماها ورب السكبة . ويقال إن عبد الملك لما امتنع أخوه من إجابته إلى ما طلب منه في بيعته لولده الوليد دعا عليه وقال : اللهم إنه قطعني فأقطعه ، فمات في هذه السنة كما ذكرنا ، فلما جاء الخبر بموت أخيه عبد العزيز ليسلا حزن وبكى وبكى أهله بكاء كثيراً على عبد العزيز ، ولكن سره ذلك من جهة ابنه فإنه نال فيها ما كان يؤمله لهما من ولايته إياهما بعده . وقد كان الحجاج بعث إلى عبد الملك يحسن له ولاية الوليد ويزيها له من بعده ، وأوفد إليه وفدًا في ذلك عليه - عمران بن عصام العنبري ، فلما دخلوا عليه قام عمران خطيباً فتسكلم وتسكلم الوفد في ذلك وحشوا عبد الملك على ذلك وأنشد عمران بن عصام في ذلك :

أمير المؤمنين إليك نهدي * على النأي التحية والسلاما
أجبتني في بئيك يكن جوابي * لهم عادية ولنا قواماً
فلو أن الوليد أطاع فيدي * جعلت له الخلافة والتماما
شبهك حول قبتة قريش * به يستمطر الناس الغماما
ومثلك في التقى لم يصب يوماً * لدن خلق القلائد والتماما
فإن تؤثر أخاك بها فانا * وجبتك لا نطيق لها اتهمنا
ولكننا نحاذر من بنيهم * بني العلات مائة سباما
ونخشى إن جعلت الملك فيهم * سحابة أن تعود لهم جهاما
فلا يك ما حلبت غداً لقوم * وبعد غد بنوك هم العماما
فأقسم لو نخطائي عصام * بذلك ما عنرت به عصامنا
ولو أني حبوت أخاً بفضل * أريد به المقالة والمقاما
لعتب في بني على بليد * كذلك أوز لمرت له مرماما
فمن يك في آثاره صدوع * فصدع الملك أبطوه التماما

قال : فهاج ذلك على أن كتب لأخيه يستنزله عن الخلافة للوليد فأبى عليه ، وقدر الله سبحانه موت عبد العزيز قبل موت عبد الملك بعام واحد ، فتمكن حينئذ مما أراد من بيعة الوليد وسليمان والله سبحانه وتعالى أعلم .

بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم من بعده لولده سليمان

وكان ذلك في هذه السنة بعد موت عبد العزيز بن مروان ، بويع له بدمشق ثم في سائر الأقاليم ثم لسليمان من بعده ، ثم لما انتهت البيعة إلى المدينة امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع في حياة عبد الملك لأحد ، فأمر به هشام بن إسماعيل نائب المدينة فضربه ستين سوطاً ، وألبسه ثياباً من شعر وأركبه جملًا وطاف به في المدينة ، ثم أمر به فذهبوا به إلى ثنية ذباب - وهي الثنية التي كانوا يصلون عندها ويقولون - فلما وصلوا إليها ردوه إلى المدينة فأودعوه السجن ، فقال لهم : والله لو أعلم أنكم لا تقتلونني لم ألبس هذا الثياب . ثم كتب هشام بن إسماعيل الخزومي إلى عبد الملك يعلمه بمخالفة سعيد في ذلك ، فكتب إليه يمنعه في ذلك ويأمره بأخراجه ويقول له : إن سعيداً كان أحق منك بصلة الرحم مما فعلت به ، وإنا لنعلم أن سعيداً ليس عنده شقاق ولا خلاف ، ويروى أنه قال له : ما يلبني إلا أن يبايع ، فإن لم يبايع ضربت عنقه أو خلعت سبيله . وذكر الواقدي أن سعيداً لما جاءت بيعة الوليد امتنع من البيعة فضربه نائبها في ذلك الوقت - وهو جابر بن الأسود بن عوف - ستين سوطاً أيضاً وسجنه فاعلم .

قال أبو مخنف وأبو معشر والواقدي : وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي نائب المدينة ، وكان على العراق والمشرق بكامله الحجاج ، قال شيخنا الحافظ الذهبي : وتوفي في هذه السنة أبان بن عثمان بن عفان أمير المدينة ، كان من فقهاء المدينة المشرة ، قاله ينجي بن القطان . وقال محمد بن سعد كان ثقة وكان به صمم ووضع كثير ، وأصابه الفالج قبل أن يموت . عبد الله ابن عامر بن ربيعة . عمرو بن حريث . عمرو بن سلمة . وائل بن الأسقع . شهد وائلة تبوك ثم شهد فتح دمشق ونزلها ، ومبجده بها عند حبس باب الصغير من القبة . قلت : وقد احترق مسجده في فتنة تمرلنك ولم يبق منه إلا رسومه ، وعلى بابه من الشرق قناة ماء . خالد بن يزيد بن معاوية . ابن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، كان أعلم قريش بفنون العلم ، وله يد طولى في الطب ، وكلام كثير في الكيمياء ، وكان قد استفاد ذلك من راهب اسمه مريانش ، وكان خالد فصيحاً بليغاً شاعراً منطقيماً كأييه ، دخل يوماً على عبد الملك بن مروان بمحضرة الحكم بن أبي العاص ، فشكى إليه أن ابنه الوليد يحترق أخاه عبد الله بن يزيد ، فقال عبد الملك : [إن المورك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة] فقال له خالد : [وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسدوا فيها فحق

عليها القول فدمرناها تدميرآ] فقال عبد الملك : والله لقد دخل على أخوك عبد الله فإذا هو لا يقيم
الحن ، فقال خالد : والويلد لا يقيم الحن ، فقال عبد الملك : إن أخاه سليمان لا يلحن ، فقال خالد :
وأنا أخو عبد الله لا ألحن ، فقال الوليد - وكان حاضراً - لخالد بن يزيد : اسكت ، فوالله ما تعد في
العير ولا في النفير ، فقال خالد : اسمع يا أمير المؤمنين ! ثم أقبل خالد على الوليد فقال : ويحك وما هو
العير والنفير غير جدى أبي سفيان صاحب العير ، وجدى عتبة بن زبيعة صاحب النفير ؟ ولكن
لو قلت غنيات وجيلات والطائف ، ورحم الله عثمان ، لقلنا صدقت - يعنى أن الحكم كان منفياً
بالطائف يرعى غنما ويأوى إلى جيلة الكرم حتى آواه عثمان بن عفان حين ولى - فسكت الوليد وأبوه
ولم يحيرا جواباً ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ففيها غزا قتيبة بن مسلم نائب الحجاج على مرو وخراسان ، بلاداً كثيرة من أرض الترك وغيرهم من الكفار ، وسبي وغنم وسلم وتسلم قلاعاً وحصونا وممالك ، ثم قفل فسبق الجيش ، فكتب إليه الحجاج يلومه على ذلك ويقول له : إذا كنت قاصداً بلاد العدو فكُن في مقدمة الجيش ، وإذا قفلت راجعاً فكُن في ساقة الجيش - يعني لتكون ردها لهم من أن ينالهم أحد من العدو وغيرهم بكيد - وهذا رأى حسن وعليه جاءت السنة ، وكان في السبي امرأة يرمك - والد خالد بن برمك - فأعطاهما قتيبة أخاه عبد الله بن مسلم فوطئها فحملت منه ، ثم إن قتيبة من على السبي ورجت تلك المرأة على زوجها وهي حبلى من عبد الله بن مسلم ، وكان ولدها عندهم حتى أسلموا فقدموا به معهم أيام بني العباس كما سيأتي . ولما رجع قتيبة إلى خراسان تلقاه دهاقين بلغار بهدايا عظيمة ، ومفتاح من ذهب .

وفيهما كان طاعون بالشام والبصرة وواسط ويسمى طاعون الفتيات ، لأنه أول ما بدأ بالنساء فسمى بذلك . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل وسبي وغنم وسلم وافتتح حصن بولق وحصن الأخرم من أرض الروم ، وفيها عقد عبد الملك لابنه عبد الله على مصر وذلك بعد موت أخيه عبد العزيز فدخلها في جمادى الآخرة ، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة . وفيها هلك ملك الروم الأخرم لوري لا رحمه الله . وفيها حبس الحجاج يزيد بن المهلب . وحج بالناس فيها هشام بن إسماعيل المخزومي . وفي هذه السنة توفى أبو أمانة الباهلي وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي في قول ، شهد فتح مصر وسكنها وهو آخر من مات من الصحابة بمصر . وفيها في شوالها توفى أمير المؤمنين .

عبد المصطفى بن محمد وولده الخلفاء المؤمنين

وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو الوليد الأموي أمير المؤمنين ،

وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية . سمع عثمان بن عفان ، وشهد الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين ، وهو أول من سار بالناس في بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميراً على أهل المدينة ، وله ست عشرة سنة ، ولله إياها معاوية ، وكان يجالس الفقهاء والعلماء والعباد والصلحاء وروى الحديث عن أبيه وجابر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عمر ومعاوية وأم سلمة وبريرة مولاة عائشة . وروى عنه جماعة منهم خالد بن معدان وعروة والزهرى وعمرو بن الحارث ورجاء بن حيوة وجري بن عثمان . ذكر عن محمد بن سيرين أن أباه كان قد سماه القاسم وكان يكنى بأبي القاسم ، ثم غير اسمه فسماه عبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة عن مصعب بن الزبير : وكان أول من سمى في الاسلام بعبد الملك ، قال ابن أبي خيثمة : وأول من سمى في الاسلام بأحمد . والد الخليل بن أحمد المروزي . وبويج له بالخلافة في سنة خمس وستين في حياة أبيه في خلافة ابن الزبير ، وبقي على الشام ومصر مدة سبع سنين ، وابن الزبير على باقي البلاد ، ثم استقل بالخلافة على سائر البلاد والأقاليم بعد مقتل ابن الزبير ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين إلى هذه السنة كما ذكرنا ذلك ، وكان مولده ومولد يزيد بن معاوية في سنة ست وعشرين ، وقد كان عبد الملك قبل الخلافة من العباد الزهاد الفقهاء الملازمين للمسجد التالين للقرآن ، وكان ربة من الرجال أقرب إلى القصر . وكانت أسنانه مشبكة بالذهب ، وكان أفوه مفتوح الفم ، فربما غفل فينتح فيه فيدخل فيه الذهب ، ولهذا كان يقال له أبو الذهب . وكان أبيض ربة ليس بالنحيف ولا البادن ، مقرون الحاجبين أشهل كبير العينين دقيق الأنف مشرق الوجه أبيض الرأس واللحية حسن الوجه لم يخضب ، ويقال إنه خضب بعد . وقد قال نافع : لقد رأيت المدينة وما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك ابن مروان ، وقال الأعمش عن أبي الزناد : كان فقهاء المدينة أربعة سعيد بن المسيب وعروة وقبيصة ابن ذؤيب وعبد الملك بن مروان قبل أن يدخل في الامارة . وعن ابن عمر أنه قال : ولد الناس أبناء وولد مروان أباً - يعني عبد الملك - وراًه يوماً وقد ذكر اختلاف الناس ، فقال : لو كان هذا الغلام اجتمع الناس عليه ، وقال عبد الملك : كنت أجالس بريدة بن الحصيب فقال لي يوماً : يا عبد الملك إن فيك خصالاً ، وإنك لجدير أن تلى أمر هذه الأمة ، فاحذر الدماء فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بشير حق » . وقد أنفى عليه قبل الولاية معاوية وعمرو بن العاص في قصة طويلة ،

وقال سعيد بن داود الزبيري عن مالك عن يحيى بن سعيد بن داود الزبيري قال : كان أول من صلى ما بين الظهر والمصر عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، فقال سعيد بن المسيب : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ، إنما العبادة التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله . وقال الشعبي :

ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه لإعبد الملك بن مروان فأني ماذا كرته حديثاً إلا زادني منه ، ولا شعرا إلا زادني فيه . وذكرك خليفة بن خياط أن معاوية كتب إلى مروان وهو نائبه على المدينة سنة خمسين أن ابعث ابنك عبد الملك على بعث المدينة إلى بلاد المغرب مع معاوية بن خديج ، فذكر من كفايته وغناؤه ومجاهدته في تلك البلاد شيئاً كثيراً . ولم يزل عبد الملك مقبلاً بالمدينة حتى كانت وقعة الحرة ، واستولى ابن الزبير على بلاد الحجاز ، وأجل بني أمية من هنالك ، فقدم مع أبيه الشام ، ثم لما صارت الإمارة مع أبيه ، وبايعه أهل الشام كما تقدم أقام في الإمارة تسعة أشهر ثم عهد إليه بالإمارة من بعده ، فاستقل عبد الملك بالخلافة في مستهل رمضان أو ربيع الأول من سنة خمس وستين ، واجتمع الناس عليه بعد مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين في جمادى الأولى إلى هذه السنة .

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي : لما سلم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف فأطبقه وقال : هذا فراق بيني وبينك . وقال أبو الطفيل : صنع لعبد الملك مجلس توسع فيه ، وقد كان بنى له فيه قبة قبل ذلك ، فدخله وقال : لقد كان حشمة الأحوازى - يعني عمر بن الخطاب - يرى أن هذا عليه حرام ، وقيل إنه لما وضع المصحف من حجره قال : هذا آخر العهد منك . وكان عبد الملك له إقدام على سفك الدماء ، وكان حازماً فها فطنا سائساً لأُمُور الدنيا ، لا بكل أمر دنياه إلى غيره وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبوها معاوية هو الذي جدد أنف حمزة عم النبي . يوم أحد ، وقال سعيد بن عبد العزيز : لما خرج عبد الملك إلى العراق لقتال مصعب بن الزبير خرج معه يزيد بن الأسود الجرشى ، فلما التقوا قال : اللهم احجز بين هذين الجبلين وول الأمر أحبهما إليك . فظفر عبد الملك - وقد كان مصعب من أعز الناس على عبد الملك - وقد ذكرنا كيفية قتله مصعباً . وقال سعيد بن عبد العزيز : لما بويع لعبد الملك بالخلافة كتب إليه عبد الله بن عمر بن الخطاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عمر إلى عبد الملك أمير المؤمنين ! سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فانك راع وكل راع مسئول عن رعيته [الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً] لا أحد والسلام . وبعث به مع سلام فوجدوا عليه إذ قدم اسمه على اسم أمير المؤمنين ، ثم نظروا في كتبه إلى معاوية فوجدوها كذلك ، فاحتملوا ذلك منه .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ميسرة عن أبي موسى الخياط عن أبي كعب قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول : يا أهل المدينة أنا أحق الناس أن يلزم الأمر الأول ، وقد سألت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق ولا نعرفها ولا نعرف منها إلا قراءة القرآن ، فآلزموا ما في مصحفكم

الذى حملكم عليه الامام المظلوم ، وعليكم بالفرائض التى جمعكم عليها امامكم المظلوم رحمه الله ، فانه قد استشار فى ذلك زيد بن ثابت ونعم المشير كان للاسلام رحمه الله ، فأحكما ما أحكما ، واستقصيما شدة عنهما . وقال ابن جريج عن أبيه : حج علينا عبد الملك سنة خمس وسبعين بعد مقتل ابن الزبير بعامين ، فخطبنا فقال : أما بعد فإنه كان من قبلى من خلفاء يأتون من المال ويأتون ، وإني والله لا أدأوى أدواء هذه الأمة إلا بالسيف ، ولست بالخليفة للمستضعف - يعنى عثمان - ولا الخليفة المداهن - يعنى معاوية - ولا الخليفة المأبون - يعنى يزيد بن معاوية - أيها الناس إنا نحتمل منكم كل الفرة ما لم يكن عقد راية أو ثوب على منبر . هذا عمرو بن سعيد حقه حقه ، قرابته وابنه ، قال برأسه هكذا فقلنا بسيفك هكذا ، وإن الجامعة التى خلمها من عنقه عندى ، وقد أعطيت الله عهداً أن لا أضعها فى رأس أحد إلا أخرجها الصعداء ، فليبلغ الشاهد الغائب . وقال الأصمى : ثنا عبد بن سلم بن عثمان بن زياد عن أبيه عن جده . قال : ركب عبد الملك بن مروان بكرأ فأنشأ قائده يقول : -
يا أيها البكر الذى أراك * عليك سهل الأرض فى ممشاك
ويحك هل تعلم من علاك * خليفة الله الذى امتطاك
* لم يحب بكرأ مثل ما حباك *

فلما سمعه عبد الملك قال : أيها يا هناه ، قد أمرت لك بعشرة آلاف . وقال الأصمى : خطب عبد الملك حصر فقال : إن اللسان بضعة من الانسيان ، وإنا نسكت حصراً ولا نتطق هذراً ، ونحن أمراء الكلام ، فينارسخت عروقه ، وعلينا تدلت أغصانه ، وبعد مقامنا هذا مقام ، وبعد عينا هذا مقال ، وبعد يومنا هذا أيام ، يعرف فيها فصل الخطاب وموضع الصواب . قال الأصمى : قيل لعبد الملك أسرع إليك الشيب ، فقال : وكيف لا وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين ؟ وقال غيره قيل لعبد الملك : أسرع إليك الشيب ، فقال : وتنسى ارتقاء المنبر وخفاة اللحن ؟ ولحن رجل عند عبد الملك - يعنى أسقط من كلامه ألفاً - فقال له عبد الملك زد ألف ، فقال الرجل : وأنت فزد ألفاً ، وقال الزهرى : سمعت عبد الملك يقول فى خطبته : إن العلم سيقبض قبضاً سريعاً ، فمن كان عنده علم فليظهره غير غالى فيه ولا جاف عنه ، وروى ابن أبى الدنيا أن عبد الملك كان يقول لمن يسأله فى سفره : إذا رفعت له شجرة ، سبهوا بنا حتى نأتى تلك الشجرة ، كبروا بنا حتى نأتى تلك الحجرة ، ونحو ذلك .

وروى البيهقى أن عبد الملك وقع منه فلس فى بئر فندرة فاكترى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها ، فقيل له فى ذلك فقال : إنه كان عليه اسم الله عز وجل . وقال غير واحد : كان عبد الملك إذا جلس للقضاء بين الناس يقوم السيفون على رأسه بالسيف فينشد ، وقال بعضهم : يأمر من ينشديقول :

إنا إذا نالت دواعي الهوى * وأنصت السامع للقائل
واضطرع الناس بألبابهم * نقضى بحكم عادل فاصل
لأنجمل الباطل حقاً ولا * نلفظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أعلامنا * فنجهل الحق مع الجاهل

وقال الأعمش: أخبرني محمد بن الزبير أن أنس بن مالك كتب إلى عبد الملك يشكو الحجاج ويقول في كتابه: لو أن رجلاً خدم عيسى بن مريم أو رآه أو صحبه تعرفه النصراني أو تعرف مكانه لما جرت إليه ملوكهم، ولتنزل من قلوبهم بالمنزلة العظيمة، ولعرفوا له ذلك، ولو أن رجلاً خدم موسى أو رآه تعرفه اليهود لفعلوا به من الخير والمحبة وغير ذلك ما استطاعوا، وإني خادم رسول الله (ص)، وصاحبه ورأيت وأكلت معه، ودخلت وخرجت وجاهدت معه أعداءه، وإن الحجاج قد أضربني وفعل وفعل، قال: أخبرني من شهد عبد الملك يقرأ الكتاب وهو يبكي وبلغ به الغضب ما شاء الله، ثم كتب إلى الحجاج بكتاب غليظ، فجاء إلى الحجاج فقرأه فتغير ثم قال إلى حامل الكتاب: انطلق بنا إليه نرضاه. وقال أبو بكر بن دريد: كتب عبد الملك إلى الحجاج في أيام ابن الأشعث: إنك أعز ما تكون بالله أحوج ما تكون إليه، وأذل ما تكون للمخلوق أحوج ما تكون إليهم، وإذا عزيت بالله فاعف له، فانك به تعز وإليه ترجع. قال بعضهم: سأل رجل من عبد الملك أن يخلو به فأمر من عنده بالانصراف، فلما خلا به وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك: احذر في كلامك ثلاثاً، إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك، أو تكذبني فإنه لا أرى لكنب، أو تسمى إلى بأحد من الرعية فانهم إلى عبدلى وعفوى أقرب منهم إلى جورى وظللى، وإن شئت أقلتك. فقال الرجل: ألقني فأقاله. وكذا كان يقول للرسول إذا قدم عليه من الآفاق: اعفني من أربع وقل ما شئت، لا تطرنى، ولا تنجبنى فيما لا أسألك عنه، ولا تكذبني، ولا تحملى على الرعية فانهم إلى رأفتي ومعدلتى أحوج. وقال الأصمعي عن أبيه قال: أتى عبد الملك برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال: اضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين ما كان هذا جزائي منك، فقال: وما جزاؤك؟ فقال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك، وذلك أتى رجل مشثوم ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت، وكنت عليك خيراً من مائة ألف معك تنصحك، لقد كنت مع فلان ففسكر وهزم وتفرق جمعه، وكنت مع فلان فقتلته، وكنت مع فلان فهزم - حتى عد جماعة من الأمراء - فضحك وخلق سبيله. وقيل لعبد الملك: أى الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن رفة وزهد عن قدرة، وترك النصرة عن قوة. وقال أيضاً لا طمأنينة قبل الخبرة، فان الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم. وقال: خير المال ما أفاد جسداً ودفع ذماً، ولا يقولن أحدكم ابدأ بمن تعول، فان

أخلق كلهم عيال الله ، وينبئ أن يحمل هذا على غير ما ثبت به الحديث . وقال المدائني : قال عبد الملك لمؤدب أولاده - وهو إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، وجنبهم السفلة فانهم أسوأ الناس رغبة في الخير وأقلهم أدبا ، وجنبهم الحشم فانهم لهم مفسدة ، واحف شموهم تغلف رقابهم ، وأطعمهم اللحم يقووا ، وعلمهم الشعر يجدوا وينجدوا ، ومرهم أن يستأكروا عرضا ، ويمصوا الماء مضاً ، ولا يعبوا عباً ، وإذا احتجت أن تتناولهم فتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم بهم أحد من الناشئة فيهنوا عليهم .

وقال الهيثم بن عدي : أذن عبد الملك للناس في الدخول عليه إذاً خاصاً ، فدخل شيخ رث الهيئة لم يأبه له الحرس ، فألقى بين يدي عبد الملك صحيفة وخرج فلم يدر أين ذهب ، وإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا أيها الانسان إن الله قد جعلك بينه وبين عباده فاحكم بينهم [بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب] [ألا يفتن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين] [ذلك يوم مجوع له الناس وذلك يوم مشهود] [وما يؤخره إلا لأجل معدود] إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لنفرك ما وصل إليك ، [فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا] وإني أحذرك يوم ينادى المنادى [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم] [ألا لعنة الله على الظالمين] قال فتغير وجه عبد الملك فدخل دار حرمة ولم تنزل السكابة في وجهه بعد ذلك أياماً . وكتب زر بن حبیش إلى عبد الملك كتاباً وفي آخره : ولا يطمعك يا أمير المؤمنين في طول البقاء ما يظهر لك في صحتك فأنت أعلم بنفسك واذا ذكر ماتكلم به الأولون إذا الرجال ولدت أولادها * وبليت من ركبر أجسادها وجعلت أسقامها تمنادها * تلك زروع قد كذا حصاها

فلما قرأه عبد الملك بكى حتى بل طرف نوبه ، ثم قال : صدق زر ، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق . وصنع عبد الملك جماعة من أصحابه يذكرون سيرة عمر بن الخطاب فقال : أنهى عن ذكر عمر فانه مرارة للامراء مفسدة للرعية . وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى القبانى عن أبيه عن جده قال : كان عبد الملك يجلس في حلقة أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق ، فقالت له : بلغنى أنك شربت الطلا بعد العبادة والنسك ، فقال : إى والله ، والدما أيضاً قد شربتها . ثم جاءه غلام كان قد بعثه في حاجة فقال : ما حبسك لعنة الله ؟ فقالت أم الدرداء : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإني سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله - يقول : « لا يدخل الجنة لعان » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : ثنا الحسين بن عبد الرحمن قال قيل لسعيد بن المسيب : إن عبد الملك بن مروان قال قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ، ولا أحزن على السيئة أرتكبها ، فقال سعيد : الآن تكامل موت قلبه .

وقال الأصمعي عن أبيه عن جده قال خطب عبد الملك يوماً خطبة بليغة ثم قطعها وبكى بكاء شديداً ثم قال : يارب إن ذنوبي عظيمة ، وإن قليل عفوك أعظم منها ، اللهم فامح بقليل عفوك عظيم ذنوبي . قال : فبلغ ذلك الحسن فبكى وقال : لو كان كلام يكتب بالذهب لكتب هذا الكلام ، وقد روى عن غير واحد نحو ذلك ، أي أنه لما بلغه هذا الكلام قال مثل ما قال الحسن . وقال مسهر الدمشقي : وضع سباط عبد الملك يوماً بين يديه فقال لحاجبه : ائذن لخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال : مات يا أمير المؤمنين ، قال : فلا يبه عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال : مات ، قال : فلخالد بن يزيد ابن معاوية ، قال : مات ، قال فلفلان وفلان - حتى عد أقواماً قد ماتوا وهو يعلم ذلك قبلنا - فأمر برفع السباط وأنشأ يقول :

ذَهَبَتْ لَهَا قِيٌّ وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ * وَغَبَرَتْ بَعْدَهُمْ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ

وقيل : إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى فقال له عبد الملك : ما هذا ؟ أتحزن حين الجارية والأمة ؟ إذا أنا مت فشمروا ترزروا والبس جلد النمر ، وضع الأمور عند أقرانها ، واحذروا قريشا . ثم قال له : يا وليد اتق الله فيما أستخلفك فيه ، واحفظ وصيقي ، وانظر إلى أخى معاوية فصل رحمه واحفظني فيه ، وانظر إلى أخى محمد فأمره على الجزيرة ولا تمزله عنها ، وانظر إلى ابن عمنا علي بن عباس فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته وله نسب وحق فصل رحمه واعرف حقه ، وانظر إلى الحجاج بن يوسف فأكرمه فإنه هو الذي مهد لك البلاد وقهر الأعداء وخلص لكم الملك وشقت الخوارج ، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة وكونوا أولاد أم واحدة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، والمعروف مناراً ، فإن الحرب لم تكن منية قبل وقتها ، وإن المعروف يشهد ذكر صاحبه ويميل القلوب بالحببة ، ويدلل الألسنة بالذكر الجليل ، والله در القائل :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا * بِالْكَسْرِ ذُو حَقٍّ وَبَطْشٍ مِنْدِرٍ
عَزَّتْ فَلَمْ تَكْسِرْ وَإِنْ هِيَ بَدَّدَتْ * فَالْكَسْرُ وَالْتَوَهُينُ الْمُنْبَدِرُ

ثم قال : إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك فنأبى بالسيف ، وعليك بالاحسان إلى أخواتك فأكرمن وأحببن إلى طاعة - وكان قد أعطاها قرطى مارية والدة البقيعة - ثم قال : اللهم احفظني فيها . فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها .

ولما احتضر سمع غسالا يفسل الثياب فقال : ما هذا ؟ فقالوا غسال ، فقال : يا ليتني كنت غسالا أكتب ما أعيش به يوماً بيوم ، ولم آل الخلافة . ثم تمثل فقال : -

لمصرى لقد عمرت في الملك برهة * ودانت لي الدنيا بوقع البوانير
وأعطيت حرّ المال والحكم والنهي * ولي سلمت كلّ الملوك الجبابير

فأضحى الذى قد كان مما يسرى * كحل مضى فى المزمّناتِ النوايرِ
فيا ليتنى لم أعن بالملكِ ليلته * ولم أسع فى لذاتِ عيشِ نواصيرِ
وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبى سفيان عند موته .

وقال أبو مسهر : قيل لعبد الملك فى مرض موته : كيف تجيدك ؟ فقال أجندنى كما قال الله تعالى
[ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم] الآية . وقال
سميد بن عبد العزيز : لما احتضر عبد الملك أمر بفتح الأبواب من قصره ، فلما فتحت سمع قصاراً
بالوادي فقال : ما هذا ؟ قالوا قصار ، فقال : يا ليتنى كنت قصاراً أعيش من عمل يدي ، فلما بلغ
سميد بن المسيب قوله قال : الحمد لله الذى جعلهم عند موتهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم . وقال :
لما حضرته الموت جعل ينلم وينعب ويضرب بيده على رأسه ويقول : وددت أنى اكتسبت قوى
يوماً بيوم واشتغلت بعبادة ربى عز وجل وطاعته . وقال غيره : لما حضرته الوفاة دعا بنيه فوصام
ثم قال : الحمد لله الذى لا يسأل أحداً من خلقه صغيراً أو كبيراً ثم يمشد : -

فهل من خالٍ إمّا هلكنّا * وهل بالموتِ للباقيين غارُ

وروى أنه قال : ارفقونى ، فرضوه حتى شم الهواء ، وقال : يادنيا ما أطيبك ! إن طويك لقصير ،
وإن كثيرك لحقير ، وإنا كنا بك لى غرور ، ثم تمثل بهذين البيتين :

إن تناقضش يكن نقاشك ياربى * عذاباً لا طوق لي بالعذاب

أو تجاوزت فأنت رب صفوح * عن مسية ذنوبه كالتراب

قالوا : وكانت وفاته بدمشق يوم الجمعة وقيل يوم الأربعاء وقيل الخميس ، فى النصف من شوال
سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنه الوليد ولى عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة . قاله
أبو معشر وصححه الواقدي ، وقيل ثلاثاً وستين سنة . قاله المدائني ، وقيل ثمانى وخسين . ودفن بباب
الجابية الصغير ، قال ابن جرير : ذكر أولاده وأزواجه منهم الوليد وسليمان ومروان الأكبر درج
وعائشة ، وأمه ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن
مازن بن الحارث بن قطيمة بن عباس بن بغيض ، وبزید ومروان الأصغر ومعاوية درج وأم كلثوم
وأُمهم عائشة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، وهشام وأمه أم هشام عائشة - فيها قاله المدائني -
بنت هشام بن إسماعيل الخزومى . وأبو بكر واسمه بكار وأمه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبيد الله
التيسى ، والحكم درج وأمه أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان الأموى ، وطاطمة وأُمها المنيرة
بنت المنيرة بن خالد بن المص بن هشام بن المنيرة الخزومى . وعبد الله ومسلّة والمنذر وعنبسة
ومحمد وسعد الخليل والحجاج لأمهات أولاد شتى ، فكان جنلة أولاده تسعة عشر ذكراً وإنا ،

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة ، منها تسع سنين مشاركا لابن الزبير ، وثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر ونصف مستقلا بالخلافة وحده . وكان قاضيه أبو إدريس الخولاني ، وكتبه روح بن زنباع ، وحاجبه يوسف مولاة ، وصاحب بيت المال والخاتم قبيصة بن ذؤيب . وعلى شرطه أبو الزعزعة . وقد ذكرنا عماله فيما مضى . قال المدائني : وكان له زوجات آخر ، شقراء بنت سلمة بن حلبس الطائي ، وابنة لعل بن أبي طالب ، وأم أبيها بنت عبد الله بن جعفر . ومن يذكر أنه توفي في هذه السنة تقريبا .

أرطاة بن زفر

ابن عبد الله بن مالك بن شداد بن ضمرة بن غفغان بن أبي حارثة بن مرة بن شبة بن نبط بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان الوليد المري ، ويعرف بأبن شبة ، وهي أمه بنت زامل بن مروان بن زهير بن ثعلبة بن خديج بن جشم بن كعب بن عون بن عامر بن عوف - سبية من كلب - وكانت عند ضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زفر وهي حامل فأتت بأرطاة على فراشه ، وقد عمر أرطاة دهرآ طويلا حتى جاوز المائة بثلاثين سنة ، وقد كان سيديا شريفا مطاعا ممدحا شاعرا مطبقا قال المدائني : ويقال إن بني غفغان بن حنظلة بن وواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث دخلوا في بني مرة بن شبة فقالوا بني غفغان بن أبي حارثة بن مرة . وقد وفد أبو الوليد أرطاة بن زفر هذا على عبد الملك فأأنشده أبياتا : -

رأيت المرء تأكله الليالي • كأكل الأرض ساقطة الحديد

وماتني النية حين تأتي • على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكوث حتى • توفي نذرهما بأبي الوليد

قال : فارتاع عبد الملك وظن أنه عناء بذلك فقال يا أمير المؤمنين إنما عنيت نفسي ، فقال عبد الملك : وأنا والله سيمري ما ألقى يمر بك ، وزاد بعضهم في هذه الايات : -

خلقنا أفضأ وبني نفوس • ولسنا بالسلام ولا الحديد

لئن أجمت بالقرناء يوما • لقد تمت بالأملر البعيد

وهو القاتل وإني لقوام لدى الضيف موهنا • إذا أسبل الستر البخيل المواقيل

دعا فاجأته كلاب كثيرة • على ثقيمي مني بأني فاعل

وما دون ضيفي من تلاليموزة • لي النفس إلا أن تصان الحلاليل

مطرف بن عبد الله بن الشخير

كان من كبار التابعين ، وكان من أصحاب عمران بن حصين ، وكان مجلب الهذيرة ، وكان يقول ما أوتى أحد أفضل من العقل ، وعقول الناس على قدر ذواتهم . وقال : إذا استوت سريرة العبد

وعلايته قال الله هذا عبدي حقاً . وقال : إذا دخلتم على مريض فإن استطعتم أن يدعوا لكم فإنه قد حرّك - أي قد أوقف من غفلته بسبب مرضه - فدعاؤه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه . وقال : إن أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة .

خلافة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق

لما رجع من دفن أبيه خارج باب الجابية الصغير - وكان ذلك في يوم الخميس وقيل الجمعة للنصف من شوال من هذه السنة - لم يدخل المنزل حتى صعد المنبر - منبر المسجد الأعظم بدمشق - فخطب الناس فكان مما قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله المستعان على مصيبتنا في أمير المؤمنين ، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة ، قوموا فبايعوا . فكان أول من قام إليه عبد الله بن همام السلولي وهو يقول : -

الله أعطاك التي لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها * إليك حتى قلدوك طوقها

ثم بايحه وبايع الناس بعده . وذكر الواقدي أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه لا مقدم ليما أقر الله ، ولا مؤخر لما قدم الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقته ما كتبه على أنبيائه وحمله عرشه وملائكته الموت ، وقد صار إلى منازل الأبرار بما لا فاه في هذه الأمة - يعنى بالذي يحق لله عليه - من الشدة على المريب واللين لأهل الحق والفضل وإقامة ما أقام الله من منار الاسلام وإعلانه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن هذه الفارات على أعداء الله عز وجل فلم يكن عاجزاً ولا منوطاً ، أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد ، أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكنت مات بدائه . ثم نزل فنظر ما كان من دواب الخلافة فخارها . وكان جباراً عنيداً . وقد ورد في ولاية الوليد حديث غريب ، وإنما هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما سيأتي ، وكما تقدم تقريره في دلائل النبوة في باب الاخبار عن الغيوب المستقبلية ، فيما يتعلق بدولة بني أمية ، وأما الوليد بن عبد الملك هذا فقد كان صينياً في نفسه حازماً في رأيه ، يقال إنه لا تعرف له صبوة ، ومن جملة محاسنه ما رجع عنه أنه قال : لولا أن الله قص لنا قصة قوم لوط في كتابه ما ظننا أن ذكر آ كان يأتي ذكر آ كما توتى النساء ، كما سيأتي ذلك في ترجمته عند ذكر وفاته ، وهو باني مسجد جامع دمشق الذي لا يعرف في الآفاق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنائه في ذي القعدة من هذه السنة ، فلم يزل في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهي عشر سنين ، فلما أنهاه انتهت أيام خلافته كما سيأتي بيان ذلك مفصلاً . وقد كان موضع هذا المسجد كنيسة يقال لها كنيسة يوحنا ، فلما فتحت الصحابة دمشق جعلوها مناصفة ، فأخذوا منها الجانب الشرقي فحولوه مسجداً ، وبقي الجانب الغربي كنيسة

بحاله من لدن سنة أربع عشرة إلى هذه السنة ، فعزم الوليد على أخذ بقية الكنيسة منهم وعوضهم عنها كنيسة مريم لدخولها في جانب السيف ، وقيل عوضهم عنها كنيسة نوما ، وهدم بقية هذه الكنيسة وأضافها إلى مسجد الصعابة ، وجعل الجميع مسجداً واحداً على هيئة بديعة لا يعرف كثير من الناس أو أكثرهم لها نظيراً في البهنيان والزينات والآثار والمعالمات ، والله سبحانه أعلم .
ثم دخلت سنة سبع وثمانين

ففيها عزل الوليد بن عبد الملك هشام بن إسماعيل عن إمرة المدينة وولى عليها ابن عمه وزوج أخته فاطمة بنت عبد الملك عمر بن عبد العزيز ، فدخلها على ثلاثين بغيراً في ربيع الأول منها ، فنزل دار مروان وجاء الناس للسلام عليه ، وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وأبو بكر بن سليمان بن خيشمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وأخوه عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، وعبيد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . فدخلوا عليه فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعواناً على الحق ، إني لا أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحداً يتعدى أو يلفسكم عن عامل لي ظلالة ، فأخرج على من بلغه ذلك إلا بلفني . فخرجوا من عنده يمجزون خيراً ، وافترقوا على ذلك . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بأن يوقف هشام بن إسماعيل للناس عند دار مروان - وكان يسمى الرأي فيه - لأنه أساء إلى أهل المدينة في مدة ولايته عليهم ، وكانت نحواً من أربع سنين ، ولاسبها إلى سعيد بن المسيب وعلى بن الحسين . قال سعيد بن المسيب لابنه ومواليه : لا يعرض منكم أحد لهذا الرجل في ترك ذلك لله وللرحم . وأما كلامه فلا أكلمه أبداً ، وأما على بن الحسين فانه مر به وهو موقوف فلم يتعرض له وكان قد تقدم إلى خاصته أن لا يعرض أحد منهم له ، فلما اجتاز به ونجاوزه ناداه هشام الله يعلم حيث يجعل رسالته

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وفتح حصونا كثيرة وغنم غنائم جمة ، ويقال إن الذي غزا بلاد الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ففتح حصن بولق ، وحصن الأخرم ، وبحيرة الفرسان ، وحصن بولس ، وقيقم ، وقتل من المستعربة نحواً من ألف وسبى ذراريهم . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الترك وصالحه ملكهم نيزك على مال جزيل ، وعلى أن يطلق كل من يبلده من أسارى المسلمين ، وفيها غزا قتيبة بيكند فاجتمع له من الأتراك عندها بشر كثير وجم غفير ، وهي من أعمال بخارى ، فلما نزل بأرضهم استنجدوا عليه بأهل الصند ومن

حولهم من الأتراك ، فأتوهم في جمع عظيم فأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق ، فتوافق هو وهم قريباً من شهرين وهو لا يقدر أن يبعث إليهم رسولا ولا يأتيه منهم رسول ، وأبطأ خبره على الحجاج حتى خاف عليه وأشفق على من معه من المسلمين من كثرة الأعداء من الترك ، فأمر الناس بالدعاء لهم في المساجد وكتب بذلك إلى الأمصار ، وقد كان قتيبة ومن معه من المسلمين يقتلون مع الترك في كل يوم ، وكان لقتيبة عين من المعجم يقال له تندر ، فأعطاه أهل بخارى مالا جزيلاً على أن يأتي قتيبة فيخله عنهم ، فجاء إليه فقال له : أخلصني ، فأخلاه فلم يبق عنده سوى رجل يقال له ضرار بن حصين ، فقال له تندر : هذا عامل يقدم عليك سرياً بمزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ، فقال قتيبة لمولاه سياه اضرب عنقه فقتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحد سمع هذا غيري وغيرك وإني أعطى الله عهداً إن ظهر هذا حتى ينقضي حربنا ألحقك به ، فاملك علينا لسانك ، فان انتشر هذا في مثل هذا الحال ضعف في أعضاد الناس ونصرة للأعداء ، ثم نهض قتيبة فخرض الناس على الحرب ، ووقف على أصحاب الرايات يحرضهم ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ثم أنزل الله على المسلمين الصبر فما انتصف النهار حتى أنزل الله عليهم النصر فهزمت الترك هزيمة عظيمة ، واتبعهم المسلمون يقتلون فيهم ويأسرون ماشواً ، واعتصم من بقي منهم بالمدينة ، فأمر قتيبة الفعلة بهدمها فسألوه الصلح على مال عظيم فصالحهم ، وجعل عليهم رجلاً من أهله وعنده طائفة من الجيش ثم سار راجعاً ، فلما كان منهم على خمس مراحل نقضوا العهد وقتلوا الأمير وجدعوا أنوف من كان معه ، فرجع إليها وحاصرها شهراً . وأمر النقباءين والفعلة فملقوا سورها على الخشب وهو يريد أن يضرم النار فيها ، فسقط السور فقتل من الفعلة أربعين نفساً ، فسألوه الصلح فأبى ، ولم يزل حتى افتتحها فقتل المقاتلة وسبي الذرية وغنم الأموال ، وكان الذي ألب على المسلمين رجل أعور منهم ، فأمر فقال أأنا أفندي نفسي بخمسة أبواب صينية قيمتها ألف ألف ، فأشار الأمراء على قتيبة بقبول ذلك منه ، فقال قتيبة : لا والله لا أروع بك مسامحة ثانية ، وأمر به فضربت عنقه . وهذا من الزهد في الدنيا ، ثم إن الفتناء سيدخل فيها ما أراد أن يقتدى به نفسه فان المسلمين قد غنموا من ييكند شيئاً كثيراً من آنية الذهب والفضة والأصنام من الذهب ، وكان من جملة ما صنم سبك فخرج منه مائة ألف وخمسون ألف دينار من الذهب فوجدوا في خزائن الملك أموالاً كثيرة وسلاحاً كثيراً وعدداً متنوعاً ، وأخذوا من السبي شيئاً كثيراً ، فكتب قتيبة إلى الحجاج يسأله أن يعطى ذلك للجند فأذن له فتمول المسلمون وتقوا على قتال الأعداء ، وصار لكل واحد منهم مال مستكثر جداً ، وصارت لهم أسلحة وعدد وخيول كثيرة ففروا بذلك قوة عظيمة والله الحمد والمنة .

وقد حجج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز نائب المدينة ، وقاضيه بها أبو بكر بن محمد بن

عمر بن حزم ، وعلى العراق والمشرق بكاله الحجاج ، ونائبه على البصرة الجراح بن عبد الله الحكمي
وقاضيه بها عبد الله بن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جري بن عبد الله البجلي ، وقاضيه بها
أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، ونائبه على خراسان وأعمالها قتيبة بن مسلم . وفيها توفي من الأعيان :

عتبة بن عبد السلمي

صحابي جليل ، نزل حصص ، يروى أنه شهد بني قريظة ، وعن العرابي أنه كان يقول هو خير
من أسلم قبلي بسنة . قال الواقدي وغيره : توفي في هذه السنة ، وقال غيره بعد التسمين والله أعلم .
قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان عتبة بن عبد السلمي من أهل الصفة . وروى بقية عن مجير
ابن سعد عن خالد بن معدان عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن رجلاً يجر على
وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة » . وقال إسماعيل بن عياش عن
عقيل بن مدرك عن لقمان بن عامر عن عتبة بن عبد السلمي قال : اشتكيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العرى فكساني خيشتين فلقد رأيتني وأنا أكسى الصحابة

المقدام بن معدي كرب

صحابي جليل ، نزل حصص أيضاً ، له أحاديث ، وروى عنه غير واحد من التابعين . قال محمد
ابن سعد والفلاس وأبو عبيدة : توفي في هذه السنة ، وقال غيرهم : توفي بعد التسمين والله أعلم .

أبو امامة الباهلي

واحد صدق بن عجلان ، نزل حصص ، وهو راوي حديث « تلقين الميت بعد الدفن » رواه
الطبراني في الدعاء ، وقد تقدم له ذكر في الوفيات .

قبيصة بن زؤيب

أبو سفيان الخزاعي المدني ، ولد عام الفتح وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ، ليدعوه ، وروى عن جماعة كثيرة
من الصحابة ، وأصيب عينه يوم الحرة ، وكان من فقهاء المدينة ، وكانت له منزلة عند عبد الملك ،
ويدخل عليه بغير إذن ، وكان يقرأ الكتب إذا وردت من البلاد ثم يدخل على عبد الملك فيخبره
بما ورد من البلاد فيها ، وكان صاحب سره ، وكان له دار بدمشق بباب البريد ، وتوفي بدمشق .

عروة بن المغيرة بن شعبة

ولي إمرة الكوفة للحجاج ، وكان شريفاً ليدياً مطاعاً في الناس ، وكان أحول . توفي بالكوفة
(بمجي بن يعمر) ، كان قاضي مرو ، وهو أول من نقط المصاحف ، وكان من فضلاء الناس وعلمائهم
وله أحوال ومعاملات ، وله روايات ، وكان أحد الفصحاء ، أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي .

شريح بن الحارث بن قيس القاضى

أدرك الجاهلية ، واستضاءه عمر على الكوفة فذكر بها قاضياً خمساً وستين سنة ، وكان عالماً عادلاً كثير الخير ، حسن الأخلاق ، فيه دعابة كثيرة ، وكان كوسجاً لا شعر بوجهه . وكذلك كان عبد الله بن الزبير ، والأحنف بن قيس ، وقيس بن سعد بن عباد ، وقد اختلف في نسبه وسنه وعام وفاته على أقوال ، ورجح ابن خلكان وفاته في هذه السنة .

قلت : قد تقدمت ترجمة شريح القاضى في سنة ثمان وسبعين بما فيها من الزيادة الكثيرة غير ما ذكره المؤلف هنا وهناك ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

فيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتحا بمن معهما من المسلمين حصن طوانه في جمادى من هذه السنة . وكان حصيناً منيعاً . أقتل الناس عنده قتلاً عظيماً ثم حمل المسلمون على النصارى فهزمهم حتى أدخلوهم الكنيسة ، ثم خرجت النصارى فحملوا على المسلمين فانهزم المسلمون ولم يبق أحد منهم في موقفه إلا العباس بن الوليد ومعه ابن محيريز الجهمى ، فقال العباس لابن محيريز : أين قراء القرآن الذين يريدون وجه الله عز وجل ؟ فقال : نادهم يأتوك ، فنادى يا أهل القرآن ، فراجع الناس فحملوا على النصارى فكسروهم ولجأوا إلى الحصن فحاصروهم حتى فتحوه .

وذكر ابن جرير أنه في شهر ربيع الأول من هذه السنة قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوى وإضافة حجر أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبلته وسائر نواحيه ، حتى يكون مائتى ذراع في مائتى ذراع ، فمن باعك ملكه فاشتره منه وإلا فقومه له قيمة عدل ثم أهدمه وادفع إليهم أثمان بيوتهم ، فان لك في ذلك سلف صدق عمر وعثمان . فجمع عمر بن عبد العزيز وجوه الناس والفقهاء العشرة وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين الوليد ، فشق عليهم ذلك وقالوا : هذه حجر قصيرة السقف ، وسقفها من جريد النخل ، وحيطانها من اللبن ، وعلى أبوابها المسوح . وتركها على حالها أولى لينظر إليها الحجاج والزوار والمسافرون ، وإلى بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيفتنعوا بذلك ويعتبروا به ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى الزهد في الدنيا ، فلا يعمرن فيها إلا بقدر الحاجة وهو ما يستر ويكن ، ويعرفون أن هذا البليان العالى إنما هو من أعمال الفراغة والأكسرة ، وكل طويل الأمل راغب في الدنيا وفي الخلود فيها . فعند ذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء العشرة المتقدم ذكرهم ، فأرسل إليه يأمره بالخراب وبناء المسجد على ما ذكر ، وأن يعلى سقوفه . فلم يجد عمر بداً من هدمها ، ولما شرعوا في الهدم صاح الأشراف وجوه الناس من بنى هاشم وغيرهم ،

وتبنا كوا مثل يوم مات النبي (ص)، وأجاب من له ملك مناخم للمسجد للبيع فاشترى منهم ، وشرع في بنائه وشمر عن إزاره واجتهد في ذلك ، وأرسل الوليد إليه فعولا كثيرة ، فأدخل فيه الحجرة النبوية - حجرة عائشة - فدخل القبر في المسجد ، وكانت حده من الشرق وسائر حجر أمهات المؤمنين كما أمر الوليد ، وروينا أنهم لما حفروا الحائط الشرق من حجرة عائشة بدت لهم قدم فحشوا أن تكون قدم النبي (ص)، حتى تحققوا أنها قدم عمر رضى الله عنه ، ويحكى أن سعيد بن المسيب أنكر إدخال حجرة عائشة في المسجد - لأنه خشي أن يتخذ القبر مسجدا - والله أعلم

وذكر ابن جرير أن الوليد كتب إلى ملك الروم يسأله أن يبعث له صناعاً للبناء ، فبعث إليه بمائة صانع وفصوص كثيرة من أجل المسجد النبوي ، والمشهور أن هذا إما كان من أجل مسجد دمشق فأنه أعلم . وكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز أن يحفر الفوارة بالمدينة ، وأن يجري ماءها ففعل ، وأمره أن يحفر الآبار وأن يسهل الطرق والثنايا ، وساقى إلى الفوارة الماء من ظاهر المدينة ، والفوارة بنيت في ظاهر المسجد عند بقعة رآها فأعجبته .

وفيها غزا قتيبة بن مسلم ملك الترك كور يُنانون ابن أخت ملك الصين ، ومعه مائتا ألف مقاتل ، من أهل الصغد وفرغانة وغيرهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكان مع قتيبة نيزك ملك الترك مأسورا فكسرهم قتيبة بن مسلم وغنم من أموالهم شيئا كثيرا ، وقتل منهم خلقا وسي أسير . وفيها حجاج بالناس عمر بن عبد العزيز ومعه جماعات من أشراف قریش ، فلما كان بالتمذيم لقيه طائفة من أهل مكة فأخبروه عن قلة الماء بمكة لقلة المطر ، فقال لأصحابه : ألا نستمطر ؟ فدعا ودعا الناس فما زالوا يدعون حتى سقوا ودخلوا مكة ومهمهم المطر ، وجاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدة المطر ، ومطرت عرفة ومزدلفة ومنى ، وأخصبت الأرض هذه السنة خصباً عظيماً بمكة وما حولها ، وذلك ببركة دعاء عمر ومن كان معه من الصالحين . وكان النواب على البلدان في هذه السنة هم الذين كانوا قبلها .

ومن توفي فيها من الأعيان - عبدالله بن بسر بن أبي بسر المازني

صحابي كآبيه ، سكن حصص ، وروى عنه جماعة من التابعين ، قال الواقدي : توفي في هذه السنة عن أربع وتسعين سنة ، زاد غيره وهو آخر من توفي من الصحابة بالشام ، وقد جاء في الحديث أنه يمشي قرناً ، فعاش مائة سنة .

عبدالله بن أبي أوفى

علقة بن خالد بن الحارث الخزاعي ثم الأسلمي ، صحابي جليل ، وهو آخر من بقي من الصحابة بالكوفة ، وكانت وفاته فيما قاله البخاري سنة تسع أو ثمان وثمانين . وقال الواقدي وغير واحد : سنة ست وثمانين ، وقد جاوز المائة ، وقيل قاربها رضى الله عنه .

وفيهما توفي هشام بن إسماعيل

ابن هشام بن الوليد الخزومي المدني ، وكان حاكم عبد الملك بن مروان وقائمه على المدينة ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب كما تقدم ، ثم قدم دمشق فمات بها ، وهو أول من أحدث دراسة القرآن بجامع دمشق فمات فيها في السبع .

عمير بن حكيم

المنسي الشامي ، له رواية ، ولم يكن أحد في الشام يستطيع أن يعيب الحجاج علانية إلا هو وابن عمير أبو الأبيض ، قتل في غزوة طوانة من بلاد الروم في هذه السنة .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه العباس بلاد الروم قتلوا خلقاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ، منها حصن سورية وعمورية وهرقله وقودية . وغنما شيئاً كثيراً وأسرا جماعاً كثيراً . وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الصغد ونسف وكش ، وقد لقيه هنالك خلق من الأتراك فظفر بهم فقتلهم ، وسار إلى بخارى فلقبه دونها خلق كثير من الترك فقاتلهم يومين وليلتين عند مكان يقال له خرغان ، وظفر بهم فقال في ذلك نهار بن توسة :

وَبَاتَتْ لَمْ مَنَّا بِخَرْغَانَ لَيْلَةً * وَلَيْلَتُنَا كَانَتْ بِخَرْغَانَ أَهْلُولَا

ثم قصد قتيبة وردان خذاه ملك بخارى فقاتله وردان قتلاً شديداً فلم يظفر به قتيبة ، فرجع عنه إلى مرو ، فجاءه البريد بكتاب الحجاج يعنفه على الفرار والنكول عن أعداء الاسلام ، وكتب إليه أن يبعث بصورة هذا البلد - يعني بخارى - فبعث إليه بصورتها فكتب إليه أن أرجع إليها وتب إلى الله من ذنبك واتهما من مكان كذا وكذا ، ورد وردان خذاه ، وإياك والتحويط ، ودعني وبنيات الطريق .

وفي هذه السنة ولي الوليد بن عبد الملك إمرة مكة لخالد بن عبد الله القسري ، فغفر بثراً بأمر الوليد عند ثنية طوى وثنية الحجون ، فجاءت عذبة الماء طيبة ، وكان يستقي منها الناس . وروى الواقدي : حدثني عمر بن صالح عن نافع مولى بني مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله القسري يقول على منبر مكة وهو يخاطب الناس : أيها الناس ! أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقاء فسقاه ملحا أجاباً ، واستسقى الخليفة فسقاه عذبا فواتاً - يعني البئر التي احتفرها بالثنتين ثنية طوى وثنية الحجون - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليعرف فضله على رضم . قال ثم غلوت تلك البئر فذهب ماؤها فلا يدرى أين هو إلى اليوم ، وهذا الاسناد غريب ، وهذا الكلام يتضمن

كفرًا إن صح عن قائله ، وعندى أن خالد بن عبد الله لا يصح عنه هذا الكلام ، وإن صح فهو عدو الله ، وقد قيل عن الحجاج بن يوسف نحو هذا الكلام من أنه جعل الخليفة أفضل من الرسول الذى أرساه الله ، وكل هذه الأقوال تتضمن كفر قائلها .

وفى هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم الترك حتى بلغ باب الأبواب من ناحية أذربيجان ، وفتح حصونا ومدائن كثيرة هنالك . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز . قال شيخنا الذهبي : وفى هذه السنة فتحت صفلية وميوقرة وقيل ميرة ، وهما فى البحر بين جزيرة صفلية وخدره من بلاد الأندلس . وفيها ستر موسى بن نصير ولده إلى النقرىس ملك الفرنج فافتتح بلاداً كثيرة . وفيها توفى من الأعيان عبد الله بن ثعلبة بن صمير أحد التابعين العنبرى الشاعر ، وقد قيل إنه أدرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه ، وكان الزهرى يتعلم منه النسب . والمال فى هذه السنة هم المذكورون فى التى قبلها .

ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة

فيها غزا مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد بلاد الروم ، ففتحوا حصونا وقتلوا خلقاً من الروم وغنما وأسرا خلقاً كثيراً . وفيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر ، وذهبوا به إلى ملكهم فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . وفيها عزل الوليد أخاه عبد الله بن عبد الملك عن إمرة مصر وولى عليها قرة بن شريك . وفيها قتل محمد بن القاسم ملك السند داهر بن صصة ، وكان محمد بن القاسم هذا على جيش من جهة الحجاج . وفيها فتح قتيبة بن مسلم مدينة بخارى وهزم جميع العدو من الترك بها ، وجرت بينهم فصول يطول ذكرها ، وقد قصاها ابن جرير . وفيها طلب طرخون ملك الصفد بعد فتح بخارى من قتيبة أن يصلحه على مال يبذله فى كل عام فأجاب قتيبة إلى ذلك وأخذ منه رهناً عليه . وفيها استنجد وردان خذاه بالترك فأتوه من جميع النواحي - وهو صاحب بخارى بعد اخذ قتيبة لها - وخرج وردان خذاه وحمل على المسلمين فحطموهم ثم عاد المسلمون عليهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وصالح قتيبة ملك الصفد ، وفتح بخارى وحصونها ، ورجع قتيبة بالجنس إلى بلاده فأذن له الحجاج ، فلما سار إلى بلاده بلغه أن صاحب الصفد قاتل الملوك الترك : إن العرب بمنزلة المصوص فإن أعطوا شيئاً ذهبوا ، وإن قتيبة هكذا يقصد الملوك ، فإن أعطوه شيئاً أخذوه ورجع عنهم ، وإن قتيبة ليس بملك ولا يطلب ملكاً . فبلغ قتيبة قوله فرجع إليهم فكتب نيزك ملك الترك ملوك ما وراء النهر منهم ملك الطالقان ، وكان قد صالح قتيبة فنقض الصلح الذى كان بينه وبين قتيبة ، واستجاش عليه بالملوك كلها ، فأتاه ملوك كثيرة كانوا قد عاهدوا قتيبة على الصلح فنقضوا كلهم وصاروا يدا واحدة على قتيبة ، واتعدوا إلى الربيع وتعاهدوا وتعاقدوا على أن يجتمعوا فيقاتلوا كلهم فى فصل الربيع من السنة الآتية ، فقتل منهم قتيبة فى ذلك الحين مقتلة

عظيمة جداً لم يسمع بثملها ، و صلب منهم سباطين في مسافة أربعة فراسخ في نظام واحد ، وذلك مما كسر جموعهم كلهم .

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وأخوه المفضل وعبد الملك من سجن الحجاج ، فلتحقوا بسلیمان بن عبد الملك فأمّنهم من الحجاج ، وذلك أن الحجاج كان قد احتاط عليهم قبل ذلك وعاقبهم عقوبة عظيمة ، وأخذ منهم ستة آلاف ألف ، وكان أصبرهم على العقوبة يزيد بن المهلب ، كان لا يسمع له صوت ولو فعلوا به ما فعلوا نكايته لذلك ، وكان ذلك ينيط الحجاج ، قال قائل للحجاج : إن في ساقه أثر نشابة بقي نصلها فيه ، وإنه متى أصابها شيء لا يملك نفسه أن يصرخ ، فأمر الحجاج أن ينال ذلك الموضع منه بعدآب ، فصاح فلما سمعت أخنه هند بنت المهلب - وكانت تحت الحجاج - صوته بكت وناحت عليه فطلقها الحجاج ثم أودعهم السجن ، ثم خرج الحجاج إلى بعض المحال لينفذ جيشاً إلى الأكراد واستصحبهم معه ، فغندق حولهم وكل بهم الحرس ، فلما كان في بعض الليالي أمر يزيد ابن المهلب بطعام كثير فصنع للحرس ، ثم تنكر في هيئة بعض الطبّاخين وجعل لحيته بيضاء وخرج فراه بعض الحرس فقال : ما رأيت مشية أشبه بمشية يزيد بن المهلب من هذا ، ثم تبعه بتحقيقه ، فلما رأى بياض لحيته انصرف عنه ، ثم لحقه أخواه فركبوا السفن وساروا نحو الشام ، فلما بلغ الحجاج هربهم انزعج لذلك وذهب وهمه أنهم ساروا إلى خراسان ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم يحذره قديمهم ويأمره بالاستعداد لهم ، وأن يرصدهم في كل مكان ، ويكتب إلى أمراء الثغور والكور بتحصيلهم . وكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بهربهم ، وأنه لا يرام هربوا إلا إلى خراسان ، وخاف الحجاج من يزيد أن يصنع كما صنع ابن الأشعث من الخروج عليه وجمع الناس له ، ونحقق عنده قول الراهب . وأما يزيد بن المهلب فانه سلك على البطائح وجاءته خيول كان قد أعدها له . أخوه مروان بن المهلب لهذا اليوم ، فركبها وسلك به دليل من بني كلب يقال له عبد الجبار بن يزيد ، فأخذ بهم على السهابة ، وجاء الخبر إلى الحجاج بعد يومين أن يزيد قد سلك نحو الشام ، فكتب إلى الوليد يعلّمه بذلك ، وسار يزيد حتى نزل الأردن على وهيب بن عبد الرحمن الأزدي . وكان كريباً على سليمان بن عبد الملك . فسار وهيب إلى سليمان بن عبد الملك فقال له : إن يزيد بن المهلب وأخويه في منزلي ، قد جاؤا مستعدين بك من الحجاج ، قال : فاذهب فأنتي بهم فهم آمنون مادمت حياً ، فجاءهم فذهب بهم حتى أدخلهم على سليمان بن عبد الملك ، فأمّنهم سليمان وكتب إلى أخيه الوليد : إن آكل المهلب قد أمّنهم ، وإنما بقي للحجاج عندهم ثلاثة آلاف ألف ، وهي عندي . فكتب إليه الوليد : لا والله لا أوّمنه حتى تبعث به إلى . فكتب إليه : لا والله لا أبته حتى أجي معه ، فأنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقضيني أو تغفرني في جوارى . فكتب إليه : لا والله لا نجى معه وابعث به إلى في وثاق . فقال يزيد : ابعث

بى إليه فما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ، فابعثنى إليه وابعث معى ابنك واكتب إليه
بالطيف عبارة تقدر عليها فبعثه وبعث معه ابنه أيوب ، وقال لابنه : إذا دخلت فى الدهليز فادخل
مع يربد فى السلسلة ، وادخلا عليه كذلك . فلما رأى الوليد ابن أخيه فى السلسلة ، قال : والله لقد
بلغنا من سليمان . ودفع أيوب كتاب أبيه إلى عمه وقال : يا أمير المؤمنين نفسى فسادك لا تخفر ذمة
أبى وأنت أحق من منعها ، ولا تقطع منا رجاء من رجا السلامة فى جوارنا لمساكننا منك ، ولا تذل من
رجا العز فى الانقطاع إلينا لعزنا بك . ثم قرأ الوليد كتاب سليمان بن عبد الملك فاذا فيه : أما بعد
يا أمير المؤمنين فوالله إن كنت لأظن لو استجار بى عدو قد نابك وجاهدك فأنزلته وأجرته أنك
لا تذل جوارى ولا تخفره ، بل لم أجر إلا ساء ما مطيعاً ، حسن البلاء والأثر فى الاسلام هو أبوه
وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك فان كنت إنما تمد قطيعتى واخفار ذمتى والابلاغ فى مسامتى فقد
قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعينك بالله من احتراء قطيعتى وانتهاك حرمتى ، وترك رى وإجابتى
إلى ما سألتك ، ووصلتى ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى ما بقائى وبقاؤك ، ولا متى يفرق الموت بينى
وبينك ، فان استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره أن لا يأتى أجل الوفاة علينا إلا وهو لى واصل
ولحق مؤد ، وعن مسامتى نازع فليفعل ، والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشئ من أمر الدنيا بعد
تقوى الله بأمر منى برضاك وسرورك ، وإن رضاك وسرورك أحب إلى من رضاى وسرورى ، وبما
أتمس به رضوان الله عز وجل لصلى ما بينى وبينك ، وإن كنت يا أمير المؤمنين يوماً من الدهر تريد
صلى وكرامتى وإعظام حقى فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على ..

فلما قرأ الوليد كتابه قال : لقد أشقنا على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه فأذناه منه ، وتكلم يزيد بن
المهلب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال : يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ،
فمن يلس ذلك فلسنا ندساه ، ومن يكفره فلسنا بكافريه ، وقد كان من بلاننا أهل البيت فى
طاعتكم والظن فى أعين أعدائكم فى المواطن العظام فى المشرق والمغرب ، ما أن المنة فيه علينا
عظيمة . فقال له : اجلس فجلس فأمنه وكف عنه ورده إلى سليمان ، فكان عنده حسن الهيئة ، ويصف
له ألوان الأطعمة الشبهة ، وكان حظياً عنده لا يهدى إليه بهدية إلا أرسل له بنصفها ، وتقرب يزيد
ابن المهلب إلى سليمان بأنواع الهدايا والتحف والتقدم ، وكتب الوليد إلى الحجاج إن لم أصل إلى
يزيد بن المهلب وأهل بيته مع أخى سليمان ، فأكف عنهم واله عن الكتاب إلى فيهم . فكذب
الحجاج عن آل المهلب وترك ما كان يطالبهم به من الأموال ، حتى ترك لأبى عيينة بن المهلب ألف
ألف درهم ، ولم يزل يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك حتى هلك الحجاج فى سنة خمس
ونسمين ، ثم ولى يزيد بلاد العراق بعد الحجاج كما أخبره الراهب . وفيها توفى من الأعيان :

يتاذق الطيب

الحافظ ، له مصنفات في فنه وكان حطياً عند الحجاج ، مات في حدود سنة تسعين بواسط .
وفيهما توفي ﴿ عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة ﴾ وأبو العالية الرياحي وسان بن سلة بن الحبحق أحد
الشجعان المذكورين ، أسلم يوم الفتح ، وتولى غزو الهند ، وطال عمره . وتوفي في هذه السنة محمد بن
يوسف الثقفي أخو الحجاج ، وكان أميراً على اليمن ، وكان يلعب علياً على المنابر ، قيل إنه أمر حمير
المنذري أن يلعب علياً فقال : بل لعن الله من يلعب علياً ، ولعنة الله على من لعنه الله . وقيل إنه وري
في لعنه الله أعلم .

خالد بن يزيد بن معاوية

أبو هاشم الأموي الدمشقي ، وكانت داره بدمشق تلى دار الحجازة ، وكان عالماً شاعراً ، وينسب
إليه شيء من علم الكيمياء ، وكان يعرف شيئاً من علوم الطبيعة ، روى عن أبيه ودحية الكلبي وغنه
الزهرى وغيره ، قال الزهرى : كان خالد يصوم الأعياد كلها الجمعة والسبت والأحد - يعني يوم
الجمعة وهو عيد المسلمين ، ويوم السبت وهو عيد اليهود ، والأحد للنصارى - وقال أبو زرعة
الدمشقي : كان هو وأخوه معاوية من خيار القوم ، وقد ذكر للخلافة بعد أخيه معاوية بن يزيد ، وكان
ولى العهد من بعد مروان فلم يلتزم له الأمر ، وكان مروان زوج أمه ، ومن كلامه : أقرب شيء
الأجل ، وأبعد شيء الأمل ، وأرجى شيء العمل ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال :

سألت النداء والجود حُرَّانِ أنما * فردّا وقالاً إنا لمبيد

فقلت ومن مولا سكا فتطاولا * عليّ وقال خالد بن يزيد

قال : فأمر له بمائة ألف . قلت : وقد رأيتهما قد أنشدا في خالد بن الوليد رضى الله عنه . فقال :
وقالا خالد بن وليد . والله أعلم . وخالد بن يزيد هذا كان أميراً على حمص ، وهو الذى بنى جامع
حمص وكان له فيه أربع مائة عبد يعملون ، فلما فرغ منه أعتقهم . وكان خالد يفيض الحجاج ، وهو
الذى أشار على عبد الملك لما تزوج الحجاج بنت جعفر أن يرسل إليه فيطلقها ففعل . ولما مات مشى
الوليد في جنازته وصلى عليه ، وكان قد تجدد على خالد اصفرار وضعف ، فسأله عبد الملك عن هذا
فلم يخبره فما زال حتى أخبره أنه من حب رملة أخت مصعب بن الزبير ، فأرسل عبد الملك يخطبها
لخالد فقالت : حتى يطلق نساءه فطلقهن وتزوجها وأنشد فيها الشعر .

وكانت وفاته في هذا العام ، وقيل في سنة أربع وثمانين وقد ذكر هناك ، والصحيح الأول .

عبد الله بن الزبير

ابن سليم الأسدي الشاعر أبو كثير ، ويقال أبو سعيد ، وهو مشهور ، وفد على عبد الله بن

الزبير فاستدحه فلم يطمه شيئاً فقال : لمن الله ناقة حملتني إليك ، فقال ابن الزبير : إن وصاحبها ، يقال إنه مات في زمن الحجاج .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين

ففيها غزا الصائفة مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه عبد العزيز بن الوليد ، وفيها غزا مسلمة بلاد الترك حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح مدائن وحصونا كثيرة أيضاً ، وكان الوليد قد عزل عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأذربيجان وولاهما أخاه مسلمة بن عبد الملك . وفيها غزا موسى بن نصير بلاد المغرب ففتح مدناً كثيرة ودخل في تلك البلاد وولج فيها حتى دخل أراضى غابرة قاصية فيها آثار قصور وبيوت ليس بها ساكن ، ووجد هناك من آثار نعمة أهل تلك البلاد ما يلوح على سبيلها أن أهلها كانوا أصحاب أموال ونعمة دارة سائفة ، فبادوا جميعاً فلا يخبر بها . وفيها مهد قتيبة بن مسلم بلاد الترك الذين كانوا قد نقضوا ما كانوا عاهدوه عليه من المصالحة ، وذلك بعد قتال شديد وحرب يشيب لها الوليد ، وذلك أن ملوكهم كانوا قد ائتمدوا في العام الماضي في أول الربيع أن يجتمعوا ويقاتلوا قتيبة ، وأن لا يولوا عن القتال حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، فاجتمعوا اجتماعاً هائلاً لم يجتمعوا مثله في موقف ، فكسروهم قتيبة وقتل منهم أمماً كثيرة ، ورد الأمور إلى ما كانت عليه ، حتى ذكر أنه صلب منهم في بعض المواضع من جملة من أخذه منهم سباطين طولهما أربعة فراسخ من ههنا وههنا ، عن يمينه وشماله ، صلب الرجل منهم بجانب الرجل ، وهذا شيء كثير ، وقتل في الكفار قتلاً ذريعاً ، ثم لا يزال يتنصع نيزك خان ملك الترك الأعظم من إقليم إلى إقليم ، ومن كورة إلى كورة ، ومن رستاق إلى رستاق ، ولم يزل ذلك دأبه ودأبه حتى حصره في قلعة هناك شهرين متتابعين ، حتى نفذ ما عند نيزك خان من الأطعمة ، وأشرف هو ومن معه على الهلاك ، فبعث إليه قتيبة من جاء به مستأمناً مذموماً مخذولاً ، فسجنه عنده ثم كتب إلى الحجاج في أمره فجاء الكتاب بعد أربعين يوماً بقتله ، فجمع قتيبة الأمراء فاستشارهم فيه فاختلفوا عليه ، فقال يقول : اقتله . وقال يقول لا تقتله فقال له بعض الأمراء : إنك أعطيت الله عهداً أنك إن ظفرت به لتقتله ، وقد أمكنك الله منه ، فقال قتيبة : والله إن لم يبق من عمرى إلا ما يسع ثلاث كلمات لتقتله ، ثم قال : اقتلوه اقتلوه اقتلوه ، فقتل هو وسبعائة من أصحابه من أمرائه في غداة واحدة ، وأخذ قتيبة من أموالهم وخيولهم وثيابهم وأبنائهم ونسأهم شيئاً كثيراً ، وفتح في هذا العام مدناً كثيرة ، وقرر بممالك كثيرة : وأخذ حصوناً كثيرة مشحونة بالأموال والنساء ، ومن آنية الذهب والفضة شيئاً كثيراً ، ثم سار قتيبة إلى الطالقان - وهي مدينة كبيرة وبها حصون وأقاليم - فأخذها واستعمل عليها ، ثم سار إلى الفارياب وبها مدن ورساتيق ، فخرج إليه ملكها سامعا مطيعاً ، فاستعمل عليها رجلاً من أصحابه ، ثم سار إلى

الجوزجان فأخذنها من ملكها واستعمل عليها ، ثم أتى بلخ فدخلها وأقام بها نهراً واحداً ، ثم خرج منها وقصد نيزك خان بيقلان ، وقد نزل نيزك خان معسكر أعلى فم الشعب الذي منه يدخل إلى بلاده ، وفي فم الشعب قلعة عظيمة تسمى شمسية ، لموها وارتفاعها واتساعها . قدم على قتيبة الرؤب خان ملك الرؤب وممنجان ، فاستأمنه على أن يبله على مدخل القلعة ، فأمنه وبث معه رجلاً إلى القلعة فأتوها ليلًا ففتحوها وقتلوا خلفائهم أهلها وهرب الباقي ، ودخل قتيبة الشعب وأتى ممنجان - وهي مدينة كبيرة - فأقام بها وأرسل أخاه عبد الرحمن خلف ملك تلك المدن والبلاد نيزك خان في جيش هائل ، فسار خلفه إلى بيقلان فحصره بها ، وأقام بحصاره شهرين حتى نفذ ما عنده من الأقوات ، فأرسل قتيبة من عنده ترجاناً يسمى الناصح ، فقال له : أذهب فائتني بنيزك خان ولئن عدت إلى وليس هو معك ضربت عنقك . وأرسل قتيبة معه هدايا وأطعمة فاخرة ، فسار الترجان إلى نيزك حتى أتاه وقسم إليه الأطعمة فوقع عليها أصحابه يتخاطفونها - وكانوا قد أجهدهم الجوع - ثم أعطاه الناصح الأمان وحلف له ، فقدم به على قتيبة ومعه سبعمائة أمير من أصحابه ومن أهل بيته جماعة . وكذلك استأمن قتيبة جماعة من الملوك فأمّنهم وولى على بلادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الواقدي وغيره : وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، فلما قرب من المدينة أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فثقلوه فرحب بهم وأحسن إليهم ، ودخل المدينة النبوية فأخلى له المسجد النبوي ، فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب لم يتجاسر أحد أن يخرج به ، وإنما عليه ثياب لاتساوي خمسة دراهم ، فقالوا له : تنح عن المسجد أيها الشيخ ، فإن أمير المؤمنين قادم ، فقال : والله لا أخرج منه ، فدخل الوليد المسجد فجعل يدور فيه يصلي ههنا وههنا ويدعو الله عز وجل ، قال عمر بن عبد العزيز : وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه ، فحانت منه الثمناة فقال : من هذا هو سعيد بن المسيب ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك . فقال : قد علمت بغضه لنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه وإنه ، وشرعت أئني عليه ، وشرع الوليد يئني عليه بالعلم والدين ، فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ضعيف البصر - وإنما قلت ذلك لأعذر له - فقال : نحن أحق بالسمي إليه ، فجاء فوقف عليه فلم عليه فلم يقر له سعيد ، ثم قال الوليد : كيف الشيخ ؟ فقال : بخير والحمد لله ، كيف أمير المؤمنين ؟ فقال الوليد : بخير والحمد لله وحده ، ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز : هذا فقيه الناس . فقال : أجل يا أمير المؤمنين . قالوا : ثم خطب الوليد على منبر رسول الله (ص) ، فجلس في الخطبة الأولى وانتصب في الثانية ، قال وقال : هكذا خطب عثمان ، ثم انصرف فصرف إلى الناس من أهل المدينة ذهباً كثيراً وفضة كثيرة ، ثم كسا المسجد النبوي كسوة من كسوة الكعبة التي معه ، وهي من ديباج غليظ .

وتوفي في هذه السنة السائب بن يزيد بن سعد بن ثمامة ، وقد حج به أبوه مع رسول الله (ص) .
وكان عمر السائب سبع سنين ، رواه البخارى فلهذا قال الواقدي : إنه ولد سنة سنة ثلاث من
الهجرة ، وتوفي سنة إحدى وتسعين . وقال غيره : سنة ست وقيل ثمان وثمانين ، والله أعلم .

سهل بن سعد الساعدي

صهابي مدني جليل ، توفي رسول الله (ص) ، وله من العمر خمس عشرة سنة ، وكان ممن ختمه
الحجاج في عنقه هو وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله في يده ، لينظم كيلا يسمع الناس من رأيهم ،
قال الواقدي : توفي سنة إحدى وتسعين عن مائة سنة ، وهو آخر من مات في المدينة من الصحابة .
قال محمد بن سعد : ليس في هذا خلاف ، وقد قال البخارى وغيره : توفي سنة ثمان وثمانين لله أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين

فيها غزا مسلمة وابن أخيه عمر بن الوليد بلاد الروم ففتحوا حصونا كثيرة وغنما شيئا كثيرا
وهربت منهم الروم إلى أقصى بلادهم ، وفيها غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير بلاد الأندلس
في اثني عشر ألفا ، فخرج إليه ملكها أذريقون في جحالة وعليه تاجه ومعه سرير ملكه ، فقاتله طارق
فهزمه وغنم مافي معسكره ، فكان من جملة ذلك السرير ، وتلك بلاد الأندلس بكبا ، قال الذهبي :
كان طارق بن زياد أمير طنجة وهي أقصى بلاد المغرب ، وكان نائبا لمولاه موسى بن نصير ،
فكتب إليه صاحب الجزيرة الخضراء يستنجد به على عدوه ، فدخل طارق إلى جزيرة الأندلس
من زقاق سبتة وانهز الفرصة لكون الفرنج قد اقتتلوا فيها بينهم ، وأمن طارق في بلاد الأندلس
فافتتح قرطبة وقتل ملكها ادرينوق ، وكتب إلى موسى بن نصير بالفتح ، فحسده موسى على الانفراد
بهذا الفتح ، وكتب إلى الوليد يشره بالفتح وينسبه إلى نفسه ، وكتب إلى طارق يتوعده لكونه
دخل بغير أمره ، ويأمره أن لا يتجاوز مكانه حتى يلحق به ، ثم سار إليه مسرعا بمجيشه فدخل
الأندلس ومعه حبيب بن أبي عبيدة الفهري ، فأقام سنين يفتح في بلاد الأندلس ويأخذ المدن
والأموال ، ويقتل الرجال ويأسر النساء والأطفال ، فغنم شيئا لا يحصى ولا يوصف ولا يعد ، من
الجواهر والياقوت والذهب والفضة ، ومن آنية الذهب والفضة والآثاث والخيول والبغال وغير ذلك
شيئا كثيرا ، وفتح من الأقاليم الكبار والمدن شيئا كثيرا . وكان مما فتح مسلمة وابن أخيه عمر بن
الوليد من حصون بلاد الروم حصن سوسنة وبلغا إلى خليج القسطنطينية .

وفيها فتح قتيبة بن مسلم شومان وكش ونسف ، وامتنع عليه أهل فرياب فأحرقها ، وجبر أخاه
عبد الرحمن إلى الضغد إلى طرخون خان ملك تلك البلاد ، فصالحه عبد الرحمن وأعطاه طرخون خان

أموالا كثيرة ، وقدم على أخيه وهو ببخارى فرجع إلى مرو ، ولما صالح طرخون عبد الرحمن ورجل عنه اجتمعت الصفد وقالوا لطرخون : إنك قد بؤت بالنذل ، وأديت الجزية ، وأنت شيخ كبير ، فلا حاجة لنا بك ، ثم عزلوه وولوا عليهم غورك خان - أخا طرخون خان - ثم إنهم عصوا ونقضوا العهد ، وكان من أمرهم ما سيأتي .

وفيها غزا قتيبة سجستان يريد رتبيل ملك الترك الأعظم ، فلما انتهى إلى أول مملكة رتبيل تلقته رسلة يريدون منه الصلح على أموال عظيمة ، خيول ورقيق ونساء من بنات الملوك ، يحمل ذلك إليه ، فصالحه . وحج بالناس فيها عمر بن عبد العزيز نائب المدينة . وتوفي فيها من الأعيان مالك بن أوس بن الحذقان النضري ، أبو سعيد المدني ، مختلف في صحبته ، قال بعضهم : ركب الخيل في الجاهلية ورأى أبا بكر ، وقال محمد بن سعد : رأى رسول الله (ص) ، ولم يحفظ منه شيئا ، وأنكر ذلك ابن معين والبخارى وأبو حاتم ، وقالوا : لا تصح له صحبة والله أعلم . مات في هذه السنة وقيل في التي قبلها والله أعلم .

طويس المغني

اسمه عيسى بن عبد الله أبو عبد المنعم المدني مولى بني مخزوم ، كان بارعا في صناعته ، وكان طويلا مضطربا أحول العين ، وكان مشموما ، لأنه ولد يوم مات رسول الله (ص) ، وفطم يوم توفي الصديق ، واحتلم يوم قتل عمر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وولد له يوم قتل الحسين بن علي ، وقيل ولد له يوم قتل علي . حكاه ابن خلكان وغيره . وكانت وفاته في هذه السنة عن ثنتين وثمانين سنة بالسويد . وهي على مرحلتين من المدينة - الأخطل - كان شاعرا مطبقا ، فاق أقرانه في الشعر . ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين .

وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك حصونا كثيرة من بلاد الروم ، منها حصن الحديد وغزالة وماسة وغير ذلك . وفيها غزا العباس بن الوليد ففتح سمسطية . وفيها غزا مروان بن الوليد الروم حتى بلغ خنجره . وفيها كتب خوارزم شاه إلى قتيبة يدعوه إلى الصلح وأن يعطيه من بلاده مدائن ، وأن يدفع إليه أموالا وريقا كثيرا على أن يقاتل أخاه ويسلمه إليه ، فانه قد أفسد في الأرض وبني على الناس وعسفهم ، وكان أخوه هذا لا يسمع بشئ حسن عند أحد إلا يبعث إليه فأخذه منه ، سواء كان مالا أو نساء أو صبيانا أو دواب أو غيره . فأقبل قتيبة نصره الله في الجيوش فلم إليه خوارزم شاه ماصالحه عليه ، وبعث قتيبة إلى بلاد أخى خوارزم شاه جيشا فقتلوا منهم خلقا كثيرا وأسروا أخاه ومعه أربعة آلاف أسير من كبارهم ، فدفع أخاه إليه ، وأمر قتيبة بالأسارى فضربت أعناقهم بحضرته ، قيل ألفا بين يديه وألفا عن يمينه وألفا عن شماله وألفا من وراء ظهره ، ليرهب بذلك الأعداء من الأتراك وغيرهم .

فتح سمرقند

وذلك أن قتيبة لما فرغ من هذا كله وعزم على الرجوع إلى بلاده ، قال له بعض الأمراء : إن أهل الصفد قد آمنوك عامك هذا ، فإن رأيت أن تعدل إليهم وهم لا يشعرون ، فانك متى فعلت ذلك أخذتها إن كنت تريد بها يوماً من الدهر . فقال قتيبة لذلك الأمير : هل قلت هذا لأحد ؟ قال : لا . قال فلأن يسمعه منك أحد أضرب عنقك . ثم بعث قتيبة أخاه عبد الرحمن بن مسلم بين يديه في عشرين ألفاً فسبقه إلى سمرقند ، ولحقه قتيبة في بقية الجيش ، فلما سمعت الأتراك بقدمهم إليهم انتخبوا من بينهم كل شديد السطوة من أبناء الملوك والأمراء ، وأمرهم أن يسيروا إلى قتيبة في الليل فيكبسوا جيش المسلمين ، وجاءت الأخبار إلى قتيبة بذلك فجرد أخاه صالحاً في ستمائة فارس من الأبطال الذين لا يطاقون ، وقال : خذوا عليهم الطريق ، فساروا فوقفوا لهم في أثناء الطريق وتفرقوا ثلاث فرق ، فلما اجتازوا بهم بالليل - وهم لا يشعرون بهم - نادوا عليهم فاقنتل المسلمون هم وإياهم ، فلم يفلت من أولئك الأتراك إلا النفر اليسير واحتزوا رهوسهم وغنموا ما كان معهم من الأسلحة المحملة بالذهب ، والأمتعة ، وقال لهم بعض أولئك : تعلمون أنكم لم تقتلوا في مقامكم هذا إلا ابن ملك أو بطل من الأبطال المعدودين بمائة فارس أو بألف فارس ، فنفلهم قتيبة جميع ما غنموه منهم من ذهب وسلاح ، واقترب من المدينة العظمى التي بالصفد - وهي سمرقند - فنصب عليها المجانيق فرماها بها ، وهو مع ذلك يقاتلهم لا يقلع عنهم ، وناصحه من معه عليها من بخاري وخوارزم ، فقاتلوا أهل الصفد قتالاً شديداً ، فأرسل إليه غورك ملك الصفد : إنما تقتلني باخواني وأهل بيتي ، فأخرج إلى في العرب . ففضب عند ذلك قتيبة وميز العرب من المعجم وأمر المعجم باعتزالهم ، وقدم الشجعان من العرب وأعطاهم جيد السلاح ، وانتزعه من أيدي الجبناء ، وزحف بالأبطال على المدينة ورمها بالمجانيق ، فثلم فيها ثلثة فسدها الترك بفرار الدخن ، وقام رجل منهم فوقها فجعل يشتم قتيبة فرماه رجل من المسلمين بسهم فقلع عينه حتى خرجت من قفاه . فلم يلبث أن مات قبحه الله ، فأعطى قتيبة الذي رماه عشرة آلاف ، ثم دخل الليل ، فلما أصبحوا رماهم بالمجانيق فثلم أيضاً ثلثة وصعد المسلمون فوقها ، وتراموا هم وأهل البلد بالشباب ، فقالت الترك لقتيبة : ارجع عنا يملك هذا ونحن نصالحك غداً ، فرجع عنهم وصالحوه من الفد على ألفي ألف ومائة ألف يحملونها إليه في كل عام ، وعلى أن يعطوه في هذه السنة ثلاثين ألف رأس من الرقيق ، ليس فيهم صغير ولا شيخ ولا عيب ، وفي رواية مائة ألف من رقيق ، وعلى أن يأخذ حلية الأصنام وما في بيوت النيران ، وعلى أن يخلوا المدينة من القتالة حتى يبنى فيها قتيبة مسجداً ، ويوضع له فيه منبر يخطب عليه ، ويتغدى ويخرج . فأجابوه إلى ذلك ، فلما دخلها قتيبة دخلها ومعه أربعة آلاف من الأبطال - وذلك بعد أن بنى المسجد

ووضع فيه المنبر - فصلى في المسجد وخطب وتفسدى وأتى بالأصنام التي لهم فسلبت بين يديه ، وألقيت بعضها فوق بعض ، حتى صارت كالتصاغر العظيم ، ثم أمر بتحريقها ، فتصارخوا وتباكوا وقال المجوس : إن فيها أصناماً قديمة من أحرقها هلك ، وجاء الملك غورك قهسى عن ذلك ، وقال لقتيبة : إني لك ناصح ، فقام قتيبة وأخذ في يده شعلة نار وقال : أنا أحرقها بيدي فكيذوبى جميعاً ثم لا تنظرون ، ثم قام إليها وهو يكبر الله عز وجل ، وألقى فيها النار فاحترقت ، فوجد من بقايا ما كان فيها من الذهب خمسون ألف مثقال من ذهب . وكان من جملة ما أصاب قتيبة في السبي جارية من ولد بزجرد ، فأهداها إلى الوليد فولدت له يزيد بن الوليد ، ثم استدعى قتيبة بأهل سمرقند فقال لهم : إني لا أريد منكم أكثر مما صالحكم عليه ، ولكن لابد من جند يقيمون عندكم من جنتنا . فانتقل عنها ملكها غورك خان فنلا قتيبة [وأنه أهلك عاداً الأولى وعموداً فابقى] الآيات ثم أرحل عنها قتيبة إلى بلاد مرو ، واستخلف على سمرقند أخاه عبد الله بن مسلم ، وقال له : لا تدع مشركاً يدخل باب سمرقند إلا مختوم اليد ، ثم لا تدعه بها إلا مقدار ما تحب طينة ختمه ، فان جفت وهو بها فاقطعه ، ومن رأيت منهم ومعه حديدة أو سكينه فاقطعه بها ، وإذا أغلقت الباب فوجدت بها أحداً فاقطعه ، فقال في ذلك كعب الأشقرى - ويقال هو لرجل من جهنى -

كل يوم يحوى قتيبة نهياً * ويزيد الأموال مالاً جديداً
باهلي قد ألبس التاج حتى * شاب منه مفارق كن سودا
دوخ الصفد بالكناشب حتى * ترك الصفد بالمرء قسودا
فوليد يبيك لفقر أبيه * وأب موجع يبيك الوليدا
كلما حل بلدة أو أتاها * تركت خيله بها أحنودا

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير نائب بلاد المغرب مولاه طارقاً عن الأندلس ، وكان قد بعثه إلى مدينة طليطلة ففتحها فوجد فيها مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، وفيها من الذهب والجواهر شيء كثير جداً ، فبعثوا بها إلى الوليد بن عبد الملك ، فما وصلت إليه حتى مات وتولى أخوه سليمان بن عبد الملك ، فوصلت مائة سليمان عليه السلام إلى سليمان على ماسياتى بيانه في موضعه ، وكان فيها ما يهر العقول ، لم ير منظر أحسن منها . واستعمل موسى بن نصير مكان مولاه ولده عبد العزيز بن موسى بن نصير . وفيها بعث موسى بن نصير الساکر وبها في بلاد المغرب ، فافتتحوا مدناً كثيرة من جزيرة الأندلس منها قرطبة وطنجة ، ثم سار موسى بنفسه إلى غرب الأندلس فافتتح مدينة باجة والمدينة البيضاء وغيرهما من المدن الكبار والأقاليم ، ومن القرى والرساتيق شيء كثير ، وكان لا يأتى مدينة فيبرح عنها حتى يفتحها أو ينزلوا على حكمه ، وجيز البعوث والسرايا غرباً

وشرقا وشمالا ، فجمعوا يفتنحون المغرب بلدآ بلدآ ، وإقليما إقليما ، ويفتنمون الأموال ويسبون الذراري والنساء ، ورجع موسى بن نصير بفنائم وأموال وتحف لانهصى ولا تعد كثرة .
 وفيها قحط أهل إفريقية وأجدبوا جدباً شديداً ، فخرج بهم موسى بن نصير يستسقى بهم ، فزال يدعوا حتى انتصف النهار ، فلما أراد أن ينزل عن المنبر قيل له : ألا تدعو لأمر المؤمنين ؟ قال : ليس هذا الموضع موضع ذلك ، فلما قال هذه المقالة أرسل الله عليهم الغيث فأمطروا مطراً غزيراً وحسن حالهم ، وأخصبت بلادهم . وفيها ضرب عمر بن عبد العزيز خبيب بن عبد الله بن الزبير خمسين سوطاً بأمر الوليد له في ذلك ، وصب فوق رأسه قرصة من ماء بارد في يوم شتاء بارد ، وألقاه على باب المسجد يوم ذلك فمات رحمه الله . وكان عمر بن عبد العزيز بعد موت خبيب شديداً الخوف لا يأمن ، وكان إذا بشر بشئ من أمر الآخرة يقول : وكيف وخبيب لي بالطريق ؟ وفي رواية يقول هذا إذا لم يكن خبيب في الطريق ، ثم يصيح صياح المرأة الشكلى ، وكان إذا أنى عليه يقول : خبيب وما خبيب إن نجوت منه فأنا بخير . وما زال على المدينة إلى أن ضرب خبيباً فمات فاستقال وركبه الحزن والخوف من حيثئذ ، وأخذ في الاجتهاد في العبادة والبكاء ، وكانت تلك هفوة منه وزلة ، ولكن حصل له بسببها خير كثير ، من عبادة وبكاء وحزن وخوف وإحسان وعدل وصدقة وبر وعق وغير ذلك .

وفيها افتتح محمد بن القاسم - وهو ابن عم الحجاج بن يوسف - مدينة الديبل وغيرها من بلاد الهند وكان قد ولاه الحجاج غزو الهند وعمره سبع عشرة سنة ، فسار في الجيوش فلقوا الملك داهر - وهو ملك الهند - في جمع عظيم ومعه سبع وعشرون فيلاً منتخبة ، فاقتلوا فبهزمهم الله وهرب الملك داهر ، فلما كان الليل أقبل الملك ومعه خلق كثير جداً فاقتلوا قتلاً شديداً فقتل الملك داهر وغالب من معه ، وتبع المسلمون من انهزم من الهنود فقتلوه ثم سار محمد بن القاسم فاقتتح مدينة الكبرج وبرها ورجع بفنائم كثيرة وأموال لانهصى كثرة ، من الجواهر والذهب وغير ذلك ، فكانت سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك ، فبطلت كلمة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، وبرها وبحرها ، وقد أذلوا الكفر وأهله ، وامتلات قلوب المشركين من المسلمين رعباً ، لا يترجى المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه ، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو والصلحون والأولياء والعلماء من كبار التابعين ، في كل جيش منهم شرذمة عظيمة ينصر الله بهم دينه . فقتنية ابن مسلم يفتح في بلاد الترك ، يقتل ويسبي ويفنم ، حتى وصل إلى نخوم الصين ، وأرسل إلى ملكه يدعوه ، فخاف منه وأرسل له هدايا وتحفاً وأموالاً كثيرة هدية ، وبث يستعطفه مع قوته وكثرة جنده ، بحيث لن ملوك تلك النواحي كلها تؤدي إليه الخراج خوفاً منه . ولوعاش الحجاج لما ألقع عن بلاد

الصين ، ولم يبق إلا أن يلتقى مع ملكها ، فلما مات الحجاج رجع الجيش كما مر . ثم إن قتيبة قتل بعد ذلك ، قتله بعض المسلمين . ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وابن أمير المؤمنين الوليد وأخوه الآخر يفتحون في بلاد الروم وبجاهدون بعساكر الشام حتى وصلوا إلى القسطنطينية ، وبنى بها مسعدة جامعاً يعبد الله فيه ، وامتلاّت قلوب الفرنج منهم رعباً . ومحمد بن القاسم ابن أخي الحجاج يجاهد في بلاد الهند ويفتح مدنها في طائفة من جيش العراق وغيرهم . وموسى بن نصير يجاهد في بلاد المغرب ويفتح مدنها وأقاليمها في جيوش الديار المصرية وغيرهم . وكل هذه النواحي إنما دخل أهلها في الاسلام وتركوا عبادة الأوثان . وقبل ذلك قد كان الصحابة في زمن عمر وعثمان فتحوا غالب هذه النواحي ودخلوا في مبانيها ، بعد هذه الاقاليم الكبار ، مثل الشام ومصر والعراق واليمن وأوائل بلاد الترك ، ودخلوا إلى ما وراء النهر وأوائل بلاد المغرب ، وأوائل بلاد الهند . فكان سوق الجهاد قائماً في القرن الأول من بعد الهجرة إلى انقضاء دولة بني أمية وفي أثناء خلافة بني العباس مثل أيام المنصور وأولاده ، والرشيد وأولاده ، في بلاد الروم والترك والهند . وقد فتح محمود سبكتكين وولده في أيام ملكهم بلاداً كثيرة من بلاد الهند ، ولما دخل طائفة ممن هرب من بني أمية إلى بلاد المغرب وتعلكوها أقاموا سوق الجهاد في الفرنج بها . ثم لما بطل الجهاد من هذه المواضع رجع العدو إليها فأخذ منها بلاداً كثيرة ، وضعف الاسلام فيها ، ثم لما استولت دولة الفاطميين على الديار المصرية والشامية ، وضعف الاسلام وقلّ ناصروه ، وجاء الفرنج فأخذوا غالب بلاد الشام حتى أخذوا بيت المقدس وغيره من البلاد الشامية ، فأقام الله سبحانه بني أيوب مع نور الدين ، فاستلبوهما من أيديهم وطردهم عنه ، فله الحمد والمنة ، وسيأتي ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها عزل الوليد عمر بن عبد العزيز عن إمرة المدينة ، وكان سبب ذلك ، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الوليد يخبره عن أهل العراق أنهم في ضيم وضيق مع الحجاج من ظلمه وغشمه ، فسمع بذلك الحجاج فكتب إلى الوليد : إن عمر ضعيف عن إمرة المدينة ومكة ، وهذا وهن وضعف في الولاية ، فأجمل على الحرمين من يضبط أمرهما . فولى على المدينة عثمان بن حيان ، وعلى مكة خالد بن عبد الله القسري ، وفعل ما أمره به الحجاج . فخرج عمر بن عبد العزيز من المدينة في شوال فنزل السويداء ، وقدم عثمان بن حيان المدينة ليلتين بقيتا من شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أنس بن مالك

ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، أبو حمزة

ويقال أبو نمامة الأنصاري النجاري ، خادم رسول الله .س. ، وصاحبه ، وأمه أم حرام مليكة بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام ، زوجة أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري . روى عن رسول الله .س. ، أحاديث جمة ، وأخير معلوم مهمة . وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وغيرهم . وحدث عنه خلق من التابعين ، قال أنس : قدم رسول الله .س. المدينة وأنا ابن عشر سنين ، وتوفى وأنا ابن عشرين سنة . وقال محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن نمامة قال قيل لأنس : أشبهت بدرأ ؟ فقال : وأين أغيب عن بدر لا أم لك ؟ قال الأنصاري : شهد بها بخدم رسول الله .س. ، قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي : لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازي ، قلت : الظاهر أنه إنما شهد ما بعد ذلك من المغازي والله أعلم .

وقد ثبت أن أمه أنتت به - وفي رواية عمه زوج أمه أبو طلحة - إلى رسول الله .س. فقالت : يا رسول الله هذا أنس خادم لبيب يخدمك ، فوهبته منه قبله ، وسألته أن يدعو له فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . وثبت عنه أنه قال : كُتِبَ لرسول الله .س. بنحلة كنت أجتنيها . وقد استعمله أبو بكر ثم عمر على عمالة البحرين وشكراه في ذلك ، وقد انتقل بعد النبي .س. فسكر البصرة ، وكان له بها أربع دور ، وقد ناله أذى من جهة الحجاج ، وذلك في فتنة ابن الأشعث ، توهم الحجاج منه أنه له مداخلة في الأمر ، وأنه ألقى فيه ، فغتمه الحجاج في عنقه ، هذا عنق الحجاج ، وقد شكاه أنس كما قدمنا إلى عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج يعنه ، ففرع الحجاج من ذلك وصالح أنسا . وقد وفد أنس على الوليد بن عبد الملك في أيام ولايته ، قيل في سنة ثنتين وتسعين ، وهو يدي جامع دمشق ، قال مكحول : رأيت أنسا يمشي في مسجد دمشق فمتمت إليه فسألته عن الوضوء من الجنابة فقال : لا وضوء . وقال الأوزاعي : حدثني إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر قال : قدم أنس على الوليد فقال له الوليد : ماذا سمعت من رسول الله .س. يذكر به الساعة ؟ فقال : سمعت رسول الله .س. يقول : « أنتم والساعة كهاتين » . ورواه عبد الرزاق بن عمر عن إسماعيل قال : قدم أنس على الوليد في سنة ثنتين وتسعين فذكره . وقال الزهري : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يكي فقلت : ما يبيكي ؟ قال : لا أعرف مما كان رسول الله .س. وأصحابه إلا هذه الصلاة ، وقد صنعت فيها ما صنعت . وفي رواية وهذه الصلاة قد ضيعت - يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع - كانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز في أيام خلافته كما سيأتي ، وقال عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس . قال : جاءت بي أمي إلى رسول الله .س. وأنا غلام فقالت : يا رسول الله خويلدك أنيس فادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة » . قال : فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة ، وفي

رواية قال أنس : فوالله إن مالاً لكثير حتى نخلى وكرمي ليثمر في السنة مرتين ، وإن ولدي وولدي ولدي ليتعادون على نحو المائة ، وفي رواية وإن ولدي لصلبي مائة وستة . ولهذا الحديث طرق كثيرة والألفاظ منتشرة جداً ، وفي رواية قال أنس : وأخبرتني بلقي آمنة أنه دفن لصلبي إلى حين مقدم الحجاج عشرون ومائة . وقد تقصى ذلك بطرقه وأسانيده وأورد ألفاظه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أنس ، وقد أوردنا طرفاً من ذلك في كتاب دلائل النبوة في أواخر السيرة والله الحمد . وقال ثابت لأنس : هل مست يدك كرسول الله (س) ؟ قال : نعم ! قال فأعطينها أقبليها ، وقال محمد بن سعد عن مسلم بن إبراهيم عن المثني بن سعيد الذراع قال : سمعت أنس بن مالك يقول : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رسول الله (س) ، ثم يبكي . وقال محمد بن سعد عن أبي نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن المنهال بن عمرو . قال : كان أنس صاحب نعل رسول الله (س) ، وإداوته ، وقال أبو داود : ثنا الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس . قال : إني لأرجو أن ألقى رسول الله (س) ، فأقول : يا رسول الله خويديمك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يونس ثنا حرب بن ميمون عن النضر بن أنس عن أنس . قال : سألت رسول الله (س) ، أن يشفع لي يوم القيامة : « قال أنا فاعل ، قلت فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله ؟ قال : أطلبني أول ما تطلبنني على الصراط ، قلت : فإذا لم ألقك ؟ قال : فأنا عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فأنا عند الحوض لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة . » ورواه الترمذي وغيره من حديث حرب بن ميمون أبي الخطاب صاحب الأعشى الأنصاري به وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال شعبة عن ثابت قال قال أبو هريرة : ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله (س) من ابن أم سليم - يعني أنس بن مالك - وقال ابن سيرين : كان أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر . وقال أنس : خذ مني فأنا أخذت من رسول الله (س) ، عن الله عز وجل ، ولست تجمد أو تقي مني . وقال معتمر بن سليمان عن أبيه سمعت أنساً يقول : ما بقي أحد صلى إلى القبلتين غيري . وقال محمد بن سعد : حدثنا عفان حدثني شيخ لنا يكنى أبا جناب سمعت الحريري يقول : أحرم أنس من ذات عرق فما معناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل ، فقال لي : يا ابن أخي هكذا الأحرام . وقال صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف : دخل علينا أنس يوم الجمعة ونحن في بعض أبيات أزواج النبي (س) ، نتحدث فقال : مه ، فلما أقيمت الصلاة قال : إني لأخاف أن أكون قد أبطلت جمعي بقولي لكم مه . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا بشار ابن موسى الخفاف ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت قال : كنت مع أنس فجاءته قهرمانة فقالت يا أبا حمزة عطشت أرضنا ، قال فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلى ركعتين ثم دعا فرأيت السحاب

يلتئم ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شيء ، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال :
الذار أين بلغت اسماء ، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيراً .

وقال الامام أحمد : حدثنا معاذ بن معاذ ثنا ابن عون عن محمد قال : كان أنس إذا حدث عن رسول الله (ص) ، حديثاً ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله (ص) . وقال الأنصارى عن ابن عوف عن محمد قال : بعث أمير من الأمراء إلى أنس شيئاً من النقي فقال أخمس ؟ قال : لا ، فلم يقبله : وقال النضر بن شداد عن أبيه : مرض أنس فتيل له ألا ندعوك الطبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضى . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا أبو عبد الله الرقاشي ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن يزيد قال : كنت في القصر مع الحجاج وهو يعرض الناس ليأبى ابن الأشعث ، فجاء أنس بن مالك فقال الحجاج : هي يا خبيث ، جوال في الفتن ، مرة مع علي ، ومرة مع ابن الزبير ، ومرة مع ابن الأشعث ، أما والذي نفس الحجاج بيده لا ستأصلنك كما ستأصل الصمعة ، ولأخردنك كما تجرد الضب . قال يقول أنس : إياي يعني الأمير ؟ قال إياك أعني ، أصم الله سمعك ، قال فاسترجع أنس ، وشغل الحجاج فخرج أنس فتبتمناه إلى الرحبة ، فقال : لولا أني ذكرت ولدي - وفي رواية لولا أني ذكرت أولادي الصغار - وخفته عليهم ما باليت أي قتل أقتل ، ولكلمته بكلام في مقامى هذا لا يستخفى بعده أبداً . وقد ذكر أبو بكر بن عياش أن أنسا بعث إلى عبد الملك يشكو إليه الحجاج ويقول : والله لو أن اليهود والنصارى رأوا من خدم نبيهم لأكرموه ، وأنا قد خدمت رسول الله (ص) ، عشر سنين . فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتاباً فيه كلام جد وفيه : إذا جاءك كتابي هذا فقم إلى أبي حمزة فترضاه وقبل يده ورجله ، وإلا حل بك مني ما تستعقد . فلما جاء كتاب عبد الملك إلى الحجاج بالغلظة والشدة ، ثم أن ينهض إليه فأشار عليه إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، الذي قدم بالكتاب أن لا يذهب إلى أنس ، وأشار على أنس أن يبادر إلى الحجاج بالمصالحة - وكان إسماعيل صديق الحجاج - فجاء أنس فقام إليه الحجاج يتلقاه ، وقال : إنما مثلي ومثلك إياك أعني واسمى بإجارة . أردت أن لا يبقى لأحد على منطق .

وقال ابن قتيبة : كتب عبد الملك إلى الحجاج - لما قال لأنس ما قال - : يا ابن المستقرة عجب الزبيب لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بها إلى نار جهنم ، فأنك الله أخيفش العينين ، أفيتل الرجلين ، أسود العاجزين - ومعنى قوله المستقرة عجب الزبيب - أي تضيق فرجها عند الجماع به ، ومعنى أركلك أي أرفسك برجلي ، وسيأتي بسط ذلك في ترجمة الحجاج في سنة خمس وتسعين . وقال أحمد بن صالح المعلى : لم يبتل أحد من الصحابة إلا رجلين ، معيقب كان به الجذام ، وأنس بن مالك ، كان به وضع . وقال الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال :

رأيت أنسا يأكل فرايته يلقيم لقما عظيماً ، ورأيت به وضحا شديداً . وقال أبو يعلى : ثنا عبد الله ابن معاذ بن يزيد عن أيوب قال : ضعف أنس عن الصوم فصنع طعاماً ودعا ثلاثين مسكيناً فأطعمهم . وذكره البخاري تعليقا . وقال شعبة عن موسى السبلاوي قلت لأنس : أنت آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ قال : قد بقي قوم من الأعراب ، فأما من أصحابه فأنا آخر من بقي ، وقيل له في مرضه : ألا ندعوك طبيباً ؟ فقال : الطبيب أضرني ، وجعل يقول : لقنوني لا إله إلا الله وهو محتضر ، فلم يزل يقولها حتى قبض . وكانت عنده عصية من رسول الله ﷺ ، فأضر بها فدفنت معه . قال عمر بن شبة وغير واحد : مات وله مائة وسبع سنين ، وقال الامام أحمد في مسنده : ثنا معتمر بن سليمان عن حميد أن أنسا عمر مائة سنة غير ستة ، قال الواقدي : وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة ، وكذا قال علي بن المديني والفلاس وغير واحد . وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته ، فقيل سنة تسعين ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل ثنتين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين ، وهذا هو المشهور وعليه الجمهور والله أعلم . وقال الامام أحمد : حدثني أبو نعيم قال : توفي أنس بن مالك وجابر بن زيد في جمعة واحدة سنة ثلاث وتسعين . وقال قتادة : لما مات أنس قال مؤرق المجلي : ذهب اليوم نصف العلم ، قيل له وكيف ذلك يا أبا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفونا في الحديث عن رسول الله ﷺ قلنا لهم : آملوا إلى من سمعه منه .

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، الشاعر المشهور ، يقال إنه ولد يوم توفي عمر بن الخطاب ، وختن يوم مقتل عثمان ، وتزوج يوم مقتل علي ، والله أعلم ، وكان مشهوراً بالتفزل المليح البليغ ، كان يتفزل في امرأة يقال لها الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية ، وقد تزوجها سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري . فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة : -

بها النكاح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمان

ومن مستجاد شعره ما أورده ابن خلكان :

حيّ طيفاً من الأحبة زارا * بعد ما برّح الكرى السمارا

طارقاً في المنام بعد دجي * الليل خفيا بأن يزور نهازا

قلت ما بالنا جفينا وكنا * قبل ذاك الأساعر والأبصارا

قال : إنا كما عهدت ولكن * شغل الحلي أهله أن يعمارا

بلال بن أبي الدرداء

ولى إمرة دمشق ثم ولى القضاء بها ، ثم عزله عبد الملك بأبي إدريس الخولاني . كان بلال حسن السيرة ، كثير العبادة ، والظاهر أن هذا القبر الذى بباب الصغير الذى يقال له قبر بلال ، إنما هو قبر بلال بن أبي الدرداء ، لا قبر بلال بن حماسة مؤذن رسول الله (س) ، فان بلالاً المؤذن دفن بدارياً والله أعلم .

بشر بن سعيد

المرزى السيد العابد الفقيه ، كان من العباد المنقطعين ، الزهاد المعروفين ، توفى بالمدينة .

زرارة بن أوفى

ابن حاجب العامرى ، قاضى البصرة ، كان من كبار علماء أهل البصرة وصلحائها ، له روايات كثيرة ، قرأ مرة فى صلاة الصبح سورة المدثر فلما بلغ [فاذا قرأ فى الناقور] خر ميتاً . توفى بالبصرة وعمره نحو سبعين سنة .

خبيب بن عبد الله

ابن عبد الله بن الزبير ، ضربه عمر بن عبد العزيز بأمر الوليد له فى ذلك فمات ، ثم عزل عمر بعده بأيام قليلة ، فكان يتأسف على ضربه له ويبكى . مات بالمدينة .

حفص بن عاصم

ابن عمر بن الخطاب المدنى ، له روايات كثيرة ، وكان من الصالحين . توفى بالمدينة .

سعيد بن عبد الرحمن

ابن عتاب بن أسيد الأموى ، أحد الأشراف بالبصرة ، كان جواداً ممدحاً ، وهو أحد الموصوفين بالكرم ، قيل إنه أعطى بعض الشعراء ثلاثين

فروة بن مجاهد

قيل إنه كان من الأبدال ، أسر مرة وهو فى غزوة هو وجماعة معه فأتوا بهم الملك فأمر بتقييدهم وحبسهم فى المكان والاحتراز عليهم إلى أن يصبح فيرى فيهم رأيه ، فقال لهم فروة : هل لكم فى المضى إلى بلادنا ؟ فقالوا : وما ترى مانحن فيه من الضيق ؟ فلس قيودهم بيده فزال عنهم ، ثم أتى باب السجن فلمسه بيده فافتتح ، فخرجوا منه ومضوا ، فأدركوا جيش المسلمين قبل وصولهم إلى البلد .

أبو الشعثاء جابر بن زيد

كان لا يماكس فى ثلاث ، فى السكرى إلى مكة ، وفى الرقبة يشتريها لتعتق ، وفى الأضحية . وقال : لا تماكس فى شئ يتقرب به إلى الله . وقال ابن سيرين : كان أبو الشعثاء مسلماً عند الدينار والدرهم ، قلت : كما قيل : —



إني رأيتُ فلا تظنوا غيره * أن النورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بأن تفك تقوى المسلم

وقال أبو الشعثاء : لأن أتصدق بدرهم على يقيم ومسكين أحب إلى من حجة بعد حجة الاسلام .
كان أبو الشعثاء من الذين أوتوا العلم ، وكان يفتي في البصرة ، وكان الصحابة مثل جابر بن عبد الله
إذا سأله أهل البصرة عن مسألة يقول : كيف تسألونا وفيكم أبو الشعثاء ؟ وقال له جابر بن عبد الله :
يا ابن زيد إنك من فقهاء البصرة وإنك ستستفتي فلا تفتن إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية ، فانك
إن فعلت غير ذلك فقد هلكت وأهلك . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أعلم بفتيا من جابر
ابن زيد . وقال إياس بن معاوية : أدركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد من أهل عمان . وقال
قتادة لما دفن جابر بن زيد : اليوم دفن أعلم أهل الأرض . وقال سمير بن عيينة عن عمرو بن دينار
قال أبو الشعثاء : كتب الحكم بن أيوب نفراً للقضاء أنا أحدم - أي عمرو - فلو أني ابتليت بشيء
منه لركبت راحلتي وهربت من الأرض . وقال أبو الشعثاء : فظرت في أعمال البر فاذا الصلاة تهجد
البدن ولا تهجد المال ، والصيام مثل ذلك ، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت أن الحج أفضل من
ذلك . وأخذ مرة قبضة تراب من حائط ، فلما أصبح رماها في الحائط ، وكان الحائط لقوم قالوا : لو كان
كلامه به أخذ منه قبضة لم يبق منه شيء . وقال أبو الشعثاء : إذا جئت يوم الجمعة إلى المسجد فقف
على الباب وقل : اللهم اجعلني اليوم أوجه من توجه إليك ، وأقرب من تقرب إليك ، وأنجح من
دعائك ورجب إليك . وقال سيار : حدثنا حماد بن زيد ثنا الحجاج بن أبي عيينة . قال : كان جابر
ابن زيد يأتينا في مصلانا ، قال : فأتانا ذات يوم وعليه نعلان خلعان ، فقال : مضى من عمرى ستون
سنة نعلاني هاتان أحب إلى مما مضى منه إلا أن يكون خير قدمته . وقال صالح الدهان : كان جابر
ابن زيد إذا وقع في يده سوق كسره ورمى به لئلا يفر به مسلم . السئوق الدرهم المغاير أو الدغل
وقيل : هو المشوش .

وروى الامام أحمد : حدثنا أبو عبد الصمد العمى حدثنا مالك بن دينار قال : دخل على جابر
ابن زيد وأنا أكتب المصحف فقلت له : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نعم الصنعة
صنعتك ، تنقل كتاب الله ورقة إلى ورقة ، وآية إلى آية ، وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به .
وقال مالك بن دينار : سألت عن قوله تعالى [إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات] قال
ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة [ثم لا تهجد لك علينا نصيرا] وقال سفيان : حدثني
أبو عمير الحارث بن عمير قال : قالوا لجابر بن زيد عند الموت : ماتتشي وما تريد ؟ قال : نظرة إلى
الحسن . وفي رواية عن ثابت قال : لما ثقل على جابر بن زيد قيل له : ماتتشي ؟ قال نظرة إلى

الحسن . قال ثابت : فأتيت الحسن فأخبرته فركب إليّ ، فلما دخل عليه قال لأهله : أقموني ، فجلس فما زال يقول : أعود بالله من النار وسوء الحساب .

وقال حماد بن زيد : حدثنا حجاج بن أبي عيينة قال : سمعت هنداً بنت المهلب بن أبي صفرة - وكانت من أحسن النساء - وذكروا عندها جابر بن زيد فقالوا : إنه كان إباضياً ، فقالت : كان جابر بن زيد أشد الناس انقطاعاً إلى وإلى أمي ، فما أعلم عنه شيئاً ، وكان لا يعلم شيئاً ، فبني إلى الله عز وجل إلا أمرني به ، ولا شيئاً يباعدي عن الله إلا نهاني عنه ، وما دعاني إلى الإباضية قط ولا أمرني بها ، وكان ليأمرني أين أضع الحمار - ووضعت يدها على الجبهة - أسند عن جماعة من الصحابة ، ومعظم روايته عن ابن عمر وابن عباس .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد أرض الروم ، فقيل إنه فتح الطائفة ، وغزا أخوه عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزاهما ، وبلغ الوليد بن هشام المعيط أرض برج الحمام ، وبلغ يزيد بن أبي كبشة أرض سورية . وفيها كانت الرجفة بالشام ، وفيها افتتح مسلمة بن عبد الملك سندية من أرض الروم . وفيها فتح الله على الاسلام فتوحات عظيمة في دولة الوليد بن عبد الملك ، على يدي أولاده وأقربائه وأمرائه حتى عاد الجهاد شبيهاً بأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفيها افتتح القاسم بن محمد النقي أرض الهند وغنم أموالاً لا تعد ولا تحصى ، وقد ورد في غزاه الهند حديث رواه الحافظ ابن عساكر وغيره . وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش وفرغانة حتى بلغ خجندة ، وكاشان مدينتي فرغانة ، وذلك بعد فراغه من الصفد وفتح سمرقند ، ثم خاض تلك البلاد يفتح فيها حتى وصل إلى كابل فحاصرها وافتتحها ، وقد لقيه المشركون في جموع هائلة من الترك قتلتهم قتيبة عند خجندة فكسروهم مراراً وظفروهم ، وأخذ البلاد منهم ، وقتل منهم خلقاً وأمر آخرين ، وغنم أموالاً كثيرة جداً . قال ابن جرير : وقد قال سبحانه وأول يذكر قتالهم بخجندة التي هي قريبة من بلاد الصين أبيتا في ذلك : -

فلسل الفوارس في خجند * دة نحت مرهفتر العوالى
هل كنت أجهم إذا * هزبوا وأقدم في قتالي
أم كنت أضرب هاماً لا * مائي وأصير للترال
هذا وأنت قريب قدي * سكلها ضخم التوال
وفضلت قيساً في الندي * وأبوك في الحجج الخوالى

تمت مروءة تسمك ونا * غي عزكم غلب الجبال
ولقد تبين عدل حكمك * فيهم في كل مال

هكذا ذكر ابن جرير هذا من شعر سحبان وائل في هذه الغزوة . وقد ذكرنا ما أورده ابن
الجزري في منظمه أن سحبان وائل مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد الحسنين فآله أعلم .

مقتل سعيد بن جبير رحمه الله

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل الحجاج بن يوسف سعيد بن جبير ، وكان سبب ذلك أن
الحجاج كان قد جمعه على نفقات الجند حين بعثه مع ابن الأشعث إلى قتال رقبيل ملك الترك ،
فلما خلمه ابن الأشعث خلمه معه سعيد بن جبير ، فلما ظفر الحجاج بابن الأشعث وأصحابه هرب
سعيد بن جبير إلى أصحابه ، فكتب الحجاج إلى نائبها أن يبعثه إليه ، فلما سمع بذلك سعيد هرب
منها ، ثم كان يمتنع في كل سنة ويحج ، ثم إنه لجأ إلى مكة فأقام بها إلى أن وليها خالد بن عبد الله
القسري ، فأشار من أشار على سعيد بالهرب منها فقال سعيد : والله لقد استحييت من الله مما أفر
ولا مفر من قدره ؟ وتولى على المدينة عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز ، فجعل يبعث من بالمدينة
من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود ، فتعلم منه خالد بن الوليد القسري فعين
من عنده من مكة سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ، ومجاهد بن جبر ، وعمر بن دينار ، وطلق
ابن حبيب . ويقال إن الحجاج أرسل إلى الوليد يخبره أن بمكة أقواما من أهل الشقاق ، فبعث خالد
بهؤلاء إليه ثم عفا عن عطاء وعمر بن دينار لأنهما من أهل مكة ، وبعث بأولئك الثلاثة ، فأما طلق
فمات في الطريق قبل أن يصل ، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج ، وأما سعيد
ابن جبير فلما أوقف بين يدي الحجاج قال له : يا سعيد ألم أشركك في أمانتي ألم أستعملك ؟ ألم أفعل
ألم أفعل ؟ كل ذلك يقول : نعم ، حتى ظن من عنده أنه سيخلى سبيله ، حتى قال له : فما حلك على الخروج
علي ؟ وخلمت بيعة أمير المؤمنين ؟ فقال سعيد : إن ابن الأشعث أخذ مني البيعة على ذلك وعزم
علي ، ففضض عند ذلك الحجاج غضبا شديدا وانتفخ حتى سقط طرف رداءه عن منكبيه ، وقال له :
وبحك ألم أقدم مكة فقتلت ابن الزبير وأخنت بيعة أهلها وأخذت بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ؟
قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة واليا على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة فأخذت بيعتك له
ثانية ؟ قال : بلى ، قال فتشكك بيعتين لأمر المؤمنين وتني بواحدة للعائك ابن الحائك ؟ يا حرسى
أضرب عنقه . قال : فضربت عنقه فبدر رأسه عليه لاطئة صغيرة بيضاء ، وقد ذكر الواقدي نحو
هذا ، وقال له : أما أعطيتك مائة ألف ؟ أما فعلت أما فعلت .

قال ابن جرير : لحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل قال : سمعت خلف بن خليفة يذكر

عن رجل قال : لما قتل الحجاج سميد بن جبير فندس رأسه هلل ثلاثا ، مرة يفصح بها ، وفي الثنتين يقول مثل ذلك لا يفصح بها . وذكر أبو بكر الباهلي قال : سمعت أنس بن أبي شبيب يقول : لما أتى الحجاج بسميد بن جبير قال : لمن ابن النصرانية - يعني خالد القسري وكان هو الذي أرسل به من مكة - أما كنت أعرف مكانه ، بلى والله والبیت الذي هو فيه بمكة ، ثم أقبل عليه فقال : يا سميد ما أخرجك علي ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، أنا امرؤ من المسلمين يخطئ مرة ويصيب أخرى ، فطابت نفس الحجاج وانطلق وجهه ، ورجا الحجاج أن يتخلص من أمره ، ثم غاوده في شيء فقال سميد : إنما كانت بيعة في عنقي ، ففضض عند ذلك الحجاج فكان ما كان من قتله . وذكر عتاب ابن بشر عن سالم الافطس قال : أتى الحجاج بسميد بن جبير وهو يريد الركوب وقد وضع إحدى رجله في الفرز ، فقال : والله لأأركب حتى تدبوا مقعدك من النار ، أضربوا عنقه ، فضربت عنقه . قال : والتبس الحجاج في عقله مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه يريد القيود التي على سميد ، فقطعوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود :

وقال محمد بن أبي حاتم : ثنا عبد الملك بن عبد الله بن خباب ، قال : جئ بسميد بن جبير إلى الحجاج فقال : كتبت إلى مصعب بن الزبير ؟ فقال : بلى كتبت إلى مصعب ، قال : لا والله لأقتلك قال : إني إذا لسميد كما سمعتني أمي . قال فقتله ، فلم يلبث الحجاج بعنده إلا أربعين يوماً ، وكان إذا نام براه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ويقول : يا عذو الله فيم قتلته ؟ فيقول الحجاج : مالي ولسميد بن جبير ، مالي ولسميد بن جبير ؟ قال ابن خلكان : كان سميد بن جبير بن هشام الأسدي مولى بني والبة كوفيا أحد الأعلام من التابعين ، وكان أسود اللون ، وكان لا يكتب على الفتيا ، فلما عي ابن عباس كتب ، ففضض ابن عباس من ذلك ، وذكر مقتلهم ما تقدم ، وذكر أنه كان في شعبان ، وأن الحجاج مات بعده في رمضان ، وقيل قبل بسة أشهر . وذكر عن الامام أحمد أنه قال : قتل سميد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج - أو قال مفتقر - إلى علمه . ويقال إن الحجاج لم يسلط بعده على أحد ، وسيأتي في ترجمة الحجاج أيضاً شيء من هذا . قال ابن جرير : وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء ، لأنه مات فيها عامة فقهاء المدينة ، مات في أولها علي بن الحسين بن زين العابدين ، ثم عروة بن الزبير ، ثم سميد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسميد بن جبير من أهل مكة ، وقد ذكرنا تراجم هؤلاء في كتابنا التكميل ، وسند ذكر طرقات صالحا هاهنا إن شاء الله تعالى .

قال ابن جرير : واستغنى الوليد بن عبد الملك في هذه السنة على الشام سليمان بن صرد . وحج بالناس فيها العباس بن الوليد ، ويقال مسلمة بن عبد الملك ، وكان على نيابة مكة خالد القسري ، وعلى

المدينة عثمان بن حيان ، وعلى المشرق بكاله الحجاج ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى الكوفة من جهة الحجاج زياد بن جبر ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى إمرة البصرة من جهة الحجاج الجراح بن عبد الله الحكيم ، وعلى قضائها عبد الله بن أذينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر من توفي فيها من المشاهير والأعيان

سعيد بن جبير الأسدي الوالبي مولاهم أبو محمد ، ويقال أبو عبد الله ، السكوفي المكي ، من أكابر أصحاب ابن عباس ، كان من أئمة الاسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم ، وكثرة العمل الصالح ، رحمه الله ، وقد رأى خلقاً من الصحابة ، وروى عن جماعة منهم ، وعنه خلق من التابعين ، يقال إنه كان يقرأ القرآن في الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ختمة تامة ، وكان يقرأ في الكعبة القعدة فيقرأ فيها الختمة ، وربما قرأها في ركعة في جوف الكعبة . وروى عنه أنه ختم القرآن مرتين ونصفاً في الصلاة في ليلة في الكعبة . وقال سفيان الثوري عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه ؟ وكان في جملة من خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، فلما ظفر الحجاج هرب سعيد إلى أصبهان ، ثم كان يتردد في كل سنة إلى مكة مرتين ، مرة للعمرة ومرة للحج ، وربما دخل الكوفة في بعض الأحيان لحدث بها ، وكان بخراسان لا يتحدث لأنه كان لا يسأله أحد عن شيء من العلم هناك ، وكان يقول : إن مما يهمني ما عندي من العلم ، وددت أن الناس أخذوه . واستمر في هذا الحال مخفياً من الحجاج قريباً من ثلثي عشرة سنة ، ثم أرسله خالد القيسري من مكة إلى الحجاج ، وكان من مخاطبته له ما ذكرناه قريباً .

وقال أبو نعيم في كتابه الحلية : ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد ابن أبي خلف ثنا شعبان عن سالم بن أبي حفصة . قال : لما أتى بسعيد بن جبير إلى الحجاج قال له : أنت الشقي بن كسير ؟ قال : لا ! إنما أنا سعيد بن جبير ، قال لأقتلك ، قال : أنا إذا كما سمعتي أمي سعيداً ! قال شقيت وشقيت أمك ، قال : الأمر ليس إليك . ثم قال : اضربوا عنقه ، فقال : دعوني أصلي ركعتين ، قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال : (فأبنا تولوا فم وجه الله) قال : إني أستميذ منك بما استعاذت به مريم ، قال : وما عاذت به ؟ قال : قالت [إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً] قال سفيان : لم يقتل بعده إلا واحداً . وفي رواية أنه قال له : لا بد لك بالدنيا ناراً تلتظي ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً . وفي رواية أنه لما أراد قتله قال : وجهوه إلى قبلة النصارى ، قال : [أبنا تولوا فم وجه الله] فقال : اجلدوا به الأرض ، فقال : [منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى] فقال : اذبح فما أنزعه لا يأت الله منه اليوم . فقال : اللهم لا تسلطه على أحد بئدي . وقد ذكر أبو نعيم هنا كلاماً كثيراً في مقتل سعيد

ابن جبير ، أحسنه هذا والله أعلم [(١)]

وقد ذكرنا صفة مقتله إياه ، وقد رويت آثار غريبة في صفة مقتله ، أكثرها لا يصح ، وقد وقب الحجاج بعده وعوجل بالعقوبة ، فلم يلبث بعده إلا قليلاً ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، كما سنذكر وفاته في السنة الآتية ، فقبل إنه مكث بعده خمسة عشر يوماً ، وقيل أربعين يوماً ، وقيل ستة أشهر والله أعلم .

واختلفوا في عمر سعيد بن جبير رحمه الله حين قتل ، فقبل تسعاً وأربعين سنة ، وقيل سبعاً وخمسين فالله أعلم . قال أبو القاسم اللالكائي : كان مقتله في سنة خمس وتسعين ، وذكر ابن جرير مقتله في هذه السنة - سنة أربع وتسعين - والله أعلم .

[قلت : هاهنا كلمات حسان من كلام سعيد بن جبير أحببت أن أذكرها . قال : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته ، وتحملك على طاعته ، فتلك هي الخشية النافعة . والذكر طاعة الله ، فمن أطاع الله فقد ذكره ، ومن لم يطعه فليس بذاكركه ، وإن أكثر منه التسبيح وتلاوة القرآن . قبله : من أعبد الناس ؟ قال : رجل أقترف من الذنوب ، فكما ذكر ذنبه احتقر عمله ، وقال له الحجاج : ويلك ! فقال : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار ، فقال : اضرب عنقه ، فقال : إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة فأنا خصمك عند الله ، فذبح من قفاه ، فبلغ ذلك الحسن فقال : اللهم بإقصم الجبارة أقصم الحجاج ، فما بقي إلا ثلاثة حتى وقع من جوفه دود فأنتن منه فأت . وقال سعيد للحجاج لما أمر بقتله وضحك فقال له : ما أضحكك ؟ فقال : أضحك من غيراتك على وحلم الله عنك] (٢)

سعيد بن المسيب

ابن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدنف ، سيد التابعين على الإطلاق ، ولد لستين سنة قبل بقاءنا وقبل بقاءنا من خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل لأربع مئتين منها ، وقول الحاكم أبي عبد الله إنه أدرك المشرة وهم منه والله أعلم . ولكن أرسل عنهم كما أرسل كثيراً عن النبي (ص) ، وروى عن عمر كثيراً ، فقبل سمع منه ، وعن عثمان وعلى وسعيد وأبي هريرة ، وكان زوج ابنته ، وأعلم الناس بحديثه ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وحدث عن جماعة من التابعين ، وخلق من سوام ، قال ابن عمر : كان سعيد أحد المتقين ، وقال الزهري : جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحد علماً غيره ، وقال محمد بن إسحاق عن مكحول قال : طفت الأرض كلها في طلب العلم . فما لقيت أعلم من سعيد بن المسيب . وقال الأوزاعي : سئل الزهري ومكحول من

أفقه من ألقين؟ قالوا: سعيد بن المسيب. وقال غيره: كان يقال له فقيه الفقهاء. وقال مالك عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب: كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد، قال مالك: وبلغني أن ابن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب يسأله عن قضايا عمر وأحكامه، وقال الربيع عن الشافعي أنه قال: إرسال سعيد بن المسيب جسدنا حسن. وقال الامام أحمد بن حنبل في صحيحه: قال: وسعيد بن المسيب أفضل التابعين. قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، وإذا قال سعيد مضت السنة لحسبك به، وهو عندي أجل التابعين. وقال أحمد بن عبد الله المعجل: كان سعيد رجلاً صالحاً قتيماً، كان لا يأخذ العطاء، وكانت له بضاعة أربعائة دينار، وكان يتجر في الزيت، وكان أعور. وقال أبو زرعة: كان مدنياً ثقة إماماً. وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه، وهو أثبتهم في أبي هريرة، قال الواقدي: توفي في سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين، عن خمس وسبعين سنة، رحمه الله.

وكان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته ووطنه، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا، والسكلام فيما لا يعني، ومن أكثر الناس أدباً في الحديث، جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فخدمته ثم اضطلع، فقال الرجل: وددت أنك لم تمنن، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع، وقال برد مولا: ما نودي للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد. وقال ابن إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة. وقال سعيد: لا تعملوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالأنكار من قلوبكم، لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة. وقال: ما ينس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء. وقال: ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله، ولا أهانت أنفسها إلا بمحبة الله تعالى. وقال: كفى بالمرء نصرة من الله له أن يرى عدوه يعمل بمحبة الله. وقال: من استغنى بالله افتر الناس إليه. وقال: الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأنزل منها من أخذها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها. وقال: إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذبي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا يلبى أن تذكر عيوبه. وقال: من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله.

وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبي وداعة - وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدباً وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله (ص)، وأعرفهم بحق الزوج - وكان فقيراً، فأرسل إليه بخمسة آلاف، وقيل: بمشرين ألفاً، وقال: استنق هذه. وقصته في ذلك مشهورة، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط كما تقدم، لما جاءت بيعة الوليد إلى المدينة في أيام عبد الملك، ضربه فأنبه على المدينة هشام بن

إسماعيل وأطافه المدينة ، وعرضوه على السيف فضى ولم يبايع ، فلما رجفوا به رآته امرأة قالت : ما هذا الخزي ياسعيد ؟ فقال : من الخزي فررنا إلى ماترين ، أى لو أحببناهم وقمنا في خزي الدنيا والآخرة . وكان يجعل على ظهره إهاب الشاة ، وكان له مال يتجر فيه ويقول : اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ، ولا حبة للدنيا ونيل شهواتها ، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بنى مروان حتى ألقى الله فيحكم في وفيهم ، وأصل منه رحي ، وأودى منه الحقوق التي فيه ، وأعود منه على الأرملة والمفقير والمسكين واليتيم والجار . والله سبحانه وتعالى أعلم .

طلق بن حبيب العنزي

تابعى جليل ، روى عن أنس وجابر وابن الزبير وابن عباس ، وعبد الله بن عمر وغيرهم ، وعنه حميد الطويل والأعمش وطاووس ، وهو من أقوانه وأثنى عليه عمرو بن دينار ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أنه كان يقول بالأرجاء ، وقد كان ممن خرج مع ابن الأشعث ، وكان يقول تقوا بالتقوى ، ف قيل له : صف لنا التقوى ، فقال : التقوى هي العمل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله ، وترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله . وقال أيضاً : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن تحصي ، أو يقوم بشكرها العباد ، ولكن أصبحوا تائبين ، وأمسوا تائبين . وكان طلق لا يخرج إلى صلاة إلا ومعه شيء يتصدق به ، وإن لم يجد إلا بصلاً ، ويقول : قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) فتقديم الصدقة بين يدي مناجاة الله أعظم وأعظم . قال مالك : قتلته الحجاج وجماعة من القراء منهم سعيد بن جبير . وقد ذكر ابن جرير فيما سبق أن خالد بن عبد الله القسري بعث من مكة ثلاثة إلى الحجاج ، وهم مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وطلق بن حبيب ، فمات طلق في الطريق وحبس مجاهد ، وكان من أمر سعيد ما كان والله أعلم .

عروة بن الزبير بن العوام

القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني ، تابعى جليل ، روى عن أبيه وعن العبادلة ومعاوية والمنيرة وأبي هريرة ، وأمه أسماء ، وخالته عائشة ، وأم سلمة . وعنه جماعة من التابعين ، وخلق ممن سواهم . قال محمد بن سعد : كان عروة ثقة كثير الحديث عالماً مأموناً ثباتاً . وقال المعلى : مدني تابعى رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن . وقال الواقدي : كان قتيلاً عالماً حافظاً ثباتاً حجة عالماً بالسير ، وهو أول من صنف المغازي ، وكان من فقهاء المدينة المحدثين ، ولقد كان أصحاب رسول الله (ص) يسألونه ، وكان أروى الناس للشعر ، وقال ابنه هشام : العلم لواحد من ثلاثة ، لذى حسب يزين به

حسبه ، أو ذى دين يسوس به دينه ، أو مختلط بسطان يتحفه بنعمه ويتخلص منه بالعلم ، فلا يقع في هلكة ، وقال : ولا أعلم أحداً اشترطه بهذه الثلاثة إلا عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز . وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به في الليل ، وكان أيام الرب يطعم حائطه للناس فيدخلون ويأكلون ، فإذا ذهب الرب أعاده ، وقال الزهري : كان عروة بمرآ لا يتزف ولا تنكسه الدلاء . وقال عمر بن عبد العزيز : ما أحد أعلم من عروة وما أعلمه يعلم شيئاً أجمله ، وقد ذكره غير واحد في فقهاء المدينة السبعة الذين ينتهى إلى قولهم ، وكاتب من جملة الفقهاء العشرة الذين كان عمر بن عبد العزيز يرجع إليهم في زمن ولايته على المدينة [وقد ذكر غير واحد أنه وفد على الوليد بدمشق ، فلما رجع أصابته في رجله الأكلة فأرادوا قطعها ، فعرضوا عليه أن يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يحس بالألم ويتمكنوا من قطعها ، فقال : ما ظننت أن أحداً يؤمن بالله يشرب شيئاً يغيب عقله حتى لا يعرف به عز وجل ، ولكن هلموا فاقطعوها فاقطعوها من ركبته وهو صامت لا يتكلم ، ولا يعرف أنه أن ، وروى أنهم قطعوها وهو في الصلاة فلم يشعر لشغلها بالصلاة فأنه أعلم . ووقع في هذه الليلة التي قطعت فيها رجله ولد له يسمى محمداً كان أحب أولاده من سطح فسات ، فدخلوا عليه فمزوه فيه ، فقال : اللهم لك الحمد ، كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة ، فلئن كنت قد أخذت فلقد أعطيت ، ولئن كنت قد ابتليت فقد عافيت] قلت : قد ذكر غير واحد أن عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجهاً إلى دمشق ليجتمع بالوليد ، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة وكان مبدؤها هناك ، فظن أنها لا يكون منها ما كان ، فذهب في وجهه ذك ، فمات وصل إلى دمشق إلا وهي قد أكلت نصف ساقه ، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء البارفين بذلك ، فأجمعوا على أنه إن لم يقطعها وإلا أكل رجله كلها إلى وركه . وربما ترقق إلى الجسد فأكلته ، فطابت نفسه بنشرها وقالوا له : ألا نسقيك مرقداً حتى يذهب عقلك منه فلا تحس بألم النشر ؟ فقال : لا والله ما كنت أظن أن أحداً يشرب شراباً أو يأكل شيئاً يذهب عقله ، ولكن إن كنتم لابد طعنين فافعلوا ذلك وأنا في الصلاة ، فاني لأخس بذلك ، ولا أشعر به . قال : فنشروا رجله من فوق الأكلة ، من المسكان الحى ، احتياطاً أنه لا يبقى منها شيء ، وهو قائم يصلى ، فما تصور ولا اختلج ، فلما انصرف من الصلاة عزاه الوليد في رجله ، فقال : اللهم لك الحمد ، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت ، وإن كنت قد أبليت فلطالما عافيت ، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت . قال : وكان قد صحب معه بعض أولاده من جملتهم ابنه محمد ، وكان أحبههم إليه ، فدخل دار الدواب ففرسته فرس فسات ، فأنوه فمزوه فيه ، فقال : الحمد لله كانوا سبعة فأخذت منهم واحداً وأبقيت ستة ، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما

عافيت ، ولئن كنت قد أخذت فلطالما أعطيت . فلما قصى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة ، قال : فما سمعناه ذكر رجله ولا ولده ، ولا شيكا ذلك إلى أحد حتى دخل وادى القرى ، فلما كان في المكان الذى أصابته الأكلة فيه قال : [لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا] فلما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ويعزونه في رجله ولده ، فبلغه أن بعض الناس قال : إنما أصابه هذا بذنوب عظيم أحده . فأنشد عروة في ذلك والأيات لمعن بن أوس :-

لمعرك ما أهويت كفى لريبة * ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قاذي سمعي ولا بصري لها * ولا دلني رأي عليها ولا عقلي
ولست بمأش ما حييت لمنكر * من الأمر لا يشي إلى مثله مني
ولا مؤثر نفسي على ذى قرابة * وأوتر ضيفي ما أقام على أهلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة * من الدهر إلا قد أصابت فني مني

وفي رواية : اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة . كذا ذكر هذا الحديث فيه هشام . وقال مسلمة بن محارب : وقعت في رجل عروة الأكلة فقامت ولم يسكه أحد ، ولم يدع في تلك الليلة ورده . وقال الأوزاعي : لما نشرت رجل عروة قال : اللهم إنك تعلم أني لم أمش بها إلى سوء قط . وأنشد البيهقي المتقدمين . رأى عروة رجلاً يصلي صلاة خفيفة فدهاه فقال : يا أخى أما كانت لك إلى ربك حاجة في صلاتك ؟ إني لأسال الله في صلاتي حتى أسأله الملعج . قال عروة : رب كلته ذل احتملتها أورثتني عزاً طويلاً . وقال لبيته : إذا رأيتم الرجل يعمل الحسنه فاعلموا أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيتم الرجل يعمل السيئة فاعلموا أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنه تدل على أختها ، والسيئة تدل على أختها . وكان عروة إذا دخل حائطه ردد هذه الآية [ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله] حتى يخرج منه والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١)

قيل إنه ولد في حياة عمر ، والصحيح أنه ولد بعد عمر في سنة ثلاث وعشرين ، وكانت وفاته في سنة أربع وتسعين على المشهور ، وقيل سنة تسعين ، وقيل سنة مائة ، وقيل إحدى وتسعين ، وقيل إحدى ومائة ، وقيل سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس وتسعين ، وقيل تسع وتسعين فله أعلم .

﴿ على بن الحسين ﴾

ابن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المشهور بزین العابدین ، وأمه أم ولد اسمها سلامة ، وكان له أخ أكبر منه يقال له علي أيضاً ، قتل مع أبيه ، روى على هذا الحديث عن أبيه وعمه الحسن بن علي ، وجابر وابن عباس والمصور بن مخزوم وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة ، أمهات المؤمنين . وعنه

جماعة منهم بنوه زيد وعبد الله وعمر ، وأبو جعفر محمد بن علي بن قر ، وزيد بن أسلم ، وطاوس وهو من أقرانه ، والزهرى ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وأبوسلة وهو من أقرانه ، وخلق .

قال ابن خلكان : كانت أم سلة بنت يزجرد آخر ملوك الفرس ، وذكر الزنجشري في ربيع الأبرار أن يزجرد كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب ، فحصلت واحدة لعبد الله بن مر فأولدها سالما ، والأخرى لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم ، والأخرى للحسين بن علي فأولدها عليا زين العابدين هذا ، فكلهم بنو خلة . قال ابن خلكان : ولما قتل قتبية بن مسلم فيروز ابن يزجرد بمث بابلنية إلى الحجاج فأخذ إحداها وبث بالأخرى إلى الوليد ، فأولدها الوليد يزيد الناقص . وذكر ابن قتبية في كتاب المعارف أن زين العابدين هذا كانت أمه سنديية ، يقال لها سلامة ، ويقال غزالة ، وكان مع أبيه بكر بلاء ، فاستبق لصفه ، وقيل لمرضه ، فانه كان ابن ثلاث وعشرين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وقدم بقتله عبيد الله بن زياد ، ثم صرفه الله عنه ، وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا ففهم الله منه ، ثم كان يزيد بعد ذلك يكرمه ويعظمه ويجلسه معه ، ولا يأكل إلا وهو عنده ، ثم بنمهم إلى المدينة ، وكان على بالمدينة محترما معظما . قال ابن عساکر : ومسجده بمشوق الملسوب إليه معروف . قلت : وهو مشهد على بالناحية الشرقية من جامع دمشق . وقد استقدمه عبد الملك بن مروان مرة أخرى إلى دمشق فاستشاره في جواب ملك الروم عن بعض ما كتب إليه فيه من أمر السكة وطراز القراطيس ، قال الزهرى : ما رأيت قرشيا أودع منه ، ولا أفضل . وكان مع أبيه يوم قتل ابن ثلاث وعشرين سنة وهو مريض ، فقال عمر ابن سعد : لا تعرضوا لهذا المريض . وقال الواقدي : كان من أروع الناس وأعبداهم وأتقاهم الله عز وجل ، وكان إذا مشى لا يحظر بيده ، وكان يتم بهيمة بيضاء برحبها من ورائه ، وكان كنيته أبا الحسن ، وقيل أبا محمد ، وقيل أبا عبد الله . وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا كثير الحديث عالما رفيقا ورعا ، وأم غزالة خلف عليها بعد الحسين مولاه زبيد فولدت له عبد الله بن زبيد ، وهو على الأصغر ، فأما الأكبر فقتل مع أبيه . وكذا قال غير واحد ، وقال سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومالك وأبو حازم : لم يكن في أهل البيت مثله . وقال يحيى بن سعيد الأنصارى : سمعت على ابن الحسين وهو أفضل هاشمي أدركته يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الاسلام ، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً . وفي رواية : حتى بفضنمونا إلى الناس . وقال الأصمى : لم يكن للحسين عقب إلا من على بن الحسين ، ولم يكن لعلى بن الحسين نسل إلا من ابن عمه الحسن ، فقال له مروان بن الحكم : لو انخفضت السراى يكثر أولادك ، فقال : ليس لي ما أنسرى به ، فأقرضه مائة ألف فاشترى له السراى فولدت له وكثر نسله . ثم لما مرض مروان أوصى أن لا يؤخذ من على بن

الحسين شيء مما كان أقرضه ، فجميع الحسينيين من نسله رحمه الله . وقال أبو بكر بن أبي شيبة :
أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، وذكروا أنه احترق البيت
الذي هو فيه وهو قائم يصلي ، فلما انصرف قالوا له : مالك لم تنصرف ؟ فقال : إني اشتغلت عن
هذه النار بالنار الأخرى ، وكان إذا توضأ يصفر لونه ، فإذا قام إلى الصلاة ارتعد من الفرق ، ف قيل
له في ذلك فقال : ألا تدرون بين يدي من أقوم ولن أناجي ؟ ولما حجج أراد أن يلبي فارتعد وقال :
أخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك ، فيقال لي : لا لبيك ، فشجعوه على التلبية ، فلما لبي غشي عليه
حتى سقط عن الراحلة . وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة . وقال طاووس : سمعته وهو ساجد عند
الحجر يقول : عبيدك بفنائك ، سائلك بفنائك . فقيرك بفنائك ، قال طاووس : فوالله مادعوت بها في
كرب قط إلا كشفت عني . وذكروا أنه كان كثير الصدقة بالليل ، وكان يقول صدقة الليل تطفي غضب
الرب ، وتنور القلب والقبر ، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة ، وقاسم الله تعالى ماله مرتين .

وقال محمد بن إسحاق : كان ناس بالمدينة يعيشون لا يدرون من أين يعيشون ومن يعطيهم ،
فلما مات علي بن الحسين فقدوا ذلك ففرقوا أنه هو الذي كان يأتيهم في الليل بما يأتيهم به . ولما مات
وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب إلى بيوت الأرامل والمساكين في الليل . وقيل إنه كان
يعول مائة أهل بيت بالمدينة ولا يدرون بذلك حتى مات . ودخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة
ابن زيد يعود فبكى ابن أسامة فقال له ما يبكيك ؟ قال : علي دين ، قال : ولم هو ؟ قال خمسة عشر
ألف دينار . وفي رواية سبعة عشر ألف دينار . فقال : هي علي . وقال علي بن الحسين : كان أبو بكر
وعمر من رسول الله (ص) في حياته بمنزلة لهما منه بعد وفاته . ونال منه رجل يوماً فجعل يتغافل عنه
- يريه أنه لم يسمعه - فقال له الرجل : إياك أعني ، فقال له علي : وعنتك أغضى . وخرج يوماً من المسجد
فسبّه رجل فالتدب الناس إليه ، فقال : دعوه ، ثم أقبل عليه فقال : ماستره الله عنك من عيوبنا
أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل فألقى إليه خيصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ،
فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء . قالوا : واختصم علي بن الحسين وحسن
ابن حسن - وكان بينهما منافسة - فقال منه حسن بن حسن وهو ساكت ، فلما كان الليل ذهب علي
ابن الحسين إلى منزله فقال : يا ابن عم إن كنت صادقاً ينفر الله لي ، وإن كنت كاذباً ينفر الله لك
والسلام عليك ، ثم رجع ، فلحقه فصاحه . وقيل له من أعظم الناس خطراً ؟ فقال : من لم ير الدنيا
لنفسه قدراً ، وقال أيضاً : الفكرة مرآة ترى المؤمن حسناته وسيئاته ، وقال : فقد الأجابة غربة ، وكان
يقول : إن قوماً عبدوا الله رهبة فذلك عبادة العبيد ، وآخرون عبدوه رغبة فذلك عبادة التجار ،
وآخرون عبدوه محبة وشكراً فذلك عبادة الأحرار الأخيار . وقال لابنه : يا بني لاتصحب فاسقاً فإنه

يبعك بأكلة وأقل منها يطعم فيها ثم لا ينالها ، ولا بخيلا فانه يخذلك في ماله أخرج ماتكون إليه ، ولا كذابا فانه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد عنك القريب ، ولا أحمق فانه يريد أن ينفمك فيضرك ، ولا قاطع رحم فانه ملعون في كتاب الله . قال تعالى : [فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم]

وكان علي بن الحسين إذا دخل المسجد تخطى الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم ، فقال له نافع بن جبير بن مطعم : غفر الله لك ، أنت سيد الناس تأتي تخطى حلق أهل العلم وقرش حتى تجلس مع هذا العبد الأسود ؟ فقال له علي بن الحسين : إنما يجلس الرجل حيث يفتنع ، وإن العلم يطلب حيث كان . وقال الأعمش عن مسعود بن مالك قال قال لي علي بن الحسين : أتستطيع أن تجمع بيني وبين سعيد بن جبير ؟ فقلت : ماتصنع به ؟ قال أريد أسأله عن أشياء ينفعنا الله بها ولا منقصة ، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء . وأشار بيده إلى العراق .

وقال الامام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن زرين عبيد ^(١) قال : كنت عند ابن عباس فأتى علي بن الحسين فقال ابن عباس : مرحبا بالحبيب ابن الحبيب . وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصولي : ثنا العلاء ثنا إبراهيم بن بشار عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير قال : كنا عند جابر بن عبد الله فدخل عليه علي بن الحسين فقال : كنت عند رسول الله (ص) ، فدخل عليه الحسين بن علي فضمه إليه وقبله وأقمنه إلى جنبه ، ثم قال : « يولد لابني هذا ابن يقال له علي ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقيم سيد العابدين ، فيقوم هو » هذا حديث غريب جدا أورده ابن عساكر . وقال الزهري : كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين ، وما رأيت أحده منه ، وكان قليل الحديث ، وكان من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة ، وأحبهم إلى مروان وابنه عبد الملك ، وكان يسمى زين العابدين . وقال جويرية بن أسماء : ما أكل علي بن الحسين بقرابته من رسول الله (ص) ، درهمًا قط . رحمه الله ورضي عنه . وقال محمد بن سعد : ألبأ علي بن محمد عن سعيد بن خالد عن المقبري قال : بعث المختار إلى علي بن الحسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردها ، فاحتبسها عنده ، فلما قتل المختار كتب إلى عبد الملك بن مروان : إن المختار بعث إلى بمائة ألف فكرهت أن أقبلها وكرهت أن أردّها ، فابعث من يقبضها . فكتب إليه عبد الملك : يا ابن عم اخنّها فقد طيبتها لك ، فقبلها . وقال علي بن الحسين : سادة الناس في الدنيا الأسخياء الأتقياء ، وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم الاتقياء ، لأن العلماء ورثة الأنبياء . وقال أيضاً : إني لأستحي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا ، فإذا كان يوم القيامة

(١) لهله زرين حبش .

قيل لى فاذا كانت الجنة بيدك كنت بها أبخل ، وأبخل وأبخل . وذكره أنه كان كثير البكاء فقيل له فى ذلك فقال : إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ، ولم يعلم أنه مات ، وإنى رأيت بضعة عشر من أهل بيتى يذبحون فى غداة واحدة ، فترون حزنهم يذهب من قلبى أبداً ؟ وقال عبد الرزاق : سكبت جارية لعلى بن الحسين عليه ماء ليتوضأ فسقط الأبريق من يدها على وجهه فشجه ، فرفع رأسه إليها فقالت الجارية : إن الله يقول [والكاظمين الفیظ] ، فقال : قد كظمت غيظى ، قالت [والعافين عن الناس] فقال : عفا الله عنك . فقالت [والله يحب المحسنين] قال : أنت حرة لوجه الله تعالى .

وقال الزبير بن بكار : ثنا عبد الله بن إبراهيم بن قدامة اللخمي عن أبيه عن جده عن محمد بن علي عن أبيه قال : جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر فنالوا منهما ، ثم ابتدؤا فى عثمان فقال لهم : أخبروني أنتم من المهاجرين الأولين الذين [أخرجوا من ديارهم وأموالهم يستفنون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله] ؟ قالوا : لا قال : فأنتم من الذين [تبوؤا الدار والائمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم] ؟ قالوا لا فقال لهم : أما أنتم فقد أقرتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء ، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم [والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا] الآية ، فتقوموا عني لا يارك الله فيكم ، ولا تقرب دوركم ، أنتم مستهزئون بالإسلام ، ولستم من أهله . وجاء رجل فسأله متى . . . على ؟ فقال : يبعث الله يوم القيامة وتهمه نفسه . وقال ابن أبي الدنيا : حدثت عن سعيد بن سليمان عن علي بن هاشم عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان إذا خرج من بيته قال : اللهم إني أتصدق اليوم - أو أهب عرضي اليوم - من استحله . وروى ابن أبي الدنيا أن غلاماً سقط من يده سفود وهو يشوى شيئاً فى التنور على رأس صبي لعلى بن الحسين فقتله ، فنهض على بن الحسين مسرعاً ، فلما نظر إليه قال للغلام : إنك لم تعتمد ، أنت حر ، ثم شرع فى جهاز ابنه . وقال المدائني : سمعت سفيان يقول : كان على بن الحسين يقول : ما يسرني أن لى بنصيبى من الذل حمر النعم : ورواه الزبير بن بكار من غير وجه عنه . ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه من أجل إسرافه ، فقال له على بن الحسين : إن من وراء ابنك خللاً ثلاثاً ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وشفاعة رسول الله ، ورحمة الله عز وجل . وقال المدائني : قارف الزهرى ذنباً فاستوحش منه وهام على وجهه وترك أهله وماله . فلما اجتمع بعلى بن الحسين قال له : يا زهرى فتوطك من رحمة الله التى وسعت كل شئ أعظم من ذنبك ، فقال الزهرى : [الله أعلم حيث يجعل رسالته] وفى رواية أنه كان أصاب دماً حراماً خطأ فأمره على بالتوبة والاستغفار وأن يبعث الدية إلى أهله ، ففعل ذلك . وكان

الزهرى يقول : على بن الحسين أعظم الناس على منة .

وقال سفيان بن عيينة كان على بن الحسين يقول : لا يقول رجل في رجل من الخير مالا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر مالا يعلم ، وما اصطحب اثنتان على معصية إلا أوشك أن يفترقا على غير طاعة . وذكروا أنه زوج أمه من مولى له وأعتق أمه فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك ، فكتب إليه [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً] وقد أعتق صفية فتزوجها ، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زيلب بنت جحش . قالوا : وكان يلبس في الشتاء خيصة من خز بخمسين ديناراً ، فإذا جاء الصيف تصدق بها ، ويلبس في الصيف الثياب المرقعة ودونها ويتلو قوله تعالى [قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق] .

(وقد روى من طرق ذكرها الصولى والجربرى وغير واحد أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة أبيه وأخيه الوليد ، فطاف بالبيت ، فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه ، وقام أهل الشام حوله ، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين ، فلما دنا من الحجر ليستلمه تمنى عنه الناس إجلالاً له وهيبته واحتراماً ، وهو في بزة حسنة ، وشكل مليح ، فقال أهل الشام لهشام : من هذا ؟ فقال : لا أعرفه . استقصا به واحتراراً لئلا يرغب فيه أهل الشام . فقال الفرزدق : وكان حاضراً - أنا أعرفه ، فقالوا : ومن هو ؟ فأشار الفرزدق يقول : *

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا النقي النقي الطاهر العلم
إذا رأيته قریش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذروة الدر التي قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والمعجم
يكاد يحسكه عرفان راحته * ركن العظيم إذا ماجاء يستلم
يفضي حياءً ويفضي من مهابة * فما يكلم إلا حين يبتسم
بكنه خيزران ريجها عبق * من كف أروع في عرينه فتم
مشقة من رسول الله نبهته * طابت عناصرها والخيم والشيم
ينجذب نور الهدى من نور غره * كالشمس ينجذب عن إشراقها النجم
حمار أقال أقوام إذا فدحوا * حلوا الشامل نحلوا عنده نعم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجدد أنبياء الله قد ختموا
من جدم دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دانت لها الأمم

عَمَّ البريةَ بالأحسانِ فانقشعت * عنها الفوايهُ والاملاقُ والظلمُ
كلتا يديهَ فيأت عَمَّ نفعهما * يستوكفان ولا يبروهما العدمُ
سبلُ الخليفةِ لا تخشى بؤاده * بزينتهِ اثنتانِ الحلمُ والكرمُ
لا يخلفُ الوعدُ ميمونَ بفيته * رَحْبُ الفناء أريبٌ حينَ يعتمُ
من مشربهم دينٌ وبنصهم * كفر وقربهم منجى ومعتصمُ
يستنفعُ النسوةُ والبلوى بحبهم * ويستزادُ بهِ الاحسانُ والنعمُ
مقدمٌ بعدَ ذكرِ اللهِ ذكركم * في كلِّ حكمٍ ومخومٍ بهِ السلامُ
إنَّ عدَّ أهلَ التقي كانوا أنتم * أو قبلَ من خير أهلِ الأرض قيلكم
لا يستطيعُ جوادٌ بعدَ غائبهم * ولا يدانهم قومٌ وإن كرموا
همُ الفيث إذا ما أزمةٌ أزمّت * والأسدُ أسدُ الشرى والبأسُ محندمُ
يأبى لهم أن يحملَ الذمَّ ساحتهم * لحيمٌ كرامٌ وايدٌ بالندى هضمُ
لا ينقصُ العدمُ بسطاً من أكرمهم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
أنى الخلاقُ ليست في رقابهم * لأوليةٍ هذا أوله نعمُ
فليس قولك من هذا بضارم * العربُ تعرفُ من أنكرت والمعجمُ
من يعرفُ اللهَ يعرفُ أوليةَ ذا * فالدينُ من بيت هذا ناله الأئم

قال : فضبط هشام من ذلك وأمر بحبس الفرزدق بسفان ، بين مكة والمدينة ، فلما بلغ ذلك
على بن الحسين بحث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم ، فلم يقبلها وقال : إنما قلت ما قلت لله
مز وجل ونصرة للحق ، وقياماً بحق رسول الله ، في ذريته ، ولست أعتاض عن ذلك بشيء .
فأرسل إليه على بن الحسين يقول : قد علم الله صديق نيتك في ذلك ، وأقسمت عليك بالله لتقبلها
فتقبلها منه ثم جل بهجوا هشاماً وكان مما قال فيه :

نحسنى بينَ المدينةِ والى * إليها قلوبُ الناس نهوى منيها
يقلبُ رأساً لم يكن رأس سيد * وعينين حولاً وين بادٍ عيوبها
وقد روينا عن علي بن الحسين أنه كان إذا مرت به الجنائز يقول هذين البيتين :
زراعُ إذا الجنائزُ قابلتنا * ونلهو حينَ نفضى ذاهبات
كروعةٍ ثلثةٍ لغارٍ سبغ * فلما غابَ عادت راقعات
وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن عبد الله المقرئ حدثني سفيان بن عيينة عن
الزهري قال سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويتناجى ربه : -

يا نفس حتام إلى الدنيا سكونك ، وإلى عمارتها ركونك ، أما اعتبرت بمن معى من أسلافك
ومن وارثه الأرض من الآفك ؟ ومن فجعت به من إخوانك ، ونقل إلى الترى من أقرانك ؟ فهم
في بطون الأرض بمد ظهورها ، محاسنهم فيها بوال دوائر .

خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم * وساقتهم نحو المنايا المقادير
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها * وضمهم تحت التراب الحفائر
كم خرمت أيدى المتن من قرون بعد قرون ، وكم غيرت الأرض ببلاتها ، وغيبت في ترابها ،
من عاشرت من صنوف وشيعتهم إلى الأمارس ، ثم رجعت عنهم إلى عمل أهل الافلاس : —

وأنت على الدنيا مكب منافس * نلطبها فيها حريص مكابر
على خطر تمنى وتصبح لاهيا * أتدرى بماذا لوعقلت فظاير
وإن امرأ يسعى لدنياه دائماً * ويذهل عن أخراه لاشك خاسر
فنتام على الدنيا إقبالك ؟ وبشواتها اشتغالك ؟ وقد خطك القتير ، وأتاك النذير ، وأنت عما
برادبك ساه وبلذة يومك وغدك لاه ، وقد رأيت انقلاب أهل الشهوات ، وعانيت ما حل بهم من
المصيبات ، وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى * عن اللهب والذات للمرر زاجر
أبعد اقتراب الأربعين ترصص * وشيب قذال مندر للكار
كأنك معنى بما هو ضائر * لنفسك عمداً وعن الرشيد حائر

انظر إلى الأمم الماضية والملوك الفانية كيف اختطفتهم عقبان الأيام ، ووافهم الحما ، فانمحت
من الدنيا آثارهم ، وبقيت فيها أخبارهم ، وأضحوا رما في التراب ، إلى يوم الحشر والمآب ،
أسعوا رعباً في التراب وعطلت * مجالسهم منهم وأخلى مقاصر
وحلوا بدار لاتزاور بينهم * وأنى لسكان القبور التزاور
فا أن ترى الا قبوراً قد ثوبا بها * مسطحة تسمى عليها الأعاصر
كم من ذى منعة وسلطان وجنود وأعوان ، تمكن من دنياه ، ونال فيها ما تمناه ، وبنى فيها
القصور والداكر ، وجمع فيها الأموال والذخائر ، وملح السرارى والحرار .

فأصرفت كف المنية إذ أتت * مبادرة تهوى إلى الدخائر
ولادفت عنه الحصون التي بنى * وحف بها أنهاره والداكر
ولا قارعت عنه المنية حيلة * ولا طمعت في الذب عنه الساكر

أنام من الله مالا يرد ، ونزل به من قضائه مالا يصد ، فتعالى الله الملك الجبار ، المتكبر العزيز
القهار ، قاصم الجبارين ، ومبيد المتكبرين ، الذى ذل لعه كل سلطان ، وأباد بقوته كل ديان .

ملك عزيز لا برد قضاؤه * حكيم عليم نافذ الأمر قاهر
عنى كل ذي عز لعره وجهه * فكم من عزيز للمهين صاغر
لقد خضعت واستسلمت وقضاه * لعره ذى العرش الملك الجبار

قاليدار البدار والحدار الحذار من الدنيا ومكايدها ، وما نصبت لك من مصايدها ، وتحت لك من
زيتها ، وأظهرت لك من بهجتها ، وأبرزت لك من شهواتها ، وأخفت عنك من قواتها وهلكاتها ،

وفى دون ما عاينت من فجائتها * إلى دفعها دافع وبالزهد أمر
فجذ ولا تفعل وكن متيقظاً * فما قليل يترك الدار عامر
فشم ولا تغتر فمرك زائل * وأنت إلى دار الإقامة صائر
ولا تطلب الدنيا فان نعيمها * وإن نلت منها غبه لك ضار

فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بها أريب ؟ وهو على ثقة من فناءها ، وغير طامع فى بقائها ،
أم كيف تنام عينا من يخشى البيات ، وتسكن نفس من توقع فى جميع أموره المات .

ألا لا ولكننا نفر نفوسنا * ونشغلنا اللذات عما نحاذر
وكيف يلذ العيش من هو مؤقف * بموقف عدل يوم تبلى السرائر
كأن نرى أن لانشور وأنا * غدى مالنا بعد المات مصادر

وما عسى أن ينال صاحب الدنيا من لذتها ويتمتع به من بهجتها ، مع صنوف عجائبها وقوارع
لجائتها ، وكثرة عذابه فى مصابها وفى طلبها ، وما يكابد من أسقامها وأوصابها وآلامها

أما قد نرى فى كل يوم وليلة * بروح علينا صرفها ويباكر
تناورنا آفاتها وهو مأ * وم قد نرى يبقى لها المتعاور
فلا هو مضبوط بدنياه آمن * ولا هو عن تطلباها النفس قاصر

كم قد غرت الدنيا من مخلد إليها ، وصرعت من مكب عليها ، فلم تنعش من عثرته ، ولم تنقده
من صرعته ، ولم تشفه من ألمه ، ولم تبره من سقمه . ولم تخلصه من وصمه

بل أوردته بعد عز ومنة * موارد سوء ما لهن مصادر

فلما رأى أن لانهجاة وأنه * هو الموت لا ينجيه منه التحاير

تندم إذ لم تغن عنه ندامة * عليه وأبكته الذنوب الكبار

إذ بكى على ماسلف من خطايا ، وتحسر على ما خلف من دنياه ، واستغفر حتى لا ينفعه

الاستغفار ، ولا ينجيه الاعتذار ، عند هول المنة ونزول البلية .

أحاطت به أحزانه وهمومه * وأبلس لما أعجزته المقادير
فليس له من ربة الموت طارج * وليس له مما يحاذر ناصر
وقد جشأت خوف المنية نفسه * ترددها منه الها والخناجر
هنالك خف عواده ، وأسله أهله وأولاده ، وارتفعت البرية بالويل ، وقد أيسوا من العليل ،
ففضوا بأيديهم عييه ، ومد عند خروج روحه رجله ، وتخلى عنه الصديق ، والصاحب الشفيق
فكم موجع يكي عليه مفعج * ومستعجى صبراً وما هو صابر
ومسترجع داع له الله مخلصاً * يمدد منه كل ما هو ذاكر
وكم شامت مستبشر بوفاته * وعما قليل للذي صار صار
فشقت جيوبها نساؤه ، ولطمت خدودها إماءه ، وأعول لفقدته جيرانه ، وتوجع لرزقته إخوانه ،
ثم أقبلوا على جهازه ، وشمروا لأبرازه : كأنه لم يكن بينهم العزيز المغدى ، ولا الحبيب المبدى .
وحل أحب القوم كأن بقره * بحث على تجهيزه وبيادر
وشمر من قد أحضروه لفسله * ووجه لما فاض للقبر حافر
وكنف في ثوبين واجتمعت له * مشيعة إخوانه والعشار
فلو رأيت الأصغر من أولاده ، وقد غلب الحزن على فؤاده ، ويخشى من الجزع عليه ، وخضبت
الدموع عييه ، وهو يندب أباه ويقول : يا ويلاه وأحرباه : -
لما كنت من قبح المنية منظرأ * يهال لمرآه ويرتاع ناظر
أكابر أولاد بهيج اكتشاهم * إذا ماتنساها البنون الأصغر
وربة نسوان عليه جوازع * مدامهم فوق الحدود غوازر
ثم أخرج من سعة قصره ، إلى ضيق قبره ، فلما استقر في اللحد وهي عليه اللبن ، احتوشته أعماله
وأحاطت به خطاياه ، وضاق ذرعاً بما رآه ، ثم حثوا بأيديهم عليه التراب ، وأكثروا البكاء عليه
والانحباب ، ثم وقفوا ساعة عليه ، وأيسوا من النظر إليه ، وتركوه رهناً بما كسب وطلب
فولوا عليه مولين وكلهم * لمثل الذي لاق أخوه محاذر
كشاه رفاع آنين بدا لها * بمدية يادى الذراعين حاسر
فريعت ولم ترتع قليلاً وأجفلت * فلما نأى عنها الذى هو جازر
عادت إلى مرعاها ، ونسيت ما فى أختها دهاها ، أفبأفعال الأتنام اقتدينا ؟ أم على عادتها جرينا ؟
عد إلى ذكر المنقول إلى دار البلى ، واعتبر بموضعه تحت الثرى ، المدفوع إلى هول ما ترى .
نوى مفرداً فى لحده ونوزعت * موارثه أولاده والأصاهر

وأخذوا على أموالهم يقسمونها * فلا حامدٌ منهم عليها وشاكرٌ
 فيها عامرٌ الدنيا وإساعياً لها * ويا أماناً من أن تدورَ الدوائرُ
 كيف أمنت هذه الحالة وأنت صائرٌ إليها لا محالة ؟ أم كيف ضيعت حياتك وهي مطيتك إلى
 ممالك ؟ أم كيف تشبع من طعامك وأنت منتظرٌ حمامك ؟ أم كيف تنهنا بالشهوات ، وهي مطية الآفات
 ولم تنزودَ للرجيل وقد ذنا * وأنت على حالٍ وشيكٍ مسافرٌ
 فياهلكَ نفسى كم أسوفُ توبى * وعمرى فانِ والردى لى ناظره
 وكل الذى أسلفت فى الصحف مثبت * يجازى عليه عادلُ الحكم قادرٌ
 فكيف ترفع بأخرك دنياك ، وتركب غيلك وهواك ؟ أراك ضعيف اليقين ، يأمثر الدنيا على الدين
 أبهذا أمرُك الرحمن ؟ أم على هذا نزل القرآن ؟ أما تذكر ما أمامك من شدة الحساب ، وشر المسآب
 أما تذكر حال من جمع وتمر ، ورفع البشاء وزخرف وعمر ، أما صار جمعهم بورا ، ومساكنهم قبورا :
 تخرب ما يسقى وتممرُ فانياً * فلا ذاك موفور ولا ذاك عاصر
 وهل لك إن وافاك حنكك بغتة * ولم تكتسب خيرا لدى الله عاذر
 أنرضى بأن تغنى الحياة وتنقضى * ودينك منقوص ومالك وافر

وقد اختلف أهل التاريخ فى السنة التى توفى فيها على بن الحسين ، زين العابدين ، فالشهور عن
 الجمهور أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة أربع وتسعين - فى أولها عن ثمان وخمسين سنة ، وصلى
 عليه بالبيع ، ودفن به ، قال الفلاس : مات على بن الحسين وسعيد بن المسيب وعروة وأبو بكر بن
 عبد الرحمن سنة أربع وتسعين ، وقال بعضهم : توفى سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين ، وأغرب المدائنى
 فى قوله : إنه توفى سنة تسع وتسعين والله أعلم انتهى ما ذكره المؤلف [من ترجمة على بن الحسين ،
 وقد رأيت له كلاما متفرقا وهو من جيد الحكمة ، فأجبت أن أذكره لعل الله أن ينفع به من وقف عليه :
 قال حفص بن غياث عن حجاج عن أبى جعفر عن على بن الحسين قال : إن الجسد إذا لم يمرض
 أشرو بطر ، ولاخير فى جسد يأشرو ببطر . وقال أبو بكر بن الانبارى : حدثنا أحمد بن الصلت
 حدثنا قاسم بن إبراهيم العلوى حدثنا أبى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال على بن الحسين : فقد
 الأحبة غربة . وكان يقول : اللهم إنى أعوذ بك أن تحسن فى لوامع العيون علانيتى ، وتقبح فى خفيات
 الديوب سريرتى ، اللهم كما أسأت وأحسنات إلى ، فاذا عدت فمد إلى . اللهم ارزقنى مواساة من
 قترت عليه رزقك بما سمعت على من فضلك . وقال لابنه : يا بنى اتخذ ثوبا للناطع فإنى رأيت الذباب
 يقع على الشئ ثم يقع على الثوب . ثم انتبه فقال : وما كان لرسول الله . وأصحابه إلا ثوب واحد ،
 فرفضه . وعن أبى حمزة الثمالى قال : أتيت باب على بن الحسين فذكرت أن أصوت فقامت على

الباب حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد على السلام ودعا لي ، ثم انتهى إلى حائط فقال : يا حزمة ترى هذا الحائط ؟ قلت : نعم ! قال : فاني أتسكأت عليه يوماً وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه حسن الثياب ينظر في بجاه وجهي ، ثم قال : يا علي بن الحسين ! مالي أراك كئيباً حزينا على الدنيا ! فهي رزق حاضري يأخذ منها البرء العاجر . فقلت : ما عليها أحزن لأنها كما تقول ، فقال على الآخرة ، فهي وعد صادق ، يحكم فيها ملك قادر ، فقلت : ما علي هذا أحزن لأنه كما تقول . فقال : فسلام حزناك ؟ قلت : ما أخوف من الفتنة - يعني فتنة ابن الزبير - فقال لي : يا علي ! أهلك رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ! قال ويخاف الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ! ثم غاب عني فقيل لي : يا علي إن هذا الخضر الذي جاءك لفظ الخضر مزاد فيه من بعض الرواة

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله الخضرى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن عمر بن حارث . قال : لما مات علي بن الحسين ففسلوه فجعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره . فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة . وقال ابن عائشة : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين .

وروى عبد الله بن حنبل عن ابن اشكاب عن محمد بن بشر عن أبي المنهال الطائي أن علي بن الحسين كان إذا ناول المسكين الصدقة قبله ثم ناوله . وقال الطبري : حدثنا يحيى بن زكريا الغلابي حدثنا المتبي حدثني أبي . قال قال علي بن الحسين - وكان من أفضل بني هاشم الأربعة - يا بني اصبر على النوائب ولا تتعرض للحقوق ، ولا تحيب أخاك إلا في الأمر الذي مضته عليك أكثر من منفعتك . وروى الطبراني بإسناده عنه : أنه كان جالساً في جماعة فسمع داعية في بيته فتهدى فدخل منزله ثم رجع إلى مجلسه ، فقيل له : أمن حدث كانت الداعية ؟ قال : نعم ! فمزوه وتعبجوا من صبره ، فقال : إنا أهل بيت لطيف الله عز وجل فيما يحب ، ونحمد على ما نكره . وروى الطبراني عنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنة . فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون قبل الحساب ؟ قالوا : نعم ! قالوا : من أأنتم ؟ قالوا نحن أهل الفضل ، قالوا : وما كان فضلكم ؟ قالوا : كنا إذا جمل علينا حملنا ، وإذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسئ إلينا غفرنا ، قالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادى مناد : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك فيقولون : نحن أهل الصبر ، قالوا : فما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرناها عن مصيبة الله ، وصبرناها على البلاء . فقالوا لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين . ثم ينادى المنادى : ليقم جيران الله في داره ! فيقوم ناس من الناس وهم قليل ، فيقال لهم :

انطلقوا إلى الجنة ، فتنلقام الملائكة فيقولون لهم مثل ذلك ، فيقولون : بيم استحققتم مجاورة الله عز وجل في داره ؟ فيمويون : كنا نزاور في الله ، ونتجالس في الله ، وتبازل في الله عز وجل . فيقال لهم ، ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين .

وقال علي بن الحسين : إن الله يحب المؤمن المذنوب التواب . وقال : التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره ، إلا أن يتقى منهم تقاة . قالوا : وما تقاه ؟ قال : يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطنى . وقال رجل لسعيد بن المسيب : ما رأيت أروع من فلان . فقال له سعيد : هل رأيت علي بن الحسين ؟ قال : لا . قال : ما رأيت أروع منه . وروى سفيان بن عيينة عن الزهري . قال : دخلت على علي بن الحسين فقال : يا زهري فيم كنتم ؟ قلت : كنا نتذاكر الصوم ، فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب ، إلا شهر رمضان فقال : يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً ، عشرة منها واجب كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة منها صاحبها بالخيار ، إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب ، قال الزهري قلت : فسرهن يا ابن رسول الله . ، قال : أما الواجب فصوم شهر رمضان ، وصوم شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجحد العتق ، وصيام ثلاثة أيام كفارة اليمين لمن لم يجحد الا طعام ، وصيام حلق الرأس ، وصوم دم المتعقل لمن لم يجحد الهدى وسبه جزاء الصيد ، يقوم الصيد قيمته ثم يقسم ذلك الثمن على الخنطة . وأما الذي صاحبها بالخيار وصوم الاثنين والخميس ، وستة أيام من شوال بعد رمضان ، وصوم عرفة ويوم عاشوراء ، كل ذلك صاحبها بالخيار ، فأما صوم الأذن فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلا باذن زوجها ، وكذلك العبد والأمة ، وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر والأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم الشك ، نهينا أن نصومه لرمضان ، وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرم ، وصوم نذر المعصية حرام ، وصوم الدهر ، وصوم الضيف لا يصوم تطوعاً إلا باذن صاحبه ، قال رسول الله . : « من نزل على قوم فلا يصومون تطوعاً إلا بأذنهم » . وأما صوم الإباحة فمن أكل أو شرب ناسياً أجزاء صومه ، وأما صوم المريض والمسافر فقال قوم : يصوم ، وقال قوم لا يصوم ، وقال قوم إن شاء صام وإن شاء أفطر . وأما نحن فنقول : يفطر في الحالين ، فان صام في السفر والمرض فعليه القضاء ^(١)

ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث

ابن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السبعة ، قيل اسمه محمد ، وقيل اسمه أبو بكر ، وكنيته أبو عبد الرحمن ، والصحيح أن اسمه وكنيته واحد ، وله من

الأولاد والاختوة كثير ، وهو تابعي جليل ، روى عن حماد وأبي هريرة وأسماه بنت أبي بكر ، وعائشة وأُم سلمة وغيرهم ، وعنه جماعة منهم بنوه سلمة وعبد الله وعبد الملك وعمر ، ومولاه سمى ، وعاصم الشعبي وعمر بن عبد العزيز ، وعمر بن دينار ، ومجاهد ، والزهرى . ولد في خلافة عمر ، وكان يقال له راهب قریش ، لكثرة صلاته ، وكان مكفوطاً ، وكان يصوم الدهر ، وكان من الثقة والأمانة والفقہ وصحة الرواية على جانب عظيم ، قال أبو داود : وكان قد كف وكان إذا سجد يضع يده في طست لعلته كان يجدها . والصحيح أنه مات في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . والله أعلم .

(قلت : ونظم بعض الشعراء بيتين ذكر فيهما الفقهاء السبعة فقال : -

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسسته جهراً عن الحق خارجة

نفذهم عبيد الله عروءة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجة

وفيها توفى الفضل بن زياد الرقاشي ، أحد زهاد أهل البصرة ، وله مناقب وفضائل كثيرة جداً ؛ قال : لا يلينك الناس عن ذات نفسك ، فإن الأمر يخلص إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بكيت وكيت ، فإنه محفوظ عليك ما قلت . وقال : لم أر شيئاً أحسن طلباً ، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة للذنب قديم .

أبو سلمة أبو عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، كان أحد فقهاء المدينة ، وكان إماماً عالماً ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان واسع العلم . توفى بالمدينة .

عبد الرحمن بن عائذ الأزدي ، له روايات كثيرة ، وكان عالماً ، وخلف كتباً كثيرة من علمه ، روى عن جماعة من الصحابة ، وأسر يوم وقعة ابن الأشعث فأطلقه الحجاج .

عبد الرحمن بن معاوية بن خزيمه ، قاضى مصر لعمر بن عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته ، كان عالماً فاضلاً ، روى الحديث وعنه جماعة [(١)] .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

فيها غزا العباس بن الوليد بلاد الروم ، وافتتح حصوناً كثيرة . وفيها فتح مسلمة بن عبد الملك مدينة في بلاد الروم ، ثم حرقها ثم بناها بعد ذلك بعشر سنين ، وفيها افتتح محمد بن القاسم مدينة المولينا^(٢) من بلاد الهند ، وأخذ منها أموالاً جزيلة ، وفيها قدم موسى بن نصير من بلاد الأندلس إلى إفريقية ومعه الأموال على العجل فحمل من كثرتها ، ومعه ثلاثون ألف رأس من السبى ، وفيها غزا قتيبة بن مسلم بلاد الشاش ، ففتح مدناً وأقاليم كثيرة ، فلما كان هناك جاءه الخبر بموت الحجاج بن يوسف فقمعه ذلك ورجع بالناس إلى مدينة مرو وتمثل بقول بعض الشعراء :

(١) زيادة من المصرية . (٢) كندا ولعلها (البلتان) .

لعمري لنعم المرة من آل جعفر * بحوران أمسى أعلقتك الحبائل
فان نحى لأملك حياتي وإن تمت * فما في حياتي بعد موتك طائل

وفيها كتب الوليد إلى قتيبة بأن يستمر على ما هو عليه من مناجزة الأعداء ، ويمده على ذلك ويجزيه خيراً ، ويثني عليه بما صنع من الجهاد وفتح البلاد وقتل أهل الكفر والعناد . وقد كان الحجاج استخلف على الصلاة ابنه عبد الله ، فولى الوليد الصلاة والحرب بالمصريين - الكوفة والبصرة - يزيد بن أبي كبشة ، وولى خراجهما يزيد بن مسلم ، وقيل كان الحجاج يستخلفهما على ذلك فأقرهما الوليد ، واستمر سائر نواب الحجاج على ما كانوا عليه . وكانت وفاة الحجاج لحس ، وقيل ثلاث بقين من رمضان ، وقيل مات في شوال من هذه السنة .

وحج بالناس فيها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، قاله أبو معشر والواقدي . وفيها قتل الواضي بأرض الروم ومعه ألف من أصحابه ، وفي هذه السنة كان مولد أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس .

وهذه ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي وذكر وفاته

هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن دعب بن عمرو ابن سعد بن عوف بن ثقيف ، وهو قسي بن منه بن بكر بن هوازن ، أبو محمد الثقفي ، سمع ابن عباس وروى عن أنس وسمرة بن جندب وعبد الملك بن مروان وأبي بردة بن أبي موسى ، وروى عنه أنس بن مالك ، وثابت البنائي ، وجعبد الطويل ، ومالك بن دينار ، وجواد بن مجاهد ، وقتيبة بن مسلم ، وسعيد بن أبي عروبة . قاله ابن عساکر ، قال : وكانت له بدمشق دور منها دار الراوية بقرب قصر ابن أبي الحديد . وولاه عبد الملك الحجاز فقتل ابن الزبير ، ثم عزله عنها وولاه العراق . وقدم دمشق وافداً على عبد الملك ، ثم روى من طريق المغيرة بن مسلم ، سمعت أبي يقول : خطبنا الحجاج بن يوسف فذكر القبر ، فما زال يقول : إنه بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، حتى بكى وأبكى من حوله ، ثم قال : سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول : سمعت مروان يقول في خطبته : خطبنا عثمان بن عفان فقال في خطبته : « ما نظر رسول الله (ص) إلى قبر أو ذكره إلا بكى » . وهذا الحديث له شاهد في سنن أبي داود وغيره ، وساق من طريق أحمد بن عبد الجبار : ثنا يسار عن جعفر عن مالك بن دينار قال : دخلت يوماً على الحجاج فقال لي : يا أبا يحيى ألا أحدثك بمحدث حسن عن رسول الله (ص) ؟ قلت : بلى فقال : حدثني أبو بردة عن أبي موسى . قال قال رسول الله (ص) : « من كانت له إلى الله حاجة فليدع بها في دبر صلاة مفرضة » . وهذا الحديث له شاهد عن فضالة بن عبيد وغيره في السنن والمسائيد والله أعلم .

قال الشافعي : سمعت من يذكر أن المغيرة بن شعبه دخل على امرأته وهي تتخلل - أي تخلل أسنانها لتخرج ما بينهما من أذى - وكان ذلك في أول النهار ، فقال : والله لئن كنت باكرت النداء إنك لرعية دنية ، وإن كان الذي تخللين منه شيء بقي في فيك من الباردة إنك لقذرة فطلقها فقالت : والله ما كان شيء مما ذكرت ، ولكنني باكرت ما تباهى كره الحره من السواك ، فبقيت شظية في منه فحاولتها لأخرجها . فقال المغيرة ليوسف أبي الحجاج : تزوجها فانها خلقة بأن تأتي برجل يسود ، فتزوجها يوسف أبو الحجاج . قال الشافعي : فأخبرت أن أبا الحجاج لما بنى بها واقعها فنام فقيل له في النوم : ما أسرع ما ألقت بالمبير .

قال ابن خلكان : واسم أمه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكان زوجها الحارث ابن كلفة الثقفي طبيب العرب ، وذكر عند هذه الحكاية في السواك . وذكر صاحب العقد أن الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الفلمن بالطائف ، ثم قدم دمشق فساكن عند روح بن زنباع وزير عبد الملك ، فشكا عبد الملك إلى روح أن الجيش لا ينزلون للزولة ولا يرحلون لرحيله ، فقال روح : عندي رجل توليه ذلك ، فولى عبد الملك الحجاج أمر الجيش ، فكان لا يتأخر أحد في النزول والرحيل ، حتى اجتاز إلى فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضر بهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط ، فشكا روح ذلك إلى عبد الملك ، فقال للحجاج : لم صنعت هذا ؟ فقال : لم أفعله إنما فعله أنت ، فان يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما ضرك إذا أعطيت روحاً فسطاطين بدل فسطاطه ، وبديل الغلام غلامين ، ولا تكسرنى في الذي وليتني ؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده . قال : وبنى وأسط في سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وقيل قبل ذلك . قال : وفي أيامه نطقت المصاحف ، وذكر في حكايته ما يدل أنه كان أولاً يسمى كليبا ، ثم سمي الحجاج . وذكر أنه ولد ولا يخرج له حتى فتح له مخرج ، وأنه لم يرتضع أياماً حتى سقوه دم جدى ثم دم سالح وطلع وجهه بدمه فارتضع ، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء ، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذي لطن به وجهه ، ويقال إن أمه هي المنمنية أنصري بن حجاج بن علاط ، وقيل إنها أم أبيه والله أعلم . وكانت فيه شهامة عظيمة ، وفي سيفه وهق ، وكان كثير قتل النفوس التي حرماها الله بأذى شبهة ، وكان يفضب غضب الملوك ، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه ، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضاً ، ولا سواء ولا قريب . وقد ذكر ابن عساکر في ترجمة سليم بن عذر النجيبى قاضى مصر ، وكان من كبار التابعين . وكان ممن شهد خطبة عمر بن الخطاب بالجابية ، وكان من الزهادة والعبادة على جانب عظيم ، وكان يحتم القرآن في كل ليلة ثلاث ختمات في الصلاة وغيرها .

والمقصود أن الحجاج كان مع أبيه بمصر في جامعها فاجتاز بهما سليم بن عذر هذا فتنهض إليه أبو

الحجاج فسلم عليه ، وقال له : إني ذاهب إلى أمير المؤمنين ، فهل من حاجة لك عنده ؟ قال : نعم ! تسأله أن يعزاني عن القضاء . فقال : سبحان الله !! والله لا أعلم قاضياً اليوم خيراً منك . ثم رجع إلى ابنه الحجاج فقال له ابنه : يا أبة أتقوم إلى رجل من نجيب وأنت ثقي ؟ فقال له : يا بني والله إني لأحسب أن الناس يرحمون بهذا وأمثاله . فقال : والله ما على أمير المؤمنين أضر من هذا وأمثاله ، فقال : ولم يا بني ؟ قال : لأن هذا وأمثاله يجتمع الناس إليهم فيحدثونهم عن سيرة أبي بكر وعمر ، فيحقر الناس سيرة أمير المؤمنين ولا يرونها شيئاً عند سيرتهما فيخلعونهم ويخرجون عليه ويغضونه ، ولا يرون طاعته ، والله لو خلص لي من الأمر شيء لأضربن عنق هذا وأمثاله . فقال له أبوه : يا بني والله إني لأظن أن الله عز وجل خلقك شقياً . وهذا يدل على أن أباه كان ذا وجهة عند الخليفة ، وأنه كان ذا فراسة صحيحة ، فانه تفرس في ابنه ما آل إليه أمره بعد ذلك ،

قالوا : وكان مولد الحجاج في سنة تسع وثلاثين ، وقيل في سنة أربعين ، وقيل في سنة إحدى وأربعين ، ثم نشأ شاباً لببياً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة ، وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . وقال الدارقطني : ذكر سليمان بن أبي منبج عن صالح بن سليمان قال قال عقبة بن عمرو : ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس . وتقدم أن عبد الملك لما قتل مصعب بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بمث الحجاج إلى أخيه عبد الله بمكة فحاصره بها وأقيم للناس الحج عامئذ ، ولم يتمكن ومن معه من الطواف بالبيت ، ولا تمكن ابن الزبير ومن عنده من الوقوف ، ولم يزل محاصره حتى ظفر به في جمادى سنة ثلاث وسبعين ، ثم استنابه عبد الملك على مكة والمدينة والطائف واليمن ، ثم نقله إلى العراق بعد موت أخيه بشر ، فدخل الكوفة كما ذكرنا ، وقال لهم وفعل بهم ما تقدم إirاده مفصلاً ، فأقام بين ظهرانيهم عشرين سنة كاملة . وفتح فيها فتوحات كثيرة ، هائلة منتشرة ، حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ، ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ، ووصلت خيوله أيضاً إلى قريب من بلاد الصين ، وجزت له فصول قد ذكرناها . ونحن نورد هنا أشياء أخرى مما وقع له من الأمور والجرأة والاقدام ، والتهاون في الأمور العظام ، مما يمدح على مثله ومما يندم بقوله وفعله ، مما ساقه الحافظ ابن عساكر وغيره :
 فروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أبوب عن عبد الله بن كثير بن أخى إسماعيل بن جعفر المديني ما معناه : أن الحجاج بن يوسف صلى مرة بمجنب سميد بن المسيب - وذلك قبل أن يلي شيئاً - فجعل يرفع قبل الامام ويقع قبله في السجود ، فلما سلم أخذ سميد بطرف رداءه - وكان له ذكر يقوله بعد الصلاة - فما زال الحجاج ينازعه رداءه حتى قضى سميد ذكره ، ثم أقبل عليه سميد

فقال له : ياسارق ياخائن ، تصلى هذه الصلاة ، لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك . فلم يرد عليه . ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائباً على الحجاز . فلما قتل ابن الزبير كر راجعاً إلى المدينة نائباً عليها ، فلما دخل المسجد إذا مجلس سعيد بن المسيب ، فقصده الحجاج فخشى الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه فقال له : أنت صاحب الكلمات ؟ فضرب سعيد صدره بيده وقال : نعم ، قال : فجزاك الله من معلم ومؤدب خيراً ، ما صليت بمذك صلاة إلا وأنا أذكر قولك . ثم قام ومضى . وروى الرياشي عن الأصمعي وأبي زيد عن معاذ بن العلاء - أخى أبي عمرو بن العلاء - قال : لما قتل الحجاج ابن الزبير ارتجت مكة بالبكاء ، فأمر الناس فجمعوا في المسجد ثم صعد المنبر فقال بعد حمد الله والثناء عليه : يا أهل مكة ! بلغني إكباركم قتل ابن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من خيار هذه الأمة ، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها ، فترع طاعة الله واستسكن بحرم الله ، ولو كان شيء مانع العصاة لمنعت آدم حرمة الله ، إن الله خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأباح له كرامته ، وأسكنه جنته ، فلما أخطأ أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، اذكروا الله يذكركم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف ثنا عون عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعد ما قتل ابنها عبد الله فقال : إن ابنك ألد في هذا البيت ، وإن الله أذاقه من عذاب أليم ، وفعل . فقالت : كذبت ، كان برأ بوالديه ، صواماً قواماً ، والله لقد أخبرنا رسول الله (س) ، « أنه يخرج من ثقيف كذابان الآخر منهما شر من الأول ، وهو مبير » .

ورواه أبو يعلى عن وهب بن بقية عن خالد عن عون عن أبي الصديق . قال : بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله ، وقال أبو يعلى : ثنا زهير ثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن الأحنف عن أسماء بنت أبي بكر . قالت : سمعت رسول الله (س) ، نهى عن المثلة . وسمعت يقول : « يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير » . قالت فقلت للحجاج : أما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فأنت هو يا حجاج . وقال عبيد بن حميد : أنبأ يزيد بن هارون أنبأ العوام بن حوشب حدثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يمز بها في ابنها : سمعت رسول الله (س) يقول : « يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب » . فأما الكذاب فابن أبي عبيد - تعنى المختار - وأما المبير فأنت . وتقدم في صحيح مسلم من وجه آخر أوردناه عند مقتل ابنها عبد الله ، وقد رواه غير أسماء عن النبي (س) ، فقال أبو يعلى : ثنا أحمد بن عمر الوكيي ، ثنا وكيع حدثنا أم عراب عن امرأة يقال لها عقيلة عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله (س) : « في ثقيف كذاب ومبير » . تفرد به أبو يعلى . وقد روى الامام أحمد عن وكيع عن أم عراب - واسمها

طلحة - عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة ، وأخرجه أبو داود وابن ماجه ، وروى من حديث ابن عمر ، قال أبو يعلى : ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن ربيع ثنا إسرائيل ثنا عبد الله بن عصمة قال : سمعت ابن عمر « أنبأنا رسول الله ص » ، أن في ثقيف مبيرا وكذابا ، وأخرجه الترمذى من حديث شريك عن عبد الله بن عاصم ويقال عصمة . وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك .

وقال الشافعى : ثنا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن نافع أن ابن عمر اعتزل ليالى قتال ابن الزبير والحجاج بنى ، فكان لا يصلى مع الحجاج . وقال الثورى عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه دخل على الحجاج فلم يسلم عليه ولم يكن يصلى وراءه . وقال إسحاق بن راهويه : أنبأ جرير عن القعقاع بن الصلت قال : خطب الحجاج فقال : إني ابن الزبير غير كتاب الله ، فقال ابن عمر : ما سلطه الله على ذلك ، ولا أنت مهسه ، ولو شئت أقول : كذبت لعلت . وروى عن شهر بن حوشب وغيره أن الحجاج أطال الخطبة فجعل ابن عمر يقول : الصلاة الصلاة مراراً ، ثم قام فأقام الصلاة فقام الناس ، فصلى الحجاج بالناس ، فلما انصرف قال لابن عمر : ما حلك على ذلك ؟ فقال : إنما نحيى للصلاة فصل الصلاة لوقتها ثم تفنق ماشئت بعد من تفنقه .

وقال الاصمعي : سمعت عبيد يقول : بلغنى أن الحجاج لما فرغ من ابن الزبير وقدم المدينة لقي شيخاً خارجاً من المدينة فسأله عن حال أهل المدينة ، فقال : بشرٌ حال ، قتل ابن حواري رسول الله ص ، فقال الحجاج : ومن قتله ؟ فقال : الفاجر اللعين الحجاج عليه لعائن الله وتهلكته ، من قليل المراقبة لله . فغضب الحجاج غضباً شديداً ثم قال : أيها الشيخ ! أنعرف الحجاج إذا رأيته ؟ قال : نعم ! فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضرراً . فكشف الحجاج عن لثامه وقال : سنعلم أيها الشيخ الآن إذا سال دمك الساعة . فلما تحقق الشيخ الجدل قال : والله إن هذا هو المعجب بالحجاج ، لو كنت تعرفنى ماقلت هذه المقالة ، أنا العباس بن أبي داود ، أصرع كل يوم خمس مرات ، فقال الحجاج : انطلق فلا شفى الله الأبعد من جنونه ولا عاقبه .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الصمد ثنا حماد بن سلمة عن ابن أبي رافع عن عبد الله بن جعفر قال خالد بن يزيد بن معاوية لعبد الملك : أتمكن من ذلك ؟ فقال : وما بأس من ذلك . قال : أشد الناس والله ، قال : كيف ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين لقد ذهب ما في صدرى على آل الزبير منذ تزوجت^(١) رمة بنت الزبير ، قال : وكأنه كان نائماً فأيقظه ، فكتب إلى الحجاج يعزم عليه بطلاقها فطلقها . وقال سعيد بن أبي عروبة : حج الحجاج مرة فر بين مكة والمدينة فأثى بغنائها فقال لحاجبه :

(١) كذا بالأصول والظاهر أن في مواضع من هذا الخبر تحريفاً .

انظر من يا كل معي ، فذهب فاذا أعرابي نائم ففر به برجله وقال : أجب الأمير ، فقام فلما دخل على الحجاج قال له : اغسل يديك ثم تفسد معي ، فقال : إنه دعاني من هو خير منك ، قال : ومن ؟ قال الله دعاني إلى الصوم فأجبت ، قال : في هذا الحر الشديد ؟ قال : نعم صمت ليوم هو أشد حرًا مني ، قال : فأفطر وصم غدا ، قال : إن ضمننت لي البقاء لغد . قال : ليس ذلك لي ، قال : فكيف تسألني عاجلا بأجل لا تقدر عليه ؟ قال : إن طعمنا طعام طيب ، قال : لم تظليه أنت ولا الطباخ ، إنما طيبته العافية

قصة الحجاج

قد ذكرنا كيفية دخول الحجاج الكوفة في سنة خمس وسبعين وخمسة مائة ، وتهيئته ووعيده إياهم ، وأنهم خافوه مخافة شديدة ، وأنه قتل عمير بن ضابي ، وكذلك قتل كيل بن زياد صبرا ، ثم كان من أمره في قتال ابن الأشعث ما قدمنا ، ثم تسلط على من كان معه من الرؤساء والأمراء والعباد والقراء ، حتى كان آخر من قتل منهم سعيد بن جبير . قال القاضي المعافى زكريا : ثنا أحمد بن محمد بن سعد الكلبي ثنا محمد بن زكريا الفلابي ثنا محمد - يعني ابن عبد الله بن عباس - عن عطاء - يعني ابن مصعب - عن عاصم قال : خطب الحجاج أهل العراق بعد دير الجاهم ، فقال : يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فحاط اللحم والدم ، والمصعب والمسامع ، والأطراف ، ثم أفضى إلى الاسماخ والامخاخ ، والأشباح والأرواح ، ثم ارتفع فمشى ، ثم باض وفرخ ، ثم دب ودرج ، فحشاكم نفاقًا وشقاقًا ، وأشركم خلافا ، اتخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائداً تطيعونه ، ومؤتمنا تشاورونه وتسأمرونه ، فكيف تنفكم تجربة ، أو ينفعكم بيان ؟ ألسنتم أصحابي بالأهواز حيث منيتهم المكر واجتمعتم على الغدر ، واتفقت على الكفر ، وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته ، وأنا والله أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لواذا ، وتنهزمون سراعا . ويوم الزاوية وما يوم الزاوية ، مما كان من فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ، وفكوس قلوبكم إذ وليتم كالابل الشاردة عن أوطانها النوازع ، لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حين عضكم السلاح ، ونضجتكم الرماح . ويوم دير الجاهم وما يوم دير الجاهم ، بها كانت المعارك والملاحم ، بضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق يا أهل الكفران بعد الفجران ، والفدران بعد الخلدان ، والنزوة بعد النزوات ، إن بمشناكم إلى نفوركم غلاتم وختم ، وإن أمتنتم أوجتم ، وإن ختمت فاقتم ، لا تذكرن نعمة ، ولا تشكرون معروفا ، ما استخفكم ناكث ، ولا استنقذكم غاو ، ولا استنقذكم عاص ، ولا استنصركم ظالم ، ولا استعضدكم خالع ، إلا ليبتم دعوته ، وأجبت صيحته ، ونفرتم إليه خفافا وقملا ، وفرسانا ورجالا . يا أهل العراق هل شغب شاغب ، أو لعب لاعب ، أو زفر زافر

إلا كنتم أتباعه وأنصاره ؟ يا أهل العراق ألم تنفعكم المواعظ ؟ ألم تنجزكم الوقائع ؟ ألم يشدد الله عليكم وظائفه ، وينقذكم من حريقه ، وأليم بأسه ومثلاته ؟ . ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يا أهل الشام إنما أنالكم كالظليم الراح عن فراخه ينقى عنها القدر ، ويباعد عنها الحجر ، ويكنها من المطر ، ويحميها من الضباب ، ويحرسها من الذباب . يا أهل الشام ! أنتم الجنة والبرد ، وأنتم المسلاة والجلد ، أنتم الأولياء والأنصار ، والشعار والذئار ، بكم يندب عن البيضة والحوزة ، وبكم ترمى كئائب الأعداء ويهزم من عائد وتولى .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن الحسين حدثنا عبيد الله بن محمد التميمي سمعت شيخاً من قريش يكنى أبا بكر التميمي قال : كان الحجاج يقول في خطبته - وكان لسانه - : إن الله خلق آدم وذريته من الأرض فأشام على ظهرها ، فأكلوا ثمارها وشربوا أنهارها وحتكوها بالمساحي والمرور ، ثم أدال الله الأرض منهم فردهم إليها فأكلت لحومهم كما أكلوا ثمارها ، وشربت دماءهم كما شربوا أنهارها ، وقطعتهم في جوفها وفرت أوصالهم كما حتكوها بالمساحي والمرور .

ومما رواه غير واحد عن الحجاج أنه قال في خطبته في المواعظ : الرجل وكلكم ذاك الرجل ، رجل خطم نفسه وزمها فقادها بخطاياها إلى طاعة الله ، وكفها بزمامها عن معاصي الله ، رحم الله امرأة رد نفسه ، امرأة اتهم نفسه ، امرأة اتخذت لنفسه عدوة ، امرأة حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره ، امرأة نظرت إلى ميزانه ، امرأة نظرت إلى حسابه ، امرأة وزن عمله ، امرأة فكرت فيما يقرأ غدا في مصيفته وبراء في ميزانه ، وكان عند قلبه زاجراً ، وعند همه آمراً ، امرأة أخذت بعنان عمله كما يأخذ بعنان جملته ، فإن قاده إلى طاعة الله تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كف ، امرأة عقل عن الله أمره ، امرأة فاق واستفاق ، وأبغض المعاصي والنفاق ، وكان إلى ما عند الله بالأشواق . فما زال يقول امرأة امرأة ، حتى بكى مالك بن دينار .

وقال المدائني عن عوانة بن الحكم قال قال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ماسبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد فإن الله تعالى كتب على الدنيا الفناء ، وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء . فلا يفرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، واقهرها طول الأمل بقصر الأجل . وقال المدائني عن أبي عبيد الله الثقفي عن عمه قال : سمعت الحسن البصري يقول : وقد تني كلمة سمعتها من الحجاج سمعته يقول على هذه الأعواد : إن امرأة ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحرى أن تطول عليها حسرتة إلى يوم القيامة . وقال شريك القاضي عن عبد الملك بن عبد الله قال قال الحجاج يوماً : من كان له بلاء أعطيناه على قدره ، فقام رجل فقال :

اعطني فاني قتلته الحسين ، فقال : وكيف قتلته ؟ قال : دسرتني بالرمح دسرا ، وهبته بالسيف هبرا ، وما أشركت معي في قتله أحدا . فقال : اذهب فوالله لا تجتمع أنت وهو في موضع واحد ، ولم يعطه شيئا . وقال الهيثم بن عدي : جاء رجل إلى الحجاج فقال : إن أخى خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان ومنعت العطاء وقد هدمت دارى ، فقال الحجاج ، أما سمعت قول الشاعر :

حَنَانِيكَ مَنْ يَحْبِيْ عَلَيْكَ وَقَدْ * تَعَدَّى الصِّحَاحَ مَبَارِكُ الْجُرَبِ
وَلَرَبِّ مَأْخُودٍ بِذَنْبِهِ قَرِيْبِهِ * وَنَجَا الْمُقَارِفُ صَاحِبُ الدُّنْبِ ؟

فقال الرجل : أيها الأمير ! إني سمعت الله يقول غير هذا ، وقول الله أصدق من هذا ، قال : وما قال ؟ قال [قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدا مكانه إنا نراك من المحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون] قال : يا غلام أعد اسمي في الديوان وابن داره ، واعطه عطاء ، ومر مناديا ينادى صدق الله وكذب الشاعر . وقال الهيثم بن عدي عن ابن عباس : كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إلى برأس أسلم بن عبد البكرى ، لما بلغني عنه ، فأحضره الحجاج فقال : أيها الأمير أنت الشاهد وأمير المؤمنين الغائب ، وقال الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين] وما بلغه باطل ، وإني أهول أربعة وعشرين امرأة ما هن كاسب غيرى وهن بالباب ، فأمر الحجاج بإحضارهن ، فلما حضرن جعلت هذه تقول : أنا خالته ، وهذه أنا عمته ، وهذه أنا أخته ، وهذه أنا زوجته ، وهذه أنا بنته ، وتقدمت إليه جارية فوق الثمان ودون العشرة ، فقال لها الحجاج : من أنت ؟ فقالت : أنا ابنته ، ثم قالت : أهلك الله الأمير ، وجئت على ركبتيها وقالت : -

أحجاج لم تشهد مقام بنات * وعماير يندبته الليل أجما
أحجاج كم تقتل به إن قتلته * ثمانا وعشرا واثنين وأربعا
أحجاج من هذا يقوم مقامه * علينا فهلا إن نردنا تضعفنا
أحجاج إما أن تجود بنعمة * علينا وإما أن تقتلنا ماما

قال : فبكى الحجاج وقال : والله لا أعنت عليكن ولا زدتن تضعفنا ، ثم كتب إلى عبد الملك بما قال الرجل ، وبما قالت ابنته هذه ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج يأمره باطلاقه وحسن صلاته وبالإحسان إلى هذه الجارية وتقديرها في كل وقت . وقيل إن الحجاج خطب يوما فقال : أيها الناس الصبر عز محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله . فقام إليه رجل فقال له : ويحك يا حجاج ما أصفك وجهك وأقل حيائك ، تفعل ما تفعل وتقول مثل هذا الكلام ؟ خبت وضل سميك ، فقال للحرس خذوه ، فلما فرغ من خطبته قال له : ما الذى جرأك على ؟ فقال : ويحك يا حجاج ، أنت

تجترئ على الله ولا أجترئ أنا عليك ، ومن أنت حتى لا أجترئ عليك . وأنت تجترئ على الله رب العالمين ، فقال : خلوا سبيله ، فأطلق

وقال المدائني : أتى الحجاج بأسيرين من أصحاب ابن الأشعث فأمر بقتلهم ، فقال أحدهما : إن لي عندك يدًا ، قال : وما هي ؟ قال : ذكر ابن الأشعث يوما أمك فرددت عليه ، فقال : ومن يشهد لك ؟ قال : صاحبي هذا ! فسأله فقال : نعم ! فقال : ما منعتك أن تفعل كما فعل ؟ قال : بفضك ، قال اطلقوا هذا لصدقه ، وهذا لعنله . فأطلقوهما . وذكر محمد بن زياد عن ابن الأعرابي فيما بلغه أنه كان رجل من بني حنيفة يقال له جحدر بن مالك وكان فاتكًا بأرض الحماة ، فأرسل الحجاج إلى نائبها يؤنبه ويلومه على عدم أخذه ، فما زال نائبها في طلبه حتى أسره وبعث به إلى الحجاج ، فقال له الحجاج : ما حملك على ما كنت نصنعه ؟ فقال : جراءة الجنان ، وجفاء السلطان ، وكاب الزمان ، ولو اخترتني الأمير لوجدني من صالح الأعراب ، وشهم الفرسان ، ولو جدني من أصلح رعيته ، وذلك أتى ما لقيت فارسًا قط إلا كنت عليه في نفسي مقتدرًا ، فقال له الحجاج : إنا قاذفوك في حائر فيه أسد عاقر فان قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته خلينا سبيلك . ثم أودعه السجن مقيّدًا ، فملولة يده اليمنى إلى عنقه ، وكتب الحجاج إلى نائبه بكسر أن يبعث بأسد عظيم ضار ، وقد قال جحدر هذا في محبسه هذا أشعارًا يتعزّن فيها على امرأته سليمة أم عمرو يقول في بعضها :

أليس الليل يجمع أم عمرو * وإيانا فذاك بنا تداني
بلى وترى الهلال كما نراه * ويعلمها النهار إذا علاني
إذا جاوزتما فخلات نجدي * وأودية العجامة فانبعاني
وقولا جحدر أسمى زهينا * يحاذر وقع مصقول يمان

فلما قسم الأسد على الحجاج أمر به فجوع ثلاثة أيام ، ثم أبرز إلى حائر - وهو البستان - وأمر بجحدر فأخرج في قيوده ويده اليمنى مفلولة بحالها ، وأعطى سيفًا في يده اليسرى وخلي بينه وبين الأسد وجلس الحجاج وأصحابه في منظره ، وأقبل جحدر نحو الأسد وهو يقول :

ليث وليث في مجال ضحك * كلاهما ذو أنفٍ ومحك
وشدة في نفسه وفتك * إن يكشف الله فتاع الشك
* فهو أحق منزل بترك *

فلما نظر إليه الأسد زار زارة شديدة وتمطى وأقبل نحوه فلما صار منه على قدر ربح وثب الأسد على جحدر وثبة شديدة فخلقه جحدر بالسيف فضر به ضربة خالط ذهاب السيف هواته ، نحر الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح ، من شدة الضربة ، وسقط جحدر من شدة وثبة الأسد وشدة موضع

القيود عليه ، فكبر الحجاج وكبر أصحابه وأشار جعدي يقول :

يا جمل إنك لو رأيت كرهتي * في يوم هول مسددي وعجالي
وتقدمي للبيث أرسف موثقاً * كما أساوره على الأخراج
شئن برائنه كأن نبوة * فزق المعاول أو شبة زجاج
يسمو بناظرين تحسب فيهما * لهباً أحدهما شعاع سراج
وكأنما خيطت عليه عباءة * برقاء أو خرقة من الديباج
لعلت أني ذو حفاظ ماجدي * من نسل أقوام ذوى إراج

فبعد ذلك خيره الحجاج إن شاء أقام عنده ، وإن شاء انطلق إلى بلاده ، فاختار المقام عند الحجاج ، فأحسن جائزته وأعطاه أموالاً . وأنكر يوماً أن يكون الحسين من ذرية رسول الله (س) لأنه ابن بخته ، فقال له يحيى بن يعمر : كذبت ا فقال الحجاج : لتأتيني على ما قلت بينة من كتاب الله أو لأضرب عنقك ، فقال قال الله [ومن ذريته داود وسليمان] إلى قوله [وزكريا ويحيى وهيسى] فميسى من ذرية إبراهيم ، وهو إنما ينسب إلى أمه مريم ، والحسين ابن بنت رسول الله (س) . فقال الحجاج : صدقت ، وفناه إلى خراسان .

وقد كان الحجاج مع فصاحته و بلاغته يلغى في حروف من القرآن أنكرها يحيى بن يعمر ، منها أنه كان يبذل إن المكسورة بان المفتوحة وعكسه ، وكان يقرأ [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم] إلى قوله [أحب إليكم] فيقرأها برفع أحب . وقال الأصمعي وغيره : كتب عبد الملك إلى الحجاج يسأله عن أمس واليوم وغد : فقال للرسول : أكان خويلد بن يزيد بن معاوية عنده ؟ قال : نعم ! فكتب الحجاج إلى عبد الملك : أما أمس فأجل ، وأما اليوم فعمل ، وأما غداً فأمل . وقال ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى . قال : لما قتل الحجاج ابن الأشعث وصفت له العراق ، وسع على الناس في العطاء ، فكتب إليه عبد الملك : أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين أنك تنفق في اليوم مالا ينفقه أمير المؤمنين في الأسبوع وتنفق في الأسبوع مالا ينفقه أمير المؤمنين في الشهر ، ثم قال منشداً :

عليك بتقوى الله في الأمر كله * وكن يا عبيد الله نخشى وتضرع
ووفر خراج المسلمين وفيأهم * ونن لهم حصناً تجبر وتمنع
فكتب إليه الحجاج :

لعمري لقد جاء الرسول بكتبكم * قراطيس تملأ ثم تطوى فتطبع
كتاب أناني فيه لين وغلظة * وذكر والدك الذي للب تنفع

وكانت أمور تعزى كثيرة * فأرضخ أو اعتل حيناً فامنع
إذا كنت سوطاً من عذاب عليهم * ولم يك عندي بالمنافع مطع
أرضى بذلك الناس أو يسخطونه * أم احمد فيهم أم ألام فأفنع
وكان بلاد جثتها حين جثتها * بها كل نيران العداوة تلغ
فقايت منها ماعلت ولم أزل * أصارع حتى كدت بالموت أصرع
وكم أرجفوا من رجفة قد سمعتها * ولو كان غيرى طار بما يروع
وكنيت إذا هموا باحدى نهايتهم * حسرت لهم رأسى ولا أتقنع
فلو لم يزد على صناديد منهم * تقسم أعضائى ذلابة وأضعف

قال : فكتب إليه عبد الملك : أن اعمل برأيتك . وقال الثوري عن محمد بن المستورد الجمحي
قال : أتى الحجاج بسارق فقال له لقد كنت غنياً أن تكسب جناتية فيؤتى بك إلى الحاكم فيبطل
عليك عضواً من أعضائك ، فقال الرجل : إذا قل ذات اليد سخط النفس بالمثالب . قال : صدقت
والله لو كان حسن اعتذار يبطل حداً لكنت له موضعاً . يا غلام سيف صارم ورجل قاطع ، فقطع
يده . وقال أبو بكر بن مجاهد عن محمد بن الجهم عن الفراء قال : تغدى الحجاج يوماً مع الوابد بن
عبد الملك فلما انقضى غداؤهما دعاه الوليد إلى شرب النبيذ^(١) فقال : يا أمير المؤمنين الحلال ما أحلت ،
ولكني أنهي عنه أهل العراق وأهل على ، وأكره أن أخالف قول العبد الصالح [وما أريد أن
أخالفكم إلى ما أنها كم عنه] . وقال عمر بن شبة عن أشياخه قال : كتب عبد الملك إلى الحجاج يعتب
عليه في إسراره في صرف الأموال ، وسفك الدماء ، ويقول : إنما المال مال الله ونحن خزانة ، وسيان
منع حق أو إعطاء باطل . وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات : -

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها * وتطلب رضائى فى الذى أنا طالبة
وتخشى الذى يخشاه مثلك هارباً * إلى الله منه ضيع الدرحالبة
فإن تر منى غفلة قرشية * فياربما قد غص بالماء شارب
وإن تر منى وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تمد ما يأتيك منى فإن تعدى * تقم فاعلن يوماً عليك نوادبه

فلما قرأه الحجاج كتب : أما بعد فقد جاءنى كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفى فى الأموال ،

(١) ما يسمى فى هذا العصر نبيذاً هو الخمر المحض ، وهو غير ما كان يسمى سلفنا نبيذاً . والنبيذ
عندهم هو الخمر أو الزبيب يترك عليه الماء ويسمونه بعد ذلك نبيذاً سواء أسكر أو لم يسكر . وفى
كنا الحالتين فإنه أشبه بهصير القصب اليوم إن لم يكن دونه .

والدماء ، فوالله ما بالغت في عقوبة أهل المعصية ، ولا قضيت حق أهل الطاعة ، فان كان ذلك سرقا
فليحد لي أمير المؤمنين حداً أنتهى إليه ولا أنجاوزه ، وكُتب في أسفل الكتاب :
إذا أنا لم أطلب رضاك وأتقى * أذاك فيومي لا توارث كواكبه
إذا قارف الحجاج فيك خطيئة * فقامت عليه في الصباح نواذبه
أسلم من سلمت من ذي هواة * ومن لا تسالمة فاني - محاربة
إذا أنا لم أدن الشئني للضحك * وأقص الذي تسرى إلى عقاربه
فمن يتقى يومي ويرجو إذا غدى * على ما أرى والدهر جم عجائبه

وعن الشافعي أنه قال قال الوليد بن عبد الملك للغاز بن ربيعة أن يسأل الحجاج فيما بينه وبينه :
هل يجد في نفسه مما أجاب من الدنيا شيئاً ؟ فسأله كما أمره ، فقال : والله ما أحب أن لي لبنان
أوسير ذهباً أغمقه في سبيل الله مكان ما أبلاني الله من الطاعة ، والله سبحانه وتعالى أعلم

فضيلة الإمام

فيما روى عنه من الكلمات النافعة والجرأة الباسقة

قال أبو دواد : ثنا محمد بن العلاء ثنا أبو بكر عن عاصم قال سمعت الحجاج وهو على المنبر يقول :
اتقوا الله ما استطعتم ، ليس فيها مشنوية ، واسمعوا وأطيعوا ليس فيها مشنوية لأمر المؤمنين عبد الملك ،
والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت لي دماؤهم وأموالهم ،
والله لو أخذت ربيعة بمضر لكان ذلك لي من الله حلالاً ، وما عذيري من عبد هذيل يزعم أن قرأته
من عند الله ، والله ما هي إلا رجز من رجز الأعراب ما أنزلها الله على نبيه ، ، ، ، وعذيري من هذه
الجرأ ، يزعم أحدهم يرمي بالحجر فيقول لي إن تقع الحجر حدث أمر ، فوالله لا دعنهم كالأمس
الداير ، قال : فذكرته للأعمش فقال : وأنا والله سمعته منه . ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة عن محمد بن
يزيد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج قبحه الله يقول
ذلك ، وفيه والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لحلت لي دماؤكم ، ولا
أجد أحداً يقرأ على قراءة ابن أم عبد إلا ضربت عنقه ، ولا حكنها من المصحف ولو بضلع خنزير .
ورواه غير واحد عن أبي بكر بن عياش بنحوه ، وفي بعض الروايات : والله لو أدركت عبد هذيل
لأضرب عنقه . وهذا من جرأة الحجاج قبحه الله ، وإقدامه على الكلام السيئ ، والدماء الحرام .
وإنما نقم على قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لكونه خالف القراءة على المصحف الأمام الذي جمع
الناس عليه عثمان ، والظاهر أن ابن مسعود رجع إلى قول عثمان ومواقفه والله أعلم .

وقال علي بن عبد الله بن مبشر عن عباس الدوري عن مسلم بن إبراهيم : ثنا الصلت بن دينار سمعت الحجاج على منبر واسط يقول : عبد الله بن مسعود رأس المنافقين ، لو أدركته لأسميته الأرض من دمه . قال وسمعت علي منبر واسط وتلا هذه الآية [هب لي ملسكا لا ينفني لأحد من بعدى] قال : والله ان كان سليمان لحسوداً . وهدنه جراءة عظيمة تنفضي به إلى الكفر : قبحه الله وأخزاه ، وأبعده وأقصاه .

[قال أبو نعيم : حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة . قال : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : إني جئت من عند رجل يعلو المصاحف عن ظهر قلب ، ففرع عمر وغضب وقال : ويحك ، انظر ما تقول . قال : ماجئتك إلا بالحق ، قال : من هو ؟ قال عبد الله بن مسعود . قال : ما أعلم أحداً أحق بذلك منه ، وسأحدثك عن ذلك . « إنا سهرنا ليلة في بيت عند أبي بكر في بعض ما يكون من حاجة النبي (ص) ، ثم خرجنا ورسول الله (ص) ، يمشي بيني وبين أبي بكر ، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجل يقرأ مقام النبي (ص) ، يستمع إليه ، فقلت : يا رسول الله أعتمت ، فغمزني بيده - يعني أسكت - قال : اقرأ وركع وسجد وجلس يدعو ويستغفر ، فقال النبي (ص) : سل نطفه (١) ثم قال : من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد ، فقلت أنا وصاحبي أنه عبد الله بن مسعود ، فلما أصبحت غدوت إليه لأبشره فقال : سبقك بها أبو بكر ، وما سابقته إلى خير قط إلا سبقني إليه » وهذا الحديث قد روى من طرق ، فرواه حبيب بن حبان عن زيد بن وهب عن عمر مثله ، ورواه شعبة وزهير وخديج عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ، ورواه عاصم عن عبد الله ، ورواه الثوري وزائدة عن الأعمش نحوه . وقال أبو داود : حدثنا عمر بن ثابت عن أبي إسحاق عن حمير بن مالك قال : سمعت عبد الله بن مسعود يقول : « أخذت من في رسول الله (ص) سبعين سورة ، وإن زيد بن ثابت لصبي مع الصبيان ، فأنا لا أدع ما أخذت من في رسول الله (ص) » . وقد رواه الثوري وإسرافيل عن أبي إسحاق به . وفي رواية ذكرها الطبراني عنه قال : « لقد تلقيت من في رسول الله (ص) سبعين سورة أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت ، وله دواة يلعب مع الغلمان » . وقد روى أبو داود عنه وذكر قصة رعه الغنم لعقبة بن أبي معيط ، وأنه قال : قال لي رسول الله (ص) : « إنك غلام معلم ، قال : فأخذت من فيه سبعين سورة ما يذاعني فيها أحد » . ورواه أبو أيوب الأفرقي وأبو عوانة عن عاصم عن زر عنه نحوه . وقال له النبي (ص) : « إذ ذلك أن ترفع الحجاب وأن تسمع سوادى حتى أمهك » . وقد روى هذا عنه من طرق وروى الطبراني عن عبد الله بن شداد بن الهاد أن عبد الله كان صاحب الوساد والسواد والسواك

(١) هذا الخبر في الاستيعاب لابن عبد البر ، لكنه اختصر هذا الموضع منه .

والنملين . وروى غيره عن علقمة قال : قدمت الشام فجلست إلى أبي الدرداء فقال لي : من أنت ؟ فقلت : من أهل الكوفة ، فقال : أليس فيكم صاحب الوساد والسواك ؟ وقال الحارث بن أبي أسامة : حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا قطر بن خليفة حدثنا أبو وائل قال سمعت حذيفة يقول ، وابن مسعود قائم : لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد ص ، من أقر بهم وسيلة يوم القيامة . وقد روى هذا عن حذيفة عن طرق ، فرواه شعبة عن أبي إسحاق عن أبي وائل عن حذيفة ورواه عن أبي وائل فاضل الأحدث وجامع بن أبي راشد ، وعبيدة ، وأبو سنن الشيباني ، وحكيم بن جبير ، ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن حذيفة .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال : سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول : قلنا لحذيفة أخبرنا برجل قريب الهدى والسمت من رسول الله ص ، حتى نلزمه ، فقال : ما أعلم أحداً أقرب هدياً وسمتاً من رسول الله ص ، حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب النبي ص ، أن ابن أم عبد أقر بهم إلى الله وسيلة . قلت : فهذا حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ص ، وهذا قوله في عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . فكذب الحجاج والحجر ، ولقم النار والحجر فيما يقوله فيه ، وفي رميه له بالنفاق ، وفي قوله عن قراءته : إنها شعر من شعر هذيل ، وأنه لا بد أن يحكمها من المصحف ولو بضلع خنزير ، وأنه لو أدركه لضرب عنقه ، فحصل على إثم ذلك كله بذئته الخبيثة . وقال عفان : حدثنا حماد حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله قال : كنت أجتني لرسول الله ص ، سواكاً من أراك ، فكانت الريح تكفوه ، وكان في ساقه دقة ، فضحك القوم فقلت للنبي ص : « ما يضحككم ؟ قالوا : من دقة ساقيه » ، فقال النبي ص : « والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحده » . ورواه جرير بن عيسى عن عاصم عن مغيرة بن أم موسى عن علي بن أبي طالب . وروى سلمة بن ص ، عن أبي الزعراء عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ص : « تمسكوا بعهد عبد الله بن أم مسعود » ورواه البرمكي والطبراني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق . قال : سمعت أبا الأحوص قال : شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين توفي ابن مسعود وأحدهما يقول لصاحبه : أتراه ترك بعده مثله . قال : إن قلت ذلك إنه كان ليؤذن له إذا حجبتنا ، ويشهد إذا غيبنا . وقال الأعمش : يعني عبد الله بن مسعود . وقال أبو معاوية : حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب . قال : أقبل عبد الله بن مسعود ذات يوم وعمر بن الخطاب فقال : كيف ملئ فمها . وقال عمر بن حفص : حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن أبي حصين عن أبي عطية أن أبا موسى الأشعري قال : لا تسألونا عن شيء مادام هذا الخبر بين أظهرنا من أصحاب محمد ص . - يعني ابن مسعود - وروى جرير عن الأعمش

عن عمرو بن عروة عن أبي البختري قال : قالوا لعلي : حدثنا عن أصحاب محمد ، قال : عن أبيهم ؟ قالوا : حدثنا عن ابن مسعود . قال : علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما . وفي رواية عن علي قال : علم القرآن ثم وقف عنده وكفى به . فحدثنا الصحابة العالمون به ، العارفون بما كان عليه ، فهم أولى بالاتباع . وأصدق أقوالاً من أصحاب الأهواء الحائذين عن الحق ، بل أقوال الحجاج وغيره من أهل الأهواء : هذيانا وكذب وافتراء ، وبعضها كفر وزندقة ، فإن الحجاج كان غثانياً أمويًا : يميل إليهم ميلاً عظيماً . ويرى أن خلافهم كفر . ويستحل بذلك الدماء ، ولا تأخذه في ذلك لومة لائم .

ومن الطامات أيضاً ما رواه أبو داود : ثنا إسحاق بن إسماعيل الطالقاني ثنا جرير . وحدثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن المنيرة عن بُزَيْع بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله علي أن لا أصلي خلفك صلاة أبداً ، وإن وجدت قوماً يجاهدوك لأجاعدنك معهم . زاد إسحاق فقال في الجمجم حتى قتل . فإن صح هتله عنه فظاهره كفر إن أراد تفضيل منصب الخلافة على الرسالة ، أو أراد أن الخليفة من بني أمية أفضل من الرسول . وقال الأصمعي : ثنا أبو عاصم النبيل ثنا أبو حفص الثقف قال : خطب الحجاج يوماً فأقبل عن يمينه فقال : ألا إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فقال : إن الحجاج كافر ، ثم أطرق فأقبل عن يساره فقال : ألا إن الحجاج كافر ، فمل ذلك مراراً ثم قال : كافر يا أهل المرائي باللات والعزى . وقال خنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة ثنا ابن شاذب عن مالك بن دينار قال : بينا الحجاج يخطبنا يوماً إذ قال : الحجاج كافر ، قلنا : ماله ؟ أي شيء يريد ؟ قال : الحجاج كافر بيوم الأربعة والبغلة الشهباء . وقال الأصمعي قال عبد الملك يوماً للحجاج : ما من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه ، فصف عيب نفسك ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فأبى ، فقال : أنا لجوحد حقود حدود ، فقال عبد الملك : ما في الشيطان شر مما ذكرت . وفي رواية أنه قال : إذا بينك وبين إبليس نسب .

وبالجملة فقد كان الحجاج نقمة على أهل العراق بما سلف لهم من الذنوب والخروج على الأئمة ، فذلائهم لهم ، وبعضهم ، ومخالفتهم ، والافتيات عليهم ، قال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح يحدثني معاوية بن صالح عن شريح بن عبيد عن حماد قال : جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فأخبره أن أهل العراق حصروا أميرهم فخرج غضبان ، فصلى لنا صلاة فسها فيها ، حتى جعل الناس يقولون : سبحان الله سبحان الله ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : من ههنا من أهل الشام ؟

فقام رجل ثم قام آخر ثم قمت أنا فالتأ أو رايها ، فقال : يا أهل الشام استعدوا لأهل العراق ، فإن الشيطان قد باض فيهم وفرخ ، اللهم انهم قد لبسوا عليهم فلبس عليهم وعجل عليهم بالسلام الثقي ، يحكم فيهم بحكم الجاهلية ، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم . وقد رويناه في كتاب مسند عمر بن الخطاب من طريق أبي عذبة الحمصي عن عمر مثله . وقال عبد الرزاق : ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار عن الحسن قال علي بن أبي طالب : اللهم كما التئمتهم نقاتوني ، ونصحت لهم ففشوني فساط عليهم فتي ثقيف الذيل الميسال ، يا كل خضرتها ، ويلبس فروتها ، ويحكم فيها بحكم الجاهلية . قال يقول الحسن : وما خلق الحجاج يومئذ . ورواه معتمر بن سليمان عن أبيه عن أيوب عن مالك بن أوس بن الحذنان عن علي أنه قال : الشاب الذيل أمير المصريين يلبس فروتها ويأكل خضرتها ، ويقتل أشراف أهلها ، يشتد منه الفرق ، ويكثر منه الأرق ، ويسلطة الله على شيعته . وقال الحافظ البيهقي في دلائل النبوة : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو العباس محمد بن أحمد الجبوري : ثنا سعيد بن مسعود ثنا يزيد بن هارون أنبا العوام بن حوشب حدثني حبيب بن أبي ثابت . قال قال علي لرجل : لامت حتى تدرك فتي ثقيف ، قال : وما فتي ثقيف ؟ قال : ليقال له يوم القيامة : اكفنا زاوية من زوايا جهنم ، رجل يملك عشرين ذنة ، أو بضعا وعشرين سنة ، لا يدع لله معصية إلا ارتكبها ، حتى لو لم يبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها ، يقتل بمن أطاعه من عصاه . وقال الطبراني : حدثنا القاسم بن زكريا ثنا إسماعيل بن موسى السدوسي ثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الشعبي عن أم حكيم بنت عمر بن سنان الجندلية قالت : استأذن الأشعث بن قيس على علي فردده فخير فادعى أنفه فخرج على فقال : مالك وله يا أشعث ، أما والله لو بعد ثقيف فخرشت لا فخرشت شميرات استك ، قيل له : يا أمير المؤمنين ومن عبد ثقيف ؟ قال : غلام يلهم لا يبق أهل بيت من العرب إلا ألبسهم ذلا ، قيل كم يملك ؟ قال عشرين إن بلغ . وقال البيهقي أنبا الحاكم أنبا الحسن بن الحسن بن أيوب ثنا أبو حاتم الرازي ثنا عبد الله بن يوسف التليسي ثنا ابن يحيى الغاني . قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم لخانت كل أمة بخبيثتها ، وجئنا بالحجاج فلبنناهم . وقال أبو بكر بن عياش : عن عاصم بن أبي النجود أنه قال : ما بقيت لله عز وجل حربة إلا وقد ارتكبها الحجاج .

وقد تقدم الحديث « إن في ثقيف كذابا ومبيرا » وكان المختار هو الكذاب المذكور في هذا الحديث ، وقد كان يظهر الرفض أولا ويطن الكفر المحض ، وأما المير فهو الحجاج بن يوسف هذا ، وقد كان ناصبيا ينفذ عليا وشيعته في هوى آل مروان بن أمية ، وكان جبارا عنيدا ، مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة . وقد روى عنه ألفاظ بشعة شذيمة ظاهرها الكفر كما قدمنا . فلان كان

قد تاب منها وأقلع عنها ، وإلا فهو باق في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فان الشيعة كانوا ينعضونه جداً لوجوه ، وربما حرفوا عليه بعض السكلم . وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات .

وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطيخ بالفروج ، وإن كان متسرعا في سفك الدماء ، والله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسائرهما ، ونخفيات الصدور وضآئرها :

[قلت : الحجاج أعظم ما نقم عليه وصح من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصا على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سباحة باعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطى على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيها قيل إلا ثلثمائة درهم . والله أعلم .]^(١)

وقال المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرار البغدادي : ثنا محمد بن القاسم الانباري ثنا أبي ثنا أحمد بن عبيد ثنا هشام أبو محمد بن السائب الكلبي ثنا عوانة بن الحكم الكلبي . قال : دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له إيه إيه يا أنيس ، يوم لك مع علي ، ويوم لك مع ابن الزبير ، ويوم لك مع ابن الأشعث ، والله لأسنأصلنك كما تستأصل الشاة . ولأدمفك كما تدمغ الصمغة . فقال أنس : إياي يعني الأمير أصلحه الله ، قال : إياك أعنى صك الله سمحك . قال أنس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أرى قتلة قتلت . ولا أرى ميتة مت ، ثم خرج من عند الحجاج فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج ، فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضباً ، وشفق عجباً ، وتماظم ذلك من الحجاج ، وكان كتاب أنس إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك ، أما بعد : فان الحجاج قال لي هجرآ ، واسمعي نكرآ ، ولم أكن لذلك أهلاً ، فغذلي على يديه ، فاني أمت بخدمتي رسول الله -ص- ، وصحبتي إياه ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . فبعث عبد الملك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر - وكان مصادفاً للحجاج - فقال له : دونك كتابي هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق ، وأبدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله -ص- ، فارفع كتابي إليه . وأبلغه مني السلام ، وقل له : يا أبا حمزة قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتاباً إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك ، وكان كتاب عبد الملك إلى أنس بن مالك :

بسم الله الرحمن الرحيم ! من عبد الملك بن مروان إلى أنس بن مالك خادماً رسول الله -ص- ،

أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت من شكايك الحجاج ، وما سلطته عليك ولا أمرته
بالإساءة إليك ، فان عاد لمثلها اكتب إلى بذلك أنزل به عقوبتي ، وتحسن لك معونتي . والسلام .
فلما قرأ أنس كتاب أمير المؤمنين وأخبر برسالته قال : جرى الله أمير المؤمنين عنى خيرهم ، وعافاه
وكفاه وكفاه بالجنة ، فهذا كان ظني به والرجاء منه . فقال إسماعيل بن عبيد الله لأنس : يا أبا حمزة
إن الحجاج عامل أمير المؤمنين ، وليس بك عنه غنى ، ولا بأهل بيتك ، ولو جعل لك في جامعة ثم دفع
إليك ، فقرار به وداره تعيش معه بخير وسلام . فقال أنس : أفعل إن شاء الله . ثم خرج إسماعيل من
عند أنس فسخر على الحجاج ، فقال الحجاج : مرحباً برجل أحبه وكنت أحب لقاءه ، فقال إسماعيل :
نما والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به ، فتمير لون الحجاج وخاف وقال : ما أتيتني به ؟ قال :
فارتق أمير المؤمنين وهو أشد الناس غضبا عليك ، ومنك بسداً ، قال : فاستوى الحجاج جالسا
رعوبا ، فرمى إليه إسماعيل بالطومار فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويمرغ ، وينظر إلى إسماعيل .
أخرى ، فلما فضه قال : قم بنا إلى أبي حمزة فنعتمر إليه ونترضاه ، فقال له إسماعيل : لا تعجل ! فقال :
كف لا أعجل وقد أتيتني بأبدة ؟ وكان في الطومار :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد
فانك عبد طامت بك الأمور ، فسموت فيها وعمدت طورك ، وجاوزت قدرك ، وركبت داهية
إذا ، وأردت أن تبدولى فان سوغتسكها مضيت قدما ، وإن لم أسوغها رجعت القهقري ، فلعنك
الله من عبد أخفش العينين ، منهفوص الجاعرتين . أنسيت مكاسب آبائك بالطائف ، وحفرهم الآثار ،
رفلهم الصخور على ظهورهم . لئلا ، يا ابن المستفزة بمعجم الزبيب ، والله لا نغرنك غمر الليث
التملب ، والصقر الأرنب . وثبت على رجل من أصحاب رسول الله (ص) ، بين أظهرنا ، فلم تقبل له
إحسانه ، ولم تتجاوز له عن إساءته ، جرأة منك على الرب عز وجل ، واستخفافا منك بالعهد ، والله
لو أن اليهود والنصارى رأيت رجلا خدم عزيز بن عزيز ، وعيسى بن مريم ، اعظمته وشرفته وأكرمه
وأحبته ، بل لو رأوا من خدم حمار المزير أو خدم حوارى المسيح اعظموه وأكروه ، فكيف وهذا
أنس بن مالك خادم رسول الله (ص) ثمانى سنين ، يظلمه على سره ، ويشاوره في أمره ، ثم هو مع
هذا بقية من بقايا أصحابه ، فاذا قرأت كتابي هذا فيكن أطوع له من خفه وفعله ، وإلا أتاك مني سهم
يكل حنظل فاض ، ويكل نبأ مستقر وسوف تملحون . وقد تكلم ابن طرار على ما وقع في هذا الكتاب
من الغريب ، وكذلك ابن قتيبة وغيرهما من أئمة اللغة والله أعلم .

وقال الامام أحمد : ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الزبير - يعني ابن عدى - قال :
أنس بن مالك | نشكو إليه ما نلقى من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عابكم علم أو زمان

أو يوم إلا والذي بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم عز وجل ، ممعته من نبيكم . وهذا رواه البخاري عن محمد بن يوسف عن سفيان وهو الثوري عن الزبير بن عدي عن أنس قال : « لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه » الحديث . قلت : ومن الناس من يروى هذا الحديث بالمعنى فيقول : كل عام تردون . وهذا اللفظ لا أصل له ، وإنما هو مأخوذ من معنى هذا الحديث ، والله أعلم . قلت : قد مر في مرة من كلام عائشة مرفوعاً وموقوفاً : كل يوم تردون . ورأيت للإمام أحمد كلاماً قال فيه : وروى في الحديث كل يوم تردون نسباً خبيثاً . فيحتمل هذا أنه موقوف للإمام أحمد مرفوعاً ، ومثل أحمد لا يقول هذا إلا عن أصل ، وقد روى عن الحسن مثل ذلك ، والله أعلم . فدل على أنه أصلاً إما مرفوعاً وإما من كلام السلف ، لم يزل يثناؤه الناس قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، حتى وصل إلى هذه الأزمان ، وهو موجود في كل يوم ، بل في كل ساعة تفوح رائحته ، ولا سيما من بعد فتنة تمرلنك ، وإلى الآن نجد الرذالة في كل شيء ، وهذا يظهر لمن تأمله ، والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد قال سفيان الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي . قال : يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج . وقال أبو نعيم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفر . قال قال الشعبي : والله لئن بقيتم لتمنون الحجاج . وقال الأصمعي : قيل للحسن : إنك تقول : الآخر شر من الأول ، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج . فقال الحسن : لا بد للناس من تنفستات .

يقال ميمون بن مهران : بعث الحجاج إلى الحسن وقد نهم به ، فلما قام بين يديه قال : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا . قال : فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن . وقال أبو بوب السخنياني : إن الحجاج أراد قتل الحسن مراراً فعصمه الله منه ، وقد ذكر له معه مناسرات ، على أن الحسن لم يكن ممن يرى الخروج عليه ، وكان ينهى أصحاب ابن الأشعث عن ذلك ، وإنما خرج معهم مكرهاً كما قدمنا ، وكان الحسن يقول : إنما هو نقمة فلا تقابل نقمة الله بالسيف ، وعليكم بالصبر والسكينة والتضرع . وقال ابن دريد عن الحسن بن الحضرمي عن ابن عائشة . قال : أتى الوليد بن عبد الملك رجل من الخوارج فتليل له : ما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيرآ ، قال فعمان ؟ فأثنى خيرآ ، قيل له : فما تقول في علي ؟ فأثنى خيرآ ، فذكر له الخلفاء واحداً بعد واحد ، فيثني على كل بما يناسبه ، حتى قيل له : فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال : الآن جاءت المسألة ، ما أقول في رجل الحجاج خطبة من بعض خطايها . [(١)]

وقال الأصمعي عن علي بن مسلم الباهلي قال : أتى الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه ولا ترد عليه كلاماً ، فقال لها بعض الشرط : يكلمك الأمير وأنت معرضة عنه ؟

فقلت : إني لأستحي من الله أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ، فأمر بها فقتلت . وقد ذكرنا في سنة أربع وتسعين كيفية مقتل الحجاج لسعيد بن جبير ، وما دار بينهما من الكلام والمراجعة .

وقد قال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن بسطام بن مسلم عن قتادة قال قيل لسعيد بن جبير : خرجت على الحجاج ؟ قال : إني والله ما خرجت عليه حتى كفر ، ويقال إنه لم يقتل بعده إلا رجلاً واحداً اسمه ماهان ، وكان قد قتل قبله خلقاً كثيراً ، أكثرهم ممن خرج مع ابن الأشعث . وقال أبو عيسى الترمذي : ثنا أبو داود سليمان بن مسلم البلخي ثنا النضر بن شميل عن هشام بن حسن قال : أحصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً قال الأصمعي : ثنا أبو سم عن عباد بن كثير عن قحدم قال : أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة واحدة أحداً وثمانين ألف أسير كانوا في سجن الحجاج ، وقيل إنه لبث في سجنه ثمانون ألفاً منهم ثلاثون ألف امرأة وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً ، لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ، وكان فيمن حبس أعرابي وجد يبول في أصل روض مدينة واسط ، وكان فيمن أطلق فأنشأ يقول :
إذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرينا وصلينا بغير حساب

وقد كان الحجاج يبع هذا العنف الشديد لا يستخرج من خراج العراق كبير أمر ، قال ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي : ثنا سليمان بن أبي سنح ثنا صالح بن سليمان قال قال عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم لحجّمت كل أمة بخبيثها وجننا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان الحجاج يصلح لدنيا ولا آخرة لقد ولي العراق وهو أوفى ما يكون في العارة ، فأخسّ به إلى أن صيره إلى أربعين ألف ألف ، ولقد أدى إلى عمالي في عامي هذا ثمانين ألف ألف ، وإن بقيت إلى قابل رجوت أن يؤدي إلى ما أدى إلى عمر بن الخطاب مائة ألف ألف عشرة آلاف ألف . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عروبة ثنا عمرو بن عثمان ثنا أبي سمعت جدي قال . كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة : بلغني أنك تستن بسنن الحجاج فلا تستن بسننه ، فانه كان يصلي الصلاة لغير وقتها ، ويأخذ الزكاة من غير حقها وكان لما سوى ذلك أضيع . وقال يعقوب بن سفيان : ثنا سعيد بن أسد ثنا ضمرة عن الريان بن مسلم . قال : بمث عمر بن عبد العزيز بآل بيت أبي عقيل - أهل بيت الحجاج - إلى صاحب اليمن وكتب إليه : أما بعد فاني قد بعثت بآل أبي عقيل وهم شر بيت في العمل ، ففرقهم في العمل على قدر هوانهم على الله وعلينا ، وعليك السلام . وإنما فنام . وقال الاوزاعي : سمعت القاسم بن مخيمرة يقول : كان الحجاج ينقض عرى الإسلام ، وذكر حكاية . وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم : لم يبق لله حرمة إلا ارتكبها الحجاج بن يوسف ، وقال يحيى بن عيسى الرمي عن الأعشى : اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهداً فقال : تسألون عن الشيخ الكافر .

وروى ابن عساكر عن الشعبي أنه قال : الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت ، كافر بالله العظيم .
 كذا قال والله أعلم . وقال الثوري عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال : عجبا لاخواننا من أهل
 العراق يسمون الحجاج مؤمنا ؟ وقال الثوري عن ابن عوف : سمعت أبا وائل يسأل عن الحجاج
 أنشهد أنه من أهل النار ؟ قال أتأمروني أن أشهد على ^(١) الله العظيم ، وقال الثوري عن منصور :
 سألت إبراهيم عن الحجاج أو بعض الجبابرة فقال : أليس الله يقول [ألا لعنة الله على الظالمين]
 وبه قال إبراهيم وكفى بالرجل عى أن يعى عن أمر الحجاج . وقال سلام بن أبي مطيع لانا بالحجاج
 أرجى مني لعمر وبن عبيد ، لأن الحجاج قتل الناس على الدنيا ، وعمر وبن عبيد أحدث للناس
 بدعة شنعاء ، قتل الناس بعضهم بعضاً ، وقال الزبير : سببت الحجاج يوماً عند أبي وائل فقال :
 لا تسبه لعله قال يوماً اللهم ارحمني فيرحه ، إياك ومحالسة من يقول أرايت أرايت . وقال عوف :
 ذكر الحجاج عند محمد بن سيرين فقال : مسكين أبو محمد ، إن يعذبه الله عز وجل فبذبه ، وإن
 يغفر له فنهتئاً له ، وإن يلقى الله بقلب سليم فهو خير منا ، وقد أصاب الذنوب من هو خير منه .
 فقيل له ما القلب السليم ؟ قال : أن يعلم الله تعالى منه الحياء والإيمان ، وأن يعلم أن الله حق ، وأن
 الساعة حق قائمة ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال أبو قاسم البغوي : ثنا أبو سعيد ثنا أبو أسامة قال قال رجل لسفيان الثوري : أنشهد على
 الحجاج وعلى أبي مسلم الغراساني أنهما في النار ؟ قال : لا ، إن أقرأ بالتوحيد . وقال الرياشي : حدثنا
 عباس الأزرق عن السري بن يحيى قال : مر الحجاج في يوم الجمعة فسمع استغاثة فقال : ما هذا ؟
 فقيل أهل السجون يقولون قتلنا الحر ، فقال : قولوا لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال : فاعاش
 بعد ذلك إلا أقل من جمعة حتى قصمه الله قاصم كل جبار . وقال بعضهم : رأيت وهو يأتي الجمعة وقد
 كاد يهلك من العلة . وقال الأصمعي : لما مرض الحجاج أرجف الناس بموته فقال في خطبته : إن
 طائفة من أهل الشقاق والنفاق نزع الشيطان بينهم فقالوا : مات الحجاج ، ومات الحجاج فيه ؟ فهل
 يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت ؟ والله ما يسمي أن لا أموت وأن لي الدنيا وما فيها ، وما رأيت
 الله رضى التخليد إلا لأهون خلقه عليه إبليس ، قال الله له [إنك من المنظرين] فأنظره إلى يوم
 الدين ، ولقد دعا الله العبد الصالح فقال [هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي] فأعطاه الله ذلك إلا
 البقاء ، ولقد طلب العبد الصالح الموت بعد أن تم له أمره ، فقال [توفي مسلماً وأخفى بالصالحين] فما
 عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل ، كأني والله بكل حي منكم ميتاً ، وبكل رطب يابساً ،
 ثم قتل في أنياب أ كفافه ثلاثة أذرع طولاً في ذراع عرضاً ، فأكلت الأرض لحمه ، ومصت صديده ،

وانصرف الخبيث من ولده يقسم الخبيث من ماله ، إن الذين يعقلون يعقلون ما أقول ، ثم نزل .
وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى النسائي عن أبيه عن جده عن عمر بن عبد العزيز أنه قال :
ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله عليه ، وقوله حين
حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا
على بن الجعد حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر . قال :
كان عمر بن عبد العزيز يبنض الحجاج فنفس عليه بكلمة قالها عند الموت : اللهم اغفر لي فانهم
يزعمون أنك لا تفعل . قال : وحدثنى بعض أهل العلم قال قيل للحسن : ان الحجاج قال عند الموت
كذا وكذا ، قال : قالها ؟ قالوا : نعم ! قال فما عسى . وقال أبو العباس المري عن الرياشي عن
الأصمعي قال : لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يأربُ قد حلف الأعداء واجتهدوا * بأننى رجلٌ من ساكنى النارِ
أتحلفون على عمياء ويحهم * ما علمهم بعظيم العفو غفارِ
قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجون بهما . وزاد بعضهم فى ذلك : -
إن الموالى إذا شابت عبيدهم * فى رقهم عنقوم عتق أبرارِ
وأنت يا خالق أولى بنا كرمًا * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النارِ

وقال ابن أبي الدنيا : ثنا أحمد بن عبد الله التيمي قال : لما مات الحجاج لم يعلم أحد بموته حتى -
أشرفت جارية فبكت فقالت : ألا إن مطعم الطعام ، وميتم الأيتام ، وميرمل النساء ، ومغلق الهام ،
وسيد أهل الشام قد مات ، ثم أنشأت تقول : -

اليوم يرحنا من كان يبنضنا * واليوم يأمننا من كان يخشانا

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه أنه أخبر بموت الحجاج مرارا فلما تحقق
وفاته قال : [فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين] وروى غير واحد أن الحسن لما
إشهر بموت الحجاج سجد شكراً لله تعالى ، وكان محتفياً فظهر ، وقال اللهم أمته فأذهب عنا سئته
وقال حماد بن أبي سليمان : لما أخبرت إبراهيم النخعي بموت الحجاج بكى من الفرح . وقال أبو بكر بن
أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان قال قال زياد بن الربيع بن الحارث لاهل
السجن يموت الحجاج فى مرضه هذا فى ليلة كذا وكذا ، فلما كانت تلك الليلة لم ينم أهل السجن
فرحاً ، جلسوا ينظرون حتى يسموا الناعية ، وذلك ليلة سبيع وعشرين من شهر رمضان ، وقيل كان
ذلك لخمس بقين من رمضان ، وقيل فى شوال من هذه السنة ، وكان عمره إذ ذاك خمسا وخمسين
سنة ، لأن مولده كان عام الجماعة سنة أربعين ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل قبلها بسنة ، مات بواسط

وعنى قبره ، وأجرى عليه الماء لكيلا ينبش ويحرق والله أعلم .

وقال الأصمعي : ما كان أعجب حال الحجاج ، ما ترك إلا ثلاثمائة درهم . وقال الواقدي : ثنا عبد الله بن محمد بن عبيد حدثني عبد الرحمن بن عبيد الله بن فرق : ثنا عبي قال : زعموا أن الحجاج لما مات لم يترك إلا ثلاثمائة درهم ومصحفا وسيفا وسرجا ورحلا ومائة درع موقوفة . وقال شهاب بن خراش : حدثني حمى يزيد بن حوشب قال : بعث إلى أوجه من المنصور فقال : حدثني بوصية الحجاج ابن يوسف ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين ، فقال : حدثني بها ، فقلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به الحجاج بن يوسف أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأنه لا يعرف إلا طاعة الوليد بن عبد الملك ، عليها يحيى ، وعليها يموت ، وعليها يبعث ، وأوصى بتسعة درع حديد ، ستائة منها لمنافق أهل العراق يغزون بها ، وثلاثمائة للترك . قال : فرفع أوجه من رأسه إلى أبي العباس الطوسي - وكان قائما على رأسه - فقال : هذه والله الشيعة لا شيعتكم . وقال الأصمعي عن أبيه قال : رأيت الحجاج في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلتني بكل قتلة قتلت بها إنسانا ، قال : ثم رأيته بعد الحول فقلت : يا أبا محمد ما صنع الله بك ؟ فقال : يا ماص بظرامه أما سألت عن هذا عام أول ؟ وقال القاضي أبو يوسف : كنت عند الرشيد فدخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين رأيت الحجاج البارحة في النوم ، قال : في أي زى رأيته ؟ قال : في زى قبيح . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : ما أبنت وذاك يا ماص بظرامه فقال هارون : صدق والله ، أنت رأيت الحجاج حقا ، ما كان أبو محمد ليدع صرامته حيا وميتا . وقال حنبل بن إسحاق : ثنا هارون بن معروف ثنا ضمرة بن أبي شاذب عن أشعث الخراز . قال : رأيت الحجاج في المنام في حالة سيئة فقلت : يا أبا محمد ما صنع بك ربك ؟ قال : ما قتلت أحدا قتلة إلا قتلتني بها . قال ثم أصرت إلى النار ، قلت ثم مه ، قال ثم أرجو ما أرجو أهل لا إله إلا الله . قال : وكان ابن سيرين يقول : إنى لأرجوه ، فبلغ ذلك الحسن فقال : أما والله ليخلفن الله رجاء فيه . وقال أحمد بن أبي الخوارى : سمعت أبا سليمان الداراني يقول : كان الحسن البصري لا يجلس مجلسا إلا ذكر فيه الحجاج فدعا عليه ، قال : فراه في منامه فقال له : أنت الحجاج ؟ قال : أنا الحجاج ، قال : ما فعل الله بك ؟ قال : قتلت بكل قتيل قتلتني ثم عزلت مع الموحدين . قال : فأمسك الحسن بعد ذلك عن شتمه والله أعلم . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبا ابن المبارك أنبا سفيان . قال : قدم الحجاج على عبد الملك بن مروان وأفاد معه معاوية بن قرة ، فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال : إن صدقناكم قتلتمونا ، وإن كذبتناكم خشيتم الله عز وجل ، فنظر إليه الحجاج فقال له عبد الملك : لا تمرض له ، فنفاه إلى السند فكان له بها مواقف

وَمِمَّنْ تُوْفِي فِيهَا مِنَ الْأَعْيَانِ

إبراهيم بن يزيد النخعي قال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف ذلك فينا أياماً ، لأننا قد عرفنا أنه نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم تتحدثون في جنازكم بأحاديث دنياكم . وقال : لا يستقيم رأي الإبروية ، ولا روية الإبرأى . وقال : إذا رأيت الرجل يتهاون بالنكيرة الأولى فاعسل يديك من فلاحه . وقال : إني لأرى الشيء مما يعاب فلا يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلى به . وبكى عند موته فقيل له ما يبكيك ؟ فقال : انتظار ملك الموت ، ما أدرى يبشرني بجنة أو بنار .

الحسن بن محمد بن الحنفية

كنيته أبو محمد ، كان المقدم على إخوته ، وكان علماً قديماً عارفاً بالاختلاف والفقه ، قال أيوب السختياني وغيره : كان أول من تكلم في الإرجاء ، وكتب في ذلك رسالة ثم ندم عليها . وقال غيرهم : كان يتوقف في عثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا يتولاهم ولا يندمهم ، فلما بلغ ذلك أباه محمد بن الحنفية ضربه فشجه وقال : وبك ألا تتولى أباك علياً ؟ وقال أبو عبيد : توفي سنة خمس وتسعين ، وقال خليفة : توفي في أيام عمر بن عبد العزيز والله أعلم .

حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري

وأمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه ، وكان حميد فقيهاً نبيلاً عالماً ، له روايات كثيرة .

مطرف بن عبيد الله بن الشخير

تقدمت ترجمته ، وهؤلاء كلهم لهم تراجم في كتاب التكميل . وفيها كان موث الحجاج بواسط كما تقدم ذلك مبسوطاً مستقصى والله الحمد . وفيها كان مقتل سعيد بن جبير في قول علي بن المدائني وجماعة ، والمشهور أنه كان في سنة أربع وتسعين كما ذكره ابن جرير وغير واحد والله أعلم . ثم دخلت سنة ست وتسعين

وفيها فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله تعالى كاشف من أرض الصين وبعث إلى ملك الصين رسلاً يتهدهدونه ويقسم بالله لا يرجع حتى يظا بلادهم ويختم ملوكهم وأشرافهم ، ويأخذ الجزية منهم أو يدخلوا في الاسلام . فدخل الرسل على الملك الأعظم فيهم ، وهو في مدينة عظيمة ، يقال إن عليها تسعين باباً في سورها المحيط بها ، يقال لها خان بالق ، من أعظم المدن وأكثرها ريعاً ومعاملات وأموالاً ، حتى قيل إن بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين ، والصين لا يحتاجون إلى أن

يسافروا في ملك غيرهم لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم لما عندهم من المتاع والدنيا المقسمة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ، لقهره وكثرة جنده وعدده . والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة حصينة ذات أنهار وأسواق وحسن وبها ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة ، بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين : ما أنتم ؟ وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة - فقال الملك لترجمانه : قل لهم : ما أنتم وما تريدون ؟ فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوكم إلى الاسلام ، فان لم تفعل فالجزية ، فان لم تفعل فالحرب . فنغضب الملك وأمر بهم إلى دار ، فلما كان القدر دعاهم فقال لهم : كيف تكونون في عبادة إلهكم ؟ فصلوا الصلاة على عادتهم فلما ركعوا وسجدوا ضحك منهم ، فقال : كيف تكونون في بيوتكم ؟ فلبسوا ثياب مهنيهم ، فأمرهم بالانصراف ، فلما كان من الغد أرسل إليهم فقال : كيف تدخلون على ملوككم ؟ فلبسوا الوشي والعمائم والمطارف ودخلوا على الملك ، فقال لهم : ارجعوا فرجعوا ، فقال الملك لأصحابه : كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا : هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك المرة الأولى ، وهم أولئك . فلما كان اليوم الثالث : أرسل إليهم فقال لهم كيف تلقون عدوكم ؟ فشدوا عليهم سلاحهم ولبسوا المغافر والبيض وتقلدوا السيوف ونكبوا القسي وأخذوا الرماح وركبوا خيولهم ومضوا ، فنظر إليهم ملك الصين فرأى أمثال الجبال مقبلة ، فلما قربوا منه ركزوا رماحهم ثم أقبلوا نحوه مشمرين ، فقيل لهم : ارجعوا - وذلك لما دخل قلوب أهل الصين من الخوف منهم - فأنصرفوا فركبوا خيولهم واختلجوا رماحهم ثم ساقوا خيولهم كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لأصحابه : كيف ترونهم ؟ فقالوا : ما رأينا كهؤلاء قط . فلما أمسوا بعث إليهم الملك أن ابعثوا إلى زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا إليه هبيرة ، فقال له الملك حين دخل عليه : قدرتي عظم ملكي ، وليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ، وأنا سائلك عن أمر فان تصدقتني وإلا قتلتك ، فقال : مل ! فقال الملك : لم صنعتم ما صنعت من زى أول يوم والثاني والثالث ؟ فقال : أما زينا أول يوم فهو لباسنا في أهلنا ونسائنا وطينتنا عندهم ، وأما ما فعلنا ثاني يوم فهو زينا إذا دخلنا على ملوكنا ، وأما زينا ثالث يوم فهو إذا لقينا عدونا . فقال الملك : ما أحسن ما دبرتم دهركم ، فأنصرفوا إلى صاحبكم - يعني قتيبة - وقولوا له ينصرف راجعاً عن بلادى ، فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم عن آخركم . فقال له هبيرة : تقول لقتيبة هذا ؟ فكيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وكيف يكون خريصاً من خلب الدنيا قادراً عليها ، وغزاة في بلادك ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فانا نعلم أن لنا أجلاً إذا حضرنا فأكرمنا عندنا القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه .

فقال الملك : فما الذي يرضى صاحبكم ؟ فقال : قد حلف أنه لا ينصرف حتى يعطى أرضك ويغتم ملوكك ويجبى الجزية من بلادك ، فقال أنا أبرمينة وأخرجه منها ، أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً وحريراً وثياباً صينية لا تقوّم ولا يدري قدرها ، ثم جرت لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم اتفق الحال على أن يمث صحفاً من ذهب مقسمة فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليغتم رقابهم ، وبعث بمال جزيل ليعبر بيمين قتيبة ، وقيل إنه بعث أربعائة من أولاده وأولاد الملوك ، فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه ، وذلك لأنه كان قد انتهى إليه خبر موت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين ، فانكسرت همته لذلك ، وقد عزم قتيبة بن مسلم الباهلي على ترك مبايعة سليمان بن عبد الملك ، وأراد الدعوة إلى نفسه لما تحت يده من العساكر ، ولما فتح من البلاد والأقاليم فلم يمكنه ذلك ، ثم قتل في آخر هذه السنة رحمه الله تعالى ، فانه يقال إنه ما كسرت له راية ، وكان من المجاهدين في سبيل الله ، واجتمع له من العساكر ما لم يجتمع لغيره . وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك الصائفة ، وغزا العباس بن الوليد الروم ، ففتح طولس والمرزبانين من بلاد الروم .

وفيها تكامل بناء الجامع الأموي بدمشق على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى وجزاه خيراً ، وكان أصل موضع هذا الجامع قديماً معبداً بنته اليونان الكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وهم الذين وضعوها وعمروها أولاً ، فبسم أول من بناها ، وقد كانوا يعمدون الكواكب السبعة المتميزة ، وهو القمر في السماء الدنيا ، وعطارد في السماء الثانية ، والزهرة في السماء الثالثة ، والشمس في الرابعة ، والمريخ في الخامسة ، والمشتري في السادسة ، وزحل في السابعة . وقد كانوا صوروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلًا لكوكب من هذه الكواكب السبعة ، وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصداً لذلك ، فنصبوا هياكل سبعة لكل كوكب هيكل ، وكان لهم عند كل باب من أبواب دمشق عيد في السنة ، وهؤلاء هم الذين وضعوا الأرصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها ، وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة إلى جانب الماء الوارد من بين هذين الجبلين ، وصرفوه أنهاراً تجري إلى الأماكن المرتفعة والمنخفضة ، وسلكوا المساء في أفناء أبلية الدور بدمشق ، فكانت دمشق في أيامهم من أحسن المدن ، بل هي أحسنها ، لما فيها من التصاريف العجيبة ، وبنوا هذا المعبد وهو الجامع اليوم في جهة القطب ، وكانوا يصلون إلى القطب الشمالي ، وكانت محاريبهم إلى جهته ، وكان باب معبدهم يفتح إلى جهة القبلة ، خلف المحراب اليوم ، كما شاهدنا ذلك عياناً ، ورأينا محاريبهم إلى جهة القطب ، ورأينا الباب وهو باب حسن مبنى بحجارة منقوشة ، وعليه كتاب بخطهم ، وعن يمينه ويساره بابان صغيران بالنسبة

إليه ، وكان غربي المعبد قصر منيف جدا تحمله هذه الأعمدة التي بباب البريد ، وشرقي المعبد قصر جيرون الملك ، الذي كان ملكهم ، وكان هناك داران عظيمتان معدتان لمن يتملك دمشق قديما منهم ، ويقال إنه كان مع المعبد ثلاث دور عظيمة للملوك ، ويحيط بهذه الدور والمعبد سور واحد عال منيف ، بحجارة كبار منحوتة ، وهن دار المطبق ، ودار الخيل ، ودار كانت تكون مكان الخضراء التي بناها معاوية .

قال ابن عساكر فيما حكاه عن كتب بعض الأوائل : إن اليونان مكثوا يأخذون الطالع لبناء دمشق وهذه الأماكن ثمانى عشرة سنة ، وقد حفروا أساس الجدران حتى واثم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن هذا المعبد لا يخرب أبداً ولا يخلو منه العبادة ، وأن هذه الدار إذا بنيت لا تخلو من أن تكون دار الملك والسلطنة . قلت : أما المعبد فلم يخل من العبادة . قال كعب الأحبار : لا يخلو منها حتى تقوم الساعة ، وأما دار الملك التي هي الخضراء فقد جدد بناءها معاوية ، ثم أحرقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة كما سنده ، فبادت وصارت مساكن ضعفاء الناس وأرادهم في الغالب إلى زماننا هذا . والمقصود أن اليونان استمروا على هذه الصفة التي ذكرناها بدمشق مدداً طويلة ، تزيد على أربعة آلاف سنة ، حتى أنه يقال إن أول من بنى جدران هذا المعبد الأربعة هود عليه الصلاة والسلام ، وقد كان هود قبل إبراهيم الخليل بمدد طويلة ، وقد ورد إبراهيم الخليل دمشق ونزل شهاها عند برزة ، وقاتل هناك قوماً من أعدائه فظفر بهم ، ونصره الله عليهم ، وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة ، فهذا المكان المنسوب إليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة ، يأترونه كبراً عن كبروا إلى زماننا والله أعلم .

وكانت دمشق إذ ذاك عاصمة آهلة بمن فيها من اليونان ، وكانوا خلقاً لا يحصيه إلا الله ، وهم خصاء الخليل ، وقد ناظرهم الخليل في عبادتهم الأصنام والكواكب وغيرها في غير موضع ، كما قرنا ذلك في التفسير ، وفي قصة الخليل من كتابنا هذا « البداية والنهاية » والله الحمد وبالله المستعان .

والمقصود أن اليونان لم يزالوا يعمرن دمشق ويبنون فيها وفي معاملاتها من أرض حوران والبقاع وبلبك وغيرها ، البنائات الهائلة الغريبة العجيبة ، حتى إذا كان بعد المسيح بمدة نحو من ثلاثمائة سنة تنصر أهل الشام على يد الملك قسطنطين بن قسطنطين ، الذي بنى المدينة المشهورة به ببلاد الروم وهي القسطنطينية ، وهو الذي وضع لهم القوانين ، وقد كان أولاً هو وقومه وغالب أهل الأرض يوناناً ، ووضعت له بطاركنه النصراني دينا مخترعاً من كبراً من أصل دين النصرانية ، ممزوجاً بشئ من عبادة الأوثان ، وصلوا به إلى الشرق ، وزادوا في الصيام ، وأحلوا الخنزير ، وعلموا أولادهم الأمانة الكبيرة فما يزعمون ، وإتباعهم في الحقيقة خيانة كبيرة ، وجناية كثيرة حقيرة ، وهي مع ذلك في الحجم

صغيرة . وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه . فبنى لهم هذا الملك الذى ينتسب إليه الطائفة الملكية من النصارى ، كنائس كبيرة فى دمشق وفى غيرها ، حتى يقال إنه بنى اثنتى عشرة ألف كنيسة ، وأوقف عليها أوقافاً دارية ، من ذلك كنيسة بيت لحم ، وقامة فى القدس ، بينها أم هيلانة الغنداقية ، وغير ذلك

والمقصود أنهم - يعنى النصارى - حولوا بناء هذا المعبد الذى هو بدمشق معظمها عند اليونان فجعلوه كنيسة يوحنا ، وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة ، واستمر النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحواً من ثلاثمائة سنة ، حتى بعث الله محمداً (ص) ، فكان من شأنه ما تقدم بعضه فى كتاب السيرة من هذا الكتاب ، وقد بعث إلى ملك الروم فى زمانه - وهو قيصر ذلك الوقت - واسمه هرقل يدعو إلى الله عز وجل ، وكان من مراجعته ومخاطبته إلى أبى سفيان ما تقدم ، ثم بعث أمراءه الثلاثة ، زيد بن حارثة ، وجعفر ، وابن رواحة ، إلى البلقاء من تخوم الشام ، فبعث الروم إليهم جيشاً كبيراً فقتلوا هؤلاء الأمراء وجماعة من معهم من الجيش ، فغزم النبي (ص) على قتال الروم ودخول الشام عام تبوك ، ثم رجع عام ذلك لشدة الحر ، وضعف الحال ، وضيقه على الناس . ثم لما توفى بعث الصديق الجيوش إلى الشام بكاملها ، ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها ، وقد بسطنا القول فى ذلك عند ذكر فتحها ، فلما استقرت اليد الإسلامية عليها وأنزل الله رحمته فيها ، وساق بره إليها ، وكتب أمير الحرب أبو عبيدة إذ ذاك ، وقيل خالد بن الوليد ، لأهل دمشق كتاب أمان ، أقرروا أيدي النصارى على أربع عشرة كنيسة ، وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التى كانوا يسمونها كنيسة مريخا ، بحكم أن البلد فتحه خالد من الباب الشرقى بالسيف ، وأخذت النصارى الامان من أبى عبيدة ، وكان على باب الجابية الصلح ، فاختلفوا ثم إتفقوا على أن جعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة ، فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعله أبو عبيدة مسجداً يصلى فيه المسلمون ، وكان أول من صلى فى هذا المسجد أبو عبيدة ثم الصحابة بعده فى البقعة الشرقية منه ، التى يقال لها محراب الصحابة . ولكن لم يكن الجدار مفتوحاً بمحراب محفى ، وإنما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة ، والظاهر أن الوليد هو الذى فتق الحازيب فى الجدار القبلى [قلت : هذه المحاريب منجددة ليست من فتق الوليد ، وإنما فتق الوليد محراباً واحداً ، إن كان قد فعل ، ولعله لم يفضل شيئاً منها ، فكان يصلى فيه الخليفة ، وبعيتها فتقت قريباً ، لكل إمام محراب ، شافى وحفى ومالكى وحنبلى ، وهؤلاء إنما حدثوا بعد الوليد بزمان] ^(١) وقد كره كثير من السلف مثل هذه المحاريب ، وجعلوه من البيع المحدثه ، وكان المسلمون والنصارى يدخلون هذا المعبد من باب واحد ،

وهو باب المعبد الأعلى من جهة القبلة ، مكان المحراب الكبير الذى فى المقصورة اليوم ، فينصرف النصارى إلى جهة الغرب إلى كنيسهم ، ويأخذ المسلمون مئة إلى مسجدهم ، ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة كتابهم ، ولا يضربوا بناقوسهم ، اجلالاً للصحابة ومهابة وخوفاً . وقد بنى معاوية فى أيام ولايته على الشام دار الامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة ، وبنى فيها قبة خضراء ، وفرفت الدار بكملها بها ، فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا . ثم لم يزل الامر على ما ذكرنا من أمر هذه الكنيسة شطرين بين المسلمين والنصارى ، من سنة أربع عشرة ، إلى سنة ست وثمانين فى ذى القعدة منها ، وقد صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك فى شوال ، منها ، فعزم الوليد على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها إلى ما بأيدي المسلمين منها ، وجعل الجميع مسجداً واحداً ، وذلك لأن بعض المسلمين كان يتأذى بسماع قراءة النصارى للأنجيل ، ورفع أصواتهم فى صلواتهم ، فأحب أن يبعدهم عن المسلمين ، وأن يضيف ذلك المكان إلى هذا ، فيصير كله معبداً للمسلمين ، ويتسع المسجد لكثرة المسلمين ، فعند ذلك طلب النصارى وسأل منهم أن يخرجوا له عن هذا المكان ، ويعوضهم إقطاعات كثيرة ، وعرضها عليهم ، وأن يبقى بأيديهم أجمع كنائس لم تدخل فى العهد ، وهى كنيسة مريم ، وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى ، وكنيسة تل الجبل ، وكنيسة حميد بن درة التى بدرب الصقل ، فأبوا ذلك أشد الأباء ، فقال : ائتمنى بعمودكم التى بأيديكم من زمن الصحابة ، فأبوا بها فقرئت بحضرة الوليد ، فبدأ كنيسة توما التى كانت خارج باب توما على حافة التمر - لم تدخل فى العهد ، وكانت فيها يقال أكبر من كنيسة مريحنا فقال الوليد : أنا أهدمها وأجعلها مسجداً ، فقالوا : بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى ونطيب له نفساً ببقية هذه الكنيسة ، فأقرم على تلك الكنائس ، وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة . هذا قول ، ويقال إن الوليد لما أهدم ذلك وعرض ما عرض على النصارى فأبوا من قبوله ، دخل عليه بعض الناس فأرشده إلى أن يقيس من باب شرقى ومن باب الجابية ، فوجدوا أن الكنيسة قد دخلت فى العنوة وذلك أنهم قاسوا من باب شرقى ومن باب الجابية فوجدوا منتصف ذلك عند سوق الریحان تقريباً ، فإذا الكنيسة قد دخلت فى العنوة ، فأخذها . وحكى عن المنيرة مولى الوليد قال : دخلت على الوليد فوجدته مهموماً فقلت : مالك يا أمير المؤمنين مهموماً ؟ فقال : إنه قد كثر المسلمون وقد ضاق بهم المسجد ، فأحضرت النصارى وبذلت لهم الأموال فى بقية هذه الكنيسة لأضيئها إلى المسجد فيتسع على المسلمين فأبوا ، فقال المنيرة : يا أمير المؤمنين عندى ما يزيل همك ، قال : وما هو ؟ قلت : الصحابة لما أخذوا دمشق دخل خالد بن الوليد من الباب شرقى بالسيف ، فلما سمع أهل البلد بذلك فرعوا إلى أبى عبيدة يطلبون منه الأمان فأمنهم ، وفتحوا له باب الجابية ، فدخل منه أبو عبيدة

بالصلح ، فنحن تماسحهم إلى أى موضع بلغ السيف أخذناه ، وما بالصلح تركناه بأيديهم ، وأرجو أن تدخل الكنيسة كلها فى العنوة ، فتدخل فى المسجد . فقال الوليد : فرجت عني ، فتول أنت ذلك بنفسك ، فتولاه المغيرة ومسح من الباب الشرقى إلى نحو باب الجابية إلى سوق الريحان فوجد السيف لم يزل عمالاً حتى جاوز القنطرة الكبيرة بأربع أذرع وكسر ، فدخلت الكنيسة فى المسجد ، فأرسل الوليد إلى النصرى فأخبرهم وقال : إن هذه الكنيسة كلها دخلت فى العنوة فهى لنا دونكم ، فقالوا : إنك أولاً دفعت إلينا الأموال وأقطعنا الاقطاعات فأبينا ، فن إحسان أمير المؤمنين أن يصلحنا فيبقى لنا هذه الكنائس الأربع بأيدينا ، ونحن نترك له بقية هذه الكنيسة ، فصالحهم على إبقاء هذه الأربع الكنائس والله أعلم .

وقيل إنه عوضهم منها كنيسة عند حمام القاسم عند باب الفرايس داخله فسموها مريحنيا باسم تلك الكنيسة التى أخذت منهم ، وأخذوا شاهدها فوضعوه فوق القى أخذوها بدلها فأنه أعلم .
ثم أمر الوليد بإحضار آلات الهدم واجتمع إليه الأمراء والكبراء ، وجاء إليه أساقفة النصرى وقساوستهم فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نحمد فى كتبنا أن من بهدم هذه الكنيسة يحن ، فقال الوليد : أنا أحب أن أجن فى الله ، والله لا يهدم فيها أحد شيئاً قبلى ، ثم صعد المنارة الشرقية ذات الأضالع المعروفة بالساعات ، وكانت صومعة هائلة فيها راهب عندهم ، فأمره الوليد بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك ، فأخذ الوليد بقفاه فلم يزل يدفعه حتى أنزله منها ، ثم صعد الوليد على أعلى مكان فى الكنيسة فوق المذبح الأكبر منها ، الذى يسمونه الشاهد ، وهو تمثال فى أعلى الكنيسة ، فقال له الرهبان : احذر الشاهد ، فقال : أنا أول ما أضع فأسوي ، فى رأس الشاهد ، ثم كبر وضربه فهدمه ، وكان على الوليد قباه أصفر لونه سفرجل قد غرز أذياه فى المنطقة ، ثم أخذ فأسا بيده فضرب بها فى أعلى حجر فالتفاه ، فتبادر الأمراء إلى الهدم ، وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات ، وصرخت النصرى بالعويل ، على درج جيرون ، وكانوا قد اجتمعوا هنالك ، فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح التسانى ، أن يضربهم حتى ينهبوا من هنالك ، ففعل ذلك ، فهدم الوليد والأمراء جميع ما جده النصرى فى تريبع هذا المعبود من المذابح والأبنية والحنايا ، حتى بقى المسكن بمرحة مربعة ، ثم شرع فى بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة الأنيقة ، التى لم يشتهر مثلها قبلها كما سنذكره .

وقد استعمل الوليد فى بناء هذا المسجد خلقاً كثيراً من الصناع والمهندسين والفعلة ، وكان المستحث على عمارته أخوه وولى عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ، ويقال إن الوليد بعث إلى ملك الروم يطلب منه صناعات فى الرخام وغير ذلك ، ليستعين بهم على عمارة هذا المسجد على ما يريد ، وأرسل يتوعدة لئن لم يفعل ليفزون بلاده بالجيوش ، وليخرجن كل كنيسة فى بلاده ، حتى

كنيسة القدس ، وهي قامة ، وكنيسة الرها ، وسائر آثار الروم ، فبعث ملك الروم إليه صناعات كثيرة جداً ، مائى صانع ، وكتب إليه يقول : إن كان أبوك فهم هذا الذى تصنعه وتركه فانه لو صممة عليك ، وإن لم يكن فهمه وفهمت أنت لو صممة عليه ، فلما وصل ذلك إلى الوليد أراد أن يجيب عن ذلك ، واجتمع الناس عنده لذلك ، فكان فيهم الفرزدق الشاعر ، فقال : أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله . قال الوليد : وما هو ويحك ؟ فقال قال الله تعالى [ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما] وسليمان هو ابن داود ، ففهمه الله ما لم يفهمه أبوه . فأعجب ذلك الوليد فأرسل به جوابا إلى ملك الروم . وقد قال الفرزدق في ذلك : —

فُورَتْ بَيْنَ النَّصَارَى فِي كُنَائِسِهِمْ * وَالْعَابِدِينَ مَعَ الْأَسْحَارِ وَالْعَنَمِ
وَمِنْ جَمِيعًا إِذَا صَلُّوا وَأُوجِهَهُمْ * شَتَّى إِذَا سَجَدُوا لِلَّهِ وَالصَّنَمِ
وَكَيْفَ يَجْتَمِعُ النَّاقُوسُ يَضْرِبُهُ * أَهْلُ الصَّلِيبِ مَعَ الْقَرَاءِ لَمْ تَنْمِ
فَهَمَّتْ تَحْوِيلُهَا عَنْهُمْ كَمَا فَعِمَا * إِذْ يَحْكُمُ لَهُمْ فِي الْحَرْثِ وَالْعَنَمِ
دَاوُدُ وَالْمَلِكُ الْمَهْدِيُّ إِذْ جَزَا * وَلَادَهَا وَاجْتَرَّازَ الصَّوْفِ بِالْجَلَمِ
فَهَمَّكَ اللَّهُ تَحْوِيلًا لِبَيْتِهِمْ * عَنْ مَسْجِدٍ فِيهِ يَنْتَلِ طَيْبُ الْكَلَمِ
مَامِنْ أَبْجَلْتَهُ الْأَرْضُ نَعْلَهُ * خَيْرٌ بَنِينَ وَلَا خَيْرٌ مِنَ الْحَكَمِ

قال الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم دحيم الدمشقي : بنى الوليد ما كان داخل حيطان المسجد وزاد في سمك الحيطان . وقال الحسن بن يحيى النخشي : إن هودآ عليه السلام هو الذى بنى الحائط القبلى من مسجد دمشق . وقال غيره : لما أراد الوليد بناء القبة التى وسط الروايات — وهى قبة النسر وهو اسم حدث لها ، وكانهم شبهوها بالنسر فى شكله ، لأن الروايات عن يمينها وشمالها كالأجنحة لها — حفر لأركانها حتى وصلوا إلى الماء وشربوا منه ماء عذبا زلالا ، ثم إنهم وضعوا فيه زيادة الكرم ، وبنوا فوقها بالحجارة ، فلما ارتفعت الأركان بنوا عليها القبة فسقطت ، فقال الوليد لبعض المهندسين : أريد أن تبني لى أنت هذه القبة ، فقال : على أن تعطى عهد الله وميثاقه على أن لا يبنيتها أحد غيرى ، ففعل . فبنى الأركان ثم غلفها بالبوارى ، وغاب عنها سنة كاملة لا يدري الوليد أين ذهب ، فلما كان بعد السنة حضر ، فهم به الوليد فأخذته ومعه رأس الناس ، فكشف البوارى عن الأركان فإذا هى قد هبطت بعد ارتفاعها حتى ساوت الأرض ، فقال له : من هذا أتيت ، ثم بناها فالتفتت . وقال بعضهم : أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن هذا البناء ، فقال له المعمار : إنك لاتقدر على ذلك ، فضر به خمسين سوطة ، وقال له : ويلاك أنا لآأقدر على ذلك ونزعم أنى أعجز عنه ؟ وبخراج الأرض وأموالها نجى إلى ؟ قال : نعم أنا أبين لك ذلك ، قال : فبين

ذلك ، قال : اضرب لبنة واحدة من الذهب وقس عليها ماتريد هذه القبة من ذلك ، فأمر الوليد فأحضر من الذهب ما ضرب منه لبنة فاذا هي قد دخلها ألف من الذهب ، فقال : يا أمير المؤمنين إننا نريد مثل هذه اللبنة كذا وكذا ألبنة ، فإن كان عندك ما يكفي من ذلك عملناه ، فلما تحقق صحة قوله أطلق له الوليد خمسين ديناراً ، وقال إني لا أعجز عما قلت ، ولكن فيه إسراف وضياع .ال في غير وجهه اللائق به ، ولأن يكون ما أردنا من ذلك نفقة في سبيل الله ، وردا على ضعفاء المسلمين خير من ذلك . ثم عقدها على ما أشار به الممار . ولما سقف الوليد الجامع جعلوا سقفه جملونات ، وباطنها مسطوحاً مقرنصاً بالذهب ، فقال له بعض أهله : أتعبت الناس بمسك في طين أسطحتهم ، لما يريد هذا المسجد في كل عام من الطين الكثير . يشير إلى أن التراب يغلو والفعلة تنزل لأجل العمل في هذا المسجد في كل عام . فأمر الوليد أن يجمع ما في بلاده من الرصاص ليجمعه عوض الطين ، ويكون أخف على السقوف . فجمع من كل ناحية من الشام وغيره من الإقليم ، فجازوا فاذا عنده امرأة منه قناطر مقلطرة ، فسأموها فيه ، فقالت : لا أبيعه إلا بوزنه فضة ، فكتبوا إلى الوليد فقال : اشتروه منها ولو بوزنه فضة ، فلما بذلوا لها ذلك قالت : أما إذا قلتم ذلك فهو صدقة لله يكون في سقف هذا المسجد ، فكتبوا على ألواحها بطابع « لله » ويقال إنها كانت لإسرائيلية ، وإنه كُتب على الألواح التي أخذت منها : هذا ما أعطته الاسرائيلية .

وقال محمد بن عائذ : سمعت المشايخ يقولون : ماتم بناء مسجد دمشق لإبادة الأمانة ، لقد كان يفضل عند الرجل من القوم أو الفعلة الفلاس ورأس المسبار فيأتي به حتى يضعه في الخزانة . وقال بعض مشايخ الدماشقة : ليس في الجامع من الرخام شيء إلا الرخامتان اللتان في المقام من عرش بلقيس والباقي كله مرمر . وقال بعضهم : اشترى الوليد العمودين الأخضرين اللذين تحت الدسر ، من حرب ابن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار . وقال دحيم عن الوليد بن مسلم : ثنا مروان بن جناح عن أبيه قال : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم ، وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر الأنصاري : إنهم حسبوا ما أنفقه الوليد على الكرم^(١) التي في قبلى المسجد فاذا هو سبعون ألف دينار .

وقال أبو قصى : أنفق في مسجد دمشق أربعائة صندوق من الذهب ، في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار ، وفي رواية في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . قلت : فعلى الأول يكون ذلك (١) هي فسيفساء على هيئة الكرم مؤانسة من قطع صغيرة من الزجاج المربع مبطن بالذهب أو الألوان ، وكان منها بقايا إلى أيام الحريق الأخير سنة ١٣١٠ هـ ويوجد قريب منها في قبة الملك الظاهر بدمشق إلى اليوم .

خمسـة آلاف ألف دينار ، وسـمائة ألف دينار ، وعلى الثاني يكون المصروف في عمارة الجامع الأسمى
إحد عشر ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار . وقيل إنه صرف أكثر من ذلك بكثير ، والله أعلم .
قال أبوقصى : وأتى الحرسى إلى الوليد فقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يقولون أنفق أمير المؤمنين
بيوت الأموال في غير حقها . فنودى في الناس الصلاة جامعة . فاجتمع الناس فصعد الوليد المنبر
وقال : إنه بلغنى عنكم أنكم قلتم أنفق الوليد بيوت الأموال في غير حقها ، ثم قال : يا عمرو بن مہاجر ،
ثم فأحضر أموال بيت المال ، فحملت على البغال إلى الجامع ، ثم بسط لها الانطاع تحت قبة النسر ،
ثم أفرغ عليها المسال ذهباً صبيحاً ، وفضة خالصة ، حتى صارت كوماً ، حتى كان الرجل إذا قام من
الجانب الواحد لا يرى الرجل من الجانب الآخر ، وهذا شئ كثير ، ثم جئى بالقباين فوزنت
الأموال فاذا هى تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة ، وفى رواية ستة عشرة سنة مستقبلة ، ولم
يدخل للناس شئ بالكلية ، فقال لهم الوليد : والله ما أنفقت في عمارة هذا المسجد درهما من بيوت
المال ، وإنما هذا كله من مالى . ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ، ودعوا للخليفة
والمصرفوا شاكرين داعين . فقال لهم الوليد : يا أهل دمشق ، والله ما أنفقت في بناء هذا المسجد
شيئاً من بيوت المال ، وإنما هذا كله من مالى ، لم أرأكم من أموالكم شيئاً . ثم قال الوليد : يا أهل
دمشق ، إنكم تفخرون على الناس بأربع ، بهوائكم ومائتكم وفا كهنتكم وحمامتكم ، فأحببت أن
أزيدكم خامسة وهى هذا الجامع . وقال بعضهم : كان في قبة جامع دمشق ثلاث صفائح مذهبة بلازورد ،
في كل منها : بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، ولا نعبد إلا إياه ، ربنا الله وحده ، وديننا الاسلام ، ونبينا محمد س . . . أمر ببنيان
هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبد الله أمير المؤمنين الوليد ، في ذى القعدة سنة ست
وثمانين ، وفى صفيحة أخرى رابعة من تلك الصفائح : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم إلى آخر
الفاتحة ، ثم النازعات ، ثم عبس ، ثم إذا الشمس كورت ، قالوا : ثم بحيث بعد مجئ المأمون إلى
دمشق . وذكروا أن أرضه كانت مفضضة كلها ، وأن الرخام كان في جدرانها إلى قامات ، وفوق
الرخام كرمة عظيمة من ذهب ، وفوق الكرمة الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض ، قد
صوروا بها سائر البلدان المشهورة ، الكعبة فوق الحراب ، وسائر الاقاليم يمنة ويسرة ، وصوروا مافى
البلدان من الأشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك ، وسقفه مقرنص بالذهب ، والسلاسل المعلقة
فيها جسيمها من ذهب وفضة ، وأنوار الشموع في أماكن مفرقة . قال : وكان في محراب الصحابة برنية
حجر من بلور ، ويقال بل كانت حجرآ من جوهر وهى الدرة ، وكانت تسمى القليلة ، وكانت إذا
طفئت التباديل تضى لمن هناك بنورها ، فلما كان زمن الأمين بن الرشيد - وكان يحب البلور وفيل

الجوهر - بعث إلى سليمان وإلى شرطة دمشق أن يبعث بها إليه ، فسرقتها الوالى خوفاً من الناس وأرسلها إليه ، فلما ولى المأمون ردها إلى دمشق ليشتع بذلك على الأمين . قال ابن عساكر : ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج ، قال : وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيئاً ، قالوا : وكانت الأبواب الشارعة من داخل الصحن ليس عليها أغلاق ، وإنما كان عليها الستور مرخاة ، وكذلك الستور على سائر جدرانه إلى حد الكومة التى فوقها الفصوص المنهبة ، ورؤس الأعمدة مطلية بالذهب الخالص الكثير ، وعملوا له شرفات تحيط به ، وبني الوليد المنارة الشمالية التى يقال لها مأذنة العروس ، فأما الشرقية والغربية فكانتا فيه قبل ذلك بدهور متطلولة ، وقد كان فى كل زاوية من هذا المعبود صومعة شاهقة جداً ، بنها اليونان للرصد ، ثم بعد ذلك سقطت الشماليتان وبقيت القبليتان إلى الآن ، وقد أحرق بعض الشرقية بعد الأربعين وسبعائة ، فنقضت وجمدت بناؤها من أموال النصارى ، حيث اتهموا بحريقها ، فقامت على أحسن الأشكال ، بيضاء بذاتها وهى والله أعلم الشرفة التى ينزل عليها عيسى بن مريم فى آخر الزمان بعد خروج الدجال ، كما ثبت ذلك فى صحيح مسلم عن النواس بن سمعان .

[قلت : ثم أحرق أعلى هذه المنارة وجمدت ، وكان أعلاها من خشب فبنيت بحجارة كلها فى آخر السبعين وسبعائة ، فصارت كلها مبنية بالحجارة] (١)

والمقصود أن الجامع الأموى لما كل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناء أحسن منه ، ولا أبهى ولا أجمل منه ، بحيث إنه إذا نظر الناظر إليه أو إلى جهة منه أو إلى بقعة أو مكان منه تحير فيها نظره لحسنه وجماله ، ولا يعمل فطره ، بل كلما أدمن النظر بانت له أمجوبة ليست كالأخرى ، وكانت فيه طلسات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيئاً من الحشرات بالكافة ، لا من الحيات ولا من العقارب ، ولا الخنافس ولا النساكيب ، ويقال ولا العصفير أيضاً تمشش فيه ، ولا الحمام ولا شيئ مما يتأذى به الناس ، وأكثر هذه الطلسات أو كلها كانت مودعة فى سقف هذا المعبد ، مما يلى السبع ، فأحرق لما أحرق ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربعمائة ، فى دولة الفاطميين كما سيأتى ذلك فى موضعه . وقد كانت بدمشق طلسات وضعتها اليونان بعضها باقى إلى يومنا هذا والله أعلم .

فمن ذلك العمود الذى فى رأسه مثل الكرة فى سوق الشمير عند قنطرة أم حكيم ، وهذا المكان يعرف اليوم بالمبنيين ، ذكر أهل دمشق أنه من وضع اليونان لعمربول الحيوان ، فإذا داروا بالحيوان حول هذا العمود ثلاث دورات انطلق باطنه فبال ، وذلك مجرب من عهد اليونان .

(١) زيادة من المصرية .

[قال ابن تيمية عن هذا العمود : إن تحته مدفون جبار عنيد ، كافر يعذب ، فإذا داروا بالحیوان حوله سمع العذاب فراث وبال من الخوف ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى قبور النصارى واليهود والكفار ، فإذا سمعت أصوات المعذبين انطلق بوقها . والعمود المشار إليه ليس له سر ، ومن اعتقد أن فيه منفعة أو مضرة فقد أخطأ خطأ فاحشا . وقيل إن تحته كنز وصاحبه عسده مدفون ، وكان ممن يمتدد الرجعة إلى الدنيا كما قال تعالى [وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبهمون] والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١) .

وما زال سليمان بن عبد الملك يعمل في تكملة الجامع الأموي بعد موت أخيه مدة ولايته ، وجندت له فيه المقصورة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرده مما فيه من الذهب ، ويقطع السلاسل والرخام والفسيفساء ، ويرد ذلك كله إلى بيت المال ، ويجعل مكان ذلك كله طينا ، فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرا فهم إليه ، وقال خالد بن عبد الله القسري : أنا أكله لكم ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلغنا عنك كذا وكذا ، قال : نعم ، فقال خالد : ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : ولم يا ابن الكافرة ؟ - وكانت أمه نصرانية رومية أم ولد - فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت كافرة فقد ولدت رجلا مؤمنا ، فقال : صدقت ، واستحيا عمر ثم قال له : فلم قلت ذلك ؟ قال : يا أمير المؤمنين لأن غالب ما فيه من الرخام إنما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الأقاليم ، وليس هو لبيت المال ، فأطرق عمر . قالوا : واتفق في ذلك الزمان قدوم جماعة من بلاد الروم رسلا من عند ملكهم ، فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا إلى الباب الكبير الذي تحت النسر ، ورأوا ما بهر عقولهم من حسن الجامع الباهر ، والخرقة التي لم يسمع بمثله ، صعد كبيرهم وخر مغشيا عليه ، فحملوه إلى منزلهم ، فبقى أياما مدنفًا ، فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال : ما كنت أظن أن يبني المسلمون مثل هذا البناء ، وكنت أعتقد أن مشتهم يكون أقصر من هذا ، فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال : أو إن الفيلظ أهلك الكفار ، دعوه . وسألت النصارى في أيام عمر بن عبد العزيز أن يعقد لهم يجلسا في شأن ما كان أخذه الوليد منهم ، وكان عمر عادلا ، فأراد أن يرد عليهم ما كان أخذه الوليد منهم فأدخله في الجامع ، ثم حقق عمر القضية ، ثم نظر فإذا الكنائس التي هي خارج البند لم تدخل في الصلح الذي كتبه لهم الصحابة ، مثل كنيسة دير مران بسفح قايسون ، وهي بقرية المعظمية ، وكنيسة الراهب ، وكنيسة توما خارج باب توما ، وسائر الكنائس التي بقرى الحواجز ، فغيرهم بين رد ما سألوه وفتحريب هذه الكنائس كلها ، أو تبقى تلك الكنائس ويطيخوا نفسا للمسلمين بهنمه البقية ، فاتفقت آراؤهم بعد ثلاثة أيام على إبقاء تلك الكنائس ، ويكتب لهم كتاب أمان بها ،

(١) زيادة من المصرية :

ويطيبوا نفسا بهذه البقعة، فكتب لهم كتاب أمان بها.

والمقصود أن الجامع الأموي كان حين تكامل بناؤه ليس له في الدنيا مثيل في حسنه وبهجته ، قال الفرزدق : أهل دمشق في بلادهم في قصر من قصور الجنة - يعني الجامع - وقال أحمد بن أبي الخوارى عن الوليد بن مسلم عن ابن تويان : ما ينبغي لأحد من أهل الأرض أن يكون أشد شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها . قالوا : ولما دخل أمير المؤمنين المهدي دمشق يريد زيارة القدس نظر إلى جامع دمشق فقال لكتابه أبي عبيد الله الأشعري : سبقنا بنو أمية بثلاث ، بهذا المسجد الذي لا أعلم على وجه الأرض مثله ، وببلب الموالى ، وبمر ابن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم لما أتى بيت المقدس فنظر إلى الصخرة - وكان عبد الملك بن مروان هو الذي بناها - قال لكتابه : وهذه رابعة . ولما دخل المأمون دمشق فنظر إلى جامعها وكان معه أخوه المعتصم ، وقاضيه يحيى بن أكرم ، قال : ما أعجب ما فيه ؟ فقال أخوه : هذه الأذهاب التي فيه ، وقال يحيى بن أكرم : الرخام وهذه المقعد ، فقال المأمون : إني إنما أعجب من حسن بنيانها . على غير مثال متقدم ، ثم قال المأمون لقادم التمار : أخبرني باسم حسن أسمى به جاريتي هذه ، فقال : سمها مسجد دمشق ، فإنه أحسن شيء . وقال عبد الرحمن عن ابن عبد الحكم عن الشافعي قال : عجائب الدنيا خمسة : أحدها منارتكم هذه - يعني منارة ذي القرنين باسكندرية - والثانية أصحاب الرقيم وهم بالروم اثنا عشر رجلاً ، والثالثة امرأة بباب الأندلس على باب مدينتها ، يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ . وقيل ينظر من بالقسطنطينية ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الانفاق عليه ، والخامس الرخام والفسفساء ، فإنه لا يدري لها موضع ، ويقال إن الرخام معجون ، والدليل على ذلك أنه ينوب على النار .

قال ابن عساكر : وذكر إبراهيم بن أبي الليث الكاتب - وكان قديم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة - في رسالة له قال : ثم أمرنا بالانتقال فانتقلت منه إلى بلد تمت محاسنه ، ووافق ظاهره باطنه ، أزقته أرجة ، وشوارعه فرجة ، فحيث ما مشيت شممت طيباً ، وأين سمعت رأيت منظراً عجيباً ، وإن أفضيت إلى جامعها شاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ، ولا الراى أن يعرفه ، وجعلته أنه كثر الدهر ونادرة الوقت ، وأعجوبة الزمان ، وغريبة الأوقات ، ولقد أئمت الله عز وجل به ذكراً يدرس ، وخلف به أمراً لا يخفى ولا يدرس . قال ابن عساكر : وأشدنى بعض المحدثين في جامع دمشق عمره الله بذكره وفي دمشق فقال :

دمشق قد شاع حسنُ جامعها * وما حوته رُبي مرايعها
بديعة الحسن في السكالِ لما * يدركه الطرف من بدائعها.

طيبة أرضها مباركة * باليمن والسعد أخذ طالعها
 جامعها جامع المحاسن قد * فاقته به المدن في جوامعها
 بنية بالاتقان قد وضعت * لاضيع الله سعي واضعها
 تذكر في فضله ورفعه * آثار صدق راقته لسامعها
 قد كان قبل الحريق مدهشة * فغيرت ناره بلاقمها
 فأذهبت بالحريق بهجته * فليس يرجى إياب راجعها
 إذا تفكرت في الفصوص وما * فيها تيقنت حنق راصعها
 أشجارها لا تزال مشرقة * لا تهرب الريح من منافعها
 كأنها من زمرد غرست * في أرض تهر تغشى بنافعها
 فيها نمار تخالها ينعت * وليس يخشى فساد يانعها
 تقطعت باللحظ لا بمجارة الـ * أيدي ولا تجنى لبائعها
 ونحتها من رخامة قطع * لا قطع الله كف قاطعها
 أحكم ترخيمها المرحم قد * بأن عليها إحكام صانعها
 وإن تفكرت في قناطره * وسقفه بأن حنق رافعها
 وإن تبينت حسن قبته * تحير الأب في أضالعها
 تحترق الريح في منافعها * عصفاً فتقوى على زعاعها
 وأرضه بالرخام قد فرشت * ينسح الطرف في مواضعها
 مجالس العلم فيه مؤقته * ينشرح الصدر في مجامعها
 وكل باب عليه مطهرة * قد آمن الناس دفع مانعها
 يرتفع الناس من مراقبها * ولا يصدون عن منافعها
 ولا تزال المياه جارية * فيها لما شق من مشارعها
 وسوقها لا تزال آهلة * يزدحم الناس في شوارعها
 لما يشاؤون من فواكهها * وما يرينون من بضائعها
 كأنها جنة معجلة * في الأرض لولا مسرى فجائعها
 دامت برغم العدى مسلمة * وحاطها الله من قوارعها

١٥٣

فضيلة دمشق

فيا روي في جامع دمشق من الآثار وما ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من السادة الأخيار روى عن قتادة أنه قال في قوله تعالى [والتين] قال : هو مسجد دمشق [والزيتون] قال : هو مسجد بيت المقدس [وطور سينين] حيث كلم الله موسى [وهذا البلد الأمين] وهو مكة (١). رواه ابن عساكر . وقال صفوان بن صالح عن عبيد الخالق بن زيد بن واقد عن أبيه عن عطية بن قيس السكلابي قال قال كعب الأحبار : لبيّن في دمشق مسجد يبق بعد خراب الدنيا أربعين عاماً . وقال الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم أبي عبد الرحمن قال : أوحى الله تعالى إلى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك إلى جبل بيت المقدس ، قال ففعل فأوحى الله إليه أما إذا فعلت فاني سأبني في خطتك بيتاً أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تنهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك ، قال فهو . عند الله بمنزلة الرجل الضعيف المتضرع . وقال دحيم : حيطان المسجد الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك - يعني أنه رفع الجدار فعلاه من حديد الرخام والكرمة إلى فوق - وقال غيره : إنما بنى هود الجدار القبلي فقط . ونقل عثمان بن أبي العاتكة عن أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى [والتين] قالوا : هو مسجد دمشق .

وقال أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج المعروف بابن البراهمي الدمشقي : ثنا إبراهيم بن مروان سمعت أحمد بن إبراهيم بن ملاس يقول : سمعت عبد الرحمن بن يمين بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر قال : كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها القربان ، فسا تقبل منه جاءت نار فأكته ، وما لم يتقبل منه بقي على حاله . قلت : وهذه الصخرة نقلت إلى داخل باب الساعات ، وهي موجودة إلى الآن ، وبعض العامة يزعم أنها الصخرة التي وضع عليها ابن آدم قربانها فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فالحق أعلم .

وقال هشام بن عمار : ثنا الحسن بن يحيى الحسن بن رسول الله (ص) ، ليلة أمرى به « صلى في موضع مسجد دمشق » قال ابن عساكر : وهذا منقطع ومنكر جداً ، ولا يثبت أيضاً لأن هذا الوجه ولا من غيره . وقال أبو بكر البراهمي : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الملك بن المغيرة المقرئ حدثني أبي عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك تقدم إلى القوام ليلة من الليالي فقال : إني أريد أن أصلي الليلة في المسجد ، فلا تتركوا أحداً يصلي الليلة ، فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا

(١) في الأصل « قال دمشق » . وصححه من حديث قتادة في تاريخ ابن عساكر ١ : ١٩٦

الخصر يصلى فى المسجد فى كل ليلة ، وفى رواية أنه قال لهم : لا تتركوا أحداً يدخله ، ثم إن الوليد أتى باب الساعات فاستفتح الباب ففتح له ، فإذا رجل قائم بين الساعات وباب الخضراء الذى إلى المقصورة يصلى ، وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال الوليد للقوام : ألم أمرم أن لا تتركوا أحداً الليلة يصلى فى المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين هذا الخصر يصلى كل ليلة فى المسجد . فى إسناد هذه الحكاية وصحتها نظر ، ولا يثبت بثبوتها وجود الخصر بالكيفية ، ولا صلاته فى المكان المذكور والله أعلم .

وقد اشتهر فى الأعصار المتأخرة أن الزاوية القبلية عند باب المأذنة الغربية تسمى زاوية الخضر ، وما أدرى ما سبب ذلك ، والذي ثبت بالتواتر صلاة الصحابة فيه ، وكفى بذلك شرفاً له ولغيره من المساجد التى صلوا فيها ، وأول من صلى فيه إماماً أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير الأمراء بالشام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمين هذه الأمة ، وصلى فيه خلق من الصحابة مثل معاذ بن جبل وغيره لكن قبل أن يغيره الوليد إلى هذه الصفة ، فأما بعد أن غير إلى هذا الشكل فلم يره أحد من الصحابة كذلك إلا أنس بن مالك ، فإنه ورد دمشق سنة ثنتين وتسعين ، وهو يبنى فيه الوليد ، فصلى فيه أنس ورأى الوليد وأنكر أنس على الوليد تأخير الصلاة إلى آخر وقتها كما قدمنا ذلك فى ترجمة أنس ، عند ذكر وفاته سنة ثلاث وتسعين ، وسيصلى فيه عيسى بن مريم إذا نزل فى آخر الزمان ، إذا خرج الدجال وعمت البلوى به ، وانحصر الناس منه بدمشق ، فينزل مسيح الهدى فيقتل مسيح الضلالة ، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وقت صلاة الفجر ، فيأتى وقد أقيمت الصلاة فيقول له إمام الناس : تقدم يا روح الله ، فيقول : إنما أقيمت لك ، فيصلى عيسى تلك الصلاة خلف رجل من هذه الأمة ، يقال إنه المهدي فآله أعلم .

ثم يخرج عيسى بالناس فيدرك الدجال عند عقبة أفيق ، وقيل بباب لد فيقتله بيده هناك . وقد ذكرنا ذلك مبسوطاً عند قوله تعالى [وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته] وفى الصحيح عن النبي (ص) : « والذي نفسى بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ولا يقبل إلا الاسلام » .

والمقصود أن عيسى ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، والبلد محصور محصن من الدجال ، فينزل على المنارة - وهى هذه المنارة المبنية فى زماننا من أموال النصارى - ثم يكون نزول عيسى حنفاً لهم وهلاكاً ودماراً عليهم ، ينزل بين ملكين واضعاً يديه على منكبيهما ، وعليه مهر وذئبان ، وفى رواية مضممة أن^(١) يقطر رأسه ماء كأنما خرج من دماغ ، وذلك وقت الفجر ، فينزل على المنارة

(١) المصرة من الثياب التى فيها صفة خفيفة .

وقد أقيمت الصلاة ، وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق ، وهو هذا الجامع . وما وقع في صحيح مسلم من رواية الثوبان بن سمان السكلاي : فينزل على المنارة البيضاء شرق دمشق ، كأنه والله أعلم مروى بالمعنى بحسب ما فهمه الراوى ، وإنما هو ينزل على المنارة الشرقية بدمشق ، وقد أخبرت ولم أقف عليه إلى الآن أنه كذلك ، في بعض ألفاظ هذا الحديث ، في بعض المصنفات ، والله المسؤول المأمول أن يوفقني فيوقني على هذه اللفظة . وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه ، وهي بيضاء بنفسها ، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها ، ولا أبهى ولا أعلى منها ، والله الحمد والمنة [قلت : نزول عيسى على المنارة التي بالجامع الأموي غير مستنكر ، وذلك أن البلاء بالدجال يكون قد عم فينحصر الناس داخل البلد ، ويحصرهم الدجال بها ، ولا يتخلف أحد عن دخول البلد إلا أن يكون متبعا للدجال ، أو مأسورا معه ، فإن دمشق في آخر الزمان تكون مقبل المسلمين وحصنهم من الدجال ، فإذا كان الأمر كذلك فمن يصلى خارج البلد ، والمسلمون كلهم داخل البلد ، وعيسى إنما ينزل وقد أقيمت الصلاة فيصلى مع المسلمين ، ثم يأخذهم ويطلب الدجال ليقته ، وبعض العوام يقول : إن المراد بالمنارة الشرقية بدمشق ، منارة مسجد بلاشو ، خارج باب شرق . وبعضهم يقول : إنها المنارة التي على نفس باب شرق . فإله أعلم بمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو سبحانه العالم بكل شئ ، المحيط بكل شئ ، القادر على كل شئ ، الفاهر فوق كل شئ ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض] (١)

الكلام على ما يتعلق برأس يحيى بن زكريا عليها السلام

وروى ابن عساکر عن زيد بن واقد قال : وكأني الوليد على المال في بناء جامع دمشق ، فوجدنا فيه مغارة فمررنا الوليد ذلك ، فلما كان الليل وأظلام بين يديه الشمع ، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ، ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ، ففتح الصندوق فإذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا عليها السلام . مكتوب عليه هذا رأس يحيى بن زكريا ، فأمر به الوليد فرد إلى مكانه ، وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه منيرا من بين الأعمدة ، فجعل عليه عمود مسط الرأس ، وفي رواية عن زيد بن واقد أن ذلك الموضع كان تحت دكن من أركان القبة - يعني قبل أن تبنى - قال : وكان على الرأس شعرو بشر . وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال : حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من القبة الشرقية التي عند مجلس بجميلة ، فوضع تحت عمود الكساسة ، قال الأوزاعي والوليد بن مسلم : هو العمود الرابع المسط . وروى أبو بكر بن البرامي عن أحمد بن أنس ابن مالك عن حبيب المؤذن عن أبي زياد وأبي أمية الشنمانيين عن سفيان الثوري أنه قال : صلاة

في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة . وهذا غريب جداً . وروى ابن عساكر من طريق أبي مسهر عن المنذر بن نافع - مولى أم عمرو بنت مروان - عن أبيه - وفي رواية عن رجل قد سماه - أن واثلة ابن الأسقع خرج من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقبه كعب الأحبار فقال : أين تريد ؟ قال واثلة : أريد بيت المقدس . فقال : تعال أريك موضعاً في المسجد من صلى فيه فكأنما صلى في بيت المقدس ، فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الزوال - يعني الخليفة - إلى الحنية - يعني القنطرة الغربية - فقال : من صلى فيها بين هذين فكأنما صلى في بيت المقدس ، فقال واثلة : إنه لمجلسي ومجلس قومي . قال كعب : هو ذلك . وهذا أيضاً غريب جداً ومنكر ولا يمتنع على مثله . وعن الوليد بن مسلم قال : لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبطي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فبعثوا به إلى الوليد فيمنه إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى من كان بدمشق من بقية الأسبان فلم يستخرجوه ، فدل على وهب بن منبه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك الحائط - ويقال ذلك الحائط نشأه هود عليه السلام - فلما نظر إليه وهب حرك رأسه وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك ، لذهبت في طول ما ترجو من أمك ، وأبما تلقى ندمك لو قد زل بك قدمك . وأسلك أهلك وحشمك ، وانصرف عتلك الحبيب وأسلك الصاحب والقريب ، ثم صرت تدعى فلا تحيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا إلى عتلك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة ، وقبل الحسرة والندامة ، قبل أن يحل بك أجلك ، وتنزع منك روحك ، فلا ينفعك مال جمته ، ولا ولد ولده ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ الثرى ، وبحاور الموتى ، فاعتنم الحياة قبل الممات ، والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكظم ويحال بينك وبين العمل ، وكتب في زمن^(١) داود عليهما السلام .

وقال ابن عساكر : قرأت على أبي محمد السلمي عن عبد العزيز النخعي أنبأ تمام الرازي ثنا ابن البرامى سمعت أبا مروان عبد الرحمن بن عمر المازني يقول : لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً فوجدوا باباً من حجارة مغلقة ، فلم يفتحوها وأعلموا به الوليد ، ففرج حتى وقف عليه ، وفتح بين يديه ، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة ، على فرس من حجارة ، في يده التمثال الواحدة الدرّة التي كانت في الحراب ، ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكسرت ، فإذا فيها حبتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذا البلد قمح ولا شعير . وقال الحافظ أبو حنيدان الوراق - وكان قد عمر مائة

(١) كذا بالأصول ، ولعله سقط منه لفظ « سليمان بن » .

سنة - : سمعت بعض الشيوخ يقول : لما دخل المسلمون دمشق وجدوا على العمود الذي على المقسلاط - على السفود الحديد الذي في أعلاه - صنما ماداً يده بكف مطبقة ، فكسروه فاذا في يده حبة قح ، فسألوا عن ذلك فقيل لهم : هذه الحبة قح جعلها حكاء اليونان في كف هذا الصنم طلسماً ، حتى لا يسوس القمح في هذه البلاد ، ولو أقام سنين كثيرة . قال ابن عساكر : وقد رأيت أنا في هذا السفود على قناطر كنيسة المقسلاط كانت مبنية فوق القنادل التي في السوق الكبير ، عند الصابونيين والعطارين اليوم ، وعندها اجتمعت جيوش الاسلام يوم فتح دمشق ، أبو عبيدة من باب الجابية ، وطلحة من باب الشرقي ، ويزيد بن أبي سفيان من باب الجابية الصغير . وقال عبد العزيز التميمي عن أبي نصر عبد الوهاب بن عبد الله المري : سمعت جماعة من شيوخ أهل دمشق يقولون : إن في سقف الجامع طلسم عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي ، فيها طلسم للصنونات ، لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأواخ التي تكون منها ، ولا يدخله غراب ، وطلسم للفأر والحيات والعقارب ، فما رأى الناس من هذا شيئاً إلا الفأر ، ويشك أن يكون قد عدم طلسمها ، وطلسم للعنكبوت حتى لا يذسج فيه ، وفي رواية فيركبه الغبار والوسخ . قال الحافظ ابن عساكر : وسمعت جدي أبا الفضل يحيى بن علي يذكر أنه أدرك في الجامع قبل حريقه طلسمات لسائر الحشرات ، معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السبع ، وأنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت الطلسمات حين أحرق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وقد كانت بدمشق طلسمات كثيرة ، ولم يبق منها سوى العمود الذي بسوق العلبيين الذي في أعلاه مثل الكرة العظيمة ، وهي لسربول الدواب ، إذا داروا بالدابة حوله ثلاث مرات انطلق باطنها . وقد كان شيخنا ابن تيمية رحمه الله يقول : إنما هذا قبر مشرك مفرد مدفون هنالك يعذب ، فاذا سمعت الدابة صراخه فرععت فانطلق باطنها وطبعها ، قال : ولهذا يذهبون بالدواب إلى مقابر اليهود والنصارى إذا مغلت فتنتطلق طباعها وتروث ، وما ذاك إلا أنها تسمع أصواتهم وهم يعذبون والله أعلم .

ذكر الساعات التي على بابه

قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر : إنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه عمل هناك ببناء الساعات ، كان يعمل بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها عصفائر من نحاس ، وحية من نحاس وغراب ، فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصغرت المصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة ، وكذلك سائرهما . قلت : هذا يحتمل أحد شيئين إما أن تكون الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع ، وهو الذي يسمى باب الزيادة ، ولكن قد قيل إنه محادث بعد بناء الجامع ، ولا ينبغي ذلك أن الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر ،

و إما أنه قد كان في الجامع في الجانب الشرق منه في الحائط القبلى باب آخر في محاذ باب الزيادة ،
وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله إلى باب الوراقين اليوم ، وهو باب الجامع من الشرق والله أعلم .
[قلت : باب الوراقين قبل أيضا ، فيضاف إلى الجامع نسبة إلى من يدخل منه إلى الجامع
والله أعلم ، أو لجارته للجامع ولبابه] (١)

قلت : فأما القبة التى فى وسط صحن الجامع التى فيها الماء الجارى ، ويقول العامة لها قبة أبى نواس
فكان بناؤها فى سنة تسع وستين وثلاثمائة أرخ ذلك ابن عساكر عن خط بعض الدماشقة . وأما
القبة الغربية العالية التى فى صحن الجامع التى يقال لها قبة عائشة ، فسمعت شيخنا الذهبى يقول : إنها
إنما بنيت فى حدود سنة ستين ومائة فى أيام المهدي بن منصور العباسي ، وجعلوها لحواصل الجامع
وكتب أوقافه ، وأما القبة الشرقية التى على باب مسجد على فيقال : إنها بنيت فى زمن الحاكم العبيدى
فى حدود سنة أربع ومائة . وأما الفوارة التى تحت درج جيرون فعملها الشريف نجر الدولة أبو على
حمزة بن الحسن بن العباس الحسنى ، وكأنه كان ناظراً بالجامع ، وجعل إليها قطعة من حجر كبير من
قصر حجاج ، وأجرى منها الماء ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من ربيع الاول سنة سبع عشرة وأربع مائة
وعملت حولها قناطر ، وعقد عليها قبة ، ثم سقطت القبة بسبب جمال تحاكت عندها وازدحمت ،
وذلك فى صفر سنة سبع وخمسين وأربع مائة ، فأعيدت ثم سقطت أعمدها وما عليها من حريق اللبادين
والحجارة فى شوال سنة اثنتين وستين وخمسمائة ، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر .

قلت : وأما القصعة التى كانت فى الفوارة ، فما زالت وسطها ، وقد أدركتها كذلك ، ثم رفعت
بعد ذلك . وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها ، فلم تزل بها إلى أن تهدمت اللبادين بسبب
حريق النصارى فى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، ثم استؤنف بناء الطهارة على وجه آخر أحسن مما
كانت ، وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر ، ثم عمل الشاذروان الذى شرقى فوارة جيرون ، بعد
الخمسمائة - أظنه - سنة أربع عشرة وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

ذكر ابتداء أمر السبع بالجامع الاموي

قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا أبو عباس موسى بن عامر المري ثنا الوليد - هو ابن مسلم - قال قال
أبو عمر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : الدراسة محدثة أحدثها هشام بن إسماعيل الخزاز ، فى
قمة قدمها على عبد الملك ، فحجبه عبد الملك فجلس بعد الصبح فى مسجد دمشق فسمع قراءة فقال :
ما هذا ؟ فأخبر أن عبد الملك يقرأ فى الخضر ، فقرأ هشام بن إسماعيل ، فجعل عبد الملك يقرأ براءة
هشام ، فقرأ بقرائه مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد فقرأوا بقرائه . وقال هشام

ابن عينا وخطيب دمشق، ثنا أبو بوب بن عسان ثنا الأوزاعي ثنا خالد بن كاهن قال : أول من أحدث القراءة في مسجد دمشق هشام بن إسماعيل بن المغيرة الخزاعي ، وأول من أحدث القراءة بفلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجرشي . قلت : هشام بن إسماعيل كان نائباً على المدينة النموية ، وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب لما امتنع من البيعة للوليد بن عبد الملك ، قبل أن يموت أبوه ، ثم عزله عنها الوليد وولى عليها عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا .

وقد حضر هذا التبعيج جماعات من سادات السلف من التابعين بدمشق ، منهم هشام بن إسماعيل ومولاه رافع وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر ، وكان مكتباً لأولاد عبد الملك بن مروان ، وقد ولى إمرة إفريقية لهشام بن عبد الملك وابنيه عبد الرحمن ومروان . وحضره من القضاة أبو إدريس الخولاني ، ونعيم بن أوس الأشعري ، ويزيد بن أبي الهيثم ، وسالم بن عبد الله المحاربي ، ومحمد بن عبد الله بن ليلى الأسدي . ومن الفقهاء والمحدثين والحفاظ المقرئين أبو عبد الرحمن القاسم بن عبيد الرحمن مولى معاوية ، ومكيول ، وسليمان بن موسى الأشدق ، وعبد الله بن العلاء بن زبر ، وأبو إدريس الأصغر عبد الرحمن بن ذرارة ، وعبد الرحمن بن عامر الهمصاني - أخو عبد الله بن عامر - ويحيى بن الجارث البتماري ، وعبد الملك بن نعمان المري ، وأنس بن أنس العذري ، وسليمان ابن بديع القاري ، وسليمان بن داود الخشفي ، وهراش - أو هراش - بن حكيم القرشي ، ومحمد بن خالد ابن أبي ظبيان الأزدي ، ويزيد بن عبيدة بن أبي المهاجر ، وعباس بن دينار وغيرهم . هكذا أوردتم ابن عساكر . قال : وقد روى عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره ، ولا وجه لأنكاره . ثم ساق من طريق أبي بكر بن أبي داود : ثنا عمرو بن عثمان ثنا الوليد - هو ابن مسلم - عن عبد الله بن العلاء قال : سمعت الضحاك بن عبد الرحمن بن عروب ينسك الدراسة ويقول : ما رأيت ولا سمعت ، وقد أدركت أصحاب النبي (ص) . قال ابن عساكر : وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في أواخر سنة ست وثمانين (١) في خلافة عمر بن عبد العزيز .

فصل في أخبار بني عبد العزيز

كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ست وثمانين ، هدمت الكنيسة التي كانت موضعه في ذى القعدة منها ، فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء ، وتكامل في عشر سنين ، فكان الفراغ منه في هذه السنة - أي سنة ست وتسعين - وفيها توفي بانيه الوليد بن عبد الملك ، وقد بقيت فيه بقايا فكلها أخوه سليمان كما ذكرنا . فأما قول يعقوب بن سفيان : سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد

(١) كذا بالأصول . والصواب : في سنة تسع وتسعين .

دمشق وهذه الكنيسة قل : كان الوليد قال للنصارى : ما شئتم انا أخذنا كنيسة توما عنوة وكنيسة الداخلة صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما - قال هشام وتلك أكبر من هذه الداخلة - قال فرضوا أن يهدم كنيسة الداخلة وأدخلها في المسجد ، قال : وكان بابها قبلة المسجد اليوم ، وهو الحراب الذى يصلى فيه ، قال : وهدم الكنيسة فى أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، ومكثوا فى بنائها سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتم بناءه ، فاتمه هشام من بعده ففیه فوائد وفيه غلط ، وهو قوله إتهم مكثوا فى بناءه سبع سنين ، والصواب عشر سنين ، فانه لاختلاف أن الوليد بن عبد الملك توفى فى هذه السنة - أعنى سنة ست وتسعين - وقد حكى أبو جعفر بن جرير على ذلك إجماع أهل السير ، والذى أتم مابقى من بناءه أخوه سليمان لاهشام والله سبحانه وتعالى أعلم .

[قلت : نقل من خط ابن عساكر وقد تقدم ، وقد جددت فيه بعد ذلك أشياء ، منها القباب الثلاث التى فى محبته . وقد تقدم ذكرها . وقيل إن القبة الشرقية عمرت فى أيام المستنصر العبيدى فى سنة خمسين وأربعمائة وكتب عليه اسمه واسم الاثنى عشر الذين تزعم الرافضة أنهم أئمتهم ، وأما العمودان الموضوعان فى محبته فجعلتا للتنوير لبالى الجمع ، وصنعا فى رمضان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، بأمر قاضى البلد أبى محمد ^(١)]

وهذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني جامع دمشق وذكر وفاته فى هذا العام هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، أبو العباس الأموى ، بويع له بالخلافة بعد أبيه بعد منه فى شوال سنة ست وثمانين ، وكان أكبر ولده ، والولى من بعده ، وأمه ولادة بنت العباس بن حزن بن الحارث بن زهير العبسى . وكان مولده سنة خمسين ، وكان أبواه يترفانه ، فشب بلا أدب ، وكان لا يحسن العربية ، وكان طويلاً أسمر به أثر جدرى خفى ، أفطس الأنف سائله ، وكان إذا شئ يتوكف فى المشية - أى يتبختر - وكان جليلاً وقيل دميماً ، قد شاب فى مقدم لحيته ، وقد رأى سهل بن سعد وسمع أنس بن مالك لما قدم عليه سألته ما سمع فى أشرط الساعة ، كما تقدم فى ترجمة أنس ، وسمع سعيد بن المسيب وحكى عن الزهرى وغيره وقد روى أن عبد الملك أراد أن يعهد إليه ثم توقف لأنه لا يحسن العربية فجمع الوليد جماعة من أهل النحو عنده فأقاموا سنة ، وقيل سنة أشهر ، فخرج يوم خرج أجمل مما كان ، فقال عبد الملك : قد أجهد وأعذر ، وقيل إن أباه عبد الملك أوصاه عند موته فقال له : لا ألفينك إذا مت تجلس تعصر عينيك ، وتحن حنين الأمة ، ولكن شجروا نزر ، ودلنى فى حفرى ، وخلنى وشأنى ، وادع الناس إلى البيعة ، فن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . وقال الليث : وفى سنة ثمان وتسعين ^(٢) غزا الوليد

(١) زيادة من المصرية . (٢) كذا بالأصول . وفيها تحريف ظاهر لأنه مات سنة ٩٦ هـ .

بلاد الروم ، وفيها حج بالناس أيضاً . وقال غيره : غزا في التي قبلها وفي التي بعدها بلاد ملطية وغيرها ، وكان نقش خاتمه أو من بالله مخلصاً . وقيل كان نقشه يوليد إنك ميت ، ويقال إن آخر ماتكلم به سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، وقال إبراهيم بن أبي عبلة قال لي الوليد بن عبد الملك يوماً : في كم نختتم القرآن ؟ قلت في كذا وكذا ، فقال : أمير المؤمنين على شغله يختمه في كل ثلاث ، وقيل في كل سبع ، قال : وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة . قال إبراهيم رحمه الله : الوليد وأين مثله ؟ بنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قطع الفضة فأقسمها على قراء بيت المقدس .

وروى ابن عساكر بإسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال : خرج الوليد يوماً من الباب الأصغر فرأى رجلاً عند المذبة الشرقية يأكل شيئاً ، فأتاه فوقف عليه فإذا هو يأكل خبزاً وتراباً ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ قال : القنوع يا أمير المؤمنين ، فذهب إلى مجلسه ثم استدعى به فقال : إن لك لشأناً فأخبرني به وإلا ضربت الذي فيه عينك ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلاً حملاً ، فبينما أنا أسير من مرج الصفر قاصداً إلى الكسوة ، إذ زمرني البول فعدلت إلى خربة لأبول ، فإذا سرب فخرته فإذا مال صبيب ، فلأت منه غرائري ، ثم انطلقت أقود برواحلي وإذا بمخلصة ممي فيها طعام فألقيته منها ، وقلت : إني سأتى الكسوة ، ورجعت إلى الخربة لأملأ تلك الخلعة من ذلك المال فلم أهند إلى المكان بعد الجهد في الطلب ، فلما أيسرت رجعت إلى الرواحل فلم أجدها ولم أجدها الطعام ، فأليت على نفسي أني لا أكل إلا خبزاً وتراباً . قال : فهل لك عيال ؟ قال نعم ، ففرض له في بيت المال .

قال ابن جرير : وبلغنا أن تلك الرواحل سارت حتى أتت بيت المال ففسلها جارسه فوضعها في بيت المال ، وقيل إن الوليد قال له : ذلك المال وصل إلينا وأذهب إلى إبلك نغذها ، وقيل إنه دفع إليه شيئاً من ذلك المال يقيته وعياله . وقال عمير بن عبد الله الشعماني عن أبيه قال قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله ذكر قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يفعل هذا بذكر .

[قلت : فنفي عن نفسه هذه المصنعة القبيحة الشنيعة ، والفاحشة المذمومة ، التي عذب الله أهلها بأنواع العقوبات ، وأحل بهم أنواعاً من المثلات ، التي لم يعاقب بها أحداً من الأمم السالفات ، وهي فاحشة اللواط التي قد ابتلى بها غالب الملوك والأمراء ، والتجار والعوام والكتائب ، والفقهاء والقضاة ونحوهم ، إلا من عصم الله منهم ، فإن في اللواط من المفسد ما يفوت الحصر والتعداد ، ولهذا تنوعت عقوبات فاعليه ، ولأن يقتل المفعول به خير من أن يؤتى في دبره ، فإنه يفسد فساداً لا يرجى له بعده صلاح أبداً ، إلا أن يشاء الله ، وينهب خبر المفعول به . فعلى الرجل حفظ ولده في حال صفه وبعد بلوغه ، وأن يجنبه مخالطة هؤلاء الملاعين ، الذين لعنهم رسول الله (س) .

وقد اختلف الناس : هل يدخل الجنة مفعول به ؟ على قولين ، والصحيح في المسألة أن يقال إن المفعول به إذا تاب توبة صحيحة نصوحاً ، ورزق إجابة إلى الله وصلاحاً ، وبذل سيئاته بحسنات ، وغسل عنه ذلك بأنواع الطاعات ، وغض بصره وحفظ فرجه ، وأخلص معاملته لربه ، فهذا إن شاء الله مغفور له ، وهو من أهل الجنة ، فإن الله يغفر الذنوب للتائبين إليه [ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون] [ومن تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم] . وأما مفعول به صار في كبره شرّاً منه في صغره ، فهذا توبته متعذرة ، وبعيد أن يؤهل لتوبة صحيحة ، أو لعمل صالح يحو به ما قد سلف ، ويخشى عليه من سوء الخاتمة ، كما قد وقع ذلك لخلق كثير ماتوا بأدرانهم وأوساخهم ، لم يتطهروا منها قبل الخروج من الدنيا ، وبعضهم ختم له بشر خاتمة ، حتى أوقعه عشق الصور في الشرك الذي لا يغفره الله . وفي هذا الباب حكايات كثيرة وقعت للوطية وغيرهم من أصحاب الشهوات يطول هذا الفصل بذكرها .

والمقصود أن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له ، فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان . فيقع في سوء الخاتمة . قال الله تعالى [وكان الشيطان للإنسان خذولاً] بل قد وقع سوء الخاتمة لخلق لم يفعلوا فاحشة اللواط ، وقد كانوا متلبسين بذنوب أهون منها . وسوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأعماله ، فإن هذا لم يسمع به كما ذكره عبد الحق الأشبيلي ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه عقداً ، وظاهره عملاً ، ولمن له جرأة على الكبر ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة .

والمقصود أن مفسدة اللواط من أعظم المفسدات ، وكانت لا تعرف بين العرب قديماً كما قد ذكر ذلك غير واحد منهم . فلها قال الوليد بن عبد الملك : لولا أن الله عز وجل قص علينا قصة قوم لوط في القرآن ما ظننت أن ذكراً يعلم ذكرها . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ص) قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » . رواه أهل السنن ومصححه ابن حبان وغيره . وقد لعن النبي (ص) من عمل عمل قوم لوط ثلاث مرات ، ولم يلعن على ذنب ثلاث مرات إلا عليه ، وإنما أمر بقتل الفاعل والمفعول به لأنه لا خير في بقاءهما بين الناس ، لفساد طوبتهما ، وخيب بواطنهما ، فمن كان بهنئة المثابة فلا خير للخلق في بقاءه ، فإذا أراح الله الخلق منها صلح لهم أمر معاشهم ودينهم . وأما اللعنة فهي الطرد والبعاد ، ومن كان مطروداً مبعداً عن الله وعن رسوله وعن كتابه وعن صالح عباده فلا خير فيه ولا في قر به ، ومن رزقه الله تعالى توسعاً وفراصة ، ونوراً وفرقاناً عرف من سحن الناس وجوههم أعمالهم ، فإن أعمال العال بائنة ولائحة على وجوههم وفي أعينهم وكلامهم

وقد ذكر الله الاوطية وجعل ذلك آيات للمتوسمين فقال تعالى : [فأخذتهم الصيحة مشرفين ، فملمنا عليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجين إن في ذلك لآيات للمتوسمين] وما بعدها . وقال تعالى : [أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينا لهم فلم يرقبهم بسبام ولنعرفهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم ، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم] ونحو ذلك من الآيات والأحاديث . فالأوطى قد عكس الفطرة ، وقلب الأمر ، فأثى ذكراً قلب الله قلبه ، وعكس عليه أمره ، بعد صلاحه وفلاحه ، إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وخصال التائب قد ذكرها الله في آخر سورة براءة ، فقال : [التائبون العابدون] فلا بد للتائب من العبادة والاشتغال بالعمل للأخرة ، وإلا فالنفس هامة متحركة ، إن لم تشغلها بالحق وإلا شغلتك بالباطل ، فلا بد للتائب من أن يبدل تلك الأوقات التي مرت له في المعاصي بأوقات الطاعات ، وأن يتدارك ما فرط فيها وأن يبدل تلك الخطوات بخطوات إلى الخير ، ويحفظ لحظاته وخطواته ، ولغظاته وخطراته . قال رجل للجنيـد : أوصني ، قال : توبة تحل الاصرار ، وخوف يزيل العزة ، ورجاء مزعج إلى طرق الخير ، ومراقبة الله في خواطر القلب . فهذه صفات التائب . ثم قال الله تعالى [الحمدون السائحون الراكون الساجدون] الآية فهذه خصال التائب كما قال تعالى : [التائبون] فكان قائلاً يقول : من هم ؟ قيل هم العابدون السائحون إلى آخر الآية ، وإلا فكل تائب لم ينل بعد توبته بما يقربه إلى من تاب إليه فهو في بعد وإدبار ، لافى قرب وإقبال ، كما يفعل من اغتر بالله من المعاصي المحظورات ، ويدع الطاعات ، فان ترك الطاعات وفعل المعاصي أشد وأعظم من ارتكاب المحرمات بالشهوة النفسية . فالتائب هو من اتقى المحذورات ، وفعل المأمورات ، وصبر على المقدورات ، والله سبحانه وتعالى هو المعين الموفق ، وهو علم بذات الصدور [(١)]

قالوا : وكان الوليد لحاناً كما جاء من غير وجه أن الوليد خطب يوماً فقرأ في خطبته (يا ليتها كانت القاضية) فضم التاء من ليتها ، فقال عمر بن عبد العزيز : يا ليتها كانت عليك وأراحنا الله منك ، وكان يقول : يا أهل المدينة . وقال عبد الملك يوماً لرجل من قريش : إنك لرجل لولا أنك تلحن ، فقال : وهذا ابنك الوليد يلحن ، فقال : اسكن ابنى سليمان لا يلحن ، فقال الرجل : وأخى أبو فلان لا يلحن . وقال ابن جرير : حدثني عمر ثناء على - يعني ابن شبيب المدائني - قال : كان الوليد بن عبد الملك عند أهل الشام أفضل خلانهم ، بنى المساجد بدمشق ، ووضع المنائر ، وأعطى الناس ، وأعطى المجنودين ، وقال لهم : لا تسألوا الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً ، وكل ضرير قائلاً ، وفتح في ولايته فتوحات كثيرة عظيماً ، وكان يرسل بني في كل غزوة إلى بلاد الروم ، وفتح الهند والسند

والاندلس وأقاليم بلاد المعجم ، حتى دخلت جيوشه إلى الصين وغير ذلك ، قال : وكان مع هذا يعز بالبقال فيأخذ حزمة البقل بيده ويقول : بكم تبضع هذه ؟ فيقول : بفلس ، فيقول : زد فيها فانك تبيع . وذكروا أنه كان يبر حملة القرآن ويكرهم ويقضى عنهم دينهم ، قالوا : وكانت همه الوليد في البناء ، وكان الناس كذلك يلقي الرجل الرجل فيقول : ماذا بنيت ؟ ماذا عمرت ؟ وكانت همه أخيه سليمان في النساء ، وكان الناس كذلك ، يلقي الرجل الرجل فيقول : كم تزوجت ؟ ماذا عندك من السراري ؟ وكانت همه عمر بن عبد العزيز في قراءة القرآن ، وفي الصلاة والعبادة ، وكان الناس كذلك ، يلقي الرجل الرجل فيقول : كم وردك ؟ كم نقرأ كل يوم ؟ ماذا صليت البارحة ؟ .

[والناس يقولون : الناس على دين ملئكمهم ، إن كان خماراً أكثر الخمر ، وإن كان لوطياً فكذلك وإن كان شحيحاً حرصاً كان الناس كذلك ، وإن كان جواداً كرماً شجاعاً كان الناس كذلك ، وإن كان طماعاً ظلوماً غشوماً فكذلك ، وإن كان ذا دين وتقوى وبر وإحسان كان الناس كذلك وهذا يوجد في بعض الأزمان وبعض الأشخاص ، والله أعلم^(١) .

وقال الواقدي : كان الوليد جباراً ذا سطوة شديدة لا يتوقف إذا غضب ، لجها كثير الأكل والجامع مطلقاً ، يقال إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الاماء . قلت : يراد بهذا الوليد بن يزيد الفاسق لا الوليد بن عبد الملك باني الجامع والله أعلم .

قلت : بنى الوليد الجامع على الوجه الذي ذكرنا فلم يكن له في الدنيا نظير ، وبني صخرة بيت المقدس عقد عليها القبة ، وبني مسجد النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخلت الحجرة التي فيها القبر فيه ، وله آثار حسان كثيرة جداً ، ثم كانت وفاته في يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة من هذه السنة ، قال ابن جرير : هذا قول جميع أهل السير ، وقال عمر بن علي الفلاس وجماعة : كانت وفاته يوم السبت للنصف من ربيع الأول من هذه السنة ، عن ست وقيل ثلاث وقيل تسع وقيل أربع وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدير مران ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر باب الصغير ، وقيل بمقابر باب الفراديس ، حكاه ابن عساكر . وكان الذي صلى عليه عمر بن عبد العزيز [لأن أخاه سليمان كان بالقدس الشريف ، وقيل صلى عليه ابنه عبد العزيز^(٢) . وقيل بل صلى عليه أخوه سليمان ، والصحيح عمر بن عبد العزيز والله أعلم . وهو الذي أنزله إلى قبره وقال حين أنزله : لننزلنه غير موسد ولا ممد ، قد خلفت الأسلاب وفارقت الأحباب ، وسكنت التراب ، وواجهت الحساب ، فقبراً إلى ما قدمت ، غنيا عما أخرت . وجاء من غير وجهه عن عمر أنه أخبره أنه لما وضعه - يعني الوليد - في لحده ارتكض في أكفانه ، وجمدت رجلاه إلى عنقه . وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر على المشهور والله أعلم .

قال المدائني : وكان له من الولد تسعة عشر ولدا ذكرا ، وهم عبد العزيز ، ومحمد ، والعباس ، وإبراهيم ، وتعام وخالد وعبد الرحمن ومبشر ومسرور وأبو عبيدة وصدقة ومنصور ومروان وعنبسة وعمر وروح وبشر ويزيد ويحيى . فأم عبد العزيز ومحمد أم البنين بنت عم عبد العزيز بن مروان ، وأم أبي عبيدة فزارية ، وسائرهم من أمهات أولاد شتى . قال المدائني : وقد رثاه جبرير فقال : -

يا عين جودى بدمع هاجه الذُّكْرُ * فما لدمعك بعد اليوم مدخر
إن الخليفة قد وارت شمائله * غبراء مُلْحَدَةٌ في جوفها زور
أضحى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من يدها القمر
كانوا جميعاً فلم يدفع منيته * عبد العزيز ولا روح ولا عمر

ومن هلك أيام الوليد بن عبد الملك زياد بن حارث التميمي الدمشقي ، كانت داره غربي قصر الثقفين ، روى عن حبيب بن مسلمة الفهري في النهي عن المسألة لمن له ما يفسديه ويمشيه ، وفي النفل . ومنهم من زعم أن له محبة ، والصحيح أنه تابعي . روى عنه عطية بن قيس ومكحول ويونس ابن ميسرة بن حابس ، ومع هذا قال فيه أبو حاتم : شيخ مجهول ، وثقة النسائي وابن حبان ، روى ابن عساكر أنه دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرجت الصلاة ، فقال : والله ما بعث الله نبيا بعد محمد ، أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت ، قال : فأخذ فدخل الخضراء فقطع رأسه ، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك .

عبد الله بن عمر بن عثمان

أبو محمد ، كان قاضي المدينة ، وكان شريفاً كثير المعروف جواداً ممدحاً والله أعلم .

خلافة سليمان بن عبد الملك

بويح له بالخلافة بعد موت أخيه الوليد يوم مات ، وكان يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وكان سليمان بالرملة ، وكان ولي العهد من بعد أخيه عن وصية أبيهما عبد الملك . وقد كان الوليد قد عزم قبل موته على خلع أخيه سليمان ، وأن يجعل ولاية العهد من بعده لولده عبد العزيز بن الوليد ، وقد كان الحجاج طاوعه على ذلك وأمره به ، وكذلك قتيبة بن مسلم وجماعة ، وقد أنشد في ذلك جبرير وغيره من الشعراء قصائد ، فلم ينتظم ذلك له حتى مات ، وانقادت البيعة إلى سليمان ، فخافه قتيبة بن مسلم وعزم على أن لا يبايعه ، فزله سليمان وولى على إمرة العراق ثم خراسان يزيد بن المهلب ، فأعادته إلى إمرتها بعد عشر سنين ، وأمره بمعاينة آل الحجاج بن يوسف ، وكان الحجاج هو الذي عزل يزيد عن خراسان . ولسبع بقين من رمضان من هذه السنة عزل سليمان عن إمرة المدينة عثمان بن حيان وولى عليها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وكان أحد العلماء ، وقد

كان قتيبة بن مسلم حين بلغه ولاية سليمان الخلافة كتب إليه كتابا يعزیه فی أخیه ، ویهنثه بولایته ، ویدکر فیہ بلایه وعناہ وقتالہ وھیبتہ فی صدور الأعداء ، وما فتح الله من البلاد والمدن والأقالیم الکبار علی یدیه ، وأنه له علی مثل ما کان للولید من الطاعة والنصيحة ، إن لم یعزله عن خراسان ، ونال فی هذا الکتاب من یزید بن المهلب ، ثم کتب کتابا ثانیاً یدکر ما فعل من القتال والفتوحات وھیبتہ فی صدور الملوك والأعاجم ، وینم یزید بن المهلب أيضاً ، ویقسم فیہ لئن عزله وولی یزید لیخلعن سلیمان عن الخلافة ، وکتب کتاباً ثالثاً فیہ خلع سلیمان بالسکلیة ، وبعث بها مع البرید وقال له : ادفع الیه الکتاب الأول ، فان قرأه ودفعه إلى یزید بن المهلب فادفع الیه الثانی ، فان قرأه ودفعه إلى یزید بن المهلب فادفع الیه الثالث ، فلما قرأ سلیمان الکتاب الأول - واتفق حضور یزید عند سلیمان - دفعه إلى یزید فقرأه ، فناولہ البرید الکتاب الثانی فقرأه ودفعه إلى یزید ، فناولہ البرید الکتاب الثالث فقرأه فاذا فیہ التصريح بعزله وخلعه ، فغیر وجهه ، ثم ختمه وأمسکه بیده ولم یدفعه إلى یزید ، وأمر بانزال البرید فی دار الضیافة ، فلما کان من اللیل بعث إلى البرید فأحضره ودفع الیه ذهباً وکتاباً فیہ ولاية قتيبة علی خراسان ، وأرسل مع ذلك البرید بریداً آخر من جهته لیقرره علیها ، فلما وصلا بلاد خراسان بلغهما أن قتيبة قد خلع الخلیفة ، فدفع برید سلیمان الکتاب الذی معه إلى برید قتيبة ، ثم بلغهما مقتل قتيبة قبل أن یرجع برید سلیمان .

مقتل قتيبة بن مسلم رحمه الله

وذلك أنه جمع الجند والجيوش وعزم علی خلع سلیمان بن عبد الملك من الخلافة وترك طاعته ، وذکر لهم همته وفتوحه وعمله فیهم ، ودفعه الأموال الجزيلة إلیهم ، فلما فرغ من مقاتله لم یحببه أحد منهم إلى مقاتله ، فشرع فی تأنيبهم وذمهم ، قبيلة قبيلة ، وطائفة طائفة ، ففضبوا عند ذلك ونفروا عنه وتفرقوا ، وعملوا علی مخالفته ، وسعوا فی قتله ، وكان القائم بأعباء ذلك رجل یقال له وکیع بن أبی سود ، فجمع جموعاً كثيرة ، ثم ناهضه فلم یزل به حتى قتله فی ذی الحجة من هذه السنة ، وقتل معه أحد عشر رجلاً من إخوته وأبناء إخوته ، ولم یبق منهم سوى ضرار بن مسلم ، وكانت أمه الفراء بنت ضرار بن القعقاع بن معبد بن یعبد بن زرارة ، فحتمه أخواله ، وعمر بن مسلم کان عامل الجوزجان وقتل قتيبة وعبد الرحمن وعبد الله وعبيد الله وصالح ویسار ، وهؤلاء أبناء مسلم ، وأربعة من أبنائهم فقتلهم کلهم وکیع بن سود .

وقد کان قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصین بن ربیعة أبوحفص الباهلی ، من سادات الأمراء وخیارم ، وكان من القادة النجباء الکبراء ، والشجعان وذوی الحروب والفتوحات السمیة ، والآراء الحیمة ، وقد هدی الله علی یدیه خلقاً لا یحصبهم إلا الله ، فأسلموا ودانوا لله عز وجل ،

وفتح من البلاد والأقاليم الكبار والمدن العظام شيئا كثيرا كما تقدم ذلك مفصلا مبينا ، والله سبحانه لا يضيع سميه ولا يخيب نعبه وجهاده .

ولكن زل زلة كان فيها حتفه ، وفعل فعلة رغم فيها أنفه ، وخلع الطاعة فبادرت المنية إليه ، وفارق الجماعة فأتت ميتة جاهلية ، سكن سبق له من الأعمال الصالحة ما قد يكفر الله به سيئاته ، وبضاعف به حسناته ، والله يسامحه ويعفو عنه ، ويتقبل منه ما كان يكابده من مناجزة الأعداء ، وكانت وفاته بفرغانة من أقصى بلاد خراسان ، في ذى الحجة من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وأربعون سنة ، وكان أبوه أبو صالح مسلم فيمن قتل مع مصعب بن الزبير ، وكانت ولايته على خراسان عشر سنين ، واستفاد وأفاد فيها خيرا كثيرا ، وقد رثاه عبد الرحمن بن جمانة الباهلي فقال : -

كان أبا حفص قتيبة لم يسر * بجيش إلى جيش ولم يعل منبرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله * وقوف ولم يشهده الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه * ورأى إلى الجنات عفا مطهرا
فا رزى الإسلام بعد محمد * بمثل أبي حفص فبكى عبيرا
ولقد بالغ هذا الشاعر في بيته الأخير . وعبر ولد له . وقال الطرماح في هذه الرقعة التي قتل فيها على يد وكيع بن سود :

لولا فوارس مدحج ابنة مدحج * والازد زعزع واستبيح العسكر
وتقطعت بهم البلاد ولم يؤب * منهم إلى أهل العراق مخبر
واستضلمت عقد الجماعة وازدرى * أمر الخليفة واستحل المنكر
قوم هو قتلوا قتيبة عنوة * وانخل جاعة عليها العنبر
بالرج صرح الصين حيث تبينت * مضى المراق من الأعز الأكبر
إذ حالفت جزعا ربيعة كلها * وتفرقت مضى ومن يتمضر
وتقدمت ازد العراق ومدحج * للموت يجمعها أبوها الأكبر
فقطان تضرب رأس كل مدحج * نحمي بصارهن إذ لا تبصر
والازد تعلم أن نحت لوائها * ملكا قراسية وموت أحمر
فبمزنا نصر النبي محمد * وبنا تثبت في دمشق المنبر

وقد بسط ابن جرير هذه القصيدة بسطا كثيرا وذكر أشعارا كثيرة جدا . وقال ابن خلكان
وقال جرير يرنى قتيبة بن مسلم رحمه الله وسامحه ، وأكرم مثواه وعفا عنه :
نتمم على قتل الأمير ابن مسلم * وأنتم إذا لا قينم الله أندم

لقد كنتم من غزوه في غنيمة * وأنتم لمن لا تيمم اليوم مغنم
على أنه أفضى إلى حورجنة * وتطبق بالبلوى عليكم جهنم
قال : وقد ولي من أولاده وذريته جماعة الأمرة في البلدان ، فنههم عمر بن سعيد بن قتيبة بن
مسلم وكان جواداً ممدحاً ، رماه حين مات أبو عمرو وأشجع بن عمرو السلي المرى نزيل البصرة يقول :
مضى ابن سعيد حيث لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا له فيه ماحد
وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
وأصبح في لحد من الأرض ضيق * وكانت به حياً تضيق الضاحض
سأبكيك ما فاضت دموعي فان نفص * فحسبك مني ما تجر الجوائح
فما أنا من رزقي وإن جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح
كان لم يمت حتى سواك ولم تقم * على أحد إلا عليك النوائح
لئن حسنت فيك المرائي وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح

قال ابن خلكان : وهي من أحسن المرائي وهي في الحاسة ، ثم تكلم على باهلة وأنها قبيلة مرذولة
عند العرب ، قال : وقد رأيت في بعض المجاميع أن الأشعث بن قيس قال : يا رسول الله أتكافأ
دماؤنا ؟ قال : « نعم ! ولو قتل رجلان من باهلة لقتلتك » . وقيل لبعض العرب : أيسرك أن تدخل
الجنة وأنت باهلي ؟ قال : بشرط أن لا يعلم أهل الجنة بذلك . وسأل بعض الأعراب رجلاً من
أنت ؟ فقال : من باهلة ، فجعل يرثي له قال : وأزيدك أني لست من الصميم وإنما أنا من مواليهم .
فجعل يقبل يديه ورجليه ، فقال : ولم تفعل هذا ؟ فقال : لأن الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزية في
الدنيا إلا ليموضك الجنة في الآخرة .

ثم قال ابن جرير : وفي هذه السنة توفي قرة بن شريك العبسي أمير مصر وساحكها . قلت :
هو قرة بن شريك أمير مصر من جهة الوليد ، وهو الذي بنى جامع القيوم . وفيها حج بالناس
أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان هو الأمير على المدينة ، وكان على مكة عبد العزيز بن
عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراجها صالح بن
عبد الرحمن ، وعلى نيابة البصرة ليزيد بن المهلب سفيان بن عبد الله الكندي ، وعلى قضائها
عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ، وعلى حرب خراسان وكيع بن سود
والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

وفيها جهز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ، وفيها أمر ابنه داود على الصائفة ،

ففتح حصن المرأة ، قال الواقدي : وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الوضاحية ففتح الحصن الذي [بناه] الوضاح صاحب الوضاحية . وفيها غزا مسلمة أيضاً برجة ففتح حصوناً وبرجة وحصن الحديد وسردا ، وشق بأرض الروم . وفيها غزا عمر بن هبيرة الغزاري في البحر أرض الروم وشق بها . وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، وقدم برأسه على سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين ، مع حبيب بن أبي عبيد الفهرى ، وفيها ولي سليمان نيابة خراسان يزيد بن المهلب مضافاً إلى ما بيده من إمرة العراق ، وكان سبب ذلك أن وكيع بن أبي سود لما قتل قتيبة بن مسلم وذريته ، بعث برأس قتيبة إلى سليمان ليعطيه وكتب له بإمرة خراسان ، فبعث يزيد بن المهلب عبد الرحمن ابن الأهمم إلى سليمان بن عبد الملك ليحسن عنده أسر يزيد بن المهلب في إمرة خراسان ، وينتقص عنده وكيع بن سود ، فسار ابن الأهمم - وكان ذا دهاء ومكر - إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يزل به حتى عزل وكيعاً عن خراسان وولى عليها يزيد مع إمرة العراق ، وبعث بعهد مع ابن الأهمم ، فسار في سبع حتى جاء يزيد ، فأعطاه عهد خراسان مع العراق ، وكان يزيد وعده بمائة ألف فلم يف بها ، وبعث يزيد ابنه مخلد بين يديه إلى خراسان ، ومعه كتاب أمير المؤمنين مضمونه أن قيساً زعموا أن قتيبة بن مسلم لم يكن خلع الطاعة ، فإن كان وكيع قد تعرض له وثار عليه بسبب أنه خلع ولم يكن خلع فقيده وأبعث به إلى ، فتقدم مخلد فأخذ وكيعاً فمأقبه وحبه قبل أن يبعث أبوه ، فكانت إمرة وكيع بن أبي سود الذي قتل قتيبة تسعة أشهر ، أو عشرة أشهر ، ثم قدم يزيد بن المهلب فقتل خراسان وأقام بها ، واستناب في البلاد نواباً ذكرهم ابن جرير .

قال : ثم سار يزيد بن المهلب ففزا جرجان ، ولم يكن يومئذ مدينة بأبواب وصور ، وإمهاى جبال وأودية ، وكان ملكها يقال له صول ، فتحول عنها إلى قلعة هناك ، وقيل إلى جزيرة في بحيرة هناك ، ثم أخذوه من البحيرة وقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً وأسروا وغنموا . قال : وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الملك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها ، غير أن خراسان عزل عنها وكيع بن سود ، ووليا يزيد بن المهلب بن أبي صفرة مع العراق . ومن توفي فيها من الأعيان :

الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد القرشي الهاشمي ، روى عن أبيه عن جده مرفوعاً : « من عال أهل بيت من المسلمين يومهم وليتهم غفر الله له ذنوبه » . وعن عبد الله بن جعفر عن علي في دعاء الكرب ، وعن زوجته فاطمة بنت الحسين ، وعنه ابنه عبيد الله وجماعة ، وفد على عبد الملك بن مروان فأكرمه ونصره على الحجاج ، وأقره وحده على ولاية صدقة على ، وقد ترجمه ابن عساكر فأحسن ، وذكر عنه آثاراً تدل على سيادته ، قيل إن الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة : إن الحسن بن الحسن كاتب

أهل العراق ، فإذا جاءك كتابي هذا فاجلده مائة ضربة ، وقفه للناس ، ولا ترائي إلا قاتله . فأرسل خلفه ففعله علي بن الحسين ^(١) كلمات الكرب فقاتلها حين دخل عليه فنجاه الله منهم ، وهي : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش العظيم . توفي بالمدينة ، وكانت أمه خولة بنت منظور الفزاري . وقال يوماً لرجل من الرافضة : والله إن قتلك لقرية إلى الله عز وجل ، فقال له الرجل : إنك تمزح ، فقال : الله ما هذا مني بمزح ولكنه الجد . وقال له آخر منهم : ألم يقل رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فعلى مولاه » ؟ . فقال : بلى ، ولو أراد الخلافة لخطب الناس فقال : أيها الناس اعلوا أن هذا ولي أمركم من بعدي ، وهو القائم عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، والله لئن كان الله ورسوله اختياراً علياً لهذا الأمر ثم تركه على لسان أول من ترك أمر الله ورسوله ، وقال لهم أيضاً : والله لئن ولينا من الأمر شيئاً لنقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ثم لا نقبل لكم توبة ، ويلكم غررتمونا من أنفسنا ، ويلكم لو كانت القرابة تنفع بلا عمل لنفعت أباه وأمه ، لو كان ما تقولون فينا حقاً لكان آباءنا إذ لم يلدونا بذلك قد ظفروا وكتفوا عنا أفضل الأمور ، والله إني لأخشى أن يضاعف المذاب للعاصي منا ضعفين ، كما إني لأرجو للمحسن منا أن يكون له الأجر مئين ، ويلكم أحبونا إن أظفنا الله على طاعته ، وأبغضونا إن عصينا الله على معصيته .

موسى بن نصير أبو عبد الرحمن اللخمي

مولاهم ، كان مولى لأميرة منهم ، وقيل كان مولى لبني أمية ، أفتتح بلاد المغرب ، وغنم منها أموالاً لا تعد ولا توصف ، وله بها مقامات مشهورة هائلة ، ويقال إنه كان أعرج ، ويقال إنه ولد في سنة تسع عشرة ، وأصله من حبن التمر ، وقيل إنه من أراشنة من بلي ، سبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق ، وكان اسم أبيه نصرأ فصفر ، روى عن تميم الداري ، وزوى عنه ابنه عبد العزيز ، ويزيد بن مسروق اليحصبي ، وولى غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرص ، وبني هنالك حصوناً كما لما غوصة وحصن بانس وغير ذلك من الحصون التي بناها بقبرص ، وكان نائب معاوية عليها بعد أن فتحها معاوية في سنة سبع وعشرين ، وشهد مرج راهط مع الضحاك بن قيس ، فلما قتل الضحاك لجأ موسى بن نصير لعبد العزيز بن مروان ، ثم لما دخل مروان بلاد مصر كان معه فتركه عند ابنه عبد العزيز ، ثم لما أخذ عبد الملك بلاد العراق جملة وزيراً عند أخيه بشر بن مروان .

وكان موسى بن نصير هذا ذا رأي وتدبير وحزم وخبرة بالحرب ، قال البغوي ^(٢) . ولى موسى ابن نصير إمارة بلاد إفريقية سنة تسع وسبعين فافتتح بلاداً كثيرة جداً مدناً وأقاليم ، وقد ذكرنا أنه ^(١) كذا بالأصول وقد تقدمت وفاة علي بن الحسين قبل هذا . ^(٢) في المصرية الفسوى .

افتتح بلاد الاندلس ، وهى بلاد ذات مدن وقرى وريف ، فسبى منها ومن غيرها خلقاً كثيراً ، وغنم أموالاً كثيرة جزيلة ، ومن الذهب والجواهر النفيسة شيئاً لا يحصى ولا يمد ، وأما الاسكات والمتاع والدواب فشئ لا يدرى ما هو ، وسبى من الغلمان الحسان والنساء الحسنات شيئاً كثيراً ، حتى قيل إنه لم يسلب أحد مثله من الأعداء ، وأسلم أهل المغرب على يديه ، وبث فيهم الدين والقرآن ، وكان إذا سار إلى مكان تحمل الأموال معه على المعجل لكثرتها وعجز الدواب عنها

وقد كان موسى بن نصير هذا يفتح فى بلاد المغرب ، وقتيبة يفتح فى بلاد المشرق ، لجزائرها الله خيراً ، فكلاهما فتح من الأقاليم والبلدان شيئاً كثيراً ، ولكن موسى بن نصير حظى بأشياء لم يحظ بها قتيبة ، حتى قيل إنه لما فتح الاندلس جاءه رجل فقال له : ابعث معى رجلاً حتى أدلك على كنز عظيم ، فبعث معه رجلاً فأتى بهم إلى مكان فقال : أحفروا ، وحفروا فأفضى بهم الحفر إلى قاعة عظيمة ذات لوان حسنة ، فوجدوا هناك من اليواقيت والجواهر والزبرجد ما أبهرهم ، وأما الذهب فشئ لا يبر عنه ، ووجدوا فى ذلك الموضع الطنافس ، والطنفسة منها ملسوجة بقضبان الذهب ، منظومة بالؤلؤ الفالى المتخمر ، والطنفسة منظومة بالجواهر المشتم ، واليواقيت التى ليس لها نظير فى شكلها وحسنها وصفاتها ، ولقد سمع يومئذ مناد ينادى لأبرون شخصه : أبها الناس ، إنه قد فتح عليكم باب من أبواب جهنم فغداو حفركم . وقيل إنهم وجدوا فى هذا الكنز مائدة سليمان بن داود التى كان يأكل عليها . وقد جمع أخباره وما جرى له فى حروبه وغزواته رجل من ذريته يقال له أبو معاوية معارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير النصيرى .

وروى الحافظ ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد عن أعجب شئ رأيت فى البحر ، فقال : انتهينا مرة إلى جزيرة فيها ست عشرة جرة مخنومة بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام ، قال : فأمرت بأربعة منها فأخرجت ، وأمرت بواحدة منها فنقبت فإذا قد خرج منها شيطان ينفخ رأسه ويقول : والذى أكرمك بالنبوة لأعود بعدها أفسد فى الأرض ، قال : ثم إن ذلك الشيطان نظر فقال : إني لأرى بهاء سليمان وملوكه ، فالسائح فى الأرض فذهب ، قال : فأمرت بالثلاث البواقى فرددن إلى مكانهن .

وقد ذكر السماوى وغيره عنه أنه سار إلى مدينة النحاس التى بقرب البحر المحيط الأخضر ، فى أقصى بلاد المغرب ، وأنهم لما أشرفوا عليها رأوا بريق شرفاتها وحيطانها من مسافة بعيدة ، وأنهم لما أتوها نزّلوا عندها ، ثم أرسل رجلاً من أصحابه ومعه مائة فارس من الأبطال ، وأمره أن يدور حول سورها لينظر هل لها باب أو منفذ إلى داخلها ، فقبل : إنه سار يوماً وليلة حول سورها ، ثم رجع إليه فأخبره أنه لم يجد باباً ولا منفذاً إلى داخلها ، فأمرهم فجمعوا ما معهم من المتاع بعضه على بعض ، فلم

يلفوا أعلى سورها ، فأمر فضل سلام فصعدوا عليها ، وقيل إنه أمر رجلا فصعد على سورها ، فلما رأى ما في داخلها لم يملك نفسه أن ألغاه في داخلها فكان آخر العهد به ، ثم آخر فكذلك ، ثم امتنع الناس من الصمود إليها ، فلم يحط أحد منهم بما في داخلها علما ، ثم ساروا عنها فقطعوها إلى بحيرة قريبة منها ، فقيل : إن تلك الجرار المذكورة وجدها فيها ، ووجد عليها رجلا قائما ، فقال له : ما أنت ؟ قال : رجل من الجن وأبي محبوس في هذه البحيرة حبسه سليمان ، فأنا أجيء إليه في كل سنة مرة أزوره . فقال له : هل رأيت أحدا خارجا من هذه المدينة أو داخلها إليها ؟ قال : لا ، إلا أن رجلا يأتي في كل سنة إلى هذه البحيرة يتعبد عليها أياما ثم يذهب فلا يعود إلى مثلها ، والله أعلم ما هو . ثم رجع إلى إفريقية ، والله أعلم بصحة ذلك ، والمهدة على من ذكر ذلك أولا .

وقد استقى موسى بن نصير بالناس في سنة ثلاث ، وتسعين حين أقحطوا بأفريقية ، فأمرهم بصيام ثلاثة أيام قبل الاستسقاء ، ثم خرج بين الناس مغرأ أهل الذمة عن المسلمين ، وفرق بين البهائم وأولادها ، ثم أمر بارتفاع الضجيج والبكاء ، وهو يدعو الله تعالى حتى انتصف النهار ، ثم نزل فقيل له : ألا دعوت لأمر المؤمنين ؟ فقال : هذا موطن لا نذكر فيه إلا الله عز وجل ، فسقام عز وجل لما قال ذلك . وقد وفد موسى بن نصير على الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه ، فدخل دمشق في يوم جمعة والوليد على المنبر ، وقد لبس موسى ثيابا حسنة وهيئة حسنة ، فدخل ومعه ثلاثون غلاما من أبناء الملوك الذين أسرمهم ، والأسبان ، وقد ألبسهم تيجان الملوك مع ما معهم من الخدم والحشم والأبهة العظيمة ، فلما نظر إليهم الوليد وهو يخاطب الناس على منبر جامع دمشق بهت إليهم لما رأى عليهم من الحرير والجواهر والزينة البالغة ، وجاء موسى بن نصير فسلم على الوليد وهو على المنبر ، وأمر أولئك فوقفوا عن بين المنبر وشماله ، فحمد الله الوليد وشكره على ما أيده به ووسع ملكه ، وأطال الدعاء والتحميد والشكر حتى خرج وقت الجمعة ، ثم نزل فصلى بالناس ، ثم استدعى بموسى بن نصير فأحسن جائزته وأعطاه شيئا كثيرا ، وكذلك موسى بن نصير قدم معه بشئ كثير ، من ذلك مائة سليمان بن داود عليهما السلام ، التي كان يأكل عليها ، وكانت من خليطين ذهب وفضة ، وعليها ثلاثة أطواق لؤلؤ وجوهر لم ير مثله ، وجدها في مدينة طليطلة من بلاد الأندلس مع أموال كثيرة . وقيل إنه بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس ، وبعث ابن أخيه في جيش فأصاب من السبي مائة ألف رأس أيضا من البربر ، فلما جاء كتابه إلى الوليد وذكر فيه أن خمس الغنائم أربعون ألف رأس قال الناس : إن هذا أحق ، من أين له أربعون ألف رأس خمس الغنائم ؟ فبلغه ذلك فأرسل أربعين ألف رأس وهي خمس ما غنم ، ولم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير أمير المغرب .

وقد جرت له عجائب في فتحه بلاد الأندلس وقال : ولو انقاد الناس لى لقتهم حتى أفتح بهم مدينة رومية - وهى المدينة المظلى فى بلاد الفرنج - ثم ليفتحها الله على يدى إن شاء الله تعالى ، ولما قدم على الوليد قدم معه بئلائين ألفا من السبي غير ما ذكرنا ، وذلك خمس ما كن غنمه فى آخر غزاة غزاها ببلاد المغرب ، وقدم معه من الأموال والتحف والآلى والجواهر مالا يحصى ولا يوصف ، ولم يزل مقيما بدمشق حتى مات الوليد وتولى سليمان ، وكان سليمان عاتبا على موسى فحبسه عنده وطالبه بأموال عظيمة . ولم يزل فى يده حتى حج بالناس سليمان فى هذه السنة وأخذه معه فأتى بالمدينة ، وقيل بوادى القرى ، وقد قارب الثمانين ، وقيل توفى فى سنة تسع وتسعين فله أعلم ورحمه الله وعفا عنه وفضله آمين .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين

فى هذه السنة جهز سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين أخاه مسلمة بن عبد الملك لغزو القسطنطينية وراء الجيش الذين هم بها ، فساد إليها ومعه جيش عظيم ، ثم التف عليه ذلك الجيش الذين هم هناك وقد أمر كل رجل من الجيش أن يحمل معه على ظهر فرسه مدين من طعام ، فلما وصل إليها جمعوا ذلك فاذا هو أمثال الجبال ، فقال لهم مسلمة : أتركوا هذا الطعام وكلوا مما تجدونه فى بلادهم ، وازرعوا فى أماكن الزرع واستغلوه ، وابنوا لكم بيوتا من خشب ، فإنا لا نرجع عن هذا البلد إلا أن نفتحها إن شاء الله . ثم إن مسلمة داخل رجلا من النصارى يقال له اليون ، وواطأه فى الباطن ليأخذ له بلاد الروم ، فظهر منه نصيح فى بادئ الأمر ، ثم إنه توفى ملك القسطنطينية ، فدخل إلى اليون فى رسالة من مسلمة وقد خافته الروم خوفا شديدا ، فلما دخل إليهم إلى اليون قالوا له : رده عنا ونحن نملكك علينا نخرج فافعل الحيلة فى الغدر والمكر ، ولم يزل قبحه الله حتى أحرق ذلك الطعام الذى للمسلمين ، وذلك أنه قال لمسلمة : إنهم ماداموا يرون هذا الطعام يظنون أنك تطاولهم فى القتال ، فلو أحرقته لتحققوا منك العزم ، وسلموا إليك البلد سريعا ، فأمر مسلمة بالطعام فأحرق ، ثم انشمر إلى اليون فى السفن وأخذ ما أمكنه من أمتعة الجيش فى الليل ، وأصبح وهو فى البلد محاربا للمسلمين ، وأظهر المداوة الأكيدة ، ونحصر واجتمعت عليه الروم ، وضاق الحال على المسلمين حتى أكلوا كل شئ إلا التراب ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى جاءتهم وفاة سليمان بن عبد الملك وتولية عمر بن عبد العزيز ، فسكر راجعين إلى الشام ، وقد جهدوا جهدا شديدا ، لكن لم يرجع مسلمة حتى بنى مسجدا بالقسطنطينية شديد البناء محسبا ، وحب الفناء شاهقا فى السماء .

وقال الواقدي : لما ولى سليمان بن عبد الملك أراد الإقامة ببית المقدس ، ثم يرسل العساكر إلى القسطنطينية ، فأشار عليه موسى بن نصير بأن يفتح ما دونها من المدن والرساتيق والحصون ،

حتى يبلغ المدينة ، فلا يأتيها إلا وقد هدمت حصونها ووهنت قوتها ، فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع ، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد ، ثم استشار أخاه مسلمة فأشار عليه بأن يدع مادونها من البلاد وفتحها عنوة ، ففنى ما فتحت فان باقى مادونها من البلاد والحصون بيدك ، فقال سليمان : هذا هو الرأى ، ثم أخذ في تجهيز الجيوش من الشام والجزيرة فجهز في البر مائة وعشرين ألفاً ، وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة ، وأخرج لهم الأعطية ، وأنفق فيهم الأموال الكثيرة ، وأعلمهم بنزوال القسطنطينية والاقامة إلى أن يفتحوها ، ثم سار سليمان من بيت المقدس فدخل دمشق وقد اجتمعت له العساكر فأمر عليهم أخاه مسلمة ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وعليكم بتقوى الله والصبر والتناصح والتناصف . ثم سار سليمان حتى نزل مرج دابق ، فاجتمع إليه الناس أيضاً من المتطوعة المحتسبين أجورهم على الله ، فاجتمع له جند عظيم لم ير مثله ، ثم أمر مسلمة أن يرحل بالجيوش وأخذ معه إليون الرومي المرعشى ، ثم ساروا حتى نزلوا على القسطنطينية فحاصرها إلى أن برح بهم وعرض أهلها الجزية على مسلمة فأبى إلا أن يفتحها عنوة ، قالوا : فابعث إلينا إليون نشاورة ، فأرسله إليهم ، فقالوا له : رد هذه العساكر عنا ونحن نعطيك وتملكك علينا ، فرجع إلى مسلمة : فقال : قد أجابوا إلى فتحها غير أنهم لا يفتحونها حتى تتنحى عنهم ، فقال مسلمة : إني أخشى غدرك ، لخلف له أنه يدفع إليه مفاتيحها وما فيها ، فلما تنحى عنهم أخذوا في ترميم ما تهدم من أسوارها واستعدوا للحصار . وغدر إليون بالمسلمين قبحه الله .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة أخذ سليمان بن عبد الملك العهد لولده أبيوب أنه الخليفة من بعده ، وذلك بعد موت أخيه مروان بن عبد الملك ، فعدل عن ولاية أخيه يزيد إلى ولاية ولده أبيوب ، وتربص بأخيه الدوائر ، فمات أبيوب في حياة أبيه ، فبايع سليمان إلى ابن عمه عمر بن عبد العزيز أن يكون الخليفة من بعده ، ونعم ما فعل . وفيها فتحت مدينة الصقالبة . قال الواقدي : وقد أغارت البرجان على جيش مسلمة وهو في قلة من الناس في هذه السنة . فبعث إليه سليمان جيشاً فقاتل البرجان حتى هزمهم الله عز وجل . وفيها غزا يزيد بن المهلب قهستان من أرض الصن فحاصرها وقاتل عندها قتالاً شديداً ، ولم يزل حتى تسلمها ، وقتل من الترك الذين بها أربعة آلاف صبراً ، وأخذ منها من الأموال والأثاث والأمتعة مالا يحصى ولا يوصف كثرة قيمة وحسناً ، ثم سار منها إلى جرجان فاستجاش صاحبها بالديلم ، فقدموا لنجدته فقاتلهم يزيد بن المهلب وقتلوه ، فحمل محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجمي - وكان فارساً شجاعاً باهراً - على ملك الديلم فقتله وهزمهم الله ، ولقد بارز ابن أبي سبرة هذا يوماً بعض فرسان الترك ، فضربه بالسيف على البيضة فنشب فيها ، وضربه ابن أبي سبرة فقتله ، ثم أقبل إلى المسلمين وسيفه يقطر دماً وسيف التركي ناشب في

خودته ، فنظر إليه يزيد بن المهلب فقال : ما رأيت منظرًا أحسن من هذا ، من هذا الرجل ؟ قالوا : ابن أبي سبرة . فقال : نعم الرجل لولا انهما كه في الشراب . ثم صمم يزيد على محاصرة جرجان ، وما زال يضيق على صاحبها حتى صالحه على سبعمائة ألف درهم وأربعمائة ألف دينار ، ومائتي ألف ثوب ، وأربعمائة حمار موقرة زعفراناً ، وأربعمائة رجل على رأس كل رجل ترس ، على الترس طيلسان وجام من فضة وسرفة من حرير ، وهذه المدينة كان سعيد بن العاص فيها فتحها صلحا على أن يحملوا الخراج في كل سنة مائة ألف ، وفي سنة مائتي ألف ، وفي بعض السنين ثلاثمائة ألف ، ويجمعون ذلك في بعض السنين ، ثم امتنعوا جملة وكفروا ، فغزاهم يزيد بن المهلب وردها صلحا على ما كانت عليه في زمن سعيد بن العاص . قالوا : وأصاب يزيد بن المهلب من غيرها أموالا كثيرة جداً ، فكان من جملة ما تاج فيه جواهر نفيسة ، فقال : أترون أحدا يزهد في هذا ؟ قالوا : نعلمه ، فقال : والله إني لأعلم رجلا لو عرض عليه هذا وأمثاله لزهده فيه ، ثم دعا بمحمد بن واسع - وكان في الجيش مغازياً - فعرض عليه أخذ التاج فقال : لا حاجة لي فيه ، فقال : أقسمت عليك لتأخذنه ، فأخذه وخرج به من عنده ، فأمر يزيد رجلا أن يتبعه فينظر ماذا يصنع بالتاج ، فر بسائل فطلب منه شيئا فأعطاه [التاج] بكامله وانصرف ، فبعث يزيد إلى ذلك السائل فأخذ منه التاج وعوضه عنه مالا كثيراً

وقال علي بن محمد المدائني قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب فرفعوا إليه أنه أخذ خريطة فيها مائة دينار ، فسأله عنها فقال : نعم وأحضرها ، فقال له يزيد : هي لك ، ثم استدعى الذي وثق به فشنمه ، فقال في ذلك القطامي الكلبى ، ويقال إنها لسنان بن مكل الغمري لقد باع شهر دينه بخريطة * فن يامن القراء بملك ياشهر
أخنت به شيئاً طفيفاً وبنته * من ابن جوبوذان هذا هو الفدر
وقال مرة بن النخعي :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ * لولاك كان كصالح القرام

قال ابن جرير : ويقال إن يزيد بن المهلب كان في غزوة جرجان في مائة ألف وعشرين ألفاً ، منهم ستون ألفاً من جيش الشام أنابهم الله ، وقد تمهت تلك البلاد بفتح جرجان وسلكت الطرق ، وكانت قبل ذلك مخوفة جداً ، ثم عزم يزيد على المسير إلى خوزستان ، وقدم بين يديه سرية هي أربعة آلاف من سراة الناس ، فلما التقوا اقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من المسلمين في المعركة أربعة آلاف إن شاء الله وإنا لله إليه راجعون . ثم إن يزيد عزم على فتح البلاد لا محالة ، وما زال حتى صالحه صاحبها - وهو الأصهبند - بمال كثير ، سبعمائة ألف في كل عام ، وغير ذلك من المتاع والقيق . ومن توفي فيها

عبدالله بن عبدالله بن عتبة

من الأعيان :

كان إماماً حجة ، وكان مؤدب عمر بن عبد العزيز ، وله روايات كثيرة عن جماعات من الصحابة .
أبو الحنفى النخعي . عبد الله بن محمد بن الحنفية . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله سبحانه
وتعالى أعلم . ثم دخلت سنة تسع وتسعين

فيها كانت وفاة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين يوم الجمعة لعشر مضين ، وقيل بقين من صفر
منها ، عن خمس وأربعين سنة ، وقيل عن ثلاث وأربعين ، وقيل إنه لم يجاوز الأربعين . وكانت
خلافته سنتين وثمانية أشهر ، وزعم أبو أحمد الحاكم أنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقيت من رمضان
منها ، وأنه استكمل في خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، وله من العمر تسع وثلاثون
سنة ، والصحيح قول الجمهور وهو الأول ، والله أعلم .

وهو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي
الأموي ، أبو أيوب . كان مولده بالمدينة في بني جذيلة ، ونشأ بالشام عند أبيه ، وروى الحديث عن
أبيه عن جده عن عائشة أم المؤمنين في قصة الافك ، رواه ابن عساكر من طريق ابنه عبد الواحد
ابن سليمان عنه ، وروى عن عبد الرحمن بن هنيذ أنه يحب عبد الله بن عمر إلى الغابة قال فسكت
فقال لي ابن عمر : مالك ؟ فقال : إني كنت أنمى . فقال ابن عمر : فانتفى يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال
لي : لو أن لي أحداً هذا ذهباً أعلم عدده وأخرج زكاته ما كرهت ذلك ، أو قال : ما خشيت أن
يضر بي . رواه محمد بن يحيى الذهلي عن أبي صالح بن الليث عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن
الزهرى عنه

قال ابن عساكر : وكانت داره بدمشق موضع ميضأة جيرون الآن في تلك المساحة جميعها ،
وبني داراً كبيرة مما يلي باب الصغير ، موضع الدرب المعروف بدرب محرز ، وجعلها دار الإمارة ،
وعمل فيها قبة صفراء تشبها بالقبة الخضراء ، قال : وكان فصيحاً مؤثراً للعدل محباً للفرز ، وقد أنفذ
الجيش لحصار القسطنطينية حتى صالحهم على بناء الجامع بها .

وقد روى أبو بكر الصولي أن عبد الملك جمع بنيه ، الوليد وسليمان ومسلمة ، بين يديه فاستقرأهم
القرآن فأجادوا القراءة ، ثم استنشدهم الشعر فأجادوا ، غير أنهم لم يكلوا أو يحكموا شعر الأعشى ،
فلامهم على ذلك ، ثم قال : لينشدني كل رجل منكم أرق بيت قاله العرب ولا ينحش ، هات
يا وليد ، فقال الوليد :

ما مركب وركوب الخليل يعجبني • كمركب بين دملوج وخلخال

فقال عبد الملك : وهل يكون من الشعر أرق من هذا ؟ هات يا سليمان ، فقال :

حببنا رجلاً يديها إليها * في يدي درعها نحلّ الأزارا

فقال : لم تصب ، هات يا مسلة ، فأنشده قول امرئ القيس :

وما ذرفت عينك إلا لتضربني * بسهميك في أعشار قلب مقتل

فقال : كُتب امرؤ القيس ولم يصب ، إذا ذرفت عينها بالوجد فما بقي إلا اللقاء ، وإنما يلغى للماشق أن يفتضى^(١) منها الجفاء ويكسوها المودة ، ثم قال : أنا مؤجلكم في هذا البيت ثلاثة أيام فإن أتاني به فله حكمه ، أي مهما طلب أعطيته ، فنهضوا من عنده فبينما سليمان في مكب إذا هو بأعرابي يسوق إليه وهو يقول :

لوضربوا بالسيف رأسي في مودتها * لمال بهوي سريماً نحوها راسي

فامر سليمان بالأعرابي فاعتقل ، ثم جاء إلى أبيه فقال : قد جئتكم بما سألت ، فقال : هات ، فأنشده البيت فقال : أحسنت ، وأنى لك هذا ؟ فأخبره خبر الأعرابي ، فقال : سل حاجتك ولا تنس صاحبك . فقال : يا أباي المؤمنين إنك عهدت بالأمر من بعتك للوليد ، وإني أحب أن أكون ولي العهد من بعده ، فأجابته إلى ذلك ، وبعثه على الحج في إحدى وثمانين ، وأطلق له مائة ألف درهم ، فأعطاهما سليمان لذلك الأعرابي الذي قال ذلك البيت من الشعر ، فلما مات أبوه سنة ست وثمانين وصارت الخلافة إلى أخيه الوليد ، كان بين يديه كالوزير والمشير ، وكان هو المستحث على عمارة جامع دمشق ، فلما توفي أخوه الوليد يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، كان سليمان بالرملة ، فلما أقبل تلقاه الأمراء ووجوه الناس ، وقيل إنهم ساروا إليه إلى بيت المقدس فبايعوه هناك ، وعزم على الإقامة بالقدس ، وأتته الوفود إلى بيت المقدس فلم يروا وفادة هناك ، وكان يجلس في قبة في محن المسجد مما يلي الصخرة من جهة الشمال ، وتجلس أكبر الناس على الكراسي ، وتقسّم فيهم الأموال ، ثم عزم على الحج إلى دمشق ، فدخلها وكل عمارة الجامع .

وفي أيامه جددت المقصورة واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز مستشاراً ووزيراً ، وقال له : إننا قد ولينا ماترى وليس لنا علم بتدبيره ، ففأرأيت من مصلحة العامة فر به فليكتب ، وكان من ذلك عزل نواب الحجاج وإخراج أهل السجون منها ، وإطلاق الأسرا ، وبذل الأعطية بالعراق ، ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول ، بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها ، مع أمور حسنة كان يسلمها من عمر بن عبد العزيز ، وأمر بنزول القسطنطينية فبعث إليها من أهل الشام والجزيرة والموصل في البر نحواً من مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، وبعث من أهل مصر وإفريقية ألف مركب في البحر عليهم عمر بن هبيرة : وعلى جماعة الناس كلهم أخوه مسلة ، ومعه ابنه داود بن سليمان بن عبد الملك (١) ينتضى الجفاء أي يفتضى عنه ، ولعله « ينتضى » بمعنى يخلع ، في مقابل قوله « ويكسوها »

في جماعة من أهل بيته ، وذلك كله عن مشورة موسى بن نصير ، حين قدم عليه من بلاد المغرب ، والصحيح أنه قدم في أيام أخيه الوليد والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكوفي عن جابر بن عون الأسدي . قال : أول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك حين ولي الخلافة أن قال : الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شاء رفع وما شاء وضع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع . إن الدنيا دار غرور ، ومثزل باطل ، وزينة قلب ، تضحك باكيا وتبكي ضاحكا ، وتخيف آمنسا وتؤمن خائفا ، تفقر مثر بها ، وتثرى فقيرها ، ميالة لآفة بأهلها . يا عباد الله اتقوا كتاب الله إماما ، وأرضوا به حكما ، واجعلوه لكم قائدا ، فإنه ناسخ لما قبله ، ولن يفسخه كتاب بعده . اعملوا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس أدمار الليل إذا عسعس . وقال يحيى بن معين عن حجاج بن محمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال : سمعت سليمان بن عبد الملك يقول في خطبته : فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه . وقال حماد بن زيد عن يزيد بن حازم . قال : كان سليمان بن عبد الملك يخطبنا كل جمعة لا يدع أن يقول في خطبته : وإنما أهل الدنيا على رحيل ، لم تمض لهم نية ولم تطمئن بهم حتى يأتي أمر الله ووعده وم على ذلك ، كذلك لا يدوم نعيمها ، ولا تؤمن لجائتها ولا تبقى من شر أهلها ثم يتلو [أفرأيت إن متعنهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ، ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون] وروى الأصمعي أن نقش خاتم سليمان [كان] : آمنت بالله مخلصا ، وقال أبو مسهر عن أبي مسلم سعة بن العيار الفزاري . قال : كان محمد بن سيرين يترحم على سليمان بن عبد الملك ، ويقول : افتتحه خلافة بخير وختمها بخير ، افتتحها بأجابة الصلاة لمواقبتها ، وختمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز . ثم أجمع علماء الناس والتواريخ أنه حجج بالناس في سنة سبع وتسعين وهو خليفة ، قال الهيثم ابن عدي قال الشعبي : حجج سليمان بن عبد الملك فلما رأى الناس بالموسم قال لعمر بن عبد العزيز : ألا ترى هذا الخلق الذي لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ، فقال : يا أمير المؤمنين هؤلاء رعيته اليوم ، وم غدا خصاؤك عند الله ، فبكى سليمان بكاء شديدا ثم قال : بالله أستعين . وقال ابن أبي الدنيا : ثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا جرير عن عطاء بن السائب . قال : كان عمر بن عبد العزيز في سفر مع سليمان بن عبد الملك فأصابهم السماء برعد وبرق وظلمة وريح شديدة ، حتى فزعوا لذلك ، وجعل عمر بن عبد العزيز يضحك ، فقال له سليمان : ما يضحكك يا عمر ؟ أمأ ترى مانحن فيه ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين هذه آثار رحمة فيها شائد ما ترى ، فكيف بآثار سخطه وغضبه ؟ ومن كلامه الحسن رحمه الله قوله : الصمت منام العقل والنطق يقظته ، ولا يتم هذا إلا بهذا . ودخل عليه رجل فكلمه فأعجبه منطقته ثم فتنه فلم يحمده عقله ، فقال : فضل منطق الرجل على عقله خدعة ،

وفضل عقله على منطقه هجته ، وخير ذلك ما أشبه بعضه بعضاً وقال : العاقل أحرص على إقامة لسانه منه على طلب معاشه ، وقال أيضاً : إن من تكلم فأحسن قادر على أن يسكت فيحسن ، وليس كل من سكت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن . ومن شعره يقتلى عن صديق له مات فقال :
وهون وجدى فى شراحيل أننى * متى شئت لاقيت امرأة مات صاحبه
ومن شعره أيضاً :

ومن شيعى ألا أطارق صاحبي * وإن ملئى إلا سألت له رُشداً
وإن دام لي بالود دمى ولم أكن * كآخز لابرعى ذماماً ولا عهداً

وسمع سليمان ليلة صوت غناء في معسكره فلم يزل يفحص حتى أتى بهم ، فقال سليمان : إن الفرس ليصل فتستودق له الرمكة ، وإن الجمل ليهدر فتضبع له الناقة ، وإن التيس ليذب فتستخذى له المنزلة وإن الرجل ليتغنى فتشتاق له المرأة ، ثم أمر بهم فقال : اخصوم ، فيقال إن عمر بن عبد العزيز قال : يا أمير المؤمنين إنها مثله ، ولكن انفهم ، فنظام . وفي رواية أنه خصى أحدهم ، ثم سأل عن أصل الغناء فقيل إنه بالمدينة ، فكتب إلى عامله بها وهو أبو بكر بن محمد بن حزم يأمره أن يخصى من عنده من المغنين الخنثين .

وقال الشافعي : دخل أعرابي على سليمان فدعاه إلى أكل الفالودج وقال له : إن أكلها يزيد في الدماغ فقال : لو كان هذا صحيحاً لكان ينبغي أن يكون رأس أمير المؤمنين مثل [رأس] البغل . وذكروا أن سليمان كان نهماً في الأكل ، وقد نقلوا عنه أشياء في ذلك غريبة ، فمن ذلك أنه اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية ، وأربع وثمانين كلوة بشحمها ، وثمانين جردقة ، ثم أكل مع الناس على العادة في السباط العام ^(١) . ودخل ذات يوم يستأنا له وكان قد أمر قيمه أن يجنى ثماره ، فدخله ومعه أصحابه فأكل القوم حتى ملوا ، واستمر هو يأكل أكلاً ذريعاً من تلك الفواكه ، ثم استندى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على أكل الفاكهة ، ثم أتى بدجاجتين فأكلهما ، ثم عاد إلى الفاكهة فأكل منها ، ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوءاً سويقاً وسمناً وسكرأ فأكله ثم عاد إلى دار الخلافة ، وأتى بالسباط فما فقدوا من أكله شيئاً ^(٢) . وقد روى أنه عرضت له حتى عقب هذا الأكل أدته إلى الموت ، وقد قيل إن سبب مرضه كان من أكل أربعائة بيضة وسلتين تيناً فآله أعلم .

وذكر الفضل بن أبي المهلب أنه لبس في يوم جمعة حلة صفراء ثم نزعها ولبس بدلها حلة خضراء .

(١) هذا وامثاله من مبالغات الاعاجم التي كانوا يتقربون بها إلى بني العباس . وسيأتي في ص ١٨٣ أن سليمان رحمه الله أنه كان نحيفاً جميلاً ، وهي صفة لا تتفق مع ما نسبوه إليه (٢) الذي اخترع هذه الاكلايدب لئسى أن المعدة لا تقبل زيادة على حجمها ، وقد قيل إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً .

واعتم بعمامة خضراء وجلس على فراش أخضر وقد بسط ما حوله بالخضرة ، ثم نظر في المرأة فأعجبه حسنه ، وشعر عن ذراعيه وقال : أنا الخليفة الشاب ، وقيل إنه كان ينظر في المرأة من فرقه إلى قدمه ويقول : أنا الملك الشاب ، وفي رواية أنه كان ينظر فيها ويقول : كان محمد نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حبيباً ، وكان علي شجاعاً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جباراً ، وأنا الملك الشاب . قالوا : فما حال عليه بعد ذلك شهر ، وفي رواية جمعة ، حتى مات . قالوا : ولما حم شرع يتوضأ فذنا بجارية فصبت عليه ماء الوضوء ثم أنشدته :
أنتَ نعمَ المتاع لو كنتَ تبقى * غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنتَ خلوصُ من العيوبِ ومما * يكرهُ الناسُ غيرَ أنكَ فانِ
قالوا : فصاح بها وقال : عزّيتي في نفسي ، ثم أمر خاله الوليد بن العباس القمقاع العنسي^(١) أن يصب عليه وقال :

قرب وضوءك يا وليدُ فانما * دنياك هذى بلفءٍ ومتاع
فاعمل لنفسك في حياتك صالحاً * فالدهرُ فير فرقةً وجماعُ

ويروى أن الجارية لما جاءت به بالطست جعلت تضطرب من الحى ، فقال : أين فلانة ؟ فقالت : محومة ، قال : فلانة ؟ قالت : محومة ، وكان بمرج دابق من أرض قفسرين ، فأمر خاله فوضأه ثم خرج يصلى بالناس فأخذته بحمة في الخطبة ، ثم نزل وقد أصابته الحى فأت في الجمعة المقبلة ، ويقال : إنه أصابه ذات الجنب فأت بها رحمه الله .

وكان قد أقسم أنه لا يبرح بمرج دابق حتى يرجع إليه الخبر بفنح القسطنطينية ، أو يموت قبل ذلك ، فأت قبل ذلك رحمه الله وأكرم مشواه ، قالوا : وجعل يلمح في مرضه ويقول :

إن بنى صغاراً * أفلح من كان له كبارُ

فيقول له عمر بن عبد العزيز : قد أفلح المؤمنون يا أمير المؤمنين ، ثم يؤول

إن بنى صبيةً صفيون * قد أفلح من كان له ربهيون

ويروى أن هذا آخر ما تكلم به ، والصحيح أن آخر ما تكلم به أن قال : أسألك منقلباً كريماً ، ثم قضى . وروى ابن جرير عن رجاء بن حيوة - وكان وزير صدق لبنى أمية - قال : استشارني سليمان بن عبد الملك وهو ، رضى أن يولى له ابنا صغيراً لم يبلغ الحلم ، فقلت : إن بما يحفظ الخليفة في قبره أن يولى على المسلمين الرجل الصالح ، ثم شاورني في ولاية ابنه داود ، فقلت : إنه غالب عنك بالقسطنطينية ولا تدري أحي هو أو ميت ، فقال : من ترى ؟ فقلت : رأيك يا أمير المؤمنين ،

قال : فكيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً يحب الخير وأهله ، ولكن أتخوف عليه إخوانك أن لا يرضوا بذلك ، فقال : هو والله على ذلك وأشار رجال^(١) أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضى بذلك بنو مروان ، فكتب :
 بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، إلى قد وليته الخلافة من بعدى ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيقطع فيكم عدوكم . وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة ، فقال له : اجمع أهل بيتي فرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب محتوماً ، فمن أبى منهم ضرب عنقه . فاجتمعوا ودخل رجال منهم فسلموا على أمير المؤمنين ، فقال لهم : هذا الكتاب عهدى إليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه ، فبايعوا لذلك رجلاً رجلاً ، قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أشنك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستمنه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة ؟ فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً . قال : وقله هشام بن عبد الملك فقال : يارجاء إن لي بك حرمة ومودة قديمة ، فأخبرني هذا الأمر إن كان إلى علمت ، وإن كان لغيري فما مثلي قصر به عن هذا . فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرّه إلى أمير المؤمنين ، قال رجاء : ودخلت على سليمان فاذا هو يموت ، فجمعت إذا أخذته السكرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة ، فاذا أفاق يقول : لم يأن لذلك بعد يارجاء ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يارجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، قال : فحرفه إلى القبلة فأت رحمه الله . قال : ففطنته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب عليه وأرسلت إلى كعب بن حامد فجمع الناس في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا لمن في هذا الكتاب ، فقالوا : قد بايعنا ، فقلت : بايعوا ثانية ، ففعلوا ، ثم قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز تضرعت وجوه بني مروان ، فلما قرأت وإن هشام بن عبد الملك بعده ، تراجعوا بعض الشيء . ونادى هشام لا نبأ به أبداً ، فقلت : أضرب عقتك والله ، ثم فبايع ، ونهض الناس إلى عمر بن عبد العزيز وهو في مؤخر المسجد ، فلما تحقق ذلك قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ولم تحمله رجلاه حتى أخذوا بضبعيه فأصمده على المنبر ، فسكت حيناً ، فقال : رجاء بن خبوة : ألا تقوموا إلى أمير المؤمنين فتيبايعوه ، فنهض القوم فبايعوه ، ثم أتى هشام فصعد المنبر ليبايع وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال عمر : نعم إنا لله وإنا إليه راجعون الذي صرت أنا وأنت

(١) في المصرية : وأشار سليمان بن رجاء . ولعله : وأشار رجاء .

تتنازع هذا الأمر. ثم قام فخطب الناس خطبة بليغة وبإيعوه، فكان مما قال في خطبته: أيها الناس، إني لست بمبتدع ولكني متبع، وإن من حولكم من الأمصار والمدن إن أطاعوا كما أطعتم فأنا والبيكم، وإن هم أبوا فلست لكم بوال، ثم نزل، فأخذوا في جهاز سليمان، قال الأوزاعي: فلم يفرغوا منه حتى دخل وقت المغرب، فصلى عمر بالناس صلاة المغرب، ثم صلى على سليمان ودفن بعد المغرب، فلما انصرف عمر أتى بمرابب الخلافة [فأبى أن يركبها] وركب دابته وانصرف مع الناس حتى أتوا دمشق، فقالوا: بنحو دار الخلافة فقال: لا أنزل إلا في منزلي^(١) حتى تفرغ دار أبي أيوب، فاستحسنوا ذلك منه، ثم استدعى بالكاتب فجعل يكتب عليه نسخة الكتاب الذي يبايع عليه الأمصار، قال رجاء: فما رأيت أفصح منه.

قال محمد بن إسحاق: وكانت وفاة سليمان بن عبد الملك بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال خلت من صفر سنة تسع وتسعين، على رأس سنتين وتسعة أشهر وعشرين يوماً من منزله الوليد، وكذا قال الجمهور في تاريخ وفاته، ومنهم من يقول: لعشر بقين من صفر، وقالوا: كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر، زاد بعضهم إلا خمسة أيام والله أعلم.. وقول الحاكم أبي أحمد: إنه توفي يوم الجمعة لثلاث عشر بقين من رمضان سنة تسع وتسعين، حكاه ابن عساكر، وهو غريب جداً، وقد خالفه الجمهور في كل ما قاله، وعندما أنه جاوز الأربعين فقبل بثلاث وقيل بخمس والله أعلم. قالوا: وكان طويلاً جليلاً أبيض نحيفاً، حسن الوجه، مقرون الحاجبين، وكان فصيحاً بليغاً، يحسن العربية ويرجع إلى دين وخير ومحبة للحق وأهله، واتباع القرآن والسنة، وإظهار الشرائع الإسلامية رحمه الله، وقد كان رحمه الله آلى على نفسه حين خرج من دمشق إلى مرج دابق - ودابق قريبة من بلاد حلب - لما جهز الجيوش إلى مدينة الروم العظمى المسماة بالقسطنطينية، أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح أو يموت، فمات هنالك كما ذكرنا، فحصل له بهذه النية أجر الرباط في سبيل الله، فهو إن شاء الله ممن يجرى له ثوابه إلى يوم القيامة رحمه الله.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة شراحيل بن عبيدة بن قيس العقيلي ما مضونه: إن مسلة ابن عبد الملك لما ضيق بمحاصرته على أهل القسطنطينية، وتذيق المسالك واستحوذ على ما هنالك من الممالك، كتب إليون ملك الروم إلى ملك البرجان^(٢) يستنصره على مسلة، ويقول له: ليس لهم (١) كان منزله في موضع مدرسة السمساطية الآن مما يلي باب مسجد بني أمية الشمال. أما قصر الخلافة الذي يسمى (الدار الخضراء) فكان وراء الجدار القبلي من مسجد بني أمية. ويسمى موضعه الآن (المصينة الخضراء) (٢) الأرجح أنهم أمة البلغار، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية.

همة إلا في الدعوة إلى دينهم ، الأقرب منهم فالأقرب ، وإنهم متى فرغوا مني فخلصوا إليك ، فهما كنت صانعاً حينئذ فاصنعه الآن ، فعند ذلك شرع لعنه الله في المكر والخديعة ، فكتب إلى مسلمة يقول له : إن إليون كتب إلى يستنصرني عليك ، وأنا ملك فمضى بما شئت . فكتب إليه مسلمة : إني لا أريد منك رجالاً ولا عدداً ، ولكن أرسل إلينا بالميرة فقد قل ما عندنا من الأزواد . فكتب إليه : إني قد أرسلت إليك بسوق عظيمة إلى مكان كذا وكذا ، فأرسل من يتسلمها ويشتري منها . فأذن مسلمة لمن شاء من الجيش أن يذهب إلى هناك فيشتري له ما يحتاج إليه ، فذهب خلق كثير فوجدوا هناك سوقاً هائلة ، فيها من أنواع البضائع والأمتعة والأطعمة ، فأقبلوا يشترون ، واشتغلوا بذلك ، ولا يشعرون بما أرصد لهم الخبيث من الكائن بين تلك الجبال التي هنالك ، فخرجوا عليهم بكرة واحدة فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين ، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل منهم ، فأناب الله وإنا إليه راجعون ، فكتب مسلمة بذلك إلى أخيه سليمان يخبره بما وقع من ذلك ، فأرسل حينئذ كتيبة شرجة شراحيل بن عبيدة هذا ، وأمرهم أن يذهبوا خليج القسطنطينية أولاً فيقتلوا ملك البرجان ، ثم يعودوا إلى مسلمة ، فذهبوا إلى بلاد البرجان وقتلوا إليهم تلك الخيلجان ، فاقبلوا معهم قتلاً شديداً ، فزعمهم المسلمون بأذن الله ، وقتلوا منهم مائة عظيمة ، وسبوا وأسروا خلقاً كثيراً ، وخلصوا أسرى المسلمين ، ثم نجسوا إلى مسلمة فكانوا عنده حتى استقدم الجميع عمر بن عبد العزيز خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم ، ومن ضيق العيش ، وقد كان لهم قبل ذلك مدة طويلة أنابهم الله .

خليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

قد تقدم أنه بويع له بالخلافة يوم الجمعة لعشر مضي ، وقد قيل بقي من صفر من هذه السنة - أعني سنة تسع وتسعين - يوم مات سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه إليه من غير علم من عمر كما قدمنا ، وقد ظهرت عليه مخايل الورع والدين والتعفف والصيانة والزهادة ، من أول حركة بدت منه ، حيث أعرض عن ركوب مراكب الخلافة ، وهي الخيول الحسان الجياد المعدة لها ، والاجتزاء بمركوبه الذي كان يركبه ، وسكنى منزله رغبة عن منزل الخلافة ، ويقال إنه خطب الناس فقال في خطبته : أيها الناس ، إن لي نفساً تواقاً لا تعطى شيئاً إلا تافت إلى ما هو أعلى منه ، وإني لما أعطيت الخلافة تافت نفسي إلى ما هو أعلى منها وهي الجنة ، فأعينوني عليها برحمة الله . وستأتي ترجمته عند وفاته إن شاء الله ، وكان مما بادر إليه عمر في هذه السنة أن بعث إلى مسلمة بن عبد الملك ومن معه من المسلمين وهم بأرض الروم محاصرو القسطنطينية ، وقد اشتد عليهم الحال وضاق عليهم المجال ، لأنهم عسكر كثير ، فكتب إليهم يأمرهم بالرجوع إلى الشام إلى منازلهم . وبعث إليهم بطعام كثير وخبول كثيرة عناق ، يقال خمسمائة فرس ، ففرح الناس بذلك ،

وفيهما أغارت الترك على أذربيجان فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، فوجه إليهم عمرُ حاتم بن النعمان الباهلي فقتل أولئك الأتراك ، ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وبعث منهم أسارى إلى عمر وهو بخصاصرة . وقد كان المؤذنون يذكرونه بعد أذانهم باقتراب الوقت وضيقه لئلا يؤخرها كما كان يؤخرها من قبله ، لكثرة الأشغال ، وكان ذلك عن أمره لهم بذلك والله أعلم . فروى ابن عساکر في ترجمة جرير بن عثمان الرحبي الحمصي قال : رأيت مؤذني عمر بن عبد العزيز يسلمون عليه في الصلاة : السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، حتى على الصلاة حتى على الفلاح ، الصلاة قد قاربت .

وفي هذه السنة عزل عمر بن يزيد بن المهلب عن إمارة العراق وبعث عدي بن أرطاة الفزاري على إمارة البصرة ، فاستقضى عليها الحسن البصري ، ثم استغناه فأعناه ، واستقضى مكانه إلياس بن معاوية الدكي المشهور ، وبعث على إمارة الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وضم إليه أبا الزناد كاتباً بين يديه ، واستقضى عليها عامراً الشعبي . قال الواقدي : فلم يزل قاضياً عليها مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وجعل على إمارة خراسان الجراح بن عبد الله الحسكي ، وكان نائب مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى إمارة المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وهو الذي حجج بالناس في هذه السنة ، وعزل عن إمارة مصر عبد الملك بن أبي وداعة وولى عليها أيوب بن شرحبيل ، وجعل الفتيا إلى جعفر بن ربيعة بن يزيد بن أبي حبيب وعبيد الله بن أبي جعفر ، فهؤلاء الذين كانوا يفتون الناس ، واستعمل على إفريقية وبلاد المغرب إسماعيل بن عبد الله الحزومي ، وكان حسن السيرة ، وأسلم في ولايته على بلاد المغرب خلقاً كثيراً من البربر والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان :

الحسن بن محمد بن الحنفية

تابي جليل ، يقال إنه أول من تكلم في الإرجاء ، وقد تقدم أن أبا عبيد قال : توفى في سنة خمس وتسعين . وذكر خليفة أنه توفى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وذكر شيخنا الذهبي في الاعلام أنه توفى هذا العام ، والله أعلم .

عبد الله بن محيريز بن جنادة بن عبيد

القرشي الجني المسكي ، نزيل بيت المقدس ، تابي جليل ، روى عن زوج أم أبي عذرة المؤذن ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد ، ومعاوية ، وغيرهم ، وعنه خالد بن معدان ، ومكحول ، وحسان بن عطية ، والزهرى ، وآخرون . وقد وثقه غير واحد ، وأثنى عليه جماعة من الأئمة ، حتى قال رجاء بن حيوة : إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فانا نفخر عليهم بعابدهم عبد الله بن محيريز . وقال بعض ولده : كان يختم القرآن كل جمعة ، وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه ،

قالوا : وكان صموئنا معتزلاً للفتن ، وكان لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يذكر شيئاً من خصاله الحمودة ، ورأى على بعض الأمراء حلة من حرير فأنكر عليه ، فقال : إنما ألبسها من أجل هؤلاء . وأشار إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين - فقال له ابن محيريز : لا تمدل بخوفك من الله خوف أحد من المخلوقين . وقال الاوزاعي : من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فان الله لا يضل أمة فيها مثله . قال بعضهم : توفي أيام الوليد ، وقال خليفة بن خياط : توفي أيام عمر بن عبد العزيز ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام ، والله سبحانه أعلم .

دخل ابن محيريز مرة حاثوت بزاز ليشتري منه ثوباً فرفع في السوم ، فقال له جاره : ويحك هذا ابن محيريز ضع له ، فأخذ ابن محيريز بيد غلامه وقال : اذهب بنا ، إنما جئت لشتري بأموالنا لا بأدياننا ، فذهب وتركه .

محمود بن لبيد بن عقبة

أبو نعيم الأنصاري الأشجلى ولد في حياة النبي (س) ، وروى عنه أحاديث لكن حكمها حكم الارسل . وقال البخاري : له صحبة . وقال ابن عبد البر : هو أحسن من محمود بن الربيع . قيل إنه توفي سنة ست وقيل سبع وتسعين ، وذكر الذهبي في الأعلام أنه توفي في هذا العام والله أعلم باليقين

نافع بن جبير بن مطعم

ابن عدى بن نوفل القرشي النوفلي المدني ، روى عن أبيه وعثمان وعلي والعباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم ، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان ثقة عابداً يبيع ماشياً ومركوبه يقاد معه ، قال غير واحد : توفي سنة تسع وتسعين بالمدينة .

كريب بن مسلم

مولى ابن عباس ، روى عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان عنده حل كتب ، وكان من الثقات المشهورين بالخير والديانة .

محمد بن جبير بن مطعم

كان من علماء قریش وأشرافها ، وله روايات كثيرة ، وكان يعقل بحجة مجها النبي (س) ، في وجهه وعمره أربع سنين ، توفي وعمره ثلاث وتسعون سنة بالمدينة .

مسلم بن يسار

أبو عبد الله البصري ، الفقيه الزاهد له روايات كثيرة ، كان لا يفضل عليه أحد في زمانه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً كثير الصلاة كثير الخشوع ، وقيل إنه وقع في ذاره حريق فأطفاؤه وهو في الصلاة لم يشعر به ، وله مناقب كثيرة رحمه الله . قلت : وانهدمت مرة ناحية من المسجد ففرع أهل السوق لمدهتها ، وإنه لفي المسجد في صلاته فالتفت . وقال ابنه : رأيته ساجداً وهو يقول : متى ألقاك

وأنت عني راض ، ثم يذهب في الدعاء ، ثم يقول : متى ألتاك وأنت عني راض ، وكان إذا كان في غير صلاة كأنه في الصلاة ، وقد تقدمت ترجمته

حنش بن عمرو الصنعاني

كان والي إفريقية وبلاد المغرب ، وبإفريقية توفي غازياً وله روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة.

خارجة بن زيد

ابن الضحاك الأنصاري المدني الفقيه ، كان يقضي بالمدينة ، وكان من فقهاء المعدودين ، كان علماً بالفرائض وتقسيم الموارث ، وهو أحد الفقهاء السبعة الذين مدار الفتوى على قولهم .

سنة مائة من الهجرة النبوية

قال الامام أحمد : حدثنا علي بن حفص أنبأ ورقاء عن منصور عن المنهال بن عمرو عن نعيم بن دجاجة قال : دخل ابن مسعود على علي فقال : أنت القائل قال رسول الله - س . : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة » ؟ إنما قال رسول الله - س . : « لا يأتي على الناس مائة عام وعلى الأرض نفس منفوسة من هوحى ، وإن رءاه هذه الأمة بعد المائة » . تفرد به أحمد . وفي رواية لابنه عبد الله أن علياً قال له : يا فروخ أنت القائل لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هوحى اليوم ، وإنما رءاه هذه الأمة وفرحها بعد المائة ؟ إنما قال رسول الله - س . : « لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف » ، أخطأت أستاذك الحفزة ، وإنما أراد ممن هو اليوم حى . تفرد به (١) وهكذا جاء في الصحيحين عن ابن عمر ، فوهل الناس في مقالة رسول الله - س . ، تلك ، وإنما أراد أنخرام قرنه وفيها خرجت خارجة من الحرورية بالدرق فبعث أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد نائب الكوفة ، يأمره بأن يدعهم إلى الحق ، ويتلطف بهم ، ولا يقاتلهم حتى يفسدوا في الأرض ، فلما فعلوا ذلك بعث إليهم جيشاً فكسروا الحرورية ، فبعث عمر إليه يلومه على جبنه ، وأرسل عمر ابن عمه مسلمة بن عبد الملك من الجزيرة إلى حرهم ، فأظفروا الله بهم ، وقد أرسل عمر إلى كبير الخوارج - وكان يقال له بسطام - يقول له : ما أخرجك على ؟ فإن كنت خرجت غضاً لله فأنا أحق بذلك منك ، ولست أولى بذلك مني ، وهلم أنا ظرك ، فإن رأيت حقاً اتبعته ، وإن أبيت حقاً نظرنا فيه . فبعث طائفة من أصحابه إليه فاختر منهم عمر رجلين فسلهما : ماذا تنقون ؟ فقالا : جملك بز يد بن عبد الملك من بعدك ، فقال : إن لم أخفله أبداً وإنما جعله غيرى . قال : فكيف رضى به أمينا للأمة من بعدك ؟ فقال : أنظراني ثلاثة ، فيقال إن بنى أمية دست إليهم سها فقتلوه خشية أن يخرج الامر من أيديهم ويمتد بهم الأموال والله أعلم .

(١) كذا بالأصول . ولعله سقط منه لفظ « عبد الله بن أحمد »

وفيهما غزا عمر بن الوليد بن هشام الميظلي ، وعمر بن قيس الكندي من أهل حمص ، الصائفة
وفيهما ولي عمر بن عبد العزيز عمر بن هبيرة الجزيرة فسار إليها . وفيها حل يزيد بن المهلب إلى عمر
ابن عبد العزيز من العراق ، فأرسله عدي بن أرطاة نائب البصرة مع موسى بن وجيه ، وكان عمر ينفذ
يزيد بن المهلب وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ولا أحب مثلهم ، فلما دخل على عمر طالبه بما
قبله من الأموال التي كان قد كتب إلى سليمان أنها محاصلة عنده ، فقال : إنما كتبت ذلك لأرهب
الاعداء بذلك ، ولم يكن بيني وبين سليمان شيء ، وقد عرفت مكانتي عنده . فقال له عمر : لا أسمع
منك هذا ، ولست أطلقك حتى تؤدي أموال المسلمين ، وأمر بسجنه . وكان عمر قد بعث على إمرة
خراسان الجراح بن عبد الله الحكي عروضة ، وقدم ولد يزيد بن المهلب ، محمد بن يزيد ، فقال :
يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قسم على هذه الأمة بولايتك عليها ، فلا نكون نحن أشقى الناس بك
فعلام تحبس هذا الشيخ وأنا أقوم له أتصالحني عنه ؟ فقال عمر : لا أصلحك عنه إلا أن تقوم بجميع
ما يطلب منه ، ولا تأخذ منه إلا جميع ما عنده من مال المسلمين . فقال : يا أمير المؤمنين إن كانت
لك بينة عليه بما تقول وإلا فأقبل يمينه أو فصالحني عنه ، فقال : لا تأخذ منه إلا جميع ما عنده ،
فخرج محمد بن يزيد من عند عمر ، فلم يلبث أن مات محمد . وكان عمر يقول : هو خير من أبيه . ثم
إن عمر أمر بأن يلبس يزيد بن المهلب جبة صوف وبركب على بعير إلى جزيرة دهلك التي كان ينفي
إليها الفساق ، فشفعوا فيه فردوه إلى السجن ، فلم يزل به حتى مرض عمر مرضه الذي مات فيه ، فهرب
من السجن وهو مريض ، وعلم أنه يموت في مرضه ذلك ، وبذلك كتب إليه كما سيأتي ، وأغلته
كان علما أن عمر قد سقى سما .

وفيهما في رمضان منها عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكي عن إمرة خراسان ،
بعد سنة وخمسة أشهر ، وإما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن أسلم من الكفار ويقول : أئتم إنما
تسلمون فراراً منها . فامتنعوا من الاسلام وثبتوا على دينهم وأدوا الجزية ، فكتب إليه عمر : إن
الله إنما بعث محمداً رسلاً داعياً ، ولم يبعثه جايياً . وعزله وولى بدله عبد الرحمن بن نعيم القشيري
على الحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج . وفيها كتب عمر إلى عماله يأمرهم بالخير وينهاهم
عن الشر ، ويبين لهم الحق ويوضحه لهم ويعظمهم بها بينه وبينهم ، ويخوفهم بأس الله وانتقامه ، وكان
فيما كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم القشيري :

أما بعد فكن عبداً لله ناهياً لله في عباده ، ولا تأخذك في الله لومة لائم ، فإن الله أولى بك
من الناس ، وحقه عليك أعظم ، ولا تولين شيئاً من أمور المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم ،

والتوفير عليهم . وأدعى الامانة فيما استرعى ، وإياك أن يكون عليك ميلا إلى غير الحق ، فان الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهب عن الله مذهبا ، فانه لا ملجأ من الله إلا إليه . وكتب مثل ذلك مواظ كثيرة إلى المال . وقال البخارى فى صحيحه : وكتب عمر إلى عدى بن عدى : إن للآيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا ، من استكملها استكمل الآيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الآيمان ، فان أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها ، وإن أمت فما أنا على محبتكم بحرير .

وفيهما كان بدو دعوة بني العباس

وذلك أن محمد بن على بن عبد الله بن عباس - وكان مقبلا بأرض انشراة - بعث من جهته رجلا يقال له ميسرة ، إلى العراق ، وأرسل طائفة أخرى وهم محمد بن خنيس وأبو عكرمة السراج ، وهو أبو محمد الصادق ، وحيان المطار - خال إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح ابن عبد الله الحكيم قبل أن يملز فى رمضان ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب منهم إلى ميسرة الذى بالعراق ، فبعث بها إلى محمد بن على ففرح بها واستبشر وسره أن ذلك أول مبادئ أمر قد كتب الله إنعامه ، وأول رأى قد أحكم الله إبراهيم ، أن دولة بنى أمية قد بان عليها غشايل الوهن والضعف ، ولا سيما بعد موت عمر بن عبد العزيز ، كما سيأتى بيانه . وقد اختار أبو محمد الصادق لمحمد بن على اثنى عشر نقيباً ، وهم سلمان بن كثير الخزاعى ، ولاهز بن قريظ التميمى ، وقحطبة بن شبيب الطائى ، وموسى بن كعب التميمى ، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بنى عمرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميمى ، وعمران بن إسماعيل أبو النجم - مولى لآل أبي ميعط - ومالك بن الهيثم الخزاعى ، وطليحة بن زريق الخزاعى ، وعمرو ابن أعين أبو حمزة - مولى لخزاعة - ، وشبل بن طهمان أبو على الهروى - مولى لبنى حنيفة - وعيسى ابن أعين مولى لخزاعة أيضاً . واختار سبعين رجلاً أيضاً . وكتب إليهم محمد بن على كتابا يكون مثالا وسيرة يقتدون بها ويسيرونها .

وقد حجج بالناس فى هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، نائب المدينة . والنواب على الأمصار هم المذكورون فى التى قبلها ، سوى من ذكرنا من عزل وتولى غيره والله أعلم . ولم يهج عمر ابن عبد العزيز فى أيام خلافته لشغل بالأمر ، ولما كان يبرد البريد إلى المدينة فيقول له : سلم على رسول الله (ص) ، عنى ، وسيأتى بأسناده إن شاء الله .

ومن توفى فيها من الأعيان

(سالم بن أبى الجعد الأشجى) مولاهم الكوفى . أخو زياد وعبد الله وعبيد الله وعمران

ومسلم ؛ وهو نابي جليل ، روى عن ثوبان^(١) وجابر وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، والنعمان ابن بشير وغيرهم . وعنه قتادة والأعشى وآخرون ، وكان ثقة نبيلًا جليلًا .

أبو امامة سهل بن حنيف

الأنصاري الأوسي المدني ، ولد في حياة النبي (س) ، ورواه وحديث عن أبيه وعمه وعثمان بن زيد بن ثابت ومعاوية وابن عباس . وعنه الزهري وأبو حازم وجماعة ، قال الزهري : كان من عليّة الأنصار وعلمائهم ، ومن أبناء الذين شهدوا بدرًا . وقال يوسف بن الماجشون عن عتبة بن مسلم ، قال : آخر خروجه خرجها عثمان بن عفان إلى الجمعة حصبه الناس وحلوا بينه وبين الصلاة ، فصل بالناس يومئذ أبو امامة سهل بن حنيف . قالوا : توفي سنة مائة والله أعلم

أبو الزاهرية حدير بن كريب الحمصي

نابي جليل ، سمع أبا امامة صدى بن مهران ، وعبد الله بن بسر ، ويقال إنه أدرك أبا العرداء الصحيح أن روايته عنه وعن حذيفة مرسلّة ، وقد حدث عنه جماعة من أهل بلده ، وقد وثقه ابن ميم وغيره . ومن أغرب ما روى عنه قول قتيبة : ثنا شهاب بن خراش عن حميد عن أبي الزاهرية قال : أغفيت في صخرة بيت المقدس لجأمت السدنة فأغلقوا عليّ الباب ، فانتبهت إلا بتسبيح الملائكة فوثبت مذعورًا فاذا الملائكة صفوف ؛ فدخلت معهم في الصف . قال أبو عبيدة وغيره :

مات سنة مائة .

أبو الطفيل عامر بن واثلة

ابن عبد الله بن عمرو الليثي الكناني ، صحابي ، وهو آخر من رأى النبي (س) ، وفاة بالاجماع قال : رأيت النبي (س) ، يستلم الركن بمحجنه ، وذكر صفة النبي (س) ، وروى عن أبي بكر وعمر وعلى ومعاذ وابن مسعود ، وحدث عنه الزهري وقاتدة وعمرو بن دينار وأبو الزبير وجماعة من التابعين ، وكان من أنصار علي بن أبي طالب ، شهد معه حروبه كلها ، لكن نقم بعضهم عليه كونه كان مع المختار بن أبي عبيد ، ويقال إنه كان حامل رأيته ، وقد روى أنه دخل على معاوية فقال : ما أبقى لك الدهر من ثكالك عليا ؟ فقال : ثكل المجوز المقلّة والشيخ الرقوب ، فقال : كيف حبك له ؟ قال حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير . قيل إنه أدرك من حياة النبي (س) ، ثمان سنين ، ومات سنة مائة وقيل سنة سبع ومائة والله أعلم . قال مسلمة بن الحجاج : وهو آخر من مات من الصحابة مطلقًا ومات سنة مائة .

أبو عثمان النهدي

واسمه عبد الرحمن بن ملّ البصري ، أدرك الجاهلية وحج في زمن الجاهلية مرتين ، وأسلم في حياة

(١) في خلاصة تذهيب الكمال « قال أحمد : لم يلق ثوبان . وقال البخاري : لم يسمع منه »

النبي (ص)، ولم يره، وأدى في زمانه الزكاة ثلاث سنين إلى عمال النبي (ص)، ومثل هذا يسبه أمته الحديث مخضرمًا، وهاجر إلى المدينة في زمان عمر بن الخطاب، فسمع منه ومن علي وابن مسعود وخلق من الصحابة ومحبة سلمان الفارسي ثلثي عشرة سنة حتى دفنه، وروى عنه جماعة من التابعين وغيرهم، منهم أيوب، وحديد الطويل، وسليمان بن طرخان النخعي، وقال عاصم الأحول: سمعته يقول: أدركت في الجاهلية ينفث صنًا من رصاص يجعل على جبل أجرد، فإذا بلغ واديا برك فيه فيقولون: قد رضى ربكم لكم هذا الوادي فينزلون فيه، قال: وسمعته وقد قيل له أدركت النبي (ص)، فقال: نعم! أسلمت على عهده، وأدبت إليه الزكاة ثلاث مرات، ولم ألقه، وشهدت اليرموك والقادسية وجولاء ونهاوند. كان أبو عثمان صومًا قوامًا، يسرد الصوم ويقوم الليل لا يتركه، وكان يصلى حتى ينشئ عليه، وحج ستين مرة ما بين حجة وعمرة، قال سليمان النخعي: إني لأحسبه لا يصيب ذنبًا، لأنه ليله قائمًا ونهاره صائمًا، وقال بعضهم: سمعت أبا عثمان النهدي يقول: أتت على ثلاثون ومائة سنة وما مني شيء إلا وقد أنكرته خلا أملى فاني أجده كما هو. وقال ثابت البناني عن أبي عثمان: قال: إني لأعلم حين يذكرني ربي عز وجل، قال فيقول: من أين تعلم ذلك؟ فيقول قال الله تعالى [فاذكروني أذكركم] فإذا ذكرت الله ذكرني. قال: وكنا إذا دعونا الله قال: والله لقد استجاب الله لنا، قال الله تعالى، [وقال ربكم ادعوني أستجب لكم] قالوا: وعاش مائة وثلاثين سنة، قاله هشيم وغيره. قال المدائني وغيره: توفي سنة مائة، وقال الفلاس: توفي سنة خمس وتسعين، والصحيح سنة مائة والله أعلم.

وفيهما توفي عبس الملك بن عمر بن عبد العزيز، وكان يفضل على والده في العبادة والانقطاع عن الناس، وله كلمات حسان مع أبيه ووعظه إياه.

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ففيها كان هرب يزيد بن المهلب من السجن حين بلغه مرض عمر بن عبد العزيز، فواعد غلمانه يلقونه بالخليل في بعض الأماكن، وقيل بابل له، ثم نزل من محبته ومعه جماعة وأمرأته عاتكة بنت الفرات العامرية، فلما جاء غلمانه ركب رواحله وسار، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني والله ما خرجت من سجنك إلا حين بلغني مرضك، ولورجوت حياتك ما خرجت، ولكنني خشيت من يزيد بن عبد الملك فإنه يتوعدني بالقتل، وكان يزيد يقول: لئن وليت لأقطعن من يزيد بن المهلب طائفة، وذلك أنه لما ولي العراق عاقب أصحابه آل عقيل، وهم بيت الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان يزيد بن عبد الملك مزوجًا ببنت محمد بن يوسف، وله ابنه الوليد بن يزيد الفاسق المقتول كما سيأتي. ولما بلغ عمر بن عبد العزيز أن يزيد بن المهلب هرب من السجن قال: اللهم إن كان يريد هذه الأمة

سواءاً فأكفهم شره واردة كينه في نحره ، ثم لم يزل المرض يتزايد بعمر بن عبد العزيز حتى مات وهو بمخاضة ، من دير سمعان بين حماه وحلب ، في يوم الجمعة ، وقيل في يوم الاربعاء الخامس بقين من رجب من هذه السنة - أعنى سنة إحدى ومائة - عن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر فآله أعلم .

وكانت خلافته فيما ذكر غير واحد سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وكان حكماً مقسطاً ، وإماماً عادلاً وورعاً ديناً ، لا تأخذه في الله لومة لائم رحمه الله تعالى .

وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز الإمام المشهور رحمه الله

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين ، وأمه أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ويقال له أشج بن مروان ، وكان يقال : الأشج والناقص أعدلا بنى مروان . فهذا هو الأشج وسبأني ذكر الناقص . كان عمر تابعياً جليلاً ، روى عن أنس بن مالك والسائب بن يزيد ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، ويوسف صحابي صغير . وروى عن خلق من التابعين . وعنه جماعة من التابعين وغيرهم . قال الإمام أحمد بن حنبل : لا أدري قول أحد من التابعين حجة إلا قول عمر بن عبد العزيز . بويح له بالخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، عن عهد منه له بذلك كما تقدم ، ويقال : كان مولده في سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي بمصر ، قاله غير واحد . وقال محمد بن سعد : ولد سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة تسع وخمسين ، فآله أعلم . وكان له جماعة من الأخوة ولكن الذين هم من أبويه أبو بكر وعاصم ومحمد ، وقال أبو بكر بن أبي خزيمة عن يحيى بن معين عن يحيى بن بكير عن الليث . قال : بلغني أن عمران بن عبد الرحمن ابن شرحبيل بن حسنة كان يحدث أن رجلاً رأى في المنام ليلة ولد عمر بن عبد العزيز - أو ليلة ولي الخلافة شك أبو بكر - أن ناديا بين السماء والأرض ينادي : أئنا كم اللين والدين وإظهار العمل الصالح في المصلين ، فقلت : ومن هو ؟ فنزل فكتب في الأرض ع م ر . وقال آدم بن إياس : ثنا أبو علي ثروان مولى عمر بن عبد العزيز . قال : دخل عمر بن عبد العزيز إلى اصطبل أبيه فضربه فرس فشجه ، فحمل أبوه بمسح الدم عنه ويقول : إن كنت أشج بنى أمية إنك إذا لسعيد . رواه الحافظ ابن عساكر من طريق هارون بن معروف عن ضمرة ، وقال نعيم بن حماد : ثنا ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير ، فبلغ أمه فأرسلت إليه فقالت : ما بيكيك ؟ قال : ذكرت الموت ، فبكت أمه . وكان قد جمع القرآن وهو صغير ، وقال الضحاك بن عثمان الخزامي . كان أبوه قد جعله عند صالح بن كيسان يودبه ، فلما حج أبوه اجتاز به في

المدينة فسأله عنه فقال : ماخبرت أحداً الله أعظم في صدره من هذا الغلام . وروى يعقوب بن سفيان أن عمر بن عبد العزيز تأخر عن الصلاة مع الجماعة يوماً فقال صالح بن كيسان : ما شغلك ؟ فقال : كانت مرجلتى تسكن شمري ، فقال له : قد مئت ذلك على الصلاة ؟ وكتب إلى أبيه وهو على مصر يعلمه بذلك ، فبعث أبوه رسولا فلم يكلمه حتى حلق رأسه . وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه ، فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص علياً ، فلما أتاه عمر أعرض عبيد الله عنه وقام يصلي ، فجلس عمر ينتظره ، فلما سلم أقبل على عمر منفضبا وقال له : متى بلغك أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم ؟ قال ففهمها عمر وقال : معذرة إلى الله ثم إليك ، والله لا أعود ، قال : فما سمع بعد ذلك يذكر علياً إلا بخير . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا أبي ثنا الفضل بن عبد الله عن داود بن أبي هند . قال : دخل علينا عمر بن عبد العزيز من هذا الباب - وأشار إلى باب من أبواب مسجد النبي ص . - فقال رجل من القوم : بعث الفاسق لنا بابنه هذا يتعلم الفرائض والسنن ، ويزعم أنه لن يموت حتى يكون خليفة ، ويسير سيرة عمر بن الخطاب . قال داود : والله ما مات حتى رأينا ذلك فيه .

وقال الزبير بن بكار : حدثني الهيثم قال : إن أول ما استعجب من رشد عمر بن عبد العزيز حرصه على العلم ورغبته في الأدب ، إن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه ، فأراد أبوه إخراجه معه إلى مصر من الشام ، فقال : يا أبة أو غير ذلك لعله يكون أنفع لي ولك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ترجمني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء وأتأدب بأدبهم ، فمئذ ذلك أرسله أبوه إلى المدينة ، وأرسل معه الخدام ، فقدم مع مشايخ قريش ، وتجنب شبابهم ، وما زال ذلك دأبه حتى اشتهر ذكره ، فلما مات أبوه أخذته عمه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخلطه بولده ، وقدمه على كثير منهم ، وزوجه بابنته فاطمة ، وهي التي يقول الشاعر فيها :

بلت الخليفة والخليفة جدّها * أخت الخلفاء والخليفة زوجها

قال : ولا نعرف امرأة بهذه الصفة إلى يومنا هذا سواها .

قال الهيثم : ولم يكن حاسد عمر بن عبد العزيز ينقم عليه شيئا سوى متابته في النعمة ، والاختيال في المشية ، وقد قال الأحنف بن قيس : الكامل من عدت هفواته ولا تعد إلا من قلة . وقد ورث عمر من أبيه من الأموال والمتاع والديار هو وإخوته ما لم يرثه غيره ، فيما نعلم ، كما تقدم ذلك ، ودخل يوما على عمه عبد الملك وهو يتجاف في مشيته فقال : يا عمر مالك تمشى غير مشيتك ؟ قال : إن في جرحا ، فقال : وأين هو من جسدك ؟ قال : بين الراتقة والصنم - يعني بين طرف الالبسة وجلدة الخصى - فقال عبيد الملك لروح بن زنياع : بالله لو رجل من قومك سئل عن هذا ما أجاب بمثل

هذا الجواب . قالوا : ولما مات عمه عبد الملك حزن عليه ولبس المسوح تحت ثيابه سبعين يوماً ، ولما
ولى الوليد عامه بما كان أبوه يعامله به ، وولاه المدينة ومكة والطائف من سنة ست وثمانين إلى سنة
ثلاث وتسعين ، وأقام للناس الحج سنة تسع وثمانين ، وسنة تسعين ، وحج الوليد بالناس سنة إحدى
وتسعين ، ثم حج بالناس عمر سنة ثنتين أو ثلاث وتسعين .

و بنى في مدة ولايته هذه مسجد النبي (ص) ، ووسعه عن أمر الوليد له بذلك ، فدخل فيه قبر
النبي (ص) . ، وقد كان في هذه المدة من أحسن الناس معاشرة ، وأعدلهم سيرة ، كان إذا وقع له أمر
مشكل جمع فقهاء المدينة عليه ، وقد عين عشرة منهم ، وكان لا يقطع أمراً بدونهم أو من حضر
منهم ، وهم عروة ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
وأبو بكر بن سليمان بن خيشمة ، وسليمان بن يسار ، والقاسم بن محمد بن حزم ، وسالم بن عبد الله ،
وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد بن ثابت . وكان لا يخرج عن قول سميد بن المسيب ،
وقد كان سميد بن المسيب لا يأتي أحداً من الخلفاء ، وكان يأتي إلى عمر بن عبد العزيز وهو بالمدينة ،
وقال إبراهيم بن عتبة : قدمت المدينة وبها ابن المسيب وغيره ، وقد نذهبهم عمر يوماً إلى رأي

وقال ابن وهب : حدثني الليث حدثني قادم البر يرى أنه ذا كر ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً
شيئاً من قضايا عمر بن عبد العزيز إذ كان بالمدينة ، فقال له الربيع : كأنك تقول : أخطأ ، والذي
نفسى بيده ما أخطأ قط . وثبت من غير وجه عن أنس بن مالك . قال : ماصليت وراء إمام أشبه
بصلاة رسول الله (ص) من هذا الفتى - يعني عمر بن عبد العزيز - حين كان على المدينة . قالوا :
وكان يتم الركوع والسجود ويخفف القيام والقعود ، وفي رواية صحيحة أنه كان يسبح في الركوع
والسجود عشراً عشراً ، وقال ابن وهب : حدثني الليث عن أبي النضر المديني ، قال : رأيت سليمان
ابن يسار خارجاً من عند عمر بن عبد العزيز فقلت له : من عند عمر خرجت ؟ قال : نعم ! قلت :
تعلمونه ؟ قال : نعم ، فقلت : هو والله أعلمكم . وقال مجاهد : أتينا عمر لعلمه فابرحنا حتى تعلمنا منه .
وقال ميمون بن مهران : كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة ، وفي رواية قال ميمون : كان
عمر بن عبد العزيز معلم العلماء . وقال الليث : حدثني رجل كان قد صحب ابن عمرو ابن عباس ،
مكأن عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة ، قال : ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن
عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه ، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة . وقال
عبد الله بن طاووس : رأيت أبي تواقف هو وعمر بن عبد العزيز من بعد صلاة العشاء حتى أصبحنا ،
فلما افترقا قلت : يا أبا من هذا الرجل ؟ قال هذا عمر بن عبد العزيز ، وهو من صالحى هذا البيت -

يعنى بنى أمية - وقال عبد الله بن كثير قلت لعمر بن عبد العزيز ما كان بدء إنباتك ؟ قال : أردت ضرب غلام لى فقال لى : اذ كر ليلة صبيحتها يوم القيامة ^(١)

وقال الامام مالك : لما عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة - يعنى فى سنة ثلاث وتسعين - وخرج منها التفت إليها وبكى وقال لمولاه : يا مراحم ، نخشى أن نكون ممن نفت المدينة - يعنى أن المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكبير خبث الحديد - وينصح طيبها . قلت : خرج من المدينة فنزل بمكان قريب منها يقال له السويداء حيناً ^(٢) ، ثم قدم دمشق على بنى عمه ، قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أبى حكيم . قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول : خرجت من المدينة وما من رجل أعلم منى ، فلما قدمت الشام نسيت . وقال الامام أحمد : حدثنا عفان ثنا حماد بن زيد عن عمر عن الزهرى قال : سهرت مع عمر بن عبد العزيز ذات ليلة لخدمته ، فقال : كل ما حدثت فقد سمعته ولكن حفظت ونسيت . وقال ابن وهب عن الأيثم عن عقيل عن الزهرى قال قال عمر بن عبد العزيز : بث إلى الوليد ذات ساعة من الظهيرة ، فدخلت عليه فإذا هو عابس ، فأشار إلى أن اجلس ، فجلست فقال : ماتقول فيمن يسب الخلفاء أيقتل ؟ فسكت ، ثم عاد فسكت ، ثم عاد فقلت : أقتل يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ولكن سب ، قلت : ينكأ به ، فنضب وانصرف إلى أهله ، وقال لى ابن الريان السيف : اذهب ، قال : فخرجت من عنده وما تهب ريح إلا وأنا أظن أنه رسول يردنى إليه . وقال عثمان بن زبر : أقبل سليمان بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين وعمره عمر بن عبد العزيز على معسكر سليمان ، وفيه تلك الخيول والجمال والبغال والأثقال والرجال ، فقال سليمان : ماتقول يا عمر فى هذا ؟ فقال : أرى دنيا يأكل بعضها بعضها وأنت المشغول عن ذلك كله ، فلما اقتربوا من المعسكر إذا غراب قد أخذ لقمة فى فيه من فسطاط سليمان وهو حائر بها ، ونهب نعمة ، فقال له سليمان : ما هذا يا عمر ؟ فقال : لا أدري ، فقال : ما ظنك أنه يقول ؟ قلت : كأنه يقول : من أين جاءت وأين يذهب بها ؟ فقال له سليمان : ما أعجبت ؟ فقال عمر : أعجب من عرف الله فمصاد ، ومن عرف الشيطان فأطاعه ، ومن عرف الدنيا فركن إليها .

وتقدم أنه لما وقف سليمان وعمر بعرفة ورأى سليمان كثرة الناس فقال له عمر : هؤلاء رعيتك

(١) بالأصول « يوماً صبيحتها يعنى يوم القيامة » وصححه من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى صفحة ١٤٩ (٢) السويداء أرض كان يملكها عمر بن عبد العزيز ، واستتبطن فيها من عطاياه عين ماء ، وله فيها قصر مبنى . ولما تنازل لبيت المال عن جميع ما ورثه عن آباءه أتى (السويداء) و (خير) لأنه أطمان إلى أنهما حلال خالص ليس فيه أية شبهة . وكان هو خليفة يأكل من غلتها وينفق ما يزيد عن الضرورة

اليوم وأنت مستول عنهم غدا . وفي رواية وهم خصماؤك يوم القيامة ، فبكى سليمان وقال : يا الله نستعين . وتقدم أنهم لما أصابهم ذلك المطر والرعد فرزع سليمان وضحك عمر فقال له : أتضحك ؟ فقال : نعم هذه آثار رحمته ونحن في هذه الحال ، فكيف بأثار غضبه وعقابه ونحن في تلك الحال ؟ وذكر الامام مالك أن سليمان وعمر تقاولا مرة فقال له سليمان في جملة الكلام : كذبت ، فقال : تقول كذبت ؟ والله ما كذبت منذ عرفت أن الكذب يضر أهله ، ثم هجره عمر وعزيم على الرحيل إلى مصر ، فلم يتمكن سليمان ، ثم بحث إليه فصالحه وقال له : ما عرض لي أمرهم مني إلا خطرت على بالي . وقد ذكرنا أنه لما حضرته الوفاة أوصى بالأمر من بعده إلى عمر بن عبد العزيز فانتظم الأمر على ذلك والله الحمد .

قصته

وقد كان منتظرا فيما يؤثر من الأخبار

قال أبو داود الطيالسي : حدثنا عبيد العزيز بن عبيد الله بن أبي سلمة الماششون ثنا عبد الله ابن دينار قال قال ابن عمر : يا عجبا ! يزعم الناس أن الدنيا لا تنقضي حتى يلى رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر ، قال : وكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر ، قال : وكان بوجه أثر ، فلم يكن هو ، وإذا هو عمر بن عبد العزيز ، وأمه ابنة عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وقال البيهقي : أنبا الحاكم أنبا أبو حامد بن علي المقرئ ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا أحمد بن إبراهيم ثنا عثمان ثنا عبد الحميد بن لاحق عن جويرية بن أسماء عن نافع . قال : بلغنا أن عمر بن الخطاب قال : إن من ولدى رجلا بوجهه شجان يلى فيملا الأرض عدلا . قال نافع من قبله : ولا أحسبه إلا عمر ابن عبد العزيز . ورواه مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن نافع . وقال : كان ابن عمر يقول : ليمت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا ، قال وهيب بن الورد : بينما أنا قائم رأيت كأن رجلا دخل من باب بني شيبه وهو يقول : يا أيها الناس ! ولي عليكم كتاب الله . فقلت : من ؟ فأشار إلى ظفري فإذا مكتوب عليه عمر ، قال فجاءت بيعة عمر بن عبد العزيز . وقال بقية عن عيسى بن أبي رزين حدثني الخزازي عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في روضة خضراء فقال له : « إنك ستلى أمر أمي فرزع عن الدم فرزع عن الدم »^(١) ، فان اسلمك في الناس عمر بن عبد العزيز ، واسلمك عند الله جابر . وقال أبو بكر بن المقرئ : ثنا أبو عمرو بن الحسين بن محمد بن مودود الحراني ثنا أيوب بن محمد الوزان ثنا ضمرة بن ربيعة ثنا السري بن يحيى عن رباح بن شبيدة . قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكئ على يده ، فقلت في نفسي : إن

(١) وزعه بزعه فاتزع ، أي كف عنه .

هذا الشيخ جاف ، فلما صلى ودخل لحقته فقلت : أصلح الله الأمير ، من هذا الشيخ الذى أتتك أنت
يدك ؟ فقال : يا رياح رأيتك ؟ قلت : نعم ! قال : ما أحسبك يا رياح إلا رجلاً صالحاً ، ذاك أخى
الخنزر أنانى فأعلمنى أى سالى أمر هذه الأمة وأنى سأعدل فيها .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو عمير ثنا ضمرة عن علي بن خولة عن أبي عنبس . قال :
كنت جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية فجاء شاب عليه مقطعات فأخذ بيد خالد ، فقال : هل
علمنا من عين ؟ فقال أبو عنبس : فقلت غلبكم من الله عين بصيرة ، وأذن سماعة ، قال : فترقت
عيننا الفنى . فأرسل يده من يد خالد وولى ، فقلت : من هذا ؟ قال : هذا عمر بن عبد العزيز بن أخى
أمير المؤمنين ، ولئن طالبت بك حياة لثريته إمام هدى . قلت : قد كان عند خالد بن يزيد بن
معاوية شئ جيد من أخبار الأوائل وأقوالهم ، وكان ينظر فى النجوم والطب . وقد ذكرنا فى ترجمة
سليمان بن عبد الملك أنه لما حضرته الوفاة أراد أن يهدى إلى بعض أولاده ، فصرفه وزيره الهمالج
رجاء بن حيوة عن ذلك ، وما زال به حتى عهد إلى عمر بن عبد العزيز من بعده وصوب ذلك رجاء
فكتب سليمان العهد فى صحيفة وختمها ولم يشعر بذلك عمر ولا أحد من بنى مروان سوى سليمان
ورجاء ، ثم أمر صاحب الشرطة باحضار الأمراء ورؤوس الناس من بنى مروان وغيرهم ، فبايعوا
سليمان على ما فى الصحيفة المختومة ، ثم انصرفوا ، ثم لما مات الخليفة استدعاهم رجاء بن حيوة فبايعوا
ثانية قبل أن يعلوا موت الخليفة ، ثم فتنحوا فقرأها عليهم ، فاذا فيها البيعة لعمر بن عبد العزيز ،
فأخذوه فأجلسوه على المنبر وبايعوه فأنعمت له البيعة .

وقد اختلف العلماء فى مثل هذا الصنيع فى الرجل يوصى الوصية فى كتاب ويشهد على ما فيه
من غير أن يقرأ على الشهود . ثم يشهدون على ما فيه فينفذ ، فسوغ ذلك جماعات من أهل العلم ، قال
القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا الجربرى : أجاز ذلك وأمضاه وأنفذ الحكم به جمهور أهل الحجاز ،
وروى ذلك عن سالم بن عبد الله . وهو مذهب مالك ومحمد بن مسلمة الخزرجى ومكحول ، ونعيم بن
أوس وزرعة بن إبراهيم ، والأوزاعى وسعيد بن عبد العزيز ، ومن وافقهم من فقهاء الشام . وحكى
نحو ذلك خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه وقضاة جندة ، وهو قول الليث بن سعد فيمن وافقه
من فقهاء أهل مصر والمغرب ، وهو قول فقهاء أهل البصرة وقضاةهم . وروى عن قتادة وعن سوار
ابن عبد الله وعبيد الله بن الحسن ومعاذ بن معاذ النهري فيمن سلك سبيلهم ، وأخذ بهذا عدد
كثير من أصحاب الحديث ، منهم أبو عبيد وإسحاق بن راهويه . قلت : وقد اعتنى به البخارى فى
صحيحه . قال المعافى : وأبى ذلك جماعة من فقهاء العراق ، منهم إبراهيم وحجاج والحسن ، وهو مذهب
الشافعى وأبى ثور ، قال : وهو قول شيخنا أبى جعفر ، وكان بعض أصحاب الشافعى بالمرأى يذهب

الى القول الأول ، قال الجريري : وإلى القول الأول نذهب . وتقدم أن عمر بن عبد العزيز لما رجع من جنازة سليمان أتى بمراكب الخلافة ليركبها فامتنع من ذلك وأنشأ يقول : -

فلولا التقى ثم النهى خشية الردى * لعاصيت في حب الصبا كل زاجر
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى * له صبوة أخرى الليالي الغواير

ثم قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . قدموا إلى بعلقي ، ثم أمر ببيع تلك المراكب الخليفية فيمن يزيد ، وكانت من الخيول الجياد المشتمة ، فباعها وجعل أثمانها في بيت المال . قالوا : ولما رجع من الجنازة وقد بايعه الناس واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتم مهموم ، فقال له مولاة : مالك هكذا مغتما مهموما وليس هذا بوقت هذا ؟ فقال : ويحك ومالي لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كذب إلى في ذلك أولم يكتب ، طلبه مني أولم يطلب . قالوا : ثم إنه خير امرأته فاطمة بين أن تقيم معه على أنه لا فراخ له إليها ، وبين أن تلحق بأهلها ، فبكت وبكى جوارها لبكائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحما الله . وقال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغل شاغل * وعدلت عن طرق السلامة

ذهب الفراغ فلا فرا * غلنا إلى يوم القيامة

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلام عن سلام بن سليم قال : لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر وكان أول خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس من يحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فليفارقنا . نرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ، ويميلنا على الخير بجهده ، ويدلنا من الخير على ما لا نهتدي إليه ، ولا يفتابن عندنا أحدا ، ولا يعرضن فيما لا يعنيه . فانتشع عنه الشعراء والخطباء وثبت معه الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله . وقال سفيان ابن عيينة : لما ولي عمر بن عبد العزيز بعث إلى محمد بن كعب ورجاء بن حيوة وسالم بن عبد الله فقال لهم : قد ترون ما ابتليت به وما قد نزل بي ، فما عندكم ؟ فقال محمد بن كعب : اجعل الشيخ أبا ، والشاب أخا ، والصغير ولدا ، وبرأباك وصل أخاك ، وتعطف على ولدك . وقال رجاء : ارض للناس ما ترضى لنفسك ، وما كرهت أن يؤتى إليك فلا تأتاه إلهم ، واعلم أنك أول خليفة تموت . وقال سالم : اجعل الأمر واحدا وصم فيه عن شهوات الدنيا ، واجعل آخر فطرك فيه الموت . فكان قد . فقال عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال غيره : خطب عمر بن عبد العزيز يوما الناس فقال - وقد خنقته العبرة - أيها الناس أصلحوا آخرتكم يصلح الله دنياكم ، وأصلحوا أسراركم يصلح لكم علايتكم ، والله إن عبدا ليس

بينه وبين آدم أب إلا قدم مات ، إنه لمعرق له في الموت . وقال في بعض خطبه : كم من عامر موثق عما قليل يخرّب ، وكم من مقيم مفتبط عما قليل يظعن . فأحسنوا رحمكم الله من الدنيا الرحلة بأحسن ما يحضر بكم من النقلة ، بينما ابن آدم في الدنيا ينافس قريير العين فيها يانع ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بسهم حتفه ، فسلبه أثاره دنياه ، وصير إلى قوم آخرين مصالمة ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، تسر قليلا وتحزن طويلا . وقال إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد عليه السلام ، وإني لست بقاض ولكني منفذ ، وإني لست بمبتدع ولكني متبع ، إن الرجل الخارب من الامام الظالم ليس بظالم إلا أن الامام الظالم هو العاصي ، ألا لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل . وفي رواية أنه قال فيها : وإني لست بخير من أحد منكم ، ولكنني أقبلكم حملا ، ألا لاطاعة لمخلوق في معصية الله ، ألا هل أنتمت .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أحمد بن يحيى الحلواني ثنا محمد بن عبيد ثنا إسحاق بن سليمان عن شعيب بن صفوان حدثني ابن السعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فأنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فغاب وخسر من خرج من رحمة الله تعالى ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم الآخر وخافه ، وباع فانياً بباتي ، وفادياً بمالا فناد له ، وقليلاً بكثير ، وخوفاً بأمان ، ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين ، وسيكون من بعدكم للباقيين ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحاً إلى الله لا يرجع ، قد قضى نحبته حتى تفيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير موسد ولا ممد ، قد فارق الأحباب ، وواجه التراب والحساب ، فهو مرتين بعمله ، غنى عما ترك ، فقير لما قدم ، فاتقوا الله قبل القضاء ، راقبوه قبل نزول الموت بكم ، أما إني أقول هذا ، ثم وضع طرف رداءه على وجهه فبكى وأبكى من حوله . وفي رواية : وأيم الله إني لأقول قولي هذا ولا أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفي ، ولكننا سنن من الله عاذلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، وأستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه فبكى حتى بل لحيته ، فماعد لمجلسه حتى مات رحمه الله .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول : « ابن يامر ، فدنوت حتى خشيت أن أصيبه ، فقال : إذا وليت فاعمل نحواً من عمل هذين ، فإذا كحلان قد اكتنفاه ، فقلت : ومن هذان ؟ قال : هذا أبو بكر وهذا عمر » . وروينا أنه قال : لسالم بن عبد الله بن عمر : اكتب لي سيرة عمر حتى أعمل بها ، فقال له سالم : إنك لا تستطيع ذلك ،

قال : ولم ؟ قال : إنك إن عملت بها كنت أفضل من عمر ، لأنه كان يجرد على الخيل أعوانا ، وأنت لا تجرد من يمينك على الخيل . وقد روى أنه كان نقش خاتمه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وفي رواية آمنت بالله ، وفي رواية الوفاء عزيز . وقد جمع يوما رموس الناس فخطبهم فقال : إن فذلك كانت ببس رسول الله (ص) . يضعها حيث أراه الله ، ثم وانيها أبو بكر وعمر كذلك ، قال الأصمعي : وما أدري ما قال في عثمان ، قال : ثم إن مروان أقطعها فحصل لي منها نصيب ، ووهبني الوليد وسليمان نصيبهما ، ولم يكن من مالي شيء أردته أغلى منها ، وقد رددتها في بيت المال على ما كانت علي في زمان رسول الله (ص) . قال : فيئس الناس عند ذلك من المظالم ، ثم أمر بأموال جماعة من بني أمية فردها إلى بيت المال رسما أموال المظالم ، فاستشفعوا إليه بالناس ، وتوسلوا إليه بمعمته فاطمة بنت مروان فلم ينجع فيه شيء ، وقال لهم : لتدعني وإلا ذهبت إلى مكة ففزلت عن هذا الأمر لأحق الناس به ، وقال : والله لو أقت فيكم خمسين عاما ما أقت فيكم إلا ما أريد من العدل ، وإني لأريد الأمر فما أنفذه إلا مع طمع من الدنيا حتى تسكن قلوبهم .

وقال الإمام أحمد عن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنه قال : إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ، ونحو هذا قال قتادة وسعيد بن المسيب وغير واحد . وقال طائوس : هو مهدي وليس به ، إنه لم يستكمل العدل كله ، إذا كان المهدي ثبت على المسمى من إسمائه ، وزيد المحسن في إحسانه ، سمح بالمال شديد على العمال رحيم بالمساكين . وقال مالك عن عبد الرحمن بن حرمة عن سعيد بن المسيب أنه قال : الخلفاء أبو بكر والعمران ، قتل له : أبو بكر وعمر قد عرفناهما فن عمر الآخر ؟ قال : بوشك إن عشت أن تعرفه ، يريد عمر بن عبد العزيز ، وفي رواية أخرى عنه أنه قال : هو أشج بن مروان . وقال عباد السالك وكان يجالس سفیان الثوري : سمعت الثوري يقول : الخلفاء خمسة ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . وهكذا روى عن أبي بكر بن عياش والشافعي وغير واحد . وأجمع العلماء قاطبة على أنه من أئمة العدل وأحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . وذكره غير واحد في الأئمة الاثني عشر ، الذين جاء فيهم الحديث الصحيح : « لا يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى يكون فيهم اثني عشر خليفة كلهم من قریش » .

وقد اجتهد رحمه الله في مدة ولايته - مع قصرها - حتى رد المظالم ، وصرف إلى كل ذي حق حقه ، وكان مناديه في كل يوم ينادي : أين الغارمون ؟ أين الناكحون ؟ أين المساكين ؟ أين اليتامى ؟ حتى أغنى كلا من هؤلاء . وقد اختلف العلماء أيهم أفضل هو أو معاوية بن أبي سفيان ؟ ففضل بعضهم عمر لسيرته ومعدله وزهده وعبادته ، وفضل آخرون معاوية لسابقته ومحبة ، حتى قال بعضهم : ليوم شهده معاوية من رسول الله (ص) . خير من عمر بن عبد العزيز وأيامه وأهل بيته . وذكر ابن

عساكر في تاريخه أن عمر بن عبد العزيز كان يعجبه جارية من جواري زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، فكان سألها إياها إما يبعاً أو هبة ، فكانت تأتي عليه ذلك ، فلما ولي الخلافة ألبستها وطيبتها وأهنتها إليه وهبتها منه ، فلما أخلتها به أعرض عنها ، فتمرضت له فصدف عنها ، فقالت له : يا سيدي فأين ما كان يظهر لي من محبتك إياي ؟ فقال : والله إن محبتك لبقية كما هي ، ولكن لا حاجة لي في النساء ، فقد جاءني أمر شغلني عنك وعن غيرك ، ثم سألتها عن أصلها ومن أين جلبوها ، فقالت : يا أمير المؤمنين إن أبي أصاب جنابة ببلاد المغرب فصادره موسى بن نصير فأخذت في الجنابة ، وبثتني إلى الوليد فوهبني الوليد إلى أخته فاطمة زوجتك ، فأهدتني إليك . فقال عمر : إن الله وإنا إليه راجعون ، كدنا والله نفتضح ونهلك ، ثم أمر بردها مكرمة إلى بلادها وأهلها .

وقالت زوجته فاطمة : دخلت يوما عليه وهو جالس في مصلاه واضعا خده على يده ودموعه تسيل على خديه ، فقلت : مالك ؟ فقال : ويحك يا فاطمة ، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ، فنفكرت في الفقير الجائع ، والمرضى الضائع ، والعمى المجهود ، واليتيم المنكسور ، والأرملة الوحيدة والمظلوم المقهور . والغريب والأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير ، والمسال القليل ، وأشبابهم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، ففكرت أن ربي عز وجل سيسألني عنهم يوم القيامة ، وأن خصمي دونهم محمد (ص) ، فخشيت أن لا يثبت لي حجة عند خصومته ، فرحمت نفسي فيكيت . وقال ميمون بن مهران ولائي عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي : إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض . وكتب إلي بعض عماله : إذا دعيتك قدرتك على الناس إلى مظلة ، فاذكر قدرة الله عليك ونفاد ما تأتي إليهم ، وبقاء ما يأتون إليك . وقال عبد الرحمن بن مهدي عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي : إن للأسلام سننا وفرننا وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان ، فان أعش أيئنها لكم لتعملوا بها ، وإن أمت فانا أنا على محبتكم بحر يص . وذكر البخاري في صحيحه تعليقاً مجزوماً به . وذكر الصولي أن عمر كتب إلى بعض عماله : عليك بتقوى الله فانها هي التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثاب إلا عليها ، وإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل . وقال : من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يمينه وينفقه ، ومن أكثر ذكر الموت اجتزأ من الدنيا باليسير . وقال : من لم يمد كلامه من عمله كثرت خطاياها ، ومن عبد الله بنير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه . وكله رجل يوماً حتى أغضبه فهم به عمر ثم أمسك نفسه ، ثم قال لرجل : أردت أن يستغفرني الشيطان بركة السلطان فأنا منك ماتت مني غداً ؟ قم عاكف الله لأحاجة لنا في مقاولتك . وكان يقول : إن أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة ، والغفوة في المقدرة ، والرفق في الولاية ، ومارفق عبد

بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة . وخرج ابن له وهو صغير يلعب مع الغلمان فشجبه صبي منهم ، فاحتلموا الصبي الذي شج ابنه وجاؤا به إلى عمر ، فسمع الجليلة نغزج اليهم ، فاذا مربية تقول : إنه ابني وإنه يقيم ، فقال لها عمر : هوئي عليك ، ثم قال لها عمر : أله عطاء في الديوان ؟ قالت : لا ، قال : فاكذبوه في الذرية . فقالت زوجته فاطمة : أتفعل هذا به وقد شج ابنك ؟ فلل الله به وفعل ، المرة الأخرى يشج ابنك ثانية . فقال : ويحك ، إنه يقيم وقد أفرغتموه . وقال مالك بن دينار : يقولون مالك زاهد ، أي زهد عندي ؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا فافرة فهاها فتركها جملة . قالوا : ولم يكن له سوى قميص واحد فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس ، وقد وقف مرة على راحب فقال له : ويحك عطش ، فقال له : عليك بقول الشاعر : -

نَجِدُ مِنَ الدُّنْيَا فَاثِكًا إِنَّمَا * خَرَجَتْ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجْرَدٌ

قال : وكان يعجبه ويكره وعمل به حق العمل . قالوا : ودخل على امرأته يوماً فسألها أن تقرضه درهما أو فلوسا يشتري به عنباً ، فلم يجد عندها شيئاً ، فقالت له : أنت أمير المؤمنين وليس في خزانتيك ما تشتري به عنباً ؟ فقال : هذا أيسر من معالجة الأغلال والأشكال غداً في نار جهنم . قالوا : وكان سراج بيته على ثلاث قصبات في رأسهن طين ، قالوا : وبعت يوماً غلامه ليشوى له لحمة فجاءه بها سريعاً مشوية ، فقال : أين شويتها ؟ قال : في المطبخ ، فقال : في مطبخ المسلمين ؟ قال : نعم . فقال : كلها فاني لم أرزقها ، هي رزقك . وسخنوا له المساء في المطبخ العام فرد بدل ذلك بدرهم حطباً . وقالت زوجته : ما جامع ولا احتلم وهو خليفة . قالوا : وبلغ عمر بن عبد العزيز عن أبي سلام الأسود أنه يحدث عن ثوبان بمحدث الخوض فبعث إليه فأحضره على البريد وقال له ، كالتلويح له : يا أبا سلام ما أردنا المشقة عليك ، ولكن أردت أن تشافني بالحديث مشافهة ، فقال : سمعت ثوبان يقول قال رسول الله (ص) : «حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، وأول الناس وروداً عليه قراء المهاجرين ، الشعث رؤساء ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنتهات ، ولا تفتح لهم السدد » . فقال عمر : لكنني نكحت المنتهات ، فاطمة بنت عبد الملك ، فلا جرم لا أغسل رأسي حتى يشعث ، ولا ألقى ثوبي حتى يتسخ . قالوا : وكان له سراج يكتب عليه حوائجه ، وسراج لببت المال يكتب عليه مصالح المسلمين ، لا يكتب على ضوءه لنفسه حرفاً . وكان يقرأ في المصحف كل يوم أول النهار ، ولا يطيل القراءة ، وكان له ثلاثمائة شرطى ، وثلاثمائة حرسى ، وأهدى له رجل من أهل بيته فلاحاً فاشتمه ثم رده مع الرسول ، وقال له : قل له قد بلغت محلها ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين إن رسول الله (ص) كان يقبل الهدية ، وهذا رجل من أهل بيتك ، فقال : إن الهدية

كانت لرسول الله (ص) هدية ، فأما نحن فهي لئارشوة . قالوا : وكان يوسع على عماله في النفقة ، يعطى الرجل منهم في الشهر مائة دينار ، ومائتي دينار ، وكان يتأول أنهم إذا كانوا في كفاية تفرغوا لأشغال المسلمين ، فقالوا له : لو أنفقت على عيالك كما تنفق على عمالك ؟ فقال : لا أنمهم حقاً لهم ، ولا أعطيهم حق غيرهم . وكان أهله قد بقوا في جهد عظيم فاعتذر بأن معهم سلفاً كثيراً من قبل ذلك ، وقال يوماً لرجل من ولد علي : إني لأستحي من الله أن تقف بياني ولا يؤذن لك ، وقال لآخر منهم : إني لأستحي من الله وأرغب بك أن أدنسك بالدين لما أكرمكم الله به . وقال أيضاً : كنا نحن وبنو عمنابو هاشم مرة لنا ومرة علينا ، فلجأ إليهم ويلجئون إلينا ، حتى طلعت شمس الرسالة فأكسأت كل نافق ، وأخرست كل منافق ، وأسكتت كل ناطق .

وقال أحمد بن مروان : ثنا أبو بكر ابن أخي خطاب ثنا خالد بن خديش ثنا حماد بن زيد عن موسى بن أيمن الراعي - وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة - قال : كانت الأسد والذئب والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبد العزيز في موضع واحد ، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت : إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك . قال لحسيناه فوجدناه قد هلك في تلك الليلة . ورواه غيره عن حماد فقال : كان يرعى الشاة بكرمان فذكر نحوه ، وله شاهد من وجه آخر ، ومن دعائه : اللهم إن رجلاً أطاعوك فيما أمرتهم وانتهوا عما نهيتهم ، اللهم وإن توفيتك إياهم كان قبل طاعتهم إياك ، فوفقني . ومنه : اللهم إن عمر ليس بأهل أن تناله رحمتك ، ولكن رحمتك أهل أن تنال عمر . وقال له رجل : أبقيك الله ما كان البقاء خيراً لك ، فقال : هذا شيء قد فرغ منه ، ولكن قل : أحياك الله حياة طيبة ، وتوفاك مع الأبرار . وقال له رجل : كيف أصبحت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت بطيئاً بطيئاً ، متلوئماً بالخلع المايا ، أتمنى على الله عز وجل . ودخل عليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك كانت الخلافة لهم زين ، وأنت زين الخلافة ، وإنما ملكك يا أمير المؤمنين كما قال الشاعر
وإذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زيناً

قال : فأعرض عنه عمر . وقال رجاء بن حيوة : سمعت عند عمر بن عبد العزيز ذات ليلة فمشى السراج فقلت : يا أمير المؤمنين : ألا أنبه هذا الغلام يصلحه ؟ فقال : لا ، دعته ينام ، لا أحب أن أجمع عليه عملي . فقلت : أفلا أقوم أصلحه ؟ فقال : لا ، ليس من المروءة استخدام الضيف ، ثم قام بنفسه فأصلحه وصب فيه زيتاً ثم جاء وقال : قت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر ابن عبد العزيز ، وقال : أكثروا ذكر النعم فإن ذكرها شكرها . وقال : إنه لينمى من كثرة ذكرها غفلة المباهاة ، وبلغه أن رجلاً من أصحابه توفي ، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه ، فصرخوا في وجهه

بالبكاء عليه ، فقال : مه ، إن صاحبكم لم يكن يرزقكم ، وإن الذي يرزقكم حتى لا يموت ، وإن صاحبكم هذا ١ لم يسد شيئاً من حفركم ، وإنما سد حفرة نفسه ، ألا وإن لكل امرئ منكم حفرة لا بد والله أن يسدها ، إن الله عز وجل لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب ، وعلى أهلها بالفناء ، وما امتلأت دار خبيرة إلا امتلأت عبيرة ، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا ، حتى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، فمن كان منكم با كيًا فليبك على نفسه ، فإن الذي صار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدا .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر إلى القبور فقال لي : يا أبا أيوب ! هذه قبور آبائي بنى أمية ، كأنهم لم يشاركو أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم ، أما ترام صرعى قد خلت بهم الثلاث ، واستحكم فيهم البلاء ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فقال : انطلقوا بنا فوالله لا أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور ، وقد آمن من عذاب الله ، ينتظر ثواب الله . وقال غيره : خرج عمر بن عبد العزيز في جنازة فلما دفنت قال لأصحابه : قفوا حتى آتى قبور الأجابة ، فأناهم فجعل يبكي ويدعو ، إذ هتف به التراب فقال : يا عمر ألا تسألني ما فعلت في الأجابة ؟ قال قلت : وما فعلت بهم ؟ قال : مرقت الأكفان ، وأكلت اللحوم ، وشدخت المقلتين ، وأكلت الحديقين ، ونزعمت الكففين من الساعدين ، والساعدين من المضدين ، والمضدين من المنكبين ، والمنكبين من الصلب ، والقديمين من الساقين ، والساقين من الفخذين ، والفخذين من الورك ، والورك من الصلب . فلما أراد أن ينهب قال له : يا عمر أدلك على أكفان لا تبلى ؟ قال : وما هي ؟ قال : تقوى الله والعمل الصالح . وقال مرة لرجل من جلسائه : لقد أرققت الليلة مفكراً ، قال : وفيه يا أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاث في قبره ، وما صار إليه ، لاستوحشت من قر به بعد طول الألس منك بناحيته ، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ، وتخترق فيه الديدان ، ويمر في الصديد ، مع تغير الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ، ونقاء الثوب ، قال : ثم شق شقة خر منشياً عليه . وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز قرأ [وقنوم] لهم مسؤولون [فجعل يكرها وما يستطيع أن يتجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشد قرّاً من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عيناه ، ثم يلتبث فلا يزال يبكي حتى تغلبه عيناه ، قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة فينتفض كما ينتفض المصفر في الماء ، ويجلس يبكي ، فأطرح عليه اللحف رحمة له ، وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشركين ، فوالله ما رأينا سروراً منذ دخلنا فيها .

وقال علي بن زيد : مارأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز .
وقال بعضهم : رأيته يبكي حتى بكى دما ، قالوا : وكان إذا أوى إلى فراشه قرأ [إن ربكم الذي خلق
السموات والأرض في ستة أيام] الآية ، ويقرأ [أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون]
ونحو هذه الآيات ، وكان يجتمع كل ليلة إليه أصحابه من الفقهاء فلا يذكرون إلا الموت والآخرة ،
ثم ييكون حتى كأن بينهم جنازة ، وقال أبو بكر الصولي : كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بقول الشاعر :

فا تزودَ مما كانَ يجمعه * سوى حنوط غداة البين في خرق
وغير نفعة أعوادٍ تشبُّ له * وقلَّ ذلكَ من زادٍ لمنطلق
بأما بلدٍ كانت منيته * إن لايسرُ طائفا في قصدها يُسقِر

ونظر عمر بن عبد العزيز وهو في جنازة إلى قوم قد تلمثوا من الغبار والشمس ، انجازوا إلى
الظل فبكى وأندب :

من كان حينَ تصيبُ الشمسُ جبهته * أو النبارُ يخافُ الشينَ والشمنا
ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشته * فسوفَ يسكنُ يوما راحما جدنا
في قعرٍ مظلمةٍ غبراءَ موحشة * يطيلُ في قمرها نعتُ الثرى اللبنا
تجهزى بجهازٍ تبلغين به * يا نفسُ قبلَ الردى لم تخلقى عبثا

هذه الأبيات ذكرها الآجري في أدب النفوس بزيادة فيها فقال : أخبرنا أبو بكر أنبأنا
أبو حفص عمر بن سعد القراطيسي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي الدنيا حدثني محمد بن صالح
القرشي أخبرني عمر بن الخطاب الأزدي حدثني ابن لعبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة قال :
أراد عمر بن عبد العزيز أن يبعثه رسولا إلى اليون طائغية الروم يدعوهم إلى الاسلام ، فقال له
عبد الأعلى : يا أمير المؤمنين ! إنن لي في بعض بني يخرج معي - وكان عبد الأعلى له عشرة من
الذكور - فقال له : انظر من يخرج معك من ولدك . فقال : عبد الله ، فقال له عمر : إني رأيت ابناك
عبد الله يمشي مشية كرهتها منه ومقته عليها ، وبلغني أنه يقول الشعر . فقال عبد الأعلى : أما شيتته
تلك ففرزة فيه ، وأما الشعر فأنما هو نواحة ينوح بها على نفسه ، فقال له : مر عبد الله يأتيني وخذ
معك غيره ، فراح عبد الأعلى بابنه عبد الله إليه ، فاستنشه فأنشده ذلك الشعر المتقدم :

تجهزى بجهازٍ تبلغين به * يا نفسُ قبلَ الردى لم تخلقى عبثا
ولا تكدى لمن يبقى وتفتقرى * إن الردى وارثُ الباقي وما ورثا
واخشى حوادثَ الدهر في مهل * واستيقظ لانتكزى كالذي يحنا
عن مديته كان فيها قطعُ مدته * فوافقت الحرتُ موفورا كما خرنا

لا تأمنى فجع دهرٍ مفرِّجٍ ختلٍ * قد استوى عندهم من طالبٍ أو خبثنا
 ياربِ بذى أملٍ فيه على وجلٍ * أضحي به آمناً امسى وقد حدثنا
 من كان حينَ نصيبِ الشمسِ جهتهُ * أو النبارِ يخافُ الشينَ والشعنا
 ويألفُ الظلَّ كي تبقى بشاشتهُ * فكيف يسكنُ يوماً راعماً جدنا
 قفراءٍ موحشةٍ غبراءٍ مظلمةٍ * يطيلُ تحتَ الثرى من قمرها البثنا
 وقد ذكرها ابن أبي الدنيا فصر أنشداه عنه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .
 وكان عمر يتمثل بها كثيراً ويبكي .

وقال الفضل بن عباس الحلبي : كان عمر بن عبد العزيز لا يجف فوه من هذا البيت :
 ولا خير في عيشٍ امرئٍ لم يكن له * من الله في دارٍ القرار نصيبُ
 وزاد غيره معه بيتاً حسناً وهو قوله :

فان تمعَّب الدنيا أناساً فانها * متاعٌ قليلٌ والزوالُ قريبُ
 ومن شعره الذي أنشده ابن الجوزي :

أناميت وعز من لا يموت * قد تبقت أنى ساموتُ
 ليس ملكٌ يزيله الموتُ ملكاً * إنما الملكُ ملكٌ من لا يموتُ
 وقال عبد الله بن المبارك : كان عمر بن عبد العزيز يقول :

تسرُّ بما يفنى وتفرحُ بالمني * كما اغترَّ بالذاتِ في النومِ حلمُ
 نهاركُ يا مغرورٌ سهوٌ وغفلةٌ * وليلك نومٌ والردى لك لازمُ
 وسعيك فيما سوف تكره غبهُ * كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ
 وقال محمد بن كثير : قال عمر بن عبد العزيز يوم نفسه :

أيقظان أنت اليوم أم أنت فائمٌ * وكيف يطيق النوم حيرانُ هائمُ
 فلو كنت يقظان الغداة لحرقت * محاجر عينيك الدموع السواجمُ
 أصبحت في النوم الطويل وقد دنت * إليك أمورٌ مفظلمات عظامُ
 وتكدح فيما سوف تكره غباً * كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ
 فلا أنت في النوم يوماً بسالمٍ * ولأنت في الايقاظ يقظان حازمُ

وروى ابن أبي الدنيا بسنده عن فاطمة بنت عبد الملك قالت : انتبه عمر ذات ليلة وهو يقول :
 لقد رأيت الليلة رؤيا محجية ، فقلت : أخبرني بها ، فقال : حتى نصبح ، فلما صلى بالمسلمين دخل

فسألته فقال : رأيت كأنى دفعت إلى أرض خضراء واسعة كأنها بساط أخضر وإذا فيها قصر كأنه الفضة نخرج منه خارج فننادى أين محمد بن عبد الله ، أين رسول الله ؟ إذ أقبل رسول الله . ، حتى دخل ذلك القصر ، ثم خرج آخر فننادى : أين أبو بكر الصديق ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادى أين عمر بن الخطاب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادى أين علي بن أبي طالب ؟ فأقبل فدخل ، ثم خرج آخر فننادى أين عبد العزيز ؟ نعمت فدخلت فجلست إلى جانب أبي عمر بن الخطاب ، وهو عن يسار رسول الله . ، وأبو بكر عن يمينه ، وبينه وبين رسول الله . رجل ، فقلت : لابي : من هذا ؟ قال : هذا عيسى بن مريم ، ثم سمعت هاتفاً يهتف بيني وبينه نور لا أراه ، وهو يقول : يا عمر بن عبد العزيز تمسك بما أنلت عليه ، واثبت على ما أنت عليه ، ثم كأنه أذن لي في الخروج فخرجت ، فالتفت فإذا عثمان بن عفان وهو خارج من القصر وهو يقول : الحمد لله الذي نصرني ربي ، وإذا علي في إثره وهو يقول : الحمد لله الذي غفر لي ربي .

فصل في مناقب

وقد ذكرنا في دلائل النبوة الحديث الذي رواه أبو داود في سننه أن رسول الله . قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . فقال جماعة من أهل العلم منهم أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن الجوزي وغيره : إن عمر بن عبد العزيز كان على رأس المائة الأولى ، وإن كان هو أولى من دخل في ذلك وأحق ، لأمامته وصوم ولايته ، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما تشبه به . وقد جمع الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي سيرة لعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ، وقد أفردنا سيرة عمر بن الخطاب في مجلد على حدة ، ومسند في مجلد ضخيم ، وأما سيرة عمر بن عبد العزيز فقد ذكرنا منها طرفاً صالحاً هنا ، يستدل به على ما لم نذكره .

وقد كان عمر رحمه الله يمشي من انقطع إلى المسجد الجامع من بلده وغيرها ، لفقته ونشر العلم وتلاوة القرآن ، في كل عام من بيت المال مائة دينار ، وكان يكتب إلى عماله أن يأخذوا بالسنة ، ويقول : إن لم تصلحهم السنة فلا أصلحهم الله ، وكتب إلى سائر البلاد أن لا يركب ذي من اليهود والنصارى وغيرهم على سرج ، ولا يلبس قباء ولا طيلساناً ولا سراويل ، ولا يمشين أحد منهم إلا بزئار من جلد ، وهو مقرون الناصية ، ومن وجد منهم في منزله سلاح أخذ منه . وكتب أيضاً أن لا يستعمل على الأعمال إلا أهل القرآن ، فإن لم يكن عندهم خير فخيرهم أولى أن لا يكون عنده خير . وكان يكتب إلى عماله : اجتنبوا الأشغال عند حضور الصلاة ، فإن من أضعافها فهو مساوها

من شرائع الاسلام أشد تضييماً . وقد كان يكتب الموعدة إلى العامل من عماله فينخلع منها ، وربما عزل بعضهم نفسه عن العلة وطوى البلاد من شدة ماتقع موعظته منه ، وذلك أن الموعدة إذا خرجت من قلب الواعظ دخلت قلب الموعوظ . وقد صرح كثير من الأئمة بأن كل من استعمله عمر بن عبد العزيز ثقة ، وقد كتب إليه الحسن البصري بمواعظ حسان ولو تقصينا ذلك لطال هذا الفصل . ولكن قد ذكرنا ما فيه إشارة إلى ذلك . وكتب إلى بعض عماله : أذكر ليلة تمخض بالساعة فصباحها القيامة ، فيها من ليلة وياله من صباح ، وكان يوماً على الكافرين عسيرا . وكتب إلى آخر : أذكرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ، وانقطاع الرجاء منك ، قالوا : نخلع هذا العامل نفسه من العلة وقدم على عمر فقال له : مالك ؟ فقال : خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين ، والله لا أعود إلى ولاية أبداً .

قصص الملوك

وقد رد جميع المظالم كما قدمنا ، حتى انه رد فص خاتم كان في يده ، قال : أعطانيه الوليد من غير حقه ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعم في الملابس والمأكل والمتاع ، حتى انه ترك التمتع بزوجه الحسناء ، فاطمة بن عبد الملك ، يقال كانت من أحسن النساء ، ويقال إنه رد جهازها إلى بيت المال ، والله أعلم . وقد كان دخله في كل سنة قبل أن يلى الخلافة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كله حتى لم يبق له دخل سوى أربع مائة دينار في كل سنة ، وكان حاصله في خلافته ثلاثمائة درهم ، وكان له من الأولاد جماعة ، وكان ابنه عبد الملك أجملهم ، فات في حياته في زمن خلافته ، حتى يقال إنه كان خيراً من أبيه ، فلما مات لم يظهر عليه حزن ، وقال : أمر رضى الله فلا أكرهه ، وكان قبل الخلافة يؤتى بالقميص الرفيع اللين جداً فيقول : ما أحسنه لولا خشونة فيه ، فلما ولي الخلافة كان بعد ذلك يلبس القميص الغليظ المرقوع ولا يفسله حتى يتسخ جداً ، ويقول : ما أحسنه لولا لينه . وكان يلبس الفرو الغليظة ، وكان سراجة على ثلاث قصبات في رأسه طين ، ولم يبين شيئاً في أيام خلافته ، وكان يخدم نفسه بنفسه ، وقال : ما تركت شيئاً من الدنيا إلا عوضني الله ما هو خير منه ، وكان يأكل الغليظ ولا يبالى بشئ من النعم ، ولا يتبعه نفسه ولا يوده . حتى قال أبو سليمان الداراني : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني ، لأن عمر ملك الدنيا بخذا فيرها وزهد فيها ، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون ؟ ليس من جرب كمن لم يجرب . وتقدم قول مالك بن دينار : إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز . وقال عبد الله بن دينار : لم يكن عمر يرتزق من بيت المال شيئاً ، وذكروا أنه أمر جارية تروحه حتى ينام فروخته ، فنامت هي ، فأخذ المروحة من يدها وجعل

بروحها ويقول : أصابك من الحر ما أصابني . وقال له رجل : جزاك الله عن الاسلام خيراً . فقال : بل جزى الله الاسلام عني خيراً . ويقال إنه كان يلبس تحت ثيابه مسحاً غليظاً من شعر ، ويضع في رقبته غللاً إذا قام يصلي من الليل ، ثم إذا أصبح وضعه في مكان وختم عليه فلا يشعر به أحد ، وكانوا يغفلونهم مالا أو جوهرا من حرصه عليه ، فلما مات فتحوا ذلك المسكن فاذا فيه غل ومسح .

وكان يبكي حتى يبكي الدم من الدموع ، ويقال إنه بكى فوق سطح حتى سالت دموعه من الميزاب ، وكان يأكل من العسس ليرق قلبه وتغزر دمعته ، وكان إذا ذكر الموت اضطربت أو صاله ، وقرأ رجل عنده [وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين] الآية ، فبكى بكاء شديداً ثم قام فدخل منزله وتفرق الناس عنه ، وكان يكثر أن يقول : اللهم سلم سلم ، وكان يقول : اللهم أصلح من كان في صلاحه صلاح لأمة محمد صلى الله عليه وآله وأهلك من كان في هلاكه صلاح أمة محمد صلى الله عليه وآله . وقال : أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم . وقال : لو أن المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخبير ، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلث الواعظون والساعون لله بالنصيحة . وقال : الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء ففتمهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء ففرتهم وشنتهم وأبمدتهم عن الله . وقال : قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع . وقال لرجل : من سيد قومك ؟ قال : أنا ، قال : لو كنت كذلك لم تقبله . وقال : أزهّد الناس في الدنيا على بن أبي طالب . وقال : لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه ، أعطى أو منع . وقال : قيّدوا العلم بالكتاب ، وقال لرجل : علم ولدك الفقه الأكبر : الفئاعة وكف الأذى . وتكلم رجل عنده فأحسن فقال : هذا هو السحر الحلال . وقصته مع أبي حازم مطولة حين رأى خليفة وقد شحب وجهه من التقشف : وتغير حاله ، فقال له : ألم يكن ثوبك نقيا ؟ ووجهك ضيا ؟ وطعامك شهيا ؟ ومركبك وطيا ؟ فقال له : ألم تخبرني عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إن من ورائكم عقبة كئودا لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » ؟ ثم بكى حتى غشى عليه ، ثم أفاق فذكر أنه لقي في غشيته تلك أن القيامة قد قامت ، وقد استدعى بكل من الخلفاء الأربعة ، فأمر بهم إلى الجنة ، ثم ذكر من بينه وبينهم فلم يدر ما صنع بهم ، ثم دعى هو فأمر به إلى الجنة ، فلما انفصل لقيه سائل فسأله عما كان من أمره فأخبره ، ثم قال للسائل : فمن أنت ؟ قال : أنا الحجاج بن يوسف ، قتلى ربي كل قتلة قتلة ، ثم ها أنا أنتظر ما ينتظره الموحدون . وفضائله وآثره كثيرة جدا ، وفيها ذكرنا كفاية والله الحمد والمنة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة لنا إلا به .

ذكر سبب وفاته رحمه الله

كان سببها السل ، وقيل سببها أن مولى له سمه في طعام أو شراب ، وأعطى على ذلك ألف

دينار، فحصل له بسبب ذلك مرض، فأخبر أنه مسموم، فقال: لقد علمت يوم سقيت السم، ثم استدعى مولاة الذي سقاه، فقال له: ويحك!! ما حملك على ما صنعت؟ فقال: ألف دينار أعطيتها، فقال: هاتما، فأحضرها فوضعها في بيت المال، ثم قال له: اذهب حيث لا يراك أحد قهلك. ثم قيل لعمر: تدارك نفسك، فقال: والله لو أن شفاى أن أمس شحمة أذن أو أوتى بطيب فأشمه ما فعلت، فقيل له: هؤلاء بنوك - وكانوا اثني عشر - ألا توصي لهم بشئ فانهم يقرأون؟ فقال: [إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين] والله لا أعطيتهم حق أحد وهم بين رجلين إما صالح فآله يتولى الصالحين، وإما غير صالح فسا كنت لأعينه على فسقه. وفي رواية فبلا أبالي في أى وادهلك. وفي رواية أفأدع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ما كنت لأفعل. ثم استدعى بأولاده فودعهم وعزاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال: انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم. قال: فلقد رأينا بعض أولاد عمر ابن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرس في سبيل الله، وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك - مع كثرة ما ترك لهم من الأموال - يتعاطى ويسأل من أولاد عمر بن عبد العزيز، لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل، وسليمان وغيره إنما يكون أولادهم إلى ما يدعون لهم، فيضيعون وتذهب أموالهم في شبهات أولادهم. وقال يعقوب بن سفيان: ثنا أبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قيل لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لو أنيت المدينة، فإن قضى الله موتا دفنت في القبر الرابع مع رسول الله ص، وأبى بكر وعمر، فقال: والله لأن يعذبني الله بكل عذاب، إلا النار فإنه لا صبر لي عليها، أحب إلى من أن يعلم الله من قلبي أنى لذلك الموضع أهل. قالوا: وكان مرضه بدير سمعان من قرى حصن وكانت مدة مرضه عشرين يوما، ولما احتضر قال: أجلسوني فأجلسوه فقال: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فمصببت، ثلاثا، ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأخذ النظر، فقالوا: إنك لتنظر نظرا شديدا يا أمير المؤمنين، فقال: إني لأرى حضرة مامم بآنس ولا جان، ثم قبض من ساعته. وفي رواية أنه قال لأهله: اخرجوا عني، فخرجوا وجلس على الباب مسلما بن عبد الملك وأخته فاطمة، فسموه يقول: مرحبا بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إانس ولا جان ثم قرأ [تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين] ثم هدا الصوت فدخلوا عليه فوجدوه قد غمض وسوى إلى القبلة وقبض.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن الدراوردي عن عبد العزيز بن أبي سلمة أن عمر بن عبد العزيز لما وضع عند قبره هبت ريح شديدة فسقطت صحيفة بأحسن كتاب

فقرأوها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . فأدخلوها بين أكتافها ودفنوها معه .

وروى نحو هذا من وجه آخر ابن عساكر في ترجمة عبد الصمد بن إسماعيل بسنده عن عمير ابن حبيب السلمي ، قال : أسرت أنا وثمانية في زمن بني أمية ، فأمر ملك الروم بضرب رقابنا ، فقتل أصحابي وشفع في بطريق من بطارقة الملك ، فأطلقني له ، فأخذني إلى منزله ، وإذاله ابنة مثل الشمس ، فعرضها عليّ عليّ أن يقاسمني نعمته وأدخل معه في دينه فأبيت ، وخلت بي ابنته فعرضت نفسها عليّ فامتنعت ، فقالت : ما يمنعك من ذلك ؟ فقلت : يمنعني ديني ، فلا أترك ديني لامرأة ولا لشيء . فقالت : تريد الذهاب إلى بلادك ؟ قلت : نعم ، فقالت : سر على هذا النجم بالليل واكن بالبحار ، فانه يلقيك إلى بلادك ، قال : فسرت كذلك ، قال فبينما أنا في اليوم الرابع مكن إذا بخيل مقبلة فخشيت أن تكون في طلبي ، فإذا أنا بأصحابي الذين قتلوا ومعهم آخرون على دواب شهب ، فقالوا : عمير ؟ فقلت : عمير . فقلت : لهم أوليس قد قتلتم ؟ قالوا : بلى ، ولكن الله عز وجل نشر الشهداء وأذن لهم أن يشهدوا جنازة عمر بن عبد العزيز ، قال : ثم قال لي بعضهم : ناولني يدك يا عمير ، فأردفتي فسرنا يسيراً ثم قذف بي قذفة وقعت قرب منزلي بالجزيرة ، من غير أن يكون لحفي شر . وقال رجاء بن حيوة : كان عمر بن عبد العزيز قد أوصى إلى أن أغسله وأكفنه ، فإذا حلت عقدة

الكنن أن أنظر في وجهه فادلى ، ففعلت فإذا وجهه مثل القراطيس بياضاً ، وكان قد أخبرني أنه كل من دفنه قبله من الخلفاء وكان يحل عن وجوههم فإذا هي مسودة . وروى ابن عساكر في ترجمة يوسف ابن ماهك قال : بينما نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز إذ سقط علينا من السماء كتاب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم أمان من الله لعمر بن عبد العزيز من النار . ساقه من طريق إبراهيم بن بشار عن عباد بن عمرو عن محمد بن يزيد البصري عن يوسف بن ماهك فذكره ، وفيه غرابة شديدة والله أعلم . وقد رُئي له منامات صالحة ، وتأسف عليه الخاصة والعامة ، لاسيما العلماء والزهاد والعباد . ورناء الشعراء ، فن ذلك ما أنشده أبو عمرو الشيباني لكثير غزاة برى عمر :-

عمت صنائعه فعم هلاكه * فالتاس فيه كلهم مأجور
والناس مأثم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم تولى * خيراً لأنك بالبناء جدير
ردت صنائعه عليه حياته * فكأنه من نشرها مشور

وقال جرير برى عمر بن عبد العزيز رحمه الله :-

ينى النعمة أمير المؤمنين لنا * ياخير من حج بيت الله واعتمر

حملت أمراً عظيماً فاضطلعت به * وسرت فيه بأمر الله يا عمرا
الشمس كاسفة ليست بطالعة * تبكي عليك نجوم الليل والقمر
وقال محارب بن دينار رحمه الله يرى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى :-
لو أعظم الموت خلقاً أن يواقع * لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة عدل قد نعت لهم * كادت تموت وأخرى منك فتتظر
يا لهف نفسي ولهف الواجدين معي * على العدول التي تفتالها الحفر
ثلاثة مارات عني لهم شهاً * تضم أعظمهم في المسجد الحفر
وأنت تتبعهم لم تال مجتهداً * سقياً لها سنن بالحق تفتقر
لو كنت أملك الأقدار غالباً * تأتي رواحاً وتدياناً وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه * بدير سمان لكن يغلب القدر

قالوا : وكانت وفاته بدير سمان من أرض حصص ، يوم الخميس ، وقيل الجمعة لخمس مصين ، وقيل
بقين من رجب ، وقيل لعشر بقين منه ، سنة إحدى وقيل ثنتين ومائة ، وصلى عليه ابن عمه مسلمة
ابن عبد الملك ، وقيل صلى عليه يزيد بن عبد الملك ، وقيل ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ،
وكان عمره يوم مات تسعاً وثلاثين سنة وأشهرآ ، وقيل إنه جاوز الأربعين بأشهر ، وقيل بسنة .
وقيل بأكثر ، وقيل إنه عاش ثلاثاً وستين سنة ، وقيل ستاً وثلاثين ، وقيل سبعاً وثلاثين ، وقيل
ثمانياً وثلاثين سنة ، وقيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ولم يبلغها . وقال أحمد عن عبد الرزاق
عن معمر : مات على رأس خمس وأربعين سنة . قال ابن عساکر : وهذا وهم ، والصحيح الأول
تسعاً وثلاثين سنة وأشهرآ . وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، وقيل أربعة عشر يوماً ،
وقيل سنن ونصف .

وكان رحمه الله أسمر دقيق الوجه حسنه نحيف الجسم حسن اللحية غائر العينين ، بمجته أثر شجة
وكان قد شاب وخضب رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

فصل في

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع
الخلافة قبله ، فقال له عمر : مالي ولك ؟ تنح عني ، إنما أنا رجل من المسلمين . ثم سار وساروا معه
حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ! إني قد ابتليت بهذا الأمر
عن غير رأيي كان مني فيه ، ولا طلبه له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإني قد خلعت ما في أعناقكم
من بيعتي ، فاخاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون . فصاح المسلمون ضيحة واحدة : قد اخترناك

لأنفسنا وأمرنا ، ورضينا كلنا بك . فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بنفوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شئ ، وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فانه هادم اللذات ، وأحسنوا الاستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف في ربه ولا في كتابها ولا في نبيها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم ، وإني والله لا أعطي أحداً باطلا ، ولا أمنع أحداً حقاً . ثم رفع صوته فقال : أيها الناس ! من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . ثم نزل فدخل فأمر بالسور ففتكت والثياب التي كانت تبسط للخلفاء أمر بها فبيعت ، وأدخل أثمانها في بيت المال ، ثم ذهب يقبوا مقيلا ، فأقاه ابنه عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ما ذا تريد أن تصنع ؟ قال : يا بني أقبل ، قال : تقبل ولا ترد المظالم إلى أهلها ؟ فقال : إني سهرت البارحة في أمر سليمان ، فاذا صليت الظهر رددت المظالم . فقال له ابنه : ومن لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال : أدن مني أي بني ، فدنا منه فقبل بين عينيه وقال : الحمد لله الذي أخرج من صلبى من يعينى على ديني . ثم قام وخرج وترك القائة وأمر مناديه فنادى : ألا من كانت له مظلة فليرفعها ، فقام إليه رجل ذى من أهل حمص^(١) فقال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله ، قال : ما ذاك ؟ قال : العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبني أرضي . والعباس جالس ، فقال له عمر : يا عباس ماتقول ؟ قال : نعم ! أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لي بها سجلا ، فقال عمر : ما تقول يا ذى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى . فقال عمر : نعم كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ، قم فارده عليه ضيعته ، فردها عليه . ثم تنازع الناس في رفع المظالم إليه ، فما رفعت إليه مظلة إلا ردوها ، سواء كانت في يده أو في يد غيره حتى أخذ أموال بني مروان وغيرهم ، مما كان في أيديهم بغير استحقاق ، فاستغاث بنو مروان بكل واحد من أعيان الناس ، فلم يقدم ذلك شيئا ، فأتوا عنهم فاطمة بنت مروان - وكانت عمته - فشكوا إليها ما لقوا من عمر ، وأنه قد أخذ أموالهم ويُسْتَنْقَصُ صور عنده ، وأنه لا يرفع بهم رأسا ، وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء ، ولا ترد لها حاجة ، وكانوا يكرمونها ويعظمونها ، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة ، وقامت فركبت إليه ، فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها ، لأنها أخت أبيه ، وألقى لها وسادة ، وشرع يحادثها ، فرآها غضبي وهي على غير العادة ، فقال لها عمر : يا عمه مالك ؟ فقالت : بنو أخى عبد الملك وأولادهم يهانون في زمانك وولايتك ؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم ، ويسبون عندك فلا تنكر ؟ فضحك عمر وعلم أنها متحملة ، وأن عقلها قد كبر ، ثم شرع يحادثها والغضب لا يتحيز عنها ، فلما رأى ذلك أخذ معها في الجدة ، فقال : يا عمه ! اعلم أن النبي (ص) ،

(١) في الأصل « من أهل خضر » ومصحناه من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الحوزي صفحة ١٠٤

مات وترك الناس على نهر مورود ، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه شيئاً حتى مات ، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر ففكرى منه ساقية ، ثم لم يزل الناس بعده يكرون السواقي حتى تركوه يابساً لا قطرة فيه ، وإيم الله لئن أبقي الله لأردته إلى مجراه الأول ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط ، وإذا كان الظلم من الأقارب الذين هم بطانة الوالى ، والوالى لا يزيل ذلك ، فكيف يستطيع أن يزيل ما هو ناء عنه في غيرهم ؟ فقالت : فلا يسبوا عندك ؟ قال : ومن يسبهم ؟ إنما يرفع الرجل مظالمه فأخذ له بها . ذكر ذلك ابن أبى الدنيا وأبو نعيم وغيرهما ، وقد أشار إليه المؤلف إشارة خفية .

وقال مسلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر في مرضه فاذا عليه قيص وسخ ، فقلت لفاطمة : ألا تغسلوا قيص أمير المؤمنين ؟ فقالت : والله ماله قيص غيره ، وبكى فبكيت فاطمة فبكى أهل الدار ، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء ، فلما انجلت عنهم العبرة قالت فاطمة : ما أبكاك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني ذكرت منصرف الخلائق من بين يدي الله ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، ثم صرخ وغشى عليه .

وعرض عليه مرة مسك من بيت المال فسدّ أنفه حتى وضع ، فقيل له في ذلك فقال : وهل ينتفع من المسك إلا بريجه ؟ ولما احتضر دعا بأولاده وكانوا بضعة عشر ذكراً ، فغظروا إليهم فذرفت عيناه ثم قال : بنفسى الفتية . وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل كثيراً بهذه الأبيات : -

يرى مستكيناً وهو للقول ماقت * به عن حديث القوم ما هو شاغل
وأعجبه علم عن الجبل كله * وما عالم شيئاً كمن هو جاهل
عبوس عن الجهال حين يراهم * فليس له منهم خدين يهازله
تذكر ما يبيع من العيش فارغى * فأشغله عن عاجل العيش آجله

وروى ابن أبى الدنيا عن ميمون بن مهران قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده سابق البربرى وهو ينشده شعراً ، فاتمى في شعره إلى هذه الأبيات : -

فكم من صحيح بات للعوت آمناً * أتنه المنايا بفتنة بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بفتنة * فراراً ولا منه بقوت امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنناً * ولا يسمع الداعي وإن صوته رفع
وقرب من لحيد فصار مقيله * وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع
فلا يترك الموت الغنى ماله * ولا معدماً في المار إذا حاجة يدع

وقال رجا بن حيوة : لما مات أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وقام يزيد بن عبد الملك بعده

في الخلافة ، أنه عمر بن الوليد بن عبد الملك فقال يزيد يا أمير المؤمنين إن هذا المرأى - يعنى عمر ابن عبد العزيز - قد خان من المسلمين كل ما قدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين ، في بيتين في داره مملوئين ، وهما مفعولان على ذلك الدر والجوهر . فأرسل يزيد إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر : بلغنى أن عمر خاف جوهرآ ودرآ في بيتين مفعولين . فأرسلت إليه : يا أخى ما ترك عمر من سبب ولا لهد ، إلا ما في هذا المنديل . وأرسلت إليه به ، فحله فوجد فيه قيصا غليظا مرقوعا ، ورداه قشبا ، وجبة محشوة غليظة وأهية البطانة . فقال يزيد للرسول : قل لها : ليس عن هذا أسأل ، ولا هذا أريد ، إنما أسأل عما في البيتين . فأرسلت تقول له : والذي فجعنى بأمر المؤمنين ما دخلت هذين البيتين منذ ولى الخلافة ، لعملى بكرأته لذلك ، وهذه مفاتيحهما فتعال فحول ما فيهما لبيت مالك . فركب يزيد ومعه عمر بن الوليد حتى دخل الدار ففتح أحد البيتين فاذا فيه كرسى من آدم وأربع آجرات مبسوطات عند الكرسى ، وققم . فقال عمر بن الوليد : أستغفر الله ، ثم فتح البيت الثانى فوجد فيه مسجداً مفروشا بالحصى ، وسلسلة معلقة بسقف البيت ، فيها كهيئة الطوق بقدر ما يدخل الانسان رأسه فيها إلى أن تبلغ العنق ، كان إذا فتر عن العبادة أو ذكر بعض ذنوبه وضعها في رقبة ، وربما كان يضعها إذا نكس لئلا ينام ، ووجدوا صندوقا مقللا ففتح فوجدوا فيه سبطا ففتحوه فاذا فيه دراعة وتبان ، كل ذلك من مسوح غليظ ، فبكى يزيد ومن معه وقال : برحمك الله يا أخى ، إن كنت لنتى السريرة ، نقى العلانية . وخرج عمر بن الوليد وهو مخذول وهو يقول : أستغفر الله ، إنما قلت ما قيل لى .

وقال رجاء : لما احتضر جفل يقول : اللهم رضى بقضائك ، وبارك لى فى قدرك ، حتى لا أحب لما محببت تأخيرا ، ولا لما أخرت تعجيلا . فلا زال يقول ذلك حتى مات . وكان يقول : لقد أصبحت ومالى فى الأور هوى إلا فى مواضع قضاء الله فيها .

وقال شعيب بن صفوان : كتب سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إلى عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة : أما بعد يا عمر فانه قد ولى الخلافة والمالك قبلك أقوام ، فأتوا على ما قد رأيت ، ولقوا الله فرأى بعد الجوع والحفدة والحشم ، وعالجوا نزع الموت الذى كانوا منه يفرون ، فانفقت عينهم التى كانت لا تنفث تنظر لذاتها ، واندفنت رقابهم غير مؤسدين بعد لين الوسائد ، وتظاهر الفرش والمرافق والسرر والخدم ، والنشقت بطونهم التى كانت لا تشبع من كل نوع ولون من الأموال والأطعمة ، وصاروا جيفا بعد طيب الروائح العطرة ، حتى لو كانوا إلى جانب مسكين من كانوا يحقرونه وهم أحياء لتأذى بهم ، ولنفرت منهم ، بعد إنفاق الأموال على أغراضهم من الطيب واللباب الفاخرة اللينة ، كانوا ينفقون الأموال إسرافا فى أغراضهم وأهوائهم ، ويقترنون فى حق

الله وأمره ، فان استطعت أن تلقاهم يوم القيامة وهم محبوسون مرتنون بما عليهم ، وأنت غير محبوس ولا مرتن بشئ فافعل ، واستعن بالله ولا قوة إلا بالله تشيحه .

وما ملك عما قليل بسالم * ولو كثرت أحراسه ومواكبه

ومن كان ذاباب شديد وحاجب * فما قليل يهجر الباب حاجبه

وما كان غير الموت حتى تفرقت * إلى غير أعوانه وحبابه

فأصبح مسروراً به كل حاسد * وأسلمه أصحابه وحبابه

وقيل إن هذه الأبيات لغيره .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاخلاص : حدثنا عاصم بن عامر حدثنا أبي عن عبد ربه بن أبي هلال عن ميمون بن مهران قال : تكلم عمر بن عبد العزيز ذات يوم وعنده رهط من إخوانه ففتح له منطق وموعظة حسنة ، فنظر إلى رجل من جلسائه وقد ذرفت عيناه بالدموع ، فلما رأى ذلك عمر قطع منطقته ، فقلت له : يا أمير المؤمنين امض في موعظتك فإني أرجو أن ين الله به على من سمعه أو بلغه ، فقال إليك عني يا أبا أيوب ، فان في القول على الناس فتنه لا يخلص من شرها متكلم عليهم ، والفعال أولى بالؤمن من المقال . وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : استعملنا أقواماً كنا نرى أنهم أبرار أخيار ، فلما استعملناهم إذا هم يعملون أعمال الفجار ، قاتلهم الله ، أما كانوا يشنون على القبور ؟ ! وروى عبد الرزاق قال : سمعت ميمراً يذكر قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة - وبلغه عنه بعض ما يكره - : أما بعد فانه غرني بك مجالستك القراء ، وعمايتك السوداء ، وإرسالك إياها من وراء ظهرك ، وإنك أحسنت العلانية فأحسننا بك الظن ، وقد أطلعنا الله على كثير مما تعملون .

وروى الطبراني والدارقطني وغير واحد من أهل العلم بأسانيدهم إلى عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى عامل له : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده من من قد حارب سنته ، وكفوا مؤنته ، ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها - أو قال دليل عليها - فعملك لزوم السنة ، فانه إنما سمها من قد علم ما في خلافها من الزيغ والزلل ، والحق والخطأ والتعمق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد ، وإنما كان عملهم على الأسد ، ولو كان فيما يحملون أنفسهم فضل لكانوا فيه أخرى ، وإليه أجرى ، لأنهم السابقون إلى كل خير ، فان قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغب في نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، ولقد

قصر أقوام دينهم خفوا ، وطمح عنهم آخرون ففلوا ، فرحم الله ابن عبد العزيز . ما أحسن هذا القول الذى ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالتأبعة ومحبة ما كان عليه الصحابة ، فمن الذى يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم ؟ فرحمه الله وعفا عنه .

وروى الخطيب البغدادي من طريق يعقوب بن سفيان الحافظ عن سعيد بن أبي مريرم عن رشيد بن سعيد قال : حدثني عقيل عن شهاب عن عمر بن عبد العزيز . قال : سن رسول الله ﷺ ، وخلفاؤه بعده سننا ، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، ليس على أحد تغييرها ولا تبديلها ، ولا النظر في رأى من خالفها ، فمن اقتدى بما سبق هدى ، ومن استبصر بها أبصر ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى ، وأصله جهنم وساءت مصيرا .

وأمر عمر بن عبد العزيز مناديه ذات يوم فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس فخطبهم فقال في خطبته : إني لم أجمعكم إلا أن المصدق منكم بما بين يديه من لقاء الله والدار الآخرة ولم يعمل لذلك ويستعد له أحق ، والمكذب له كافر . ثم تلا قوله تعالى [ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم] وقوله تعالى [وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون]

وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه أرسل أولاده مع مؤدب لهم إلى الطائف يعلمهم هناك ، فكتب إليه عمر : بئس ما علمت ، إذ قدمت إمام المسلمين صبيا لم يعرف النية - أولم تدخله النية - ذكره في كتاب النية له . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الرقة والبكاء ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز أنه قال له : يا بني ليس الخير أن يسمع لك وتطاع ، وإنما الخير أن تكون قد غفلت عن ربك عز وجل ثم أظمت ، يا بني لا تأذن اليوم لأحد على حتى أصبح ويرتفع النهار ، فاني أخاف أن لا أعقل عن الناس ولا يفهمون عني ، فقال له مولا : رأيك البارحة بكيت بكاء ما رأيك بكيت مثله ، قال فبكيت ثم قال : يا بني إني والله ذكرت الوقوف بين يدي الله عز وجل . قال : ثم غشي عليه فلم يبق حتى علا النهار ، قال : فما رأيته بعد ذلك متبسما حتى مات .

وقرأ ذات يوم [وما تكون في شأن وما تنلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا] الآية ، فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار ، فجاءت فاطمة فجلست تبكي لبكائه وبكى أهل الدار لبكائهما ، فجاء ابنه عبد الملك فدخل عليهم وهم على تلك الحال ، فقال له : يا أبة ما يبكيك ؟ فقال : يا بني خير ، ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه ، والله يا بني لقد خشيت أن أهلك وأن أكون من أهل النار .

وروى ابن أبي الدنيا عن عبد الأعلى بن أبي عبد الله العنبري . قال : رأيت عمر بن عبد العزيز

خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، وراه خبشي يمشي ، فلما انتهى إلى الناس رجع الخبشي ، فكان عمر إذا انتهى إلى الرجلين قال : هكذا رحمك الله ، حتى صعد المنبر فخطب فقرأ [إذا الشمس كورت] فقال : وما شأن الشمس [وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلقت] فبكى وبكى أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء حتى رأيت حيطان المسجد تبكي معه ، ودخل عليه أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين جاءتني إليك الحاجة ، وانتهيت إلى الغاية ، والله سائلك عني . فبكى عمر وقال له : كم أنتم ؟ فقال : أنا وثلاث بنات . ففرض له على ثلاثمائة ، وفرض لبناته مائة مائة ، وأعطاه مائة درهم من ماله ، وقال له : اذهب فاستنقعها حتى تخرج أعطيات المسلمين فتأخذ معهم .

وجاءه رجل من أهل أذربيجان فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين اذكر بمقامي هذا بين يديك مقامك غداً بين يدي الله ، حيث لا يشغل الله عنك فيه كثرة من يخاصم من الخلاق ، من يوم تلقاه بلائقة من العمل ، ولا براءة من الذنب ، قال : فبكى عمر بكاء شديداً ثم قال له : ما حاجتك ؟ فقال : إن عاملك بأذربيجان عدداً عليّ فأخذ مني اثني عشر ألف درهم فجعلها في بيت المال . فقال عمر : اكتبوا له الساعة إلى عاملها ، فليرد عليه ، ثم أرسله مع البريد . وعن زياد مولى ابن عياش قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز في ليلة باردة شاتية ، فجعلت أصطلي على كانوا هناك ، فجاء عمر وهو أمير المؤمنين فجعل يصطلي معي على ذلك الكانون ، فقال لي : يا زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : قصّ عليّ ، قلت ما أنا بفاسّ ، فقال : تكلم ، قلت زياد ، فقال : ماله ؟ قلت : لا ينفعه من دخل الجنة إذا دخل النار ، ولا يضره من دخل النار إذا دخل الجنة ، فقال : صدقت ، ثم بكى حتى أطفأ الجمر الذي في الكانون .

وقال له زياد العبدى : يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك في الوصف واعلمها في الخرج مما وقعت فيه ، فلو أن كل شعرة فيك نطقت بحمد الله وشكره والثناء عليه ما بلغت كنه ما أنت فيه ، ثم قال له زياد : يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألدّ ماله ؟ قال : سيّء الحال ، قال : فان كانا خصمين أدين ؟ قال : فهو أسوأ حالا ، قال : فان كانوا ثلاثة ؟ قال : ذاك حيث لا ينهته عيش . قال : فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد (ص) إلا وهو خصمك ، قال : فبكى عمر حتى تمنيت أني لم أكن حدثته ذلك . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة وأهل البصرة : أما بعد فان من الناس من شاب في هذا الشراب ، ويفشون عنده أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، فسفكوا له الدم الحرام ، وارتكبوا فيه الفروج الحرام ، والمال الحرام ، وقد جعل الله عن ذلك مندوحة من أشربة حلال ، فن انتبذ فلا ينتبذ إلا من أسقية الأدم ، واستغنوا بما أحل الله عما حرم ، فاننا من وجدناه شرب شيئاً مما حرم الله بعد ما تقدمنا إليه ، جعلنا له عقوبة شديدة ،

ومن استخف بما حرم الله عليه فأنه أشد عقوبة له وأشد تنكيلا

خلافة يزيد بن عبد الملك

يولع له بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك أن يكون ولي الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز ، فلما توفي عمر في رجب من هذه السنة - أغنى سنة إحدى ومائة - بإيعة الناس البيعة العامة ، وعمره إذ ذاك تسع وعشرون سنة ، فعزل في رمضان منها عن إمرة المدينة أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وولى عليها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، فجرت بينه وبين أبي بكر بن حزم منافسات وضغائن ، حتى آل الأمر إلى أن استدرك عليه حكومة فحده حين فيها

وفيهما كانت وقعة بين الخوارج ، وهم أصحاب بسطام الخارجي ، وبين جنود الكوفة ، وكانت الخوارج جماعة قليلة ، وكان جيش الكوفة نحواً من عشرة آلاف فارس ، وكادت الخوارج أن تكسرهم ، فندموا وبينهم فطحنوا الخوارج طحناً عظيماً ، وقتلوا عن آخرهم ، فلم يبق منهم نائرة . وفيها خرج يزيد بن المهلب نفلع يزيد بن عبد الملك واستحوذ على البصرة ، وذلك بعد محاصرة طويلة ، وقتل طويل ، فلما ظهر عليهما بسط العدل في أهلها ، وبذل الأموال ، وحبس عاملها عدى ابن أوطاة ، لأنه كان قد حبس آل المهلب الذين كانوا بالبصرة ، حين هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز ، كما ذكرنا ، ولما ظهر على قصر الأمارة أتى بعدى بن أوطاة فدخل عليه وهو يضحك ، فقال يزيد بن المهلب : إني لأعجب من ضحكك ، لأنك هربت من القتال كما تهرب النساء ، وإنك جئتني وأنت تثلُّ كما يتل العبد . فقال عدى : إني لأضحك لأن بقائي بقاء لك وأن من ورأى طالبا لا يتركني ، قال : ومن هو ؟ قال : جنود بني أمية بالشام ، ولا يتركونك ، فدارك نفسك قبل أن يرمى إليك البحر بأواجه ، فتنطاب الأقالمة فلا تقال . فرد عليه يزيد جواباً ، فقال ، ثم سمعته كما سجن أهله ، واستقر أمر يزيد بن المهلب على البصرة ، وبعث نوابه في النواحي والجهات ، واستناب في الأهواز ، وأرسل أخاه مدرك بن المهلب على نيابة خراسان ، ووجه جماعة من المقاتلة ، فلما بلغ خبره الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك في أربعة آلاف ، مقدمة بين يدي معه مسلمة بن عبد الملك ، وهو في جنود الشام ، قاصدين البصرة لقتاله ، ولما بلغ يزيد بن المهلب مخرج الجيوش إليه خرج من البصرة واستناب عليها أخاه مروان بن المهلب ، وجاء حتى نزل واسط ، واستشار من معه من الأمراء فيما إذا يمتد ؟ فاختلفوا عليه في الرأي ، فأشار عليه بعضهم بأن يسير إلى الأهواز ليتحصن في رؤس الجبال ، فقال : إنما تريدون أن نجعلوني طائراً في رأس جبل ؟ وأشار عليه رجال أهل العراق أن يسير إلى الجزيرة فينزلها بأحسن حصن فيها ، ويجمع

عليه أهل الجزيرة فيقاتل بهم أهل الشام ، وانسلخت هذه السنة وهو نازل بواسط وجيش الشام قاصده .
وحج بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس أمير المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وعلى
قضاها عامر الشعبي ، وعلى البصرة يزيد بن المهلب . قد استحوذ عليها وخلع أمير المؤمنين يزيد
ابن عبد الملك . وفيها توفي عمر بن عبد العزيز ، ورعي بن حراش ، وأبو صالح السخن وكان عابداً
صادقاً ثباتاً ، وقد ترجمناه في كتابنا التكميل والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين ومائة

فيها كان اجناح مسلمة بن عبد الملك مع يزيد بن المهلب ، وذلك أن يزيد بن المهلب ركب من
واسط واستخلف عليها ابنه معاوية ، وسار هو في جيش ، وبين يديه أخوه عبد الملك بن المهلب ،
حتى بلغ مكاناً يقال له المقر ، وانتهى إليه مسلمة بن عبد الملك في جنود لا قبل ليزيد بها ، وقد
التقت المقدمةان أولاً فاقتلوا قتلاً شديداً ، فهزم أهل البصرة أهل الشام ، ثم تذاصر أهل الشام
لحملا على أهل البصرة فهزموهم وقتلوا منهم جماعة من الشجعان ، منهم المنتوف ، وكان شجاعاً
مشهوراً ، وكان من موالى بكر بن وائل ، فقال في ذلك الفرزدق :

تبكى على المنتوف بكر بن وائل * وتنهى عن ابني مسمع من بكاهما

فأجابه الجعد بن درهم مولى الثوريين من همدان ، وهذا الرجل هو أول الجهمية ، وهو الذي
ذبحه خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى فقال الجعد : -

نبكى على المنتوف في نصر قومه * وليقنا نبكى الشائد بن أباهما

أرادا فناء الحلي بكر بن وائل * فمزّ تميم لو أصيب فساها

فلا لقياً روحاً من الله ساعة * ولا رقأت عينا شجى بكاهما

أف الفشي نبكى إن بكينا عليهما * وقد لقياً بالقشر فينا رداها

ولما اقترب مسلمة وابن أخيه العباس بن الوليد من جيش يزيد بن المهلب ، خطب يزيد بن
المهلب الناس وحرّضهم على القتال - يعني قتال أهل الشام - وكان مع يزيد نحو من مائة ألف ،
وعشرين ألفاً ، وقد بايعوه على السمع والطاعة ، وعلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله ، وعلى أن
لا يظأ الخلود بلادهم ، وعلى أن لا تعاد عليهم سيرة الفاسق الحجاج ، ومن بايننا على ذلك قبلنا
منه ، ومن خالفنا قاتلناه .

وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة ،
وينهاهم أشد النهي ، وذلك لما وقع من القتال الطويل المريض في أيام ابن الأشعث ، وما قتل بسبب

ذلك من النفوس العديدة ، وجمل الحسن بخطب الناس ويظهم في ذلك ، وبأمرهم بالكف ، فبلغ ذلك نائب البصرة عبد الملك بن المهلب ، فقام في الناس خطيباً فأمرهم بالجد والجهاد ، والنفر إلى القتال ، ثم قال : ولقد بلغني أن هذا الشيخ الضال المرائي - ولم يسمه - يثبط الناس ، أما والله ليكفن عن ذلك أو لأفعلن ولا فعلن ، وتوعد الحسن ، فلما بلغ الحسن قوله قال : أما والله ما أكره أن يكرمني الله بهوانه ، فسلمه الله منه حتى زالت دولتهم ، وذلك أن الجيوش لما تواجعت تبارز الناس قليلا ، ولم ينشب الحرب شديدا حتى فر أهل العراق سريماً ، وبلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه حرق فانهمزوا ، فقال : يزيد بن المهلب : ما بال الناس ؟ ولم يكن من الأمر ما يفر من مثله ، فقيل له : إنه بلغهم أن الجسر الذي جاؤا عليه قد حرق . فقال : قبحهم الله ، ثم رام أن يرد المنهزمين فلم يمكنه ، فثبت في عصابة من أصحابه وجمل بعضهم يتسللون منه حتى بقي في شذمة قليلة ، وهو مع ذلك يسير قدما لا يمر بخيل إلا هزمهم ، وأهل الشام يتجاوزون عنه يمينا وشمالا ، وقد قتل أخوه حبيب بن المهلب ، فازداد حنقا وغيطاً ، وهو على فرس له أشهب ، ثم قصد نحو مسلة بن عبد الملك لا يريد غيره ، فلما واجهه حملت عليه خيول الشام فقتلوه ، وقتلوا معه أخاه محمد بن المهلب ، وقتلوا السبيذع ، وكان من الشجعان ، وكان الذي قتل يزيد بن المهلب رجل يقال له القجل بن عياش ، فقتل إلى جانب يزيد ابن المهلب ، وجاؤا برأس يزيد إلى مسلة بن عبد الملك ، فأرسله مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى أخيه أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ، واستخوذ مسلة على مافي معسكر يزيد بن المهلب ، وأسر منهم نحواً من ثلاثمائة ، فبعث بهم إلى الكوفة ، وبعث إلى أخيه فيهم ، فجاء كتابه بقتلهم ، فسار مسلة فنزل الحيرة

ولما انتهت هزيمة ابن المهلب إلى ابنه معاوية وهو بواسط ، عمد إلى نحو من ثلاثين أسيراً في يده فقتلهم ، منهم نائب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، عدى بن أرطاة رحمه الله وابنه ، ومالك وعبد الملك ابنا مسمع ، وجماعة من الأشراف ، ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه الخزائن من الأموال ، وجاء معه عمه المفضل بن المهلب إليه ، فاجتمع آل المهلب بالبصرة فأعدوا السفن ونجحوا وأتم الجهاز ، واستعدوا للهرب ، فساروا بعيالهم وأقاربهم حتى أتوا عبال كرمان فنزلوها ، واجتمع عليهم جماعة ممن قل من الجيش الذي كان مع يزيد بن المهلب ، وقد أمروا عليهم المفضل بن المهلب ، فأرسل مسلة جيشا عليهم هلال بن ماجور الحاربي في طلب آل المهلب ، ويقال إنهم أمر وا عليهم رجلا يقال له مدرك بن ضب الكلبي ، فلحقهم ببجبال كرمان فاقتلوا هنالك قتلا شديداً ، فقتل جماعة من أصحاب المفضل وأسر جماعة من أشرافهم وانهزم بقيتهم ، ثم لحقوا المفضل فقتلوه وحمل رأسه إلى مسلة بن عبد الملك ، وأقبل جماعة من أصحاب يزيد بن المهلب فأخذوا لهم أماناً من أمير الشام

منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، ثم أرسلوا بالأتقال والأموال والذساء والندرية فوردت على مسلمة بن عبد الملك ومعهم رأس المفضل ورأس عبد الملك بن المهلب ، فبعث مسلمة بالرؤس وتسعة من الصبيان الحسان إلى أخيه يزيد ، فأمر بضرب أعناق أولئك ، ونصبت رؤسهم بدمشق ثم أرسلها إلى حلب فنصبت بها ، وحلف مسلمة بن عبد الملك لبيمن ذراري آل المهلب ، فاشترام بعض الأمراء إراراً لقسمه بمائة ألف ، فأعتقهم وبخل سبيلهم ، ولم يأخذ مسلمة من ذلك إلا مير شيئا وقد رنا الشعراء يزيد بن المهلب بقصائد ذكرها ابن جرير .

ولاية مسلمة على بلاد العراق وخراسان

وذلك أنه لما فرغ من حرب آل المهلب كتب إليه أخوه يزيد بن عبد الملك بولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فاستناب على الكوفة وعلى البصرة ، وبعث إلى خراسان ختنة - زوج ابنته - سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، الملقب بختنة ، فسار إليها فحرض أهلها على الصبر والشجاعة ، وعاقب عمالا ممن كان ينوب لآل المهلب ، وأخذ منهم أموالا جزيلة ، ومات بعضهم تحت العقوبة .

ذكر وقعة جرت بين الترك والمسلمين

وذلك أن خاقان الملك الأعظم ملك الترك ، بعث جيشا إلى الصفد لقتال المسلمين ، عليهم رجل منهم يقال له كورصول ، فأقبل حتى نزل على قصر الباهلي ، فحصره وفيه خلق من المسلمين ، فصالحهم نائب سمرقند - وهو عثمان بن عبيد الله بن مطرف - على أن يعين ألفا ، ودفع إليهم سبعة عشر دهنانا رهائن عندهم ، ثم نسب عثمان الناس فانتدب رجل يقال له المسيب بن بشر الرياحي في أربعة آلاف ، فساروا نحو الترك ، فلما كان في بعض الطريق [خطبهم] فحتمهم على القتال وأخبرهم أنه ذاهب إلى الأعداء لطلب الشهادة ، فرجع عنه أكثر من ألف ، ثم لم يزل في كل منزل يخطبهم ويرجع عنه بعضهم ، حتى بقي في سبعمائة مقاتل ، فسار بهم حتى غالق جيش الأتراك ، وهم محاصرو ذلك القصر ، وقد عزم المسلمون الذين هم فيه على قتل نسايتهم وذبح أولادهم أمامهم ، ثم ينزلون فيقاتلون حتى يقتلوا عن آخرهم ، فبعث إليهم المسيب يثبثهم يومهم ذلك ، فثبثوا ومكث المسيب حتى إذا كان وقت السحر فكبر وكبر أصحابه ، وقد جملوا شعارهم يامحمد ، ثم حملوا على الترك حملة صادقة ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وعقروا دواب كثيرة ، ونهبوا إلبهم الترك فقاتلهم قتالا شديدا ، حتى فر أكثر المسلمين ، وضربت دابة المسيب في عجزها فترجل وترجل معه الشجعان ، فقاتلوا وهم كذلك قتالا عظيما ، والتف الجماعة بالمسيب وصبروا حتى فتح الله عليهم ، وفر المشركون بين أيديهم هاربين لا يلبون على شيء ، وقد كان الأتراك في غاية الكثرة ، فنادى منادى المسيب :

أن لا يتقبوا أحداً ، وعليكم بالقصر وأهله ، فاحتلموهم وحازوا مافي ممسك أولئك الأتراك من الأموال والأشياء النفيسة وانصرفوا راجعين سالمين بمن معهم من المسلمين الذين كانوا محصورين ، وجاءت الترك من الغد فلم يجدوا به داعياً ولا نجياً ، فقالوا في انفسهم : هؤلاء الذين لقونا بالأمس لم يكونوا إنسا ، إنما كانوا جنأ . ومن توفى فيها من الأعيان والسادة :

الضحاك بن مزاحم الهلالي

أبو القاسم ، ويقال أبو محمد ، الخراساني ، كان يكون ببلخ وسمرقند ونيسابور ، وهو تابعي جليل روى عن أنس وابن عمر وأبي هريرة ، وجماعة من التابعين ، وقيل إنه لم يصح له سماع من الصحابة حتى ولا من ابن عباس سماع ، وإن كان قد روى عنه أنه جاوره سبع سنين ، وكان الضحاك إماما في التفسير ، قال الثوري : أخذوا التفسير عن أربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك ، وقال الامام أحمد : هو ثقة ، وأنكر شعبة سماعه من ابن عباس ، وقال : إنما أخذ عن سعيد عنه ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضعيفاً . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : لم يشافه أحداً من الصحابة ، ومن قال : إنه لقي ابن عباس فقد وهم ، وحملت به أمه سنتين ، ووضعت له أسنان ، وكان يعلم الصبيان حسبة ، وقيل إنه مات سنة خمس وقيل سنة ست ومائة والله أعلم .

أبو المتوكل الناجي

اسمه علي بن البصري ، تابعي جليل ، ثقة ، رفيع القدر ، مات وقد بلغ الثمانين رحمه الله تعالى ثم دخلت سنة ثلاث ومائة

فيها عزل أمير العراق وهو عمر بن هبيرة سعيد - الملقب خذينة - عن نيابة خراسان ، وولى عليها سعيد بن عمرو الجرشي ، باذن أمير المؤمنين ، وكان سعيد هذا من الأبطال المشهورين ، انزعج له الترك وخافوه خوفاً شديداً ، وتقهروا من بلاد الصفد إلى ما وراء ذلك ، من بلاد الصين وغيرها ، وفيها جمع يزيد بن عبد الملك لعبد الرحمن بن الضحاك بن قيس بين إمرة المدينة وإمرة مكة ، وولى عبد الرحمن الواحد بن عبد الله النضري نيابة الطائف . وحج بالناس فيها أمير الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس والله سبحانه وتعالى أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان :

يزيد بن أبي مسلم

أبو العلاء المدني . عطاء بن يسار الهلالي ، أبو محمد القاص المدني ، مولى ميمونة ، وهو أخو سليمان ، وعبد الله ، وعبد الملك ، وكلهم تابعي . وروى هذا عن جماعة من الصحابة ، وثقة غير واحد من الأئمة ، وقيل إنه توفى سنة ثلاث أو أربع ومائة ، وقيل توفى قبل المائة بالأسكندرية ، وقد جاوز الثمانين والله سبحانه أعلم .

مجاهد بن جبير المكي

أبو الحجاج القرشي الخزومي ، مولى السائب بن أبي السائب الخزومي ، أحد أئمة التابعين والمفسرين كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان أعلم أهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل إنه لم يكن أحد يريد بالعلم وجه الله إلا مجاهد وطاوس ، وقال مجاهد : أخذ ابن عمر بركابي وقال : وددت أن ابني سالما وغلami نافعا يحفظان حفظك . وقيل إنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل مرتين ، أفقه عند كل آية وأسأله عنها ، مات مجاهد وهو ساجد سنة مائة ، وقيل إحدى وقيل ثنتين وقيل ثلاث ومائة ، وقيل أربع ومائة ، وقد جاوز الثمانين والله أعلم .

فضيلة المجاهد

أسند مجاهد عن أعلام الصحابة وعلمائهم ، عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد ورافع بن خديج . وعنه خلق من التابعين . قال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا عبد الرزاق عن أبي بكر بن عياش قال : أخبرني أبو يحيى أنه سمع مجاهداً يقول : قال لي ابن عباس : لا تنمان إلا على وضوء فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه .

وروى الطبراني عنه أنه قال في قوله تعالى : (ادفع بالتي هي أحسن) قال : يسلم عليه إذا لقيه وقيل هي المصافحة . وروى عمرو بن مرة أنه قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : اتق لا يأخذك الله على ذنب لا ينظر فيه إليك فتلقاه حين تلقاه وليست لك حاجة . وروى ابن أبي شيبه عن أبي أمامة عن الأعمش عن مجاهد . قال : كان بالمدينة أهل بيت ذوى حاجة ، عندهم رأس شاة فأصابوا شيئا ، فقالوا : لو بعثنا بهذا الرأس إلى من هو أحوج إليه منا ، فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع إلى أصحابه الذين خرج من عندهم أولا . وروى ابن أبي شيبه عن أبي الأحوص عن منصور عن مجاهد قال : ما من مؤمن يموت إلا بكى عليه السماء والأرض أربعين صباحا . وقال : فلا أنفسهم يمدون . قال : في القبر . وروى الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبانة عن مجاهد قال : كان يحج من بني إسرائيل مائة ألف ، فإذا بلغوا أوصاف الحرم خلعوا ثيابهم ثم دخلوا الحرم حفاة . وقال يحيى بن سعيد القطان قال مجاهد في قوله تعالى : [يا مريم اقنتي لربك] قال : اطلبي الركود . وفي قوله تعالى : [واستغفر من استطعت منهم بصوتك] قال المزيمر . وقال في قوله تعالى [أنكلا وجهيا] قال : قيود . وقال في قوله : [لا حجة بيننا وبينكم] قال لا خصومة . وقال : [ثم لتسألن يومئذ عن النعيم] قال : عن كل لذة في الدنيا . وروى أبو الدبيع عن جرير ابن عبد الحسيب عن منصور عن مجاهد . قال : رن إبليس أربع زفات ، حين لمن ، وحين أهبط ،

وحين بعث النبي ﷺ: «وحين أنزلت [الحمد لله رب العالمين] وأنزلت بالمدينة . وكان يقال : الرنة والذرة من الشيطان ، فلن من رن أو نخر . وروى ابن نجيح عنه في قوله تعالى [أنبنون بكل ريع آية تعبثون] قال : بروج الحمام . وقال في قوله تعالى [أففقوا من طيبات ما كسبتم] قال : التجارة . وروى ليث عن مجاهد قال [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] قال : استقاموا فلم يشركوا حتى ماتوا . وروى يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبي عمير عن طلحة بن مصرف عن مجاهد [ولم يكن له كفوا أحد] قال : صاحبة . وقال ليث عن مجاهد قال : النملة التي كلمت سليمان كانت مثل الذئب العظيم

وروى الطبراني عن أبي نجيح عن مجاهد . قال : كان الفلام من قوم عاد لا يحتمل حتى يبلغ مائتي سنة . وقال : [سألت سائل] دعا داع . وفي قوله [ماء غدقا لنفتنهم فيه] حتى يرجعوا إلى علي فيه [لا يشركون بي شيئا] قال لا يحبون غيري . [الذين يمكرون السيئات] قال هم المراؤون . وفي قوله تعالى : [قل للذين آمنوا يغفرون للذين لا يرجون أيام الله] قال هم الذين لا يدرون أنهم الله عليهم أم لم ينم . ثم قرأ [وذكركم بأيام الله] قال : أيامه نعمه ونعمه . [فردوه إلى الله والرسول] فردوه إلى كتاب الله وإلى رسوله ما دام حيا ، فإذا مات فإلى سنته . [وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة] قال : أما الظاهرة فالإسلام والقرآن والرسول والرزق ، وأما الباطنة فإسعادكم من العيوب والذنوب . وروى الحكم عن مجاهد قال : لما قدمت مكة نساء على سليمان عليه السلام رأت حطبا جزلا فقالت لفلام سليمان : هل يعرف مولاك كم وزن دخان هذا الحطب ؟ فقال الفلام : دعى مولاى أنا أعرف كم وزن دخانه ، فكيف مولاى ؟ قالت : فكم وزنه ؟ فقال الفلام : يوزن الحطب ثم يهرق الحطب ويوزن رماده فما نقص فهو دخانه . وقال في قوله تعالى : [ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون] قال : من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين . وقال ما من يوم ينتقى من الدنيا إلا قال ذلك اليوم : الحمد لله الذى أراحنى من الدنيا وأهلها ، ثم يطوى عليه فيختم إلى يوم القيامة ، حتى يكون الله عز وجل هو الذى يفض خاتمه . وقال في قوله تعالى : [يؤتى الحكمة من يشاء] قال : العلم والفقه ، وقال إذا ولى الأمر منكم الفقهاء . وفي قوله تعالى : [ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله] قال : البدع والشبهات . وقال : أفضل العبادة رأى الحسن - يعنى اتباع السنة - وقال : ما أدرى أى النعمتين أفضل ، أن هدانى للإسلام ، أو عافانى من الأهواء ؟ . وقال في رواية : ألو الأمر منكم ، أصحاب محمد ، وربما قال : ألو العقل والفضل فى دين الله عز وجل [بما صنعوا قارعة] قال السرية . [يضاق ما لا تعلمون] . قال : السوس فى الثياب . [وهن العظم منى] قال : الأضراس . [حفيا] قال رحبا . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : وجدت فى كتاب محمد بن أبى جهم بخط يده : حدثنا

بشر بن الحارث حدثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد . قال : لو أن رجلا أنفق مثل أحد في طاعة الله عز وجل لم يكن من المسرفين . وفي قوله تعالى [وهو شديد المحال] قال : المداود [بينهما برزخ لا يبغيان] قال . بينهما حاجز من الله فلا يبغي الخلو على المالح ولا المالح على الخلو . وقال ابن منده : ذكر محمد بن حميد : حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش قال : كان مجاهد لا يسمع بأعجوبة إلا ذهب فنظر إليها ، قال : وذهب إلى حضرموت إلى بشر برهوت قال : وذهب إلى بابل قال : وعليها وال صديق لمجاهد : قتال مجاهد : تعرض على هاروت وماروت ، قال : فدعا رجلا من السحرة فقال : اذهب بهذا فاعرض عليه هاروت وماروت . فقال اليهودي : بشرط أن لا تدعو الله عندهما ، قال مجاهد : فذهب إلى قلعة فقطع منها حجرا ثم قال : خذ رجلى ، فهو يبي حتى انتهى إلى حوطة ، فاذا هما معلقين منكسين كالجليلين العظيمين ، فلما رأتهما قلت : سبحان الله خالقكما ، قال : فاضطر با فكلان الدنيا قد تدكت ، قال : ففتش على وعلى اليهودي ، ثم أطاق اليهودي قبلى ، فقال : قم ! كذب أن تهلك نفسك وتهلكي .

وروى ابن فضيل عن ليث عن مجاهد قال : يؤتى يوم القيامة بثلاثة نفر ، بالنعى ، والمرضى ، والعبد المملوك . قال : فيقول الله عز وجل للنفى : ما شغلك عن عبادتي التي إني خلقتك لها ؟ فيقول يارب أكرت لي من المال فطغيت . فيؤتى يسليمان عليه السلام في ملكه فيقول لماذا : أنت كنت أكثر مالا وأشد شغلا أم هذا ؟ قال : فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله له : فإن هذا لم يمنعه ما أوتى من الملك والمال والشغل عن عبادتي . قال : ويؤتى بالمرضى فيقول : ما منعتك عن عبادتي التي خلقتك لها ؟ يقول : يارب شغلني عن هذا مرض جسدي ، فيؤتى بأبوب عليه السلام في ضربه وبلائه ، فيقول له : أنت كنت أشد ضرا ومرضا أم هذا ؟ فيقول : بل هذا ، فيقول : إن هذا لم يشغله ضربه ومرضه عن عبادتي . ثم يؤتى بالمملوك فيقول لله له : ما منعتك من عبادتي التي خلقتك لها ؟ فيقول رب فضلت على أربابا فلكوني وشغلوني عن عبادتك . فيؤتى بيوسف عليه السلام في رقبته وعبوديته فيقول الله له : أنت كنت أشد في رقك وعبوديتك أم هذا ؟ فيقول : بل هذا يارب ، فيقول الله : فإن هذا لم يشغله ما كان فيه من الرق عن عبادتي ، وروى حميد عن الأعرج عن مجاهد . قال : كنت أصحب ابن عمر في السفر فاذا أرحت أن أركب مسك ركابي ، فاذا ركبت سوي على نياحي فرأيت مرة كأني كرهت ذلك بي ، فقال : يا مجاهد إنك لصديق الخلق ، وفي رواية من صحب ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه فكان يخدمني .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن رجل عن مجاهد . قال : جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء ، وجعل له أعوان يتوفون الأنفس ثم يقبضونها

منهم . وقال : لما هبط آدم إلى الأرض قال له : ابن للخراب ولد للفناء . وروى قتيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد ، [ورواههم اللاعنون] قال : تلعن عصاة بني آدم دواب الأرض وماشأ الله حتى الحيات والمقارب : يقولون : منعنا القطر بذنوب بني آدم . وقال غيره : تسلط الحشرات على العصاة في هجورهم ، لما كان ينالهم من الشدة بسبب ذنوبهم ، فتلك الحشرات من المقارب والحيات هي السيئات التي كانوا يعملونها في الدنيا ويستلذونها ، صارت عذابا عليهم . نسأل الله العافية . وقال : [إن الإنسان لربه لكنود] لكفور . وقال الامام أحمد : حدثنا عمر بن سليمان حدثني مسلم أبو عبد الله عن ليث عن مجاهد قال : من لم يستحي من الحلال خفت مؤنته وأراح نفسه . وقال عمرو بن زروق حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد . قال [فظن أن لن نقدر عليه] أن لن نلقاه بذنبه . وبهذا الاسناد قال : لم أكن أحسن ما الزخرف حتى سمعته في قراءة عبد الله بيتا من ذهب . وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا خلف بن خليفة عن ليث عن مجاهد : إن الله عز وجل ليصلح بإصلاح العبد ولده . قال : وبلغني أن عيسى عليه السلام كان يقول : طوبى للمؤمن كيف يخلفه الله فيمن ترك بحير . وقال الفضيل بن عياض عن عبيد المكتب عن مجاهد في قوله تعالى [وتقطعت بهم الأسباب] الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا . وروى سفيان بن عيينة عن سفيان الثوري عن ابن أبي مجريح عن مجاهد في قوله تعالى : [لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة] قال : الا الله عز وجل . وقال في قوله تعالى [بقية الله خير لكم] طاعة الله عز وجل . وفي قوله تعالى [ولن خاف مقام ربه جنتان] قال : هو الذي يذكر الله عند الهم بالمعاصي . وقال الفضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد : [سيام في وجوههم] الخشوع . وفي قوله تعالى : [هوموا لله قانتين] قال القنوت الركود والخشوع وغض البصر ، وخفض الجناح من رهبة الله . وكان العلماء إذا قام أحدهم في الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره أو يلتفت أو يقلب الحصا ، أو يعيث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا . إلا خاشعا مادام في صلاته . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عمرو وحدثنا ابن إدريس حدثني عقبة بن إسحاق - وأثنى عليه خيرا - حدثنا ليث عن مجاهد . قال : كنت إذا رأيت العرب استخفيتها وجدهتها من وراء دينها ، فإذا دخلوا في الصلاة فكأنما أجساد ليست فيها أرواح . وروى الأعمش عنه قال : إنما القلب منزلة الكف ، فإذا أذنب الرجل ذنبا قبض هكنا - وضم المنصر حتى ضم أصابعه كلها أصبغا أصبغا - قال : ثم يطبع ، فكأنوا يرون ذلك الران : قال الله تعالى : [كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون] وروى قبيصة عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد : [بل من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته] قال : الذنوب تحيط بالقلب كالخائط المني على الشيء المحيط ، كلما عمل ذنبا ارتفعت حتى تمشي القلب حتى تكون هكنا - ثم قبض يده - ثم قال : مؤ الران . وفي قوله : [بما

قدم وأخر [قال : أول عمل العبد وآخره [و إلى ربك فارغب] قال : إذا فرغت من أمر الدنيا فمضت إلى الصلاة فاجعل رغبتك إليه ، ونيتك له .

وعن منصور عن مجاهد [النفس المطمئنة] قال : هي النفس التي قد أيقنت أن الله ربهما وضربت حاشا لأمره وطاعته . وروى عبد الله بن المبارك عن ليث عن مجاهد : قال : مامن ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه ، إن كان من أهل الذكر فن أهل الذكر ، وإن كان من أهل اللغو فن أهل اللغو . وقال أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد عن مجاهد . قال : قال إبليس : إن يعجزني ابن آدم فلن يعجزني من ثلاث خصال : أخذ مال بغير حق ، وإففاق في غير حقه ^(١) وقال أحمد : حدثنا ابن نمير قال قال الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهداً ظننت أنه حرمندج قد ضل حماره فهو منهم . وعن ليث عن مجاهد قال : من أكرم نفسه وأعزها أذل دينه ، ومن أذل نفسه أعز دينه . وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد قال قال لي : يا أبا الغازی كم لبث نوح في الأرض ؟ قال : قلت ألف سنة إلا خمسين عاماً ، قال : فإن الناس لم يزدادوا في أعمارهم وأجسادهم وأخلاقهم إلا نقصاً . وروى أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي علي عن ليث عن مجاهد قال : ذهب العلماء فما بقي إلا المتعلمون ، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم . وروى ابن أبي شيبة أيضاً عن ابن إدريس عن ليث عن مجاهد قال : لو لم يصب المسلم من أخيه إلا أن حياه منه يمنعه من المعاصي لكان في ذلك خير . وقال : الفقيه من يخاف الله وإن قل علمه ، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه . وقال : إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه . وقال في قوله تعالى : [وثيابك فطهر] قال : علك فأصباح . [واسألوا الله من فضله] قال : ليس من عرض الدنيا [والذي جاء بالصدق وصدق به] قال : هم الذين يجيئون بالقرآن قد اتبعوه وعملوا بما فيه . وقال : يقول القرآن للعبد إنى معك ما اتبعتني ، فإذا لم تعمل في اتبعتك . [ولا تنس نصيبك من الدنيا] قال : خذ من دنياك لا آخرتك ، وذلك أن تعمل فيها بطاعة الله عز وجل . وقال داود بن الحبر عن عباد بن كثير عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه مجاهد بن جبير قال : قلت لابن عمر : أى حجاج بيت الله أفضل وأعظم أجراً ؟ قال : من جمع ثلاث خصال ، نية صادقة ، وعقلاً وافراً ، ونفقة من حلال ، فذكرت ذلك لابن عباس فقال : صدق . فقلت : إذا صدقت نيته وكانت نفقته من حلال فإذا يضره قلة عقله ؟ فقال : يا أبا حجاج ، سألتني عما سألت عنه رسول الله ^(ص) ، فقال : « والذي نفسي بيده ما أطاع العبد الله بشئ أفضل من حسن العقل ، ولا يقبل الله صوم عبد ولا صلاته ، ولا شيئاً مما يكون من عمله من أنواع الخير إن لم يعمل بعقل . ولو أن جاهلاً قاق المجتهدين في العبادة ، كان ما يفسد أكثر » ^(١) كذا بالأصل . . .

مما يصلح». قلت: ذكر العقل في هذا الحديث ورفعته إلى النبي (ص)، من المنكرات والموضوعات، والثلاث الخصال موقوفة على ابن عمر، من قوله من جمع ثلاث خصال، إلى قوله: قال ابن عباس سبق، والباقي لا يصح رفعه ولا وقفه، وداود بن المحبر كنيته أبو سليمان، قال الحاكم: حدث بيغداد عن جماعة من الثقات بأحاديث موضوعة، حدث بها عنه الحارث بن أبي أسامة، وله كتاب العقل، رأ أكثر ما أودع ذلك الكتاب موضوع على رسول الله (ص)، وذكر العقل مرفوعاً في هذه الرواية لعلمه من جملتها، والله أعلم. وقد كذب أحمد بن حنبل (١)

مصعب بن سعد بن أبي وقاص

تابعي جليل القدر. موسى بن طلحة بن غبيد الله التميمي، كان يلقب بالمهدي لصلاحه، كان تابعياً لجليل القدر من سادات المسلمين رحمه الله

ثم دخلت سنة أربع ومائة

فيها قاتل سميد بن عمرو الحرشي نائب خراسان أهل الصفد وحاصر أهل خجندة وقتل خلقاً كثيراً، وأخذ أموالاً جزيلة، وأسر رقيقاً كثيراً جداً، وكتب بذلك إلى يزيد بن عبد الملك، لأنه هو الذي ولاه. وفي ربيع الأول منها عزل يزيد بن عبد الملك عن إمرة الحرمين عبد الرحمن ابن الضحاك بن قيس، وكان سببه أنه خطب فاطمة بنت الحسين فامتنعت من قبول ذلك، فألم عليها وتوعد بها، فأرسلت إلى يزيد تشكوه إليه، فبعث إلى عبد الواحد بن عبد الله النضري نائب الطائف فولاه المدينة، وأن يضرب عبد الرحمن بن الضحاك حتى يسمع صوته أمير المؤمنين وهو متكى على فراشه بدمشق، وأن يأخذ منه أربعين ألف دينار، فلما بلغ ذلك عبد الرحمن ركب إلى دمشق واستجار بمسلة بن عبد الملك، فدخل على أخيه فقال: إن لي إليك حاجة، فقال: كل حاجة تقولها فهي لك إلا أن تكون ابن الضحاك، فقال: هو والله حاجتي، فقال: والله لا أقبلها ولا أعفو عنه، فردّه إلى المدينة فتسلّمه عبد الواحد فضربه وأخذ ماله حتى تركه في جبة صوف، فسأل الناس بالمدينة، وكان قد باشر نيابة المدينة ثلاث سنين وأشهرًا، وكان الزهري قد أشار عليه برأى سديد، وهو أن يسأل العلماء إذا أشكل عليه أمر فلم يقبل، ولم يفعل، فأبفض الناس وذمه الشعراء ثم كان هذا آخر أمره.

وفيها عزل عمر بن هبيرة سميد بن عمرو الحرشي، وذلك أنه كان يستخف بأمر ابن هبيرة، فلما عزله أحضره بين يديه وعاقبه وأخذ منه أموالاً كثيرة، وأمر بقتله ثم عفا عنه، وولى على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلبي، فسار إليها فاستخلص أموالاً كانت منكسرة في

(١) من أول الفصل إلى هنا زيادة من المصرية •

أيام سعيد بن عمرو الحرشي . وفيها غزا الجراح بن عبد الله الحكيم نائب أرمينية وأذربيجان ، أرض الترك ، ففتح بلنجر وهزم الترك وغرقهم وذار بهم في الماء ، وسبى منهم خلقا كثيرا ، وافتتح عامة الحصون التي تلي بلنجر ، وأجلى عامة أهلها ، والتقى هو والحقان الملك فجرت بينهما وقعة هائلة آل الأمر فيها إلي أن انهزم خاقان ، وتبعهم المسلمون ، قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير لا يحصون . وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النضري أمير الحرمين والطائف ، وعلى نيابة العراق وخراسان عمر ، ونائبه على خراسان مسلم بن سعيد يومئذ . وفي هذه السنة ولد السفاح وهو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح ، أول خلفاء بني العباس وقد بايع أباه في الباطن جماعة من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان :

خالد بن سعدان الكلاعي

[له روايات عن جماعة من الصحابة ، وكان تابعيا جليلا ، وكان من العلماء وأئمة الدين المعدودين المشهورين ، وكان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحة وهو صائم ، وكان إمام أهل حمص ، وكان يصلي التراويح في شهر رمضان ، فكان يقرأ فيها في كل ليلة ثلث القرآن ، وروى الجوزجاني عنه أنه قال : من اجترأ على الملاوم في أمراد الحق ، قلب الله تلك الحمد عليه ذما . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : ما من عبد إلا وله أربعة أعين . عينان في وجهه يبصر بهما أمر دنياه ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته ، فإذا أراد الله بالعبد خيرا فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما أمر آخرته وهما غيب ، فأمّن القريب بالنيب ، وإذا أراد الله بالعبد خلافاً ذلك ترك العبد القلب على ما هو عليه ، فتراه ينظر فلا ينتفع ، فإذا نظر بقلبه فنتفع ، وقال : بصر القلب من الآخرة ، وبصر العينين من الدنيا وله فضائل كثيرة رحمه الله تعالى (١)

عامر بن سعد بن أبي وقاص الليثي

له روايات كثيرة عن أبيه وغيره ، وهو تابعي جليل ، ثقة مشهور

عامر بن شراحيل الشعبي

توفي فيها في قول [كان الشعبي من شعب همدان ، كنيته أبو عمرو ، وكان علامة أهل الكوفة ، كان إماما حافظا ، ذا فنون ، وقد أدرك خلقا من الصحابة وروى عنهم وعن جماعة من التابعين ، وعنه أيضا روى جماعة من التابعين ، قال أبو مجاز : ما رأيت أحق من الشعبي . وقال مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية منه . وقال داود الأودي : قال لي الشعبي : قم معي هاهنا حتى أفيدك علما ، بل هو رأس العلم . قلت : أي شيء تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم قل : الله أعلم ، فانه

علم حسن . وقال : لو أن رجلاً سافر من أقصى اليمن لحفظ كلمة تنفعه فيها يستقبل من عمره ما رأيت سفره ضائعاً ، ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد ، لرأيت سفره عقوبة وضيقاً . وقال : العلم أكثر من عدد الشعر ، نخذ من كل شيء أحسنه [(١)] .

أبو بردة بن أبو موسى الأشعري

تولى قضاء الكوفة قبل الشعبي ، فان الشعبي تولى في خلافة عمر بن عبد العزيز ، واستمر إلى أن مات ، ولما أبو بردة كان قاضياً في زمن الحجاج ، ثم عزله الحجاج وولى أخاه أباه بكر ، وكان أبو بردة فقهاً حافظاً عالماً ، له روايات كثيرة .

أبو قلادة الجرمي

[عبد الله بن يزيد البصري ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة وغيرهم ، وكان من كبار الأئمة والعقلاء ، وطلب للقضاء فهرب منه وتغرب ، قدم الشام فقلز دارياً وبها مات رحمه الله . قال أبو قلادة : إذا أحدث الله لك علماً فأحدث له عبادة ، ولم يكن همك ما تحدث به الناس ، فلفل غيرك يلتفت ويستغنى وأنت في الظلمة تتمتع ، وإني لأرى هذه المجالس إنما هي منابح البطالين . وقال : إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فامس له عنذراً جهلك ، فان لم تجد له عنزراً فقل : لعل لأختى عنزراً لا أعلمه] (٢) هم دخلت سنة خمس ومائة

فيها غزا الجراح بن عبد الله الحكي بلاد اللان ، وفتح حصونا كثيرة ، و بلاداً مقسعة الأكناف تمن وراءه بلنجر ، وأصاب غنائم جمة ، وسبي خلقاً من أولاد الأتراك . وفيها غزا مسلم بن سعيد بلاد الترك وحاصر مدينة عظيمة من بلاد الصغد ، فصلي عليه ملكها على مال كثير يحمل إليه . وفيها غزا سعيد بن عبد الملك بن مروان بلاد الروم ، فبعث بين يديه سرية ألف فارس ، فأصيبوا جميعاً وفيها لحس بقين من شعبان منها توفي أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك بن مروان بأربد من أرض البلقاء ، يوم الجمعة ، وعمره ما بين الثلاثين والأربعين ، وهذه ترجمته :

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان أبو خالد القرشي الأموي ، أمير المؤمنين ، وأمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية قيل إنها دفنت بغير عاتكة فنسبت الحلة إليها والله أعلم . بويع له بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز في رجب من سنة إحدى ومائة بهد من أخيه سليمان ، أن يكون الخليفة بعد عمر ابن عبد العزيز ، لحس بقين من رجب ، قال محمد بن يحيى الذهلي : حدثنا كثير بن هشام بن جعفر ابن برقة قال حدثني الزهري قال : كان لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم في عهد رسول الله (ص) ، وأبى بكر وعمر وعثمان وعلي ، فلما ولي الخلافة معاوية ورث المسلم من الكافر . ولم يرث الكافر من

المسلم ، وأخذ بذلك الخلفاء من بعده ، فلما قام عمر بن عبد العزيز راجع السنة الأولى ، وتبعه في ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام أخذ بسنة الخلفاء - يعنى أنه ورث المسلم من الكافر - وقال الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال : بينما نحن عند مكحول إذ أقبل يزيد بن عبد الملك فهممنا أن نوسع له ، فقال مكحول : دعوه يجلس حيث انتهى به المجلس ، يتعلم التواضع .

وقد كان يزيد هذا يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة ، فلما ولي عزم على أن يتأوى بعمر بن عبد العزيز ، فاستركه قرناه السوء ، وحسنوا له الظلم ، قال حرمة عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : لما ولي يزيد بن عبد الملك قال سيروا بسيرة عمر ، فكثرت كذالك أربعين ليلة ، فأتى بأربعين شيخاً فشهدوا له أنه ماعلى الخلفاء من حساب ولا عذاب ، وقد اتهمه بعضهم فى الدين ، وليس بصحيح ، إنما ذاك ولده الوليد بن يزيد كما سيأتى ، أما هذا فإذ كان به بأس ، وقد كتب إليه عمر بن عبد العزيز : أما بعد فأتى لأمرى إلا ملأنى ، وما أرى الأمر إلا سيفضى إليك ، فإله الله فى أمة محمد ، فإلهك عما قليل ميت فتدع الدنيا إلى من لا يمدرك ، والسلام . وكتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام : أما بعد فإن أمير المؤمنين قد بلغه أنك استبطأت حياته وتمنيت وفاته ورمت الخلافة ، وكتب فى آخره

تمنى رجال أن أموت وإن أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقد علوا لو ينفع العلم عندهم * متى مئ مالباغى على بمخلد
منيته تجرى لوقت وحفته * يصادفه يوماً على غير موعد
فقل للذى يبقى خلاف الذى مضى * نهياً لأخرى مثلها وكأن قد

فكتب إليه هشام : جمل الله يومى قبل يومك ، وولدى قبل ولدك ، فلا خير فى العيش بعدك وقد كان يزيد هذا يحب حظية من حظاياها يقال لها حبابة - بتشديد الباء الاولى - والصحيح تخفيفها - واسمها العالية ، وكانت جميلة جدا ، وكان قد اشتراها فى زمن أخيه بأربعة آلاف دينار ، من عثمان بن سهل بن حنيف ، فقال له أخوه سليمان : لقد همت أحجر على يدك ، فباعها ، فلما أفضت إليه الخلافة قالت له امرأته سعدة يوما : يا أمير المؤمنين ، هل بقى فى نفسك من أمر الدنيا شئ ؟ قال : نعم ، حبابة ، فبعت امرأته فاشتريتها له ولبستها وصنعها وأجلسها من وراء الستارة ، وقالت له أيضا : يا أمير المؤمنين هل بقى فى نفسك من أمر الدنيا شئ ؟ قال : أو ما أخبرتك ؟ فقالت : هذه حبابة - وأبرزها له وأخلته بها وتركه وإياها - غطيت الجارية عنده ، وكنتك زوجته أيضاً ، فقال يوماً أشتهى أن أخلو بحبابة فى قصر مدة من الدهر ، لا يكون عندنا أحد ، ففعل ذلك ، وجمع إليه فى قصره ذلك حبابة ، وليس عنده فيه أحد ، وقد فرش له بأنواع الفرش والبسط المائلة ، والنعمة الكثيرة السابغة ،

فبينما هو معها في ذلك القصر على أسرّ حال وأنعم بال ، وبين يديهما عنب يأكلان منه ، إذ رماها بحجة عنب وهي تضحك فشرقت بها فماتت ، فكش أياها يقبلها ويرشفها وهي ميتة حتى أنثنت وجيفت فأمر بدفنها ، فلما دفنها أقام أياها عندها على قبرها هائما ، ثم رجع إلى المنزل ثم عاد إلى قبرها فوقف عليه وهو يقول :

فإن تسلى عنك النفس أو تدع الصبا * فبالأس تسلو عنك لا بالتجلد
وكل خليل زارني فهو قاتل * من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

ثم رجع فساخر من منزله حتى خرج بنعشه وكان مرضه بالسل ، وذلك بالسواد سواد الاردن يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان من هذه السنة - اعنى سنة خمس ومائة -

وكانت خلافته أربع سنين وشهراً على المشهور ، وقيل أقل من ذلك ، وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقيل خمسا وقيل سنا وقيل ثمانياً وقيل تسعا وثلاثين ، وقيل إنه بلغ الأربعين فله أعلم . وكان طويلاً جسيماً أبيض مدور الوجه أقغم الفم لم يشب ، وقيل إنه مات بالجلولان ، وقيل بحوران وصلى عليه ابنه الوليد بن يزيد ، وعمره خمس عشرة سنة ، وقيل بل صلى عليه أخوه هشام بن عبد الملك ، وهو الخليفة بعده ، وحمل على أعناق الرجال حتى دفن بين باب الجابية وباب الصغير بدمشق ، وكان قد ههد بالأمر من بعده لأخيه هشام ، ومن بعده لولده الوليد بن يزيد ، فبايع الناس من بعده هشاماً

خليفة هشام بن عبد الملك بن مروان

بويح له بالخلافة يوم الجمعة بعد موت أخيه خمس بقين من شعبان من هذه السنة - أعنى سنة خمس ومائة - وله من العمر أربع وثلاثون سنة وأشهر ، لأنه ولد لما قتل أبوه عبد الملك مصعب بن الزبير في سنة ثنتين وسبعين ، فسماه منصور اتفاؤلاً ، ثم قدم فوجد أمه قد أسمته باسم أبيها هشام ، فأقره . قال الواقدي : أنه بالخلافة وهو بالديوثنة في منزل له ، فجاءه البريد بالمصا والخاتم ، فلم عليه بالخلافة فركب من الرصافة حتى أتى دمشق ، فقام بأمر الخلافة أتم القيام ، فعزل في شوال منها عن إمرة العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وولى عليها خالد بن عبد الله القسري ، وقيل إنه استعمله على العراق في سنة ست ومائة ، والمشهور الأول . وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي خال أمير المؤمنين ، أخو أمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل ، ولم تلد من عبد الملك سواء حتى طلقها ، لأنها كانت حقا . وفيها قوى أمر دعوة بني العباس في السرا ب أرض العراق ، وحصل لدعاتهم أموال جزيلة يستمينون بها على أمرهم ، ومأم بصدد . وفيها توفى من الأعيان :

أبان بن عثمان بن عفان

تقدم ذكر وفاته سنة خمس وثمانين ، كان من فقهاء التابعين وعلمائهم ، قال عمرو بن شعيب

ما رأيت أعلم منه بالحديث والفقه ، وقال يحيى بن سعيد القطان : فقهاء المدينة عشرة ، فله كرايا بن عثمان أحدهم ، وخارجة بن زيد ، وسالم بن عبد الله ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة ، والقاسم ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبوسلمة بن عبد الرحمن . قال محمد ابن سعد : كان به صمم ووضح ، وأصابه الفالج قبل أن يموت بسنة ، وتوفي سنة خمس ومائة . أبو رجاء العطاردي . عامر الشعبي . في قول وقد تقدم ، وكثير عزة في قول . وقيل في التي بعدها كما سيأتي :

ثم دخلت سنة ست ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك عن إمرة المدينة ومكة والطائف ، عبد الواحد بن عبد الله النضري ، وولى على ذلك كله ابن خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي ، وفيها غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة ، وفيها غزا مسلم بن سعيد مدينة فرغانة ومعاملتها ، فلقبها عندها الترك ، وكانت بينهم وقعة هائلة ، قتل فيها الخاقان وطائفة كبيرة من الترك ، وفيها أوغل الجراح الحكني في أرض الخزر ، فصالحوه وأعطوه الجزية والخراج . وفيها غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم وسلم . وفيها عزل خالد بن عبد الله القسري عن إمرة خراسان مسلم بن سعيد ، وولى عليهما أخاه أسد بن عبد الله القسري . وحج بالناس في هذه السنة أمير المؤمنين هشام بن الملك ، وكتب إلى أبي الزناد قبل دخوله المدينة ليتلقاه ويكتب له مناسك الحج ، ففعل ، فتلقاها الناس من المدينة إلى أثناء الطريق ، وفيهم أبو الزناد قد امتثل ما أمر به ، وتلقاه فيمن تلقاه سعيد بن عبيد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن أهل بيتك في مثل هذه المواطن والصالحات لم يزالوا يلتمنون أبواباً ، فالمنه أنت أيضاً ، قال أبو الزناد : فشق ذلك على هشام واستثقله ، وقال : معاقمت لستم أحد ، ولا لعة أحد ، إنما قدمنا حجاجاً . ثم أعرض عنه وقطع كلامه وأقبل على أبي الزناد بمجادته ولما انتهى إلى مكة عرض له إبراهيم بن طلحة فنظلم إليه في أرض ، فقال له : أين كنت عن عبد الملك ؟ قال : ظلفني ، قال : فالوليد ؟ قال : ظلفني ، قال : فسليمان ؟ قال : ظلفني ، قال فعمر ابن عبد العزيز ؟ قال ردها على ، قال : فيزيد ؟ قال : انتزعها من يدي ، وهي الآن في يدك ، فقال له هشام : أما لو كان فيك مضرب بغيرك ، فقال : بلى في مضرب باللسوط والسيوف ، فانصرف عنه هشام وهو يقول لمن معه : ما رأيت أفصح من هذا . وفيها كان الجاهل على مكة والمدينة والطائف ، إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق وخراسان خالد القسري والله سبحانه أعلم . ومن توفي فيها : سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عمرو الفقيه ، أحد الفقهاء وأحد العلماء وله روايات عن أبيه وغيره ، وكان من العباد الزهاد ، ولما حج هشام بن عبد الملك دخل

الكعبة فإذا هو بإسلام بن عبد الله ، فقال له : سالم ؟ ^(١) سئلت حاجة ، فقال : إني لأستحي من الله أن أسأل في بيته غيره ، فلما خرج سالم خرج هشام في أثره فقال له : الآن قد خرجت من بيت الله فسئلت حاجة ، فقال سالم : من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة ؟ قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : إني ما سألت الدنيا من يملكها ، فكيف أسألكم من لا يملكها ؟ وكان سالم خشن العيش ، يلبس الصوف الخشن ، وكان يعالج بيده أرضاله وغيرها من الأعمال ، ولا يقبل من الخلفاء ، وكان متواضعا وكان شديد الأدمة وله من الزهد والورع شيء كثير .

وطاوس بن كيسان اليماني من أكبر أصحاب ابن عباس وقد ترجمنا في كتابنا التكميل والله الحمد انتهى وقد زدنا هنا في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب زيادة حسنة . فأما طاوس فهو أبو عبيد الرحمن طاوس بن كيسان اليماني ، فهو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ، وهو من أبناء الفرس الذين أرسلهم كسرى إلى اليمن .

أدرك طاوس جماعة من الصحابة وروى عنهم ، وكان أحد الأئمة الأعلام ، قد جمع العبادة والزهادة ، والعلم النافع ، والعمل الصالح ، وقد أدرك نخسین من الصحابة ، وأكثر روايته عن ابن عباس ، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم ، منهم مجاهد وعطاء وعمر بن دينار ، وإبراهيم بن ميسرة ، وأبو الخثير ومحمد بن المنكدر ، والزهري وحبيب بن أبي ثابت ، وليث بن أبي سليم ، والضحاك بن مزاحم . وعبد الملك بن ميسرة ، وعبد الكريم بن المخارق ووهب بن منبه ، والمنيرة بن حكيم الصنعائي ، وعبد الله بن طاوس ، وغير هؤلاء .

توفي طاوس بمكة حاجا ، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودفن بهارجه الله تعالى . قال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال قال أبي : مات طاوس بمكة فلم يصلوا عليه حتى يموت هشام ابنه بالحرس ، قال فلقد رأيت عبد الله بن الحسن واضعا السرير على كاهله ، قال : ولقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق بهاؤه من خلفه - يعني من كثرة الزحام - فكيف لا وقد قال النبي (ص) : « الإيمان يمان » وقد خرج من اليمن خلق من هؤلاء المشار إليهم في هذا وغيره ، منهم أبو مسلم ، وأبو إدريس ، ووهب وكعب وطاوس وغير هؤلاء كثير . وروى ضمرة عن ابن شاذب قال : شهدت جنازة طاوس بمكة سنة خمس ومائة ، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ، حتى أربعين حجة .

وقال عبد الرزاق : حدثنا أبي قال : توفي طاوس بالمزدلفة - أو بمعى - حاجا ، فلما حمل أخذ عبد الله بن الحسن بن علي بقائمة سريره . فإزاياله حتى بلغ القبر . وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق

(١) كذا بالأصل ولعل المراد بإسلام .

قال : قدم طاوس بمكة ، فقدم أمير المؤمنين ، فقبل لطاوس : إن من فضله ومن ، ومن ، فلو أتيت
قال : مالى إليه حاجة ، فقالوا : إنا نخاف عليك ، قال : فما هو إذا كما تقولون : وقال ابن جرير قال لى
عطاه : جاءنى طاوس فقال لى : يا عطاه إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل
دونه حجاباً . وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعوه ووعده
الاجابة . وقال ابن جرير عن مجاهد عن طاوس [أولئك ينادون من مكان بعيد] قال : بعيد من
قلوبهم ، وروى الأحمري عن سفيان عن ليث قال قال لى طاوس : ما تعلمت من العلم فتعلمه
لنفسك ، فإن الأمانة والصدق قد ذهباً من الناس . وقال عبد الرحمن بن مهدى عن حماد بن زيد
عن الصلت بن راشد . قال : كنا عنيد طاوس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم ، صاحب خراسان ،
فسأله عن شيء فأنهره طاوس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، قال : ذاك
أهون له على . وقال لطاوس : إن منزلك قد استمر ، فقال : أمسينا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس فى قوله تعالى [وخلق الانسان ضعيفا] قال : فى
أمور النساء ، ليس يكون فى شيء أضعف منه فى النساء . وقال أبو بكر بن أبى شيبة : حدثنا يحيى بن
بكير حدثنا إبراهيم بن نافع عن ابن طاوس عن أبيه قال : لقي عيسى بن مريم عليه السلام إبليس
فقال إبليس لعيسى : أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك ؟ قال : نعم ، قال إبليس : فأوف
بذروة هذا الجبل فتدثر منه . فانظر ألمعيش أم لا ، قال عيسى : أما علمت أن الله تعالى قال : لا يجربنى
عبدى ، فأتى أفل مأثمت . وفى رواية عن الزهرى عنه قال قال عيسى : إن العبد لا يختبر ربه ،
ولكن الرب يختبر عبده ، وفى رواية أخرى : إن العبد لا يبتلى ربه ، ولكن الرب يبتلى عبده .
قال : نفخه عيسى عليه السلام . وقال فضيل بن عياض عن ليث عن طاوس قال : حج الأبرار
على الرجال ، رواء عبد الله بن أحمد عنه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أبو نميلة عن ابن أبى داود . قال : رأيت طاوساً وأصحاباً له إذا صلوا
المصر استقبلوا القبلة ولم يكلموا أحداً ، وابتهلوا إلى الله تعالى فى الدعاء . وقال : من لم يبخل ولم
يل مال يقيم لم ينله جهد البلاء . روى عنه أبو داود الطيالسى ، وقد رواء الطبرانى عن محمد بن
يحيى بن المنذر عن موسى بن إسماعيل عن أبى داود فذكره . وقال لابنه : يا بنى صاحب المقلاء
تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن
لكل شيء غاية : وغاية المرء حسن عقله . وسأله رجل عن مسألة فأنهره ، فقال : يا أبا عبد الرحمن
إنى أخوك ، قال : أخى من دون الناس ؟ وفى رواية أن رجلاً من الخوارج سأله فأنهره ، فقال :
إنى أخوك ، قال : أمن بين المسلمين كلهم ؟ . وقال عفان عن حماد بن زيد عن أبوب قال : سألت

رجل طاموساً عن شئ فانهزم ، ثم قال : تريد أن تجعل في عنق جبالا ثم يطاف بي ؟ و رأى طاموس رجلا مسكينا في عينه عمش وفي ثوبه وسخ ، فقال له : عد ! إن الفقر من الله ، فأين أنت من الماء ؟ و روى الطبراني عنه قال : إقرار ببعض الظلم خير من القيام فيه ، وعن عبد الرزاق عن داود ابن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج ، فدى الناس بعضهم بعضا ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد ، فنزل الناس يمينا وشمالا فالتقوا أنفسهم ، وقام طاموس يصلي ، فقال له رجل - وفي رواية فقال ابنه - : ألا تنام فانك قد سهرت ونصبت هذه الليلة ؟ فقال : وهل ينام السحر أحد ؟ وفي رواية : ما كنت أظن أحدا ينام السحر . و روى الطبراني من طريق عبد الرزاق عن أبي جريح وابن عيينة . قال : حدثنا ابن طاموس قال : قلت لأبي : ما أفضل ما يقال على الميت ؟ قال الاستغفار .

وقال الطبراني : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت النعمان بن الزبير الصنعاني يحدث أن محمد بن يوسف - أو أيوب بن يحيى - بعث إلى طاموس بمئة دينار وقال للرسول : إن أخذها منك فإن الأمير سيكسوك ويحسن إليك . قال : فخرج بها حتى قدم على طاموس الجند ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نفقة بعث بها الأمير إليك ، فقال : مالي بها من حاجة ، فأراده على أخذها بكل طريق فأبى أن يقبلها ، ففعل طاموس فرمى بها الرجل من كوة في البيت ثم ذهب راجعا إلى الأمير ، وقال : قد أخذها ، فكثروا حينئذ ثم بلغهم عن طاموس ما يكرهون - أو شئ يكرهونه - فقالوا : ابعدوا إليه فليبعث إليه بما لنا ، فجاءه الرسول فقال : المال الذي بعثه إليك الأمير رده إلينا ، فقال : ما قبضت منه شيئا ، فرجع الرسول إليهم فأخبرهم ، فعرفوا أنه صادق ، فقالوا : انظروا الذي ذهب بها إليه ، فأرسلوه إليه ، فجاءه فقال : المال الذي جئتكم به يا أبا عبد الرحمن ، قال : هل قبضت منك شيئا ؟ قال : لا ! قال : فقام إلى المكان الذي رمى به فيه فوجدها كما هي ، وقد بقت عليها العنكبوت ، فأخذها فذهب بها إليهم .

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال : انظروا إلى فقها أسأله عن بعض الناسك ، قال : فخرج الحاجب يلتمس له ، فر طاموس فقالوا : هذا طاموس الباني ، فأخذته الحاجب فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : اعفني ، فأبى ، فأدخله عليه ، قال طاموس : فلما وقفت بين يديه قلت : إن هذا المقام يسألني الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفا حتى استقرت في قرارها ، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال : لا ! ! ويلك لمن أعدها الله ؟ قال : لمن أشركه الله في حكمه بخار . وفي رواية ذكرها الزهري أن سليمان رأى رجلا يطوف بالبيت ، له جمال وكال ، فقال : من هذا يا زهري ؟ فقلت : هذا طاموس ، وقد أدرك عدة من الصحابة ، فأرسل

إليه سليمان فأثابه فقال : لوما حدثتنا ؟ فقال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله (س) : « إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم » . فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال : لوما حدثتنا ؟ فقال : حدثني رجل من أصحاب النبي (س) . قال ابن شهاب : ظننت أنه أراد علياً قال : دعاني رسول الله (س) ، إلى طعام في مجلس من مجالس قريش ، ثم قال : « إن لكم على قريش حقاً ، ولهم على الناس حق ، يا إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا ائتمنوا أدبوا ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » . قال : بتغير وجه سليمان وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه وقال : لوما حدثتنا ؟ فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : [واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون] .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني أبو معمر عن ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة قال قال عمر بن عبد العزيز لطاوس : ارفع حاجتك إلى أمير المؤمنين - يعني سليمان - فقال طاوس مالى إليه من حاجة ، فكأنه عجب من ذلك ، قال : سفيان وحلف لنا إبراهيم وهو مستقبل الكعبة : ورب هذا البيت ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاوس . قال : وجاء ابن سليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه . فقيل له : لست تجلس إليك أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ؟ قال : أردت أن يتعلم هو وأبوه أن الله عباداً يزهدون فيهم وفيما في أيديهم . وقد روى عبد الله بن أحمد عن ابن طاوس قال : خرجنا حجاجاً فنزلنا في بعض القرى ، وكنت أخاف أبى من الحكم لشدة غلظه عليهم ، قال : وكان في تلك القرية حامل لمحمد بن يوسف - أخى الحجاج بن يوسف - يقال له أيوب بن يحيى ، وقيل يقال له ابن نجيع ، وكان من أحبب عماهم كبراً وتجبراً ، قال : فشهدنا صلاة الصبح في المسجد ، فإذا ابن نجيع قد أخبر بطاوس . فجاء فقمع بين يدي طاوس ، فسلم عليه فلم يجبه ، ثم كلمه فأعرض عنه ، ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه ، فلما رأيت مابه قنت إليه وأخنت بيده ثم قلت له : إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك ، فقال طاوس : بلى ! إني به لعارف ، فقال الأمير : إنه بي لعارف ، ومعرفة بي فقلت بي بارأيت . ثم مضى وهو ساكت لا يقول شيئاً ، فلما دخلت المنزل قال لى أبى : بالكع ، بينما أنت تقول أريد أخرج عليهم بالسيف لم تستطع أن نجس عنهم لسانك .

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاوساً فاستأذنت عليه فخرج إلى ابنه شيخ كبير ، فقلت : أنت طاوس ؟ فقال : لا ! أنا ابنه ، فقلت : إن كنت أنت ابنه فان الشيخ قد خرف ، قال : إن العالم لا يخرف ، فدخلت عليه فقال طاوس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أو جزت لك ،

فقال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والانجيل والفرقان؟ قال: قلت نعم! قال: خف
الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وارجه رجاؤه أشد من خوفك إياه، وأحب للناس
ما تحب لنفسك.

وقال المطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن ابن طاوس عن أبيه .
قال: سبى يوم القيامة بالمال وصاحبه قتيحاجان، فيقول صاحب المال لآمان: جمعتك في يوم كذا
في شهر كذا في سنة كذا، فيقول المنال: ألم أقض لك الحوائج؟ أنا الذي حلت بينك وبين أن
تصنع فيما أمرك الله عز وجل من حجتك إلي، فيقول صاحب المال إن هذا الذي نفذ على حبال أوثق
بها وأقيد، وقال عثمان بن سأل شية: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن الضريس عن أبي سنان عن حبيب
ابن أبي ثابت قال: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم قط، عطاء وطاوس، ومجاهد
وسعيد بن جبير، وعكرمة. وقال سفيان: قلت لعبيد الله بن أبي يزيد: مع من كنت تدخل على
ابن عباس؟ قال: مع عطلة والسامة، وكان طاوس يدخل مع الخاصة، وقال حبيب: قال لي طاوس
إذا حدثت حديثا قد أثبتته فلا تسأل عنه أحدا - وفي رواية - فلا تسأل عنه غيري .

وقال أبو أسامة، حدثنا الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس قال: أدركت خمسين من
أصحاب رسول الله وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أخبرني ابن طاوس
قال: قلت لأبي: أريد أن أتزوج فلانة، قال: اذهب فانظر إليها، قال: فذهبت فلبست من
صالح ثيابي، وغسلت رأسي، وادهمت، فلما رأيته في تلك الحال قال: اجلس فلا تذهب . وقال
عبد الله بن طاوس: كان أبي إذا سار إلى منكة سار شهراً، وإذا رجع رجع في شهر، فقلت له في
ذلك فقال: بلغني أن الرجل إذا خرج في طاعة لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله . وقال حمزة
عن هلال بن كعب . قال: كان طاوس إذا خرج من اليمن لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة
الجاهلية، وقال له رجل: ادع الله لي، فقال: ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال الطبراني: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر بن ابن طاوس
عن أبيه . قال: كان رجل فيما خلا من الزمان، وكان عاقلاً لبياً، فكبر فقدم في البيت، فقال
لابنه يوماً: إني قد اغتممت في البيت، فلو أغتمت على رجلاً يكلموني؟ فذهب ابنه فجمع ثمرآ
فقال: ادخلوا على أبي فحدثوه، فإن سمعتم منه منكرآ فاعنروه فإنه قد كبر، وإن سمعتم منه خيراً
فاقبلوه . قال: فدخلوا عليه فكان أول ما تكلم به أن قال: إن أكيس الكيس التقى، وأعجز
العجز الفجور، وإذا تزوج الرجل فليتزوج من معدن صالح، فإذا اطلعت على فجرة رجل فاحذروه
فإن لها أخوات

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا أحمد بن نصر بن مالك حدثنا عبد الله بن عمر بن مسلم الجبيري عن أبيه قال قال طاوس لابنه : إذا قبرتني فانظر في قبري ، فإن لم تجدني فاحمد الله تعالى ، وإن وجدتني فانا لله وإنا إليه راجعون . قال عبد الله : فأخبرني بعض ولده أنه نظر فلم يره ولم يجد في قبره شيئا ، ورؤى في وجه السرور ، وقال قبيصة : حدثنا سفيان عن سعيد بن محمد قال : كان من دعاء طاوس يدعو : اللهم احرمني كثرة المال والولد ، وارزقني الايمان والعمل . وقال سفيان عن معمر حدثنا الزهري قال : لو رأيت طاوس بن كيسان علمت أنه لا يكذب .

وقال عون بن سلام : حدثنا جابر بن منصور - أخو إسحاق بن منصور - السلولي عن عمران ابن خالد الخزاعي . قال كنت جالسا عند عطاء بن جندب رجل فقال : أبا محمد إن طاوسا يزعم أن من صلى المشاء ثم صلى بعدها ركعتين يقرأ في الأولى : ألم تنزل السجدة ، وفي الثانية تبارك الذي بيده الملك كتب له مثل وقوف عرفة وليلة القدر . فقال عطاء : صدق طاوس ما تركتهما . وقال ابن أبي السرى : حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل ، وكان رجلا داوى المجانين ، وكانت امرأة جميلة ، فأخذها الجذون ، فحشى بها إليه ، فنزلت عنده فأعجبته ، فوقع عليها فحملت ، فجاءه الشيطان فقال : إن علم بها اقتضحت ، فأقتلها وادفنها في بيتك ، فقتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، قال : ماتت ، فلم يهتموه لصالحه ومنزلته ، فجاءهم الشيطان فقال : إيتا لم تمت ، ولكن قد وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها في بيته ، في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا : ماتهمك ولكن أخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك ؟ فنهشوا بيته فوجدوها حيث دفنها ، فأخذوه فحبسوه وسجنوه ، فجاءه الشيطان فقال : أنا صاحبك ، فإن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله فأطاع الشيطان فكفر بالله عز وجل ، فقتل فتهرب منه الشيطان حينئذ . وقال طاوس : ولا أعلم أن هذه الآية نزلت إلا فيه وفي مثله [كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين] .

وقال الطبراني : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه . قال : كان رجل من بني إسرائيل له أربعة بنين ، فرض ، فقال أحدهم : إما أن تمرضوا أبانا وليس لكم من ميراثه شيء ، وإما أن أمرضه وليس لي من ميراثه شيء ، فرضه حتى مات ودفنه ولم يأخذ من ميراثه شيئا ، وكان فقيرا وله عيال ، فأتى في اليوم فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فاحفره تجد فيه مائة دينار نفخها ، فقال للآسى في المنام : ببركة أو بلا بركة ؟ فقال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت : اذهب نفخها فإن من بركتها أن تكسوني منها ولعيش منها . فأبى وقال : لا آخذ شيئا ليس فيه بركة . فلما أمسى أتى في منامه فقيل له : إيت مكان كذا وكذا نفخ

منه عشرة دنانير ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بلا بركة ، فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل ذلك فأبى أن يأخذها ، ثم أتى في الليلة الثالثة فقيل له : إيت مكان كذا وكذا فخذ منه ديناراً ، فقال : بركة أو بلا بركة ؟ قال : بركة ، قال ، نعم إذاً ، فلما أصبح ذهب إلى ذلك المكان الذي أشير إليه في المنام فوجد الدينار فأخذه ، فوجد صياداً يحمل حوتين . فقال : بكم هما ؟ قال : بدینار ، فأخذهما منه بذلك الدينار ثم انطلق بهما إلى امرأته فقامت تصلحهما ، فشقت بطن أحدهما فوجدت فيه درة لا يقوم بها شيء ، ولم ير الناس مثلاً ، ثم شقت بطن الآخر فإذا فيه درة مثلاً ، قال : فاحتاج ملك ذلك الزمان درة فبعث يطلبها حيث كانت ليشتريها ، فلم توجد إلا عنده ، فقال الملك : إيت بها ، فأثام بها ، فلما رآها حلاًها الله عز وجل في عينيه ، فقال : بئنها ، فقال : لا أنقصها عن وقر ثلاثين بفلا ذهباً ، فقال الملك : أرضوه ، فخرجوا به فوقروا له ثلاثين بفلا ذهباً ، ثم نظر إليها الملك فأعجبته إعجاباً عظيماً ، فقال : ما تصلح هنـه إلا بأختها ، اطلبوا لي أختها ، قال : فأثوه فقاتلوا له : هل عندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك ؟ قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم . فأتى الملك بها ، فلما رآها أخذت بقلبه فقال أرضوه ، فأضعفوا له ضعف أختها ، والله أعلم .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا وهيب بن الورد حدثنا عبد الجبار بن الورد قال حدثني داود ابن سابور قال قلنا لطاوس : أدع بدعوات ، فقال : لا أجدها لك حسبة . وقال ابن جرير عن ابن طاوس عن أبيه قال : البخيل أن يبخل الإنسان بما في يده ، والشح أن يجب أن له ما في أيدي الناس بالحرام لا يقنع : وقيل الشح هو ترك القناعة ، وقيل : هو أن يشح بما في يد غيره ، وهو مرض من أمراض القلب ينبغي للعبد أن يمزله عن نفسه وينفيه ما استطاع ، وهو يأمرنا بالبخل كما في الحديث الصحيح عن النبي .س. قال : « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم [أمرهم] بالبخل فبخلوا وبالقطيعة فقطعوا وهذا هو الحرص على الدنيا وحبها » وقال ابن أبي شيبة : حدثنا الحارثي عن ليث عن طاوس قال : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح قد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك ، ومن زاد زيد في ثوابه ، وقال قتبية بن سيد : حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس . قال : لا يتم نكاح الشاب حتى يتزوج . وعن سفيان عن إبراهيم بن ميسرة قال : قال لي طاوس : لتنكحن أولاً قولن لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد : ما يملك من النكاح إلا محرم أو مجور . وقال طاوس : لا يحرز دين المؤمن إلا حفرته . وقال عبد الرزاق عن معمر بن طاوس وغيره أن رجلاً كان يسير مع طاوس ، فسمع الرجل غراباً ينمب ، فقال : خير ، فقال طاوس : أي خير عند هذا أو شر لا تصحبني ولا تمس مني . وقال بشر بن موسى : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن ابن طاوس عن أبيه . قال : إذا غدا الإنسان اتبعه الشيطان ، فإذا أتى المنزل فسلم نكس الشيطان

وقال : لأمقيل ، فاذا أتى بغداد فذكر اسم الله قال : ولا غداء ولا مقيل ، فاذا دخل ولم يسلم قال الشيطان : أدركننا المقيل ، فاذا أتى بغداد ولم يذكر اسم الله عليه قال الشيطان : مقيل وغداء ، وفي المشاء مثل ذلك . وقال : إن الملائكة يكتبون صلاة بني آدم : فلان زاد فيها كذا وكذا ، وفلان نقص فيها كذا وكذا . وذلك في الركوع والخشوع والسجود .

وقال : لما خلقت النار طارت أفسدة الملائكة ، فلما خلق آدم سكنت ، وكان إذا سمع صوت لرعدي يقول : سبحة من سبحة له . وقال الامام أحمد : حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال مجاهد لطاوس يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصلي في الكعبة والنبي رس . على بابها يقول لك : اكشف قناعك ، وبين قراءتك . فقال له : اسكت لا يسمع هذا منك أحد . ثم تخيل إلى أن انبسط في الحديث . وقال أحمد أيضا بهذا الأسناد : إن طاوسا قال لأبي نجيح : يا أبا نجيح ! من قال واتي الله خير ممن صمت واتي . وقال مسعر عن رجل إن طاوسا أتى رجلا في السحر فقالوا : هو نائم ، فقال : ما كنت أرى أن أحدا ينام في السحر . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن يزيد حدثنا ابن يمان عن مسعود ، فذكره . قال الثوري : كان طاوس يجلس في بيته ، فقيل له في ذلك فقال : حيف الأئمة وفساد الناس .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني أبي قال : كان طاوس يصلي في غداة باردة متممة ، فمر به محمد بن يوسف صاحب اليمن وحاجبها - وهو أخو الحجاج بن يوسف - وطاوس ساجد ، والأمير راكب في مركبه ، فأمر بسلام أو طيلسان مرتفع القيمة فطرح على طاوس وهو ساجد ، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته ، فلما سلم نظر فاذا الساج عليه فانتفض فالتفت عنه ، ولم ينظر إليه وضي إلى منزله وتركه ملقى على الأرض . وقال نعيم بن حماد : حدثنا حماد بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس : ما من شيء يشكلم به ابن آدم إلا كتب عليه حتى أثبتته في مرضه ، فلما مرض الامام أحمد أن فقيل له : إن طاوسا كان يكره أن ينظر المرص فتركه . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبيه عن داود بن شاپور . قال : قال رجل لطاوس : ادع الله لنا ، فقال : ما أجدر بقلبي خشية فأدعوك . وقال ابن طلوت : حدثنا عبد السلام بن هاشم عن الحسن بن أبي الحصين العنبري . قال : مرّ طاوس برواس قد أخرج رؤسا ففشى عليه . وفي رواية كان إذا رأى الرأس المشوية لم يتعش تلك الليلة .

وقال الامام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الأشجعي عن سفيان الثوري . قال قال طاوس إن الموتى يقتنون في قبورهم سغيا ، وكاتوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام . وقال ابن إدريس : سمعت ليثا يذكر عن طاوس وذكر النساء فقال : فيهن كفر من مضى وكفر من بقى . وقال

أبو عاصم عن بقيقة عن سلمة ابن وهرام عن طاوس قال : كان يقال : اسجد للقرود في زمانه ، أي أطمعه في المروق . وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أسامة حدثنا نافع بن عمر عن بشر بن عاصم . قال قال طاوس : ما رأيت مثل ^(١) أحد آمن على نفسه ، ولقد رأيت رجلا لو قيل لي : من أفضل من تعرف ؟ قلت : فلان ذلك الرجل ، فكشفت على ذلك حينئذ أخذه وجعل في بطنه ، فأصاب منه شيئا استنضح بطنه عليه ، فاشتبهاه ، فرأيت في نطع ما أدرى أي طرفيه أسرع حتى مات عزقا . وروى أحمد حدثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن طاوس أنه رأى فتية من قريش يزفون في مشيتهم ، فقال : إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفانون أن يمشوها . وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر أن طاوساً قام على رفيق له مرض حتى فاته الحج - لعله هو الرجل المتقدم قبل هذا استنضح بطنه - وقال مسعر بن كدام عن عبد الكبير المعلم قال طاوس قال ابن عباس : سئل النبي (ص) : من أحسن قراءة ؟ قال : « من إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله عز وجل » . وقد روى هذا أيضا من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس قال قال ابن عباس : إن النبي (ص) قال : « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتعز بنه » . وعنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأي رسول الله (ص) وعلى ثوبان معصفران فقال : « أملك أمرتك بهذا ؟ قلت : أغسلهما ؟ قال : بل أحدهما » رواه مسلم في صحيحه عن داود بن راشد عن عمر بن أبوب عن إبراهيم بن نافع عن سليمان الأحول عن طاوس به .

وروى محمد بن مسلمة عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عمرو قال قال رسول الله (ص) . « الجلاوذة والشرط واعوان الظلمة كلاب النار » . انفرد به محمد بن مسلم الطالقي وقال الطبراني : حدثنا محمد بن الحسن الأنباطي البغدادي حدثنا عبد المنعم بن إدريس حدثنا أبي عن وهب بن منبه عن طاوس عن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي بن أبي طالب : « يا علي استكثر من المعارف من المؤمنين فكم من معرفة في الدنيا بركة في الآخرة » . فضى على فأقام حينئذ لا يلقى أحداً إلا اتخذته للآخرة ، ثم جاء من بعد ذلك فقال له رسول الله (ص) : « ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قال : قد فعلت يا رسول الله ، فقال له النبي (ص) : اذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي (ص) وهو منكسر رأسه ، فقال له النبي (ص) : اذهب فابل أخبارهم ، فذهب ثم أتى النبي (ص) تبسم [فقال] : ما أحسب يا علي ثبت معك إلا أبناء الآخرة ؟ فقال له علي : لا والذي بعتك بالحق ، فقال له النبي (ص) [الأخلأ يومئذ بعضهم لبعض عدواً إلا المتقين يا عبادي لا خوف عليكم] يا علي أقبل على شأنك ، وأملك لسانك ، وأغفل من

(١) كذا بالأصل ، ولعلها : ما رأيت مثلي أحداً آمناً .

نلتشر من أهل زمانك تكن سالماً غامماً . لم يرو إلا من هذا الوجه فيما نعلم والله أعلم

ثم دخلت سنة سبع ومائة

فبها خرج باليمن رجل يقال له عباد الرعي فدخل إلى منهب الخوارج واتبعه فرقة من الناس وحملوا فقاتلهم يوسف بن عمر فقتله وقتل أصحابه ، وكانوا ثلاثمائة . وفيها وقع بالشام طاعون شديد ، وفيها غزا معاوية بن هشام الصائفة وعلى جيش أهل الشام ميمون بن مهران ، فقتلوا البحر إلى قبرص وغزا مسلة في البر في جيش آخر . وفيها ظفر أسد بن عبد الله القسري بجماعة من دعاة بني العباس بخراسان فصلبهم وأشهرهم . وفيها غزا أسد القسري جبال نمرود ، ملك القريسيان ، مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نمرود وأسلم على يديه . وفيها غزا أسد النور - وهي جبال هراة - فمهد أهلها إلى حواصلهم وأموالهم وأقتلهم فجعلوا ذلك كله في كهف منيع ، لا سبيل لأحد عليه ، وهو مستعمل جداً ، فأمر أسد بالرجال ليجعلوا في توايت ودلاهم إليه ، وأمر بوضع ما هناك في التوايت ورفعهم فسلخوا وغنموا ، وهذا وأى شديد . وفيها أمر أسد بجمع ماحول بلخ إليها . واستناب عليها برمك والده خالد بن برمك وبنائها بناء جيداً محكماً وحصنها وجعلها مقعداً للمسلمين . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين . ومن توفي فيها من الأعيان :

سليمان بن يسار أحد التابعين

وهو آخر عطاء بن يسار ، له روايات كثيرة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، وكان من أحسن الناس وجهاً ، توفي بالمدينة وعمره ثلاث وسبعون سنة ، دخلت عليه امرأة من أحسن الناس وجهاً فأرادته على نفسها فأبى وتركها في منزله وخرج هارباً منها ، فرأى يوسف عليه السلام في المنام . فقال له : أنت يوسف ؟ فقال : نعم أنا يوسف الذي هممت ، وأنت سليمان الذي لم تهتم . وقيل إن هذه الحكاية إنما وقعت في بعض منازل الحجاج ، وكان معه صاحب له ، فبعثه إلى سوق الحجاج ليشتري شيئاً فأنحطت على سليمان امرأة من الجبل حسناء فقالت له : هيت لك ، فبكى واشتد بكاءه فلما رأته قالت : ما أرتفعت في الجبل ، وجاء صديقه فوجده يبكي فقال له : مالك تبكي ؟ فقال خير ، فقال : لعلك ذكرت بعض ذلك أو بعض أهلك ؟ فقال : لا . فقال : والله لتخبرني ما أبكاك أنت . قال : أبكاك حزني على نفسي ، لو كنت مكانك لم أصبر عنها ، ثم ذكر أنه نام فرأى يوسف في منامه

عكرمة مولى ابن عباس

كما تقدم والله أعلم

أحد التابعين ، والمفسرين المكثرين والعلماء الزبائين ، والرحالين الجوالين . [وهو أبو عبد الله ، وقد روى عن خلق كثير من الصحابة ، وكان أحد أوعية العلم ، وقد أفتى في حياة مولاه ابن عباس ،

قال عكرمة : طلبت العلم أربعين سنة ، وقد طاف عكرمة البلاد ، ودخل إفريقية واليمن والشام والعراق وخراسان ، وبث علمه هنالك ، وأخذ الصلوات وجوائز الأسماء ، وقد روى ابن أبي شيبة عنه قال : كان ابن عباس يجلس في رجل الكيل يملأ القرآن والسنن ، وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع عندي مثلهم أبداً ، عطاء ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد فأقبل سعيد ومجاهد يلتقيان على عكرمة التفسير فلم يسألاه عن آية إلا فسرهما لهما ، فلما نفذ ما عندهما جعل يقول : أنزلت آية كذا في كذا ، قال : ثم دخلوا الحمام ليلاً . قال جابر بن زيد : عكرمة أعلم الناس وقال الشعبي ، ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة . وروى الإمام أحمد عن عبد الصمد عن سلام بن مسكين سمعت قتادة يقول : أعلمهم بالتفسير عكرمة . وقال سعيد بن جبير نحوه ، وقال عكرمة : لقد فسرت ما بين اللوحين . وقال ابن علية عن أيوب : سألت رجلاً عكرمة عن آية فقال : نزلت في سفع ذلك الجبل - وأشار إلى سلع - وقال عبد الرزاق عن أبيه : لما قدم عكرمة الجند حمله طاوس على نجيب فقال : ابتعت علم هذا الرجل ، وفي رواية أن طاوساً حمله على نجيب ثم نه ستون ديناراً وقال : ألا تشتري علم هذا العبد بستين ديناراً !

ومات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد فأخرجت جنازتهما فقال الناس : مات أفعه الناس وأشهر الناس ، وقال عكرمة : قال لي ابن عباس : انطلق فأفقت الناس فمن سألك عما يمينه فأفته ، ومن سألك عما لا يمينه فلا ففته ، فانك تطرح عنى ثلثي مؤنة الناس . وقال سفیان عن عمرو قال : كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن المغازي كأنه مشرف عليهم ينظر كيف يصنعون ويقتلون . وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق قال سمعت معمرأ يقول : سمعت أيوب يقول : كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق ، قال فأتى لى سوق البصرة فاذا رجل على حمار ، فقيل : هذا عكرمة ، قال : واجتمع الناس إليه فما قدرت أنا على شئ أسأله عنه ، ذهبت منى المسائل ، وشردت عنى فقممت إلى جنب حماره فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظه . وقال شعبة عن خالد الحذاء قال قال عكرمة لرجل وهو يسأله : مالك أخبرت ؟ أى فتلت . وقال زياد بن أبي أيوب : حدثنا أبو نميلة حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد قال قلت لعكرمة بنيسابور : الرجل يريد الخلاء وفي إصبه خاتم فيه اسم الله ، قال : يجلس فسه في باطن يده ثم يقبض عليه .

وقال الامام أحمد : حدثنا أمية بن خالد قال : سمعت شعبة يقول قال خالد الحذاء : كل شئ قال فيه محمد بن سيرين : ثبت عن ابن عباس ، إنما سمعه من عكرمة ، لقيه أيام المختار بالكوفة . وقال سفیان الثوري : خذوا المناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . وقال أيضاً : خذوا التفسير عن أربعة : سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك . وقال عكرمة : أدركت مثني من أصحاب رسول الله

س. في هذا المسجد . وقال محمد بن يوسف الفريابي : حدثنا إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن عكرمة : قال : كانت الخليل التي شغلت سليمان بن داود عليه السلام عشرين ألفاً فقرها ، وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا معمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة : [الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب] قال : الدنيا كلها قريب وكلها جهالة . وفي قوله : [الذين لا يريدون علواً في الأرض] قال : عند سلاطينها وملوكها . [ولا فساداً] لا يعلمون بماصى الله عز وجل . [والعاقبة] هي الجنة . وقال في قوله تعالى : [فلما نسوا ما ذكروا به] أى تركوا ما وعظوا [بعذاب بئس] أى شديد [فلما عتوا عما نهوا عنه] أى عادوا وأصرّوا . [خاسئين] صاغرين . [لجعلناها نكالا لما بين يديها] أى من الأمم الماضية [وما خلفها] من الأمم الآتية ، من أهل زمانهم وغيرهم [وموعظة] تقي من تعظيها الشرك والمماص .

وقال ابن عباس : إذا كان يوم القيامة بعث الله الذين اعتدوا ويحاسب الذين تركوا الأمر والنهي كان المسخ لهم عقوبة في الدنيا حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال عكرمة : قال ابن عباس : هلك والله القوم جميعاً ، قال ابن عباس فالذين أصرّوا ونهوا نجا ، والذين لم يأمرؤا ولم ينهؤا هلكوا فبين هلك من أهل المماص . قال : وذلك أهل ايلة - وهي قرية على شاطئ البحر - وكان الله قد أمر بني إسرائيل أن يتفرغوا ليوم الجمعة فقالوا : بل نتفرغ ليوم السبت ، لأن الله فرغ من الخلق يوم السبت ، فأصبحت الأشياء مسبوتة . وذكروا قصة أصحاب السبت ، وتحريم الصيد عليهم ، وأن الحيتان كانت تأتيتهم يوم السبت ولا تأتيتهم في غيره من الأيام ، وذكروا احتياهم على صيدها في يوم السبت فقال قوم : لا ندعكم تصيدون في يوم السبت ووعظوم ، فجاء قوم آخرون مداهنون فقالوا : [لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو مذهبهم عذاباً شديداً ؟] قال الناهون [معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون] أى ينتهون عن الصيد في يوم السبت . وقد ذكر عكرمة أنه لما قال لابن عباس إن المداهنين هلكوا مع النافلين ، كساه ثوبين . وقال حوثره عن منيرة عن عكرمة قال : كانت القضاة ثلاثة - يعنى في بني إسرائيل - فأت واحد فجعل الآخر مكانه ، فقضوا ما شاء الله أن يقضوا فبعث الله ملكا على فرس فر على رجل يسقى بقرعة معها عجل ، فدعا الملك العجل فتبع العجل الفرس ، فجاء صاحبه ليرده فقال : يا عبد الله اعجل وأبن بقرتي ، فقال الملك : بل هو عجلي وابن فرسى ، فخاصمه حتى أعبأ ، فقال : القاضى بيني وبينك ، قال : لقد رضيت ، فارتضوا إلى أحد القضاة فتكلم صاحب العجل فقال له : مربى على فرس فدعا عجلي فتبعه فأبى أن يرده ، قال : ومع الملك ثلاث درات لم ير الناس مثلاً ، فأعطى القاضى درة وقال : أقض لى ، فقال : كيف يسوغ هذا ؟ فقال : نرسل العجل خلف الفرس والبقرة فأيهما تبعها فهو ابنها ، ففعل ذلك فتبع الفرس فقضى له . فقال

صاحب العجل : لأرضي ، بيني وبينك القاضى الآخر ، ففعلا مثل ذلك ، ثم أتيا الثالث قصصا عليه قصتهما ، وناولوه الملك الدرة الثالثة فلم يأخذها ، وقال لا أفضى بينكما اليوم ، فقالا : ولم لا تفضى بيننا ؟ فقال : لأننى حائض ، فقال الملك : سبحان الله ! رجل يحيض ؟ ! . فقال القاضى : سبحان الله ! وهل تنتج الفرس عجلا ؟ ففضى لصاحب البقرة . فقال الملك : إنكم إنما ابتليتم ، وقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك .

وقال أبو بكر بن عياش عن أبي حمزة الثمالى عن عكرمة أن ملكا من الملوك نادى فى مملكته : إني إن وجدت أحدا يتصدق بصدقة قطعت يده ، فجاء سائل إلى امرأة فقال : تصدق على بشى ؟ فقالت : كيف أتصدق عليك والملك يقطع يد من يتصدق ؟ قال : أسألك بوجه الله إلا تصدقت على بشى ، فتصدقت عليه برغيفين ، فبلغ ذلك الملك فأرسل إليها فقطع يديها ، ثم إن الملك قال لأمه : دلينى على امرأة جميلة لأتزوجها ، فقالت : إن ههنا امرأة ما رأيت مث لها ، لولا عيب بها ، قال : أى عيب هو ؟ قالت مقطوعة اليدين ، قال : فأرسل إليها ، فلما رآها أعجبته . وكان لها جمال . فقالت : إن الملك يريد أن يتزوجك : قالت : نعم إن شاء الله ، فتزوجها وأكرمها ، فنهده إلى الملك عدو نفرج إليهم ، ثم كتب إلى أمه : انظري فلانة فاستوصى بها خيرا وافعلى وافعلى معها ، فجاء الرسول فنزل على بعض ضرائرها فحسبها فأخذن الكتاب فغيرنه وكتبن إلى أمه : انظري فلانة فقد بلغنى أن رجلا يأتونها فأخرجها من البيت وافعلى وافعلى ، فكتبت إليه الأم إنك قد كذبت ، وإنها لامرأة صدق ، فذهب الرسول إليهن فنزل بهن فأخذن الكتاب فغيرنه فكتبت إليه : إنها فاجرة وقد ولدت غلاما من الزنا ، فكتب إلى أمه : انظري فلانة فاجعلى ولداها على رقبته واضربى على جيبها واخرجيها . قال : فلما جاءها الكتاب قرأته عليها وقالت لها : اخرجى ، فجعلت الصبي على رقبته وذهبت ، فمرت بنهر وهى عطشانة فنزلت لتشرب والصبي على رقبته فوقع فى الماء ففرق ، فجعلت تبكى على شاطئ النهر ، فر بها رجلان فقالا : ما يبكيك ؟ قالت : ابنى كان على رقبتي وليس لى يدان فسمعت فى الماء ففرق . فقالا لها : تأمحين أن يرد الله عليك يدك كما كانتا ؟ قالت : نعم ! فدعوا الله ربهما لها فاستوت يداها ، ثم قالا لها : أتمدنين من نحن ؟ قالت : لا قال : نحن الرغيفان اللذان تصدقت بهما . وقال فى قوله : [طيرا أبابيل] قال : طير خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع فلم تزل ترميهم حتى جدرت جلودهم ، وما روى الجردى قبل يومئذ وما روى الطير قبل يومئذ ولا بعد . وفى قوله تعالى : [ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة] قال : لا يقولون لا إله إلا الله ، وفى قوله [قد أفلح من تزكى] قال : من يقول لا إله إلا الله ، وفى قوله : [هل لك إلى أن تزكى] إلى أن تقول لا إله إلا الله ، وفى قوله : [إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استفاموا [على شهادة أن لا إله إلا الله . وفي قوله [أليس منكم رجل رشيد] أليس منكم من يقول : لا إله إلا الله ، وفي قوله : [وقال صوابا] قال : لا إله إلا الله . وفي قوله : [إنك لا تختلف الميعاد] لمن قال : لا إله إلا الله . وفي قوله [لا عدوان إلا على الظالمين] على من لا يقول : لا إله إلا الله . وفي قوله : [وإذا ذكر ربك إذا نسيت] قال : إذا غضبت [سيهام في وجوههم] قال : السهر وقال : إن الشيطان يزين للعبد الذنوب ، فإذا عمله تبرأ منه ، فلا يزال يتضرع إلى ربه ويتسكن له ويبيكي حتى يغفر الله له ذلك وما قبله . وقال قال جبريل عليه السلام : إن ربي ليبغضني إلى الشيء لا مضيه فأجد الكون قد سبقني إليه . وسئل عن الماعون قال : العارية . قلت : فإن منع الرجل غربالاً أو قدراً أو قصعة أو شيئاً من متاع البيت فله الويل ؟ قال : لا ! ولكن إذا نهى عن الصلاة ومنع الماعون فله الويل . وقال : البضاعة المزجاة التي فيها تجوز . وقال : السائحون ، هم طلبة العلم . وقال : [كما يتبس الكفار من أصحاب القبور] قال : إذا دخل الكفار القبور وعانوا ما أعد الله لهم من الخزي ، يتسوا من نعمة الله . وقال غيره . [يتبس الكفار من أصحاب القبور] أي من حياتهم وبهائمهم بعد موتهم . وقال : كان إبراهيم عليه السلام يدعى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد ، وقال : أنسكلاً ، أي قيوداً . وقال في كاهن سبأ : إنه قال لقومه لما دنا منهم المناب : من أراد سفراً بعيداً وحملًا شديداً ، فعليه إيمان ، ومن أراد الحز والحير ، وكذا وكذا والعصير ، فعليه ببصرى - يعنى الشام - ومن أراد الراسخات في الوحل ، والمقبات في المحل فعليه ببئر ذات النخل . فخرج قوم إلى عمان وقوم إلى الشام ، وهم غسان ، وخرج الأوس والخزرج - وهم بنو كعب بن عمرو - وخزاعة حتى نزلوا ببئر ، ذات النخل ، فلما كانوا ببطن مرت قالت خزاعة : هذا موضع صالح لا يزيد به بدلاً ، فنزلوا ، فنم سميت خزاعة ، لأنهم نزعوا من أصحابهم . وقد مدت الأوس والخزرج حتى نزلوا ببئر ، فقال الله عز وجل ليوسف عليه السلام يا يوسف ! بعفوك عن إخوتك رفعت لك ذكرك مع الذاكرين . وقال : قال لقمان لابنه : قد دقت المرار فلم أذق شيئاً أثمر من الفقر . وحملت كل حمل ثقيل فلم أحمل أثقل من جوار السوء . ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . رواه وكيع بن الجراح . عن سفیان عن أبيه عن عكرمة : [وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى] قال : ما وقع شيء منها إلا في عين رجل منهم . وقال : في قوله تعالى [زعيم] هو اللّيم الذي يعرف اللؤمة كما يعرف الشاة بذمتها . وقال في قوله تعالى [الذين يؤذون الله ورسوله] قال : هم أصحاب التصاوير ، [وبلغت القلوب الحناجر] قال : لو أن القلوب تهركت أو زالت لخرجت نفسه ، وإنما هو الخوف والفرع . [فنتنم أنفسكم] أي بالشهوات [وتر بعضكم بالثوبة] وغرتمكم الأمانى [أي التسويف] حتى جاء أمر الله [الموت] وغرتم بالله الغرور [

الشیطان . وقال : من قرأ يس والقرآن الحکیم لم یزل ذلك اليوم فی سرور حتی یمسی .
قال سلمة بن شعيب : حدثنا ابراهيم بن الحکیم عن ابيه عن أبيه . قال : كنت جالسا مع عكرمة
عند البحر فذكروا الذين یفرقون فی البحر فقال عكرمة : الذين یفرقون فی البحر تفقهم لحومهم
الحینان فلا یبقى منهم شیء إلا العظام ، حتی تصیر حائلًا لخرة فذریها الابل فتنأ كلها ، ثم تسیر الابل
فتسهرها ، ثم یجئهم بئسهم قوم فینزلون ذلك المنزل فیاخذون ذلك البعر فیوقدونه ثم یصیر رماداً
فتجئ الریح فتأخذنه فتندریه فی كل مكان من الأرض حیث یشاء الله من بره وبحره ، فاذا جاءت
النفخة - نفخة المبعث - فیخرج أولئك وأهل القبور المجوعوعین سواء . وبهذا الاسناد عنه قال : إن
الله أخرج رجلین ، رجلاً من الجنة ورجلاً من النار ، فقال لصاحب الجنة : عبدي کیف وجدت
مقيلك ؟ قال : خیر مقیل . ثم قال لصاحب النار : عبدي کیف وجدت مقيلك ؟ فقال : شر مقیل قاله
القائلون ، ثم ذكر من عقاربها وحیاتها وزنا بیرها ، ومن أنواع ما فیها من العذاب وألوانه ، فیهقول الله
تعالی لصاحب النار : عبدي ماذا أعطینی إن أنا أعفیتك من النار ؟ فیهقول العبد : إلهی وماذا عندي
ما أعطيك ، فقال له الرب تعالی : لو كان لك جبل من ذهب أ كنت تعطينی فأعفیک من النار ؟ فقال
نعم ، فقال له للرب : كذبت لقد سألتك فی الدنیا ما هو أيسر من ذلك ! تدعونی فأعجبك لك ،
وتستغفرنی فأغفر لك ، وتسألنی فأعطيك ، فكنت تتولی ذاهباً .

وبهذا الاسناد قال : ما من عبد یقر به الله عز وجل يوم القيامة لحساب إلا قام من عنده الله
بمفوه ، وبه عنه : لكل شیء أساس ، وأساس الاسلام الخلق الحسن . وبه عنه قال : شكى نبي من
الانبياء إلى ربه عز وجل الجوع والعری ، فأوحى الله إلیه : أما ترضی أنى سددت عنك باب الشر
الناسی عنها ؟ وبه عنه قال : إن فی السماء ملكاً یقال له إسماعیل لو أذن الله له بفتح أذن من آذانه
یسبح الرحمن عز وجل لمات من فی السموات والأرض . وبه عنه قال : سعة الشمس سعة الأرض
وزيادة ثلاث مرات ، وسعة القمر سعة الأرض مرة ، وإن الشمس إذا غربت دخلت بحراً نحت
العرش تسبح الله حتی إذا أصبحت استمعت ربهما تعالی من الطلوع فیهقول لها : ولم ذالك - وهو أعلم -
فتقول : ثلاثاً أعبد من دونك ، فیهقول لها : اطلعی فلیس عليك شیء من ذلك ، حسبهم جهنم أبشأ
إلهم مع ثلاث عشرة ألف ملك تقودها حتی یدخلهم : وهذا خلاف ما ثبت فی الحديث الصحيح
« إن جهنم یؤتی بها تقاد بسبعین ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك » . وقال مندل عن أسد
ابن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس . قال قال رسول الله ص . « لا یقفن أحدكم علی رجل یضرب
خلعاً فان اللعنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه . ولا یقفن أحدكم علی رجل یتنزل
خلعاً فان اللعنة تنزل من السماء علی من یحضره إذا لم تدفعوا عنه » . لم یرفعه إلا مندل هذا .

وروى شعبة عن عمارة بن حفصة عن عكرمة عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) « كان إذا عطس غطى وجهه بثوبه ، ووضع يديه على حاجبيه » ، هذا حديث عال من حديث شعبة . وروى بقية عن إسحاق بن مالك الخضري عن عكرمة عن أبي هريرة عن النبي (ص) ، قال : « من حلف على أحد يمينا ، وهو يرى أنه سيبره فلم يفعل ، فأنما إثمه على الذي لم يبره » . تفرد به بقية بن الوليد مرفوعا . وقال عبد الله بن أحمد في مسند أبيه : حدثنا عبيد بن عمر القواريري حدثنا يزيد بن ربيع حدثنا عمارة بن أبي حفصة حدثنا عكرمة حدثنا عائشة أن النبي (ص) ، كان عليه بردان قطريان خشنان غليظان ، فقالت عائشة : يا رسول الله ، إن ثوبيك هذين غليظان خشنان ، ترشح فيهما فيشتغلان عليك ، فأرسل إلى فلان فقد أتاه برد من الشام فاشتر منه ثوبين إلى ميسرة ، فأرسل إليه فأناه الرسول فقال : إن رسول الله (ص) ، بعث إليك لتبديعه ثوبين إلى ميسرة . فقال : قد علمت والله ، ما يريد نبي الله إلا أن يذهب بثوبي ويغطي بشفتهما ، فرجع الرسول إلى رسول الله (ص) ، فأخبره فقال (ص) : كذب ! قد علموا أني أقامهم الله ، وآدام للأمانة » . وفي هذا اليوم قال النبي (ص) : « لأن يلبس أحدكم من رفاع شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده » والله سبحانه أعلم [(١)] .

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديقي

كان أحد الفقهاء المشهورين ، له روايات كثيرة ، عن الصحابة وغيرهم ، وكان من أفضل أهل المدينة ، وأعلم أهل زمانه ، قتل أبوه بمصر وهو صغير ، فأخذته خالته فنشأ عندها ، وساد له مناقب كثيرة . أبو رجاء المطاردي .

وفيهما توفي كثير عزة الشاعر المشهور

وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر ، أبو صخر الخزاعي الحجازي ، المعروف بابن أبي جمعة ، وعزة هذه المشهور بها المنسوب إليها ، لتغزله فيها ، هي أم عمرو عزة بالعين المهملة ، بنت جميل بن حفص ، من بني حاجب بن غفار ، وإنما صغر اسمه فقيل كثير ، لأنه كان دميم الخلق قصيرا ، طوله ثلاثة أشبار . قال ابن خلكان : كان يقال له رب الدبان ، وكان إذا مشى يظن أنه صغير من قصره ، وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له : طأطأ رأسك لا يؤذيك السقف ، وكان يضحك إليه ، وكان يفد على عبد الملك ، ووفد على عبد الملك بن مروان مرات ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان يقال إنه أشعر المسلمين ، على أنه كان فيه تشيع ، وربما نسب به بعضهم إلى منهج التناسخية ، وكان محتج على ذلك من جهله وقلة عقله إن صح النقل عنه ، في قوله تعالى [في أي صورة ما شاء ركبك] وقد استأذن يوما على عبد الملك فلما دخل عليه قال عبد الملك : لأن

(١) زيادة من المصرية .

تسمع بالعمى خبر من أن تراه ، فقال : حَيْهَلَا يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغره قلبه ولسانه ، إن نطق نطق ببيان ، وإن قاتل قاتل بجنان ، وأنا الذى أقول

وجربتُ الأورَ وجربنى * وقد أبدت عريكتى الأورَ
وما تخفى الرجالُ على أنى * بهم لآخو مشافهةً خبيرُ
ترى الرجلَ النحيفَ قترديره * وفى أنوابه أسدٌ زهيرُ
ويمعجك الطيرُ فتخبه * فيخلف ظنك الرجلُ الطيرُ
وما هلمَّ الرجالُ لها بزينة * ولكن زينها دينٌ وخيرُ
بذاك الطيرُ أطولها جسوماً * ولم تطل الزاة ولا الصقورُ
وقد عظم البعيرُ بغير لب * فلم يستغنِ بالعظم البعيرُ
فيركبُ ثم يضربُ بالهراوى * ولا عرفَ لدير ولا نكيرُ
وعودُ النبعِ يذبتُ مستمراً * وليس يطولُ والمضباءُ حورُ

وقد تكلم أبو الفرج بن طرار على غريب هذه الحكاية وشعرها بكلام طويل ، قالوا : ودخل كثير عزة يوما على عبد الملك بن مروان فامتدحه بقصيدته التى يقول فيها : -

على ابن أبى العاصى دروع حصينة * أجاد المسدى سردها وأدالها
قال له عبد الملك : أفلا قلت كما قال الأعشى لقيس بن معديكرب : -
وإذا تجىء كتيبةٌ مدومةٌ * شهباً يخشى الدائمون صيالها
كنت المتمدّم غير لابس جبة * بالسيف يضرب معلماً أبطلها

فقال : يا أمير المؤمنين وصفه بالخرق ووصفك بالحزم . ودخل يوما على عبد الملك وهو يتجهز للخروج إلى مصعب بن الزبير فقال : ويحك يا كثير ، ذكرتكَ الآن بشرك فان أصبته أعطيتك حكماً ، فقال : يا أمير المؤمنين كأنك لما ودعت عائكة بكت يزيد بكت لفراقك فبكى لبكائها حشماً فذكرت قولى :

إذا ما أرادَ الفزؤ لم تثنِ عزيمه * حصان عليها نظم دريزينها
نهته فلما لم ترَ النهم عاقبه * بكى فبكى ممأعراها قطينها

قال : أصبت فاحتكم ، قال : مائة ناقة بن ثوبك المختارة ، قال : هى لك ، فلما سار عبد الملك إلى العراق نظر يوماً إلى كثير عزة وهو مفكر فى أمره فقال : على به ، فلما جرى به قال له : أرايت إن أخبرتك بما كنت تفكر به تعطينى حكماً ؟ قال : نعم ، قال : والله ؟ قال : والله ، قال له عبد الملك إنك تقول فى نفسك : هذا رجل ليس هو على مذهبي ، وهو ذاهب إلى قتال رجل ليس هو على

مذهبي ، فان أصابني سهم غرب من بينهم خسرت الدنيا والآخرة ، فقال : إني والله يا أمير المؤمنين فاحذركم ، قال : أحسنكم حكماً أن أردك إلى أهلك وأحسن جزئتك ، فأعطاه مالا وأذن له بالانصراف وقال حماد الراوية عن كثير عزة : وفدت أنا والأحوص ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز حين ولي الخلافة ، ونحن نمت بصحبته إياه وما شرتنا له ، لما كان بالمدينة ، وكل منا يظن أنه سيسركه في الخلافة . ونحن نسير ونختال في رحالنا ، فلما انتهينا إلى خُدُصرة ولاحت لنا أعلامها ، تلقانا مسلمة بن عبد الملك فقال : ما أقدمكم ؟ أو ما علمتم أن صاحبكم لا يحب الشعر ولا الشعراء ؟ قال : فوجدنا ذلك ، فأنزلنا مسلمة عنده وأجرى علينا التفتات وعلف دوابنا ، وأقفا عنده أربعة أشهر لا يمكنه أن يستأذن لنا على عمر ، فلما كان في بعض الجمع دنوت منه لأسمع خطبته فأسلم عليه بعد الصلاة ، فسمعته يقول في خطبته : لسكنى سفر زاد ، فزودوا أسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى ، وكونوا كمن عاب ما أعد الله له من عذابه وثوابه فترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسد قلوبكم وتتفادوا لعدوكم . فانه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يمسي بعد إصابحه ولا يصبح بعد إمسائه ، وربما كانت له كاتبة بين ذلك خطرات الموت والمذابا ، وإنما يطعم من وثق بالنجاة من عذاب الله وأحوال يوم القيامة ، فاما من لا يدري من الدنيا كلها إلا أصابه جارس من ناحية أخرى فكيف يطعم من أعوذ بالله أن أسركم بما أنهى عنه نفسه فنيخسر صفقة وتبدو مسكتي في يوم لا نفع فيه إلا الحق والصدق ، ثم بكى حتى طسا أنه قاض نحيبه ، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء والمويل : قال : فالصرفت إلى صاحبي فقلت : خذ سرحا من الشعر غير ما كنا نقول لأمير وآبائه فانه رجل أخرى ليس برجل دنيا . قال : ثم استأذن لنا مسلمة عليه يوم الجمعة فلما دخلنا عليه سلمت عليه ثم قلت : يا أمير المؤمنين طال الشواء وقلت الفائدة ، وتحدث بجفائك إيانا وفود العرب . فقال : [إنما الصدقات للفقراء والمساكين] وقرأ الآية ، فان كنتم من هؤلاء أعطيتهم وإلا فلا حق لكم فيها ، فقلت : يا أمير المؤمنين إني مسكين وعابر سبيل ومنقطع به ، فقال : ألسنم عند أبي سعيد ؟ - يعني مسلمة بن عبد الملك - فقلنا : بلى ! فقال : إنه لا ثواب على من هو عند أبي سعيد ، فقلت : أئذن لي يا أمير المؤمنين بالأشاد ، قال : نعم ولا تقل إلا حقا ، فأشدته قصيدة فيه :

وليت فلم تشتم عاليا ولم تخف * يريئاً ولم تقبل إشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي * أتيه فأسي راضياً كل مسلم
ألا إنما يبغي الفنى بعد ريعه * من الأود النادى ثقاف المقوم
وقد لبست تسمى اليك ثيابها * تراه لك الدنيا بكف ومعصم
وتووض أحياناً بعين مريضة * وتبسم عن مثل الجان المنظم

فأعرضت عنها مشراً كأنما * سقتك مذوقاً من سلامٍ وعلقمٍ
وقد كنت من أحبالها في منع * ومن بحرهما في زبد الموج معهم
ومازلت توافاً إلى كل غاية * بلغت بها أعلى البناء المتقدم
فلما أتاك الملك عفواً ولم تكن * لطالب دنيا بمسده في تكلم
تركت الذي يقى وإن كان موثقاً * وآثرت ما يبق برأي مصمم
وأضرت بالفاني وشمرت للذي * أملك في يوم من الشر مظلم
وما لك إذ كنت الخليفة مانع * سوى الله من مال رعيته ولادم
سما لك هم في النواذر مؤرق * بلغت به أعلى المعالي بسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها * مناد ينادي من فصيح وأنجم
يقول أمير المؤمنين ظمئني * بأخلك ديناري وأخلك درهمي
ولا بسط كف لأمري غير مجرم * ولا السفك منه ظالماً ملء عجم
ولو يستطيع المسلمون لقسوا * لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فحشت بها ما حجب الله راكب * ملب مطيف بالمقام وزنم
فأريح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

قال : فأقبل على عمر بن عبد العزيز وقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة ، ثم استأذنه الأحوص
فأنشده قصيدة أخرى فقال : إنك تسأل عن هذا يوم القيامة . ثم استأذنه نصيب فلم يأذن له وأمر
لكل واحد منهم بمائة وخمسين درهما ، وأغزى نصيباً إلى مرج دابق . وقد وفد كثير عزة بعد
ذلك على يزيد بن عبد الملك فامتدحه بقصائده فأعطاه سبعمائة دينار . وقال الزبير بن بكار : كان
كثير عزة شبيهاً خبيثاً يرى الرجسة ، وكان يرى التناسخ ويحتج بقوله تعالى [في أي صورة
ما شاء ركبت] وقال موسى بن عقبة هو لك كثير عزة لیسلة في منامه فأصبح يمتدح آل الزبير ويرى
عبد الله بن الزبير ، وكان يسمى الرأي فيه :

بمنضح البطحا تأول أنه * أقام بها ما لم ترمها الأخابش
سرحنا سروبا آمين ومن يخف * بوائقي ما يخشى تنبؤ النواشب
تبرأت من عيب ابن أسماء إنني * إلى الله من عيب ابن أسماء تأشب
هو المرأة لا ترزى به أمهاته * وآباؤه فينا السكرا الأطايب

وقال مصعب بن عبد الله الزبيري : قالت عائشة بنت طلحة لكثير عزة : ما الذي يدعرك إلى
ما تقول من الشعر في عزة وليست على نصف من الحسن والجمال ؟ فلو قلت ذلك في زفي أمثالي فانا

أشرف وأفضل وأحسن منها - وكانت عائشة بنت طلحة قد فقت النساء حسنا وجمالا وأصالة -
وإنما قالت له ذلك لتختبره وتبلوه فقال :-

ضحى قلبه يا عَزْ أَوْ كَأْذ يَذْهَلُ * وَأَضْحَى يَرِيدُ الصَّوْمُ أَوْ يَقْبَلُ
وَكَيْفَ يَرِيدُ الصَّوْمُ مِنْ هُوَ وَامَقْ * لَمَزَةُ لَا قَالُ وَلَا مَتَبَسِّلُ
إِذَا وَاصَلْتُنَا خَلَّةً كَيْ تَزِيلُنَا * أَبِينَا وَقَانَا الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ
سَنَوَلِيكَ عَرَفًا إِنْ أُرِدْتَ وَصَالَنَا * وَنَحْنُ لَنِيكَ الْحَاجِبِيَّةُ أَوْصَلُ
وَحَدِيثُهَا الْوَاشُونَ أَنَّى هَجَرْتَهَا * لِحَمَلِهَا غِيظًا عَلَى الْحَمَلُ

فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : قَدْ جَعَلْتَنِي خَلَّةً وَلَسْتُ لَكَ بِخَلَّةٍ ، وَعَمَّا قُلْتَ كَمَا قَالَ جَمِيلُ فَهُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ
مِنْكَ حَيْثُ يَقُولُ :

يَا رَبِّ عَارِضِي عَلَيْنَا وَصَلْمَا * بِالْجِدْرِ تَخْلُطُهُ بِقَوْلِ الْمَازِلِ
فَأَجَبْتَهَا بِالْقَوْلِ بِمَسَدٍ تَسْتَرِ * حَبِي بِثِيْنَةٍ عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِ
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي بِقَدْرِ قُلَامَةٍ * فَضْلُ وَصَلْتِكَ أَوْ أَتَتْكَ رَسَائِلِ

فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنْكَرَ فَضْلَ جَمِيلٍ ، وَمَا أَنَا إِلَّا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَاسْتَحْيَا . وَمَا أَنْشَدَهُ ابْنُ
الْأَنْبَارِيِّ لِكَثِيرِ عَزَّةَ :

بَابِي وَأُمِّي أَنْتِ مِنْ مَعْشُوقَةٍ * طَبْنُ الدَّوْءِ لَهَا فَفَتِيرٌ حَالِهَا
وَمَشَى إِلَيَّ بِعَيْبِ عَزَّةٍ نِسْوَةٍ * جَمَلُ الْإِلَهِ خُدُودُهَا نَمَالِهَا
اللَّهُ يَعْلَمُ لَوْ جَمَعْتُ وَمِثْلَتُ * لَأَخَذْتُ قَبْلَ تَأْمَلِ نَمَالِهَا
وَلَوْ أَنَّ عَزَّةً خَاصَمْتُ شَمْسَ الصُّحَى * فِي الْحَسَنِ عِنْدَ مَوْثِقِ لَفْزَى لَهَا

وَأَنْشَدَ غَيْرَهُ لِكَثِيرِ عَزَّةَ :

فَمَا أَحْدَثَ النَّأْيُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا * سَلَوَا وَلَا طَوْلُ اجْتِمَاعٍ تَقَالِيَا
وَمَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً * وَلَا كَثْرَةُ النَّاهِينَ إِلَّا تَمَادِيَا
غَيْرُهُ لَهُ : قُلْتُ لَهَا يَا عَزْ كُلِّ مَصِيبَةٍ * إِذَا وَطَنْتُ بِوَمَأِهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
هَنِيئًا مَرِيئًا غَيْرَ دَائِرٍ مَخَامِرِ * لَمَزَةُ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحْلَتْ

وَقَالَ كَثِيرُ عَزَّةَ أَيْضًا وَفِيهِ حِكْمَةٌ أَيْضًا :

وَمَنْ لَا يَغْمُضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ * وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَائِبُ
وَمَنْ يَنْتَبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ * يَجِدُهَا وَلَا يَبْقَى لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وَذَكَرُوا أَنَّ عَزَّةَ بِنْتَ جَمِيلِ بْنِ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غِفَارٍ أُمِّ عَمْرِو الضَّمْرِيَّةِ

وفدت على عبيد الملك بن مروان تشكو إليه ظلامه فقال : لا أفضيها لك حتى تشدني شيئا من شعره ، فقالت : لا أحفظ لكثير شعراً ، لكني سمعتمهم يحكون عنه أنه قال في هذه الأبيات :
قضى كل ذي دين علمتُ غريمه * وعزةٌ ممطولٌ معنى غريمها
فقال : ايس عن هذا أسألك ولكن أنشدني قوله :

وقد زعمتُ أني تغيرتُ بعدها * ومن ذا الذي يا عزُ لا يتغيرُ
تغيرَ جسمي والحبةُ كالذي * عهدتِ ولمْ يخبرْ بذلكَ مخبرُ
قال فاستحييت وقالت : أما هذا فلا أحفظه ولكن سمعتمهم يحكون عنه ، ولكن أحفظه قوله :
كأنني أنادي صخرة حينَ أعرضتُ * من الظلم لو تمشي بها العظم ذاتِ
صنوحٍ فما تلقاك إلا بخيلة * ومن ملَّ منها ذلك الوصل ملت

قال فقضى لها حاجتها وردها ورد عليها ظلامتها وقال : أدخلوها الحرم لينعلوا من أدها . وروى عن بعض نساء العرب قالت : اجتازت بنا عزة فاجتمع نساء الحاضر إليها لينظرن حشنها ، فإذا هي حبراء حلوة لطيفة ، فلم تقع من النساء بذلك الموقع حتى تكلمت فإذا هي أربع النساء وأحلاهن حديثاً ، فما بقي في أعيننا امرأة تفوقها حسناً وجمالاً وحلاوة . وذكر الأصمعي عن سفيان بن عيينة قال : دخلت عزة على سكيته بنت الحسين فقالت لها : إني أسألك عن شيء فاصدقيني ، ما الذي أريد كثير في قوله لك :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزةٌ ممطولٌ معنى غريمها
فقالت : كنت وعدته قبله فطلته بها ، فقالت : أنجز بها له وإمها على ، وقد كانت سكيته بنت الحسين من أحسن النساء . كان يضرب بحسنها المثل . وروى أن عبد الملك بن مروان أراد أن يزوج كثيراً من عزة بنت عليه وقالت : يا أمير المؤمنين أبعده ما فضحتني بين الناس وشهرني في العرب ؟ وامتنعت من ذلك كل الامتناع ، ذكره ابن عساكر . وروى أنها اجتازت مرة بكثير وهو لا يعرفها فتسكرت عليه وأرادت أن تختبر ما عنده ، فتمرض لها فقالت : فأين جيك عزة ؟ فقال : أنا لك الفداء لو أن عزة أمة لي لوهبها لك ، فقالت : ويحك لا تفضل أأست القائل :
إذا وصلتنا خلة كي نزيئنا * أبينا وقلنا الحاجبية أول ؟

فقال : بأبي أنت وأمي ، أقصرني عن ذكرها واسمعي ما أقول :
هل وصل عزة إلا وصل غانية * في وصل غانية من وصلها بدل
قالت : فهل لك في المجالسة ؟ قال : ومن لي بذلك ؟ قالت : فكيف بما قلت في عزة ؟ قال :
أقلبه فيتحول لك ، قال فسفرت عن وجهها وقالت : أغدراً وتنا كئفاً فاسق ، وإنك لها هنا ياعبدو

الله ، فببت وأبأس ولم ينطق ونحير ونجمل ، ثم قالت : قاتل الله جيلاً حيث يقول : -
 يحا الله من لا ينفع الود عند * ومن حبله إن صد غير متين
 ومن هو ذو وجهين ليس بدائم * على العهد حلفاً بكل يمين
 ثم شرع كثير يعتمر ويقتصل مما وقع منه ويقول في ذلك الأشعار ذا كراً وآثراً . وقد ماتت
 عزة بمصر في أيام عبد العزيز بن مروان ، وزار كثير قبرها ورثاها وتغير شعره بعدها ، فقال له قائل :
 ما بال شعرك تغير وقد قصرت فيه ؟ فقال : ماتت عزة ولا أطرب ، وذهب الشباب فلا أعجب ،
 ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب ، وإنما ينشأ الشعر عن هذه الخلال .
 وكانت وفاته و وفاة عكرمة في يوم واحد ، ولكن في سنة خمس ومائة على المشهور . وإنما ذكره
 شيخنا الذهبي في هذه السنة - أعني سنة سبع ومائة - والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

[ففينا افتتح مسلمة بن عبد الملك قيسارية من بلاد الروم ، وفتح براهيم بن هشام بن عبد الملك
 حصناً من حصون الروم أيضاً ، وفيها غزا أسيد بن عبد الله القسري أمير خراسان فكسر الأتراك
 كسرة فاضحة . وفيها زحف خاقان إلى أذربيجان وحاصر مدينة ورنان ورمها بالمناجيق ، فسار إليه
 أمير تلك الناحية الحارث بن عمرو نائب مسلمة بن عبد الملك ، فالتقى مع خاقان ملك الترك فهزمه
 وقتل من جيشه خاق كثير ، وهرب الخاقان بعد أن كان قتل في جملة من قتل من بجيشه ، وقتل
 الحارث بن عمرو شهيداً ، وذلك بعد أن قتلوا من الأتراك خلقاً كثيراً . وفيها غزا معاوية بن هشام بن
 عبد الملك أرض الروم ، وبعث البطل على جيش كثيف فافتتح جنجرة وغنم منها شيئاً كثيراً ^(١)
 وفيها توفي من الأعيان بكر بن عبد الله المزني البصري . [كان علماً عابداً زاهداً متواضعاً قليل
 الكلام ، وله روايات كثيرة عن خاق من الصحابة والتابعين . قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت
 من هو أكبر منك من المسلمين قتل : سبقته إلى المعاصي فهو خير مني ، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك
 ويظلمونك قتل : هذا من فضل ربي ، وإذا رأيت منهم تقصيراً قتل : هذا بذنب أحدثته . وقال :
 من مثلك يا ابن آدم ؟ خلى بينك وبين الماء والحرايب متى شئت تطهرت ودخلت على ربك عز وجل
 ليس بينك وبينه ترجمان ولا حاجب . وقال : لا يكون العبد تقياً حتى يكون تقي الطمع تقي الغضب .
 وقال : إذا رأيتم الرجل وكلما يديوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به . وقال : كان الرجل
 من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ الصالح من العمل فشى في الناس تظلمة غمامة ، قال : فرجل قد
 أظلمت غمامة على رجل فأظلمه لما رآه مما آتاه الله ، فاحتقره صاحب النعمة فأمرها الله أن تتحول

(١) زيادة من المصرية .

عن رأسه إلى رأس الذي احتقره ، وهو الذي غظم أمر الله عز وجل . وقال : ما سبقتهم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام ، واسكن بشئ قر في صدره . وله كلام حسن كثير يطول ذكره [(١)] راشد بن سعد المقراني الحصري عمر دهرآ ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وقد كان عابداً صالحاً زاهداً . رحمه الله تعالى ، وله ترجمة طويلة محمد بن كعب القرظي

توفي فيها في قول [وهو أبو حمزة ، له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة ، وكان عالماً بتفسير القرآن ، صالحاً عابداً ، قال الأصمعي : حدثنا أبو المقدم - هشام بن زياد - عن محمد بن كعب القرظي أنه سئل : ما علامة الخذلان ؟ قال : أن يقبح الرجل ما كان يستحسن ، ويستحسن ما كان يقيح . وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا عبد الله بن عبد الله بن موهب قال : سمعت ابن كعب يقول : لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت والقارعة لا أزيد عليهما وأردد فيهما الفكر ، أحب إلى من أن أهد القرآن هدأ - أو قال أنثره نثرآ - . وقال : لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لذكر يا عليه السلام ، قال تعالى : [آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والأبكار] ولو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص له ، ولرخص للذين يقاتلون في سبيل الله ، قال تعالى : [يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون] وقال في قوله تعالى : [اصبروا وصابروا ورابطوا] قال : اصبروا على دينكم وصابروا لوعدهم الذي وعدتم ، ورابطوا عدوكم الظاهر والباطن ، واتقوا الله فيما بيني وبينكم ، لعلكم تفلحون إذا لقيتموني . وقال في قوله تعالى : [لولا أن رأى برهان ربه] : علم ما أحل القرآن مما حرم [منها قائم وحصيد] قال : القائم ما كان من بنائهم قائماً ، والحصيد ما حصد فهم . [إن عذابها كان غراما] قال : غرموا ما نعموا به من النعم في الدنيا ، وفي رواية سألهم عن نعمة فلم يقدروا عليها ولم يؤدوها ، فأغرمهم منها . فأدخلهم النار . وقال قتادة بن سعيد : حدثنا عبد الرحمن بن أبي الموالي قال : سمعت محمد بن كعب في هذه الآية [وما آتيتكم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله] قال : هو الرجل يعطى الآخر من ماله ليكائه به أو يزداد ، فهذا الذي لا يربو عند الله ، والمضعفون هم الذين يعطون لوجه الله لا يبتغي مكافأة أحد . وفي قوله تعالى : [أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق] قال : أجعل سريري وعلائقي حسنة . وقيل : أدخلني مدخل صدق في العمل الصالح ، أي الاخلاص ، وأخرجني مخرج صدق أي سالماً . [أو ألقى السمع وهو شهيد] أي يسمع القرآن وقلبه معه في مكان آخر . [فاسموا إلى ذكر الله] قال : السمع العمل ليس بالشهد . وقال : الكبائر ثلاثة ، أن تأمن مكر الله ، وأن تنقط من رحمة الله ، وأن تياس من روح الله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : إذا أراد الله بمبد خيراً جعل فيه ثلاث خصال ، فقها في الدين ، وزهادة في الدنيا ، وبصراً بعيوب نفسه . وقال : الدنيا دار قلق ، وغب عنها السعداء ، وانتزعت من أيدي الأشقياء ، فأشقى الناس بها أرغب الناس فيها ، وأزهد الناس فيها أسمع الناس بها ، هي الغاوية لمن أضاعها ، المهلكة لمن اتبعها ، الخائنة لمن اتقادها ، علمها جبل ، وغناؤها فقر ، وزياتها نقصان ، وأيامها دول . وروى ابن المبارك عن داود بن قيس قال سمعت محمد بن كعب يقول : إن الأرض لتبكي من رجل وتبكي على رجل ، تبكي على من كان يعمل على ظهرها بطاعة الله ، وتبكي من كان يعمل على ظهرها بمعصية الله ، قد أثقلها . ثم قرأ [فما بكت عليهم السماء والأرض] وقال في قوله تعالى : [فنعمل مثقال ذرة خيراً] : من يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى نوابها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له خير . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، من مؤمن يرى عقوبتها في نفسه وأهله وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له شر . وقال : ما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع على في بعض ما يكره فقتني ، وقال : اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تردني على أمور حتى أنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب يسأله أن يبيعه غلامه سالماً - وكان حابداً خيراً زاهداً - فكتب إليه : - إني قد دبرته ، قال : فازدد فيه ، فأنام سالم فقال له عمر : إني قد ابتليت بما نرى ، وأنا والله أخوف أن لا أنجو ، فقال له سالم : إن كنت كما تقول فهذا نجاته ، وإلا فهو الأمر الذي يخاف . قال : يا سالم عظمي ، قال : آدم عليه السلام أخطأ خطيئة واحدة خرج بها من الجنة ، وأنتم مع عمل الخطايا ترجون دخول الجنة ، ثم سكت . قلت : والأمر كما قيل في بعض كتب الله : نزرعون السيئات وترجون الحسنات ، لا يجتنى من الشوك العنب .

تصلُ الذنوبُ إلى الذنوبِ وترتجى * درجُ الجنانِ وطيبُ عيشِ العابدِ
ونسيتُ أن اللهَ أخرجَ آدمًا * منها إلى الدنيا بذنبٍ واجتدِ

وقال : من قرأ القرآن منع بمقله وإن بلغ من العمر مائتي سنة . وقال له رجل : ماتت في التوبة ؟ قال : لا أحسنها ، قال : أفرأيت إن أعطيت الله عهداً أن لا تعصيه أبداً ؟ قال : فمن أعظم جرماً منك ، تنأى على الله أن لا ينفذ فيك أمره .

وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : حدثنا ابن عبد العزيز حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام حدثنا عباد بن عباد عن هشام بن زياد أبي المقدام . قالوا كلهم : حدثنا محمد بن كعب القرظي قال : حدثنا ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - قال : « من أحب أن يكون أغنى الناس فليكن

بما في يد الله أوثق مما في يده ، ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من نزل وحده ، ومنع رفته ، وجلد عبده ، أفأنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ، ولا يغفر ذنباً ، ثم قال : ألا أنبئكم بشر من هذا ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : من لا يرجي خيره ، ولا يؤمن شره ، إن عيسى بن مريم تام في بني إسرائيل خطيباً فقال : يا بني إسرائيل لا تنكحوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولا تمنعوا أهلها فتظلموها - وقال مرة فتظلموه - ولا تظلموا ظالماً ، ولا تظلموا ظالماً فيبطل فضلكم عند ربكم ، يا بني إسرائيل الأورد ثلاثة ، أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمر تبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلف فيه فردوه إلى الله . وهذه الألفاظ لا تصح عن النبي (ص) بهذا السياق إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس ، وقد روى أول الحديث إلى ذكر عيسى من غير طريقه ، وسيأتي أن هذا الحديث تفرد به الطبراني بطوله والله سبحانه وتعالى أعلم [(١)]

وفيها توفي أبو نصر المنذر بن مالك بن قطة العبدى ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

ثم دخلت سنة تسع ومائة

ففيها عزل هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القيسرى عن إمرة خراسان وأمره أن يقدم إلى الحج ، فأقبل منها في رمضان ، واستخلف على خراسان الحكم بن عوانة الكلبي ، واستتاب هشام على خراسان أشرس بن عبد الله السلمى ، وأمره أن يكاتب خالد بن عبد الله القسرى ، وكان أشرس فاضلاً خبيراً ، وكان سمي الكامل لذلك ، وكان أول من اتخذ المرابطة بخراسان ، واستعمل المرابطة عبد الملك بن زياد الباهلي ، وتولى هو الأمور بنفسه كبيرها وصغيرها ، وفرح بها أهلها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام أمير الحرمين .

سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية

فيها قاتل مسلمة بن عبد الملك ملك الترك الأعظم خاقان ، فزحف إلى مسلمة في جموع عظيمة فتواقفوا نحواً من شهر ، ثم هزم الله خاقان زمن الشتاء ، ورجع مسلمة سالماً غانماً ، فملك على مسلك ذي القرنين في رجوعه إلى الشام ، وتسمى هذه الغزاة غزاة الطين ، وذلك أنهم سلكوا على مفارق ومواضع غرق فيها دواب كثيرة ، وتوكل فيها خاق كثير ، فأنجوا حتى قاسوا شدائد وأهوالاً صعباً وشدائد عظيماً ، وفيها دعا أشرس بن عبد الله السلمى نائب خراسان أهل الذمة يسمرقند ومن وراء النهر إلى الدخول في الاسلام ، ويضع عنهم الجزية فأجابوه إلى ذلك ، وأسلم غالبهم ، ثم طالبهم

(١) زيادة من المصرية .

بالجزية فنصبوا له الحرب وقاتلوه ، ثم كانت بينه وبين الترك حروب كثيرة ، أطال ابن جرير بسطها وشرحها فوق الحاجة . وفيها أرسل أمير المؤمنين هشام بن عبيدة إلى إفريقية متولياً عليها ، فلما وصل جهز ابنه وأخاه في جيش فالتقوا مع المشركين فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا بطريقهم وأنهمز باقبيهم ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً . وفيها افتتح معاوية بن هشام حصنين من بلاد الروم ، وغنم غنائم جمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هشام ، وعلى العراق خالد القسري ، وعلى خراسان أشرس السلي

ذكر من توفي فيها من الأعيان :

جرير الشاعر

وهو جرير بن الخطابي ويقال ابن عطية بن الخطابي واسم الخطابي حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن طابخة بن إلياس ابن مضر بن نزار ، أبو حرزة الشاعر البصري ، قدم دمشق مراراً ، وامتحده يزيد بن معاوية والخلفاء من بعده ووفد على عمر بن عبد العزيز ، وكان في عصره من الشعراء الذين يقارنونهم الفرزدق والأخطل ، وكان جرير أشعرهم وأخيرهم ، قال غير واحد : هو أشعر الثلاثة ، قال ابن دريد : إذا الاثنان داني ثنا الثوري عن أبي عبيدة عن عثمان البتي قال : رأيت جريراً وما لضم شفاه من التسبيح ، فقلت : وما ينفعك هذا ؟ فقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد إن الحسنات يذهبن السيئات ، وعدن الله حق . وقال هشام بن محمد السكبي عن أبيه قال : دخل رجل من بني عذرة على عبد الملك بن مروان يمتدحه بقصيدة وعنده الشعراء الثلاثة ، جرير والفرزدق والأخطل ، فلم يعرفهم الأعرابي ، فقال عبد الملك للأعرابي : هل تعرف أحجى بيت قالته العرب في الاسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

فَقَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ * فَلَا كَمَبًا بَلَدَتْ وَلَا سَكَلَابَا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف أمدح بيت قيل في الاسلام ؟ قال نعم ! قول جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا * وَأَنْدَى الْمَالِينَ بِطَوْنٍ رَاحَ

فقال : أصبت وأحسنت ، فهل تعرف أرق بيت قيل في الاسلام ؟ قال : نعم ! قول جرير :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا رَضٌ * قَتَلْنَا نُسُومًا لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعُنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَتَ بِهِ * وَهَنْ أَضْمُفُ خَلْقٍ اللهُ أَوْكَانَا

فقال : أحسنت ، فهل تعرف جريراً ؟ قال : لا والله ، وإني إلى رؤيته لمشتاق ، قال : فهذا

جرير وهذا الفرزدق وهذا الأخطل ، فأنشأ الأعرابي يقول :

لَحْسًا لِلَّهِ أَبَا جِرْزَةَ * وَأَرْغَمَ أَنْفَكَ يَا أَخْطَلَ
وَجَدْتُ الْفَرْزَدَقَ أَمْسَنَ بَعْرَ * وَرَقَّ خِيَابِشِيهِ الْجَنْسَدَلُ
فَأَنشَأَ الْفَرْزَدَقُ يَقُولُ :

يَا أَرْغَمَ اللَّهُ أَنفَا أَنْتَ حَامِلُهُ * يَا ذَا الْخُلْطَا وَمَقَالِ الزُّورِ وَالْخَطَلِ
مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التَّرْعِي حُكُومَتُهُ * وَلَا الْأَصِيلَ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ
ثُمَّ أَنشَأَ الْأَخْطَلُ يَقُولُ :-

يَا شَرَّ مَنْ حَمَلَتْ سَاقِي عَلَى قَدَمٍ * مَا مِثْلُ قَوْلِكَ فِي الْأَقْوَامِ يَحْتَمِلُ
أَنَّ الْحُكُومَةَ لَيْسَتْ فِي أَنْيْكَ وَلَا * فِي مَعْشَرٍ أَنْتَ مِنْهُمْ أَنْهُمْ سَفَلُ
فَقَامَ جَرِيرٌ مَغْضِبًا وَقَالَ :-

أَنْشَأْتَنِي سَفَاهًا خَيْرَكُمْ حَسَبًا * فَتَيْكَا - وَالْأَمِي - الزُّورُ وَالْخَطَلُ
شَتَمْتَنَاهُ عَلَى رَفْعِي وَوَضْعِي * لَا زِلْمًا فِي سَفَالٍ أَبَا السَّفَلِ

ثُمَّ وَثَبَ جَرِيرٌ فَقَبِلَ رَأْسَ الْأَعْرَابِيِّ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَائِزَتِي لَهُ ، وَكَانَتْ خَمْسَةَ آلَافٍ ،
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَلَهُ مِثْلُهَا مِنْ مَالِي ، فَقَبِضَ الْأَعْرَابِيُّ ذَلِكَ كُلَّهُ وَخَرَجَ . وَحَكَى يَعْقُوبُ بْنُ السَّكَيْتِ
أَنَّ جَرِيرًا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَعَ وَفْدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِنْ جَبَةِ الْحِجَابِ فَأَنشَدَهُ مَدِيحَهُ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :
أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا * وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونُ رَاحِ
فَأُطْلِقَ لَهُ مِائَةُ نَاقَةٍ وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الرِّعَاءِ أَرْبَعَةٌ مِنَ النُّوْبَةِ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ السَّبْيِ الَّذِينَ قَدِمَ بِهِمْ مِنَ
الصَّغْدِ قَالَ جَرِيرٌ : وَبَيْنَ يَدَيَّ عَبْدُ الْمَلِكِ جَامَانٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَهْدَيْتَ لَهُ ، وَهُوَ لَا يَمْنَأُ بِهَا شَيْئًا ،
فَهُوَ يَقْرَعُهَا بِقَضِيْبٍ فِي يَدِهِ ، فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَلْبُ ، فَأُلْقِيَ إِلَيْهِ وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ
الْجَامَاتِ ، وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْحِجَابِ لَمْ يُعْجِبْهُ إِلَّا كَرَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ فَأُطْلِقَ الْحِجَابُ لَهُ خَمْسِينَ نَاقَةً تَحْمِلُ
طَعَامًا لِأَهْلِهِ .

وَحَكَى فُطْلُوْبُهُ أَنَّ جَرِيرًا دَخَلَ بِوَمَا عَلَى بَشْرَ بْنِ مَرْوَانَ وَعِنْدَهُ الْأَخْطَلُ ، فَقَالَ بَشْرُ الْجَرِيرِ :
أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، وَمَنْ هَذَا أَبَا الْأَمِيرِ ؟ فَقَالَ : هَذَا الْأَخْطَلُ ، فَقَالَ الْأَخْطَلُ : أَنَا الَّذِي
قَذَفْتَ عَرَضَكَ ، وَأَسْهَرْتَ لِيْلَكَ ، وَأَذَيْتَ قَوْمَكَ ، فَقَالَ جَرِيرٌ : أَمَا قَوْلُكَ شَتَمْتَ عَرَضَكَ فَمَا ضَرُّ
الْبَحْرِ أَنْ يَشْتَمَهُ مِنْ غَرَقٍ فِيهِ ، وَأَمَا قَوْلُكَ وَأَسْهَرْتَ لِيْلَكَ ، فَلَوْ تَرَكْتَنِي أَنَامَ لَسَكَنَ خَيْرًا لَكَ ، وَأَمَا قَوْلُكَ
وَأَذَيْتَ قَوْمَكَ فَكَيْفَ تُوْذِي قَوْمًا أَنْتَ تُوْذِي الْجُرْزِيَّةَ إِلَيْهِمْ ؟ وَكَانَ الْأَخْطَلُ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ
الْمُنْتَصِرَةِ ، قَبِضَهُ اللَّهُ وَأَبْعَدَ مِثْوَاهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَدَ بَشْرُ بْنُ مَرْوَانَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :
قَدْ اسْتَوَى بَشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ * مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مَهْرَاقِ

وهذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه ، وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، تعالى الله عن قول الجهمية علواً كبيراً ، فإنه إنما يقال استوى على الشيء إذا كان ذلك الشيء عاصياً عليه قبل استيلائه عليه ، كاستيلاء بشرى على العراق ، واستيلاء الملك على المدينة بعد عصيانها عليه ، وعرش الرب لم يكن ممتنعاً عليه نفساً واحداً ، حتى يقال استوى عليه ، أو معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا تجد أضعف من حجج الجهمية ، حتى أدام الافلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح وليس فيه حجة والله أعلم .

وقال الهيثم بن عدي عن عوانة بن الحكم قال : لما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد إليه الشعراء فكنوا ببابه أياماً لا يؤذن لهم ولا يلتفت إليهم ، فساءهم ذلك وهموا بالرجوع إلى بلادهم ، فربهم رجاء بن حيوة فقال له جرير :-

يا أيها الرجلُ المرخى عامته * هذا زمانك فاستأذنْ لنا عمرا
فدخل ولم يذكر لعمر من أمرهم شيئاً ، فربهم عدي بن أوطاة فقال له جرير منشداً :
يا أيها الراكبُ المرخى مطينه * هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغَ خليفتنا إن كنتَ لاقية * أنى لدى البابِ كلمه فودى قرن
لا نفسَ حاجتنا لاقيتَ مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فدخل عدي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة ، فقال : ويحك يا عدي ، مالي وللشعراء ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رسول الله (ص) قد كان يسمع الشعر ويجزى عليه ، وقد أنشده العباس بن مرداس مدحه فأعطاه حلة ، فقال له عمر : أتروى منها شيئاً ؟ قال : نعم فأنشده :-

رأيتك يا خيرَ البرية كلها * نشرتَ كتاباً جاءَ بالحقِّ معلماً
شرعتَ لنا دينَ الهدى بعد جورنا * عن الحقِّ لما أصبحَ الحقُّ مظالمنا
ونورتَ بالبرهانِ أمراً مدلساً * واطفأتَ بالقرآنِ ناراً تضرُّنا
فن مبالغٍ عني النبيَّ محمداً * وكلُّ امرئٍ يجزى بما كان قدماً
أفتَ سبيلَ الحقِّ بعدَ أعوجاجِهِ * وكانَ قديماً ركنهُ قد تهديماً
تعالى علواً فوقَ عرشِ إلهنا * وكانَ مكانُ اللهِ أعلا وأعظماً

فقال عمر : من الباب منهم ؟ فقال : عمر بن أبي ربيعة ، فقال أليس هو الذي يقول :
ثم نبهنا فبهت كما بابا * طفلة ما تبين رجوع الكلام

ساعةً ثم إنها بعدُ قالتُ * ويلنا قد عجلتُ يا ابنَ السَّكرامِ
أعلى غيرِ موعدٍ جئتُ تسرى * تنخطي إلى رهوسِ النيامِ
ما تجشمتُ ما تريدُ من الأمرِ * ولا حيثُ طارقاً لخصامِ
فلو كان عدو الله إذ فجرَكم وسترَ على نفسه ، لا يدخلُ والله أبداً ، فن بالبابِ سواء ؟ قال :
همام بن غالب - يعني الفرزدق - فقال عمر : أوليس هو الذي يقول في شعره :
هما دلياني من ثمانينَ قامةً * كما انقضَّ بازٍ أقمُ الریش كسرةً
فلما استوت رجلاي بالأرضِ قاتلنا * أحيُّ برجئى أم قتيلٌ نخاذرةً
لايضاً والله بساطي وهو كاذب ، فن سواء بالباب ؟ قال : الأخطل ، قال : أوليس هو الذي يقول :
ولستُ بصائمِ رمضانَ طوعاً * ولستُ بأكلٍ لحمِ الاضاحي
ولستُ بزاجرٍ عيساً بكورٍ * إلى بطحاؤٍ مكَّةَ للنجاحِ
ولستُ بزائرٍ بيتاً بعيداً * بمكَّةَ أبنتي فيه صلاحي
ولستُ بقاتمٍ كالعيرِ أدعو * قبيلَ الصبحِ حى على الفلاحِ
ولكني سأشربها شمولاً * وأسجدُ عندَ منبلجِ الصباحِ
والله لا يدخل على وهو كافر أبداً ، فهل بالبابِ سوى من ذكرت ؟ قال : نعم الأحوص ، قال :
أليس هو الذي يقول :

اللهُ بيني وبينَ سيِّدها * يفرُّ مني بها وأتبعهُ
فأهو دون من ذكرت ، فن ههنا غيره ؟ قال جميل بن معمر ، قال : الذي يقول : -
ألا ليتنا نحيا جميعاً وإن نمَّتْ * يوافقُ في الموتِ خريجي خريجها
فأنا في طولِ الحياةِ براغبٍ * إذا قيلَ قدسوى عليَّ صفيحها
فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعملَ بذلك صالحاً ويتوب ، والله لا يدخل على أبداً ، فهل
بالبابِ أحد سوى ذلك ؟ قلت : جرير ، قال أما إنه الذي يقول :
طرفتكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا * حينَ الزيارةِ طارجي بسلامِ
فإن كان لابد فاذن جرير ، فأذن له فدخل على عمر وهو يقول :
إن الذي بعثَ النبيَّ محمداً * جعلَ الخلافةَ للامامِ العادلِ
وسعَ الخلاقَ عدلهُ ووظفه * حق ارعوى وأقامَ ميلَ المائلِ
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً * والنفسُ مولمةٌ بحبِ العاجلِ
فقال له : ويحك يا جرير ، اتق الله فيما تقول ، ثم إن جريراً استأذن عمر في الانشاد فلم يأذن له ولم

ينبه ، فأشده قصيدة طويلة مدحه بها ، فقال له : ويحك يا جبرير لأرى لك فيما همنا حذاً ، فقال : إني مسكين وابن سبيل ، قال : إنا ولينا هذا الأمر ونحن لأنك إلا ثلاثمائة درهم ، أخذت أم عبد الله مائة وابنها مائة وقد بقيت مائة ، فأمر له بها ، فخرج على الشعراء فقالوا : ما وراءك يا جبرير ؟ فقال : ما يسوءكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يملأ الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراض ، ثم أنشأ يقول :

رأيت رقى الشيطان لا تستغزه * وقد كنَّ شيطاني بن الجن راقيا

وقال بعضهم فيما حكاه المعافي بن زكريا الجري قال : قالت جارية للحجاج بن يوسف : إنك تدخل هذا علينا ، فقال : إنه ما علمت عفيما ، فقالت : أما إنك لو أخليتني وإياه سترى ما يصنع ، فأمر باخلاصها مع جرير بن مهران الحجاج ولا يرانها ، ولا يشعر جبرير بشئ من ذلك ، فقالت له : يا جبرير ، فاطرق رأسه ، وقال : هأنذا ، فقالت : أنشدني من قولك كذا وكذا - شعر فيه رقة - فقال : لست أحفظه ولكن أحفظ كذا وكذا - ويعرض عن ذلك وينشدها شعرا في مدح الحجاج - فقالت : لست أريد هذا ، إنما أريد كذا وكذا - فيعرض عن ذلك وينشدها في الحجاج - حتى انقضى المجلس فقال الحجاج : لله درك ، أبيت إلا كرما وكرما . وقال عكرمة أنشدت أعرابيا بيتا لجرير الخطافي :

أبدل الليل لا تجرى كواكبهُ * أو طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقال الأعرابي : إن هذا حسن في معناه وأعوذ بالله من مثله ، ولكني أنشدك في ضده من قولي

وليل : لم يقصره رقاد * وقصره لنا وصل الحبيب

بني الحبيب أرق فيهِ * حتى تناولنا جناهُ من قريب

بمجلس لذة لم تقف فيهِ * على شكوى ولا عيب الذنوب

نفشنا أن تقطعه بلفظ * فترجت العيون عن القلوب^(١)

فقلت له : زدني ، قال : أما من هذا فحسبك ولكن أنشدك غيره فأنشدني :

وكنْتُ إذا عقدت رجال قوم * مصيبتهم وشيقي الوفاء

فأحسن حين يحسن محسنوم * واجتنب الإساءة إن أساءوا

أشأء سوى مشيبتهم فأني * مشيبتهم وأترك ما أشأء

قال ابن مخطئ كان : كان جرير أشعر من الفرزدق ههنا الجمهور ، وأغفر بيت قاله جرير :

إذا غضبت عليك بنو نعيم * حسبك الناس كلهم غضابا

قال وقد سأله رجل : من أشعر الناس ؟ فأخذ بيده وأدخله على ابنه ، وإذا هو يرتفع من ندى

(١) في هذه الأبيات تهريف ، ولم تقف عليها في مرجع آخر .

شئز ، فاستدعاه فنهض والابن يسيل على لحيته ، فقال جرير المذى سأله : أتبصر هذا ؟ قال : نعم ، قال :
 أنمرقه ؟ قال : لا ، قال : هذا أبى ، وإنما يشرب من ضرع العنز لنلا يحملها فيسمع جيرانه حس الحلب
 ويطلبوا منه لبناً ، فأشعر الناس من فاخر بهذا ثمانين شاعراً فغلبهم ، وقد كان بين جرير والفرزدق
 مقابلات ومهاجاة كثيرة جداً يطول ذكرها ، وقد مات في سنة عشر ومائة ، قاله خليفة بن خياط وغير
 واحد ، قال خليفة : مات الفرزدق وجرير بعده بأشهر ، وقال الصولي : ماتا في سنة إحدى عشرة
 ومائة ، ومات الفرزدق قبل جرير بأربعين يوماً ، وقال السكري عن الأصمعي عن أبيه قال : رأى
 رجل جريراً في المنام بعد موته فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، قيل : بماذا ؟ قال : بتكبيره
 كبرتها بالبادية ، قيل له : فما فعل الفرزدق ؟ قال : أهبات أهلكه قذف الحصنات . قال الأصمعي لم
 يدعه في الحياة ولا في الممات

وأما الفرزدق

واسمه همام بن غالب بن صمصمة بن ناجية بن عقيل بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن
 حنظلة بن زيد بن مناة بن مر بن أد بن طابخة أبو فراس بن أبي خطل التيمي البصري الشاعر
 المعروف بالفرزدق ، وجدته صمصمة بن ناجية صحابي ، وفد إلى رسول الله ﷺ ، وكان يحمي المؤودة
 في الجاهلية ، حدث الفرزدق عن علي أنه ورد مع أبيه عليه ، فقال من هذا ؟ قال ابني وهو شاعر ،
 قال علمه القراءة فهو خير له من الشعر . وسمع الفرزدق الحسين بن علي وراة وهو ذاهب إلى العراق
 وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وعرجة بن أسعد ، وزرارة بن كرب ، والطرماس بن عدى الشاعر ،
 وروى عنه خالد الخذاء ومروان الأصغر وحجاج بن حجاج الأحمول ، وجماعة ، وقد وفد على معاوية
 يطلب ميراث عمه الحباب ، وعلى الوليد بن عبد الملك وعلى أخيه ، ولم يصح ذلك ، وقال أشعث بن
 عبد الله عن الفرزدق قال نظر أبو هريرة إلى قديمي فقال : يا فرزدق إلى أرى قديمك صغيرين
 فاطلب لهما موضعاً في الجنة ، فقالت : إن ذنوبي كثيرة ، فقال : لا بأس فاني سمعت رسول الله ﷺ ،
 يقول : « إن بالغرب باباً مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها » . وقال معاوية بن
 عبد الكريم عن أبيه قال : دخلت على الفرزدق فتخرك فاذا في رجله قيد ، فقالت : ما هذا ؟ فقال :
 حلفت أن لا أنزعه حتى أحفظ القرآن . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت بدويًا أقام بالحضر إلا فسد
 لسانه إلا روبة بن المعجاج والفرزدق فانهما زادا على طول الإقامة جدة واحدة ، وقال راوية أبو سفيان
 طلق الفرزدق امرأته أنوار ثلاثاً ثم جاء فأشبهه على ذلك الحسن البصري ، ثم ندم على طلاقها
 وإشهاد الحسن على ذلك فأنشأ يقول : -

فقد أني ملكك يدي وقلبي * لكان عليّ للتدبر الخيلار

ندمت ندامة السعدي لما * غدت منى مطلقاً نوار
وكانت حتى نخرجت منها * كادمت حين أخرجه الضرار

وقل الأصمعي وغير واحد : لما ماتت الزاوية أعين بن ضبيعة المجاشعي امرأة الفرزدق
- وكانت قد أوصت أن يصلى عليها الحسن البصري - فشهدا أعيان أهل البصرة مع الحسن والحسن
على بقلته ، والفرزدق على بغيره ، فسار فقال الحسن للفرزدق : ماذا يقول الناس ؟ قال : يقولون شهد
- هذه الجنائزة اليوم خير الناس - يعنونك - وشر الناس - يعنونى - فقال له : يا أبا فراس لست
أنا بخير الناس ولست أنت بشر الناس ، ثم قال له الحسن : ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن
لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلما أن تكلم عليها الحسن مالوا إلى قبرها فأنشأ الفرزدق يقول :

أخاف وراء القبر أن لم يمافني * أشد من القبر التهاباً وأضيقاً
إذا جاءني يوم القيامة قائداً * عني وسواقي يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد دارم من مشي * إلى النار مغلول القلادة أزرقا
يساق إلى نار الجحيم مسربلاً * سراويل قطران لباساً مخرقا
إذا شربوا فيها الصديد رأيتهم * يذوبون من حر الصديد تمزقا

قال : فبكى الحسن حتى بل الثرى ثم ألزم الفرزدق ، وقال : لقد كنت من أبغض الناس إلى ،
وإنك اليوم من أحب الناس إلى . وقال له بعض الناس : ألا تخاف من الله في قنف الحصنات ،
فقال : والله الله أحب إلي من عيني اللتين أبصر بهما ، فكيف يعذبني ؟ وقد قدما أنه مات سنة عشر
ومائة قبل جري باربعين يوماً ، وقيل بأشهر والله أعلم ..

وأما الحسن وابن سيرين فقد ذكرنا ترجمة كل منهما في كتابنا التكميل مسبوقة وحسبنا الله ونعم

الوكيل .

فأما الحسن بن أبي الحسن

فاسم أبيه يسار وأبجد هو أبو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت ، ويقال مولى جابر بن عبد الله
وقيل غير ذلك ، وأمه خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها ، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن
ولدها الحسن وهو رضيع ، فتشأغلله أم سلمة بتدبيرها فيدران عليه فيرتضع منهما ، فكانوا يرون أن
تلك الحكمة والعلوم التي أوتيتها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله
ثم كن وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له ، وكان في جملة من يدعوه له عمر بن الخطاب ،
قال : اللهم ققه في الدين ، وحببه إلى الناس . وسئل مرة أنس بن مالك عن مسألة فقال : سلوا عنها
. ولما الحسن ، فانه سمع وسمعنا ، فحفظ ونسينا ، وقال أنس مرة : إني لأغبط أهل البصرة بهذين
الشيخين - الحسن وابن سيرين - وقال قتادة : ما جالست رجلاً فقيها إلا رأيت فضل الحسن عليه ،

وقال أيضا : ما رأيت عيناى أفتة من الحسن ، وقال أبو ب : كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حمم ما يسأله عن مسألة هيبة له ، وقال الشعبي لرجل يريد قدوم البصرة : إذا نظرت إلى رجل أبجل أهل البصرة وأهمهم فهو الحسن ، فأقرأه منى السلام . وقال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه ، وقال الأعمش : ما زال الحسن يبنى الحبكة حتى يطق بها ، وكان أبو جعفر إذا ذكره يقول : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء .

وقال محمد بن سعد : قالوا كان الحسن جامعا للعالم والعمل ، عالما رفيعا فقيها ثقة مأمونا عابدا زاهدا ناسكا كثير العلم والعقل فصيحاً جليلاً وسبياً ، وقدم مكة فاجلس على سرير ، وجلس العلماء حوله ، واجتمع الناس إليه فحدثهم . قال أهل التاريخ : مات الحسن عن ثمان وثمانين سنة ، علم عشر ومائة في رجب منها ، بينه وبين محمد بن سيرين مائة يوم .

وأما ابن سيرين

فهو محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرو الأنصارى ، ولى انس بن مالك النضرى ، كان أبو محمد من سبي عين النمر ، أسره خالد بن الوليد في جملة السبي ، فاشتراه أنس ثم كاتبه ، ثم ولده من الأولاد الاختيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبد ويحيى وحفصة وكريمة ، وكلهم ناهيون ثقات أجلاء رحيمهم الله . قال البخارى : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، وقال هشام بن حسان : هو أصدق من أدركت من البشر ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونا عالما رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا . وكان به صمم ، وقال مؤرق المعلى : ما رأيت رجلا أفتة فى ورعه ، وأورع فى فقهه منه ، قال ابن عون : كان محمد بن سيرين أرجى الناس لهذه الأمة ، وأشد الناس إزارا على نفسه ، وأشد هم خوفا عليها . قال ابن عون : ما بكى فى الدنيا مثل ثلاثة ، محمد بن سيرين فى العراق ، والقاسم بن محمد فى الحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وكانوا يأتون بالحديث على حروفه ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذاك الأصم - يعنى محمد بن سيرين - وقال ابن شاذب : ما رأيت أحدا أجرا على تعبير الرؤيا منه . وقال عثمان البتى : لم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه . قالوا : ومات فى ناسع شوال من هذه السنة بعد الحسن بمائة يوم .

فصل فى مناقب

كان اللاتقي بالمؤلف أن يذكر تراجم هؤلاء العلماء الأخيار قبل تراجم الشراء المتقدم ذكرهم فيبدأ بهم ثم يأتى بتراجم الشراء ، وأيضا فإنه أطال القول فى تراجم الشراء واختصر تراجم العلماء ، ولو كان فيها حسن وحكم جمة ينتفع بها من وقف عليها ، ولعلها أفيد من مدحهم والثناء عليهم ، ولا سيما

كلام الحسن وابن سيرين ووهب بن منبه - كما ذكره بعد وكما سيأتي ذكر ترجمته في هذه الزيادة - فانه قد اختصرها جداً وإن المؤلف أقدر وأوسع علماً ، فإذ ينبغي أن يخل ببعض كلامهم وحكمهم ، فإن النفوس مستشرفة إلى معرفة ذلك والنظر فيه ، فإن أقوال السلف لها وقع من القلوب ، والمؤلف غالباً في التراجم يحيل على ما ذكره في التكميل الذي صنعه في أسماء الرجال ، وهذا الكتاب لم تقف عليه نحن ولا من سألناه عنه من العلماء ، فإنا قد سألنا عنه جماعة من أهل الفن فلم يذكر غير واحد أنه اطلع عليه . فكيف حل غيرهم ؟ وقد ذكرت في غالب التراجم زيادات على ما ذكره المؤلف مما وصلت إليه معرفتي واطلعنا عليه ، ولو كان عندي كتب لأشيعت القول في ذلك ، إذ الحكمة هي ضالة المؤمنين . ولعل أن يقف على هذا راغب في الآخرة ، طالب ما عند الله عز وجل فينتفع به أعظم مما ينتفع به من تراجم الخلف والملوك والأمراء ، وإن كانت تلك أيضاً نافعة لمعتبر ومزدجر ، فإن ذكر أئمة العدل والجلور بعد موتهم فيها فضل أولئك ، وغم هؤلاء ، ليعلم الظالم أنه وإن مات لم يمت ما كان مثلباً به من البستاد والظلم ، بل هو مدون في الكتب عند العلماء . وكذلك أهل العدل والصالح والخير ، فإن الله قد آص في القرآن أخبار الملوك والفراسة والكفار والمفسدين ، تحذيراً من أحوالهم وما كانوا يعملون ، وقص أيضاً أخبار الأتقياء والحسين والأبرار والأخيار والمؤمنين ، الاقتداء والتأسي بهم والله سبحانه أعلم . فنقول وبالله التوفيق :
أما الحسن

فهو أبو سعيد البصري الإمام الفقيه المشهور ، أحد التابعين الكبار الأجلاء علماء وعملوا وإخلاصاً فروى ابن أبي الدنيا عنه قال : كان الرجل يتعبد عشرين سنة لا يشعر به جاره ، وأحدهم يصلي ليلة أو بعض ليلة فيصبح وقد استطال على جاره ، وإن كان القوم ليجتمعون فيتنادون فتجيب الرجل - برته فيردها ما استطاع ، فإن غلب قام عنهم . وقال الحسن : تنفس رجل عند عمر بن عبد العزيز فلكنزه عمر - أو قال : لكمه - وقال : إن في هذا لفظة . وقد ذكره ابن أبي الدنيا عن الحسن عن عمر بن الخطاب . وروى الطبراني عنه أنه قال : إن قوماً ألهمهم أماني المغفرة ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة ، يقول أحدهم : إني لحسن الظن بالله ، وأرجو رحمة الله ، وكذب ، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله ، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة ، يشك من دخل المغارة من غير زاد ولا ماء أن يهلك . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : حدثوا هذه القلوب فانها سريرة الدنور ، واقتدعوا هذه لأنفس فانها تنزع إلى شر غاية .

وقال مالك بن دينار : قلت للحسن : ما عقوبة العالم إذا أحب الدنيا ؟ قال : موت القلب ، فإذا أحب الدنيا طلبها بعمل الآخرة ، فعند ذلك ترحل عنه بركات العلم ويبقى عليه رسمه . وروى الفتنى عن أبيه قال : عاد الحسن عليلاً فوجده قد شفى من علته ، فقال : أيها الرجل إن الله قد ذكر لك

فاذكره ، وقد أفالك فاشكره ، ثم قال الحسن : إنما المرض ضربة سوط من ملك كريم ، فأما أن يكون
العليل بعد المرض فرساجوآء ، وإما أن يكون حملاً عثوراً معقوراً . وروى العنبي عن أبيه أيضاً
قال : كتب الحسن إلى فرقد :

أما بعد فاني أوصيك بتقوى الله ، والعمل بما علمك الله ، والاستعداد لما وعد الله ، مما لا حيلة
لأحد في دفعه ، ولا ينفع الندم عند نزوله ، فاحسر عن رأسك قناعات الغافلين ، وانقبه من رفة
الجاهلين ، وشمر الساق ، فان الدنيا ميدان مسابقة ، والغاية الجنة أو النار ، فان لي ولك من الله تماماً
يسألني وإياك فيه عن الحقيق والدقيق ، والجليل والخافي ، ولا آمن أن يكون فيما يسألني وإياك عنه
وساوس الصدور ، ولحظ العيون ، وإصغاء الأسماع . وما أعجز عنه .

وروى ابن قتيبة عنه أنه مر على باب ابن هبيرة فرأى القراء - وكانوا هم الفقهاء - جلوساً على
باب ابن هبيرة فقال : طفحت لعالكم ، وينضم ثيابكم . ثم أقيمت إلى أبوابهم تسعون ، ثم قال لأصحابه :
ما ظنكم بهؤلاء الخداء ؟ ليست بحالهم من مجالس الأتقياء ، وإنما بحالهم من مجالس الشرط .
وزوى الخرائطي عن الحسن أنه كان إذا اشترى شيئاً وكان في يده كسر جبره لصاحبه . وروى الحسن
يقوم يقولون : نقص دائق أي عن الدرهم الكامل والديار الكامل - إما أن يكون درهماً ينقص
نصفاً أو ربعاً ، والعشرة تسعة ونصف ، وقس على هذا ، فكان الحسن يستحب جبران هـنه
الأشياء ، وإن كان اشترى السلعة بدرهم ينقص دائقاً كله درهماً ، أو بتسعة ونصف كلها عشرة
مروءة وكرماً . وقال عبد الأعلى السمسار ، قال الحسن : يا عبد الأعلى ! أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه
فينة ص درهمن أو ثلاثة ؟ قلت لا والله ولا دائق واحد ، فقال الحسن : إن هذه الأخلاق فما بقي من
المروءة إذا ؟ . قال : وكان الحسن يقول : لا دين إلا بروءة . وباع بئله له فقال له المشتري رأماً
تحط لي شيئاً يا أبا سعيد ؟ قال لك خمسون درهماً ، أزيدك ؟ قال : لا أرضيت ، قال : بارك الله لك .
وروى ابن أبي الدنيا عن حمزة الأعمى قال : ذهبت بي أمي إلى الحسن فقالت : يا أبا سعيد :
ابني هذا قد أحببت أن يلزمك فلمل الله أن ينفعه بك ، قال : فكنت أختلف إليه ، فقال لي يوماً :
يا بني أدم الحزن على خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه ، وإياك في ساعات الليل والنهار في الخلوة
لعل مولاك أن يطعم عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين ، قال : وكنت أدخل على الحسن
منزله وهو يبكي ، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه ، فقلت له يوماً : إنك تكثر البكاء ،
فقال يا بني ! ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبك ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة ، فان استطعت أن
تكون عرك باكياً فاقبل لعله تعالى أن يرحمك ، فإذا أنت نجوت من النار ، وقال : ماهو إلا حول الدار
إما الجنة وإما النار ، ماهناك منزل ثالث . وقال : بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر من دموعه

قطرة حتى تمتد رقبته من النار . وقال : لو أن با كيا بكى فى ملا من خشية الله لرحوا جميعا ، وليس شئ من الأعمال إلا له وزن إلا البكاء من خشية الله فإنه لا يقوم الله بالدمعة منه شيئا . وقال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

وروى ابن أبى الدنيا عنه فى كتاب اليقين قال : من علامات المسلم قوة دين ، وحزم فى ابن ، وإيمان فى يقين ، وحكم فى علم ، وحبس فى رفق ، وإعطاء فى حق ، وقصد فى غنى ، وتحمل فى فاقة وإحسان فى قدرة ، وطاعة معها نصيحة ، وتورع فى رغبة ، وتغف فى صبر فى شدة ، لارتديه رغبته ، ولا يسدده لسانه ، ولا يسبقه بصره ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يعيل به هواه ، ولا يفضحه لسانه ، ولا يستغفه حرصه ، ولا تقهر به نيته . كذا ذكر هذه الألفاظ عنه ^(١) . قال : حدثنا عبد الرحمن ابن صالح عن الحكم بن ظهير عن يحيى بن المختار عن الحسن فذكره ، وقال فيه أيضا عنه : يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما فى يدك أوثق منك بما فى يدي الله عز وجل .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا على بن إبراهيم الشكرى حدثنا موسى بن إسماعيل الجبلى حدثنا حفص بن سليمان أبو مقاتل عن عون بن أبى شذاه عن الحسن قال قال لقمان لابنه : يا بني إيا العمل لا يستطيع إلا باليقين ، ومن يضعف يقينه يضعف عمله . وقال : يا بني إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريب فاغلبه باليقين . والنصيحة ، وإذا جاءك من قبل الكسل والسآمة فاغلبه بذكر القبر والقيامة ، وإذا جاءك من قبل الرغبة والرهبة فاخبره أن الدنيا مفارقة ممر وكفة . وقال الحسن : ما أيقن عبد بالجنة والنار حتى يقينهما إلا خشع وذبل واستقام واقتصد حتى يأتيه الموت . وقال : باليقين طليت الجنة ، وباليقين هربت من النار ، وباليقين أدت الفرائض على أكل وجهها ، وباليقين أصبر على الحق وفى معاناة الله خير كثير ، قد والله رأيتهم يتعاونون فى العافية ، فإذا نزل البلاء تفارقوا . وقال : الناس فى العافية سواء ، فإذا نزل البلاء تبين عنده الرجال . وفى رواية : فإذا نزل البلاء تبين من عبد الله وغيره ، وفى رواية فإذا نزل البلاء سكن المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه .

وقال الفرياني فى فضائل القرآن : حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إن هذا القرآن قد قرأه عبید وصبيان لأعلم لهم بتأويله ، لم يأتوا الأمر من قبل أوله ، قال الله عز وجل : [كتاب أنزلناه مبارك ليبدروا آياته وليتذكر أولو الألباب] وماتدبر آياته إلا أتباعه ، أما والله ما هو بحفظ حرفه وإضاعة حدوده ، حتى أن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفا واحدا ، وقد والله أسقطه كله ، ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : والله إني لأقرأ السورة فى نفس ، لا والله ما هؤلاء بالقراء ولا بالملاء ولا بالحكماء

(١) كذا بالأصل ولم يعين اسم الذاك

ولا الورعة ، ومتى كانت القراء تهكدا أو يقول مثل هذا ، لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء . ثم روى الحسن عن جنس قال : قال لنا حذيفة : هل تخافون من شيء ؟ قال : قلت والله إنك وأصحابك لأهون الناس عندنا ، فقال : أما والذي نفسي بيده لا تؤتون إلّا من قبلنا ، ومع ذلك أنشأ آخر يقولون القرآن يكونون في آخر هذه الأمة ينثرونه شر الدقل ، لا يجاوز تراقيهم ، تسبق قراءتهم إيمانهم .

وروى ابن أبي الدنيا عنه في ذم الغيبة له قال : والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في جسده . وكان يقول . ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك ، فإذا فعلت ذلك كان ذلك شفاك في طاعة نفسك ، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا . وقال الحسن : ليس بينك وبين الفاسق حرمة . وقال : ليس لمبتدع غيبة . وقال أصلت بن طريف : قلت للحسن : الرجل الغاجر المعلن بفجوره ، ذكرى له بما فيه غيبة ؟ قال : لا ولا كرامة . وقال : إذا ظهر فجوره فلا غيبة له . وقال : ثلاثة لا يحرم عليك غيبتهم : الجاهر بالفسق ، والامام الجائر ، والمبتدع . وقال له رجل : إن قوما يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقعة فيك سبيلا ، فقال : هون عليك يا هذا فاني أطعمت نفسي في الجنان فطعمت ، وأطعمتها في النجاة من النار فطعمت ، وأطعمتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلا ، فان الناس لم يرضوا عن خالقهم ورائهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم ؟ قال : كانوا يقولون : من رمى أخاه بدين قد تاب منه لم يمت حتى يصيب ذلك الذنب . وقال الحسن : قال لقمان لابنه : يا بني إياك والكذب فانه شئ كلهم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه . وقال الحسن : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فان الله عز وجل لم يدع قولا إلا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه ، فان سمعت قولا حسنا فريدأ بصاحبه ، فان وافق قول عملا فتمم ولعمت عين أخته ، وأخيه ، وإذا خالف قول عملا فاذا يشبه عليك منه ، أم ماذا يخفى عليك منه ؟ إياك وإياه لا يتخذ عنك كما خدع ابن آدم ، إن لك قولا وعملا ، فعملك أحق بك من قولك ، وإن لك سريرة وعلانية ، فسريرتك أحق بك من علانيتك ، وإن لك حاجة وعاقبة ، فمآقبك أحق بك من عاجلتك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا حمزة بن العباس أنبأ عبدان بن عثمان أنبأ معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : إذا شئت لقيت الرجل أبيض حديد اللسان حديد النظر ميت القلب والعمل ، أنت أبصر به من نفسه ، ترى أبدانا ولا تاربا ، وتسمع الصوت ولا أئيس ، أخصب السنة وأجانب قلوبا ، يأكل أحدهم من غير ماله ويبكي على عمله ، فإذا كفضته البطنة قال : يا جارية أوبيا غلام ابتنى بهاضم ، وهل هضمت يا مسكين إلا دينك ؟ . وقال : من رقى ثوبه رقى دينه ، ومن سمن جسده هزل دينه ، ومن طاب طعامه أتن كسبه . وقال فيها رواه عنه الأجرى : رأس مال المؤمن

دين حيث ما زال زال معه ، لا يخلفه في الرحا ، ولا ياتمن عليه الرجال . وقال في قوله تعالى : [فلا أقسم بالنفس اللوامة] قال : لا تلقى المؤمن إلا يلوم نفسه ، ما أردت بكلمة كذا ، ما أردت بأكلة كذا ، ما أردت بمجلس كذا ، وأما الفاجر فيمضي قدما قدما لا يلوم نفسه . وقال : تصبروا وتشددوا فانما هي ليال تمس ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، فانقلبوا بصالح ما يحضرتكم ، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم ، وإنما يصبر على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته . وقال : لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همته .

وقال ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس : حدثنا عبد الله حدثنا إسماعيل بن زكريا حدثنا عبد الله ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه الله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على أقوام أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ، إن المؤمن يفجأ الشيء ويمجه فيقول : والله إنك لمن حاجتي وإني لأشتهيك ، ولسكن والله ما من صلة إليك ، هيئات حيل بيني وبينك ، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول : ما أردت إلى هذا أبدا إن شاء الله : إن المؤمنين قوم قد أوتقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكك رقبتك ، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله عز وجل ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه ، وفي جوارحه كلها . وقال : الرضا صعب شديد ، وإنما معول المؤمن الصبر . وقال : ابن آدم عن نفسك فكليس ، فالك إن دخلت النار لم تجبر بعدها أبدا . وقال ابن أبي الدنيا : أنبا إسحاق بن إبراهيم قال : سمعت حماد بن زيد يذكر عن الحسن قال : المؤمن في الدنيا كالغريب لا ينافس في غيرها ولا يجزع من ذلها ، للناس حال وله حال ، الناس منه في راحة ، ونفسه منه في شغل . وقال : لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يملك المرء نفسه . وقال : أدركت صدر هذه الأمة وخيارها وطال عمرى فيهم ، فوالله إنهم كانوا فيما أحل الله لهم أزهدهم منكم فيما حرم الله عليكم ، أدركتهم طاملين بكتاب ربهم ، متبعين سنة نبيهم ، ما طوى أحدهم ثوبا ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا ، ولا أمر أهله بصنع طعام ، كان أحدهم يدخل منزله فان قُرب إليه شيء أكل وإلا سكت فلا يتكلم في ذلك . وقال إن المناق إذا صلى صلى رياء أو حياء من الناس أو خوفا ، وإذا صلى صلى فقرهم الدنيا ، وإن فاتته الصلاة لم يندم عليها ولم يجزئه فواتها .

وقال الحسن فيما رواه عنه صاحب كتاب النكت : من جعل الحمد لله على النعم حصنا وحابسا وجعل أداء الزكاة على المال سياجا وحارسا ، وجعل العلم له دليلا وسائسا ، أمن العطب ، وبلغ أعلى الرتب . ومن كان للمال قانصا ، وله عن الحقوق حابسا ، وشغله وأهله عن طاعة الله كان لنفسه ظلالا

ولقلبه بما جنت يدام كلما ، وسلطه الله على ماله ساليا وخالسا ، ولم يأمل العطب في سائر وجوه الطلب
وقيل : إن هذا لغيره ، والله أعلم .

وقال الحسن : أربع من كن فيه . ألقى الله عليه محبته . ونشر عليه رحمته : من رقى لوالديه ، ورق
لملوكه ، وكفل اليتيم ، وأعان الضعيف . وسئل الحسن عن النفاق فقال : هو اختلاف السر والملازمة
والمسخل والمخرج ، وقال : ما خافه إلا مؤمن ، ولا أمنه إلا منافق - يعنى النفاق - وحلف الحسن :
ما مضى مؤمن ولا بقى إلا وهو يخاف النفاق ، وفى رواية : إلا وهو من النفاق مشفق ، ولا مضى
منافق ولا بقى إلا وهو من النفاق آمن . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن : كيف حبك الدينار
والدرهم ؟ قال : لا أحبهما ، فكئيب إليهما : تولّ فانك تعدل . وقال إبراهيم بن عيسى : ما رأيت
أطول حزنا من الحسن ، وما رأيت قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة ، وقال مسجع : لو رأيت الحسن
لقلت : قد بث عليه حزن الخلائق . وقال يزيد بن حوشب : ما رأيت أحزن من الحسن وعمر بن
عبد العزيز ، كأن النار لم تخلق إلا لهما . وقال ابن أبيباص : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يفصحك ،
وأربعين سنة لم يمزح . وقال : ما سمع الخلائق بعورة بادية ، وعين باكية مثل يوم القيامة . وقال :
ابن آدم ! إنك ناظر غداً إلى عملك يوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئا من الشر أن تتقيه ، فانك
إذا رأيت غداً في ميزانك شرك^(١) مكانه . وقال : ذهب الدنيا وبقيت أعمالكم فلائد في أعناقكم
وقال : ابن آدم ! بع دنياك بأخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبسج آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا ، وهذا
مأثور عن لقمان أنه قاله لولده .

وقال الحسن : تجرد الرجل قد لبس الأحمر والأبيض فقال : هلموا فانظروا إلى ، قال الحسن :
قد رأيته يا أفتى الفاسقين فلا أهلا بك ولا سهلا ، فأما أهل الدنيا فقد اكتسبوا بنظرهم إليك
مزيد حرص على دنياهم ، وجراً على شهوات الغنى في بطونهم وظهورهم . وأما أهل الأخوة فقد
كروهك ومقتوك . وقال : إنهم وإن هملجت بهم البراذين ، وزفرت بهم البغال ، ووطئت أعتابهم
الرجال ، إن ذل المعاصى لا يفارق رقابهم ، يأبى الله إلا أن ينذل من عصاه .

وقال فرقد : دخلنا على الحسن فقلنا : يا أبا سعيد : ألا يعجبك من محمد بن الاعمى ؟ فقال : ماله ؟
فقلنا : دخلنا عليه آنفا وهو يجود بنفسه فقال : انظروا إلى ذاك الصندوق - وأومأ إلى صندوق فى
جانب بيته - فقال : هذا الصندوق فيه ثمانون ألف دينار - أو قال : درهم - لم أؤد منها زكاة ، ولم
أصل منها رحما ، ولم يأكل منها [محتاج] . فقلنا : يا أبا عبد الله ، فلن كنت تجمعها ؟ قال : لروعة
الزمان ، ومكاثرة الأقران ، وجفوة السلطان . فقال : انظروا من أين أتاه شيطاننا فخرفه روعة زمانه ،

(١) كذا بالأصل وفيه نقص يظهر بالتأمل .

ومكاثرة أفرانه ، وجفوة سلطانه ؟ ثم قال : أيها الوارث : لا تخدعن كما خدع صوبجيك بالأمس ، جاءك هذا المبال لم تتعب لك فيه يمين ، ولم يعرق لك فيه جبين ، جاءك من كان له جموعا منوعا ، من باطل جمعه ، من حق منعه ، ثم قال الحسن : إن يوم القيامة لذو حسرات ، الرجل يجمع المال ثم يموت ويدعه لغيره فيرزقه الله فيه الصلاح والانفاق في وجوه البر ، فيجد ماله في ميزان غيره . وكان الحسن يتمثل بهذا البيت في أول النهار يقول :

وما الدنيا بيباقية لحى * ولا حى على الدنيا بباقي
وبهذا البيت في آخر النهار :

يسر النقي ما كن قدم من تقى * إذا عرف لالداء الذى هو قاتله
ولد الحسن في خلافة عمر بن الخطاب وأتى به إليه فدعا له وحسكه . ومات بالبصرة في سنة عشر ومائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

محمد بن سيرين

أبو بكر بن أبي عمر والأنصارى ، مولى أنس بن مالك النضرى ، كان أبوه من سبي عين التمر أسره في جملة السبي خالد بن الوليد فاشتراه أنس ثم كاتبه . وقد ولد له من الاخيار جماعة ، محمد هذا ، وأنس بن سيرين ، ومعبود ، ويحيى ، وحفصة ، وكريمة ، وكلهم تابعيون ثقات أجلة ، رحمهم الله تعالى .

قال البخارى : ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . وقال هشام بن حسان : هو اصدق من أدركت من البشر . وقد تقدم هذا كله فيما ذكره المؤلف .

كان ابن سيرين إذا ذكر عنده رجل بسوء ذكره بأحسن ما يعلم . وقال خلف بن هشام : كان محمد بن سيرين قد أعطى هديا وممتا وخشوعا ، وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله . ولما مات أنس بن مالك أوصى أن يفلسه محمد بن سيرين - وكان محمد محبوبا - فقالوا له في ذلك ، فقال : أنا محبوب فقالوا : قد استأذنا الأمير في إخراجك ، قال : إن الأمير لم يحبسنى ، إنما حبسنى من له الحق ، فأذن له صاحب الحق ففلسه . وقال يونس : ما عرض ل محمد بن سيرين أمران إلا أخذ بأو ثقهما في دينه ، وقال : إني لأعلم الذند . الذى حملت بسببه ، إني قلت يوما لرجل : يا فلان ، فذكر هذا لأبى سليمان الداراني فقال : قلت ذنوبهم فعرفوا من أين أتوا . ومثلنا قد كثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نؤتى ، ولا بأى ذنب نؤخذ . وكان إذا دعى إلى وليمة يدخل منزله فيقول : ايتوني بشربة سويق فيشربها ويقول : إني أكره أن أحمل جوعى إلى موأثمهم وطعامهم : وكان يدخل السوق نصف النهار فيكبر الله ويسبحه ويذكره ويقول : إنها سباعة غفلة الناس ، وقال : إذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا

من قلبه يأمره وينهاه . وقال : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتكتم خيراً .
 مروقال : العزلة عبادة ، وكان إذا ذكر الموت مات منه كل عضو على حدته . وفي رواية كان يمتنخبر
 ونه وينكر محله ، حتى كأنه ليس بالذي كان ، وكان إذا سئل عن الرؤيا قال للسائل : اتق الله في
 اليقظة ولا يفرك ما رأيت في المنام . وقال له رجل : رأيت كأنى أصب الزيت في الزيتون ، فقال : ففتش
 على امرأتك فانها أمك ، ففتش فاذا هي أمه . وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيراً سبيهاً مكث
 في بلاد الاسلام إلى أن كبر ، ثم سببت أمه فاشتراها جاهلاً بأنها أمه ، فلما رأى هذه الرؤيا وذكروها
 لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك ، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره . وقال له آخر : رأيت كأنى
 دستت أو قال وطئت - ثمرة فخرجت منها فأرة ، فقال له : تزوج امرأة أو قال : تطأ امرأة - صالحة
 تلد بنتاً فاسقة ، فكان كما قال . وقال له آخر : رأيت كأن على سطح بيتي حبات شمر نجاء ديك
 فلتطها ، فقال له : إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأنتي . فوضعوا بساطاً على سطحهم فسرق ، فجاء
 إليه فأخبره ، فقال : اذهب إلى مؤذن محلكتك فخذ منه ، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه . وقال
 له رجل : رأيت الحمام تلتقط الياسمين . فقال : مات علماء البصرة . وأتاه رجل فقال : رأيت رجلاً عرياناً
 واقفاً على مزبلة ويده طنبور يضرب به ، فقال له ابن سيرين : لاتصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا
 إلا لأحسن البصري ، فقال : الحسن هو والله الذي رأيت . فقال : نعم ، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها
 تحت رجله ، وعريته تجرده عنها ، والطنبور يضرب به هي المواقظ التي يقرع بها آذان الناس .
 وقال له آخر : رأيت كأنى أستاذك والدم يسيل . فقال له : أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل
 لحومهم وتخرج في بابه وتأتمى ^(١) .

وقال له آخر : رأيت كأنى أرى اللؤلؤ في الحفأة ، فقال له : أنت رجل تضع القرآن والعلم عند
 غير أهله ومن لا ينتفع به . وجاءته امرأة فقالت : رأيت كأن سنوراً أدخل رأسه في بطن زوجي فأخذ
 منه قطعة ، فقال لها ابن سيرين : سرق لزوجك ثلاثمائة درهم ، وستة عشر درهماً ، فقالت : صدقت
 من أين أخذته ؟ فقال : من هجاء حروفه وهي حساب الجمل ، فالسنة ستون ، والنون خمسون ، والواو ستة
 والراء مائتان ، وذلك ثلاثمائة وستة عشر ، وذكرت السنور أسود فقال : هو عبد في جواركم ، فالزموا
 عبداً أسود كان في جوارهم وضرب فأقر بالمال المذكور . وقال له رجل : رأيت لحيتي قد طالت وأنا
 أنظر إليها . فقال له : مؤذن أنت ؟ قال : نعم ، قال له : اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران . وقال له
 آخر : رأيت كأن لحيتي قد طالت حتى جزتها ونسحتها كساء وبعته في السوق . فقال له : اتق الله
 فانك شاهد زور . وقال له آخر : رأيت كأنى أكل أصابعي ، فقال له تأكل من عمل يدك . وقال لرجل

(١) كذا الأصل ، وفيه تحريف .

انظر هل ترى في المسجد أحدا؟ فذهب فنظر ثم رجع إليه فقال : ليس في المسجد أحد ، فقال :
أليس أمرتك أن تنظر هل ترى أحداً قد يكون في المسجد من الأمراء ^(١) ؟ . وقال عن رجل ذكر له
ذلك الأسود ، ثم قال : أستغفر الله ! ما أراى إلا قد اغتبت الرجل - وكان الرجل أسود - وقال :
اشترك سبعة في قتل امرأة قتلهم عمر ، فقال لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتلها لأبديت خضراءهم .

وهيب بن منبه الجاني

تابعي جليل ، وله معرفة بكتب الأوائل ، وهو يشبه كعب الأحبار ، وله صلاح وعبادة ،
ويروى عنه أقوال حسنة وحكم ونواظير ، وقد بسطنا ترجمته في كتابنا التكيل والله الحمد . قال
الواقدي : توفي بصنعاء سنة عشر ومائة ، وقال غيره : بعدها بسنة ، وقيل بأكثر ، والله أعلم .
ويزعم بعض الناس أن قبره غربى بصرى بقرية يقال لها عصم ، ولم أجده لذلك أصلاً ، والله أعلم .
انتهى ما ذكره المؤلف .

فضيلة

أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة ، وأسند عن ابن عباس وجابر والنعمان بن بشير .
وروى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة ، وعن طاوس . وعنه من التابعين عدة . وقال وهب : مثل
من تعلم علماً لا يعمل به كمثل طبيب معه شفاء لا يتداوى به . وعن منير مولى الفضل بن أبي عياش
قال : كنت جالساً مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال له : إني مررت بفيلان وهو يشترك ، فغضب
وقال : ما وجد الشيطان رسولا غيرك ؟ فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب فرد
عليه السلام ، ومديده إليه وصاغه وأجلسه إلى جنبه . وقال ابن طاوس : سمعت وهبا يقول : ابن
آدم احتل لدينك فان رزقك سيأتيك . وقال وهب : كسى أهل النار والعري كان خيراً لهم ، وطعموا
والجوع كان خيراً لهم ، وأعطوا الحياة والموت كان خيراً لهم . وقال : قال داود عليه السلام : اللهم
أيا فقير سأل غنيا فتصام عنه ، فأسألك إذا دعاك فلا تجبه ، وإذا سألك فلا تمطه . وقال : قرأت في
بعض كتب الله : ابن آدم ، لا خير لك في أن تعلم ما لم تعلم ، ولم تعمل بما قد علمت ، فان مثلك كمثل
رجل احتطب حطباً فحزم حزمة فذهب يحملها فمجز عنها فضم إليها أخرى . وقال : إن الله ثمانية
عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما العارة في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء .

وروى الطبراني عنه أنه قال : إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك
وعملك لله ، فان العمل لا يقبل ممن ليس بناصح ، والنصح لله لا يكمل إلا بطاعة الله ، كمثل الثمرة
الطيبة ريحها وطعمها ، كذلك مثل طاعة الله ، النصح ريحها ، والعمل طعمها ، ثم زين طاعتك بالحلم

(١) كذا الاصل ، وفيه تحريف .

والعقل ، والفقه والعمل ، ثم أكبر نفسك عن أخلاق السفهاء وعبيد الدنيا ، وعبيدها على أخلاق الأنبياء والعلماء العاملين ، وعودها فعل الحكياء ، وامنعها عمل الأثقياء ، وأزنها سيرة الأتقياء ، واعز بها عن سبيل الخبيثاء ، وما كان لك من فضيل فأعن به من دونك ، وما كان فيمن دونك من نقص فأعنه عليه حتى يبلغه ، فإن الحكيم من جمع فواضله وعاد بها على من دونه ، وينظر في نقائص من دونه فيقومها ويرحبها حتى يبلغه ، إن كان فقيرا حمل من لافقه له إذا رأى أنه يريد صحابته ومعونته وإذا كان له مال أعطى منه من لا مال له ، وإذا كان مصلحا استغفر للمذنب ورجا توبته ، وإذا كان محسنا أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ، ولا يمتد بالقول حتى يحسن منه الفعل ، فإذا أحسن الفعل نظر إلى فضل الله وإحسانه إليه ، ولا يتمنى الفعل حتى يفعله ، فإذا بلغ من طاعة الله مبلغا حمد الله على ما بلغ منها ثم طلب ما لم يبلغ منها ، وإذا ذكر خطيئة سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو قادر على أن يغفرها ، وإذا علم من الحكمة شيئا لم يشبهه بل يطلب ما لم يبلغ منها ، ثم لا يستعين بشيء من الكذب ، فإن الكذب كالآكلة في الجسد تكاد تأكله ، أو كالآكلة في الخشب ، يرى ظهرها حسنا وجوفها نحر تفر من يراها حتى تنكسر على ما فيها وتهلك من اغتر بها . وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يفتخر به ، يظن أنه معينه على حاجته ورائد له في رغبته ، حتى يعرف ذلك منه ، ويتبين لذوى العقول غروره ، فتستلبط الفقهاء ما كان يستخفى به عنه ، فإذا اطلعوا على ذلك من أمره وتبين لهم ، كذبوا خبره ، وأبأوا شهادته ، واتهموا صدقه ، وحرقوا شأنه ، وأبفضوا مجلسه ، واستخفوا منه بسرازمهم ، وكتبوه حديثهم ، وصرفوا عنه أمانيهم ، وغيبوا عنه أمرهم ، وحذروه على دينهم ومعيشتهم ، ولم يحضروه شيئا من محاضرتهم ، ولم يأمّنوه على شيء من سرهم ، ولم يحكوه فيما شجر بينهم .

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال لقمان لابنه : إن مثل أهل الذكر والغفلة كمثل النور والظلمة . وقال : قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات : من قرأ كتاب الله فظن أنه لا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله ، ومن شكك مصيبة نزلت به فاتما يشكور به عز وجل ، ومن أسف على ما فاتته من الدنيا سخط قضاء ربه عز وجل ، ومن تضرع لغنى ذهب ثلث دينه . وقال وهب : قرأت في التوراة : أما دار بليت بقوة الضمائم جعلت عاقبتها إلى الخراب ، وأما مال جمع من غير رحله أسرع الفقر إلى أهله .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا معمر عن محمد بن عمر وقال : سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب : يقول الله تعالى : إذا أطاعني عبيد استجبت له من قبل أن يدعوني ، وأعطيت من قبل أن يسألني ، وإن عبيد إذا أطاعوا لو أن أهل السموات وأهل الأرض أجلبوا

عليه جعلت له المخرج من ذلك ، وإن عبدى إذا عصانى قطعت يديه من أبواب السماء ، وجعلته في الهواء فلا يتمتع من شيء أراد من خلقى . وقال ابن المبارك أيضا : حدثنا بكار بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى فيما يعيب به أحبار بنى إسرائيل : تفقهون لغير الدين ، وتعلمون لغير العمل ، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة ، وتلبسون جلود الضأن ، وتحملون نفس الذباب ، وتنفذون الغداء من شرابكم ، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام ، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ، ثم لاتعينونهم برفع الخناصر ، تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب ، تفتنسون بذلك مال القيم والأرملة ، فبعزى حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم .

وقال الطبرانى : حدثنا عبد الله بن محمد الصنعائى حدثنا ممام بن مسلة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن مقل قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله ليس يحمد أحدا على طاعة ، ولا ينال أحد من الله خيرا إلا برحمته ، وليس يرجو الله خير الناس ولا يخاف شرم ، ولا يعطف الله على الناس إلا برحمته إليهم ، إن مكروا به أباد مكرم ، وإن خادعوه رد عليهم خداعهم ، وإن كاذبوه كذب بهم ، وإن أدرأقطع دابرهم ، وإن أقبلوا قبل منهم ولا يقبل منهم شيئا من حيلة ، ولا مكر ولا خداع ولا سخط ولا مشادة ، وإنما يأتى بالخير من الله تعالى رحمته ، ومن لم يبتغ الخير من قبل رحمته لا يجد بابا غير ذلك يدخل منه ، فإن الله تعالى لا ينال الخير منه إلا بطاعته ، ولا يعطف الله على الناس شيء إلا لعبدهم له ، وتضرعهم إليه حتى يرحمهم ، فإذا رحمهم استخرجت رحمته منه حاجتهم ، وليس ينال الخير من الله من وجه غير ذلك ، وليس إلى رحمة الله سبيل تؤتى من قبله إلا لعبد العباد له وتضرعهم إليه ، فإن رحمة الله عز وجل باب كل خير يبتغى من قبله ، وإن مفتاح ذلك الباب التضرع إلى الله عز وجل والتعبد له ، فمن ترك المفتاح لم يفتح له ، ومن جاء بالمفتاح فتح له به ، وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ، والله خزائن الخير كله ، وباب خزائن الله رحمته ، ومفتاح رحمة الله التذلل والتضرع والافتقار إلى الله ، فمن حفظ ذلك المفتاح فتحت له الخزائن ودخل ، فله فيها ما تشتهى الأنفس وتلذذ الأعين وفيها ما تشاؤون وما تدعون فى مقام أمين ، لا يحولون عنه ولا يخافون ولا ينصبون ولا يهرمون ولا يفترون ولا يموتون ، فى لعبهم مقيم ، وأجر عظيم ، وثواب كريم ، نزلا من غفور رحيم .

وقال سفيان بن عيينة : قال وهب : أعون الأخلاق على الدين الزهادة فى الدنيا ، وأسرعها ردا اتباع الهوى وحب المال والشرف ، ومن حب المال والشرف تلبك المحارم ، ومن انتهك المحارم بغضب الرب ، وغضب الله ليس له دواء . وقال : يقول الله تعالى فى بعض كتبه يمتب به بنى إسرائيل : إلى إذا أطمت رضيت ، وإذا رضيت باركت ، وليس ببركتى نهاية ، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ، وإن العنة منى تبلغ السابع من الولد . وقال : كان فى بنى إسرائيل رجل

عصى الله عز وجل ما تقي سنة ، ثم مات فأخذوا برجله فألقوه على منزلة ، فأوحى الله إلى موسى : أن صل عليه ، فقال : يارب إن بني إسرائيل شهدوا أنه قد عصاك مائتي سنة ، قال الله له : نعم هكذا كان ، إلا أنه كان كلما نشر التوراة ورأى أسم محمد (س) قبله ووضع على عيینه وصلى عليه ، فشكرت ذلك له فغفرت له ذنوبه وزوجته سبعين حوراء . كذا روى وفيه علل ، ولا يصح مثله ، وفي إسناده غرابة وفي متنه نكارة شديدة . وروى ابن إدريس عن أبيه عن وهب قال : قال موسى : يارب احبس عني كلام الناس ، فقال الله له : يا موسى ما فعلت هذا بنفسى ، وقال لما دعى يوسف إلى الملك وقف بالباب وقال : حسبي ديني من دنياي ، حسبي ربي من خلقه ، عز جارك وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ثم دخل على الملك ، فلما نظر إليه الملك نزل عن سريره وخر له ساجداً ثم أقامه الملك معه على السرير ، وقال : [إنك اليوم لدينا مكين أمين] فقال : [اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عليم] حفيظ بهذه السنين وما استودعني فيها ، عليم بلغته من يأتيني .

وقال الإمام أحمد : حدثنا منذر بن النعمان الأفيطس أنه سمع وهباً يقول : لما أمر الله الخوت أن لا يضره ولا يكلمه - يعني يونس - قال : [فلو لا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون] قال : من العابدين قبل ذلك ، فذكره الله بعبادته المتقدمة ، فلما خرج من البحر نام فأثبت الله شجرة من يقطين - وهو الدباء - فلما رآها قد أظلمت ورأى خضرتها فأعجبته ، ثم نام فاستيقظ فإذا هي قد يبست ، فجعل يتحزن عليها ، فقيل له : أنت لم تخلق ولم تسبق ولم تنبت وتحزن عليها ، وأنا الذي خلقت مائة ألف من النار أوزيريدون ثم رجعتهم فشق ذلك عليك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد النسائي حدثنا رباح حدثني عبد الملك بن عبد المجيد ابن خشك عن وهب قال : لما أمر نوح أن يحمل من كل زوجين اثنين ، قال : يارب كيف أصنع بالأسد والبقر ؟ وكيف أصنع بالعناق والدئب ؟ وكيف أصنع بالحمام والهر ؟ قال : من ألقى بينهم المداوة ؟ قال : أنت يارب ، قال : فأتى أولاف بينهم حتى لا يتضرروا .

وقال وهب لمطاء الخراساني : ويحك يعطاء ، ألم أخبر أنك تحمل عليك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا ، وأبواب الأمراء ؟ ويحك يعطاء ، أتأني من يغلط عنك بابه ، ويظهر لك فقره ، ويبارى عنك غناه ، وتترك باب من يقول : [ادعوني أستجب لكم] ؟ ويحك يعطاء ، إن كان بغيثك ما يكفيك فأوهي ما في الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يكفيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء بغيثك ، ويحك يعطاء ، إنما بطنك ببحر من البحور ، وواد من الأودية ، لا يملؤه شيء إلا التراب . وسئل وهب عن رجلين يصليان ، أحدهما أطول قنونا وضمتا ، والاخر أطول سجودا ، فأيهما أفضل ؟ قال : أنصحهما لله عز وجل . وقال : من خصال المنافق أن يحب الحمد ويكره القم ، أي

يحب أن يحمده على ما لم يفعل ، ويكره أن يذم بما فيه . قال : وقال لقمان لابنه : يا بني اعقل عن الله
فإن أعقل الناس من عقل عن الله ، وإن الشيطان ليفر من العاقل ما يستطيع أن يكايده . وقال
لرجل من جلسائه : ألا أعلمك طباً لا يتعافيه الأطباء ، وفقها لا يتعافيه الفقهاء ، وحلماً لا يتعافيه
الحلماء ، قال : بلى يا أبا عبد الله ، قلل : أما الطب فلا تأكل طعاماً إلا سميت الله على أوله وحدته
على آخره ، وأما الفقه فأن سئمت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بما تعلم وإلا فقل : لا أدري ، وأما الحلم
فأكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء . وقال : إذا كان في الصبي خلقتان ، الحياة والرهبة ، طمع في رشد .
وقال : لما بلغ ذو القرنين مطامع الشمس قال له ملك هناك : صف لي الناس ، فقال محادثتك
من لا يعقل كمن يفنى الموتى ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يبذل الصخر الأصم كي يلين ، وكمن يعطيخ
الحديد يلتصق آدمه ، ومحادثتك من لا يعقل كمن يضع المائدة لأهل القبور ، ونقل الحجارة من
رؤس الجبال أيسر من محادثة من لا يعقل . وقال : قرأت في بعض الكتب أن منادياً ينادي من
السماء الراهمة كل صباح : أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده ، أبناء الخمسين ما ذا قدمتم ؟ أبناء
الستين لأعذر لكم ، ليت الخلق لم يخلقوا ، وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، قد أتكم الساعة
نفذوا حنوككم . وقال : قال دانيال : يا ملقى على زمن يلتصق فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد ،
إلا كالسنبلة في أثر الحاصد ، أو كالنصل في أثر القاطف ، يوشك نوائج أولئك وبواكيرهم أن تبكيهم .
وروى عبد الرزاق عن عبد الصمد بن مقل : قال : سمعت وهباً يقول في قوله تعالى : [ولضعف
الموازين القسط ليوم القيامة] قال : إنما يوزن من الأعمال خواتيمها ، وإذا أراد الله بمبداً خيراً
ختم له بخير عمله ، وإذا أراد الله بمبداً شراً ختم له بشر عمله . وقال وهب : إن الله تعالى لما فرغ من
الخلق نظر إليهم حين مشوا على وجه الأرض فقال : أنا الله لا إله إلا أنا الذي خلقتكم وأنفخكم بنفخي
حق قضائي ونافذ أمري ، أنا أعيدكم كما خلقتكم ، وأنفخكم حتى أبقي وحدي ، فإن الملك والخلود لا يبق
إلا لي ، أَدْعُو خَلْقِي وَأَجْمَعُهُمْ بِقَضَائِي ، يوم أحشر أعدائي ، ونجمل القلوب من هيبتي ، وتبترأ الأكنة
من عبداً ذوي .

قال : وذكر وهب أن الله لما فرغ من خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله
وذكر عظمته وجبروته وكبريائه ، وسلطانه وقدرته وملكوته وربوبيته ، فأنصت كل شيء وأطرق له ،
فقال : أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد
والأمثال العلاء ، أنا الله لا إله إلا أنا ذو الطول والآن والآلاء والكبرياء ، أنا الله لا إله إلا أنا بديع
السموات والأرض ، ملأت كل شيء عظمتي ، وقهر كل شيء ملكي ، وأحاطت بكل شيء قدرتي ،
وأحصى كل شيء علمي ، ووسعت كل شيء رحمتي ، وبلغ كل شيء لعاني ، فأنا الله يا معشر الخلائق

فأعرفوا مكانى ، فليس شئ فى السموات والأرضين إلا أنا ، وخلقى كلهم لا يقوم ولا يدوم إلا بى ، وينقلب فى قبضتى ، ويدب برزقى ، وحباته ودرته وبقاؤه وفتاؤه يبدى ، فليس له شئ يصح ولا ملجأ غبرى ، لو تخليت عنه طرفه عين لدمركاه ، وكنت أنا على حال لا يمتصى ذلك شيئاً ، ولا ينقص ذلك ملكى شيئاً ، وأنا مستغن بالذرة كله فى جبروتى وملكى ، وبرهان نورى ، وشهد بطشى ، وعلو مكانى ، وعظمة شأنى ، فلا شئ مثلى ، ولا إله غبرى ، وليس يفتنى لى خلقته أن يعمل بى ولا يسكرنى ، وكفى يسكرنى من خلقته يوم خلقته على معرفتى ؟ أم كيف يكابرنى من قهر قهره ملكى ؟ أم كيف يمجزنى من ناصيته يبدى ؟ أم كيف يبدل بى من أمره وأمرهم جسمه وأنفس عقله وأتوى نفسه وأخلقته وأمره فلا ينتج منى ؟ أم كيف يستسكف من عبادى عبداً وابن عبداً وابن عبداً وابن أبنى ، ومن لا ينسب إلى خالق ولا وارث غبرى ؟ أم كيف يبعد دوى من خلقته الأيام ، ويضئ أجلة اختلاف الليل والنهار ؟ وهما شعبة يسيرة من سلطانى ؟ قال : إن ما أهل الموت والفناء ، لا إلى غبرى ، فالى كتبت الرحمة على منى وقضيت العفو والمغفرة لمن استغفرنى ، أغفر الذنوب جميعاً ، صغبرها وكبرها لمن استغفرنى ، ولا يكبر ذلك على ولا يمتاطعنى ، فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولا تقتلوا من رحمى ، فإن رحمى سبقت غضى ، وخزان انظروا كاهى يبدى ، ولم أخلق شيئاً مما خلقت لحاجة كانت منى إليه ، واسكن لأبين به قدرى ، ولينظر الناظرين فى ملكى ويتدبروا حكمتى ، وليسبحوا بحمدى ويدبدبوا لا يشركوا بى شيئاً ، ولنعزو الوحد كاهى إلى .

وقال أشرس من وهب قال قال داود : إلهى أين أجذك ؟ قال عند المنكسرة فلوهم من مخافتى وقال كان رجل من بنى إسرائيل صام سبعين أسبوعاً يفطر فى كل أسبوع يوماً وهو يسأل الله أن يريه كيف ينزى الشيطان الناس ، فلما أن طال ذلك عليه ولم يجب ، قال فى نفسه : لو أقبلت على خطيئتي وعلى ذنوبى وما بينى وبين ربى لكان خيراً من هذا الأمر الذى أطلب ، ثم أقبل على نفسه فقال : يا نفس من قبلك أتيت ، لو علم الله فيك خيراً لفضى حاجتك . فأرسل الله ملكاً إلى نبيه : أن قل للفلان العابد : إزراءك على نفسك وكلامك الذى تكلمت به ، أوجب إلى مما مضى من عبادتك ، وقد أجلب الله سواك ، وفتح بصرك فانظر الآن ، فنظر فاذا أحبولة لابلوس قد أسحطت بالأرض ، وإذا ليس أحد من بنى آدم الا أحبولة شياطين مثل الذهب ، فقال : إى رب ، من ينجو من هؤلاء ؟ قال صاحب القلب الواحد العين .

وقال وهب : كان رجل من الساميين فأتى من أرض فيها فناء فدعته نفسه إلى أخذ شئ منه ، فمات بها فقام مكانه يصل ثلاثة أيام ، فمات به رجل وقد لوحنه الشمس والريح ، فلما نظر إليه قال :

سبحان الله !! لكأنما أحرقت هذا الانسان بالنار ، فقال السائح : هكذا بلغ منى ما ترى خوف النار ، فكيف فى لو قد دخلتها ؟

وقال : كان رجل من الأولين أصاب ذنبا فقال : لله على أن لا يظلمنى سقف بيت ابدأ حتى تأتبنى براءة من النار ، فكان بالصحراء فى الحر والقر ، فمر به رجل فرأى شدة حاله فقال : يا عبد الله ما بلغ بك ما أرى ؟ فقال : بلغ ما ترى ذكر جهنم ، فكيف فى إذا أنا وقعت فيها ؟ . وقال : لا يكون البطال من الحكماء أبدا ، ولا يرث الزناة من ملكوت السماء ، وقال وهب فى موعظته : اليوم يعطى السعيد ، ويستكثر من منافعه اللبيب ، يا ابن آدم إنما جمعت من منافع هذا اليوم لدفع ضرر الجهالة عنك ، وإنما أوقدت فيه مصابيح الهدى لتنبيه لحرزك ، فلم أر كالذيوم ضل مع نوره متحير داع لمداواة سليم ، يا ابن آدم ! إنه لا أقوى من خالق ، ولا أضعف من مخلوق ، ولا أقدر من طلبته فى يده ، ولا أضعف ممن هو فى يد طالبه ، يا ابن آدم إنه قد ذهب منك ما لا يرجع إليك ، وأقام عندك ما سيذهب ، فما الجزع مما لا بد منه ؟ وما الطمع فيما لا يرتجى ؟ وما الحيلة فى بقاء ما سيذهب ؟ يا ابن آدم أقصر عن طلب ما لا تترك ، وعن تناول ما لا تناله ، وعن ابتغاء ما لا يوجد . واقطع الرجاء عنك كما قدمت به عنك الأشياء ، واعلم أنه ربّ مطلوب هو شر لطلابه ، يا ابن آدم إنما الصبر عند المصيبة ، وأعظم من المصيبة سوء الخلق منها ، يا ابن آدم أى أيام الدهر ترجى ؟ يوم يحى فى غم أو يوم تستأخر عاقبته عن أوان مجيئه ؟ فانظر إلى الدهر نجمه ثلاثة أيام ، يوم مضى لا ترجوه ، ويوم لا بد منه ، ويوم يحى لا تأمنه ، فأمس شاهد عليك مقبول ، وأمين مؤد ، وحكيم مؤدب ، قد نجعت بنفسه ، وخلف فيك حكمته . واليوم صديق مودع ، كان طويل الغيبة عنك ، وهو سريع الظن إليك ولم يأت ، وقد مضى قبله شاهد عدل ، فان كان ما فيه لك فاشفعه بمثله أوثق لك باجتماع شهادتهما عليك . يا ابن آدم إنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عقد رحلهم إلا فى غيرها ، وإنما يقبلون بالعوارى فى أحسنه - يعنى الشكر - للمنع والتسليم للمعاد ، يا ابن آدم إنما الشئ من مثله وقد مضت قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد ذهاب أصله ؟ إنما يقر الفرع بعد الاصل . يا ابن آدم إنه لا أعظم رزية فى عقله ممن ضيع اليقين وأخطأ العمل . أيها الناس ! إنما البقاء بعد الفناء ، وقد خلقناو لم نكن ، وسنبلى ثم نعود ، ألا وإنما العوارى اليوم والهبات غدا ، ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش ، أو عطاء جزيل ، فأصاحوا ما تقدمون عليه بما تظنون عنه . أيها الناس ! إنما أنتم فى هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، وإن ما أنتم فيه من دنيا كم نهب للمصائب ، لا تنالون فيها نعمة إلا بفراق الأخرى ، ولا يستقبل منكم معبر يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا يتخذ له زيادة فى ماله إلا بنفاد ما قبله من رزقه ، ولا يحى له أثر إلا مات له أثر . نسأل الله أن يبارك لنا ولكم فيما مضى من هذه العظة

وقال قتيبة بن سعيد: حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن مروان عن وهب بن منبه . عن الطريق ولم تستقم^(١) لسائقها ، وإن فتر سائقها حزن ، ولم تدب فائدتها : فإذا اجتمع استقامت طوعاً أو كرها ، ولا تستطيع الدين إلا بالطوع والكره ، وإن كان كرها الإنسان شيئاً من دينه تركه ، أو شك أن لا يبقى معه من دينه شيء . وقال وهب : إن من حكمة الله عز وجل أنه خلق الخلق مختلفاً خلقه ومقاديره ، فنه خلق يدوم مادامت الدنيا ، لا تنقصة الأيام ولا تهرمه وتبليه ويموت ، ومنه خلق لا يطعم ولا يرزق ، ومنه خلق يطعم ويرزق ، خلقه الله وخلق معه رزقه ، ثم خلق الله من ذلك خلقاً في البر وخلقاً في البحر ، ثم جعل رزق ما خلق في البحر وفي البر ، ولا ينفع رزق دواب البر دواب البحر ، ولا رزق دواب البحر دواب البر ، ولو خرج مائي البحر إلى البر هلك ، وفي ذلك من خلق الله في البر والبحر عبرة لمن أهمته قسمة الأرزاق والمميشة فليعتبر ابن آدم فيما قسم الله من الأرزاق ، فانه لا يكون فيها شيء إلا كما قسمه سبحانه بين خلقه ، لا يستطيع أحد أن يغيرها ولا أن يخلطها ، كما لا يستطيع دواب البر أن تعيش بأرزاق دواب البحر ، ولا دواب البحر بأرزاق دواب البر ، ولو اضطرت إليه هلكت كلها ، فإذا استقرت كل دابة منها فيما رزقت أصاحبها ذلك وأحيائها ، وكذلك ابن آدم إذا استقر وقنع بما قسم الله له من رزقه أحياء ذلك وأصلحه ، فإذا تعاطى رزق غيره نقصه ذلك وضره وفوضه .

وقال لعطاء الخراساني : كان العلماء قبلكم قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم ، فكانوا لا يلتفتون إلى أهل الدنيا ، ولا إلى مافي أيديهم ، فكان أهل الدنيا يبدلون إليهم دنياهم رغبة في علمهم ، فأصبح أهل العلم فينا اليوم يبدلون لأهل الدنيا علمهم رغبة في الدنيا ، فأصبح أهل الدنيا قد زهدوا في علمهم لما رأوا من شؤمهم وضعه عندهم ، فإياك يا عطاء وأبواب السلطان فان عند أبوابهم فتنة كبارك الابل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله .

وقال إبراهيم الجنيد : حدثنا عبد الله بن أبي بكر المديني حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني قال : سمعت وهب بن منبه يقول : لقي عالم عالماً هو فوفقه في العلم ، فقال : كيف صلاتك ؟ فقال : ما أحسب أحداً سمع يذكر الجنة والنار يأتي عليه ساعة لا يصلي فيها ، قال : فكيف ذكرك للوت ؟ قال : ما أرفع قدماً ولا أضغ أخرى إلا رأيت أني ميت . فقال : فكيف صلاتك أنت أيها الرجل ؟ فقال : إني لأصلي وأبكي حتى ينبت العشب من دموعي ، فقال العالم : أما إنك إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير لك من أن تبكي وأنت مدل بملك ، فان المدل لا يرفع له عمل فقال : أوصني فاني أراك حكيماً ، فقال ازهد في الدنيا ولا تنازع أهلها فيها ، وإن فيها كالنخلة ، إن

(١) اكندا بالأصل وفيه نقص أو تحريف فليحرر .

أكلت أكلت طيبا ، وإن وضعت وضعت طيبا ، وإن وقعت على عدو لم تكسره ، وأنصح لله نصيح السكاب لأهله ، فانهم يجيعونه ويطردونه ويضربونه وهو يأبى إلا أن يحوطهم ويحفظهم ، وينصح لهم . فكان وهب إذا ذكر هذا الحديث قال : واسوأناه إذا كان السكاب أنصح لأهله منك يا ابن آدم لله عز وجل . وفي رواية أنه قال : إني لأصلي حتى ترم قدمي ، فقال له : إنك إن تبت تائباً ، وتصبح نادماً ، خير لك من أن تببت قائماً وتصبح معجبا ، إلى آخره . وروى سفيان عن رجل من أهل صنعاء عن وهب . فذكر الحديث كما تقدم .

وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا الطلت بن عاصم المرادي عن أبيه عن وهب قال : لما أهبط آدم من الجنة استوحش لفقد أصوات الملائكة ، فهبط عليه جبريل فقال : يا آدم ألا أعلمك شيئا تلتفت به في الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى . قال قل : اللهم تمم لي النعمة حتى تهينني المعيشة ، اللهم اختم لي بخير حتى لا تصرفني ذنوبي ، اللهم اكفني مؤنة الدنيا وكل هول في القيامة حتى تدخلني الجنة في عافية

وقال عبد الرزاق : حدثني بكار بن عبد الله عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب فوجدت الله تعالى يقول : يا ابن آدم ما ألصقتني ، تذكر بي وتلنساني ، وتدعو إلى وتفر مني ، خيري إليك نازل ، وشرك إلى صاعد ، ولا يزال ملك كريم قد نزل اليك من أجلك ، يا ابن آدم إن أحب ما تكون إلى وأقرب ما تكون مني إذا رضيت بما قسمت لك . وأبغض ما تكون إلى ، وأبعد ما تكون مني إذا سخطت بما قسمت لك . يا ابن آدم أظنني فيما أمرتك ، ولا تعلمني بما يصلحك ، إني عالم بخلق ، وأنا أعلم بحاجتك التي ترفعك من نفسك ، إني إنما أكرم من أكرمني ، وأهين من هان عليه أمرى ، لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر العبد في حق . وقال وهب : قرأت نيفا وتسعين كتابا من كتب الله تعالى فوجدت في جميعها : أن من وكل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر . وقال : لا يسكن ابن آدم ، إن الله هو قسم الأرزاق متفاضلة ومختلفة ، فان تقلل ابن آدم شيئا من رزقه فليزدد إلى الله رغبة ، ولا يتولن ؛ لو أطلع الله على هذا من حال ، أو شعر به غيره ؟ فكيف لا يطلع على شيء الذي خلقه وقدره ؟ أو يعتبر ابن آدم في غير ذلك بما يتفاضل فيه الناس ، كأن الله فاضل بينهم في الأجسام والاموال والالوان والمقول والأحلام ، فلا يكبر على ابن آدم أن يفضل عليه في الرزق والمعيشة ، ولا يكبر عليه أن يفضل عليه في الحلم والعلم والعقل والدين ، أولا يعلم ابن آدم أن الذي رزقه في ثلاثة أزمان من عمره لم يكن له في واحد منها كسب ولا حيلة ، أنه سوف يرزقه في الزمن الرابع . أول زمان من أزمانه حين كان في بطن أمه ، يخلق فيه ويرزق من غير مال كسبه ، وهو في قرار مكين ، لا يؤذيه فيه حر ولا برد ، ولا شيء ولا هم ولا حزن ، وليس له هناك يد تبطش ،

ولا وجل قسى ، ولا لسان ينطق . فساق الله عز وجل إليه رزقه هنك على أنم الوجوه وأهناها وأمرها ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يحوله من تلك المنزلة إلى غيرها . ويحدث له في الزمن الثاني رزقا من أمه يكفيه ويغنيه ، من غير حول منه ولا قوة ، ولا بطش ولا سعى ، بل تفضلا من الله وجوداً ، ورزقا أجراه وصاقه إليه ، ثم أراد الله سبحانه أن ينقله من الزمن الثاني إلى الزمن الثالث من ذلك اللبث إلى رزق يحده له من كسب أبويه ، بأن يجعل له الرحمة في قلوبهما حتى يؤثر على نفسيهما بكسبهما ، ويغنيهما بإغنياءه بأطيب ما يقدران عليه من الأغذية ، وهو لا يعينهما على شيء من ذلك بكسب ولا حيلة ، حتى إذا عقل حدث نفسه بأنه إنما يرزق بجيسته ومكسبه وسميه ، ثم يدخل عليه في الزمن الرابع إساءة الظن بربه عز وجل ، فيضيع أوامر الله في طلب المعاش وزيادة المال وكثرته ، وينظر إلى أبناء الجلس وما عليه من التنافس في طاب الدنيا ، فيكسب بذلك ضعف اليقين والإيمان ، ويمتلئ قلبه فقرآ وخوفاً منه مع المتاع ، ويتلى بموت القلب وعدم العقل ، ولو نظر ابن آدم نظر معرفة وعقل لعلم أنه لن يغنيه في الزمن الرابع إلا من أغناه رزقه في الأزمان الثلاثة قبل ، فلا مقال له ولا معذرة مما سلط عليه في الزمان الرابع إلا برحمة الله ، فإن ابن آدم كثير الشك يقصر به حكمه وعلمه عن علم الله والتفكير في أمره ، ولو تفكر حتى يفهم ، وتضم حتى يعلم ، علم أن علامة الله التي بها يعرف ، خلقه الذي خلق ، ثم رزقه لما خلق ، وقدره لما قدر .

وقال عطاء الخراساني : لقيت وهباً في الطريق فقلت : حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامى هذا وأوجز . فقال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام : يا داود ، أما عزى وعظمتي لا ينتصر بي عبد من عبادى دون خلقى أعلم ذلك من نيته ، فتكيد السموات السبع ومن فيهن ، والأرضون السبع ومن فيهن ، إلا جعلت له منهن فرجا ومخرجاً ، أما عزى وجلالى لا يمتصم عبد من عبادى بخلق دونى أعلم ذلك من نيته ، إلا قطعت أسباب السموات من يده ، وأسخت الأرض من تحته ولا أبالى في أى واد هلك .

وقال أبو بلال الأشعري عن أبي هشام الصنعاني قال : حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول : وجدت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : كفأتى للمبدى مالا ، إذا كان عدى في طاعتي أعطيته قبل أن يسألنى ، وأستجيب له من قبل أن يدعونى ، فأتى أعلم بحاجته التي رفق به من نفسه . وقال : قرأت في بعض الكتب أن الشيطان لم يكابد شيئا أشد عليه من مؤمن عاقل لأنه إذا كان مؤمنا عاقلا ذا بصيرة فهو أثقل على الشيطان من الجبال الصم ، إنه يزال المؤمن العاقل فلا يستطيعه ، فيتحول عنه إلى الجاهل فيستأمره ويتمكن من قياده . وقال : قام موسى عليه السلام فلما رآته بنتو إسرائيل قاموا ، فقال : على مكانكم ، ثم ذهب إلى الطور فاذا هو بنهر أبيض

فيه مثل رؤس السكشبان كافور محفوف بالرياحين ، فلما رآه أعجبه فدخل عليه فاغتسل وغسل ثوبه ، ثم خرج وجفف ثوبه ، ثم رجع إلى الماء فاستنضح فيه إلى أن جف ثوبه ، فلبسه ثم أخذ نحو الكشيب الآخر الذي فوق الطود ، فاذا هو برجلين يحفران قبراً ، فقام عليهما فقال : ألا أعينكما ؟ قال : بلى فنزل فحفر ، فقال لهما : لتحدثاني مثل من الرجل ؟ فقالا : عـلى طاولك وهيئتك ، فاضطجع فيه لينظروا طالتأت عليه الأرض ، فلم ينظر إلى قبر موسى عليه السلام إلا الرخم ، فأصمها الله وأبكمها . وقال : يقول الله عز وجل : لولا أنى كتبته النتن على الميت لحبسہ الناس في بيوتهم ، ولولا أنى كتبته الفساد على اللحم لحرمه الأغنياء على الفقراء .

وقال : مرَّ عابد براهب فقال له : منذ كم أنت في هذه الصومعة ؟ قال : منذ ستين سنة ، قال : وكيف صبرت فيها ستين سنة ؟ قال : مر فان الزمان يمر ، وإن الدنيا تمر ، ثم قال له : يا راهب كيف ذكرك لدوت ؟ قال : ما أحسب عبداً يعرف الله تأنى عليه ساعة إلا يذكر الموت فيها ، وما أرفع قدما إلا وأنا أظن أن لا أضع قدما حتى أموت ، وما أضع قدما إلا وأنا أظن أن لا أرفعها حتى أموت ، فحمل العابد بيكى ، فقال له الراهب : هذا بكائك إذا خلوت ؟ - أو قال : كيف أنت إذا خلوت ؟ - فقال العابد : إني لأبكي عند إفطاري فأشرب شرابى بدوى ، ويصرعنى النوم فأبلى متاعى بدموعى ، فقال له الراهب : إنك إن تضحك وأنت معترف بذنبك خير لك من أن تبكى وأنت مدل على الله بملك . فقال : أوصنى بوصية ، قال : كن في الدنيا بمنزلة النخلة ، إن أكلت أكلت طيباً ، وإن وضعت وضعت طيباً ، وإن سقطت على شئ لم تضره ، ولا تكن في الدنيا بمنزلة الحمار إنما همته أن يشبع ثم يرمى بنفسه في التراب ، وانصح لله نصيح الكلب لأهله ، فانهم يجيعونه ويطردونه ، وهو يأبى إلا أن يجرسهم ويحفظهم . قال أبو عبد الرحمن أشرس : وكان طاووس إذا ذكر هذا الحديث بكى وقال : عز علينا أن تكون السكالب أنصح لأهلها منا ولأننا عز وجل . وقد تقدم نحو هذا المتن .

وقال وهب : تخلى راهب في صومعته في زمن المسيح : فأراد إبليس أن يكيدَه فلم يقدر عليه ، فأناه بكل مراد فلم يقدر عليه ، فأناه متشبهاً بالمسيح فناده : أيها الراهب اشرف على أكلك فأنا المسيح ، فقال : إن كنت المسيح فالى إليك من حاجة ، أليس قد أمرتنا بالعبادة ؟ ووعدتنا القيامة ؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك . قال : فذهب عنه الشيطان خاسداً وهو حسير ، فلم يمد إليه . ومن طريق أخرى عنه قال : أتى إبليس راهباً في صومعته فاستفتح عليه ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا المسيح ، فقال الراهب : والله لئن كنت إبليس لأخون بك ، ولئن كنت المسيح فاعسى أن أصنع بك اليوم شيئاً ، لقد بلغت رسالة ربك عز وجل فقبلناها عنك ، وشرعت لنا الدين

فنحن عليه ، فاذهب فلست بفاتح لك فقال : صدقت ، أنا إبليس ولا أريد إضلالك بعد اليوم أبداً
فسلمني عما بدا لك أخيرك به . قال : وأنت صادق ؟ قال : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك فيه . قال :
فأخبرني أي أخلاق بني آدم أولت في أنفسكم أن تضلوهم ؟ قال ثلاثة أشياء : الجدة ، والشح ، والشكر .
وقال وهب : قال موسى : يارب أي عبادك قال : من لا تنفعه موعظة ، ولا يذكرك في إخلاص ،
قال : إلهي فما جزاء من ذكرك بلسانه وقلبه ؟ قال : يا موسى أظله يوم القيامة بظل عرشي ،
وأجعلني في كنفي . وقال وهب : إني عالم علما هو فوقه في العلم فقال له : رحمك الله ما هذا البناء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : ما سترك من الشمس ، وأكنك من الغيث . قال : فما هذا الطعام الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : فوق الجوع ودون الشبع من غير تكاف . قال : فما هذا اللباس الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما ستر العورة ومنع الحر والبرد من غير تنوع ولا تلون . قال : فما هذا
الضحك الذي لا إسراف فيه ؟ قال : هو ما أسفر وجهك ولا يسمع صوتك . قال : فما هذا البكاء الذي
لا إسراف فيه ؟ قال : لا تمل من البكاء من خشية الله عز وجل ، ولا تبك على شيء من الدنيا .
قال : كم أخفي من علي ؟ قال : ما أظن بك أنك لم تعمل حسنة . قال : ما أعلن من علي ؟ قال :
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يأنم بك الحريص ، واحذر النظر إلى الناس . وقال : لكل
شيء طرفان ووسط ، فاذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر ، وإذا أمسكت بالوسط اعتدلا ، فمليكم
بالوسط من الأشياء . وقال : أربعة أحرف في النوراة : من لم يشاور يندم ، ومن استغنى استأثر ،
والفقر الموت الأحر ، وكما تدين تدان ، ومن تجر فجر .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان رجل
من أفضل أهل زمانه ، وكان يزار فيعظمهم ، فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال : إنا قد خرجنا عن الدنيا
وفارقنا أهل والأموال مخافة الطغيان ، وقد خفنا أن يكون قد دخل علينا في حالتنا هذه من الطغيان
أعظم وأكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم ، وعلى الملوك في ملكهم ، أروانا يجب أحدهما
أن تقضى له الحاجة ، وإذا اشترى شيئاً أن يجابى لمكان دينه ، وأن يعظم إذا لقي الناس لمكان
دينه ، وجعل يعدد آفات العلماء والعباد الذين يدخل عليهم في دينهم من حب الشرف والتعظيم .
قال : فشاع ذلك الكلام عنه حتى بلغ ملك تلك البلاد ، فمجب منه الملك وقال لرؤس دولته : ينبغي
لهذا أن يزار ، ثم اتدوا زيارته يوماً ، فركب إليه الملك ليسلم عليه ، فأشرف العابد . وكان عالماً جيبه
العلم بآفات العلوم والأعمال ودسائس النفوس . فرأى الأرض التي تحت مكانه قد سدت بانبثال
والفرسان ، فقال ما هذا ؟ فقيل له : هذا الملك قاصد إليك يسلم عليك لما يلفه من حسن كلامك

فقال : إنا لله ، وما أصنع به ؟ هلكننا والله إن لم نلقن الحجة من عند الله مع هذا الرجل ، وينصرف عنا وهو ماقت لنا ، ثم سأل خادمه : هل عندك طعام ؟ قال : نعم . قال : فأنت به فضمه بين أيدينا ، قال : بهو شيء من ثمر الشجر ، وهو شيء من بقل وزيتون ، قال : فأنت به ، فأنت به ، ثم أمر بجمااعته فاجتبهوا حول ذلك الطعام ، فقال : إذا دخل عليكم هذا الرجل فلا يلتفت أحد منكم إليه ، ولا يقيم له أحد ، وأقبلوا على الأكل العنيف ، ولا يرفع أحد منكم رأسه ، امل الله أن يصرفه عنا وهو كاره لنا فأنت أخاف الفتنة والشبهة وامتلاء القلوب منهما ، فلا نخاص إلا بنار جهنم . قال : فبكي القوم وبكى ذلك الرجل العالم ، فلما اقترب الملك من جبابهم الذي هم فيه ، ترجل الملك ومن معه من أعيان دولته وصعد في الجبل ، فلما وصل إلى قرب مكانهم أخذوا في الأكل العنيف ، فدخل عليهم الملك وهم يأكلون فلم يرفعوا رؤسهم إليه ، وجعل ذلك العالم الغاضل يلف البقل مع الزيتون مع الكسرة الكبيرة من الخبز ويدخلها في فمهم ، فلم عليهم الملك وقال : أيكم العابد ؟ فأشاروا إليه ، فقال له الملك : كيف أنت أيها الرجل ؟ فقال له : كالناس - وهو يأكل ذلك الأكل العنيف - فقال الملك : ليس عند هذا خير ، ثم أدير الملك خارجا عنه ، وقال : ما عند هذا من هلم . فلما نزل الملك من الجبل نظر إليه العابد من كوة وقال : أيها الملك الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي كاره - أو قال : الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به - وفي رواية ذكر ابن المبارك أنه قال : الحمد لله الذي صرفه عني وهو لي لائم .

وفي رواية أن هذا العابد كان ملكا ، وكان قد زهد في الدنيا وتركها ، لأنه كان قد دخل عليه رجل من بقايا أهل الجنة والعمل الصالح فوعظه ، فاقدم معه أن يصحبه ، وأنه يخرج عن الملك طلبا لما عنده في الدار الآخرة ، وأنه وافته جماعة من بنييه وأهله ورؤس دولته ، فخرجوا برثمتهم ، لا يرى أحد أين ذهبوا ، وكان هذا الملك من أهل المدل والخير والخلوف من الله عز وجل ، وكان متسع الملك والمملكة ، كثير الأموال والرجال ، فساروا حتى أتوا جبلا في أطراف مملكته ، كثير الشجر والمياه ، فأقاموا به حينما ، فقال الملك : إن نحن طال أمرنا ومقامنا في هذا الجبل ، سمع بنا الناس من أهل مملكتنا فلا يدهونا ، وإني أرى أن نذهب إلى غير مملكتنا فننزل مكانا بعيدا عن الناس ، لعل أن نسلم منهم ويسلوا منا ، فساروا من ذلك الجبل طالبين بلادا لا يرفون ، فوجدوا بها جبلا فاقيا عن الناس ، كثير الأشجار والمياه ، قبايل العاوارق ، وإذا في ذروته عين ماء جارية وأرض متسعة ، تزرع لمن أراد الزرع بها ، فزولوا به وبنوا به أما كن للمعبادة والسكنى ، وزرعوا لهم على ماء تلك العين بعض بقول يأتدمون بها ، وأشجار زيتون ، وجعلوا يزرعون بأيديهم ويأكلون ثم شاع أمرهم في بعض تلك البلاد القريبة من جبابهم ، فجعلوا يأتونهم ويزورونهم - سم ، إلى أن شاع

ذلك الكلام المنتسب عن ذلك العالم ، فبلغ ملك تلك البلاد قاصداً للزيارة ، فذكر القصة كما تقدم ، والله أعلم .

وقال وهب : أزهده الناس في الدنيا - وإن كان عليها حريصاً - من لم يرض منها إلا بالكسب الحلال الطيب ، مع حفظ الامانات ، وأرغب الناس فيها وإن كان عنها مريضاً ، من لم يبال من أين كسبه منها . حلالاً كان أو حراماً ، وإن أجود الناس في الدنيا من جاد بحق الله عز وجل ، وإن رآه الناس بخيلاً فيها سوى ذلك ، وإن أبخل الناس في الدنيا من بخل بحق الله عز وجل وإن رآه الناس جواداً فيها سوى ذلك .

وقال الطبراني : حدثنا معاذ بن المنثري حدثنا علي بن المديني حدثنا محمد بن عمرو بن مسمي قال سمعت عطاء بن مسلم يقول : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام في ألف مقام ، وكان إذا كلمه رؤى النور على وجهه ، موسى ثلاثة أيام ، ولم يمس موسى امرأة منذ كلمه وبه عز وجل . وقال عثمان بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله بن عامر بن زائدة حدثنا عبد الله بن الأجلح عن محمد بن إسحاق قال : حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت ابن منبه النخعي يقول : إن للنسوة أفتلاً ومؤنة لا يجعلها إلا القوى ، وإن يونس بن متى كان عبداً صالحاً ، وكان في خلقه ضيق ، فلما حملت عليه النسوة تفسخ تحتها تفسخ الربيع تحت الحمل ، فرفضها من يده وخرج هارباً ، فقال الله تعالى لنبيه (ص) : [فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل] وقال : [فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم] الآية ، وقال يونس بن بكير عن أبي إسحاق بن وهب بن منبه عن أبيه قال : أمر الله الريح أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء في الأرض إلا ألقته في أذن سليمان ، ولذلك سمع كلام النملة .

وروى سفيان بن عمار عن عمرو بن دينار عن وهب قال : كان الرجل من بني إسرائيل إذا سأل أربعين سنة أذى شيئاً ، كأن يرى علامة القبول ، قال : فسأل رجل من ولد ربيعة أربعين سنة فلم ير شيئاً ، فقال : يارب إذا أحسنت وأساء والداي فسا ذنبي ؟ قال : فأرى ما كان يرى غيره . وفي رواية أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أكلوا أضراسي أنا ؟ وفي رواية عنه أنه قال : يارب إذا كان والداي قد أساءا أحرم أنا إحسانك وبرك ؟ فأظلمت غمامة .

وروى عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن عبد العزيز بن مروان . قال : سمعت وهب ابن منبه يقول : مثل الدنيا والآخرة مثل ضربتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى ، وقال : إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السحر . وروى عبد الرزاق قال : أخبرني أبي عن وهب قال : إذا صام الإنسان زائغ بصره ، فإذا أفطر على حلوة عاد بصره . وقال ابن المبارك

عن بكر بن عبد الله قال سمعت وهب يقول : مر رجل عابد على رجل عابده فآخا ، فمكرآ ، فقال له : مالك ؟ فقال له : أعجب من فلان ، إنه كان قد بلغ من عبادته ما بلغ ، ثم مالت به الدنيا . فقال : لا تعجب من مال كيف مال ، ولكن اعجب ممن استقام كيف استقام .

وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل : حدثني أبي حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكر بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن بني إسرائيل أصابهم عقوبة وشدة ، فقال النبي : « ووددنا أن نعلم ما الذي يرضى ربنا فنقتبه ، فأوحى الله عز وجل إليه : إن قومك يقولون : إذا أرضوم رضيت ، وإذا أسخطوم أسخطت . وقال عبد الله بن أحمد أيضا : حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني عمر بن عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن عيسى عليه السلام كان واقفا على قبر ومعه الحواريون - أو نفر من أصحابه - قال : وصاحب الذين يدلوني فيه ، قال : فذكروا من ظلمة القبر وضيقه ، فقال عيسى : قد كنتم فيما هو أصعب من ذلك ، في أرحام أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسع ، أو كما قال .

وقال عبد الله بن المبارك : حدثنا بكر بن عبد الله قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان رجل جلده من الشياح أراد الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب ، فلم يستطع منه شيئا من ذلك ، فتمثل له حية وهو يصلي ، ففسى ولم يلتفت إليه ، فالتوى على قدميه فلم يلتفت إليه ، فدخل ثيابه وأخرج رأسه من عند رأسه فلم يلتفت ولم يستأخر ، فلما أراد أن يسجد التوى في موضع سجوده ، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه ، فوضع رأسه فجعل يعركه حتى استمكن من السجود على الأرض . ثم جاءه على صورة رجل فقال له : أنا صاحبك الذي أخوفك ، أنتينك من قبل الشهوة والغضب والرغبة ، وأنا الذي كنت أتمثل لك بالسباع والحيات فلم أستطع منك شيئا ، وقد بدا لي أن أصادقك ولا آتيك في صلاتك بعد اليوم . فقال له العابد : لا يوم خوفني خفتك ، ولا اليوم بي حاجة في مصادقتك . قال : سلني عما شئت أخبرك . قال فبينما عسيت أن أسألك ؟ قال : ألا تسألني عن مالك ما فعل به بعدك ؟ قال : لو أردت ذلك ما فارقته . قال : ألا تسألني عن أهلِكَ من مات منهم ومن بقي ؟ قال : أنا مت قبلهم . قال ألا تسألني عما أضل به الناس ؟ قال : أنت أضلهم . فأخبرني عن أوثق ما في نفسك تضل به بني آدم . قال : ثلاثة أخلاق ، الشح ، والحدة ، والسكر . فان الرجل إذا كان شحيحا قلنا ماله في عينه ورغبناه في أموال الناس ، وإذا كان حديدا تداولناه بيننا كما يتداول الصبيان الكرة ، ولو كان يحب الموتى بدعوته لم نرأسه . وكل ما يبينه نهده ، لنا كلمة واحدة . وإذا سكر قدناه إلى كل شر ونضيحة وخزى وهوان كما تقاد القط إذا أخذ بأذنهم كيف شئنا

وقال وهب : أصاب أبواب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، وسخى بختنصر في السباع سبع سنين . وسئل وهب عن الدنانير والدرهم فقال : هي خواتم رب العالمين ، فالأرض لأيش بنى آدم لا تؤكل ولا تشرب ، فأينما ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك ، وهي أزمسة الملائكة بها يتأدون إلى السموات . وروى داود بن عمر الضبي عن ابن المبارك عن معمر عن مالك بن الفضل عن وهب قال : مثل الذي يدعوه بغير عمل مثل الذي يرى بغير وتر . وقال ابن المبارك : أخبرني عمر بن عبد الرحمن بن وهب قال : سمعت وهبا يقول : قال حكيم من الحكماء : إني لأستحي من الله عز وجل أن أعبد رجاء ثواب الجنة فقط ، وأكون كالأجير السوء ، إن أعطى عمل وإن لم يعط لم يعمل ، وإني لأستحي من الله أن أعبده مخافة النار فقط ، فأكون كالعبد السوء إن وهب عمل وإن ترك لم يعمل ، وإني أبتغي - متى حب الله - ما لا يستخرج في غيره .

وقال السري بن يحيى : كتب وهب إلى مكحول : إني قد أصبت بما ظهر من علم الإسلام عند الناس محبة وبشرقا ، فأطلب بما بعث من علم الإنسان عند الله محبة وذاني ، وأعلم أن إحدى المحبتين تمنح الأخرى - أو قال : سوف تمنحك الأخرى - وقال زافر بن سليمان عن أبي سنان الشيباني قال : بلغنا أن وهب بن منبه قال قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله نجاة تريد بها ربح الدنيا والآخرة ، إلا على سفنك التي تحمل عليها . والتوكل على الله شراعا ، والدنيا بمرح ، والإيام بوجك ، والأعمال الصالحة ب تجارتك التي ترجو ربها ، والنافلة هي هديتك التي ترجو بها كرامتك ، والحرص عليها يسيرها ويزيدها ، ورد النفس عن هواها مراسيها ، والموت ساحلها ، والله ملسمك وإليه مصيرها . وأحب النجاة إلى الله وأفضلهم منه أكثرهم بصاعة وأفضلهم نية ، وأخلصهم هدية . وأفضلهم إلى أقاربهم بصاعة ، وأردأهم هدية ، وأفضلهم طوية ، فكأما حسنت تجارتك ازداد ربك ، وكأما خلصت هديتك تكرم . وفي رواية عنه أنه قال : قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله بصاعة تأتلك الأرباح من كل مكان ، واجعل سفنك تقوى الله ، وحشوها التوكل على الله ، وشراعها الإيمان بالله ، وبعورك العلم بالمنافع والدمل الصالح لك أن تنجو ، وما أراك بنجاح . وقال عبد الله بن المبارك عن رباح بن زيد عن رجل قال : إن لاهل طغيانا كلغيان المال .

وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الصنعائي حدثنا أبو قدامة همام بن مسلمة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن منبه قال : سمعت عبيد بن وهب بن منبه يقول : الأجر من الله عز وجل مروض ، واسكن لا يستوجب من لا يعمل له ولا يجده من لا يبتغيه ، ولا يبعثه من لا ينظر إليه ، وطاعة الله قريبة ممن يرغب فيها ، بعيدة ممن زهد فيها ، ومن يحرص عليها يصل إليها ، ومن لا يحرصها لا يجدها ، لا تسبق من سعى إليها ، ولا يدركها من أبطأ عنها ، وطاعة الله تشرف من أكرمها ،

ونبيين من أضعافها ، وكتاب الله يدل عليها ، والإيمان بالله يحض عليها .

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا عمر بن عبد الرحمن سمعت وهب بن منبه يقول قال داود عليه السلام : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة حسن العمل . قال : يارب أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر حسن الصورة كفر أو شكر ، هذان . وفى رواية ذكرها أحمد بن حنبل : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : عبد استخارنى فى أمر نخرت له فلم يرض به . وقال إبراهيم بن الجنيد : حدثنى إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس حدثنا عبد الصمد ابن مقل عن وهب بن منبه قال : كان سائح يعبد الله تعالى ، فجاءه إبليس أو شيطان فتمثل باللسان فجعل يريه أنه يعبد الله تعالى ، وجعل يزيده عليه فى العبادة ، فأجبه ذلك السائح لما رأى من اجتهاده وعبادته ، فقال له الشيطان - والسائح فى مصلاه - : لو دخلنا إلى المدينة فخالطنا الناس وصبرنا على أذاهم وصرنا ونهينا ، كان أعظم لأجرتنا ، فأجابه السائح إلى ذلك ، فلما أخرج السائح إحدى رجليه من باب مكانه لينطلق معه ، هتف به هاتف فقال : إن هذا شيطان أراد أن يفتنك . فقال السائح : رجل خرجت فى مصيبة الله وطاعة الشيطان لا تدخل معى : فسا حولها من موضعها ذلك حتى فارق الدنيا ، فأنزل الله تعالى ذكره فى بعض كتبه فقال : وذو الرجل .

وقال وهب . أى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحم الخنزير ، فأعظم الناس مكانه ، وهلم أمره ، فقال له صاحب شرطة الملك : سر آ بينه وبينه - : أيها العالم ، اذبح جدياً مما يحمل لك أكأ ثم ادفعه إلى حق أصنعه لك على حديثه ، فاذا دعا الملك بلحم الخنزير أمرت به فوضع بين يديك ، فتأكل منه حلالاً ويرى الملك والناس أنك إنما أكلت لحم الخنزير ، فتدبح ذلك العالم جدياً ، ثم دفعه إلى صاحب الشرطة فصنعه له ، وأمر الطباخين إذا أمر الملك بأن يقدم إلى هذا العالم لحم الخنزير ، أن يضعوا بين يديه لحم هذا الجدى واجتمع الخلق ، لينظروا أمر هذا العالم فيه أياً كل أم لا ، وقالوا إن أكل أكلنا وإن امتنع امتنعنا ، فجاء الملك فدعا لهم بلحم الخنزير فوضعت بين أيديهم ، ووضع بين يدي ذلك العالم لحم ذلك الجدى الحلال المذكى ، فأنهم الله ذلك العالم فألقى فى روعه وفكره ، فقال : هب أى أكأ لحم الجدى الذى أعلم حله أنا ، فاذا أصنع بمن لا يعلم ؟ والناس إنما ينتفرون أكل ليقنتوا بى ، وهم لا يعلمون إلا أنى إنما أكلت لحم الخنزير ؟ فبأكون اقتداء بى ، فأكون بمن يعمل أو زارهم يوم القيامة ، لا أفل والله وإن قتلت وحرقت بالنار ، وأبى أن يأكل ، فجعل صاحب الشرطة ينفذ إليه ويوصى إليه ويأمره بأكله ، أى إنما هو لحم الجدى ، فأبى أن يأكل ، ثم أمره الملك أن يأكل فأبى ، فألحوا عليه فأبى ، فأمر الملك صاحب الشرطة بقتله ، فلما ذهبوا به ليقنتوه . قال له صاحب الشرطة : مامنك أن تأكل من اللحم الذى ذكيت أنت ودفعته

إلى ؟ أظننت أني أتيتك بذيرة وخنثك فيها أتمتني عليه ؟ ما كنت لأفعل والله . فقال له العالم
قد علمت أنه هو ، ولكن خفت أن يتأذى الناس بي ، وهم إنما ينتظرون أكله منه ، ولا يملكون
بلا أني إنما أكلت لحمة الخنزير ، وكذلك كل من أريد غلى أكله فيها يأتي من الزمان يقول : قد أكله
فلان ، فأكون فتنه لهم . فقال رحمه الله . فينبغي للعالم أن يحذر المايب ، ويجنب المذورات ،
فإن زلته وناقضته مغاورة يقتدى بها الجاهل . وقال معاذ بن جبل : اتقوا زينة الحكيم ، وقال غيره :
اتقوا زلة العالم ، فإنه إذا زل زل بزائنه عالم كبير . ولا ينبغي له أن يستعين بالزلة وإن صغرت ،
ولا يفضل الإخص التي تختلف فيها العلماء ، فإن العالم هو عصاة كل أمي من العوام ، بها يصلح على
الحق ليس فيه ، ويقول : رأيت فلانا العالم ، وفلانا وفلانا يفعلون ويفعلون ، وليجنب العوائد
النفسية ، فإنه قد يفعل أشياء على حكم المائدة فيظنها الجاهل حجة أو سنة أو واجبة ، كما قيل : سل
العالم يصدقك ولا تتخذ بفعله الغريب ، ولكن سئل عنه يصدقك إن كان ذا دين ، ولم أسمع النظر
إلى شالهم علماء زمانك هذا من خلق ، فإلّا يظن بمخالطهم وبجالتهم ولكن [من يهدي الله فهو
للهدى] (من يضلل فلن نجده له وليا مرشدا) .

وقال محمد بن عبد الملك بن زنجويه : حدثنا عبد الرزاق عن أبيه قال : قلت لوهب بن منبه :
كنت ترى الرؤيا فتخبرنا بها ، فلا نلبث أن نراها كأرأيتها ، قال : ذهب ذلك عني منذ وليت
القضاء . قال عبد الرزاق : فحدثت به معمرآ فقال : والحسن بعد ما ولي القضاء لم يحدوا فهمه ، فمن
يؤمن القراء بمدك يا شهر ؟ فكيف حال من قد غرق في فاذرولت الدنيا من علماء زمانك هذا ، ولا سيما
من بعد فتنه تمرلك ؟ فإن القلوب قد امتلأت بحب الدنيا ، فلا يجد العلم فيها موضعا ، فجالس من
شأنهم لنظرة مبادئ بحالهم وغاياتها ، ولا تستخفك البدايات ، وإنما الأمور بمواقفها ونحواتها
ونشأتها ، وغاياتها . [ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه لمن حيث لا يحتسب] وقال وهب : البلاء
للدون كالتشكال للداية . وقال أبو بلال الأشمري عن أبي شهاب الصنعاني عن عبد الصمد عن وهب
قال : من أصيب بشئ من البلاء فقد سلك به طريق الأنبياء . وقال عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل :
حدثنا عبد الرزاق قال : أنبأنا منفر قال : سمعت وهبا يقول : قرأت في كتاب رجل من الحواريين :
إذا سلك بك طريق - أو قال سبيل - أهل البلاء فطلب نفسك فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين
وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن خالد حدثني أمية بن شبل عن هبان بن
برزويه قال : كنت مع وهب وسعيد بن جبيرة يوم هرة لمت نخيل ابن طاهر ، فقال وهب لسعيد :
يا أبا عبد الله اكتم منذ خفت من الحجلاج ؟ قال : خرجت عن امرأتي وهي حامل لجأني الذي في
بطنها وقد خرج [سمر] وجهه ، فقال له وهب : إن من كان قبلكم كان إذا أصابه بلاء هده رجاء ،

وإذا أصابه رجاء عده بلاء . وروى عبد الله بن أحمد بسنده عن وهب قال : قرأت في بعض الكتب : ليس من عبادي من سحر أو سحر له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، فن كان كذلك فليدع غيري ، فإني أنا وخلق كلهم لي . وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح بن جعفر بن محمد عن التيمي عن وهب أنه قال : دخول الجبل في سم الخياط أيسر من دخول الأغنياء الجنة . قلت : هذا إنما هو لشدة الحساب وطول وقوف الأغنياء في الكرب ، كما قد ضربت الأمثال للشدائد . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرزاق حدثنا بكار قال سمعت وهبا يقول : ترك المكافأة من التعانيف . وقال الامام أحمد : حدثنا الحجاج وأبو النصر قال : حدثنا محمد بن طلحة عن محمد بن جعدة عن وهب قال : من يتعبد يزد قو ، ومن يتكسل يزد فترة . وقد قال غيره : إن حوراء جاءت في المنام في ليلة باردة فقالت له : قم إلى صلاتك فليس خير لك من نومة توهن بدنك . ورأيت في ذلك حديثا لم يحضرني الآن . وهذا أمر بحرب عن القنادة تنشيط البدن وتلينه ، وأن النوم يكسل البدن فيقتسيه ، وقد قال بعض السلف لما تبع ضلة ابن أشيم حين دخل تلك الغيضة ، وأنه قام ليلته إلى أن أصبح ، قال فأصبح كأنه بات على الحشايا ، وأصبحت ولي من السكسك والفنور مالا يملكه إلا الله عز وجل .

وقد قيل للحسن : ما بال المتعبدين أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالجليل فالبسهم نوراً من نوره . وقال يحيى بن أبي كثير : والله ما رجل يخلو بأهله عروساً فمر ما كانت نفسه وآس ، بأشد سروراً منهم بمناجاة ربهم تعالى إذا خلوا به . وقال عطاء الخراساني : قيام الليل بحياة للبدن ، ونور في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البصر والأعضاء كلها ، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فرحاً مسروراً ، وإذا نام من حزن به أصبح حزينا مكسوراً القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً .

وقال ابن أبي الدنيا ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن منيع حدثنا هاشم بن القاسم أبو النصر حدثنا بكر بن حبيش عن محمد القرشي عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن بلال قال قال رسول الله (ص) : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ، ومنهاة عن الائم ، وتكثير عن السيئات ، ومطردة للشيطان عن الجسد . وقد رواه غيره من طرق : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم » ، ويكفي في هذا الباب ما رواه أهل الصنيع والمسانيد عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويلاً ، فارقد . فإذا استيقظ وذكر الله انحلت

عقدة ، وإذا توضع انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان . وهذا باب واسع . وقد قال هود فيها أخبر الله عنه : [اعبدوا الله ما لكم من إله غير هـ] ثم قال : [ويزدكم قوة إلى قوتكم] وهذه القوة تشمل جميع القوى ، فيزيد الله عابديه قوة في إيمانهم ويطهرهم ودينهم وتوكلهم ؛ وغير ذلك مما هو من جنس ذلك ، ويزدكم قوة في أسماهم وأبصارهم وأجسادهم وأهوالهم وأولادهم وغير ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل بن عبيد الكريم حدثني عبد الصمد أنه سمع وهبا يقول : تصدق صدقة رجل يعلم أنه إنما قدم بين يديه ماله وما خلف مال غيره .

قالت : وهذا كما في الحديث « أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ » فقالوا : كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه ، فقال : إن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر . قال : وسمعت وهبا على المنبر يقول : احفظوا حق ثلاثا ، إياكم وهوى وشبها ، وقرين سوء ، وإهجاب المرء بنفسه . وقد رويت هذه الألفاظ في حديث . وقال الامام أحمد : حدثنا يونس بن عبد الصمد بن مقل حدثنا إبراهيم بن الحجاج قال : سمعت وهبا يقول : أحب بنى آدم إلى الشيطان النؤوم الأكل .

وقال الامام أحمد : حدثنا غوث بن جابر حدثنا عمران بن عبد الرحمن أبو الهذيل أنه سمع وهبا يقول : إن الله عز وجل يحفظ بالعبء الصالح القليل من الناس . وقال أحمد أيضا : حدثنا إبراهيم بن عقيل حدثنا عمران أبو الهذيل من الأنبياء من وهب بن منبه قال : ليس من الآدميين أحد إلا ومعه شيطان موكل به ، فأما السكافر فيأكل كل معه ويشرب معه ، وينام معه على فراشه . وأما المؤمن فهو بجانب له لا يضره حتى يصيب منه غفلة أو غرة . وأحب الآدميين إلى الشيطان الأكل النؤوم . وقال محمد بن غالب : حدثنا أبو المتمر ابن أخى بشر بن منصور عن داود بن أبي هند عن وهب . قال : قرأت في بعض الكتب الذى أنزلت من السماء على بعض الأنبياء : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : أتدري لم اتخذتك خليلا ؟ قال : لا يا رب ، قال : لئلا مقامك بين يدي في الصلاة .

وقال هيب الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا محمد بن أيوب حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس ابن وهب بن منبه قال : حدثني أبي قال : كان سليمان بن داود ألف بيت أهله قوارير وأسفله حديد فركب الريح يوما فمر بحراث فنظر إليه الحراث فاستظلم ما أوتي سليمان من الملك ، فقال : لقد أوتى آل داود ملكا عظيما ، فسمعت الريح كلام الحراث فالتفت في أذن سليمان ، قال : فأمر الريح فترقت ، ثم نزل بمشي سحر أوى الحراث فقال له : إلى قد سمعت قولك ، وإنما مشيت إليك لئلا تتسنى ملا تقدر عليه مما أقدرنى الله عليه ففضلا وإحسانا منه على ، لأنه هو الذى أقمنى لهذا وأعاننى . ثم قال : والله للسيبعة واحدة يقبلها الله عز وجل منك أو من مؤمن خير مما أوتى آل داود من الملك ، لأن

ما أوتى آل داود من ملك الدنيا يفنى ، والتسبيحة تبقى ، وما يبقى خير مما يفنى . فقال الحراث :
أذهب الله همك كما أذهبت همي

وقال الامام أحمد : حدثنا إبراهيم بن عقيل بن معقل حدثني أبي عن وهب بن منبه . قال :
إن الله عز وجل أعالى موسى عليه السلام نوراً ، فقال له هارون : هبه لي يا أخي ، فوهبه له ، فأعطاه
هارون ابنه ، وكان في بيت المقدس آتية لعظماها الأنبياء والملوك ، فكان ابنا هارون يستقيان في
تلك الآتية الحز ، فنزلت نار من السماء فاخططفت ابني هارون فصعدت بهما ، ففرع هارون لذلك
فقام مستغيثاً متوجهاً بوجهه إلى السماء بالدعاء والنضرع ، فأوحى الله إليه : يا هارون هكذا أفعل بمن
عصاني من أهل طاعتي ، فكيف فعل بمن عصاني من أهل معصيتي ؟ . وقال الحكم بن أبان : نزل
بي ضيف من أهل صنعاء فقال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن الله عز وجل في السماء السابعة داراً
يقال لها البيضاء يجمع فيها أرواح المؤمنين ، فإذا ملئت الميت من أهل الدنيا تلتقه الأرواح فيسألونه
عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم . وقال به من جعل شهوته تحت قدمه
فزع الشيطان من ظله ، فن غلب علمه هواء ذلك العالم الغلاب . وقال فضيل بن عياض : أوحى
الله تعالى إلى بعض أنبيائه : بعني ما يتحمل المتحملون من أجل ، وما يكابدون في طلب
مرضاتي ، فكيف بهم إذا صاروا إلى دارتي ، وتبعبحوا في رياض نعمتي ؟ هنالك فليبشر المضعفون
الله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب ، أن رأى أنسى لهم عملاً ؟ وكيف وأنا ذو الفضل العظيم
أجود على المولود المرتضى عني ، فكيف بالمقبلين علي ؟ وما غضبت على شيء كغضبي على من أخطأ
خطيئة فاستعظمها في جنب عفوي ، ولو تماجلت بالعقوبة أحداً ، أو كانت الدجلة من شاتي ، لعاجلت
القائطين من رحمتي . ولو رأى عبادي المؤمنون كيف أستوهمهم من اعتدوا عليه ، ثم أحكم لمن
وهبهم بالخلد المقيم ، اتهموا فضلي وكرمي ، أنا الذي لا نحل معصيتي ، والذي أطاعني أطاعني
برحمتي ، ولا حاجة لي بهوان من خاف مقامي . ولو رأى عبادي يوم القيامة كيف أرفع قصوراً تحار
فيها الأبصار فيسألوني : لمن ذا ؟ فأقول : لمن وهب لي ذنباً مالم يوجب على نفسه معصيتي والقنوط
من رحمتي ، وإني مكافئ على المدح فامدحوني .

وقال سلمة بن شبيب : حدثنا سلمة بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن عقبة حدثنا عبد الرحمن
أبو طالوت حدثني مهاجر الأسدي عن وهب . قال : مر عيسى بن مريم ومعه الخواريون بقرية قد
مات أهلها ، إنساها وجنها ، وهوامها وأنعامها وطيورها ، فقام عليها ينظر إليها ساعة ثم أقبل على
أصحابه فقال : إنما مات هؤلاء بهذاب من عند الله ، ولولا ذلك لما توا متفرقين . ثم ناداهم عيسى :
يا أهل القرية ، فأجابه مجيب : لبيك يا روح الله ، فقال : ما كانت جنابتكم وسبب هلاككم ؟ قال

عبادة الطافوت وحب الدنيا، قال : وما كانت عبادتكم للطافوت ؟ قال : طاعة أهل المعاصي هي عبادة الطافوت . قال : وما كان حبكم للدنيا ؟ قال : كحب السبي لآمه ، كنا إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا ، مع أول ميسد ، وإدبار عن طاعة الله ، وإقبال على مساحطه . قال : فكيف كان هلاككم ؟ قال : بقا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية ، قال : وما الهاوية ؟ قال : سجين ، قال : وما السجين ؟ قال : حجرة من نار مثل أطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها ، قال : فما بال أصحابك لا ينكلمون ؟ قال : لا يستطيعون أن ينكلموا . قال : وكيف ذلك ؟ قال : هم ملجئون بلعم من نار . قال : وكيف كتمت أنت من بينهم ؟ قال : كنت فيهم لما أصابهم العذاب ولم أكن منهم ولا على أفعالهم ، فلما جاء البلاء همى معهم ، وأنا معاق بشرة في الهاوية لا أدرى أكرس فيها أم أنجو . فقال عيسى عليه السلام عند ذلك لأصحابه : بهي أقول لكم : نلغز الشمر وشرب الماء القراح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة

وروى الطبراني عنه أنه قال : لا يكون المرء حكما حتى يطيع الله عز وجل ، وما عصى الله حكيم ، ولا يعصى الله إلا أحمق ، وكما لا يكمل النهار إلا بالشمس ، ولا يعرف الليل إلا بالظلام ، كذلك لا تكمل الحكمة إلا بطاعة الله عز وجل ، ولا يعصى الله حكيم ، كما لا يطير الطير إلا بمنحانين ، ولا يستطيع من لا جناح له أن يطير ، كذلك لا يطيع الله من لا يعمل له ، ولا يطيق عمل الله من لا يطيعه . وكما لا مكث للنار في الماء حتى تطفأ ، كذلك لا مكث لعمل الزمان حتى يبور . وكما يبدى سر الزانية وفضيحتها فعلها ، كذلك يتضح بالفعل السيئ من كان يقرأ بجليسه بالقول الحسن ولم يعمل به . وكما تكذب معنرة السارق بالسرقة إذا ظهر عليها حسده ، كذلك تكذب معصية القارئ لله قراءته إذا كان يقرأ بها لغير الله تعالى .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن النضر حدثنا علي بن بحر بن بري حدثنا إسحاق بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل . قال سمعت وهبا يقول : في مزامير آل داود : طوبى لمن يسلك سبيل الخطابين ولا يجالس البطالين ، وطوبى لمن يسلك طريق الأئمة ويستقيم على عبادة ربه ، فقله كمثل شجرة ثابتة على ساقية لا تزال فيها الحياة ، ولا تزال خضراء . وروى الطبراني أيضا عنه قال : إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ اللساء ، وقطرت المضاء دما . وروى عنه أنه قال : ما من شيء إلا يسد صغيرا ثم يكبر ، إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر . وروى عنه أيضا أنه قال : وثق سائل على باب داود عليه السلام ، فقال : يا أهل بيت النبوة تصدقوا علينا بشيء رزقكم الله رزق الناجر المقيم في أهله . فقال داود : أعطوه ، فوالذي نفس بيده إنها لي الزبور . وقال : من عرف بالسكف لم يهز صدقه ، ومن عرف بالصدق اتئمن على حديثه ، ومن أكثر الغيبة

والبعضاء لم يوثق منه بالنصيحة ، ومن عرف بالفجور والخسيسة لم يؤمن إليه في الحنة ، ومن انتحل فوق قدره جحد قدره ، ولا تستحسن . فبك ما تستبجح في غيرك . هذه الآثار رواها الطبراني عنه من طرق .

وروى داود بن عمرو عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عثمان بن خثيم . قال : قدم علينا وهب مكة فطلق لا يشرب ولا يتوضأ إلا من زمزم ، فقبل له : مالك في المساء العذب ؟ فقال : ما أنا بالذي أشرب وأتوضأ إلا من زمزم حتى أخرج منها ، إنكم لا تدرن ما من زمزم ، والذي نفسي بيده إنني أني كتاب الله طعام طعم ، وشفاء سقم ، ولا يحمد أحد إليها يتضلع منها رياء ، ابتغاء بركتها ، إلا نزعته منه داء وأحدثت له شفاء . وقال : النظر في زمزم عبادة . وقال : النظر فيها يحط الخطايا حطاً . وقال وهب : مسخ يختصر أسداً فكان ملك السباع ، ثم مسخ نسرأ فكان ملك الطيور : ثم مسخ ثوراً فكان ملك الدواب ، وهو في كل ذلك يعقل عقل الانسان ، وكان ملكه قائماً يدبر ، ثم رد الله عليه روحه إلى حالة الانسان ، فدعا إلى توحيد الله وقال : كل إله باطل إلا إله السماء . فقبل له : أمات مؤمننا ؟ فقال : وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : آمن قبل أن يموت ، وقال بعضهم : قتل الأنبياء ، وحرق الكتب ، وحرق بيت المقدس ، فلم يقبل منه التوبة . هكذا رواه الطبراني عن محمد بن أحمد بن الفرج عن عباس بن يزيد عن عبد الرزاق عن بكابر بن عبد الله . قال : سمعت وهب بن منبه يقول ، فذكره .

وقال وهب : كان رجل بمصر فسألهم ثلاثة أيام أن يطعموه فلم يطعموه ، فمات في اليوم الرابع فكفنوه ودفنوه ، فأصبحوا فوجدوا الكفن في حراهم مكتوب عليه : قتلتموه حياً وبررتموه ميتاً ؟ قال يحيى : فأنا رأيت القرية التي مات فيها ذلك الرجل ، ومابها أحد إلا وله بيت ضيافة ، لا غنى ولا فقر . هكذا رواه يحيى بن عبد الباقي عن علي بن الحسن عن عبد الله بن أخي وهب ، قال : حدثني عمي وهب بن منبه فذكره . قال : وأهل القرية يعترفون بذلك . فن ثم اتخذوا بيوتاً للضيقات والفقراء خوفاً من ذلك . وقال عبد الرزاق عن بكابر عن وهب . قال : إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكوة . وقال إبراهيم بن الجنيدي : حدثنا إبراهيم بن سعيد عن عبد المنعم بن إدريس عن عبد الصمد عن وهب بن منبه قال : ربي من الأنبياء على عابد في كهف جبل ، قال إليه فلم عليه وقال له : يا عبد الله منذكم أنت هاهنا ؟ قال : منذ ثلثمائة سنة . قال : من أين معيشتك ؟ قال : من ورق الشجر ، قال : فمن أين شرابك ؟ قال : من ماء العيون ، قال : فأين تكون في الشتاء ؟ قال : تحت هذا الجبل ، قال : فكيف صبرك على العبادة ؟ قال : وكيف لا أصبر وإنما هو يوم إلى الليل ، وأما أمس فقد مضى بما فيه ، وأما غد فلم يأت بمسد . قال : فمجب النبي من قوله : إنما هو

ويجى إلى القليل . وبهذا الاسناد أن رجلا من العباد قال لملكه : قطع . الهوى فليست أهوى من الدنيا شيئا . فقال له ملكه : أفرق بين النساء والديار إذا رأيتن مما ؟ قال : نعم ، قال أفرق بين الدنانير والدرهم والحصا ؟ قال نعم ، قال : يا بني إنك لم تقطع الهوى عنك وليكنك قد أو ثقتك فاحذر انقلابه واقلابه .

وقال ثوث بن جابر بن غيلان بن منبه : حدثني عتيل بن معقل عن وهب قال : عمل في نواحي الدين الثلاث ، فإن للدين نواحي ثلاثا ، هن جماع الأعمال الصالحة إن أراد جمع الصالحات ، وأولاهن ، عمل شكر الله على الأنعم الكثيرات الفاديات الرامحات ، الفطرات الباطنات ، الحاديات الذببات ، يعمل المؤمن شكرا لمن ورجاء تمنين « والناحية الثانية من الدين » رغبة في الجنة التي ليس لها ثمن وليس لها مثل ، ولا يزهد فيها وفي العمل لها إلا سفيه فاجر ، أو منافق كافر « والناحية الثالثة من الدين » أن يعمل المؤمن فرارا من النار التي ليس لأحد عليها صبر ، ولا لأحد بها طاقة ولا يدان ، وليست مصيبتها كالمصيبات ، ولا حزن أهلها كالأحزان ، نبأها عظيم ، وشأنها شديد ، والآخرة وحزنها فظيع ، ولا ينفل عن الفرار والتورذ بالله منها إلا سفيه أحمق خاسر ، [قد يخسر الدنيا ذلك هو الخسران المبين] .

وقال إسحاق بن راهويه : حدثنا هبند الملك بن محمد الدماوى قال أخبرني محمد بن سعيد بن دمانة قال أخبرني أبي قال قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بل ، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فمن أوى الباب بمفتاح بأسنانه فتح له ، ومن لم يأت الباب بمفتاح بأسنانه لم يفتح له . وقال محمد : حدثنا إسحاق بن عبد الكريم حدثنا هبند الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول : ركب ابن ذلك في جند من قومه وهو شاب ، فصرع عن فرسه فشق عنقه فمات في أرض قريبة من القرى ، فغضب أبوه وحلف أن يقتل أهل تلك القرية عن آخرهم ، وأن يطأهم بالأفيال ، فسا أبت الأفيال وطنته الخليل ، فسا أبت الخليل وطنته الرجال ، فتوجه إليهم بعد أن سقى الأفيال والليل الحر وقال : طأوم بالأفيال ، وإلا فما أبت الأفيال فلتطأ الخليل ، فما أخطأته الخليل فلتطأ الرجال فلما سمع بذلك أهل تلك القرية وعرفوا أنه قد قصد قتلهم ، خرجوا بأجمعهم فغاروا إلى الله سبحانه وهجوا إليه وابتهلوا يدهونه تعالى ليكشف عنهم شر هذا الملك الظالم ، وما قصد من هلاكهم . فبينما الملك وسيطه سائرون على ذلك ، وأهل القرية في الأبتال والدعاء والتضرع إلى الله تعالى . إذ نزل فارس من السماء فوقع بينهم ، فنشرت الأفيال فطنت على الخليل وطننت الخليل على الرجال ، فقتل الملك ومن معه وطأ بالأفيال والليل ، ونهى الله أهل تلك القرية من بأسهم وشرهم .

ودروى هبند الرزاق عن المنصور بن النعمان أنه سمع وهبا يقول : قال الله تعالى لصخرة بيت

المقدس : لأضعن عليك عرشي ، ولأحشرن عليك خلقي ، وليأتينك داود يومئذ راكباً . وروى
سهاك بن المفضل عن وهب قال : إني لأنفقد أخلاق ومافيهما شيء يعجبني . وروى عبد الرزاق عن
أبيه قال قال وهب : ربما صليت الصبح بوضوء العتمة . وقال بقية بن الوليد : حدثنا زيد بن خالد
عن خالد بن معدان عن وهب قال : كان نوح عليه السلام من أجل أهل زمانه ، وكان يلبس البرقع
فأصابهم جماعة في السفينة ، فكان نوح إذا تجلى لهم شبعوا . وقال قال عيسى : الحق أقول لكم :
إن أشدكم جزءاً على المصيبة أشدكم حبالاً للدين . وقال جعفر بن برقان : بلغنا أن وهباً كان يقول :
طوبى لمن فطر في عيبه عن عيب غيره ، وطوبى لمن تواضع لله من غير مسكنة ، ورحم أهل الدل
والمسكنة ، وأصدق من مال جمعه من غير معصية ، وجالس أهل العلم والحلم والحكمة ، ووسعته السنة
ولم يتعدها إلى البدعة . وروى سيار عن جعفر عن عبد الصمد بن معقل عن وهب قال : وجدت
في زبور داود : يا داود هل تدري من أسرع الناس مرّاً على الصراط ؟ الذين يرضون بحكي ،
وأسلنتهم رطبة بذكرى . وقيل إن عابداً عبد الله تعالى خمسين سنة فأوحى الله إلى نبيه : إني قد
غفرت له ، فأخبره ذلك النبي ، فقال : أي رب ، وأي ذنب تغفر لي ؟ فأمر عرقاً في عنقه فضرب
لجليه ، فلم ينم ولم يهدأ ولم يصل ليلته ، ثم سكن العرق ، فشكا ذلك إلى النبي ، فقال : ما لاقيت
من عرق ضرب على في عنقي ثم سكن . فقال له النبي : إن الله يقول : إن عبادك خمسين سنة
ما تعدل سكون هذا العرق . وقال وهب : رهوس النعم ثلاثة « إحداها » نعمة الاسلام التي لا تتم
نعمة إلا بها . « والثانية » نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها . « والثالثة » نعمة الغنى التي
لا يتم العيش إلا بها . ومر وهب بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وضع وهو يقول : الحمد لله على
نعمه ، فقال له رجل كان مع وهب : أي شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليه ؟ فقال المبتلى : آدم
بصرك إلى أهل المدينة وانظر إلى كثرة أهلها ، أولاً أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيري .
وقال وهب : المؤمن يخالط ليعلم ، ويسكت ليعلم ، ويتكلم ليعلمهم ، ويخلو ليعلم . وقال : المؤمن مفكر
مذكر مدبر ، تذكر فقلبت السكينة ، سكن فتواضع فلم يتهم ، رفض الشهوات فصارحراً ، ألقي عنه
الحسد فظهرت له المحبة ، زهد في كل فان فاستكمل العقل ، رغب في كل باق فعقل المعرفة ، قلبه
منعلق به ، وجهه موكل بمعاده ، لا يفرح إذا فرح أهل الدنيا ، بل حزنه عليه سرمد ، وفرحه إذا
نامت العيون يتلو كتاب الله ويردده على قلبه ، فرة يفرغ قلبه ومرة تدمع عينه ، يقطع عنه الليل
بالتلاوة ، ويقطع عنه النهار بالخلوة والعزلة ، مفكراً في ذنوبه ، مستصغراً لأعماله . وقال وهب : فهذا
بنادي يوم القيامة في ذلك الجمع العظيم على رهوس الخلائق : قم أيها الكريم فادخل الجنة .
وقال إبراهيم بن سعيد عن عبيد الرحمن بن مسعود عن ثور بن يزيد . قال قال وهب بن منبه :

الويل لكم إذا سلكتم الناس صالحين ، وأكرمكم على ذلك . وقال الطبراني : حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا ممام بن سلة بن عقبة حدثنا غوث بن جابر حدثنا عقيل بن معقل بن منبه قال : سمعت عبي وهب بن منبه يقول : يا بني ! اخلص طاعة الله بسريرة ناصحة يصدق بها فملك في العلانية ، فإن من فعل نجيباً ثم أسره إلى الله فقد أصاب مواضعه ، وأبلغه قراره ، ووضعه عند حافظه وإن من أسر عملاً صالحاً لم يطلع عليه إلا الله ، فقد أطلع عليه من هو حسبه ، واستحفظه واستودعه حفيظاً لا يضيع أجره . فلا تخافن يا بني على من عمل صالحاً أسره إلى الله عز وجل ضياعاً ، ولا تخافن ظلمة ولا هزيمة ، ولا تظن أن العلانية هي التي تخرج من السريرة ، فإن مثل العلانية مع السريرة كشل ورق الشجرة مع عرقها ، العلانية ورقها والسريرة أصلها ، إن يحرق العرق هلكت الشجرة كلها ، وإن صلح الأصل صلحت الشجرة ، ثمها وورقها ، والورق يأتي عليه حين يجف ويصير هباء تذرؤه الريح ، بخلاف العرق ، فإنه لا يزال مظهر من الشجرة في خير وعافية ما كان عرقها مستغنيا لا يرى منه شيء ، كذلك الدين والعلم والعمل ، لا يزال صالحاً ما كان له سريرة صالحة يصدق الله بها علانية العبد ، فإن العلانية تنفع مع السريرة الصالحة ، ولا تنفع العلانية مع السريرة الفاسدة ، كما ينفع عرق الشجرة صلاح فرعها ، وإن كان حياته من قبل عرقها ، فإن فرعها زينتها وجمالها ، وإن كانت السريرة هي ملاك الدين ، فإن العلانية معها تزين الدين وتجمله إذا عملها مؤمن لا يريد بها إلا رضا ربه عز وجل .

وقال الهيثم بن جميل : حدثنا صالح المري عن أبيان عن وهيب قال : قرأت في الحكمة : الكفر أربعة أركان ، ركن منه الغضب ، وركن منه الشهوة ، وركن منه الطمع ، وركن منه الخوف . وقال : أوحى الله تعالى إلى موسى : إذا دعوتني فكن خائفاً مشفقاً وجلاً ، وعفراً خدك بالتراب ، واسجد لي بمكارم وجهك ويديك ، وسلني حين تسألني بخشية من قلبك وجل ، واخشني أيام الحياة ، وعلم الجبال آلائي ، وقل لعبادي لا يتبادوا في غي مام فيه فإن أخذني أليم شديد . وقال وهب : إذا هم الوالي بالجور أو عمل به دخل النقص على أهل مملكته ، وقلت البركات في التجارات والزراعات والضروع والمواشي ، ودخل الحق في ذلك ، وأدخل الله عليه الذل في ذاته وفي ملكه . وإذا هم بالعدل والخير كان عكس ذلك ، من كثرة الخير ونمو البركات . وقال وهب : كان في مصحف إبراهيم عليه السلام أيها الملك المبتي ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولا لتبني البليان ، وإنما بعثتك لترفع لي دعوة المظلوم فإني لأردّها ولو كانت من كافر .

وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الملوك : ما بال ملكتكم واحدة ، وطريقتكم مستقيمة ؟ قال : من قبل أنا لا نخادع ولا نفتاب بعضنا بعضاً . وروى

ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : ثلاث من كن فيه أصاب البر ، سخاوة النفس ، والصبر على الأذى ، وطيب الكلام . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سلمة بن شبيب حدثنا سهل بن عاصم عن سلمة بن ميخون عن المماني بن عمران عن إدريس قال : سمعت وهبا يقول : كان في بني إسرائيل رجالا بلغتهم عبادتهم أنهم ما شيا على الماء ، فبينما هما يمشيان على البحر إذاهما برجل يمشي في الهواء ، فقالا له : يا عبد الله بأي شيء أدركت هذه المنزلة ؟ قال : ييسر من البر فعملته ، ويسر من الشر تركته ، فعملت نسي عن الشهوات ، وكففت لساني عما لا يعني ، ورغبت فيما دعاني إليه خالتي ، ولزمت الصمت فإن أقسمت على الله عز وجل أبرقمتي ، وإن سأله أعطاني . وقال : حدثني أبو العباس البصري الأزدي عن شيخ من الأزد . قال : جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال : علمني شيئا ينفعني الله به ، قال : أكثر من ذكر الموت ، واقصر أملك ، وخصلة فائنة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى ، وظفرت بالعبادة الكبرى قال : وما هي ؟ قال : التوكل .

ومن توفي فيها من الأعيان

سليمان بن سعد

كان جديلا فصيحاً عالماً بالعربية ، وكان يعلمها الناس هو وصالح بن عبد الرحمن الكاتب ، وتوفي صالح بعده بقليل ، وكان صالح فصيحاً جديلاً عارفاً بكتابة الديوان ، وبه يخرج أهل العراق كتابا الديوان وقد ولاء سليمان بن عبد الملك خراج العراق .

أم الهذيل

لها روايات كثيرة ، وقد قرأت القرآن وعمرها اثنتي عشرة سنة ، وكانت فقيرة عالة ، من خيار النساء ، عاشت سبعين سنة .

عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمي

أمها أم كلثوم بنت أبي بكر ، تزوجت بابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، ثم تزوجت بعده بمصعب بن الزبير ، وأصدقها مائة ألف دينار ، وكانت بارعة الجمال ، عظيمة الحسن لم يكن في زمانها أجمل منها . توفيت بالمدينة

عبد الله بن سعيد بن جبير

له روايات كثيرة ، وكان من أفضل أهل زمانه ،

عبد الرحمن بن أبان

ابن عثمان بن عفان . له روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة

ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة

ففيها غزى معاوية بن هشام الصائفة اليسرى^(١)، وغزا سعيد بن هشام الصائفة اليمنى^(٢)، حتى بلغ قيسارية من بلاد الروم . وفيها عزل هشام بن عبد الملك أشرس بن عبد الله السلي عن إمرة خراسان وولى عليها الجنيد بن عبد الرحمن ، فلما قدم خراسان تلقته خيول الأتراك منهزمين من المسلمين ، وهو في سبعة آلاف فتصافوا واقتتلوا قتالا شديداً ، وطعوا فيه وفيمن معه لقتلهم بالنسبة إليهم ، ومعهم ملكهم خاقان ، وكاد الجنيد أن يهلك ، ثم أغفره الله بهم فهزمهم هزيمة منكرة ، وأمر ابن أخى ملكهم ، وبعث به إلى الخليفة . وحج بالناس فيها إبراهيم بن هشام الخزومي ، وهو أمير الحرمين والطائف ، وأمير العراق خالد القسري ، وأمير خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المري .

ثم دخلت سنة ثني عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة فافتتح حصوناً من ناحية ملاطية . وفيها سارت الترك من اللان فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكى فيمن معه من أهل الشام وأذربيجان ، فالتقتوا قبل أن يتكامل إليه جيشه ، فاستشهد الجراح رحمه الله وجماعة معه بهرج أردبيل ، وأخذ العدو أردبيل . فلما بلغ ذلك هشام بن عبد الملك بعث سعيد بن عمرو الجرشى بجيش وأمره بالاسراع إليهم ، فلحق الترك وهم يسرون بأسارى المسلمين نحو ملكهم خاقان ، فاستنقذ منهم الأسارى ومن كان معهم من نساء المسلمين ، ومن أهل الذمة أيضاً ، وقتل من الترك مقتلة عظيمة جداً ، وأسر منهم خلقاً كثيراً فقتلهم صبرا ، وشفى ما كان تغلبت من القلوب ، ولم يكنف الخليفة بذلك حتى أرسل أخاه مسلمة بن عبد الملك في أثر الترك ، فسار إليهم في برد شديد وشتاء عظيم ، فوصل إلى باب الأبواب واستخلف عنه أميراً وسار هو بن معه في طلب الأتراك وملكهم خاقان ، وكان من أمره معهم ما سنده كره . ونهض أمير خراسان في طلب الأتراك أيضاً في جيش كثيف ، فوصل إلى نهر بلخ ووجه إليهم سرية ثمانية عشر ألفاً ، وأخرى عشرة آلاف يمنة ويسرة ، وجاشت الترك وجيشت ، فأتوا سمرقند فكتب أميرها إليه يعلمه بهم ، وأنه لا يقدر على صون سمرقند منهم ، ومعهم ملكهم الاعظم خاقان ، فالتفت الفوت . فسار الجنيد مسرعاً في جيش كثيف هو نحو سمرقند حتى وصل إلى شعب سمرقند وبقي بينه وبينها أربعة فراسخ ، فصبحه خاقان في جمع عظيم ، لحمل خاقان على مقدمة الجنيد فأنحازوا إلى المسكر والترك تقبهم من كل جانب ، فترأى الجمعان والمسلمون يتفدون ولا يشعرون بالهزائم مقدمتهم وأنحيازها إليهم ، فنهضوا إلى السلاح واصطفوا على منازلهم ، وذلك في مجال واسع ، ومكان بارز ، فالتقوا وحملت الترك على مينة المسلمين وفيها بنو تميم والازد ، فقتل منهم ومن غيرهم خلقاً كثيراً (١) أي البلاد الواقعة في ساحل بلاد الأناضول (٢) أي بر الأناضول من جهة البلاد الداخلية

كثير ، ممن أراد الله كرامته بالشهادة ، وقد برز بعض شجعان المسلمين لجماعة من شجعان الترك فقتلهم ، فناداه منادى خافان : إن صررت إلينا يعلناك من يرقص الصنم الأعظم فنمبذك . فقال : وبحكم ، إنما أقاتلكم على أن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، ثم قاتلهم حتى قتل رحمه الله . ثم تناهى المسلمون وتداغت الأبطال والشجعان من كل مكان ، وصبروا وصابروا ، وحلوا على الترك حملة رجل واحد ، فهزمهم الله عز وجل ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ثم عطفت الترك عليهم فقتلوا من المسلمين خلقا حتى لم يبق سوى ألفين ، فأناب الله وإنا إليه راجعون ، وقتل يومئذ سودة بن أبجر واستأسروا من المسلمين جماعة كثيرة فمهلهم إلى الملك خافان فأمر بقتلهم عن آخرهم ، فأناب الله وإنا إليه راجعون . وهذه الوقعة يقال لها وقعة الشبيب . وقد بسطها ابن جرير جدا . ومن توفي فيها من الأعيان :

رجاء بن حيوة الكندي

أبو المقدم ، ويقال أبو نصر ، وهو تابعي جليل ، كبير القدر ، ثقة فاضل عاقل ، وزير صدق للخلفاء بنى أمية ، وكان مكحول إذا سئل يقول : سألو شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة وثقوه في الرواية ، وله روايات وكلام حسن رحمه الله .

شهر بن حوشب الأشعري المحصي

ويقال إنه دمشقي ، تابعي جليل ، روى عن مولاته أسماء بنت يزيد بن السكن وغيرها ، وحدث عنه جماعة من التابعين وغيرهم ، وكان عالما عابدا ناسكا ، لكن تكلم فيه جماعة بسبب أخذه خريطة من بيت المال بنهر إذن ولي الأمر ، فمأبوه وتكرهه عرضة ، وتركوا حديثه وأشدوا فيه الشعر ، منهم شعبة وغيره ، ويقال إنه سرق غيرها فأناب الله أعلم . وقد وثقه جماعات آخرون وقبلوا روايته وأثنا عليه وعلى عبادته ودينه واجتهاده ، وقالوا : لا يقدح في روايته ما أخذه من بيت المال إن صح عنه ، وقد كان واليا عليه متصرفا فيه فأناب الله أعلم . قال الواقدي : توفي شهر في هذه السنة - أثنى سنة اثنتي عشرة ومائة وقيل قبلها بسنة وقيل سنة مائة فأناب الله أعلم . ثم دخلت سنة ثلاث هجرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام أرض الروم من ناحية مرعش ، وفيها صار جماعة من دعاة بني العباس إلى خراسان وانتشروا فيها ، وقد أخذ أميرهم رجلا منهم فقتله وتوعد غيره بمثل ذلك . وفيها وغل مسلمة بن عبد الملك في بلاد الترك فقتل منهم خلقا كثيرا ، ودانت له تلك الممالك من ناحية بلنجر وأعمالها . وفيها حج بالناس إبراهيم بن هاشم الخزرجي ، فأناب الله أعلم . ونواب البلاد المذكورون في التي قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان قال ابن جرير : فيها كان مهلك

الأمير عبد الوهاب بن بخت

وهو مع البطل عبد الله بأرض الروم قتل شبيدا وهذه ترجمته

هو عبد الوهاب بن بخت أبو عبيدة ويقال أبو بكر ، مولى آل مروان مكي ، سكن الشام ثم تحول إلى المدينة ، روى عن ابن عمر وأنس وأبي هريرة وجماعة من التابعين . وعنه خلق منهم أيوب ومالك ابن أنس ويحيى بن سعيد الأنصاري وعبيد الله العمري ، حديثه عن أنس مرفوعاً « نضر الله امرأ سمع مقالتي هذه فوعاها ثم بلغها غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يفل عليهن صدر مؤمن ، إخلاص العمل لله ، ومناجحة أروى الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، كأن دعوتهم تحيط من ورائهم » . وروى عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرة ثم لقيه فليسلم عليه » . وقد وثق عبد الوهاب هذا جماعة من أئمة العلماء . وقال مالك : كان كثير الحج والمرة والغزو ، حتى استشهد ولم يكن أحق بما في رحله من رفاقه ، وكان ممحاً جواداً ، استشهد ببلاد الروم مع الأمير أبي محمد عبد الله البطال ، ودفن هناك رحمه الله . توفي في هذه السنة قاله خليفة وغيره ، وذلك أنه لقي العدو ففر بعض المسلمين ، فحمل ينادي ويركض فرسه نحو العدو : أن هلموا إلى الجنة ، ويحكم أفراراً من الجنة ؟ أفررون من الجنة ؟ إلى أين ويحكم لا مقام لكم في الدنيا ولا بقاء ؟ ثم قاتل حتى قتل رحمه الله .

مكحول الشامي

تابعي جليل القدر ، إمام أهل الشام في زمانه ، وكان مولى لأمراة من هذيل ، وقيل مولى امرأة من آل سعيد بن العاص ، وكان نوبياً ، وقيل من سبي كابل ، وقيل كان من الأبناء من سلاطة الأكرسة وقد ذكرنا نسبه في كتابنا التكميل . وقال محمد بن إسحاق : سمعته يقول : طفت الأرض كلها في طلب العلم : وقال الزهري : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالحجاز ، والحسن البصري بالبصرة ، والشمي بالكوفة ، ومكحول بالشام . وقال بعضهم : كان لا يستطيع أن يقول قل ، وإنما يقول كل وكان له وجهة عند الناس ، مهما أمر به من شيء يفعل . وقال سعيد بن عبد العزيز : كان أفقه أهل الشام ، وكان أفقه من الزهري . وقال غير واحد : توفي في هذه السنة ، وقيل بعدها والله أعلم :

[مكحول الشامي هو ابن أبي مسلم ، واسم أبي مسلم شهزاد بن شاذل .. كذا نقلته من خط عبد الهادي ، وروى ابن أبي الدنيا عنه أنه قال : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زيد في عقله . وقال مكحول في قوله تعالى (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال : بارد الشراب ، وظلال المساكن وشبع البطون ، واعتدال الخلق ، ولذاذة النوم . وقال : إذا وضع المجاهدون أعتلهم عن دوابهم أتبها الملائكة ، فسمحت ظهورها ودعت لها بالبركة ، إلا دابة في عنقها جرس] (١) .

(١) زيادة من المصرية .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وعلى اليمنى ساجان بن هشام بن عبد الملك ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام : وفيها التقى عبد الله البطل وملك الروم المسمى فيهم قسطنطين ، وهو ابن هرقل الأول الذي كتب إليه النبي (ص) ، فأسره البطل ، فأرسله إلى سليمان بن هشام ، فسار به إلى أبيه . وفيها عزل هشام عن إمرة مكة والمدينة والطائف إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، وولى عليها أخاه محمد بن هشام فخرج بالناس في هذه السنة في قول ، وقال الواقدي وأبو معشر : إنما حج بالناس خالد بن عبد الملك بن مروان والله أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان :

عطاء بن أبي رباح

الفهرى مولاهم أبو محمد المسكي ، أحد كبار التابعين الثقات الرفعاء ، يقال إنه أدرك مائتي صحابي وقال ابن سعد : سمعت بعض أهل العلم يقول : كان عطاء أسود أعور أفطس أشل أعرج ، ثم عمى بعد ذلك ، وكان ثقة فقيها عالما كثير الحديث ، وقال أبو جعفر الباقر وغير واحد : ما بقي أحد في زمانه أعلم بالمناسك منه ، وزاد بعضهم ، وكان قد حج سبعين حجة ، وجرم مائة سنة ، وكان في آخر عمره يفرط في رمضان من السكبر والضف ويغدى عن إفطاره ، ويتأول الآية [وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين] وكان ينادى منادى بنى أمية في أيام منى : لا يفتي الناس في الحج إلا عطاء بن أبي رباح ، وقال أبو جعفر الباقر : ما رأيت فيمن لقيت أفضه منه ، وقال الأوزاعي : مات عطاء يوم مات وهو أراضى أهل الأرض عندهم . وقال ابن جريج : كان في المسجد فراش عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس به صلاة . وقال قتادة : كان سعيد بن المسيب والحسن وإبراهيم وعطاء هؤلاء أئمة الأمصار . وقال عطاء إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أكن سمعته ، وقد سمعته قبل أن يولد ، فأريه أني إنما سمعته الآن منه . وفي رواية : أنا أحفظ منه له فأريه أني لم أسمعه . الجمهور على أنه مات في هذه السنة رحمه الله تعالى والله أعلم .

فضيلة

أسند أبو محمد عطاء بن أبي رباح - واسم أبي رباح أسلم - عن عدد كثير من الصحابة ، منهم ابن عمر وابن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو هريرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو سعيد . وسمع من ابن عباس التفسير وغيره . وروى عنه من التابعين عدة ، منهم الزهري ، وعمرو بن دينار ، وأبو الزبير ، وقاتادة ، ويحيى بن كثير ، ومالك بن دينار ، وحبيب بن أبي ثابت ، والأعمش ، وأيوب السخيتي ، وغيرهم من الأئمة والأعلام كثير . قال أبو هريرة : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول :

من جلس مجلس ذكر كفر الله عنه بذلك المجلس عشر مجالس من مجالس الباطل . قال أبو هريرة : قلت لعطاء : ما مجلس الذكر ؟ قال : مجالس الحلال والحرام ، كيف تصل ، كيف تصوم ، كيف تنكح وتطلق وتبيع وتشتري .

وقال العياشي : حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة الصنعاني . قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في قوله تعالى : [وكلن في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون] قال : كانوا يقرضون الدرهم ، قيل كانوا يقصرون منها ويقطعونها . وقال الثوري عن عبد الله بن الوليد - يعني الوصافي - قال : قلت لعطاء : ما ترى في صاحب قلم إن هو كتب به طش هو وهباله في سعة ، وإن هو تركه افتقر ؟ قال : من الرأس ؟ قلت القسري لخالد . قال عطاء : قال العبد الصالح : [رب بما أهدمت هل فإن أكون ظهيراً للمجرمين] . وقال : أفضل ما أوتي المباد المقل عن الله وهو الدين . وقال عطاء : ما قال العبد : يا رب ، يا رب ، ثلاث مرات إلا انفار الله إليه ، قال : فذكرت ذلك لأحسن فقال : أمانقرؤن القرآن [ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا غفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا] إلى قوله : [فاستجاب لهم ربهم] الآيات .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا أبو عبد الله السلمي حدثنا ضمرة عن عمر بن الورد قال قال عطاء : إن استطلعت أن تغزو بنفسك عشية عرابة فافعل . وقال سميد بن سلام البصري : سمعت أبا حنيفة النعمان يقول : لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من أهل الكوفة . قال : أنت من أهل القرية الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعة ؟ قلت : نعم . قال : فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت : من لا يسب الساف ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب : فقال عطاء : هرفت فاذم . وقال عطاء : ما اجتمعت عليه الأمة أقوى حسداً من الاسناد . وقيل لعطاء : إن هلعنا قوماً يقولون : الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، فقال : [والذين اعتدوا زادهم هدى] فاحذر الهدى الذي زادهم ؟ قلت : وبزعمهم أن الصلاة والزكاة ليستا من دين الله ، فقال : قال تعالى : [وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة] لجمل ذلك ديننا . وقال يعلى بن عبيد : دخلنا على محمد بن سودة فقال : ألا أحدثكم بمديث لله أن ينفعكم ، فانه نفعي ، قال لي عطاء بن أبي رباح : يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ، وكانوا يمدون فضول الكلام إنما ، ما هذا كتاب الله أن يقرأ ، وأمرهم يمدون أو نهى عن منكر ، أو ينهون العبد بمهاجته في مبيته التي لا بد له منها ، أتسكرون : [وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين] و : [من بين ومن الشهل قسيده ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد] أما يستحي أحدكم

لنشرت عليه صحيفته التي أملأها صدر نهاره فرأى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ .
وقال : إذا أنت خفت الحرم الليل فاقرا : بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
وروى الطبراني وغيره أن الحلقة في المسجد الحرام كانت لابن عباس ، فلما مات ابن عباس
كانت لعطاء بن أبي رباح . وروى عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن الفضل بن دكين عن سفيان عن
سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحدا يطلب بعمله ما عند الله تعالى إلا ثلاثة ، عطاء ، وطاوس ،
وبجاءه . وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير حدثنا عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط ،
وما رأيت على عطاء قميصا قط ، ولا رأيت عليه ثوبا يساوي خمسة دراهم . وقال أبو بلال الأشعري :
حدثنا قيس عن عبد الملك بن جريج عن عطاء : أن يعلى بن أمية كانت له محبة ، وكان يقعد في
المسجد ساعة ينوي فيها الاعتكاف . وروى الأوزاعي عن عطاء قال : إن كانت فاطمة بنت رسول
الله (س) لتعجن ، وإن كانت قصتها لتضرب بالحفنة . وعن الأوزاعي عنه قال : [ولا تأخذكم بهما
رأفة في دين الله] قال : ذلك في إقامة الحد عليهما .

وقال الأوزاعي : كنت باليمامة وعليها رجل وال يتنحنح الناس من أصحاب رسول الله (س) ،
إنه منافق وما هو بمؤمن ، ويأخذ عليهم بالطلاق والعتاق أن يسمى المسمى منافقا وما يسميه مؤمنا ،
فأطاعوه على ذلك وجعلوه له ، قال : فلقيت عطاء فيما بعد فسألته عن ذلك فقال : ما أرى ذلك بأسا
يقول الله تعالى : [إلا أن تتقوا منهم تقاة] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت
فاذا تكلم تخيل الينا أنه يؤيد . وقال في قوله تعالى : [لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله] قال :
لا يلهيهم بيع ولا شراء عن مواضع حقوق الله تعالى التي افترضها عليهم أن يؤدوها في أوقاتها
وأوائها . وقال ابن جرير : رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائمه : امسكوا احتفظوا عني خمسا :
القدر خير ، وشرة ، حلوه ومره من الله عز وجل ، وليس للعباد فيه مشيئة ولا تفويض . وأهل قبلتنا
مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقها . وقتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال والسلاح ، والشهادة
على الخوارج بالضلالة . وقال ابن عمر : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء بن أبي رباح .

وقال معاذ بن سعد : كنت جالسا عند عطاء فحدثني بحديث ، فرض رجل له في حديثه فغضب
عطاء وقال : ما هذه الأخلاق ؟ وما هذه الطباع ؟ والله إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه
فأريه أني لأحسن شيئا منه . وكان عطاء يقول : لأن أرى في يبي شيطانا خيرا من أن أرى فيه
وسادة ، لأنها تدهو إلى النوم . وروى عثمان بن أبي شيبة عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد
عن ابن جرير قال : كان عطاء بعد ما بكر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة

وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك . وقال ابن عيينة : قلت لابن جرير : ما رأيت مصليا مثلك . فقال : لو رأيت عطاء ؟ . وقال عطاء : إن الله لا يحب الفتي يلبس الثوب المشهور ، فيعرض الله عنه حتى يضع ذلك الثوب . وكان يقال : يلبس للمبعد أن يكون كالريض لا بدله من قوت ، وليس كل الطعام يوافقه . وكان يقال : الدعوة تعمي دين الحكيم فكيف بالجاهل ؟ ولا تغتبطن ذا لعة بما هو فيه فانك لا تدري إلى ماذا يصير بعد الموت [(١)]

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ففيها وقع طاعون بالشام ، وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل وهو نائب الحرمين والطائف ، والنواب في سائر البلاد المذكورون في التي قبلها والله أعلم . ومن توفى فيها من الأعيان أبو جعفر الباقر

وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر ، وأمه أم هبدة بنت الحسن بن علي ، وهو تابعي جليل ، كبير التقدير كثيرا ، أحد أعلام هذه الأمة علما وعلا وسيادة وشرفا ، وهو أحد من تدعى فيه طائفة الشيعة أنه أحد الأئمة الاثني عشر ، ولم يكن الرجل على طريقة ولا على منوالهم ، ولا يدين بما وقع في أذهانهم وأوهامهم وخيالهم ، بل كان عن يمين أبي بكر وعمر ، وذلك عنده مهيض في الأثر ، وقال أيضا : ما أدركت أحدا من أهل بيتي إلا وهو يتولاها رضى الله عنهما . وقد روى عن غير واحد من الصعابة ، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم . فمن روى عنه ابنه جعفر الصادق ، والحكم بن هنيئة ، وربيعة ، والأعمش ، وأبو إسحاق السبيعي ، والأوزاعي والأهرج ، وهو أسن منه ، وابن جريج وعطاء وعمر بن دينار والزهرى . وقال سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال : سئلت أبي وكان خير محدثي يومئذ على وجه الأرض ، وقال المجمل : هو مدني تابعي ثقة ، وقال محمد بن سعد : كان ثقة كثير الحديث ، وكانت وفاته في هذه السنة في قول وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها أو في التي هي بعدها وبعد بمبها والله أعلم . وقد جاوز السبعين وقيل لم يجاوز الستين فله أعلم .

قصته

أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، كان أبوه علي زين العابدين ، وجمعه الحسين قتلا شهيدين بالعراق . وسمى الباقر لبقائه بالعلوم واستنباطه الحكم ، كان ذا كرامة خاشعا صابرا وكان من سلالة النبوة ، رفيع النسب عالي الحسب ، وكان حارًا بالقطرات ، كثير البكاء والمبرات مريضا من الجدال والمصومات .

(١) زيادة من المصرية .

قال أبو بلال الأشعري : حدثنا محمد بن مروان عن ثابت عن محمد بن علي بن الحسين في قوله تعالى : [أولئك يجزون الغرفة بما صبروا] قال : الغرفة الجنة بما صبروا على الفقر في الدنيا . وقال عبد السلام بن حرب عن زيد بن خيثمة عن أبي جعفر قال : الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن ، ولا تصيب الذاكِر . قلت : وقد روي نحو هذا عن ابن عباس قال : لو نزل من السماء صواعق عدد النجوم لم تصب الذاكِر . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر إني لمحزون ، وإني لمشتغل القاب . قلت : وما حزنك وشغل قلبك ؟ قال : يا جابر إنه من دخل قلبه صافي دين الله عز وجل شغله عما سواه ، يا جابر بما الدنيا ؟ وما عسى أن تكون ؟ هل هي إلا مركبا ركبتك ؟ أو ثوبا لبسته ؟ أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر إني المؤمن لم يطمئنا إلى الدنيا لبقاء فيها ، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم ، ولم يصمهم عن ذكر الله ماسمعا بآذانهم من الفتنة ، ولم يعمهم عن نور الله مارأوا بأعينهم من الزينة فتأزوا بنباب الأبرار . إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة ، وأكثهم لك معونة ، إن نسيت ذكرك ، وإن ذكرت أعانوك ، قوالين بحق الله ، قوامين بأمر الله ، قطعوا المحبة بهم عز وجل ، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم ، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم ، وعلموا أن ذلك من أمر خالقهم ، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها عليكم كمنزل نزوله ثم ارتحلوا عنه وتركوه ، وكما أصبته في منامك فلما استيقظت إذا ليس في يدك منه شيء ، فاحفظ الله فيها استرعاك من دينه وحكمته .

وقال خالد بن يزيد : سمعت محمد بن علي يقول : قال عمر بن الخطاب : إذا رأيتم القاري يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا ، وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص . وكان أبو جعفر يصلي كل يوم ليلة بالمكتوبة . وروي ابن أبي الدنيا عنه قال : سلاح اللثام قبيح الكلام . وروي أبو الأحوص عن منصور عنه قال : لكل شيء آفة ، وآفة العلم النسيان . وقال لابنسه : إياك والسكسل والضجر فانهما مفتاح كل خبيثة ، إنك إذا كسلت لم تؤد حقا ، وإن ضجرت لم تصبر على حق . وقال : أشد الأعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ، وإنصافتك من نفسك ، ومواساة الأخ في المال . وقال خلف بن حوشب : قال أبو جعفر : الإيمان ثابت في القلب ، واليقين خطرات ، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ، ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية ، وما دخل قلب عبدا شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه .

وقال لجابر الجعفي : ما يقول فقهاء العراق في قوله تعالى : [لولا أن رأى برهان ربه] ؟ قال : رأى يعقوب عاشا على إبهامه . فقال : لا أحدثني أبي عن جدى على بن أبي طالب أن البرهان الذي رآه أنها حين همت به وهم بها أى طمع فيها ، قامت إلى صنم لها مكال بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بنبوب أبيض خشية أن يراها ، أو استحياها منه . فقال لها يوسف : ما هذا ؟ فقالت إلهى أستحي

منه أن يرى على هذه الصورة . فقال يوسف : تستحيين من صنم لا ينفع ولا يضر ، ولا يسمع ولا يبصر ، أفلا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت ؟ ثم قال : والله لا تتألين مني أبدا . فهو البرهان . وقال بشر بن الحارث الحافي : سمعت سفيان الثوري يقول : سمعت منصوراً يقول : سمعت محمد بن علي يقول : الفنى والعز يجولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه . وقال : إن الله يلقي في قلوب شيعتنا الرعب ، فإذا قام قائمنا ، وظهر مدبنا كان الرجل منهم أجراً من ليث وأمضى من سيف . وقال : شيعتنا من أطاع الله عز وجل واتقاه . وقال : إياكم والمقصومة فانها تفسد القلب ، وتورث النفاق ، وقال : [الذين يخوضون في آيات الله] هم أصحاب الخصومات .

وقال عروة بن عبد الله : سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال : لا بأس به ، قد حلّى أبو بكر الصديق سيفه . قال : قلت : وتقول الصديق ؟ قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ثم قال : نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة . وقال جابر الجعفي : قال لي محمد بن علي : يا جابر ! بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبونا ويتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أني أسرتهم بذلك ، فأبلغهم حتى أتى إلى الله منهم برئ ، والذي نفس محمد بيده - يعني نفسه - لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ، لالتفتي شفاعته محمد - ، إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما وسابقتهما ، فأبلغهم حتى أتى برئ منهم ومن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقال : من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة . وقال في قوله تعالى : [إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا] الآية ، قال : هم أصحاب محمد - ، قال : قلت : يقولون : هو علي قال : علي من أصحاب محمد - .

وقال عبد الله بن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي ، قال : رأيت الحكم عنده كأنه متعلم ، وقال : كان لي أخ في هين عظيم ، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عيني ، وقال جعفر بن محمد : ذهبت بغلة أبي فقال : لئن ردها الله علي لأحدنه بمحامد يرضاها ، فما كان بأسرع من أن أتى بها بسرجها لم يفقد منها شيء ، فقام فركبها ، فلما استوى عليها وجمع إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء وقال : الحمد لله ، لم يزد علي ذلك ، فقيل له في ذلك ، فقال : فهل تركت أو أبقيت شيئاً ؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل . وقال عبد الله بن المبارك : قال محمد بن علي : من أعطى الخلق والرفق فقد أعطى الخير والراحة ، وحسن حاله في دنياه وآخرته ، ومن حرمهما كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبلية ، إلا من عصمه الله . وقال : أيدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريه تاماً إلا قال : فليسم إخواناً كما تزعمون ، وقال : اعرف ، ودة أخيك لك بماله في قلبك من المودة .

فان القلوب تنكافأ . وسمع عصفير يصحن فقال : أتدري ماذا يقلن ؟ قلت : لا !! قال : يسبلن الله ويسألنه رزقهن يوما بيوم . وقال : تدعو الله بما تحب ، وإذا وقع الذي تكره لم تخالف الله عز وجل فيما أحب .

وقال : ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج ، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل . وما يدفع القضاء إلا الدعاء . وإن أسرع الخيرات أوابا البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي ، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعى عليه من نفسه ، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع أن يفعله ، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه . وأن يؤذى جلسيه بما لا يعنيه . هذه كلمات جوامع موانع لا ينبغي إمعان أن يفعلها . وقال القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق . وقال أبو جعفر : صحب عمر بن الخطاب رجلا إلى مكة فمات في الطريق ، فاحتبس عليه عمر حتى صلى عليه ودفنه ، فقل يوم إلا كان عمر يتمثل بهذا البيت :

وبالغ أمر كان يأملُ دونه * ومحتاجٌ من دون ما كان يأملُ

وقال أبو جعفر : والله مات عالم أحب إلى إبليس من موت ألف عابد . وقال : ما أغرو رقت عين عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار ، فان سألت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة ، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمة فان الله يكفر بها بحور الخطايا ، ولو أن با كيا بكى من خشية الله في أمة رحم الله تلك الأمة . وقال : بئس الأخ أخ يركك غنياً ويقطملك فقيراً . قلت : البيت الذي كان يتمثل به قبله بيتان وهو ثالثهما ، وهذه الأبيات تتضمن حكما وزهدا في الدنيا قال :

لقد غرث الدنيا رجلا فأصبحوا * بمنزلة ما بعدها متحول

فساخطُ أمر لا يبدلُ غيره * وراضٍ بأمر غيره سيبدلُ

وبالغ أمر كان يأملُ دونه * ومحتاجٌ من دون ما كان يأملُ^(١)

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة

ففيها غزا معاوية بن هشام الصائفة ، وفيها وقع طاعون عظيم بالشام والمراق ، وكان معظم ذلك في واسط . وفي المحرم منها توفي الجنيد بن عبد الرحمن المري أمير خراسان من مرض أصابه في بطنه ، وكان قد تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب فتغضب عليه أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ففرقه وولى مكانه عاصم بن عبد الله على خراسان ، وقال له : إن أدركته قبل أن يموت فأزق روحه . فاقدم عاصم بن عبد الله خراسان حتى مات الجنيد في المحرم منها بمرو ، وقال فيه أبو الجريح عيسى بن عصمة يرميه :

هلك الجود والجنيد جميعا * فلى الجود والجنيد السلام

(١) زيادة من المصرية .

أصبعا ثاويين في بطن مرو * ما تنفى على الفصون الحام
كننا نزهة الكرام فلما * مت مات الندى ومات الكرام

ولما قدم عاصم خراسان أخذ نواب الجنيد بالضرب البليغ وأنواع العقوبات ، وعسفهم في المصادر والجنائيات ، فخرج عن طاعته الحارث بن شريح فبارزه بالحرب ، وجرت بينهما أمور يطول ذكرها ، ثم آل الأمر إلى أن انكسر الحارث بن شريح وظهر عاصم عليه . قال الواقدي : وفيها حجج بالناس الوليد بن يزيد وهو ولي الأمر من بعد عمه هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة

فيها غزا معاوية بن هشام الصائفة اليسرى ، وسليمان بن هشام الصائفة اليمنى ، وهما ابنا أمير المؤمنين هشام . وفيها بعث مروان بن محمد - وهو مروان الحمار - وهو على أرمينية بمشين ففتح حصونا من بلاد اللان ، ونزل كثير منهم على الإيمان : وفيها عزل هشام عاصم بن عبد الله الهلالي الذي ولاه في السنة قبلها خراسان مكان الجنيد ، فعزله عنها وضمها إلى عبد الله بن خالد القسري مع العراق معادة إليه جريا على ما سبق له من العادة ، وكان ذلك عن كتاب عاصم بن عبد الله الهلالي المعزول عنها ، وذلك أنه كتب إلى أمير المؤمنين هشام : إن ولاية خراسان لا تصلح إلا مع ولاية العراق ، رجاء أن يضيفها إليه ، فانعكس الأمر عليه فأجابه هشام إلى ذلك قبولاً إلى نصيحته ، وأضافها إلى خالد القسري . وفيها توفي

قتادة بن دعامة السدوسي

أبو الخطاب البصري الأعمى ، أحد علماء التابعين ، والأئمة العاملين ، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين ، منهم سعيد بن المسيب ، والبصري ، وأبو العالية ، وزرارة بن أوفى ، وعطاء ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، وسروك ، وأبو مجاز وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من السكبار كأبي جراد بن مسلمة ، وحفيد الطويل ، وسعيد بن أبي عروبة ، والأعشى ، وشعبة ، والأوزاعي ، وسمر ، ومعم ، وهمام . قال ابن المسيب : ما جاءني عراق أفضل منه . وقال بكر المزني : ما رأيت أحفظ منه . وقال محمد بن سيرين : هو من أحفظ الناس ، وقال فطر : كان قتادة إذا سمع الحديث يأخذه العويل والزويل حتى يحفظه ، وقال الزهري : هو أعلم من مكحول . وقال معم : ما رأيت أفتح من الزهري ومجاهد وفتادة . وقال قتادة : ما سمعت شيئاً إلا وعاه قلبي . وقال أحمد بن حنبل : هو أحفظ أهل البصرة ، لا يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة لحفظها . وذكر يوماً فأنشأ على علمه وحقه ومعرفة بالاختلاف والتفسير وغير ذلك ، وقال أبو حاتم : كانت وفاته بواسط

في الطاعون - يعني في هذه السنة - وعمره ست أو سبع وخسون سنة
 [قال قتادة : من وثق بالله كان الله معه ، ومن يكن الله معه تكن معه الفضة التي لا تنقلب ،
 والحارس الذي لا ينام ، والمهادى الذي لا يضل ، والعالم الذي لا ينسى . وقال : في الجنة كوة إلى النار
 فيقولون : ما بال الأشقياء دخلوا النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم ، فقالوا : إنا كنا نأمركم
 ولا نأمر ، وننهاكم ولا ننهي . وقال : باب من العلم يحفظه الرجل يطلب به صلاح نفسه وصلاح
 دينه وصلاح الناس ، أفضل من عبادة حول كامل . وقال قتادة : لو كان يكتفى من العلم بشئ لا كفى
 موسى عليه السلام بما عنده ، ولكنه طلب الزيادة] ^(١)
 وفيها توفي : أبو الحباب سعيد بن يسار والأعرج ، وابن أبي مليكة ، وعبد الله بن أبي زكريا
 الخزازي ، وميمون بن مهران بن موسى بن وردان

فضيلة

فأما سعيد بن يسار فكان من العباد الزهاد ، روى عن جماعة من الصحابة ، وكذلك الأعرج
 وابن أبي مليكة . وأما ميمون بن مهران فهو من أجلاء علماء التابعين وزهادهم وعبادهم وأئمتهم . كان
 ميمون إمام أهل الجزيرة . روى الطبراني عنه أنه قيل له : مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى ؟ قال :
 لأنى لا أماريه ولا أشاركه . قال عمر بن ميمون : ما كان أبى يكثر الصلاة ولا الصيام ، ولكن كان
 يكره أن يعصى الله عز وجل . وروى ابن أبي عدى عن يونس عنه قال : لا تمارين علما ولا جاهلا ،
 فانك إن ماريت علما خزن عنك علمه ، وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك . وقال عمر بن ميمون :
 خرجت بأبى أقوده في بعض سكك البصرة ، فررنا بمجدول فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه ،
 فاضطجعت له فر على ظهري ، ثم قت فأخذت بيده . ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب
 فخرجت إلينا جارية سداسية ، فقالت : من هذا ؟ فقلت : هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن ،
 فقالت : كاتب عمر بن عبد العزيز ؟ قلت لها : نعم ! قالت : يا شقى ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء ؟
 قال : فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقنا ثم دخلا ، فقال ميمون : يا أبا سعيد ! إلى
 قد أنست من قلى غلبة فاستسكن لى منه ، فقرأ الحسن : [أفرايت إن متعتهم سنين ثم جاءهم
 ما كانوا يوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنون] فسقط الشيخ مغشيا عليه ، فرأيت يفتحص برجليه
 كما تنهص الشاة إذا ذبحت ، فأقام طويلا ثم جاءت الجارية فقالت : قد ألبس الشيخ ، قوهوا تفرقوا ،
 فأخذت بيد أبى فخرجت فقلت : يا أبت أهذا هو الحسن ؟ قال : نعم . قلت : قد كنت أحسب في

نفسى أنه أكبر من هذا ، قال : فوكز فى صدرى وكزة ثم قال : يا بنى لقد قرأ علينا آية لو فهمتها بقلبك لألفيت لها فيه كلوما .

وروى الطبرانى عنه أنه قال : ما أحب أنى أعطيت درهما فى لى وأن لى مكانه مائة ألف ، أخشى أن تصيبنى هذه الآية : [ومن الناس من يشتري لى الحديث ليضل عن سبيل الله] الآية وقال جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فلما قت قال عمر : إذا ذهب هذا وأضرابه لم يبق من الناس إلا مجاجة

وروى الامام أحمد عن معمر بن سلبان الرقى عن فرات بن سلبان عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تبطلون نفسك بهن : لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ، ولا تدخل على امرأة وإن قات أهلها كتاب الله ، ولا تصغين بسمك إلى ذى هوى فانك لا تدرى ما يملق بقلبك من هواء . وروى عبد الله بن أحمد عنه فى قوله تعالى : [إن جهنم كانت مرصادا] و [إن ربك لبالمرصاد] فقال : التمسوا لى المرصدين جوارا . وفى قوله تعالى : [ولا تصعبن الله غافلا عما يعمل الظالمون] فيها وعيد شديد للظالم ، وتمزية للمظلوم . وقال : لو أن أهل القرآن صأخوا لصلح الناس . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا عيسى بن سالم الشافى حدثنا أبو المليح قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : لا خير فى الدنيا إلا رجلين ، رجل تائب - أو قال : يتوب - من الخطيئات ، ورجل يعمل فى الدرجات ، فلا خير فى العيش والبقاء فى الدنيا إلا لى لى الرجلين ، رجل يعمل فى الكفارات ورجل يعمل فى الدرجات ، وبقاء ماسواهما وبأل عليه . وقال جعفر بن برقان : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن هذا القرآن قد خلق فى صدور كثير من الناس فالتمسوا مأنوا من الأحاديث ، وإن فى من يتبع هذا العلم قوما يتخذونه بضاعة ياتمس بها الدنيا ، ومنهم من يريد أن يمارى به ، وخير من يتعلمه ويطيع الله عز وجل به . وقال : من اتبع القرآن قاده القرآن حتى يحل به الجنة ، ومن ترك القرآن لم يدعه القرآن يقبه حتى يقذفه فى النار .

وقال الامام أحمد : حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : لا يسلم للرجل الللال حتى يحمل بينه وبين الحرام حاجزا من الللال . وقال ميمون : من كان يريد أن يعلم مأنزله عند الله فلينظر فى عمله فانه قادم عليه كائنا ما كان . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن عثمان الحربى حدثنا أبو المليح عن ميمون بن مهران . قال : نظر رجل من المهاجرين إلى رجل يصلى فأخفى الصلاة فمات به ، فقال : إنى ذكرت ضيعة لى . فقال : أ كبر الضيعة أضمته . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنا جعفر بن محمد الدسمى حدثنا أبو جعفر النخلى حدثنا عثمان ابن عبد الرحمن عن طلحة بن زيد قال قال ميمون : لا تعرف الأمير ولا تعرف من يعرفه . وروى

عبد الله بن أحمد عنه أيضا قال : لأن أوتن على بيت مال أحب إلى من أن أوتن على امرأة . وقال أبو دلي الموصلي : حدثنا هاشم بن الحارث حدثنا أبو المليح الرقي عن حبيب بن أبي مرزوق قال قال ميمون : ودبت أن إحدى عيني ذهبت وبقيت الأخرى أتمتع بها ، وأنى لم آل عملاق قلت : ولا لعمر بن عبد العزيز ؟ قال : ولا لعمر بن عبد العزيز ، لا خير في العمل لالعمر ولا لغيره . وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب حدثنا سفیان حدثنا جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران قال : ما عرضت قولي على عملي إلا وجدت من نفسي اعتراضا . وقال الطبراني : حدثنا المقدم بن داود حدثنا علي بن ميمون حدثنا خالد بن حيان حدثنا جعفر عن ميمون قال : قال لي ميمون : قل لي في وجهي ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره . وروى عبد الله ابن أحمد عنه في قوله تعالى : [خافضة رافعة] قال : تخفض أقواما وترفع آخرين . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني عيسى بن سالم حدثنا أبو المليح حدثنا بعض أصحابي قال : كنت أمشي مع ميمون فنظر فرأى على ثوب كنان فقال : أما بلغك أنه لا يلبس الكنان إلا غنى أو غاوة ؟ وبهذا الاسناد سمعت ميمون بن مهران يقول : أول من مشى الرجال معه وهو راكب الأشعث بن قيس الكندي ، ولقد أدركت السلف وهم إذا نظروا إلى رجل راكب ورجل يحضر معه ، قالوا : قاتله جبار . وقال عبد الله بن أحمد : بلغني عن عبد الله بن كريم بن حبان - وقد رأيته - حدثنا أبو المليح قال قال ميمون : ما أحب أن لي ما بين باب الزها إلى حوران بخمسة دراهم . وقال ميمون : يقول أحدهم : اجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر هل يأتيك رزقك ؟ نعم والله لو كان له مثل يقين مريم وإبراهيم عليهما السلام ، وأغلق عليه بابه ، وأرضى عليه ستره ، لجاءه رزقه . وقال : لو أن كل إنسان منا يتماهد كسبه فلم يكسب إلا طيبا ، فأخرج ما عليه ، ما احتجج إلى الأغنياء ، ولا احتاج الفقراء . وقال أبو المليح عن ميمون قال : ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا كان إسقاط المكروه عنه أحب إلى من تخفيفه عليه ، فإن قال : لم أقل ، كان قوله لم أقل أحب إلى من ثمانية يشهدون عليه ، فإن قال : قلت ولم يعتذر ، أبغضته من حيث أحببته . وقال : سمعت ابن عباس يقول : ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل ، إن كان فوق عرفت له قدره ، وإن كان نظري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل به . ههنا سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها فإن أرض الله واسعة .

وقال أبان بن أبي راشد القشيري : كنت إذا أردت الصائفة أتيت ميمون بن مهران أو دعه ، فإيزيدني على كلمتين . اتق الله ولا يترك طمع ولا غضب . وقال أبو المليح عن ميمون قال : العلماء هم ضالقي في كل بلدة ، وهم أحبتي في كل مصر ، ووجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء . وقال في قوله

تعالى : [إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب] قال : عزقا . وقال : لأن أنصدق بدرهم في حياتي أحب إلى من أن أنصدق بمائة درهم بعد موتي . وقال : كان يقال : الذكركرذكران ، ذكر الله باللسان ، وأفضل من ذلك أن تذكره عند ما أحل وحرّم ، وعند المعصية فتكف عنها وقد أشرفت . وقال : ثلاث الكافر والمؤمن فيهن سواء ، الأمانة تؤديها إلى من ائتمنك عليها من مسلم وكافر ، وبر الوالدين وإن كانا كافرين ، والعهد تفي به للمؤمن والكافر . وقال صفوان عن خلف بن حوشب عن ميمون قال : أدركت من لم يكن يملأ عينيه من السماء فرقا من ربه عز وجل .

وقال أحمد بن بزيع : حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا هارون أبو محمد البربري أن عمر بن عبد العزيز استعمل ميمون بن مهران على الجزيرة وعتلى قضائها وخراجها ، فكثرت حينئذ كتب إلى عمر يستغفبه عن ذلك ، وقال : كلفني مالا أطيق ، أقضى بين الناس وأنا شيخ كبير ضعيف رقيق فكثرت إليه عمر : اجب من الخراج الطيب ، واقض بما استبان لك ، فاذا التبس عليك أمر فارفعه إليّ ، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : إن العبد إذا أذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء ، فاذا تاب محبت من قلبه فترى قلب المؤمن مجليا مثل المرأة ، ما يأتية الشيطان من ناحية إلا أبصره ، وأما الذي يتتابع في الذنوب فإنه كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من أين يأتيه . وقال الإمام أحمد : حدثنا علي بن ثابت حدثنا جعفر عن ميمون قال : ما أقل أكياس الناس : ألا يبصر الرجل أمره حتى ينظر إلى الناس وإلى ما أدوا به ، وإلى ما قدأكبوا عليه من الدنيا ، فيقول : ما هؤلاء إلا أمثال الأفاعيل ، لأم لها إلا ما تجعل في أجوافها ، حتى إذا أبصر غفلتهم نظر إلى نفسه فقال : والله إني لأراي من شرهم بغيراً واحدا . وبهذا الأسناد عنه : ما من صدقة أفضل من كلمة حق عند إمام جائر . وقال : لا تعذب المملوك ولا تضرب به على كل ذنب ، ولكن احفظ ذلك له ، فاذا عصي الله عز وجل فعاقبه على معصية الله وذكره الذنوب التي أذنب بينك وبينه . وقال قتيبة : حدثنا جعفر بن برقان سمعت ميمون بن مهران يقول : لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه ، حتى يعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشربه ، أمن حلال ذلك أم من حرام ؟ .

وقال أبو زرعة الدارمي : حدثنا سعيد بن حفص التميمي حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : الفاسق بمنزلة السبع فاذا كلمت فيه غفلت سبيله فقد خليت سبعا على المسلمين . وقال جعفر بن برقان : قلت لميمون بن مهران : إن فلانا يسقط نفسه في زيارتك ، قال : إذا ثبتت المودة في القلوب فلا

بأس وإن طال المكث . وقال أحمد : حدثنا ميمون الرقي حدثنا الحسن أبو المليح عن ميمون قال : لا تجدد غيما أهون عليك من بطنك أو ظهرك . وقال الامام أحمد أيضاً : حدثنا عبد الله بن ميمون حدثنا الحسن عن حبيب بن أبي مرزوق قال : رأيت على ميمون جبة صوف تحت ثيابه فقلت له : ماهذا ؟ قال : قمم ! فلا تخبر به أحدا . وقال عبد الله بن أحمد : حدثني يحيى بن عثمان حدثنا أبو المليح عن ميمون قال : من أساء سرّاً فليتب سرّاً ، ومن أساء علانية فليتب علانية ، فإن الله يغفر ولا يعبر ، وإن الناس يعبرون ولا يغفرون .

وقال جعفر قال ميمون : في المال ثلاث آفات ، إن نجما صاحبه من واحدة لم ينتج من اثنتين ، وإن نجما من اثنتين كان قينا أن لا ينجو من الثالثة ، ينبغي أن يكون حلالا طيبا ، فأبكم الذي يسلم كسبه فلم يدخله إلا طيبا ؟ فإن سلم من هذه فينبغي أن يؤدي الحقوق التي تلزمه في ماله ، فإن سلم من هذه فينبغي أن يكون في نفقته ليس يمسرف ولا مقتر . وقال : سمعت ميمونا يقول : أهون الصوم ترك الطعام والشراب . وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا يحيى بن عثمان الحربى حدثنا أبو المليح عن ميمون ابن مهران قال : ما نال رجل من جسيم الخير نبي أو غيره إلا بالصبر . وبهذا الاسناد قال : الدنيا حلوة خضرة قد حفت بالمشوات ، والشيطان عدو حاضر ، فيظن أن أمر الآخرة أجل ، وأمر الدنيا عاجل . وقال يونس بن عبيدة : كان طاعون قبل بلاد ميمون بن مهران ، فكتبت إليه أسأله عن أهله ، فكتب إلى : بلغني كتابك تسألني عن أهلي ، وأنه مات من أهلي وخاصتي سبعة عشر إنسانا ، وإني أكره البلاء إذا أقبل ، فإذا أدبر لم يسرفني أنه لم يكن ، وأما أنت فعليك بكتاب الله ، فإن الناس قد بهتوا عنه - يعني أيسوا - واختاروا الأحاديث ، أحاديث الرجال ، وإياك والمرأتى في الدين . قال أبو عبيد في الغريب بهتوا به مهووزاً ، ومعناه : أنسوا به .

وقال عمر بن ميمون : كنت مع أبي ونحن نطوف بالكعبة فلتى أبي شيخ فماتقه ، ومع الشيخ فتى نحو منى ، فقال له أبي : من هذا ؟ قال : ابني . فقال : كيف رضاك عنه ؟ فقال : ما بقيت خصلة يا أبا أيوب من خصال الخير إلا وقد رأيته فيها ، إلا واحدة . قال : وما هي ؟ قال : أن يموت فأوجر فيه - أو قال فأحتسبه - ثم فارقه أبي ، فقلت : من هذا الشيخ ؟ فقال : مكحول . وقال : شر الناس الميابون ، ولا يلبس الكتان إلا غنى أو غوى .

وروى الامام أحمد عنه قال : يا ابن آدم خفف عن ظهرك فإن ظهرك لا يطيق كل هذا الذي يحمل ، من ظلم هذا ، وأكل مال هذا ، وغشم هذا ، وكل هذا على ظهرك تحمله ، تخفف عن ظهرك . وقال : إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل . وقال : ما أتى قوم في نادهم المنكر إلا حق هلاكم . وروى عبد الله بن أحمد عنه أنه قرأ [وامتازوا اليوم أيها المجرمون] ثم طارق حتى بكى ، ثم قال :

ماسمع الخلائق بنعت قط أشد منه . وقال أبو عوانة : حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا خالد عن حصين بن عبد الرحمن عن ميمون قال : أربيع لاتكلم فيهم : علي ، وعثمان ، والقدر ، والنجوم . وقال : احذروا كل هوى يسمى بغير الاسلام . وروى شعبة عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون أعلی أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ما كنت أظن أن أبقى الى زمان يعدل بهما غيرهما ، إنهما كانا رداى الاسلام ، ورأس الاسلام ، ورأس الجماعة . فقلت : فأبو بكر كان أول إسلاما أم علي ؟ فقال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بغير الراهب حين مر به ، وكان أبو بكر هو الذى يختلف بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه . وذلك كله قبل أن يولد علي ، وكان صاحبه وصديقه قبل ذلك . وروى ميمون بن مهران عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل ما يوجد فى آخر الزمان درهم من حلال ، أو أخ يوثق به » . وروى عن ابن عمر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « شر المال فى آخر الزمان المالك » . وروى ابن أبي الدنيا عنه قال : من طلب مرضاة الاخوان بلا شئ فليصادق أهل القبور . وقال : من ظلم أحدا ففاته أن يخرج من مظلمته فاستغفر له دبر كل صلاة خرج من مظلمته . وهذا إن شاء الله يدخل فيه الأعراض والأموال وسائر المظالم . وقال ميمون : القاتل والأمر والمأمر والظالم والراضى بالظالم ، كلهم فى الوزر سواء . وقال : أفضل الصبر الصبر على ماتسركه نفسك . من طاعة الله عز وجل .

روى ميمون عن جماعة من الصحابة ، وكان يسكن الرقة ، رحمه الله تعالى [(١)]

نافع مولى ابن عمر

أبو عبد الله المدنى أصله من بلاد المغرب ، وقيل من نيسابور ، وقيل من كابل ، وقيل غير ذلك . روى عن مولاة عبد الله بن عمر وجماعة من الصحابة ، مثل رافع بن خديج ، وأبي سعيد وأبي هريرة وعائشة وأم سلمة وغيرهم : وروى عنه خلق من التابعين وغيرهم ، وكان من الثقات النبلاء ، والأئمة الأجلاء ، قال البخارى : أصح الأئمة مالك عن نافع عن ابن عمر ، وقال غيره . كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه إلى مصر يعلم الناس السنن ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة ووثقوه ومات فى هذه السنة على المشهور

نور الرمة الشاعر

واسمه غيلان بن عتبة بن بهيس ، من بني عبد مناة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، نزيل الحارث أحد فحول الشعراء ، وله ديوان مشهور ، وكان يتنزل فى بني مقاتل بن طلب بن قيس .

(١) زيادة من المصرية .

ابن عاصم المنقري ، وكانت جميلة ، وكان هو دميم الخلق أسود اللون ، ولم يكن بينهما غش ولا خنا ولم يكن رآها قط ولا رأيته ، وإنما كانت تسمع به ويسمع بها ، ويقال : إنها كانت تنذر إن هي رأيته أن تذبح جزورا ، فلما رأيته قالت : واسوأناه واسوأناه ، ولم تبد له وجهها قط إلا مرة واحدة ، فأنشأ يقول :

قال فانسخت من ثيابها فقال :

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وإن كان لون الماء أبيض صافيا
فقلت : تريد أن تذوق طعمه ؟ فقال : إني والله ، فقلت : تذوق الموت قبل أن تذوقه .
فأنشأ يقول :

فواضية الشمر الذي راح وانقضى * بمي ولم أملك ضلال فؤاديا
قال ابن خلكان : ومن شعره السائر بين الناس ما أنشده :
إذا هبت الأرياح من نحو جانب * به أهل مي حاج شوق هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما * هوى كل نفس أين حل حبيبها
وأنشد عند الموت :

يا قابض الأرواح في جسمى إذا احتضرت * وغافر الذنب زحزحني عن النار
ثم دخلت سنة ثمان مائة وعشرة ومائة

فيها غزا معاوية وسليمان ابنا أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بلاد الروم ، وفيها قصد شخص يقال له : عمار بن يزيد ، ثم سمي بخداش ، إلى بلاد خراسان ودعا الناس إلى خلافة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاستجاب له خلق كثير ، فلما تنفوا عليه دعاهم إلى مذهب الخزمية الزنادقة ، وأباح لهم نساء بعضهم بعضا ، وزعم لهم أن محمد بن علي يقول ذلك ، وقد كذب عليه فأظهر الله عليه الدولة فأخذ يفتي به إلى خالد بن عبد الله القسري أمير العراق وخراسان ، فأمر به فقطعت يده وسل لسانه ثم صلب بعد ذلك . وفيها حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل أمير المدينة ، وقيل إن إمرة المدينة كانت مع خالد بن عبد الملك بن مروان ، والصحيح أنه كان قد عزل وولى مكانه محمد بن هشام بن إسماعيل ، وكان أمير العراق القسري . وفيها كانت وفاة :

علي بن عبد الله بن عباس

ابن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو الحسن ، ويقال أبو محمد ، وأمه زهرة بنت مسرح بن معديكرب الكندي ، أحد الملوك الأربعة الأقيال المذكورين في الحديث الذي رواه أحمد ، وهم مسرح ، وحمل ، ومخولس ، وأبضعة : وأختهم العمرة وكان مولد على هذا يوم قتل علي بن أبي

طالب ، فسماه أبوه باسمه ، وكناه بكنيته ، وقيل إنه ولد في حياة على وهو الذي سماه وكناه ولقبه بأبي الأملك ، فلما وفد على عبد الملك بن مروان أجلسه معه على السرير وسأله عن اسمه وكنيته فأخبره فقال له : ألك ولد ؟ قال : نعم ولد لي ولد سميت محمد ، فقال له : أنت أبو محمد ، وأجزل عطية ، وأحسن إليه . وقد كان على هذا في غاية العبادة والزهادة والعلم والعمل وحسن الشكل والمدالة والذقة كان يصلي في كل يوم ليلة ألف ركعة ، قال عمرو بن علي الفلاس : كان من خيار الناس ، وكانت وفاته بالجمعة من أرض البلقاء في هذه السنة ، وقد قارب الثمانين . وقد ذكر ابن خلدون أنه تزوج لبابة بنت عبد الله بن جعفر ، التي كانت تحت عبد الملك بن مروان ، فطلقها ، وكان سبب طلاقه إياها أنه عرض تفاحة ثمري بها إليها فأخذت السكين فخرت من التفاحة مامس فيه منها ، فقال : ولم تفلحن هذا ؟ فقالت : أزيل الأذى عنها . وذلك لأن عبد الملك كان أبخر - فطلقها عبد الملك ، فلما تزوجها على بن عبد الله بن عباس هذا نقم عليه الوليد بن عبد الملك لأجل ذلك ، فضربه بالسياط ، وقال إنما أردت أن تذلل بنينا من الخلفاء ، وضربه مرة ثانية لأنه اشتهر عنه أنه قال : الخلافة صائرة إلى بيتيه ، فوقع الأمر كذلك . وذكر المبرد أنه دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ابنه السفاح والمنصور وهما صغيران ، فأكرمه هشام وأدى مجلسه ، وأطابق له مائة وثلاثين ألفا ، وجعل على بن عبد الله يوصيه بأبنيه خيرا ، ويقول : إنهما سيبيان الأمر ، فجعل هشام يتمجب من سلامة باطنه وينسبه في ذلك إلى الحق ، فوقع الأمر كما قال . قالوا : وقد كان على في غاية الجلال وتمام القامة ، كان بين الناس كأنه راجب ، وكان إلى منكب أبيه عبد الله ، وكان عبد الله إلى منكب أبيه العباس ، وكان العباس إلى منكب أبيه عبد المطلب ، وقد بايع كثير من الناس لابنه محمد بالخلافة قبل أن يموت على هذا قبل هذه السنة بسنوات ، ولكن لم يظهر أمره حتى مات فقام بالأمر من بعده ولده عبد الله أبو العباس السفاح ، وكان ظهوره في سنة الثنتين وثلاثين كما سيأتي إن شاء الله تعالى عمرو بن شعيب ، وعبد بن نُمَيْت ، وأبو صخرة جامع بن شداد ، وأبو عياش المماقري .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ففيها غزا الوليد بن القممقاع بلاد الروم . وفيها قتل أسد بن عبد الله القنمري ملك الترك الأعظم خاقان ، وكان سبب ذلك أن أسد بن عبد الله أمير خراسان عمل نيابة عن أخيه خالد بن عبد الله على العراق ، ثم سار بجيوشه إلى مدينة خُتَل فافتتحها ، وتفرقت في أرضها جنوده يقتلون ويأسرون ويغنمون ، فجاءت العميون إلى ملك الترك خاقان أن جيش أسد قد تفرق في بلاد خُتَل ، فاعتزم خاقان هذه الفرصة فركب من فوره في جنوده قاصداً إلى أسد ، وتزود خاقان وأصحابه سلاحاً كثيراً ، وقد يدأ وملحاً ، وساروا في حنق عظيم ، وجاء إلى أسد فأعلموه بقصد خاقان له في جيش عظيم

كثيف ، فتجهز لذلك وأخذ أهبطه ، فأرسل من فوره إلى أطراف جيشه ، فلما وأشاع بعض الناس أن خاقان قد هجم على أسد بن عبد الله فقتله وأصحابه ، ليحصل بذلك خذلان لأصحابه فلا يجتمعون إليه ، فردّ الله كيدهم في نحورهم ، وجعل تدميرهم في تدبيرهم ، وذلك أن المسلمين لما سمعوا بذلك أخذتهم حمية الاسلام وازدادوا حنقا على عدوهم ، وعزموا على الأخذ بالثأر ، فقصدوا الموضع الذي فيه أسد ، فإذا هو حي قد اجتمعت عليه العساكر من كل جانب ، وسار أسد نحو خاقان حتى أتى جبل الملح ، وأراد أن يخوض نهر بلخ ، وكان معهم أغنام كثيرة ، ففكره أسد أن يتركها وراء ظهره ، فأمر كل فارس أن يحمل بين يديه شاة وعلى عنقه شاة ، وتوعد من لم يفعل ذلك بقطع اليد ، وحمل هو معه شاة وخاضوا النهر ، فما خلصوا منه جيئاً حتى دهمهم خاقان من ورائهم في خيل دم ، فقتلوا من وجدوه لم يقطع النهر وبعض الضعفة ، فلما وقفوا على حافة النهر أحججوا وظن المسلمون أنهم لا يقطعون إليهم النهر ، فتشاور الأتراك فيما بينهم ، ثم اتفقوا على أن يحملوا حملة واحدة - وكانوا خمسين ألفاً - فيفتحون النهر ، ففرضوا بكؤساتهم ضرباً شديداً حتى ظن المسلمون أنهم معهم في عسكرهم ، ثم رموا بأنفسهم في النهر رمية واحدة ، فجعلت خيولهم تنخر أشد النخير ، وخرجوا منه إلى ناحية المسلمين فثبت المسلمون في معسكرهم ، وكانوا قد خندقوا حولهم خندقاً لا يخلصون إليهم منه ، فبات الجيشان تترامى نارهما ، فلما أصبحا مال خاقان على بعض الجيش الذي للمسلمين فقتل منهم خلقاً وأسراً وأما وإبلا موقرة ، ثم إن الجيشين تواجها في يوم عيد الفطر حتى خاف جيش أسد أن لا يصلوا صلاة العيد ، فما صلوا إلا على وجل ، ثم سار أسد بن معه حتى نزل مرج بلخ ، حتى انقضى الشتاء ، فلما كان يوم عيد الأضحى خطب أسد الناس واستشارهم في الذهاب إلى مرو أو في لقاء خاقان ، أو في التحصن ببلخ . فنهض من أشار بالتحصن ، ومنهم من أشار بملتناه والتوكل على الله ، فوافق ذلك رأى أسد الأسد ، فقصده بجيشه نحو خاقان ، وصلى بالناس ركعتين أطال فيهما ، ثم دعا بدعاء طويل ، ثم انصرف وهو يقول : نصرتم إن شاء الله ، ثم سار بن معه من المسلمين فالتقت مقدمته بمقدمة خاقان ، فقتل المسلمون منهم خلقاً وأسروا أميرهم وسبعة أمراء معه ، ثم ساق أسد فاتهم إلى أغنامهم فاستأنفها ، فإذا هي مائة ألف وخمسون ألف شاة ، ثم التقى معهم ، وكان خاقان إنما معه أربعة آلاف أو نحوها ، ومع رجل من العرب قد خامر إليه ، يقال له الحارث بن شريح ، فهو يدلهم على عورات المسلمين ، فلما أقبل الناس هرب الأتراك في كل جانب ، وانهمز خاقان ومعهم الحارث ابن شريح بحميه ويقبه ، فتبعهم أسد ، فلما كان عند الظهيرة انخلل خاقان في أربعة آلاف من أصحابه ، عليهم الخنز ومعهم الكؤسات ، فلما أدركه المسلمون أمر بالكؤسات فضربت ضرباً شديداً ضرب الانصراف ثلاث مرات فلم يستطيعوا الانصراف ، فتقدم المسلمون فاحتاطوا على معسكرهم فاحتازوه

بما فيه من الأئمة العظيمة ، والأواني من الذهب والفضة ، والنساء والصبيان ، من الأتراك ومن معهم من الأسارى من المسلمات وغيرهم ، مما لا يحصى ولا يوصف لكثرته وعظمه وقيمته وحسنه . غير أن خاقان لما أحس بالهلاك ضرب امرأته بمنزجر فقتلها ، فوصل المسلمون إلى المعسكر وهي في آخر رمق تتحرك ، ووجدوا قدورهم تملأ باطعماتهم ، وهرب خاقان بمن معه حتى دخل بعض المدن فتحصن بها ، فاتفق أنه لعب بالنرد مع بعض الأمراء فغلبه الأمير فزعمه خاقان بقطع اليد ، فحنق عليه ذلك الأمير ثم عمل على قتله فقتله ، وتفرقت الأتراك يمدو بعضهم على بعض ، وينهب بعضهم بعضا ، وبعث أسد إلى أخيه خالد يله بما وقع من النصر والظفر بخاقان ، وبعث إليه بطول خاقان - وكانت كباراً لها أصوات كالرعد - وبشيء كثير من حواصله وأمتعته ، فأوفدها خالد إلى أمير المؤمنين هشام ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأطلق للرسل أموالاً جزيلة كثيرة من بيت المال . وقد قال بعض الشعراء في أسد مدحه على ذلك :-

لوسرت في الأرض تقيس الأرضا * تقيس منها طولها والمرضا
لم تلق خيراً امرأة وتقضا * من الأمير أسد وأمضى
أفنى إلينا الخيل حتى أفضا * وجمع السمل وكان أرفضا
ما فاتته خاقان إلا ركضا * قد فض من جموعه ما فضا
يا ابن شريح قد لقيت حمضا * حمضاً به تشفى صداع المزضى

وفيها قتل خالد بن عبد الله القسري المفيرة بن سعيد وجماعة من أصحابه الذين تابوه على باطله ، وكان هذا الرجل ساحراً طاجراً شيعياً خبيثاً ، قال ابن جرير : ثنا ابن حميد ثنا جرير عن الأعمش قال : سمعت المفيرة بن سعيد يقول : لو أراد أن يحيى عاداً وثموداً وقرناً بين ذلك لأحييهم . قال الأعمش : وكان المفيرة هذا يخرج إلى المقبرة فيسكنهم فيرى مثل الجراد على القبور ، أو نحو هذا من الكلام . وذكر ابن جرير له غير ذلك من الأشياء التي تدل على سحره وفجوره . ولما بلغ خالداً أمره أمر بالحضارة فجاء به في ستة نفر أو سبعة نفر ، فأمر خالد فأبرز سريه إلى المسجد ، وأمر بالحضارة أنصاب القصب والنفط فصب فوقها ، وأمر المفيرة أن يحتضن طنبا منها ، فامتنع فضرب حتى احتضن منها طنبا واحداً وصب فوق رأسه النفط ، ثم أضرم بالنار . وكذلك فعل ببقية أصحابه .

وفي هذه السنة خرج رجل يقال له بهلول بن بشر ويلقب بكثارة ، واتبعه جماعات من الخوارج دون المائة ، وقصدوا قتل خالد القسري ، فبعث إليهم بالبعث فكسروا الجيوش واستنفل أمرهم جداً لشجاعتهم وجلدهم ، وقلة نصيح من يقاتلهم من الجيوش ، فردوا العساكر من الألوف المؤلفة ، ذوات الأساحة والخيال المسومة ، هذا وهم لم يبلغوا المائة ، ثم إنهم راموا قدوم الشام لقتل الخليفة

هشام ، ففصدوا نحوها ، فاعترضهم جيش بأرض الجزيرة فاقتتلوا معهم قتالا عظيما ، فقتلوا عامة أصحاب
ببول الخارجي . ثم إن رجلا من جديلة يكنى أبا الموت ضرب بهلولا ضربة فصرعه وتفرقت عنه
بقية أصحابه ، وكانوا جميعهم سبعين رجلا ، وقد رثاهم بعض أصحابهم ^(١) فقال :-

بَدَلْتُ بَعْدَ أَبِي بِشَرٍّ وَصَحْبَةٍ * قَوْمًا عَلَيَّ مَعَ الْأَحْزَابِ أَعْوَانَا
بَانُوا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا مِنْ صَحَابَتِنَا * وَلَمْ يَكُونُوا لَنَا بِالْأَمْسِ خِلَانَا
يَا عَيْنُ أَذْرِي دُمُوطًا مَنَكَرَتْ نَهْنَانَا * وَابْكِي لَنَا صَحْبَةً بَانُوا وَجِيرَانَا
خَلُّوا لَنَا ظَاهِرَ الدُّنْيَا وَبَاطِنَهَا * وَأَصْبَحُوا فِي جَنَانِ الْخَلْدِ جِيرَانَا

ثم تجميع طائفة منهم أخرى على بعض أمرائهم فقاتلوا وقتلوا ، وجهزت إليهم العساكر
من عند خالد القسري ، ولم يزل حتى أباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية . وفيها غزا أسد القسري بلاد
الترك ، ففرض عليه ملكهم طرخان خان ألف ألف فلم يقبل منه شيئا ، وأخذته قهرا فقتله صبرا بين
يديه ، وأخذ مدينته وقلعته وحواصله ونسائه وأمواله . وفيها خرج الصحاري بن شبيب الخارجي
واتبعه طائفة قليلة نحو من ثلاثين رجلا ، فبعث إليهم خالد القسري جندا فقتلوه وجميع أصحابه ، فلم
يتركوا منهم رجلا واحدا . وحج بالناس في هذه السنة أبو شاذي مسعدة بن هشام بن عبد الملك ، وحج
معه ابن شهاب الزهري ليعلمه مناسك الحج ، وكان أمير مكة والمدينة والطائف محمد بن هشام بن
إسماعيل ، وأمير العراق والمشرق وخراسان خالد القسري ، ونائبه على خراسان بكاملها أخوه أسيد
ابن عبد الله القسري ، وقد قيل إنه توفي في هذه السنة ، وقيل في سنة عشرين فله أعلم . ونائب
أرمينية وأذربيجان مروان الحمار والله أعلم .

سنة عشرين ومائة من الهجرة

فيها غزا سليمان بن هشام بلاد الروم وافتتح فيها حصونا ، وفيها غزا إسحاق بن مسلم العقيلي
تومان شاه ، وافتتحها وخرّب أراضيا . وفيها غزا مروان بن محمد بلاد الترك ، وفيها كانت وفاة أسد
ابن عبد الله القسري أمير خراسان ، وكانت وفاته بسبب أنه كانت له دُبيلقي جوفسه ، فلما كان
مهرجان هذه السنة قدمت الدهاقين - وهم أمراء المدن الكبيرة - من سائر البلدان بالهدايا والتحف على
أسد ، وكان فيمن قدم نائب هراة ودهقانها ، واسم دهقانها خراسان شاه ، فقدم بهدايا عظيمة وتحف
عزيزة ، وكان من جملة ذلك قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وأباريق من ذهب ، ومصحف من
ذهب وفضة ، وتفاصيل من جزير تلك البلاد ألوان ملونة فوضع ذلك كله بين يدي أسد حتى امتلأ
الجلجاس ، ثم قام الدهقان خطيبا فامتدح أسدا بمخصال حسنة ، على عقله ورياسته وعدله ومنعه أهله
وخاصته أن يفلدوا أحدا من الرعايا بشيء قل أو كثير ، وأنه قهر الخان الأعظم ، وكان في مائة ألف

(١) هو الضحاك بن قيس . أنظر الطبري (٢ : ١٦٢٧) طبع أوربا

فكسره وقتله ، وأنه يفرح بما يفد إليه من الأموال ، وهو بما خرج من يده أفروح وأشد سرورا ، فأثنى عليه أسد وأجلسه ، ثم فرق أسد جميع تلك الهدايا والأموال وما هنالك أجمع على الأمراء والأكابر بين يديه ، حتى لم يبق منه شيء ، ثم قام من مجلسه وهو عليل من تلك الدبيلة ، ثم أفاق إفاقة وجىء بهدية كثيرة فجعل يفرقها على الحاضرين واحدة واحدة ، فألقى إلى دهقان خراسان واحدة فانفجرت دبيلته وكان فيها حتمه ، واستخلف على عمله جعفر بن حنظلة البهرائي ، فبكت أميرا أربعة أشهر حتى جاء عهد نصر بن سيار في رجب منها ، فعلى هذا تكون وفاة أسد في صفر من هذه السنة ، وقد قال فيه ابن عرس العبدي يرثيه :

نعى أسد بن عبد الله ناع * فريح القلب للملك المطاع
ببلخ وافق المقدار يسرى * وما لقضاء ربك من دفاع
نجودي عين بالمعبرات سحا * ألم يحزنك تفريق الجماع
أناه حمامه في جوف ضبيع * وكم بالضبيع من بطل شجاع
أناه حمامه في جوف صبيغ * وكم بالصبيغ من بطل شجاع
كثائب قد يجيئون المنادى * على جرد مسومة سراع
سقيت النيث إنك كنت غيثا * مريعا عند مرثاد الشجاع

وفيها عزلي هشام خالد بن عبد الله القسري عن نيابة العراق ، وذلك أنه انحصر منه لما كان يبيلته من إطلاق عبارة فيه ، وأنه كان يقول عنه ابن الحقاء ، وكتب إليه كتابا فيه غلظة ، فرد عليه هشام ردّا عنيفا ، ويقال إنه حسده على سعة ما حصل له من الأموال والخواصل والغلات ، حتى قيل إنه كان دخله في كل سنة ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وقيل درهم ، ولولده يزيد بن خالد عشرة آلاف ألف ، وقيل لفة وفد إليه رجل من أئام أمير المؤمنين من قریش يقال له ابن عمرو ، فلم يرحب به ولم يعبا به ، فكتب إليه هشام يعنفه ويبيكنه على ذلك ، وأنه حال وصول هذا الكتاب إليه يقوم من فوره بمن حوله من أهل مجلسه فينطلق على قدميه حتى يأتي باب ابن عمرو وصاغرا ذليلا مستأذنا عليه ، متنصلا إليه مما وقع ، فأن أذن لك وإلا فقف على بابه حولا غير متحلل من مكانك ولا زائل ، ثم أمرك إليه إن شاء عزلك وإن شاء أبقاك ، وإن شاء انتصر ، وإن شاء عفا . وكتب إلى ابن عمرو يعلمه بما كتب إلى خالد ، وأمره إن وقف بين يديه أن يضربه عشرين سوطا على رأسه ، إن رأى ذلك مصالحة . ثم إن هشاما عزل خالدا وأخفى ذلك ، وبعث البريد إلى نائبه على اليمن وهو يوسف ابن عمر فولاه إمارة العراق ، وأمره بالمسير إليها والقعود عليها في ثلاثين راكبا ، فقدموا الكوفة وقت السحر ، فدخلوها ، فلما أذن المؤذن أمره يوسف بالاقامة : فقال : إلى أن يأتي الأمام - يعني خالدا -

فاتهره وأمره بالاقامة وتقديم يوسف فصلى وقرأ [إذا وقعت الواقعة] و[سأل سائل] ثم انصرف فبحث إلى خالد وطارق وأصحابهما ، فاحضروا فأخذ منهم أموالا كثيرة ، صادر خالداً بمائة ألف ألف درهم ، وكانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جمادى الأولى من هذه السنة - أعنى سنة عشرين ومائة - وفي هذا الشهر قدم يوسف بن عمر على ولاية العراق مكان خالد بن عبد الله القسرى ، واستناب على خراسان جديع بن على الكرماني ، وعزل جعفر بن حنظلة الذي كان استنابه أسد ، ثم إن يوسف بن عمر عزل جديعاً في هذه السنة عن خراسان ، وولى عليها نصر ابن سيار ، وذهب جميع ما كان اقتناه وحصله خالد من العتار والأموال وهلة واحدة ، وقد كان أشار عليه بعض أصحابه لما بلغهم عتب هشام عليه أن يبعث إليه يعرض عليه بعض أملاكه ، فما أحب منها أخذها وما شاء ترك ، وقالوا له : لأن يذهب البعض خيراً من أن يذهب الجميع مع العزل والاختراق ، فامتنع من ذلك واغتر بالدينار وعزت نفسه عليه أن يذل ، ففجأه العزل ، وذهب ما كان حصله وجمعه ومنعه ، واستقرت ولاية يوسف بن عمر على العراق وخراسان ، واستقرت نيابة نصر بن سيار على خراسان ، فتمهدت البلاد وأمن العباد لله الحمد والمنة . وقد قال سوار بن الأشعرى في ذلك :

أضحى خراسان بعد الخوف آمنة * من ظلم كل غشوم الحكم جبار
لما أتى يوسف أخبار ما لقيت * اختار نصراً لها نصر بن سيار

وفي هذه السنة استبطأت شيعة آل العباس كتاب محمد بن على إليهم ، وقد كان عتب عليهم في اتباعهم ذلك الزنديق الملقب بمخداش ، وكان خرمياً ، وهو الذي أحل لهم المنكرات ودنس المحارم والمصاهرات ، فقتله خالد القسرى كما تقدم ، فعتب عليهم محمد بن على في تصديقهم له واتباعهم إياه على الباطل ، فلما استبطأوا كتابه إليهم بعث إليهم رسولاً يخبرهم أمره ، وبعثوا هم أيضاً رسولاً ، فلما جاء رسولهم أحله محمد بما ذا عتب عليهم بسبب الخرمي ، ثم أرسل مع الرسول كتاباً مخبوماً ، فلما فتحوه لم يجدوا فيه سوى : بسم الله الرحمن الرحيم ، ففعلوا أنه إنما عتبنا عليكم بسبب الخرمي . ثم أرسلوا رسولاً إليهم فلم يصدقه كثير منهم وهموا به ، ثم جاءت من جهة عصى ملوياً عليها حديد ونحاس ، ففعلوا أن هذا إشارة لهم إلى أنهم عصاة ، وأنهم مختلفون باختلاف ألوان النحاس والحديد . قال ابن جرير : وحج بالناس فيها محمد بن هشام الخزومي فيما قاله أبو معشر ، قال : وقد قيل إن الذي حج بالناس سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقيل ابنه يزيد بن هشام فله سبحانه وتعالى أعلم ،

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ففيها غزا مسلمة بن هشام الروم فافتتح مطامير وهر حصن ، وافتتح مروان بن محمد بلاد صاحب الذهب ، وأخذ قلاعته وخرّب أرضه ، فأدعن له بالجزية في كل سنة بألف رأس يؤديها إليه ، وأعطاه

رهما على ذلك ، وفيها في صفر قتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الذي تلبس إليه الطائفة الزيدية ، في قول الواقدي ، وقال هشام السكابي : إنما قتل في صفر من سنة ثنتين وعشرين من فقه أعلم . وقد ساق محمد بن جرير سبب مقتله في هذه السنة تبعا للواقدي ، وهو أن زيدا هذا وفد على يوسف بن عمر فسأله هل أودع خالد القسري عندك مالا ؟ فقال له زيد بن علي : كيف يودعي مالا وهو يشتم أبائي على منبره في كل جمعة ؟ فأخبره أنه ما أودع عنده شيئا ، فأمر يوسف بن عمر باحضار خالد من السجن فجاء به في عباءة ، فقال : أنت أودعت هذا شيئا نستخلصه منه ؟ قال : لا ، وكيف وأنا أشتم أباء كل جمعة ؟ فتركه عمر وأعلم أمير المؤمنين بذلك فعفا عن ذلك ، ويقال بل استحضرهم فخلعوا بما خلفوا . ثم إن طائفة من الشيعة الذمت علي زيد بن علي ، وكانوا نحواً من أربعين ألفاً ، منهم بعض النصحاء عن الخرج ، وهو محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وقال له : إن جسدك خير منك ، وقد الذمت علي بيمينه من أهل العراق ثمانون ألفاً ، ثم خانوه أحوج ما كان إليهم ، وإني أهدرك من أهل العراق . فلم يقبل بل استمر يبايع الناس في الباطن في الكوفة ، على كتاب الله وسنة رسوله حتى استعمل أمره به في الباطن ، وهو يتحول من منزل إلى منزل ، وما زال كذلك حتى دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة ، فكان فيها مقتله كما سند كره قريباً . وفيها غزا نصر بن سيار أمير خراسان غزوات متعددة في الترك ، وأسر ملكهم كور رسول في بعض تلك الحروب وهو لا يعرفه ، فلما تيقنه وتحققه ، سأل منه كور رسول أن يطلقه علي أن يرسل له ألف بعير من إبل الترك . وهي البختاء - وألف برذون ، وهو مع ذلك شيخ كبير جدا ، فصار نصر بن سيار يحضرته من الأمراء في ذلك ، فذهب من أشار بإطلاقه ، ومنهم من أشار بقتله . ثم سأله نصر بن سيار كم غزوت من غزوة ؟ فقال : ثنتين وسبعين غزوة ، فقال له نصر : ما مثلك يطلق ، وقد شهدت هذا كله ، ثم أمر به فضربت عنقه وصلبه ، فلما بلغ ذلك جيشه من قتله باتوا تلك الليلة يصرون ويهتفون عليه ، وجندوا الحام وشعورهم وقطعوا آذانهم وحرقوا خياما كثيرة ، وقتلوا أنما كثيرة ، فلما أصبح أمر نصر بإحراقه لئلا يأخذوا جثته ، فكان حريقه أشد عليهم من قتله ، وانصرفوا خائبين صاغرين خلسرين . ثم كر نصر على بلادهم قتل منهم خلقا وأسر أمما لا يحصون كثرة ، وكان فيمن حضر بين يديه مجوز كبيرة جدا من الأعاجم أو الأتراك ، وهي من بيت مملكة ، قتلت لنصر بن سيار : كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فهو ليس بملك ، وزير صادق يفضل شخصوات الناس ويشاوره ويناصحه ، وطباخ يصنع له ما يشتهي ، وزوجة حسنة إذا دخل عليها منها نظر إليها سرته وذهب عنه ، وحصن منيع إذا فزع وعليه بلأوا إليه فيه ، وسيف إذا قارع به الأقران لم يخش شيئا منه ، وذخيرة إذا حملها أين ما وقع من الأرض عاش بها .

وحج بالناس فيها محمد بن هشام بن إسماعيل نائب مكة والمدينة والطائف ، ونائب العراق يوسف بن عمر ، ونائب خراسان نصر بن سيار ، وعلى أرمينية مروان بن محمد . ذكر من توفى فيها من الأعيان :

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

والمشهور أنه قتل في التي بعدها كما سيأتي بيانه إن شاء الله

مسلمة بن عبد الملك

ابن مروان القرشي الأموي ، أبو سعيد وأبو الأصمغ الدمشقي ، قال ابن هساكر : وداره بدمشق في حجة القباب عند باب الجامع القبلي ، ولي الموسم أيام أخيه الوليد ، وغزا الروم غزوات وخاض القسطنطينية ، وولاه أخوه يزيد إمارة المراقين ، ثم عزله وتولى أرمينية . وروى الحديث عن عمر بن عبد العزيز ، وعنه عبد الملك بن أبي عثمان ، وهيب بن قزعة ، وهيب بن وهيب ، والد سفيان بن عيينة وابن أبي هريرة ، ومعاوية بن خديج ، ويحيى بن يحيى النخعي .

قال الزبير بن بكار : كان مسلمة من رجال بني أمية ، وكان يلقب بالجرادة الصفراء ، وله آثار كثيرة ، وحروب ونكاية في العدو من الروم وغيرهم . قلت : وقد فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم . ولما ولي أرمينية غزا الترك فبلغ باب الأبواب فهدم المدينة التي هنده ، ثم أعاد بناءها بعد تسع سنين . وفي سنة ثمان وتسعين غزا القسطنطينية فحاصرها وافتتح مدينة الصقالبة ، وكسر ملكهم البرجان ، ثم عاد إلى محاصرة القسطنطينية . قال الأوزاعي : فأنزلوه وهو ينازهم صداع عظيم في رأسه ، فبعث ملك الروم إليه بقلنسوة وقال : ضعها على رأسك يذهب صداعك ، فغشى أن تكون مكيدة فوضعها على رأسه فبقي فلم ير إلا خيرا ، ثم وضعها على رأسه فذهب صداعه ، ففتقها فإذا فيها سبعون سطرا هذه الآية [إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا] الآية مكررة لاغير ، روى ابن هساكر .

وقد لقي مسلمة في حصاره القسطنطينية شدة عظيمة ، وجاع المسلمون عندها جوعا شديدا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز أرسل إليهم البريد يأمرهم بالرجوع إلى الشام ، لحلف مسلمة أن لا يفتح عنهم حتى يبنوا له جامعا كبيرا بالقسطنطينية ، فبنوا له جامعا ومنازة ، فهو بها إلى الآن يصلي فيه المسلمون الجمعة والجماعة ، قلت : وهي آخر ما يفتحها المسلمون قبل خروج الدجال في آخر الزمان ، كما ستورده في الملاحم والفتن من كتابنا هذا إن شاء الله . ونذكر الأحاديث الواردة في ذلك هناك ، وبالجملة كانت لمسلمة مواقف مشهورة ، ومسامي مشكورة ، وغزوات متتالية منثورة ، وقد افتتح حصونا وقلاعاً ، وأحيا بزمه قصورا وبقاها ، وكان في زمانه في الغزوات نظير خالد بن الوليد

في أيامه ، في كثرة منازيه ، وكثرة فتوحه ، وقوة عزمه ، وشدة بأسه ، وجودة تصرفه في نقضه ، وإبرامه ، وهذا مع الكرم والفضاحة ، وقال يوماً لنصيب الشاعر : سلامي ، قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : لأن كفتك بالجزيل أكثر من مسألتي بالاسان . فأعطاه ألف دينار . وقال أيضاً : الأنبياء [لا يتدأبون كما تذاب الناس ماناب بني قطن] وقد أوصى بثلاث ماله لأهل الأدب ، وقال : إنها صنعة جوف أهلها . وقال الوليد بن مسلم وغيره : توفي يوم الأربعاء السابع مضمين من المحرم سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقبل في سنة عشرين ومائة ، وكانت وفاته بوضع يقال له الخانوت ، وقد رئاه بعضهم ، وهو ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال :

أقول وما البعد إلا الردى * أمس لم لا تبعدن مسلة
فقد كنت نوراً لما في البلاد * مضيتا فقد أصبحت مظلة
ونكنتم وتلك نخشى اليقين * فأبدي اليقين لنا الجملة

نمير بن قيس

الأشعري قاضي دمشق ، تميمي جليل ، روى عن حنيفة مرسلًا وأبي موسى مرسلًا ، وأبي الدرداء ، عن معاوية مرسلًا وغير واحد من التابعين ، وحدث عنه جماعة كثيرون ، منهم الأوزاعي وسعيد ابن عبد العزيز ويحيى بن الحارث الزماري ، ولده هشام بن عبد الملك القضاء بدمشق بعد عبد الرحمن ابن أنشدناش العنبري ، ثم استخفى هشاماً ففقد ، وولى مكانه يزيد بن عبد الرحمن بن أبي ملك . وكان نمير هذا لا يحكم باليمين مع الشاهد ، وكان يقول : الأدب من الآباء ، والصلاح من الله . قال غير واحد : توفي سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقبل سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقبل سنة خمس عشرة ومائة ، وهو غريب والله سبحانه أعلم

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائة

ففيها كان مقتل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان سبب ذلك أنه لما أخذ البيعة من أبيه من أهل الكوفة ، أمرهم في أول هذه السنة بالخروج والتأهب له ، فشرعوا في أخذ الأهنة لذلك . فأنطلق رجل يقال له سليمان بن سراقبة إلى يوسف بن عمر نائب العراق فأخبره - وهو بالحيرة يومئذ - خبر زيد بن علي هذا ومن دمه من أهل الكوفة ، فبعث يوسف بن عمر يطلبه ويلجأ إليه ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : ما تقول برحمتك الله في أبي بكر وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي تبرأ منهما ، وأنا لا أقول فيها إلا خيراً ، قالوا : فلم نطلب إذا بدم أهل البيت ؟ فقال : إنما كنا أحق الناس بهذا الأمر ، ولكن اليوم سائرنا علينا به ودعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كبراً ، قد ولوا فسلوا ، وعملوا بالكتاب

والسنة . قالوا : فلم تقاتل هؤلاء إذا ؟ قال : إن هؤلاء ليسوا كأولئك ، إن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم ، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) ، وإحياء السنن وإماتة البدع ، فان تسمعوا يكن خيراً لكم ولي ، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل . فرفضوه وانصرفوا عنه ونقضوا بيعته وتركوه ، فلم هذا سموا الرافضة من يومئذ ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية ، وغالب أهل الكوفة منهم رافضة ، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية ، وفي مذهبهم حق ، وهو تعديل الشيخين ، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليهما ، وليس على مقدما عليهما ، بل ولا عثمان على أصح قولي أهل السنة الثابتة ، والآثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة ، وقد ذكرنا ذلك في سيرة أبي بكر وعمر فيما تقدم . ثم إن زيدا عزم على الخروج بن يقي معه من أصحابه ، فواعدهم ليلة الأربعاء من مستهل صفر من هذه السنة ، فباع ذلك يوسف بن عمر ، فكتب إلى نائبه على الكوفة وهو الحكم بن الصلت يأمره بجمع الناس كلهم في المسجد الجامع ، فجمع الناس لذلك في يوم الثلاثاء سلع الحرم ، قبل خروج زيد بيوم ، وخرج زيد ليلة الأربعاء في برد شديد ، ورفع أصحابه النيران ، وجعلوا ينادون يا منصور يا منصور ، فلما طلع الفجر إذا قد اجتمع معه مائتان وثمانية عشر رجلاً ، فجعل زيد يقول : سبحان الله ! أين الناس ؟ قليل : هم في المسجد محصورون . وكتب الحكم إلى يوسف يعلمه بخروج زيد بن علي ، فبعث إليه سرية إلى الكوفة ، وركبت الجيوش مع نائب الكوفة ، وجاء يوسف بن عمر أيضاً في طائفة كبيرة من الناس ، فالتقى بمن معه جرثومة منهم فبين خمسمائة فارس ، ثم أتى الكنداسة فحل علي جمع من أهل الشام فوزمهم ، ثم اجتاز بيوسف بن عمر وهو واقف فوق تل ، وزيد في مائتي فارس ولو قصد يوسف بن عمر لقتله ، ولكن أخذ ذات اليمين ، وكلما لقي طائفة هزمهم ، وجعل أصحابه ينادون : يا أهل الكوفة اخرجوا إلى الدين والعز والدنيا ، فانكم لستم في دين ولا عز ولا دنيا ، ثم لما أسوا انضاف إليه جماعة من أهل الكوفة ، وقد قتل بعض أصحابه في أول يوم ، فلما كان اليوم الثاني اقتتل هو وطائفة من أهل الشام فقتل منهم سبعين رجلاً ، وانصرفوا عنه بشر حال ، وأمسوا فعباً يوسف بن عمر جيشه جدا ، ثم أصبحوا فالتقوا مع زيد فكشفهم حتى أخرجهم إلى السبخة ، ثم شد عليهم حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيله ورجله حتى أخذوا على الساء ، ثم اقتتلوا هناك قتالاً شديداً جداً ، حتى كان جنح الليل رمى زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى ، فوصل إلى دماغه ، فرجع ورجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا لأجل المساء والليل ، وأدخل زيد في دار في سكة البريد ، وجىء بطبيب فانتزع ذلك السهم من جبهته ، فما عدا أن انتزعه حتى مات من ساعته رحمه الله .

فاختلف أصحابه أين يدفنونه ، فقال بعضهم : ألبسوه درعه وألقوه في المساء ، وقال بعضهم :

احتزوا رأسه وأنزكوا جثته في القنلى ، فقال ابنه : لا والله لأتأكل كل أبي الكلاب . وقال بعضهم : ادفنوه في العباسية ، وقال بعضهم : ادفنوه في الحفرة التي يؤخذ منها الطين ، ففعلوا ذلك وأجروا على قبره الماء لتلا يعرف ، وانفعل أصحابه حيث لم يبق لهم رأس يقاتلون به ، فما أصبح الفجر ولهم قائمه ينهضون بها ، وتقبع يوسف بن عمر الجرحى هل يحمد زيدا بينهم ، وجاء مولى لزيد سندی قد شهد دفنه فدل على قبره فأخذ من قبره ، فأمر يوسف بن عمر بضربه على خشبة بالكناسة ، ومعه نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري ، وزياد النهدي ، ويقال إن زيدا مكث مصلوبا أربع سنين ، ثم أنزل بهد ذلك وأحرق فأنزل الله . وقد ذكر أبو جعفر ابن جرير الطبري أن يوسف بن عمر لم يعلم بشيء من ذلك حتى كتب له هشام بن عبد الملك : إني لك لفافل ، وإن زيد ابن علي غار ذنبه بالسكوفة يبايع له ، فألح في طلبه وأعطاه الأمان ، وإن لم يقبل فقاتله ، فمطلبه يوسف حتى كان من أمره ماتقدم ، فلما ظهر على قبره حز رأسه وبشه إلى هشام ، وقام من بعده الوليد ابن يزيد فأمر به فأنزل وحرق . في أيامه قبض الله الوليد بن يزيد . فأما ابنه يحيى بن زيد بن علي فاستجار بعبد الملك بن بشر بن مروان ، فبعث إليه يوسف بن عمر يهدده حتى ينفذ به ، فقال له عبد الملك ابن بشر : ما كنت لأؤوى مثل هذا الرجل وهو عدونا وابن عدونا . فصدقه يوسف بن عمر في ذلك ، ولما هدأ الطلب عنه سيره إلى خراسان فخرج يحيى بن زيد في جماعة من الزيدية إلى خراسان فأقاموا بها هذه المدة .

قال أبو مخنف : ولما قتل زيد خطب يوسف بن عمر أهل السكوفة فهددهم وتوعدهم وشتمهم وقال لهم فيما قال : والله لقد استأذنت أمير المؤمنين في قتل خلق منكم ، ولو أذن لي لقتلت مقاتلتكم وسبيت ذراريكم ، وما صعدت لهذا المنبر إلا لأسمحكم ما تكرهون .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة قتل عبد الله البطال في جماعة من المسلمين بأرض الروم ، ولم يزد ابن جرير على هذا ، وقد ذكر هذا الرجل الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير فقال :

عبد الله أبو يحيى المعروف بالبطال

كان ينزل إنطاكية ، حكى عنه أبو مروان الأنطاكي ، ثم روى بأسناده أن عبد الملك بن مروان حين عقد لابنه مسلمة على غزو بلاد الروم ، ولحقه رؤساء أهل الجزيرة والشام البطال ، وقال لابنه : سيره على طلائعك ، وأمره فليهبس بالليل المسكر ، فإنه أمين ثقة مقدم شجاع . وخرج معهم عبد الملك يشيهم إلى باب دمشق . قال : فقدم مسلمة البطال على عشرة آلاف يكونون بين يديه ترسا ، من الروم أن يصلوا إلى جيش المسلمين . قال محمد بن عائذ الدمشقي : ثنا الوليد بن مسلمة حدثني أبو مروان - شيخ من أهل إنطاكية - قال : كنت أغاوى مع البطال وقد أوطأ الروم دلا .

قال البطال فسألني بعض ولاة بنى أمية عن أعجب ما كان من أمرى فى مفازى فيهم ، فقلت له : خرجت فى سرية ليلا فدفعتنا إلى قرية فقلت لأصحابى : ارخوا لجم خيلكم ولا تحركوا أحداً بقتل ولا بشئ حتى تستمكنوا من القرية ومن سكانها ، ففعلوا وافترقوا فى أزقتها ، فدفعت فى أناس من أصحابى إلى بيت يزهر سراجة ، وإذا امرأة تسكت ابنها من بكائه ، وهى تقول له : لتسكتن أو لا تدفئك إلى البطال يذهب بك ، وانتشلت من سريريه وقالت : خذنى يا بطال ، قال : فأخذته .

وروى محمد بن عائد عن الوليد بن مسلم عن أبى مروان الأنطاكى عن البطال قال : انفردت مرة ليس معى أحد من الجند ، وقد سمحت خلفى بخلة فيها شمير ، ومعى منديل فيه خبز وشواء ، فبينما أنا أسير لعلى ألقى أحداً منفرداً ، أو أطلع على خبر ، إذا أنا ببستان فيه بقول حسنة ، فنزلت وأكلت من ذلك البقل بالخبز والشواء مع النقل ، فأخذنى إسهال عظيم قت منه مراراً ، فنفدت أن أضعف من كثرة الاسهال ، فركبت فرسى والاسهال مستمر على حاله ، وجعلت أخشى إن أنا نزلت عن فرسى أن أضعف عن الركوب ، وأفرط فى الاسهال فى السير حتى خشيت أن أسقط من الضعف ، فأخذت بعنان الفرس ونمت على وجهى لا أدرى أين يسير الفرس بى ، فلم أشعر إلا بقرع لئماله على بلاط ، فأرفع رأسى فإذا دهر ، وإذا قد خرج منه نسوة مصحبة امرأة حسناء جميلة جداً ، فجعلت تقول بلسانها : أنزلنى ، فأنزلتنى ففسلن عنى ثيابى وسرجى وفرسى ، ووضعننى على سرير وصلن لى طعاماً وشواباً فكشيت يوماً وليلة مستويا ، ثم أقمت بقية ثلاثة أيام حتى ترد إلى حالى ، فبينما أنا كذلك إذ أقبل البطريق وهو يريد أن يتزوجها ، فأمرت بفرسى فحول وعلق على الباب الذى أنا فيه ، وإذا هو بطريق كبير فيهم ، وهو إنما جاء لخطبتها ، فأخبره من كان هناك بأن هذا البيت فيه رجل وله فرس ، فبهجم على فتعته المرأة من ذلك ، وأرسلت تقول له : إن فنع عليه الباب لم أقض حاجته ، فثناه ذلك عن الهجوم على ، وأقام البطريق إلى آخر النهار فى ضيافتهم ، ثم ركب فرسه وركب معه أصحابه وانطلق . قال البطال : فتهضت فى أثرهم فهمت أن تمنعنى خوفاً على منهم فلم أقبل ، وسقت حتى لحقتهم ، فحملت عليه فافرج عنه أصحابه ، وأراد الفرار فأضرب عنقه واستابته وأخذت رأسه مسمطاً على فرسى ، ورجعت إلى الدبر ، فخرجن إلى وقفن بين يدى ، فقلت : اركبن ، فركبن ماهلاك من الدواب وسقت بهن حتى أتيت أمير الجيش فدفعتن إليه ، فنفلنى ماشئت منهن ، فأخذت تلك المرأة الحسناء بعينها ، فهى أم أولادى . والبطريق فى لغة الروم عبارة عن الأمير الكبير فيهم ، وكان أبوها بطريقاً كبيراً فيهم - يعنى تلك المرأة - وكان البطال بعد ذلك يكتب أباهاً ويهاديه .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما ولاة المصيصية بعث البطال سرية إلى أرض الروم ، فغاب عنه خبرها فلم يدرك ما صنعوا ، فركب بنفسه وحده على فرس له وسار حتى وصل عمورية ، فطرق بابها ليلا

فقال له البواب : من هذا ؟ قال البطال : فقلت أنا سياف الملك ورسوله إلى البطريق ، فأخذني طريقاً إليه ، فلما دخلت عليه إذا هو جالس على سرير فجلست معه على السرير إلى جانبه ، ثم قلت له : إني قد جئت في رسالة فلهؤلاء فليمنصرفوا ، فأمن من عنده فذهبوا ، قال : ثم قام فأغلق باب الكنيسة على وعليه ، ثم جاء لجلس مكانه ، فاخترطت سبني وضربت به رأسه صفحاً وقلت له : أنا البطال فأصدقني عن السرية التي أرسلتها إلى بلادك وإلا ضربت عنقك الساعة ، فأخبرني ما خبرها ، فقال : هم في بلاد يذهبون ما يهيم لهم ، وهذا كتاب قد جاءني يخبر أنهم في وادي كذا وكذا ، والله لقد صدقتك . فقلت : هات الأمان ، فأعطاني الأمان ، فقلت : إيتني بطعام ، فأمر أصحابه فحاضوا بطعام فوضع لي ، فأكلت ففجئت لأنصرف فقال لأصحابه : اخرجوا بين يدي رسول الملك ، فانطلقوا يتعادون بين يدي ، وانطلقت إلى ذلك الوادي الذي ذكر فإذا أصحابي هنالك ، فأخذتهم ورجعت إلى المصيبة . فهذا أغرب ماجرى

قال الوليد : وأخبرني بعض شيوخنا أنه رأى البطال وهو قافل من حجته ، وكان قد شغل بالجهاد من الحج ، وكان يسأل الله دائماً الحج ثم الشهادة ، فلم يتمكن من حجة الاسلام إلا في السنة التي استشهد فيها رحمه الله تعالى ، وكان سبب شهادته أن ليون ملك الروم خرج من القسطنطينية في مائة ألف فارس ، فبعث البطريق - الذي البطال متزوج بابنته التي ذكرنا أمرها - إلى البطال يخبره بذلك ، فأخبر البطال أمير عساكر المسلمين بذلك ، وكان الأمير مالك بن شبيب ، وقال له : المصلحة تقتضي أن نتحصن في مدينة حران ، فنكون بها حتى يقدم علينا سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، فأبى عليه ذلك ودهمهم الجيوش ، فاقبلوا قتالاً شديداً والأبطال يحوم بين يدي البطال ولا يتجاسر أحد أن ينوء باسمه خوفاً عليه من الروم ، فاتفق أن ناداه بعضهم وذكر اسمه غلظاً منه ، فلما سمع ذلك فرسان الروم حملوا عليه حملة واحدة ، فاقتلوه من سرجه برماحهم فألقوه إلى الأرض ، ورأى الناس يقتلون ويأسرون ، وقتل الأمير الكبير مالك بن شبيب ، وانكسر المسلمون وانطلقوا إلى تلك المدينة الخراب فتحصنوا فيها ، وأصبح اليون فوقف على مكان المعركة فإذا البطال بأخر رمق فقال له ليون : ماهذا يا أبا يحيى ؟ فقال : هكنا تقتل الأبطال ، فاستدعى ليون بالأطباء ليدأوه فإذا جراحه قد وصلت إلى مقاتله ، فقال له ليون : هل من حاجة يا أبا يحيى ؟ قال : نعم ، فأمر من ملك من المسلمين أن يلوا غسل والمصلاة على ودفي ، ففعل الملك ذلك وأطلق لأجل ذلك أولئك الأسارى ، وانطلق ليون إلى جيش المسلمين الذين تحصنوا فحاصرهم ، فبينما هم في تلك الشدة والحصار إذ جاءتهم البرد بقسوم سليمان بن هشام في الجيوش الاسلامية ، ففر ليون في جيشه الخبيث هارباً راجعاً إلى بلاده ، قبحه الله ، فدخل القسطنطينية وتحصن بها .

قال خليفة بن خياط : كانت وفاة البطال ومقتله بأرض الروم في سنة إحدى وعشرين ومائة ، وقال ابن جرير : في سنة ثنتين وعشرين ومائة ، وقال ابن خشان الزبدي : قتل في سنة ثلاث عشرة ومائة ، قيل وقد قاله غيره وإنه قتل هو والأمر عبد الوهاب بن بخت في سنة ثلاث عشرة ومائة كما ذكرنا ذلك فأنه أعلم ، ولكن ابن جرير لم يؤرخ وفاته إلا في هذه السنة فأنه أعلم .

قلت : فهذا المخلص ابن عساكر في ترجمة البطال مع تفصيله للاخبار واطلاعه عليها ، وأما ما يذكره المساماة عن البطال من السيرة المنسوبة إلى دلعة والبطال والأمر عبد الوهاب والقاضي عقبة ، فكذب وافتراء ووضع بارد ، وجهل وتخبط فاحش ، لا يروج ذلك إلا على غبي أو جاهل ردى . كما يروج عليهم سيرة عنتره العبسي المسكنة به ، وكذلك سيرة البكري والدنف وغير ذلك ، والكذب المقتل في سيرة البكري أشد إنما وأعظم جرما من غيرها ، لأن واضعها يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

أياس اللكبي

وهو أياس بن معاوية بن مرة بن أياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن دريد بن أوس بن سواه ابن عمرو بن سارية بن ثعلبة بن ذبيان بن ثعلبة بن أوس بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هكذا نسبته خليفة بن خياط ، وقيل غير ذلك في نسبه ، وهو أبو واظلة المزني قاضي البصرة ، وهو تابعي ولجده صحبة ، وكان يضرب المثل بذكائه ، وروى عن أبيه عن جده مرفوعا في الحياء عن أنس وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ونافع وأبي مجاز ، وعنه الحدادان وشعبة والأصمعي وغيرهم . قال عنه محمد بن سيرين : إنه لفهم إنه لفهم ، وقال محمد بن سعد والمجلى وابن معين والنسائي : ثقة . زاد ابن سعد وكان عاقلا من الرجال فطنا ، وزاد المجلى وكان قتيها عفيفا . وقدم دمشق في أيام عبد الملك بن مروان ، ووفد على عمر بن عبد العزيز ، ومرة أخرى حين عزله عدى بن أرطاة عن قضاء البصرة . قال أبو عبيدة وغيره : تحاكم أياس وهو صبي شاب وشيخ إلى قاضي عبد الملك بن مروان بدمشق ، فقال له القاضي : إنه شيخ وأنت شاب فلا تساو في الكلام ، فقال أياس : إن كان كبيرا فالحق أكبر منه ، فقال له القاضي : اسكت ، فقال : ومن يسلككم بحجتي إذا سكنت ؟ فقال القاضي : ما أحسبك تنطق بحق في مجلسي هذا حتى تقوم ، فقال أياس : أشهد أن لا إله إلا الله ، زاد غيره فقال القاضي : ما أظنك إلا ظالما له ، فقال : ما على ظن القاضي خرجت من منزلي . فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره خبره فقال : اقض حاجته وأخرجه الساعة من دمشق لا يفسد على الناس .

وقال بعضهم : لما عزله عدى بن أرطاة عن قضاء البصرة فرم منه إلى عمر بن عبد العزيز فوجده

قد مات ، فكان يجلس في حلقة في جامع دمشق ، فتكلم رجل من بنى أمية فرد عليه إياس ، فأغلق له الأموى مقام إياس ، فقيل للأموى : هذا إياس بن معاوية المزني ، فلما عاد من الغد اعتذره الأموى وقال : لم أعرفك ، وقد جلست إلينا بذياب السوق وكلتنا بكلام الاشراف فلم نحتمل ذلك .

وقال يعقوب بن سفيان : حدثنا نعيم بن حماد ثنا ضمرة عن أبي شاذب قال : كان يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل ، فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم . وقال العجلي : دخل على إياس ثلاث نسوة فلما رآهن قال : أما إحداهن فرضع ، والأخرى بكر ، والأخرى ثيب ، فقيل له : هم علمت هذا ؟ فقال : أما المرضع فكلمنا فعدت أمسكت ثمسها بيدها ، وأما البكر فكلمنا دخلت لم تلتفت إلى أحد ، وأما الثيب فكلمنا دخلت نظرت ورمت بعينها . وقال يونس بن صعلب (١) : ثنا الأخنف بن حكيم بأصبهان ثنا حماد بن سلمة سمعت إياس بن معاوية يقول : أعرف الليلة التي ولدت فيها ، وضعت أمي على رأسي جفنة . وقال المسداني قال إياس بن معاوية لأمه : ماثنى سمعته وأنت حامل بي وله جلبة شديدة ؟ قالت : ذاك طست من نحاس سقط من فوق الدار إلى أسفل ، وفزعتم فوضعتك تلك الساعة . وقال أبو بكر الخرائطي عن عمر بن شبة الخيري قال : بلغني أن إياساً قال : ما يسرني أن أكتب كذبة يطلع عليها أبي معاوية . وقال : ما خاصمت أحداً من أهل الاهواء بعقلي كله إلا القدرية ، قلت لم أخبروني عن الظالم ما هو ؟ قالوا : أخذ الانسان ماليس له ، قلت : فأن الله له كل شيء . قال بعضهم عن إياس قال : كنت في الكتاب وأنا صبي فجعل أولاد النصراري يضحكون من المسلمين ويقولون : إنهم يزعمون أنه لا فضلا لطعام أهل الجنة ، فقلت للفتية - وكان نصرانياً - : ألسن تزعم أن في الطعام ما ينصرف في غذاء البدن ؟ قال : بلى ، قلت فانيكر أن يجعل الله طعام أهل الجنة كله غذاء لأبدانهم ؟ فقال له معلمه : ما أنت إلا شيطان .

وهذا الذي قاله إياس وهو صغير بعقله قد ورد به الحديث الصحيح كما سنذكره إن شاء الله في أهل الجنة أن طعامهم ينصرف جشاء وعرقاً كما سألت ، فإذا البدان ضامر . وقال سفيان : وحين قدم إياس واسط فجاه ابن شهرة بمسائل قد أعدها ، فقال له : أتأذن لي أن أسألك ؟ قال : سل وقد ارتدت حين استأذنت ، فسأله عن سبعين مسألة يجيبه فيها ، ولم يخطئها إلا في أربع مسائل ، وده إياس إلى قوله ، ثم قال له إياس : أقرأ القرآن ؟ قال : نعم . قال أن حفظ قوله [اليوم أكملت لكم دينكم] ؟ قال : نعم . قال : وما قبلها وما بعدها ؟ قال : نعم . قال : فهل أبقت هذه الآية لآكل شهرة رباباً ؟ وقال عباس بن يحيى بن معين : حدثنا سعيد بن عامر بن عمر بن علي قال قال رجل لإياس ابن معاوية : يا أبا وائله حتى متى يبقى الناس ؟ وحتى متى يتوالد الناس ويموتون ؟ فقال جلسائه : أجيبوه فلم يكن عندهم جواب ، فقال إياس : حتى تنكحل المدن ، وعدة أهل الجنة ، وعدة أهل النار .

وقال بعضهم : أكثرى إياس بن معاوية من الشام قاصدا الحج ، فركب معه في الحارة غيلان القدرى ، ولا يعرف أحدهما صاحبه ، فبكنا ثلاثا لا يكلم أحدهما الآخر ، فلما كان بعد ثلاث تحادنا فتمارفا وتمجب كل واحد منهما من اجتماعه مع صاحبه ، لمباينة ما بينهما في الاعتقاد في القدر ، فقال له إياس : هؤلاء أهل الجنة يقولون حين يدخلون الجنة : [الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله] ويقول أهل النار [ربنا غلبت علينا شقوتنا] وتقول الملائكة [سبعاثك لا علم لنا إلا ما علمتنا] ثم ذكر له من أشعار العرب وأمثال العجم ما فيه إثبات القدر ثم اجتمع مرة أخرى إياس وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فنظر بينهما فقهره إياس ، ومازال يحصره في الكلام حتى اعترف غيلان بالعجز وأظهر التوبة ، فدعا عليه عمر بن عبد العزيز إن كان كاذبا ، فاستجاب الله منه فأمكن من غيلان فقتل وصلب بعد ذلك والله الحمد والمنة .

ومن كلام إياس الحسن : لأن يكون في فعال الرجل فضل عن مقاله خير من أن يكون في مقاله فضل عن فعاله . وقال سفيان بن حسين : ذكرت رجلا بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهه وقال : أغزوت الروم ؟ قلت : لا . قال : السند ، والهند والترك ؟ قلت : لا . قال : أفسلم منك الروم والسند والهند والترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ قال : فلم أعد بعدها . وقال الأصمعي عن أبيه : رأيت إياس بن معاوية في بيت ثابت البناني ، وإذا هو أحر طويل الذراع غليظ الثياب ، يلون عمامته ، وهو قد غاب على الكلام فلا يتكلم معه أحد إلا علاه ، وقد قال له بعضهم : ليس فيك هيب سوى كثرة كلامك ، فقال : بحق أتسكلم أم بباطل ؟ فقيل بل بحق ، فقال : كلما كثرت الحق فهو خير ، ولما به بعضهم في لباسه الثياب الفليضة فقال : إنما ألبس ثوبا يخدمنى ولا ألبس ثوبا أخدeme ، وقال الأصمعي قال إياس بن معاوية : إن أشرف خصال الرجل صدق اللسان ، ومن عدم فضيلة الصدق فقد نجح بأكرم أخلاقه . وقال بعضهم : سأل رجل إياسا عن النبذ فقال : هو حرام ، فقال الرجل : فأخبرنى عن الماء فقال : حلال ، قال : فالكسور ، قال : حلال ، قال فالتمر قال حلال ، قال فما باله إذا اجتمع حرم ؟ فقال إياس : أرايت لورميتك بهذه الحفنة من التراب أتوجعك ؟ قال : لا ، قال : فهذه الحفنة من التبن ؟ قال لا توجعنى ، قال : فهذه الغرفة من الماء ؟ قال لا توجعنى شيئا ، قال : أفرأيت إن خلطت هذا بهذا وهذا بهذا حتى صار طينا ثم تركته حتى استحجر ثم رميتك أبو جعك ؟ قال : إى والله وتقتلنى ، قال : فمكذلك تلك الأشياء إذا اجتمعت . وقال المدائنى : بعث عمر بن عبد العزيز عدى ابن أرملة على البصرة نائبا وأمره أن يجمع بين إياس والقاسم بن ربيعة الجوشنى ، فأيهما كان أفتة فليوله القضاء ، فقال إياس وهو يريد أن لا يتولى : أيها الرجل سل فقيهى البصرة ، الحسن وابن سيرين ، وكان إياس لا يأتيهما ، فعرف القاسم أنه إن سألهما أشارا به - يعنى بالقاسم - لأنه كان

يأتيهما ، فقال القاسم لعدى : والله الذى لا إله إلا هو إن إياساً أفضل منى وأقبح منى ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت صادقاً فوله ، وإن كنت كاذباً فما ينبغي أن تولى كاذباً القضاء . فقال إياس : هذا رجل أوقف على شفير جهنم فافتدى منها يمين كاذبة يستغفر الله ، فقال عدى : أما إذ فطنت إلى هذا فقد وليتكَ القضاء . فكث سنة يفصل بين الناس ويصلح بينهم ، وإذا تبين له الحق حكم به ، ثم هرب إلى عمر بن عبد العزيز بدمشق فاستغفاه القضاء ، فولى عدى بعده الحسن البصرى .

قالوا : لما تولى إياس القضاء بالبصرة فرح به العلماء حتى قال أبوب : لقد رموها بحجرها ، وجاءه الحسن وابن سيرين فسما عليه ، فيكى إياس وذكر الحديث « القضاة ثلاثة ، قاضيان فى النار وواحد فى الجنة » .. فقال الحسن [داود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث] إلى قوله [وكلا آتينا حكما علما] قالوا : ثم جالس للناس فى المسجد واجتمع عليه الناس لاختصومات ، فقام حتى فصل سبعين قضية ، حتى كان يشبه بشرح القاضى . وروى أنه كان إذا أشكل عليه شئ بعث إلى محمد بن سيرين فسأله منه . وقال إياس : إني لأكلم الناس بنصف عقلى ، فإذا اختصم إلى اثنين جئت لهما فقللى كله . وقال له رجل : إنك لتعجب برأيك ، فقال : لو لا ذلك لم أقض به ، وقال له آخر : إن فيك خصالاً لا تعجبني ، فقال : ما هي ؟ فقال : تحكم قبل أن تفهم ، ولا تجالس كل أحد ، وتلبس الثياب الغليظة . فقال له : أيها أكثر الثلاثة أو الاثنين ؟ قال : الثلاثة . فقال : ما أسرع ما فهمت وأجبت ، فقال أو يجهل هذا أحد ؟ فقال : وكذلك ما أحكم أنا به ، وأما مجالستي لكل أحد فلا أنجلس مع من يعرف لى قنبرى أحب إلى من أن أجلس مع من لا يعرف لى قبرى ، وأما الثياب الغليظة فأنا ألبس منها ما يقينى لا ما أقيه أنا . قالوا ، وتعاكم إليه اثنان فادعى أحدهما عند الآخر مالا ، وجعله الآخر ، فقال إياس للودع : أين أودعته ؟ قال : عند شجرة فى بستان . فقال : انطلق إليها فقف عندها لعلك تذكر ، وفى رواية أنه قال له : هل تستطيع أن تدعب إليها فتأتى بورق منها ؟ قال : نعم ! قال فانطلق ، وجلس الآخر فجعل إياس يحكم بين الناس ويلاحظه ، ثم استدعاه فقال له : أوصل صاحبك بعد إلى المسكن ؟ فقال : لا بعد أصلحك الله . فقال له : قم يا عدو الله فأد إليه حقه ، وإلا جملتك نكالا . وجاء ذلك الرجل فقام معه فدفع إليه وديعته بكالها . وجاء آخر فقال له : إني أودعت عند فلان مالا وقد جمعدنى ، فقال له : اذهب الآن واتقنى غدا ، وبعث من فوره إلى ذلك الرجل الجاحد فقال له : إنه قد اجتمع عندنا ههنا مال فلم نرله آمينا فضمه عنده إلا أنت ، فضمه عندك فى مكان حر يز . فقال له ممما وطاعة ، فقال له اذهب الآن واتقنى غدا ، وأصبح ذلك الرجل صاحب الحق فجاء فقال له : اذهب الآن إليه فقل له اعطنى حقي وإلا رفتهك إلى القاضى ، فقال له ذلك غفاف أن لا يودع إذا سمع الحاكم خبره ، فدفع إليه ماله بكالها ، فجاء إلى

إياس فأعلمه ، ثم جاء ذلك الرجل من الغد رجاء أن يودع فائزته إياس وطرده وقال له : أنت خائن .
وتهاكم إليه إثنان في جارية قاذي المشتري أنها ضعيفة العقل ، فقال لها إياس : أى رجل بك أطول ؟
فقلت : هذه ، فقال لها : أتدكرين ليلة ولدت ؟ فقلت نعم . فقال لها : فأتدكرين ذلك ؟
وروى ابن خلدون أن إياس سمع صوت امرأة من بيتها فقال : هذه امرأة حامل يصبي ، فلما
ولدت ولدت كما قال ، فسلل بم عرفت ذلك ؟ قال : سمعت صوتها ونفسها معه فعلمت أنها حامل ، وفي
صوتها ضحك فعلمت أنه غلام . قالوا ثم مر يوماً ببعض المسكاتب فإذا صبي هنالك فقال : إن كنت
أدرى شيئاً فهذا الصبي ابن تلك المرأة ، فإذا هو ابنها . وقال مالك عن الزهري عن أبي بكر قال شهد
رجل عند إياس فيقال له : ما اسمك ؟ فقال أبو العنفر فلم يقبل شهادته . وقال الثوري عن الأعمش :
دعوني إلى إياس فإذا رجلاً كلياً فرغ من حديث أخذ في آخر . وقال إياس : كل رجل لا يعرف عيب
نفسه فهو أحمق ، فقل له : ما عيبك ؟ فقال كثرة الكلام . قالوا : ولما ماتت أمه بكى عليها فقل له
في ذلك فقال : كان لي أبان ، فتوجهنا إلى الجنة ففلق أحدهما . وقال له أبوه : إن الناس يلدون أبناء
وولدت أنا أباً . وكان أصحابه يجاسون حوله ويكتبون عنه الفراسة ، فبينما هم حوله جلوس إذ نظر إلى
رجل قد جاء فحس على دكة حانوت ، وجعل كلما مر أحد ينظر إليه ، ثم قام فنظر في وجه رجل ثم
عاد ، فقال لأصحابه : هذا فقيه كتاب قد أبق له غلام أعود وفو يتطلبه ، فقاموا إلى ذلك الرجل
فسألوه فوجدوه كما قال إياس ، فقالوا لإياس : من أين عرفت ذلك ؟ فقال : لما جلست على دكة الحانوت
علمت أنه ذو ولاية ، ثم نظرت فإذا هو لا يصلح إلا لفقهاء المكتب ، ثم جعل ينظر إلى كل من مر به
فرفت أنه قد فقد غلاماً ، ثم لما قام فنظر إلى وجه ذلك الرجل من الجانب الآخر ، عرفت أن
غلامه أعور . وقد أورد ابن خلكان أشياء كثيرة في ترجمته ، من ذلك أنه شهد عنده رجل في
بستان فقال له : كم عدد أشجاره ؟ فقال له : كم عدد جذوع هذا المجلس الذي أنت فيه من مدة
سنتين ؟ فقلت : لا أدرى وأقررت شهادته .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرين ومائة

ذكر المدائني عن شيوخه أن خاقان ملك الترك لما قتل في ولاية أسد بن عبد الله القسري على
خراسان ، تفرق شمل الأتراك ، وجعل بعضهم يغير على بعض ، وبعضهم يقتل بعضاً ، حتى كادت
أن تحرب بلادهم ، واشتغلوا عن المسلمين . وفيها سأل أهل الصفد من أمير خراسان نصر بن سيار
أن يردمهم إلى بلادهم ، وسألوه شروطاً أنكرها العلماء ، منها أن لا يعاقب بمن ارتبه منهم عن الإسلام ،
ولا يؤخذ أسير المسلمين منهم ، وغير ذلك ، فأراد أن يوافقهم على ذلك لشدة نكايتهم في المسلمين ،
فغاب عليه الناس ذلك ، فكتب إلى هشام في ذلك فتوقف ، ثم لما رأى أن هؤلاء إذا استمروا على

ممانعتهم للمسلمين كان ضررهم أشد ، أجابهم إلى ذلك ، وقد بعث يوسف بن عمر أمير العراق وفدا إلى أمير المؤمنين يسأل منه أن يضم إليه نيابة خراسان ، وتكلموا في نصر بن سيار بأنه وإن كان شهما شجاعا ، إلا أنه قد كبر وضعف بصره فلا يعرف الرجل إلا من قريب بصوته ، وتكلموا فيه كلاما كثيرا ، فلم يلتفت إلى ذلك هشام ، واستمر به على إمرة خراسان ولايتها . قال ابن جرير : وحجج بالناس فيها يزيد بن هشام بن عبد الملك ، والعمال فيها من تقدم ذكرهم في التي قبلها . وتوفي في هذه السنة ربعة بن يزيد القصير من أهل دمشق ، وأبو يونس سليمان بن جبير ، وسمك بن حرب ، ومحمد ابن واسع بن حيان ، وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل والله الحمد

[قال محمد بن واسع : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وقال : خمس خصال تميز القلب : الذنب على الذنب ، ومجالسة الموتى ، قيل له : ومن الموتى ؟ قال : كل غنى متوفى ، وسultan جائر . وكثرة مشافة النساء ، وحديثهن ، ومخالطة أهله . وقال مالك بن دينار : إنى لأعبط الرجل يكون عيشه كغافا فيقنع به . فقال محمد بن واسع : أعبط منه والله عندي من يصبح جائعا وهو عن الله راض . وقال : ما آسى عن الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا عوججت قومه ، وصلاة في جماعة يحمل صحاب سبها وأقوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحد فيه منة ، ولا لله على فيه تبة . وروى رواد بن الربيع قال : رأيت محمد بن واسع يسوق بزور وهو يعرض حمارا له للبيع ، فقال له رجل : أنترضة لى ؟ فقال لو رضيته لم أبعه .

ولما ثقل محمد بن واسع كثر عليه الناس في العيادة ، قال بعض أصحابه : فدخلت عليه فاذا قوم يعمود وقوم قيام ، فقال : ماذا يغنى هؤلاء عني إذا أخذ بناصيتي وقدمي غدا وألقت في النار ؟ وبعث به بعض الخلفاء مالا مستكبرا إلى البصرة ليفرق في فقراء أهلها ، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع منه فلم يقبله ولم يلتبس منه شيئا ، وأما مالك بن دينار فانه قبل ما أمر له به ، واشترى به أرقاء وأعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئا ، فجاءه محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان . فقال له : يا مالك قبات جوائز السلطان ؟ فقال له مالك : يا أبا عبد الله أسل أصحابي ماذا فعلت منه ، فقالوا له : إنه اشترى به أرقاء وأعتقهم ، فقال له : سألتك بالله أقبلك الآن لهم مثل ما كان قبل أن يسلوك . فقام مالك وحشى على رأسه التراب وقال : إنما يعرف الله محمد بن واسع ، إنما مالك حمار إنما مالك حمار ، وكلام محمد بن واسع كثير جدا رحمه الله [(١)

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

فيها غزا سليمان بن هشام بن عبد الملك بلاد الروم فلقى ملك الروم سقانة مسلم سديان وغنم .

وفيهما قدم جماعة من دعاة بني العباس من بلاد خراسان قاصدين إلى مكة فروا بالكوفة فبلغهم أن في السجن جماعة من الأمراء من نواب خالد القسري ، قد حبسهم يوسف بن عمر ، فاجتمعوا بهم في السجن فدعواهم إلى البيعة لبني العباس ، وإذا عندهم من ذلك جانب كبير ، فقبلوا منهم ووجدوا عندهم في السجن أبا مسلم الخراساني ، وهو إذ ذاك غلام يخدم عيسى بن مقبل العجلي ، وكان محبوبا فأنعج بهم شهادته وقوته واستجابته مع مولاه إلى هذا الأمر ، فاشترى بكر بن ماهان منه بأربعمائة درهم وخرجوا به معهم فاستندبوه لهذا الأمر ، فكانوا لا يوجهونه إلى مكان إلا ذهب وتنتج ما يوجهونه إليه ، ثم كان من أمره ما سنذكره إن شاء الله تعالى فيما بعد . قال الواقدي : ومات في هذه السنة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وهو الذي يدعو إليه دعاة بني العباس ، فقام مقامه ولده أبو العباس السفاح ، والصحيح أنه إنما توفي في التي بعدها . قال الواقدي وأبو معشر : وحج بالناس فيها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ومعه امرأته أم مسلم بن هشام بن عبد الملك ، وقيل إنما حج بالناس محمد بن هشام بن إسماعيل قاله الواقدي ، والأول ذكره ابن جرير والله أعلم . وكان نائب الحجاز محمد بن هشام بن إسماعيل يقف على باب أم مسلم ويهدي إليها الأَطاف والتحف ويعتذر إليها من التقصير ، وهي لا تلتفت إلى ذلك ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي :

القاسم بن أبي بزة (١)

أبو عبد الله المسكني القاري ، مولى عبد الله بن السائب ، تابعي جليل ، روى عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، وعنه جماعة ، ووثقه الأئمة . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وقيل بعدها بسنة ، وقيل سنة أربع عشرة ، وقيل سنة خمس عشرة والله أعلم

الزهرى

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو بكر القرشي الزهرى أحد الأعلام من أئمة الاسلام ، تابعي جليل ، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم . روى الحافظ ابن عساكر عن الزهرى قال : أصاب أهل المدينة جهد شديد فارتحلت إلى دمشق ، وكان عندي عيال كثيرة ، فبحثت جامعا فجلست في أعظم حلقة ، فإذا رجل قد خرج من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، فقال : إنه قد نزل بأمر المؤمنين مسألة - وكان قد سمع من سعيد بن المسيب فيها شيئا وقد شد عنه في أمهات الأولاد برويه عن عمر بن الخطاب - قلت : إني أحفظ عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، : فأخذني فأدخلني على عبد الملك : فسألني من أنت ؟ فانتسبت له ، وذكر له حاجتي وعيالي ، فسألني هل تحفظ القرآن ؟ قلت : نعم والفرائض والسنن ،

(١) في نسخة التسطنطيلية : القاسم بن أبي يسرة . وفي المصرية : القاسم بن مرة .

فسألني عن ذلك كله فأجبته ، فقضى ديني وأمر لي بجائزة ، وقال لي : اطلب العلم فاني أرى لك عينا حافظة وقلبا ذكيا ، قال : فرجعت إلى المدينة أطلب العلم وأتبعه ، فبلغني أن امرأة بقاء رأت رؤيا عجيبية ، فأتيتها فسألتها عن ذلك ، فقالت : إن بدلي غلب وترك لنا خادما وداجنا ونخيلات ، نشرب من لبنها ، ونأكل من تمرها ، فبينما أنا بين النائمة واليقظ رأيت كأن ابني الكبير - وكان مشتدا - قد أقبل فأخذ الشفرة فذبح ولد الداجن ، وقال : إن هذا يضيق علينا الابن ، ثم نصب القدر وقطعها ووضعها فيه ، ثم أخذ الشفرة فذبح بها أخاه ، وأخوه صغير كما قد جاء ، ثم استيقظت مذعورة ، فدخل ولدى الكبير فقال : أين الابن ؟ فقلت : يا بني شر به ولد الداجن ، فقال : إنه قد ضيق علينا الابن ، ثم أخذ الشفرة فذبحه وقطعه في القدر ، فبقيت مشقة خائفة مما رأيت ، فأخذت ولدى الصغير فبقيته في بعض بيوت الجيران ، ثم أقبلت إلى المنزل وأنا مشقة جدا مما رأيت ، فأخذتني عيني فتمت فرأيت في المنام قائلا يقول : مالك مفتمة ؟ فقلت : إني رأيت مناما فأنا أحذر منه فقال : يا رؤيا يا رؤيا ، فأقبلت امرأة حسناء جميلة ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ قالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال يا أحلام يا أحلام ، فأقبلت امرأة دونها في الحسن والجمال ، فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت : ما أردت إلا خيرا ، ثم قال : يا أضفأ يا أضفأ ، فأقبلت امرأة سوداء شليمة فقال : ما أردت إلى هذه المرأة الصالحة ؟ فقالت إنها امرأة صالحة فأحببت أن أعطيها ساعة ، ثم استيقظت فجاء ابني فوضع الطعام وقال : أين أخي ؟ فقلت : درج إلى بيوت الجيران ، فذهب وراه فكأنما هدى إليه ، فأقبل به يقبله ، ثم جاء فوضعه وجلسنا جميعا فأكلنا من ذلك الطعام

ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين في آخر خلافة معاوية ، وكان قصيرا قليل اللحية ، له شعرات طوال خفيف العارضين . قالوا : وقد قرأ القرآن في نحو من ثمان وثمانين يوما ، وجالس سميد بن المسيب ثمان سنين ، تمس ركبته ركبته ، وكان يخضع عبيد الله بن عبد الله يستسقي له الماء المالح ، ويأوي ور على مشايخ الحديث ، ومنه ألواح يكتب عنهم فيها الحديث ، ويكتب عنهم كل ما سمع منهم ، حتى صار من أعلم الناس وأعلمهم في زمانه ، وقد احتاج أهل عصره إليه .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن الزهري قال : كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأشراف ، فرأينا أن لا نمنحه أحدا من المسلمين . وقال أبو إسحاق : كان الزهري يرجع من عند هريرة فيقول لجليلة عنده فيها الكنة : فإمرؤة ثنا فلان ، ويسرد عليها ما سمعه منه ، فتقول له الجليلة : والله ما أدرى ما تقول ، فيقول لها : اسكتي اسكتي ، فاني لا أريدك ، إنما أريد نفسي . ثم وفد على عبيد الملك بدمشق كما تقدم فأكرمه وقضى دينه وفرض له في بيت المال ، ثم كان يمد من أصحابه وجلسائه ، ثم كان كذلك عند أولاده من بعده ، الوليد وسليمان ، ولكنها عند عمر

ابن عبد العزيز ، وعند يزيد بن عبد الملك ، واستقضاه يزيد مع سليمان بن حبيب ، ثم كان حظيا عند هشام ، وحج معه وجمعه معلم أولاده إلى أن توفي في هذه السنة ، قبل هشام بسنة . وقال ابن وهب : سمعت الليث يقول : قال ابن شهاب : ما استودعت قلبي شيئا قط فأنسيته ، قال : وكان يكره أكل التناضح وسور الفأرة ، ويقول : إنه يذيق ، وكان يشرب العسل ويقول إنه يذكي ، وفيه يقول فايد بن أفرم .

زرذا وأثر على الكريم محمد * واذا كر فواضله على الأصحاب

وإذا يقال من الجواد بالله * قيل الجواد محمد بن شهاب

أهل المدائن يعرفون مكانه * وربيع نادية على الأعراب

يشوي وفاء جفانه ويمدها * بكسور انتاج ومثق لباب

وقال ابن مهدي : سمعت مالكا يقول : حدث الزهري يوما بحديث فلما قام أخذت بلجام دابته فاستفهمته فقال : أتستفهمني ؟ ما استفهمت عالما قط ، ولا رددت علي عالم قط ، ثم جعل ابن مهدي يقول فتلك الطوال وتلك المغازي .

وروى يعقوب بن سفيان عن هشام بن خالد السلمي عن الوليد بن مسلم عن سميد - يعني ابن عبد العزيز - أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يكتب لبلبه شيئا من حديثه ، فأملى على كتابه أربع مائة حديث ثم خرج على أهل الحديث فحدثهم بها ، ثم إن هشاما قال للزهري : إن ذلك الكتاب ضائع ، فقال : لا عليك ، فأملى عليهم تلك الأحاديث فأخرج هشام الكتاب الأول فإذا هو لم يبق حرفا واحدا ، وإنما أراد هشام امتحان حفظه . وقال عمر بن عبد العزيز : ما رأيت أحدا أحسن سوقا للحديث إذا حدث من الزهري . وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار : ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري ، ولا أهون من الدينار والدرهم عشقه ، وما أدرهم والدناير عند الزهري إلا بمنزلة البعر . قال عمرو بن دينار : ولقد جالست جارا وابن عباس وابن عمر وابن الزبير فمأرت أحدا أسبق للحديث من الزهري .

وقال الامام أحمد : أحسن الناس حديثا وأجودهم إسنادا الزهري ، وقال النسائي : أحسن الأسانيد الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن رسول الله ص . وقال سميد عن الزهري : مكثت حسا وأربعين سنة أختلف من الحجاز إلى الشام ، ومن الشام إلى الحجاز ، فما كنت أسمع حديثا أشطره . وقال الليث : ما رأيت عالما قط أجمع من إبراهيم شهاب ، ولو سمعته يحدث في الغريب والترهيب لقلت : ما يحسن غير هذا ، وإن حدث عن الأئمة لم أقبل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأعراب والأناس قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه بدعا جامعا ، وكان يقول : اللهم إني أسألك من كل خير أحاط به عليك

وأعوف بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة . قال الليث : وكان الزهري أسخى من رأيت ، يعطى كل من جاء وسأله ، حتى إذا لم يبق عنده شيء استسلف . وكان يطعم الناس التريد ويسقيهم العسل ، وكان يستمر على شراب العسل كما يستمر أهل الشراب على شربهم ، ويقول استقونا وحدثونا ، فإذا نعن أحدهم يقول له : ما أنت من سهار قریش ، وكانت له قبة معصرة ، وعليه ملحفة معصرة ، وتحته بساط معصر ، وقال الليث قال يحيى بن سعيد : ما بقى عند أحد من العلم ما بقى عند ابن شهاب .

وقال عبد الرزاق : أنبأ معمر قال قال عمر بن عبد العزيز : عليكم بأبن شهاب فإنه ما بقى أحد أعلم بسنة ماضية منه ، وكذا قال مكحول . وقال أيوب : ما رأيت أحداً أعلم من الزهري ، قيل له : ولا الحسن ؟ فقال : ما رأيت أعلم من الزهري ، وقيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : الزهري ، قيل : ثم من قال الزهري ، قيل ثم من ؟ قال الزهري . وقال مالك : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحداً حتى يخرج . وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة : محدثو أهل الحجاز ثلاثة ، الزهري ويحيى بن سعيد وابن جريج . وقال علي بن المديني : الذين أفتوا أربعة ، الزهري ، والحكم ، وحماد وقتادة ، والزهري أفقههم عندي . وقال الزهري : ثلاثة إذا كن في القاضى فليس بقاض ، إذا كره الملام وأحب الحمد ، وكره العزل . وقال أحمد بن صالح : كان يقال فصحاء زمانهم الزهري وعمر بن عبد العزيز وموسى بن طلحة وعبيد الله ، رحمهم الله . وقال مالك عن الزهري : أنه قال : إن هذا العلم الذي أدب الله به رسول الله (ص) ، وأدب رسول الله به أمته أمانة الله إلى ربه ليوذبه على ما أدى إليه ، فمن سمع علماً فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل .

وقال محمد بن الحسين عن يونس عن الزهري قال : الاختصاص بالسياسة نجاة ، وقال الوليد عن الأوزاعي عن الزهري قال : أمروا أحاديث رسول الله (ص) ، كما جاءت . وقال محمد بن إسحاق عن الزهري : إن من غوائل العلم أن يترك العالم حتى يذهب علمه ، وفي رواية أن يترك العالم العمل بالعلم حتى يذهب ، فارت من غوائله قلة انتفاع العالم بعلمه ، ومن غوائله اللسيان والكذب ، وهو أشد الغوائل . وقال أبو زرعة عن نعيم بن حماد عن محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال : القراءة على العالم والسماع عليه سواء إن شاء الله تعالى .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه حظ ونصيب ، وقد قضى عنه هشام مرة ثمانين ألف درهم ، وفي رواية سبعة عشر ألفاً ، وفي رواية عشرين ألفاً . وقال الشافعي : عتب رجاء بن حيوة على الزهري في الاسراف وكان يستدين ، فقال له : لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم ما بأيديهم عنك فتكون قد حملت على أمانيك ، قال : فوعده الزهري أن يقصر ،

فر به بعد ذلك وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل ، فوقف به رجاء وقال : يا أبا بكر ما هذا بالذي
فارتقنا عليه ، فقال له الزهري : أنزل فإن السخى لا تؤدبه التجارب . وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى
له سحائب جود في أنامله * أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول في السير إن أسرت ثانية * أقصرت عن بعض ما أعطى وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له * رأيت أمواله في الناس تنهب

وقال الواقدي : ولد الزهري سنة ثمان وخمسين ، وقدم في سنة أربع وعشرين ومائة إلى أمواله
بثلاث بشعب زيدا ، فأقام بها فرض هناك ومات وأوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، وكانت وفاته
لسبع عشرة من رمضان في هذه السنة ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، قالوا : ولكن ثقة كثير الحديث
والعلم والرواية ، فيها جامعا ، وقال الحسين بن المتوكل العسقلاني : رأيت قبر الزهري بشعب زبنا
من فلسطين مسما بمجصصا ، وقد وقف الأوزاعي يوما على قبره فقال : يا قبر كم فيك من علم ومن حلم
* يا قبر كم فيك من علم ومن كرم * وكجمعت روايات وأحكاما . وقال الزبير بن بكار : توفي الزهري
بأمواله بشعب ثنين ، ليلة الثلاثاء لسبع عشر ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، عن
ثنتين وسبعين سنة ، ودفن على قارعة الطريق ليدعوه له المارة ، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وعشرين
ومائة ، وقال أبو معشر : سنة خمس وعشرين ومائة ، والصحيح الأول والله أعلم .

قصص الزهري

وروى الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال : أخبرني صالح بن
كيسان قال : اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم فقلنا : نحن نكتب السنن ، فكتبنا ما جاء
عن النبي (ص) ، ثم قال لي : هلم فلنكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ، فقلت : إنه ليس بسنة فلا
نكتب ، قال : فكتب ما جاء عنهم ولم أكتب ، فأفجع وضيعت . وروى الامام أحمد عن معمر
قال : كنا نرى أنما قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد ، فاذا الدقار قد حملت على الدواب من
خزائنه يقول : من علم الزهري . وروى عن الليث بن سعد قال : وضع العلي بن عبد الله
شهاب فتذكر حديثا فلم يزل يده في العلي حتى طلع الفجر وصحبه . وروى أصبغ بن الفرغ عن
ابن وهب عن يونس عن الزهري قال : هلم واد فاذا هبطت واديه فمليك بالنوذة حتى يخرج منه ،
فانك لا تقطعه حتى يقطع بك .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى تفلح حدثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن بن
زبالة عن مالك بن أنس عن الزهري قال : خدمت حميد الله بن عتبة ، حتى أن كان خادما ليخرج
فيقول : من الباب ؟ فنقول الجارية : فلامك الأعبس ، فنظن أني غلامه ، وإن كنت لأخدمه

حتى أَسْقَى له وضوءه . وروى عبد الله بن أحمد عن محمد بن عباد عن الثوري عن مالك بن أنس
أراه عن الزهري . قال : تيمت سعيد بن المسيب ثلاثة أيام في طلب حديث . وروى الأوزاعي عن
الزهري قال : كنا غاي العالم فما نتلم من أدبه أحب إلينا من علمه . وقال سفيان : كان الزهري يقول
حدثني فلان ، وكان من أوعية العلم ، ولا يقول كان علما . وقال مالك : أول من دون العلم ابن شهاب .
وقال أبو المليح : كان هشام هو الذي أكره الزهري على كتابة الحديث ، فكان الناس يكتبون بمد
ذلك . وقال رشيد بن سعد قال الزهري : العلم خزانة وتفتحها المسائل . وقال الزهري : كان يصطاد
العلم بالمسألة كما يصاد الوحش . وكان ابن شهاب ينزل بالأعراب يعلمهم ثلاثين من العلم ، وقال : إنما
ينهب العلم للفسيان وترك المذاكرة . وقال : إن هذا العلم إن أخذه بالكتابة غلبك ولم تظفر منه
بشيء ، ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذاً رقيقاً تظفر به . وقال : ما أحدث الناس مروءة أعجب إلى
من الفصاحة . وقال : العلم ذكر لا يجبه إلا الذكور من الرجال ويكرهه مؤنثهم . وروى الزهري عن أبي
حازم وهو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالي أرى أحاديث ليس لها خطم ولا أُرمة ؟ . وقال :
ما عبد الله بشيء أفضل من العلم .

وقال ابن مسلم أبي عاصم : حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم عن القاسم بن هزان أنه سمع الزهري
يقول : لا يوثق الناس علم عالم لا يعمل به ، ولا يؤمن بقول عالم لا يرضى . وقال ضمرة عن يونس عن
الزهري قال : إياك وغلول الكتب ، قلت : وما غلولها ؟ قال : حبسها عن أهلها . وروى الشافعي عن
الزهري قال : حضور المجلس بلا نسخة ذل . وروى الأصمعي عن مالك بن أنس عن ابن شهاب
قال : جلست إلى ثعلبة بن أبي معين فقال : أراك تحب العلم ؟ قلت : نعم ! قال : فعليك بذلك
الشيخ - يعني سعيد بن المسيب - قال : فلزمت سعيداً سبع سنين ثم تحولت عنه إلى عروة فخرجت
بمسح بجره . وقال الليث : قال ابن شهاب : ما صبر أحد على العلم صبري ، وما نشره أحد قط نشرى ،
فأما عروة بن الزبير فيشر لا تذكره الدلاء ، وأما ابن المسيب فانتصب للناس فذهب اسمه كل مذهب .
وقال مكى بن عبدان : حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله الأوسى حدثنا مالك بن أنس أن
ابن شهاب سأله بعض بني أمية عن سعيد بن المسيب فذكر علمه بخير وأخبره بحاله ، فبلغ ذلك
سعيداً فلما قدم ابن شهاب المدينة جاء فعلم على سعيد فلم يرد عليه ولم يكلمه ، فلما انصرف سعيد
مشى الزهري معه فقال : مالي سلت عليك فلم تكلمني ؟ ماذا بلغك عنى وما قلت إلا خيراً ؟ قال
له : ذكرتني لبني مروان ؟ . وقال أبو حاتم : حدثنا مكى بن عبدان حدثنا محمد بن يحيى حدثني عطاء
ابن خالد الخزومي عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن ابن شهاب قال : أصاب أهل
المدينة حاجة زمان فتنة عبيد الملك بن مروان ، فعمت أهل البلد ، وقد خيل إلى أنه قد أصابنا أهل

البيت من ذلك مالم يصب أحداً من أهل البلد ، وذلك لخبرني بأهلي ، فتذكرت : هل من أحيد
أنت إليه برحم أو مودة أرجو أن خرجت إليه أن أصيب عنده ؟ قلت : قد علمت من أحد أخرجه
إليه ، ثم قلت : إن الرزق بيد الله عز وجل ، ثم خرجت حتى قدمت دمشق فوضعت رجلي ثم أتيت
المسجد فنظرت إلى أعظم حلقة رأيتها وأكبرها فجلست فيها ، فبينما نحن على ذلك إذ خرج رجل
من عند أمير المؤمنين عبد الملك ، كأجبه الرجال وأجملهم وأحسنهم هيئة ، فجاء إلى المجلس الذي
أنا فيه فتحدثوا له - أي أوسموا - فجلس فقال : لقد جاء أمير المؤمنين اليوم كتاب ما جاء مثله
منذ استخلفه الله ، قالوا : ما هو ؟ قال : كتب إليه عامله على المدينة هشام بن إسماعيل يذكر أن ابنا
لمصعب بن الزبير من أم ولد مات ، فأرادت أمه أن تأخذ ميراثاً منه فذهب عروة بن الزبير ، وزعم
أنه لا ميراث لها ، فنوهم أمير المؤمنين حديثاً في ذلك سمعه من سعيد بن المسيب يذكر عن أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب في أمهات الأولاد ، ولا يحفظه إلا الآن ، وقد شد عنه ذلك الحديث . قال ابن شهاب
فقلت : أنا أحدثه به ، فقام إلى قبيصة حتى أخذ بيدي ثم خرج حتى دخل الدار على عبد الملك فقال
السلام عليك ، فقال له عبد الملك بحينا : وعليك السلام . فقال قبيصة : أندخل ؟ فقال عبد الملك
ادخل ، فدخل قبيصة على عبد الملك وهو أخذ بيدي وقال : هذا يا أمير المؤمنين بمحدثك بالحديث
الذي سمعته من ابن المسيب في أمهات الأولاد . فقال عبد الملك : إيه ، قال الزهري فقلت : سمعت
سعيد بن المسيب يذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بأمهات الأولاد أن يوقن في أموال
أبنائهم بقيمة عدل ثم يمتن ، فكتب عمر بذلك صدرأ من خلافته ، ثم توفي رجل من قريش كان له
ابن من أم ولد ، وقد كان عمر يعجب بذلك الغلام ، فرآ ذلك الغلام على عمر في المسجد بعد وفاة أبيه
بليال ، فقال له عمر : ما فعلت يا ابن أخي في أمك ؟ قال : فعلت يا أمير المؤمنين خيراً ، خير وافر .
بين أن يسترقوا أمي ^(١) فقال عمر : أولست إنما أمرت في ذلك بقيمة عدل ؟ ما أرى رأياً وما
أمرت بأمر إلا قلتم فيه ، ثم قام فجلس على المنبر فاجتمع الناس إليه حتى إذا رضى من جماعتهم قال :
أيها الناس ! إني قد كنت أمرت في أمهات الأولاد بأمر قد علمتموه ، ثم حدث رأي غير ذلك ،
فأيما امرئ كان عنده أم ولد فليسكها بيمينه ما عاش ، فإذا مات فهي حرة لا سبيل له عليها .

فقال لي عبد الملك : من أنت ؟ قلت أنا محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب ، فقال : أما والله إن
كان أبوك لأباً ناعراً في الفتنة مؤذياً لنا فيها . قال الزهري فقلت : يا أمير المؤمنين قل كما قال العبد
الصالح : [لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم] فقال : أجل ! [لا تتريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم] قال فقلت : يا أمير المؤمنين افرض لي فاني منقطع من الديوان ، فقال : إن بلدك ما فرضنا فيه

(١) كذا بالأصل وهو ناقص .

لأحد منذ كان هذا الأمر . ثم نظر إلى قبضة وأنا وهو قائمان بين يديه ، فكأنه أوماً إليه أن افرض له ، فقال : قد فرض إليك أمير المؤمنين ، فقلت : إني والله ما خرجت من عند أهل إلا وهم في شدة حاجة ما يعلمها إلا الله ، وقد عمت الحاجة أهل البلد . قال : قد وصلك أمير المؤمنين . قال قلت : يا أمير المؤمنين وخادم يخدمنا ، فإن أهل ليس لهم خادم إلا أختي ، فأنها الآن تعجن وتخبز وتطحن قال : قد أخذتك أمير المؤمنين .

وروى الأوزاعي عن الزهري أنه روى أن رسول الله (ص) قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » . فقلت للزهري : ما هذا ؟ فقال : من الله العلم ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمروا أحاديث رسول الله (ص) كما جاءت . وعن ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : كان عمر بن الخطاب يأمر برواية قصيدة لبدي بن ربيعة التي يقول فيها :

إِن تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَقَلُ * وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَالْمَجْلُ
أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدُّ لَهُ * بِيَدِهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلُ
مِنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى * نَاعِمَ الْبَالِ وَمِنْ شَاءَ أَضَلُ

وقال الزهري : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة منزله فإذا هو مفتاظ ينفخ ، فقلت : مالي أراك هكذا ؟ فقال : دخلت على أميركم آنفاً - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبيد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت عليهما فلم يردا على السلام ، فقلت :

لَا تَعْجَبَا أَنْ تُؤْتِيَا فَتُسَكَّمَا * فَمَا حَسَى الْأَقْوَامِ شَرَّ أَمْنِ الْكِبَرِ
وَسَتَّارَابِ الْأَرْضِ مِنْهُ تَخْلَقَتَا * وَفِيهَا الْمَمَادُ وَالْمَصِيرُ إِلَى الْخَشَرِ

فقلت : يزحك الله ! ! مثلك في فقهك وفضلك وسنك تقول الشعر ؟ فقال : إن المصدور إذا نفث برأ . وجاء شيخ إلى الزهري فقال : حيدني ، فقال : إنك لا تعرف اللغة ، فقال الشيخ : لعلى أعرفها ، فقال : فما تقول في قول الشاعر :

صَرِيحٌ نَدَامَى يَرْفَعُ الشَّرْبَ رَأَهُ * وَقَدِمَاتُ مِنْهُ كُلُّ عَضْوٍ وَمَفْصَلِ ؟

ما المفصل ؟ قال : اللسان ، قال : عد على أحدثك . وكان الزهري يتمثل بكثيراً بهذا :

ذَهَبَ الشَّيَابُ فَلَا يَمُودُ جُهَانَا * وَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكْ كَانَا
فَطَوَيْتُ كَفِي يَاجُهَانَ عَلَى الْعَصَا * وَكَفِي جِهَانَ يَطْبَهَا حَذَانَا

وكان نقش خاتم الزهري : محمد يسأل الله الثافية . وقيل لابن أخي الزهري : هل كان عمك يتعاطب ؟ قال : كنت أشم ريح المسك تنس سوط دابة الزهري . وقال : استكثرنا من شيء لا تنسه النار ، قيل : وما هو ؟ قال : المروف . وامتدحه رجل مرة فأعطاه قبضه ، فقيل له : أتعطى على كلام

الشیطان؟ فقال: إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر. وقال سفيان: سئل الزهري عن الزاهد فقال: من لم يمنع الحلال شكوه، ولم يفلح الحرام صبره. وقال سفيان: قالوا للزهري: لو أنك الآن في آخر عرك أقت بالمدينة، فقمعت إلى مسجد رسول الله (ص)، ودرجت وجلستنا إلى عمود من أعمدهته فذكرت الناس وعلتهم؟ فقال: لو أني فعلت ذلك لوطي عقي، ولا يلين لي أن أفعل ذلك حتى أزهق في الدنيا وأرغب في الآخرة. وكان الزهري يحدث أنه هلك في جبال بيت المقدس بضعة وعشرون نبيا، ما نوا من الجوع والعمل. كانوا لا يأكلون إلا ما عرفوا، ولا يلبسون إلا ما عرفوا وكان يقول: العبادة هي الورع والزهد، والعلم هو الحسنة، والصبر هو احتمال المسكاره، والدعوة إلى الله على الممل الصالح [١].

ومن توفي في خلافة هشام بن عبد الملك كما أورده ابن عساكر
بغل بن سعد

ابن نعيم السكوني أبو عمرو، وكان من الزهاد الكبار، والعباد الصوام القوام، روى عن أبيه وكان أبوه له محبة، وعن جابر وابن عمر وأبي الدرداء وغيرهم، وعنه جماعات منهم أبو عمرو والأوزاعي وكان الأوزاعي يكتب عنه ما يقوله من الفوائد العظيمة في قصصه ووعظه، وقال: ما رأيت واعظا قط مثله. وقال أيضا: ما بلغني عن أحد من العبادة ما بلغني عنه، كان يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة. وقال غيره وهو الأصمعي: كان إذا نكس في ليل الشتاء ألقى نفسه في ثيابه في البركة، فعاتبه بعض أصحابه في ذلك فقال: إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم. وقال الوليد بن مسلم: كان إذا كبر في المحراب سمعوا تكبيره من الأوزاع. قلت: وهي خارج باب الفرائد. وقال أحمد بن عبد الله الدجلى: هو شامي قاضي ثقة. وقال أبو زرعة الدمشقي: كان أحد العلماء قاصاً حسن القصص، وقد اتهمه رجاء بن حيوة بالفساد حتى قال بلال يوما في وعظه: رب مسرور ومفرور، ورب مفرور ولايشمر، فويل لمن له الويل وهو لايشمر، يأكل ويشرب، ويضحك، وقد حق عليه في قضاء الله أنه من أهل النار، فياويل لك روحاً، ياويل لك جسداً، فلتبك وتبكي عليك البواكى لطول الأبد. وقد ساق ابن عساكر شيئاً حسناً من كلامه في مواعظه البليغة، فن ذلك قوله: والله استكني به ذنباً أن الله يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها، زاهدكم راغب، وعالمكم جاهل، ومجتهدكم مقصر. وقال أيضاً: أخ لك كلما عليك ذكرك بنصيبك من الله، وأخبرك بمبيبك، أحب إليك، وخير لك من أخ كلما عليك وضع في كفك دينارا. وقال أيضاً: لا تكن ولياً لله في العلانية وعدوه في السر ولا تكن خدو إبليس والنفس والشهوات في العلانية وصديقهم في السر، ولا تكن ذا وجهين وذا لسانين (١) زيادة من المصرية.

فتظهر للناس أنك تحشى الله ليحمدوك وقلبك فاجر . وقال أيضا : أيها الناس إنكم لم تخلقوا للفناء وإعما خلقتم لبقاء ، ولكنكم تفتقلون من دار إلى دار ، كما نقلتم من الأصاب إلى الأرحام ، ومن الأرحام إلى الدنيا ، ومن الدنيا إلى القبور ، ومن القبور إلى الموقف ، ومن الموقف إلى الجنة أو النار . وقال أيضا : عباد الرحمن إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال ، وفي دار زوال إلى دار مقام ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود ، فمن لم يعمل على يقين فلا تنفعن ، عباد الرحمن لو قد غفرت خطاياكم الماضية لكان فيما تستقبلون لكم شغلا ، ولو علمتم بما تعملون لكان لكم مقتدا وملتجا ، عباد الرحمن أما ما وكلتم به فتضيعونه ، وأما ما تكفل الله لكم به فتطلبونه ، ما هكذا نعت الله عباده الموقنين ، أذو وعقول في الدنيا وبه في الآخرة ، وعى عما خلقتكم له بعصاء في أمر الدنيا ؟ فكما ترجون رحمة الله بما تؤدون من طاعته ، فكذلك اشفقوا من عذابه بما تتهكئون من معاصيه ، عباد الرحمن اهل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئا من أعمالكم قد تقبل منكم ؟ أو شيئا من خطاياكم قد غفر لكم ؟ [أم حسبتم أنما خلقتناكم عبدا وأنكم إلينا لا ترجعون] والله لو جهل لكم الثواب في الدنيا لاستقلتم ما فرض عليكم . أترغبون في طاعة الله لدار معمورة بالآفات ؟ ولا ترغبون وتنافسون في جنة أكلها دائم وظلها ، وعرضها عرض الأرض والسماوات [تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار] وقال أيضا : الذكر ذكران ذكر الله باللسان حسن جميل ، وذكر الله عند ما أحل وحرم أفضل . عباد الرحمن يقال لأحدهما : تحب أن تموت ؟ فيقول : لا ! فيقال له : لم ؟ فيقول : حتى أعمل ، فيقال له : اعمل ، فيقول سوف أعمل ، فلا تحب أن تموت ، ولا تحب أن تعمل ، وأحب شيء إليه يحب أن يؤخر عمل الله ، ولا يحب أن يؤخر الله عنه عرض دنياه . عباد الرحمن إن العبد ليعمل الفريضة الواحدة من فرائض الله وقد أضعاف ماسواها ، فما يزال يبنيه الشيطان ويزين له حتى ماري شيئا دون الجنة ، مع إقامته على معاصي الله . عباد الرحمن قبل أن تعملوا أعمالكم فانظروا ماذا تريدون بها ، فإن كانت خالصة فمضوها وإن كانت لغير الله فلا تشقوا على أنفسكم ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا ، فانه قال [إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه] وقال أيضا : إن الله ليس إلى عذابكم بالسريع ، يقبل المقبل ويدعو المدبر ، وقال أيضا : إذا رأيت الرجل متعرجا لحوحا مامرا بمعجا برأيه فقد تمت خسارته . وقال الأوزاعي : خرج الناس بلعشق يستسقون فقام بهم بلال بن سمد فقال : يامشر من حضر السهم مفرين بالاساءة ؟ قالوا : نعم ، فقال : اللهم إنك قلت [ماعلى الحسين من سبيل] وقد أقرنا بالاساءة فاعف عنا واغفر لنا . قال : فسقوا يومهم ذلك : وقال أيضا : سمعته يقول : لقد أدركت أقواما يشنون بين الأفراس ، ويضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا جئتهم الليل كانوا رهباناً . وسمعته أيضا يقول : لا تنتظر إلى صفر الذئب وانظر إلى من عصيت . وسمعته يقول : من بادأك بالود فقد استرقك بالشكر .

وكان من دعائه : اللهم إني أعوذ بك من زيف القلوب ، ومن تبعات الذنوب ، ومن مرديات الأعمال ومضلات العين . وقال الأوزاعي عنه أنه قال : عباد الرحمن لو أنتم لم تدعوا إلى الله طاعة لإعصيته وها ولا محصية إلا اجنبتوه وها ، إلا أنكم تحبون الدنيا لسفاهكم ذلك عقوبة عند الله عز وجل . وقال : إن الله ينفذ الذنوب لمن تاب منها ، ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة .

ترجمة الجعد بن درهم

هو أول من قال بخلق القرآن ، وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي ، وهو مروان الحمار ، آخر خلفاء بني أمية . كان شيخه الجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، ويقال إنه من موالى بني مروان ، سكن الجعد دمشق ، وكانت له بها دار بالقرب من القلايين إلى جانب الكنيسة ، ذكره ابن عساکر . قلت : وهي محلة من الخواصين اليوم غر بها عند حلام القطانين الذي يقال له حمام قليس . قال ابن عساکر وغيره : وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سيمان ، وأخذها بيان عن طلوت ابن اخت لبيد بن أعهم ، زوج ابنته ، وأخذها لبيد بن أعهم الساجر الذي سحر رسول الله (ص) ، عن يهودى بالبن ، وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان الغزرى ، وقيل الترمذى ، وقد أقام ببليخ ، وكان يصلى مع مقاتل بن سليمان في مسجده ويتباضران ، حتى نفى إلى ترمذ ، ثم قتل الجهم بأصبهان ، وقيل بمر ، قتله نائبها سلم بن أحوز رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً ، وأخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ أحمد بن أبي دواد عن بشر ، وأما الجعد فانه أقام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن ، فطلبه بنو أمية فهرب منهم فسكن الكوفة ، فلقبه نبيها الجهم بن صفوان فنقل هذا القول عنه ، ثم إن خالد بن عبد الله القسرى قتل الجعد يوم عيد الاضحى بالكوفة ، وذلك أن خلافاً خطب الناس فقال في خطبته تلك : أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً . ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً . ثم نزل فذبحه في أصل المنبر :

وقد ذكر هذا غير واحد من الحفاظ منهم البخارى وابن أبي حاتم والبيهقى وعبد الله بن أحمد وذكره ابن عساکر في التاريخ ، وذكر أنه كان يتردد إلى وهب بن منبه ، وأنه كان كلما راح إلى وهب يفتسل ويقول : أجمع للعقل ، وكان يسأل وهباً عن صفات الله عز وجل فقال له وهب يوماً : ويلك يا جعد ، أقهر المسألة عن ذلك ، إني لأظنك من المالكين ، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذلك ، وأن له عيناً ما قلنا ذلك ، وأن له نفساً ما قلنا ذلك ، وأن له سمماً ما قلنا ذلك ، وذكر الصفات من العلم والكلام وغير ذلك ، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل . ذكره ابن عساکر ، وذكر في ترجمته أنه قال للحجاج بن يوسف ويروى لعمران بن حطان :

ليث على وفي الحروب فعامة * فتخاء تجفل من صغير الصافر
حلا برزت إلى غزالة في الوغى * بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا رزق الله بن موسى ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب بن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال رسول الله (ص) : ترفع زينة الدنيا سنة خمس وعشرين ومائة ، وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي كريب عن ابن أبي فديك عن عبد الملك بن سعيد بن زيد بن نفيل عن مصعب بن مصعب عن الزهري به . قلت : وهذا حديث غريب منكر ، ومصعب بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري تكلم فيه وضعفه على بن الحسين بن الجنيد : وكذا تكلم في الراوى عنه أيضا والله أعلم . وفيها غزا النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة من بلاد الروم ، وفي ربيع الآخر منها توفي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بن مروان .

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي ، أمير المؤمنين . وأمه أم هشام بنت هشام بن إسماعيل الخزومي ، وكانت داره بدمشق عند باب الخواصين ، وبعضها اليوم مدرسة نور الدين الشهيد التي يقال لها النورية الكبيرة ، وتعرف بدار القبايين - يعني الذين يبيعون القباب وهي الخيام - فكانت تلك الحلة داره والله أعلم . وقد بويج له بالخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك بعد منه إليه ، وذلك يوم الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وكان له من العمر يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكان جميلا أبيض أحول يخطب بالسواد ، وهو الرابع من ولد عبد الملك الذين ولوا الخلافة ، وقد كان عبد الملك رأى في المنام كأنه بال في الحراب أربع مرات ، ففس إلى سعيد بن المسيب من سألها عنها ففسرها له بأنه يل الخلافة من ولده أربعة ، فوقع ذلك ، فكان هشام آخرهم ، وكان في خلافته حازم الرأي جماعا للأموال يبعث ، وكان ذكيا مدبرا له بصر بالأمور جليلا وحقيرا ، وكان فيه حلم وأناة ، شتم مرة رجلا من الأشراف فقال : أنشمتني وأنت خليفة الله في الأرض ؟ فاستحيا وقال : اقتص مني بدلها أو قال بمثلها ، فقال : إنك أكون سفيها . ذلك ، قال فخذ عوضا قال : لا أفعل ، قال : فانركها الله ، قال : هي لله ثم لك ، فقال هشام عند ذلك : والله لا أعود إلى مثلها .

وقال الأصمعي : أسمع رجلا هشاما كلاما فقال له : أتعول لي مثل هذا وأنا خليفتك ؟ وغضب مرة على رجل فقال له : اسكت وإلا ضربت بك سوطا ، وكان على بن الحسين فهد اقترض من مروان

ابن الحكم مالا أربعة آلاف دينار، فلم يتعرض له أحد من بني مروان، حتى استخلف هشام فقال: ما فعل حقنا قبلك؟ قال: موفور مشكور، فقال: هولاك.

[قلت: هذا الكلام فيه نظر، وذلك أن علي بن الحسين مات سنة الفقهاء، وهي سنة أربع وتسعين، قبل أن يلي هشام الخلافة بأحدى عشرة سنة، فانه إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة، وقول المؤلف: إن أحداً من خلفاء بني مروان لم يتعرض لمطالبة علي بن الحسين حتى ولي هشام فطالاه بالمال المذكور، فيه نظر ولا يصح، لتقدم موت علي على خلافة هشام، والله سبحانه وتعالى أعلم.] وكان هشام من أكره الناس لسفك الدماء، ولقد دخل عليه من مقتل زيد بن علي وابنه يحيى أمر شديد وقال: وددت أني أفنديتهما بمجيع ما أمالك. وقال المدائني عن رجل من حبي عن بشر مدني، هشام قال: أتى هشام برجل عنده قيان وخمر وبربط، فقال: أكرسوا الطنبور على رأسه فبكى الشيخ، قال بشر: فضربه، قال أنتراني أبكي للضرب، إنما أبكي لاحتقارك البربط حتى سميت طنبورا، وأغلظ لهشام رجل يوماً في الكلام فقال: ليس لك أن تقول هذا لامالك. وتقدم أحداه ولا يوم الجمعة فبعث إليه مالك لم تشهد الجمعة؟ فقال: إن بغلتي عجزت هني، فبعث إليه أما كان يمكنك المشي، ومنعه أن يركب سنة، وأن يشهد الجمعة ماشياً.

وذكر المدائني أن رجلاً أهدى إلى هشام طيرين فأوردهما السفير إلى هشام، وهو جالس على سرير في وسط داره، فقال له: أرسلهما في الدار، فأرسلهما، ثم قال: جازني يا أمير المؤمنين فقال: ويحك وما جازتلك على هدية طيرين؟ خذ أحدهما، فجعل الرجل يسبح خلف أحدهما، فقال: ويحك ما بالك؟ فقال أختار أجودهما، قال: وتختار أيضاً الجيد وتترك الردى؟ ثم أمر له بأربعين أو خمسين درهماً. وذكر المدائني عن محرم، كاتب يوسف بن عمر، قال: بعثني يوسف، إلى هشام بياقوتة حمراء ولؤلؤة كانتا لرابعة، جارية خالد بن عبد الله القسري، اشتري البياقوتة ثلاثاً وسبعون ألف دينار، قال: فدخات عليه وهو على سرير فوقه فرش لم أر رأس هشام من علو تلك الفرش، فأوريتها له، فقال: كم زنتها؟ فقلت: إن مثل هذه لا مثل لها، فسكت. قالوا: ورأي قوما يفرطون الزينون فقال القطوه لقطا ولا تنفضوه ففضا، ففتقأ عيونه وتكسر غصونه، وكان يقول: ثلاثة لا يضمن الشريف: تعاهد الصنمية، وإصلاح المعيشة، وطلب الحق وإن قل. وقال أبو بكر الخزازي: يقال إن هشاماً لم يقل من الشعر سوى هذا البيت:

إذا أنت لم تهي المحوى قادك المحوى * إلى كل منافع عليك مقال

وقد روي له شعر غير هذا، وقال المدائني عن ابن يسار الأعرجى حدثني ابن أبي بيجية عن هشام بن

شبة قال : دخلت على هشام وعليه قباء فتك أخضر ، فوجهني إلى خراسان ، ثم جمل يوصيني وأنا أنظر إلى القباء ، ففطن فقال : مالك ؟ قلت : عليك قباء فتك أخضر ، [وكنت رأيت عليك مثله] قبل أن تلي الخلافة ، فملكك أتأمل هذا هو ذاك أم غيره ، قال : والله الذي لا إله غيره هو ذاك ، مالى قباء غيره ، وما ترون من جمى لهذا المال وصونه إلا لكم . قال عقاب : وكان هشام محشوا بخلا .

وقال عبد الله بن علي عم السفاح : جمعت دواوين بني أمية فلم أر أصليحاً للعامة والسلطان من ديوان هشام . وقال المدائني عن هشام بن عبيد الحميد : لم يكن أحد من بني مروان أشد نظراً في أصحابه ودواوينه ، ولا أشد مبالغة في الفحص عنهم من هشام ، وهو الذي قتل غيلان القدرى ، ولما أخضر بني يديه قال له : ويحك قل ما عندك ، إن كان حقاً اتبعناه ، وإن كان باطلا رجعت عنه ، فناظره ميمون بن مهران فقال لميمون أشياء فقال له : أيمسى الله كارها ؟ فسكت غيلان فنيده حينئذ هشام وقتله . وقال الأصمعي عن أبي الزناد عن منذر بن أبي وقال : أصبنا في خزائن هشام اثني عشر ألف قيرص كلها قد أثر بها . وشكى هشام إلى أبيه ثلاثاً : أنه يهاب الصعود إلى المنبر ، والثانية قلة تناول الطعام ، والثالثة أن عنده في القصر مائة جاريد من حسان النساء لا يكاد يصل إلى واحدة منهن . فكتب إليه أبوه : أما صودك إلى المنبر فاذا علوت فوقه فارم ببصرك إلى مؤخر الناس فإنه أهون عليك ، وأما قلة الطعام فرب الطباخ فليكثر الألوان فملك أن تتناول من كل لون لقمة ، وعليك بكل بيضاء بضة ، ذات جمال وحسن . وقال أبو عبد الله الشافعي : لما بني هشام بن عبد الملك الرصافة قال : أحب أن أخلو بها يوماً لا يأتيني فيه خبر غم ، فما انصف النهار حتى أتته ريشة دم من بعض الثنور ، فقال : ولا يوماً واحداً ؟ ! وقال سفيان بن عيينة : كان هشام لا يكتب إليه بكتاب فيه ذكر الموت . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا الحسين ابن زيد عن شهاب بن عبد ربه عن عمر بن علي قال : مشيت مع محمد بن علي - يعني ابن الحسين ابن علي بن أبي طالب - إلى داره عند الحمام فقلت له : إنه قد طال ملك هشام وسلطانه ، وقد قرب من العشرين سنة ، وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرون ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ، ولكن أبي حدثني عن أبيه عن علي عن النبي (ص) ، قال : « لن يعمر الله ملكاً في أمة نبي مضى قبله ما بلغ ذلك النبي من العمر في أمته ، فإن الله عمر نبيه (ص) ، ثلاث عشرة سنة بمكة وعشراً بالمدينة » . وقال ابن أبي خيثمة : ليس حديث فيه توقيت غير هذا ، قرأه يحيى بن معين على كتابي فقال : من حدثك به ؟ قلت : إبراهيم ، فتلفت أن لا يكون سمعه ، وقد رواه ابن جرير في تاريخه عن أحمد بن زهير عن إبراهيم بن المنذر الحزامي . وروى مسلم بن إبراهيم ثنا القاسم بن الفضل . حدثني عباد بن المرزا الفسكي ^(١) عن عاصم بن

(١) كذا الأصل .

المنذر بن الزبير عن عبد الله بن الزبير أنه سمع علياً يقول : هلاك ملك بني أمية على رجل أحول - يعني هشاماً - .

وروى أبو بكر بن أبي الدنيا عن عمر بن أبي معاذ النخعي عن أبيه عن عمرو بن كليح عن سالم كاتب هشام بن عبد الملك : قال خرج علينا يوماً هشام وعليه كآبة وقد ظهر [عليه] الحزن ، فاستدعى الأبرش بن الوليد فجاءه فقال : يا أمير المؤمنين مالي أراك هكذا ؟ فقال : مالي لا أكون وقد زعم أهل العلم بالنجوم أني أموت إلى ثلاث وثلاثين من يومى هذا . قال : فكتبنا ذلك ، فلما كان آخر ليلة من ذلك جاءني رسول في الليل يقول : احضر معك دواء للذبحة ، وكان قد أصابته قبل ذلك ، فاستعمل منه فوفى ، فذهبت إليه ومعى ذلك الدواء فتناوله وهو في وجع شديد ، واستمر فيه عامة الليل ، ثم قال : يا سالم اذهب إلى منزلك فقد وجدت خفة وخر الدواء عندي ، فذهبت فما هو إلا أن وصلت إلى منزلي حتى سمعت الصباح عليه ، فجلت فإذا هو قد مات .

وذكر غيره أن هشاماً نظر إلى أولاده وهم يبكون حوله فقال : جاد لكم هشام بالدينا وجدتم عليه بالبكاء ، وترك لكم ما جمع ، وتركتم له ما كسب ، ما أسوأ منقلب هشام إن لم يغفر الله له . ولما مات جاءت الخزنة تفتخروا على حواصله وأرادوا تسخين الماء فلم يقدروا له على فحم حتى استعاروا له ، وكان نقش خاتمه الحكم للحكم الحكيم . وكانت وفاته بالوصافة يوم الأثر بعاء لست بقين من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن بضع وخمسين سنة ، وقيل إنه جاوز الستين ، وصلى عليه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، الذي ولي الخلافة بعده ، وكانت خلافة هشام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وإحدى عشر يوماً ، وقيل وثمانية أشهر وأيام فآله أعلم .

وقال ابن أبي فديك : ثنا عبد الملك بن زيد عن مصعب عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ترفع زينة الدنيا سنة خيس وعشرين ومائة » . قال ابن أبي فديك : زينتها نور الاسلام وبهجته ، وقال غيره - يعني الرجال - والله أعلم .

قلت : لما مات هشام بن عبد الملك مات ملك بني أمية ، وتولى وأدير أمر الجهاد في سبيل الله واضطرب أمرهم جداً ، وإن كانت قد تأخرت أيامهم بعدهم نحو من سبع سنين ، ولكن في اختلاف وهيج ، وما زالوا كذلك حتى خرجت عليهم بنو العباس فاستلبوهم نعمتهم وملكهم ، وقتلوا منهم خلقاً وسلبوهم الخلافة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ذلك ، وبسوطاً مقدراً في مواضع ، والله سبحانه وتعالى أعلم .



بحمد الله مد تم الجزء التاسع من البداية والنهاية ويليه الجزء العاشر
وأوله خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

فهرست

الجزء الثاني

من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٣٣ جبر بن نفير	٢ ثم دخلت سنة اربع وسبعين
عبدالله بن جعفر بن ابي طالب	٢ ذكر من توفي فيها من الأعيان
٣٤ ابو ادريس الخولاني	ابو سعيد الخدري
معبد الجهنمي القدري	٤ عبدالله بن عمر
ثم دخلت سنة احدى وثمانين	٥ عبيد بن عمير
٣٥ فتنة ابن الأشعث	٦ ابو جحيفة سلمة بن الأكوع
٣٧ سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر	مالك بن ابي عامر ابو عبد الرحمن السلمي
عبدالله بن شداد ابن الهاد	ابو معرض الأسدي
٣٨ محمد بن علي بن ابي طالب	٧ بشر بن مروان
٣٩ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين	ثم دخلت سنة خمس وسبعين
٤٠ وقعة دير الجماجم	١١ ابو ثعلبة الخشني
٤٣ اسماء بن خازجة الفزاري الكوفي	١٢ لأسود بن يزيد حران بن أبان
المغيرة بن المهلب الحارث بن عبدالله	ثم دخلت سنة ست وسبعين
محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة	١٥ سلمة بن اشيم العدوي
عبدالله بن ابي طلحة بن ابي الأسود	١٦ زهير بن قيس الهلوي
عبد الله بن كعب بن مالك	١٧ ثم دخلت سنة سبع وسبعين
٤٤ عفان بن وهب جميل بن عبدالله	١٩ مقتل شبيب عند ابن الكلبي
٤٦ عمر بن عبيد الله كميل بن زياد	٢١ عياض بن غنم الأشعري
٤٧ ذاذان ابو عمرو الكندي	مطرف بن عبدالله
ام الدرداء الصفري	ثم دخلت سنة ثمان وسبعين
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين	٢٢ شريح بن الحارث
٥١ بناء واسط عبد الرحمن بن جحيزة	٢٦ عبدالله بن غنم جنادة بن أمية الأزدي
طارق بن شهاب عبيدالله بن عدي	العلاء بن زياد البصري
٥٢ ثم دخلت سنة اربع وثمانين	٢٧ ثم دخلت سنة تسع وسبعين
ايوب بن القرية	٣١ ثم دخلت سنة ثمانين من الهجرة
٥٣ روح بن زنياع الجذامي	٣٢ ومن توفي في هذه السنة من الأعيان
٥٤ ايوب بن القرية	اسلم مولى عمر بن الخطاب
روح بن زنياع	

محيطة

- ٥٥ ثم دخلت سنة خمس وثمانين
٥٧ عبد العزيز بن مروان
٦٠ بيعة عبد الملك لولده الوليد ثم
من بعده لولده سليمان
٦١ ثم دخلت سنة ست وثمانين
عبد الملك بن مروان والد الخلفاء
الأمويين
٦٩ ارطاة بن زفر مطرف بن عبدالله
٧٠ خلافة الوليد بن عبد الملك
٧١ ثم دخلت سنة سبع وثمانين
٧٣ غيبة بن عبد السلمي
المقدام بن معدى كرب
ابو امامة الباهلي قبيصة بن زؤيب
عروة بن المغيرة بن شعبه
٧٤ شريح بن الحارث بن قيس القاضي
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين
٧٥ ومن توفي فيها من الأعيان
عبدالله بن بسر بن أبي بسر المازني
عبدالله بن أبي أوفى
٧٦ وفيها توفي هشام بن اسماعيل
عمير بن حكيم
ثم دخلت سنة تسع وثمانين
٧٧ ثم دخلت سنة تسعين من الهجرة
٨٠ يتاذق العاديب خالد بن يزيد بن معاوية
عبدالله بن الزبير
٨١ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين
٨٢ سهل بن سعد الساعدي
٨٣ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين
٨٤ طويس الغني

محيطة

- ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين
٨٥ فتح سمرقند
٨٨ أنس بن مالك
٩٢ عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة
٩٣ بلال بن أبي الدرداء بشر بن سعيد
زرارة بن أوفى خبيب بن عبدالله
حفص بن عاصم سعيد بن عبد الرحمن
فروة بن مجاهد أبو الشعثاء جابر بن زيد
٩٥ ثم دخلت سنة أربع وتسعين
٩٦ مقتل سعيد بن جبير رحمه الله
٩٨ ذكرى من توفي فيها من المشاهير
٩٩ سعيد بن المسيب
١٠١ طلق بن حبيب الغزي
عروة بن الزبير بن العوام
١٠٣ علي بن الحسين
١١٥ أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث
١١٦ ثم دخلت سنة خمس وتسعين
١١٧ نزلة الحجاج بن يوسف الثقفي ووفاته
فَضِيْلَةُ
١٢٨ فَضِيْلَةُ
فيا روى عنه من الكلمات النافمة
والجراة الباسقة
١٤٠ ومن توفي فيها من الأعيان
الحسن بن محمد بن الحنفية
حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
ثم دخلت سنة ست وتسعين
فَضِيْلَةُ
١٥٤ فيا روي في جامع دمشق من الآثار وما

ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من
 السادة الأخيار
 ١٥٦ الكلام على ما يتعلق برأس يحيى
 بن زكريا عليها السلام
 ١٥٨ ذكر الساعات التي على يابه
 ١٥٩ ذكر ابتداء امر السبع بالجامع الاموي
 ١٦٠ فضيلة
 ١٦١ هذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني
 جامع دمشق وذكر وفاته في هذا العام
 ١٦٦ عبد الله بن عمر بن عثمان
 خلافة سليمان بن عبد الملك
 ١٦٧ مقتل قتبية مسلم رحمه الله
 ١٦٩ ثم دخلت سنة سبع وتسعين
 ١٧٠ الحسن بن الحسن بن علي
 ١٧١ موسى بن نصير
 ١٧٤ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين
 ١٧٧ عبد الله بن عبد الله بن عقبة
 ثم دخلت سنة تسع وتسعين
 ١٨٤ خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
 ١٨٥ الحسن بن محمد بن الحنفية
 عبد الله بن محيريز بن جنادة بن عبيد
 ١٨٦ محمود بن لبيد بن عقبة
 نافع بن جبير بن مطعم كريب بن مسلم
 محمد بن جبير بن مطعم مسلم بن يسار
 ١٨٧ حنشل بن عمرو الصنعائي
 خارجة بن زيد
 سنة مائة من الهجرة النبوية
 ١٨٩ وفيها كان بدو دعوة بني العباس
 وعن توفي فيها من الأعيان
 ١٩٠ أبو امامة سهل بن حنيف
 ابو الزاهرية حدير بن كريب المحصي
 ابو الطفيل عامر بن واثلة
 ابو عثمان النهدي
 ١٩١ ثم دخلت سنة احدى ومائة
 ١٩١ وهذه ترجمة عمر بن عبد العزيز
 الامام المشهور رحمه الله
 ١٩٦ فضيلة
 وقد كان منتظراً فيما يؤثر من الأخبار
 ٢٠٧ فضيلة
 ٢٠٩ فضيلة
 ٢٠٨ ذكر سبب وفاته رحمه الله
 ٢١٢ فضيلة
 ٢١٩ خلافة يزيد بن عبد الملك
 ٢٢٠ ثم دخلت سنة ثنتين ومائة
 ٢٢٢ ولاية مسلمة على بلاد العراق
 وخراسان
 ذكر وقعة جربت بين الترك والمسلمين
 ٢٢٣ الضحاك بن مزاحم الهلالي
 ابو المتوكل الناجي
 ١٩١ ثم دخلت سنة ثلاث ومائة
 يزيد بن ابي مسلم
 ٢٢٤ مجاهد بن جبير المكي
 فضيلة
 ٢٢٩ مصعب بن سعد بن ابي وقاص
 ثم دخلت سنة اربع ومائة
 ٢٣٠ خالد بن سعدان الكلاعي
 عامر بن سعد بن ابي وقاص الليثي
 عامر بن شراحيل الشعبي

ورد في فضله من الأخبار عن جماعة من
 السادة الأخيار
 ١٥٦ الكلام على ما يتعلق برأس يحيى
 بن زكريا عليها السلام
 ١٥٨ ذكر الساعات التي على يابه
 ١٥٩ ذكر ابتداء امر السبع بالجامع الاموي
 ١٦٠ فضيلة
 ١٦١ هذه ترجمة الوليد بن عبد الملك باني
 جامع دمشق وذكر وفاته في هذا العام
 ١٦٦ عبد الله بن عمر بن عثمان
 خلافة سليمان بن عبد الملك
 ١٦٧ مقتل قتبية مسلم رحمه الله
 ١٦٩ ثم دخلت سنة سبع وتسعين
 ١٧٠ الحسن بن الحسن بن علي
 ١٧١ موسى بن نصير
 ١٧٤ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين
 ١٧٧ عبد الله بن عبد الله بن عقبة
 ثم دخلت سنة تسع وتسعين
 ١٨٤ خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
 ١٨٥ الحسن بن محمد بن الحنفية
 عبد الله بن محيريز بن جنادة بن عبيد
 ١٨٦ محمود بن لبيد بن عقبة
 نافع بن جبير بن مطعم كريب بن مسلم
 محمد بن جبير بن مطعم مسلم بن يسار
 ١٨٧ حنشل بن عمرو الصنعائي
 خارجة بن زيد
 سنة مائة من الهجرة النبوية
 ١٨٩ وفيها كان بدو دعوة بني العباس
 وعن توفي فيها من الأعيان
 ١٩٠ أبو امامة سهل بن حنيف

صحيفة

- ٢٣١ ابو بردة بن ابي موسى الاشعري
ابو قعدة الجرمي
ثم دخلت سنة خمس ومائة
٢٣٣ خادفة هشام بن عبد الملك بن مروان
ابان بن عثمان بن عفان
٢٣٤ ثم دخلت سنة ست ومائة
٢٥٠ القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق
وفيها توفي كثير عزة الشاعر المشهور
٢٥٦ ثم دخلت سنة ثمان ومائة
٢٥٧ محمد بن كعب القرظي
٢٥٩ ثم دخلت سنة تسع ومائة
٢٦٠ سنة عشر ومائة من الهجرة النبوية
٢٦٥ جرير الشاعر
وأما الفرزدق
٢٦٦ فأما الحسن بن ابي الحسن
٢٦٧ وأما ابن سيرين
فصل
٢٦٨ اما الحسن
٢٧٤ محمد بن سيرين
٢٧٦ وهيب بن منبه البائي
فصل
٣٠٢ سليمان بن سعد
ام الهذيل
عائشة بنت طلحة بن عبدالله التميمي
عبدالله بن سعيد بن جبير
عبد الرحمن بن ابان
٣٠٣ ثم دخلت سنة احدى عشرة ومائة
ثم دخلت سنة ثنق عشرة ومائة
٣٠٤ رجاء بن حيوة الكندي

صحيفة

- شهر بن حوشب الاشعري المحصي
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة
الأمير عبد الوهاب بن بخت
٣٠٥ مكحول الشامي
٣٠٦ ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة
عطاء بن ابي رباح
٣٠٩ ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة
ابو جعفر الباقر
فصل
٣١٢ ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة
٣١٢ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة
قتادة بن دعامة السدوسي
٣١٤ فصل
٣١٩ نافع مولى ابن عمر
ذو الرمة الشاعر
٣٢٠ ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة
علي بن عبدالله بن عباس
٣٢١ ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة
٣٢٤ سنة عشرين ومائة من الهجرة
٣٢٦ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة
٣٢٨ يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن
الابي طالب
مسلة بن عبد الملك
٣٢٩ نمير بن قيس
ثم دخلت سنة ثنين وعشرين ومائة
٣٣١ عبدالله ابو يحيى المعروف بالبطلال
٣٣٤ أياس اللذي

صحيحة

٣٣٨ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة
٣٣٩ ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة
٣٤٠ القاسم بن أبي بزة (١)

الزهري

٣٤٤ فضيلة

٣٤٨ بلال بن سعد

٣٥٠ ترجمة الجعد بن درهم

٣٥١ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر وفاته وترجمته رحمه الله

انتهى الفهرست





جميع الحقوق محفوظة

للمنشر

مكتبة الرحارف
بيروت

الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ

البُدرُ البَيِّنُ والنَّهْجُ السَّائِرُ

للإمام العِشَّة

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشروح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
بيروت - لبنان

مكتبة المحاريف
ص. ب. : ١٧٦١ - ١١
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك

قال الواقدي : يوبع له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وقال هشام بن الكلبي : يوبع له يوم السبت في ربيع الآخر ، وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة . وكان سبب ولايته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا ، فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السوء وبجائس اللاهو ، فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشرة ومائة ، فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه ، حتى يقال إنه جعلها في صناديق فسقط منها صندوق فينه كلب فسمع صوته فاحالوا ذلك على الجمال فضرب على ذلك . قالوا : واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة ، ومن عزه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك ، واستصحب معه الخمر والآلات الملاهي وغير ذلك من المنكرات ، فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه ، من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارهم عليه ذلك ، فلما تحقق عمه ذلك منه نهأ مراراً فلم يفته ، واستمر على حاله القبيح ، وعلى فعله الردي ، فزعم عمه على خلعهم من الخلافة - وليته فعل - وأن يولي بعده مسعدة بن هشام ، وأجابه إلى ذلك جماعة من الأمراء ، ومن أخواله ، ومن أهل المدينة ومن غيرهم ، وليت ذلك تم . ولكن لم ينتظم حتى قال هشام يوماً لوليد : وبحك ! والله ما أدرى أعلى الأسلام أنت أم لا ، فانك لم تدع شيئاً من

المنكرات إلا أتيت غير متحاش ولا مستتر . فكتب إليه الوليد :

يا أيها السائل عن ديننا * ديني على دين أبي شاكر
نشرها صرغاً وممزوجة * بالسخر أحياناً وبالغائر

فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وكان يسمى أباً شاكر ، وقال له : تشبه الوليد بن يزيد وأنا أريد
أن أرقبك إلى الخلافة ، وبعثه على الموسم سنة تسع عشرة ومائة فأظهر النسيك والوقار ، وقسم بحكمة
والمدينة أهوالاً ، فقال ، ولي لأهل المدينة :

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرذ بأرسانها * ليس بزنديق ولا كافر

وقعت بين هشام وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تعاطي الوليد ما كان يتمناه من
الفواحش والمنكرات ، فنشكر له هشام وعزم على خلعه وتولية ولده مسلمة ولاية العهد ، ففر منه الوليد
إلى الصحراء ، وجعل لا يتراسلن بأقبح المراسلات ، وجعل هشام يتوعدده وعيداً شديداً ، ويتهدهده ،
ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد في البرية ، فلما كانت الليلة التي قدم في صبيحتها عليه البرد
بالخلافة ، قاتق الوليد تلك الليلة قلقاً شديداً ، وقال لبعض أصحابه : وبحك قد أخذني الليلة قاتق
عظيم فاركب لعلنا نبدد ، فساروا ميلين يتكلمان في هشام وما يتعلق به ، من كتمه إليه بالتهديد
والوعيد ، ثم رأيا من بعد رجاء وأصواتا وغباراً ، ثم انكشف ذلك عن برد يقصدونه بالولاية ، فقال
لصاحبه : وبحك إن هذه رسل هشام ، اللهم أعطنا خيرها ، فلما اقتربت البرد منه وتبينوه ترجلوا
إلى الأرض وجازوا فسلخوا عليه بالخلافة ، فبهت وقال : وبحكم أمت هشام ؟ قالوا : نعم ، قال : فن
بمشكم ؟ قالوا : سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل ، وأعطاه الكتاب فقرأه ثم سلمه عن
أحوال الناس وكيف مات عمه هشام ، فأخبروه . فكتب من فور . بالاحتياط إلى أمهال هشام
وحواله بالرصافة وقال :

ليت هشاماً عاش حتى يرى * مكيله الأوفر قد ملئها
كناؤه بالصاع الذي كاله * وما ظلمناه به إصمها
وما أتينا ذلك عن بدعة * أحله الفرغان لي أجمها

وقد كان الزهري يحث هشاماً على خلع الوليد هذا ويستنهضه في ذلك ، فيحجم هشام عن ذلك
خوف الفضيحة من الناس ، ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك ، وكان الوليد يفهم ذلك من
الزهري ويبغضه ويتوعدده ويتهدهده ، فيقول له الزهري : ما كان الله ليساطك على يافاسق ، ثم مات
الزهري قبل ولاية الوليد ، ثم فر الوليد من عمه إلى البرية فلم يزل بها حتى مات ، فاحتاط على أمهال

عنه ثم ركب من فورهِ من البرية وقصد دمشق ، واستعمل العمالَ وجاءته البيعة من الآفاق ، وجاءته الوفود ، وكتب إليه مروان بن محمد - وهو إذ ذاك نائب أرمينية - ببارك له في خلافة الله له على عباده والتحكين في بلاده ، ويهتبه بموت هشام وظفره به ، والتحكيم في أمواله وحواصله ، ويذكر له أنه جدد البيعة له في بلاده ، وأنهم فرحوا واستبشروا بذلك ، ولولا خوفه من الثغر لاستناب عليه وركب بنفسه شوقاً إلى رؤيته ، ورغبة في مشافهته ، ثم إن الوليد سار في الناس سيرة حسنة هادى الرأي وأمر بأعطائه الزمى والمجنودين والعميان لكل إنسان خادماً ، وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لعبالات المسلمين ، وزاد في أعطيات الناس ، ولانسيا أهل الشام والوفود ، وكان كريماً ممدحاً شاعراً مجيداً ، لا يسأل شيئاً قط فيقول لا ، ومن شعره قوله يمدح نفسه بالكرم :

ضمنت لكم إن لم تعفنى عوائق * بأن ساء الضر عنكم ستلغ
سيوشك الخلق ممّا وزيادة * وأعطيه منى إليكم تبرع
محرمكم ديوانكم * وعطاؤكم * به يكتب الكتاب شهراً وتطبع

وفي هذه السنة عقد الوليد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان ، على أن يكونا ولي العهد من بعده ، وبعث البيعة إلى يوسف بن عمر أمير العراق وخراسان ، فأرسلها إلى نائب خراسان نصر بن سيار ، فخطب بذلك نصر خطبة عظيمه مدته طويلة ، سافها ابن جرير بكلامها ، واستوثق الوليد الممالك في المشارق والمغرب ، وأخذت البيعة بولديه من بعده في الآفاق ، وكتب الوليد إلى نصر بن سيار بالاستقلال بولاية خراسان ، ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فسأله أن يرد إليه ولاية خراسان فردها إليه كما كانت في أيام هشام ، وأن يكون نصر بن سيار ونوابه من تحت يده ، فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يستوفده إلى أمير المؤمنين بأهله وعياله ، وأن يكثر من استصحاب الهدايا والتحف . فحمل نصر بن سيار ألف مملوك على الخيل ، وألف وصيفة وشيئا كثيراً من أباريق الفضة والذهب ، وغير ذلك من التحف ، وكتب إليه الوليد يستعنه سريماً ويطلب منه أن يحمل معه طنابيراً وبرايط ومغنيات وبازات وبراذين فره ، وغير ذلك من آلات الطرب والفسق ، فكره الناس ذلك منه وكرهوه . وقال المنجمون لنصر بن سيار : إن الفتنة قريباً ستقع بالشام ، فحجّل يقتاقل في سيره ، فلما أن كان ببعض الطريق جاءته البرد فأخبروه بأن الفتنة الوليد قد قتل وهاجت الفتنة العظيمة في الناس بالشام ، فعدل بما معه إلى بعض المدن فأقام بها ، وبلغه أن يوسف بن عمر قد هرب من العراق واضطربت الأمور ، وذلك بسبب قتل الخليفة على ماسند كره ، وبالله المستعان .

وفي هذه السنة ولي الوليد يوسف بن محمد بن يوسف النقي ولاية المدينة ومكة والطائف ، وأمره أن يقيم إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل الحزبي بالمدينة مهانين لكونهما خالي هشام ، ثم يبعث

بهما إلى يوسف بن عمر نائب العراق فبعثهما إليه . فما زال يعدنهما حتى ماتا وأخذ منهما أموالا كثيرة . وفي هذه السنة ولي يوسف بن محمد بن يحيى بن سعيد الانصارى قضاء المدينة ، وفيها بعث الوليد بن يزيد إلى أهل قبرص جيشا مع أخيه وقال : خيرهم فمن شاء أن يتحول إلى الشام ، ومن شاء أن يتحول إلى الروم ، فكان منهم من اختار جوار المسلمين بالشام ، ومنهم من انتقل إلى بلاد الروم . قال ابن جرير : وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاه بن قريظ وقحطية بن شبيب فلقوا - في قول بعض أهل السير - محمد بن علي فأخبروه بقصة أبي مسلم فقال : أحر هو أم لا ؟ فقالوا : أما هو فيزعم أنه حر ، وأما ولده فيزعم أنه عبده ، فاشتروه فأعتقوه ، ودفعوا إلى محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألفا ، وقال لهم : لعلكم لا تلتقوا بعد عامكم هذا ، فان مات فإن صاحبكم إبراهيم بن محمد - يعني ابنه - فانه ابني ، فأوصيكم به . كومات محمد بن علي في مستهل ذي القعدة في هذه السنة بعد أبيه بسبع سنين . وفيها قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان . وحج بالناس فيها يوسف ابن محمد الثقفي أمير مكة والمدينة والطائف . وأمير العراق يوسف بن عمر ، وأمير خراسان نصر بن سيار ، وهو في حمة الوفود إلى الوليد بن يزيد أمير المؤمنين بما معه من الهدايا والتحف ، قتل الوليد قبل أن يجتمع به . ومن توفى فيها من الأعيان :

محمد بن علي

ابن عبد الله بن عباس أبو عبد الله المدني ، وهو أبو السفاح والمنصور ، روى عن أبيه وجده وسعيد بن جبيرة وجماعة ، وحدث عنه جماعة منهم ابنه الخليفة ، أبو العباس عبد الله السفاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور ، وقد كان عبد الله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه بالأمر من بعده وكان عنده علم بالأخبار ، فبشره بأن الخلافة ستكون في ولدك ، فدعا إلى نفسه في سنة سبع وعشرين ، ولم يزل أمره يتزايد حتى توفي في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها ، عن ثلاث وستين سنة ، وكان من أحسن الناس شكلا ، فأوصى بالأمر من بعده لولده إبراهيم ، فصار أبرم الأمر إلا لولده السفاح ، فاستلب من بني أمية الأمر في سنة ثنتين وثلاثين كما سيأتي .

وأما يحيى بن يزيد

ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فانه لما قتل أبوه زيد في سنة إحدى وعشرين ومائة ، لم يزل يحيى مخفيا في خراسان عند الحريش بن عمرو بن داود ببلغ ، حتى مات هشام ، فكتب إليه عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يخبره بأمر يحيى بن زيد ، فكتب نصر بن سيار إلى نائب بلغ مع عقيل بن مقل المجلبي ، فأحضر الحريش فماقيه سنائة سوط فلم يدل عليه ، وجاء ولد الحريش فدلهم عليه فجلس ، فكتب نصر بن سيار إلى يوسف بذلك ، فبث إلى الوليد بن يزيد .

يعبره بذلك ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره بإطلاقه من السجن وإرساله إليه بحبة
أصبا . فأطلقهم وأطلق لهم وجههم إلى دمشق ، فلما كانوا ببعض الطريق توسم نصر منه غدراً ،
فبعث إليه جيشاً عشرة آلاف فكسروهم بحجى بن زيد ، وإنما معه سبعون رجلاً ، وقتل أميرهم واستلب
منهم أموالاً كثيرة ، ثم جاءه جيش آخر فقتلوه واحتزوا رأسه وقتلوا جميع أصحابه رحمهم الله
ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

فيما كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحسك ، أبو العباس الأموي الدمشقي ، يبيع له
بالتخلف بعد عمه هشام في السنة الخالية بعد من أبيه كما قدمنا . وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف
الثقي . وكان مولده سنة تسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، وقيل سبعين وثمانين ، وقتل يوم الخميس
لثلاثين بقية في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين
الناس بسبب قتله ، ومع ذلك إنما قتل لفسقه ، وقيل وزندقته . وقد قال الامام أحمد : حدثنا أبو المغيرة
ثنا بن عياش حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال :
ولداي أم سلمة زوج للنبي (ص) ، غلام فسقوه الوليد ، فقال النبي (ص) : « سخيتموه باسم فرعيكم ،
ليكون : في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، هو أشد فساداً لهذه الأمة من فرعون أقومه » . قال
الحافظ ابن عساكر : وقد رواه الوليد بن مسلم وعقل بن زياد ومحمد بن كثير وبشر بن بكر عن
الأوزاعي فلم يذكر وا عمر في إسناده وأرساله ، ولم يذكر ابن كثير سعيد بن المسيب ، ثم ساق طريقه
هذه كلها بأسانيدها وألفاظها . وحكى عن البيهقي أنه قال : هو مرسل حسن ، ثم ساق من طريق
محمد بن محمد بن عمر بن عطاء عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالت : « دخل النبي (ص) ، وعندي
غلام من آل المغيرة اسمه الوليد ، فقال : من هذا يا أم سلمة ؟ قالت : هذا الوليد ، فقال النبي (ص) :
قد اتخذتم الوليد خناناً (حساناً) غيروا اسمه ، فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد » .
وروى ابن عساكر من حديث عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا محمد بن غالب الأنطاكي ثنا محمد بن
سليمان بن أبي داود ثنا صدقة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة
ابن الجراح عن النبي (ص) ، قال : « لا يزال هذا الأمر قائماً بالتسقط حتى ينل رجل من بني أمية » .

مقتله وزوال دولته

كان هذا الرجل مجاهراً بالزنا وحش مصراً عليها ، منتهكاً محارم الله عز وجل ، لا يتحاشى من
منصية . وربما اتهم بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين ، والله أعلم ، لكن الذي يظهر أنه كان
عاضياً شاعراً ما جفا متعاطياً للمعاصي ، لا يتحاشاها من أحد ، ولا يستحي من أحد ، قبل أن يلى

الخلافة وبعد أن ولي ، وقد روى أن أخاه سليمان كان من جملة من سمى في قتله ، قال : أشهد أنه كان شروباً للخمر ما جئنا فاسقاً ، ولقد أرادني على نفسى الفاسق . وحكى المعافى بن زكريا عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتيبي أن الوليد بن يزيد نظر إلى نصرانية من حسان نساء النصارى اسمها سفرى فأحبها ، فبعث يراودها عن نفسها فأبت عليه ، فألح عليها وعشقه فلم تطاوعه ، فاتفق اجتماع النصارى في بعض كنائسهم لعيد لهم ، فذهب الوليد إلى بستان هناك فتسكّر وأظهر أنه مصاب ، فخرج النساء من الكنيسة إلى ذلك البستان ، فرأينه فأحسدهن به ، فجعل يكلم سفرى ويحادثها وتضاحكه ولا تعرفه ، حتى اشتفى من النظر إليها ، فلما انصرفت قيل لها : ويحك أنتدريين من هذا الرجل ؟ فقالت : لا ! فقيل لها هو الوليد . فلما تحققت ذلك حنت عليه بعد ذلك وكانت عليه أحرص منه عليها قبل أن نحن عليه . فقال الوليد في ذلك أبياتا :

أضحك فؤادك يا وليد عميلاً * صبأ فديماً للحسان صبيداً
في حبٍ واضحمة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
مازلت أرميها بعيني واهي * حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فوبخ نفسى من رأى * منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في ليل الجحيم وقودا
وقال فيها أيضا لما ظهر أمره وعلم بحاله الناس . وقيل إن هذا وقع قبل أن يلى الخلافة :

ألا حبنا سزى وإن قيل إننى * كلفت بنصرانية تشرب الخمر
يهون علينا أن نلظ نهارنا * إلى الليل لاظهر أنصلي ولا غمرا

قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرار النهرواني بعد إirاده هذه الأشياء : لا وليد في نحو هذا من الخلاعة والجون وسخافة الدين ما يطول ذكره ، وقد ناقضناه في أشياء من منغلوهم شعره المنضم ركيك ضلالة وكفره . وروى ابن عساكر بسنده أن الوليد سمع بخمار صاف بالحيرة فقصدته حتى شرب منه ثلاثة أطلال من الخمر ، وهو راكب على فرسه ، ومعه اثنان من أصحابه ، فلما انصرف أمر للخمار بخمسة دینار . وقال القاضي أبو الفرج : أخبر الوليد كثيرة قد جمعها الأخباريون مجموعة ومفردة ، وقد جمعت شيئا من سيرته وأخباره ، ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من جرأته وسفاهته وحمقه وهزله وبجونه وسخافة دينه ، وما صرح به من الإلحاد في القرآن العزيز ، والكفر بمن أنزل وأنزل عليه ، وقد عارضت شعره السخيف بشعر حصيف ، وباطله بحق نبيه شريف ، وترجيت رضا الله عز وجل واستيجاب مغفرته .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا سليمان بن أبي شيخ ثنا صالح بن سليمان ، قال : أراد الوليد

ابن يزيد الحليج وقال : أشرب فوق ظهر الكعبة الحجر ، فهدوا ان يفتسكوا به إذا خرج ، فجاءوا إلى خالد ابن عبد الله القسري فسألوه أن يكون معهم فأبى ، فقالوا له : فآكتم علينا ، فقال : أما هذا فنعم ، فجاء إلى الوليد فقال : لا نخرج فإني أخاف عليك ، فقال : ومن هؤلاء الذين تخافهم على ؟ قال : لا أخبرك بهم . قال : إن لم تخبرني بهم بعثت بك إلى يوسف بن عمر ، قال : وإن بعثت بي إلى يوسف ابن عمر ، فبعثته إلى يوسف فعاقبه حتى قتله . وذكر ابن جرير أنه لما امتنع أن يعلمه بهم سجنه ثم سلمه إلى يوسف بن عمر يستخلص منه أموال العراق فقتله ، وقد قيل إن يوسف لما وفد إلى الوليد اشترى منه خالد بن عبد الله القسري بخمسين ألف ألف بخلصها منه ، فما زال يعاقبه ويستخلص منه حتى قتله ، ففضبت أهل اليمن من قتله ، وخرجوا على الوليد .

قال الزبير بن بكار : حدثنا مصعب بن عبد الله قال سمعت أبي يقول : كنت عند المهدي فذكر الوليد بن يزيد فقال رجل في المجلس : كان زنديقاً ، فقال المهدي : خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق . وقال أحمد بن حنبل بن حوصاء الدمشقي : ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا الوليد ابن مسلم ثنا حصين بن الوليد عن الأزهر بن الوليد قال : سمعت أم الدرداء تقول : إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق ، ظلوماً لم يزل طاعة مستخف بها ودم مسفوك على وجه الأرض بغير حق . قال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري :

قتل يزيد بن الوليد الناقص للوليد بن يزيد

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخصلاعه وبجائته وفسقه وما ذكر عن تهاونه بالصالحات واستغفاره بأمر دينه قبل خلافته وبعدها . فانه لم يزد في الخلافة إلا شراً ولها ولذة وركوباً للصيد وشرب المسكر ومنادمة الفساق ، فما زادت الخلافة على ما كان قبلها إلا تمادياً وغروراً ، فقتل ذلك على الأمراء والرعية والجند ، وكرهوه كراهة شديدة ، وكان من أعظم ما جرى على نفسه حتى أودته ذلك هلاكه ، إفساده على نفسه بنى عميه هشام والوليد بن عبد الملك مع إفساده النجارية ، وهي أعظم جند خراسان ، وذلك أنه لما قتل خالد بن عبد الله القسري وسلمه إلى غريمه يوسف بن عمر الذي هو نائب العراق إذ ذاك ، فلم يزل يعاقبه حتى هلك ، انقلبوا عليه وتنكروا له وساءم قتله كما سنذكره في ترجمته . ثم روى ابن جرير بسنده أن الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه وخطبته وغربه إلى عمان لحبسها بها ، فلم يزل هناك حتى قتل الوليد ، وأخذ جارية كانت لآكل عمه الوليد بن عبد الملك ، فسلّمه فيها عمر بن الوليد فقال : لا أردّها ، فقال : إذا تكثرت لصواهل حول عسكري . وحبس الأقمم يزيد بن هشام ، وبايع لولديه الحكم وعثمان ، وكانا دون

البلوغ ، فشق ذلك على الناس أيضا ونصحوه فلم ينتصح ، ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل .
قال المدائني في روايته : ثقل ذلك على الناس ورماه بنو هاشم و بنو الوليد بالكفر والزندقة
وغشيان أمهات أولاد أبيه ، وباللواط وغيره ، وقالوا : قد أخذ مائة جامعة على كل جامعة اسم رجل
من بني هاشم ليقبله بها ، ورموه بالزندقة ، وكان أشدهم فيه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان
الناس إلى قوله أميل ، لأنه أظهر النسك والتواضع ، ويقول ما يسمننا الرضا بالوليد حتى حمل الناس
على الفك به ، قالوا : وانتدب للقيام عليه جماعة من قضاة والباينة وخلق من أعيان الأمراء وآل
الوليد بن عبد الملك ، وكان القائم بأعباء ذلك كله والداعي إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ،
وهو من سادات بني أمية ، وكان ينسب إلى الصلاح والدين والورع ، فبايعه الناس على ذلك ، وقد
نهاه أخوه العباس بن الوليد فلم يقبل ، فقال : والله لولا أئى أخاف عليك لقيدتك وأرسلتلك إليه ،
واتفق خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها ، فكان ممن خرج الوليد بن يزيد أمير المؤمنين
في طائفة من أصحابه نحو المائتين ، إلى ناحية مشارف دمشق ، فانظم إلى يزيد بن الوليد أمره وجمل
أخوه العباس ينهاه عن ذلك أشد النهى ، فلا يقبل ، فقال العباس في ذلك :

إلى أعينكم بالله من قتل * مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملئت سياستكم * فاستمروا به ووالدين وارثدعوا
لا تلجمن ذئاب الناس أنفسكم * إن الغياب إذا ما ألحمت رلعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم * فم لا حصرة تفني ولا جزع

فلما استوثق ليزيد بن الوليد أمره ، وبايعه من بايعه من الناس ، قصد دمشق فدخلها في غيبة
الوليد فبايعه أكثر أهلها في الليل ، وبلغه أن أهل المزة قد بايعوا كبيرهم معاوية بن مصاد ، فضى
إليه يزيد ماشيا في نفر من أصحابه ، فأصابهم في الطريق خطر شديد ، فأثوه فطرقوا بابه ليلا ثم دخلوا
فكلمه يزيد في ذلك فبايعه معاوية بن مصاد ، ثم رجع يزيد من ليلته إلى دمشق على طريق القنطرة
وهو على حمار أسود ، خلف أصحابه أنه لا يدخل دمشق إلا في السلاح ، فلبس سلاحا من تحت ثيابه
فدخلها ، وكان الوليد قد استناب على دمشق في غيبته عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف
الثقي ، وعلى شرطها أبو العجاج كثير بن محمد الله السلي ، فلما كان ليلة الجمعة اجتمع أصحاب يزيد
بيش العشائين عند باب الفراديس ، فلما أذن المشاء الآخرة دخلوا المسجد ، فلما لم يبق في المسجد
غيرهم بعثوا إلى يزيد بن الوليد فجاءهم فقصوا باب المقصورة ففتح لهم خادم ، فدخلوا فوجدوا أبا العجاج
وهو سكران ، فأخذوا خزائن بيت المال وتسلبوا الخواصل ، وتقووا بالأسلحة ، وأمر يزيد باغلاق
أبواب البلد ، وأن لا يفتح إلا لمن يعرف ، فلما أصبح الناس قدم أهل الخواصر من كل جانب

فدخلوا من سائر أبواب البلد ، كل أهل محلة من الباب الذى يليهم ، فكثرت الجيوش حول يزيد
ابن الوليد بن عبد الملك فى نصرته ، وكلهم قد بايعه بالخلافة . وقد قال فيه بعض الشعراء فى ذلك : -

لجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا * سكاسكها أهل البيوت الصناديد
وكلبهم فجأؤهم بخيل وعدة * من البيض والابدان ثم السواعد
فاكرمهم بها أحياء أنصار سني * هم منعو حرمانها كل جاحد
وجاءتهم شيبان والأزد شرعاً * وعيس ونظم بين حالم وذائد
وغسان والحيان قيس وتغلب * واحجم عنها كل وإن وزاهد
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها * قد استوثقوا من كل عاب ومارد

و بعث يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مصاد فى مائتى فارس إلى قطن ليأتوه بعبد الملك بن محمد
ابن الحجاج نائب دمشق وله الأمان ، وكان قد تحصن هناك ، فدخلوا عليه فوجدوا عنده خرجين
فى كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار ، فلما مروا بالمزة قال أصحاب ابن مصاد : خذ هذا المال فهو
خير من يزيد بن الوليد ، فقال : لا والله لا تحدث العرب أبى أول من خان ، ثم أتوا به يزيد بن
الوليد فاستخدم من ذلك المال جنداً للقتال قريباً من ألفى فارس ، و بعث به مع أخيه عبد العزيز بن
الوليد بن عبد الملك خلف الوليد بن يزيد ليأتوا به ، وركب بعض والى الوليد فرسا سابقا فساق
به حتى انتهى إلى ولاء من الليل ، وقد نفق الفرس من السوق ، فأخبره الغلظ فلم يصدقه وأمر
بضربه ، ثم تواترت عليه الأخبار فأشار عليه بعض أصحابه أن يتحول من منزله ذاك إلى حصن فاتها
حصينة . وقال الأبرش سعيد بن الوليد السكابي : انزل على قومي بتدمر ، فأبى أن يقبل شيئا من
ذلك ، بل ركب بمن معه ، وهو فى مائتى فارس ، وقصد أصحاب يزيد فالتقوا بقتلة فى أثناء الطريق
فأخذوه ، وجاء الوليد فترحل حصن البخراء الذى كان للنعمان بن بشير ، وجاءه رسول العباس بن
الوليد إلى أتيك - وكان من أنصاره - فأمر الوليد بإبراز سريره فجلس عليه وقال : أعلى يتروى
الرجال وأنا أئيب على الأسد وأتخصر الأفاعى ؟ وقدم عبد العزيز بن الوليد بمن معه ، وإما كان قد
خلص معه من الألفى فارس مائة فارس ، فتصافوا فاقتنلوا قتالا شديدا ، فقتل من أصحاب العباس
جماعة حملت رؤسهم إلى الوليد ، وقد كان جاء العباس بن الوليد لنصرة الوليد بن يزيد ، فبعث إليه
أخوه عبد العزيز بن يحيى به قهرا حتى بايع أخيه يزيد بن الوليد ، واجتمعوا على حرب الوليد بن
يزيد ، فلما رأى الناس اجتماعهم فروا من الوليد إليهم ، وبقى الوليد فى ذل وقل من الناس ، فلجأ
إلى الحصن فجاءوا إليه وأحاطوا به من كل جانب يحاصرونه ، فدنا الوليد من باب الحصن فنادى
لبكاحى رجل شريف ، فكلمه يزيد بن عنبسة السكسكى ، فقال الوليد : ألم أدفع الموت عنكم ؟

ألم أعط فقراءكم ؟ ألم أخدم نساءكم ؟ فقال يزيد : إنما ننتقم عليك انتهاك المحارم وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله عز وجل . فقال ، حبسك يا أبا السكاسك ، لقد أكرمت وأغرقت ، وإن فيما أحل الله لي لسعة عما ذكرته . ثم قال : أما والله لئن قتلتني لارتقن فتنتكم ولا يلم شمسكم ولا تجتمع كلمتكم . ورجع إلى القصر فجلس ووضع بين يديه مصحفاً فشره وأقبل يقرأ فيه وقال : يوم كيوم عثمان ، واستسلم ، وتسور عليه أولئك الحائط ، فكان أول من نزل إليه يزيد بن عنبسة ، فقدم إليه وإلى جانبه سيف ذال : أحمه عنك ، فقال الوليد : لو أردت القتال به لكان غير هذا ، فأخذ بيده وهو يريد أن يحبسه حتى يبعث به إلى يزيد بن الوليد ، فبادره عليه عشرة من الأمراء فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسه ووجهه بالسيف حتى قتلوه ، ثم جروه برجله ليخرجوه ، فصاحت النسوة فتمكوه ، واحتز أبو خلافة القضاعي رأسه ، واحتاطوا على ما كان معهم مما كان خرج به في وجهه ذلك ، وبعثوا به إلى يزيد مع عشرة نفر ، منهم منصور بن جهمور وروح بن مقبل وبشر مولى كنانة من بني كلب ، وعبد الرحمن الملقب بوجه الفرس ، فلما انتهوا إليه بشروه بقتل الوليد وسلخوا عليه بالخلافة ، فأطلق لكل رجل من العشرة عشرة آلاف ، فقال له روح بن بشر بن مقبل : أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق ، فسجد شكراً لله ورجعت الجيوش إلى يزيد ، فكان أول من أخذ يده للمباينة يزيد بن عنبسة السكسكي فانتزع يده من يده وقال : اللهم إن كان هذا رضى لك فأعني عليه ، وكان قد جعل لمن جاءه برأس الوليد مائة ألف درهم ، فلما جرى به - وكان ذلك ليلة الجمعة وقيل يوم الأربعاء - ليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة . فأمر يزيد بنصب رأسه على رمح وأن يطاف به في البلد ، فقيل له إنما ينصب رأس الخارجي ، فقال : والله لأنصبنه ، فشره في البلد على رمح ثم أودعه عند رجل شهراً ثم بعث به إلى أخيه سليمان بن يزيد ، فقال أخوه بمذآله : أشهد أنك كنت شروباً للخمر مأجناً فاسقاً ولقد أراذني على نفسي هذا الفاسق وأنا أخوه ، لم يأنف من ذلك . وقد قيل إن رأسه لم يزل معلقاً بمحاط جامع دمشق الشرقى مما إلى الصحن حتى انقضت دولة بني أمية ، وقيل إنما كان ذلك أثره ، وكان عمره يوم قتل ستاً وثلاثين سنة ، وقيل ثمانياً وثلاثين ، وقيل إحدى وثلاثين ، وقيل ثنتان وقيل خمس ، وقيل ست وأربعون سنة . ومدة ولايته سنة وستة أشهر على الأشهر ، وقيل ثلاثة أشهر . قال ابن جرير : كان شديد البعش طويل أصابع الرجلين ، كانت تضرب له سكة الحديد في الأرض ويربط فيها خيط إلى رجله ثم يثب على الفرس فيركبها ولا يمس الفرس ، فتنتقل تلك السكة من الأرض مع وثبته .

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وهو الملقب بالناقص لأنه من الناس من أعطاهم - ثم ما كان زاده الوليد بن يزيد في أعطيهم ،

وهي عشرة عشرة ، ورده إليهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام ، ويقال إن أول من لقبه بذلك مروان بن محمد ، ببيع له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد ، وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة من هذه السنة - حتى سنة ست وعشرين ومائة - وكان فيه صلاح ورع قبل ذلك ، فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زاده ، وذلك في كل سنة عشرة عشرة ، فسمى الناقص لذلك ، ويقال في المثل الأشج والناقص أعدلا خلفاء بني مروان - يعني عمر بن عبد العزيز وهذا - ولكن لم تطل أيامه ، فانه توفي من آخر هذه السنة ، واضطربت عليه الأمور ، وانتشرت الفتن واختلقت كلمة بني مروان فنهض سليمان بن هشام ، وكان معتقلا في سجن الوليد بمكة فاستحوذ على أموالها وحواصلها ، وأقبل إلى دمشق فجعل يلعب الوليد ويديه ويرميه بالكفر ، فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي كان أخذها من الوليد ، وتزوج يزيد أخت سليمان ، وهي أم هشام بنت هشام ، ونهض أهل حمص إلى دار العباس بن الوليد التي عندهم فهدموها ، وحسبوا أهل وبنه ، وهرب هو من حمص فاحق يزيد بن الوليد إلى دمشق ، وأظهر أهل حمص الأخذ بدم الوليد بن يزيد ، وأغلقوا أبواب البلد ، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد ، وكاتبوا الأجناد في طلب الأخذ بالنار ، فأجابهم إلى ذلك طائفة كبيرة منهم ، على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي أخذ له العهد هو الخليفة ، وخلموا ناهبهم ، وهو مروان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، ثم قتلوه وقتلوا ابنه وأمرؤا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد كتب إليهم كتابا مع يعقوب بن هاني ، وضمنوا الكتاب أنه يدعو إلى أن يكون الأمر شورى ، فقال عمرو ابن قيس : فإذا كان الأمر كذلك فقد رضينا بولي عهدنا الحكم بن الوليد ، فأخذ يعقوب بلحيته وقال : ويحك ! لو كان هذا الذي تدعو إليه يقيم تحت حجرك لم يحل لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الأمة ، فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم عنهم وأخرجوهم من بين أظهرهم . وقال لهم أبو محمد السفياي : لو قدمت دمشق لم يختلف على منهم اثنان ، فركبوا معه وساروا نحو دمشق وقد أمروا عليهم السفياي ، فتلقاهم سليمان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم معه يزيد ، وجهز أيضا عبد العزيز بن الوليد في ثلاثة آلاف يكونون عند ثنية العقاب ، وجهز هشام بن مصاد المزي في ألف وخمسمائة ليكونوا على عقبة السلية ، فخرج أهل حمص فساروا وتركوا جيش سليمان ابن هشام ذات اليسار وتمدده ، فلما سمع بهم سليمان ساق في طلبهم فلحقهم عند السلجانية فحملوا الزيتون عن أيمنهم والجلل عن شمائلهم والحيات من خلفهم ، ولم يبق لخصم إليهم إلا من جهة واحدة ، فاقبلوا هنالك في قبالة الحر قتالا شديدا ، فقتل طائفة كثيرة من الفريقين ، فبينما هم كذلك إذ جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه فجعل على أهل حمص فاخترق جيشهم حتى ركب النبل الذي

في وسطهم ، وكانت الهزيمة ، فهرب أهل حصص وتفرقوا ، فاتبعهم الناس يقتلون وبأسرون ، ثم تنادوا بالكف عنهم على أن يبايعوا ليزيد بن الوليد ، وأسروا منهم جماعة منهم أبو محمد السنياني ويزيد ابن خالد بن معاوية ، ثم ارتحل سليمان وعبد العزيز فترلا عسكرا ومعهما الجيوش وأشراف الناس ، وأشراف أهل حصص من الأسارى ومن استجاب من غير أسر ، بعد ما قتل منهم ثلاثمائة نفس ، فدخلوا بهم على يزيد بن الوليد ، فأقبل عليهم وأحسن إليهم وصنع عنهم ، وأطلق الأعتيات لهم ، لاسيا لأشرافهم ، وولى عليهم الذي اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحصين ، وطابت عليه أنفسهم ، وأقاموا عنده في دمشق سامعين مطيعين له .

وفيهما بايع أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك ، وذلك أن بنى سليمان كانت لهم أملاك هناك ، وكانوا يتركونها يبدلون لها لهم ، وكان أهل فلسطين يحبون مجاورتهم ، فلما قتل الوليد بن يزيد كتب سعيد بن روح بن زنباع - وكان رئيس تلك الناحية - إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك يدعوهم إلى المبايعة له ، فأجابوه إلى ذلك . فلما بلغ أهل الأردن خبرهم بايعوا أيضا محمد بن عبد الملك ابن مروان ، وأمره عليهم ، فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد أمير المؤمنين بعث إليهم الجيوش مع سليمان بن هشام في الدماشقة وأهل حصص الذين كانوا مع العفياي ، فصالحهم أهل الأردن أولا ورجعوا إلى الطاعة ، وكذلك أهل فلسطين . وكتب يزيد بن الوليد ولاية الامرة بالرمة وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد ، واستقرت الممالك هنالك ، وقد خطب أمير المؤمنين يزيد ابن الوليد الناس بدمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال :

أما بعد أيها الناس ، أما والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرأ نفسي إلى الظلم لنفسى ، إن لم يرحمنى ربى فانى هالك ، ولكنى خرجت غضبا لله ولرسوله ولدينه ، وداعيا إلى الله وكتابه وسنة نبيه محمد (ص) ، لما هدمت معالم الدين ، وأطفئ نور أهل التقوى ، وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة ، والراكب كل بدعة ، مع أنه والله ما كن مصدقا بالكتاب ، ولا مؤمنا بيوم الحساب ، وإنه لا بن عمى في النسب ، وكفى في الحسب ، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره ، وسألته أن لا يكافى إلى نفسى ، ودعوت إلى ذلك من أجابنى من أهل ولايتى ، وصعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد ، بحول الله وقوته لا بحولى ولا بقوة . أيها الناس ! إن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ، ولا لبننة على لبننة ، ولا أكرى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطيته زوجة ، ولا ولدا . ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثغر ذلك البلد ، وخصاصة أهله بما يفتنهم ، فلن فضل عن ذلك فضل نقلته إلى البلد الذى يليه من هو أحوج إليه ، ولا أجوركم في تمورك فافتنكم وأفتن أهليكم ، ولا أغاقي بأبى دونكم فى كل قويمكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل

جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع سبلهم ، وإن لكم عندي أعطياتكم في كل سنة ، وأرزاقكم في كل شهر ، حتى تستدبر المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصام كأذنانهم ، فإن أنا رفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلفوني وإلا أن تستتبيوني ، فإن ثبت قبلكم مني ، وإن علمت أحدا من أهل الصلاح والدين يعطيك من نفسه مثل ما أعطيك فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته . أيها الناس ! إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إنما الطاعة طاعة الله فمن أطاع الله فأطيعوه ما أطاع الله ، فإذا عصي أو دعا إلى معصية فهو أهل أن يعصى ولا يطاع ، بل يقتل ويهان ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن إمرة العراق لما ظهر منه من الخلق على اليمانية ، وهم قوم خالد بن عبد الله القسري ، حتى قتل الوليد بن يزيد ، وكان قد سجن غالب من ببلاده منهم ، وجعل الأرصاء على الثنور خوفاً من جند الخليفة ، فمزله عنها أمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، وولى عليها منصور بن جمهور مع بلاد السند وسجستان وخراسان ، وقد كان منصور بن جمهور أعرابياً جلفاً ، وكان يدين بمذهب النملانية القدرية ، ولكن كانت له آثار حسنة ، وعناء كثير في مقتل الوليد بن يزيد ، فخطى بذلك عند يزيد بن الوليد ، ويقال إنه لما فرغ الناس من الوليد ذهب من فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها إلى يزيد ، وقرر بالأقاليم نواباً وعمالاً وكر راجعاً إلى دمشق في آخر رمضان ، فلذلك ولاه الخليفة ما ولاه والله أعلم .

وأما يوسف بن عمر فانه فر من العراق فلحق ببلاد البلقاء ، فبعث إليه أمير المؤمنين يزيد فأحضره إليه ، فلما وقف بين يديه أخذ بلحيته - وكان كبير اللاحية جداً ، ربما كانت تجاوز سترته وكان قصير القامة - فوبخه وأنبه ثم سجنه وأمر باستخلاص الحقوق منه . ولما انتهى منصور بن جمهور إلى العراق قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليهم في كيفية مقتل الوليد ، وأن الله أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وأنه قد ولى عليهم منصور بن جمهور لما يعلم من شجاعته ومعرفته بالحرب ، فبايع أهل العراق ليزيد بن الوليد ، وكذلك أهل السند وسجستان .

وأما نصر بن سيار نائب خراسان فانه امتنع من السمع والطاعة لمنصور بن جمهور ، وأبى أن يتقاد لأوامره ، وقد كان نصر هذا جهمز هدايا كبيرة للوليد بن يزيد فاستمرت له . وفي هذه السنة كتب مروان الملقب بالحمار كتاباً إلى عمر بن يزيد أخى الوليد بن يزيد ، يحثه على القيام بطلب دم أخيه الوليد ، وكان مروان يومئذ أميراً على أذربيجان وأرمينية ، ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور ابن جمهور عن ولاية العراق وولى عليها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وقال له : إن أهل العراق يحبون أباك فقد وليتكم ، وذلك في شوال ، وكتب له إلى أمراء الشام الذين بالعراق بوصفهم به

خشية أن يمنع منصور بن جمهور من تسليم البلاد إليه ، فسلم اليه وسمع وأطاع وسلم . وكتب الخليفة إلى نصر بن سيار باستمراره بولاية خراسان مستقلاً بها ، فخرج عليه رجل يقال له الكرمانى ، لأنه ولد بكرمان ، وهو أبو على جديع بن على بن شبيب المغنى ، واتبعه خلق كثير بحيث إنه كان يشهد الجمعة في نحو من ألف وخمسمائة ، وكان يسلم على نصر بن سيار ولا يجلس عنده ، فتحير نصر بن سيار وأمرأوه فيما يصنع به ، فاتفق رأيهم بعند جهد على منجته ، فسجن قريباً من شهر ، ثم أطلقه فاجتمع إليه ناس كثير ، وجم غفير ، وركبوا معه ، فبعث إليهم نصر من قائلهم فقههم وكسرم واستخف جماعات من أهل خراسان بنصر بن سيار وتلاشوا أمره وحرمة ، وألحوا عليه في أعطياتهم وأسمعه غليظ ما يكره وهو على المنبر ، بسفارة سلم بن أحوز أدى إليه ذلك ، وخرجت الباعة من المسجد الجامع وهو يخطب ، وانفض كثير من الناس عنه ، فقال لهم نصر فيما قال : والله لقد نشرتكم وطويتكم وطويتكم ونشرتكم فما عندى عشرة مشكم على دين ، فاتفقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليمتحنن الرجل منكم أن يدخل من أهله وماله وولده ، ولم يكن رأها ، ثم تمثل بقول النابغة :

فإن يقلب شقاؤكم عليكم * فاني في صلاحكم سبيت

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن الورد بن المغيرة الجعد : —

أبيت أرمي النجوم مرتقياً * إذا استقلت نحوى أوائلها
من فتنه أصبحت بحلة * قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن * بالشام كل شجاء شاغلها
يمشى السفينة الذى يمتف بال * جهل سواء فيها وعاقلها
فالناس منها فى لون مظلمة * دهاء ملنجة غياطلها
والناس فى كربة يكادها * تنبذ أولادها حواملها
يفدون منها فى كل مهمة * عياء تمنى لهم غوائلها
لا ينظر الناس من عواقبها * إلا التى لا بين قائلها
كرغوة البكر أو كصيعة حب * لى طرقت حولها قوابلها
فجاء فينا تزدى بوجهته * فيها خطوب حمز زلازلها

وفى هذه السنة أخذ الخليفة البيعة من الأمراء وغيرهم بولاية العهد من بعده لأخيه إبراهيم بن الوايد بن عبد الملك ، ثم من بعد إبراهيم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان ، وذلك بسبب مرضه الذى مات فيه . وكان ذلك فى شهر الحجة منها ، وقد حرض على ذلك جماعة من الأمراء والأكابر والوزراء . وفيها عزل يزيد عن إمرة الحجاز يوسف بن محمد الثقفى وولى عليها

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، فقدمها في أو آخر ذى القعدة منها ، وفيها أظهر مروان الحمار الخلف ليزيد بن الوليد ، وخرج من بلاد أرمينية يظهر أنه يطلب بدم الوليد بن يزيد ، فلما وصل إلى حران أظهر الموافقة وبايع لأمر المؤمنين يزيد بن الوليد . وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس أبا هاشم بكر بن ماهان إلى أرض خراسان ، فاجتمع بمجموعة من أهل خراسان بمر ، فقرأ عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الإمام إليه وإليه ، ووصيته ، فقتلوا ذلك بالقبول ، وأرسلوا معه ما كان عندهم من النفقات . وفي سابع ذى القعدة ، وقيل في سابع ذى الحجة ، وقيل لمتبر مضين منه ، وقيل بعد الأضحى منها كان وفاة أمير المؤمنين .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحارث بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي . أبو خالد الأموي ، أمير المؤمنين ، بويع له بالخلافة أول ما بويع بها في قرية المزة ، من قرى دمشق ، ثم دخل دمشق فطلب عليها ، ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله ، واستحوذ على الخلافة في أو آخر جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكان يلقب بالناقص لتقصه الناس العشرات التي زادهم إليها الوليد بن يزيد ، وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار ، وكان يقول : الناقص ابن اليد ، وأمه شاهزنده بنت فيروز بن يزديجرد بن كسرى ، كسروية . وقال ابن جرير : وأمه شاه آفرید بنت فيروز بن يزديجرد بن شهر يار بن كسرى ، وهو القائل : أنا ابن كسرى وأبي مروان * وقصير جدي وجدى خالتي

وإنما قال ذلك لأن جده فيروز ، وأم أمه بنت قيصر ، وأمه شيرويه وهي بنت خالان ملك الترك ، وكانت قد سبها قتيبة بن مسلم ، هي وأخت لها فبعتهما إلى الحجاج ، فأرسل بهن إلى الوليد واستبق عنده الأخرى ، فولدت هذه الوليد بن يزيد الناقص هذا ، وهذه أخذها الحجاج فكانت عنده بالعراق ، وكان مولده في سنة تسعين ، وقيل في سنة ست وتسعين ، وقد روى عنه الأوزاعي مسألة السلم . وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة ، وأنه كان عادلاً ديناً محباً للخير مبغضاً للشر . فاصداً للحق . وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة العيد بين صفيين من الخيالة والسيوف مسللة عن يمينه وشماله ، ورجع من المصلى إلى الخضراء كنكك ، كان رجلاً صالحاً ، يقال في المثل الاشج والناقص أعبد لا بنى مروان ، والمراد عمر بن عبد العزيز وهذا . وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال قال يزيد بن الوليد الناقص : يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة ، وإياه لينوب عن الخير ويفعل ما يفعل المسكر ، فإن كنتم لا بد فاعلمين فجنبوه النساء فإنه داعية الزنا . وقال ابن عبد الحكم

عن الشافعي : لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب غيلان . قاله ابن عساكر . قال : ولعله قرب أصحاب غيلان ، لأن غيلان قتله هشام بن عبد الملك . وقال محمد بن المبارك : آخر ما تكلم به يزيد بن الوليد الناقص وأحزناه واشقاه . وكان نقش خاتمه العظمة لله . وكانت وفاته بالخضراء من طاعون أصابه ، وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذى الحجة ، وقيل يوم الاضحى منه ، وقيل بعده بأيام ، وقيل لعشر بقين منه ، وقيل في سلاخه ، وقيل في سلخ ذى القعدة من هذه السنة . وأكبر ما قيل في عمره ست وأربعون سنة ، وقيل ثلاثون سنة ، وقيل غير ذلك فالحق أعلم . وكانت مدة ولايته ستة أشهر على الأشهر ، وقيل خمسة أشهر وأيام . وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد ، وهو ولي العهد من بعده رحمه الله . وذكر سعيد بن كثير بن عفير أنه دفن بين باب الجابية وباب الصنير ، وقيل أنه دفن بباب الفرديس ، وكان أسمر نحيفا حسن الجسم حسن الوجه . وقال علي بن محمد المديني : كان يزيد أسمر طويلا صغير الرأس بوجه خال ، وكان جميلا ، في فمه بعض السمة وليس بالمفرط . وحجج بالناس فيها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب الحجاز ، وأخوه عبد الله نائب العراق ، ونصر بن سيار على نيابة خراسان ، والله سبحانه أعلم . ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

خالد بن عبد الله بن يزيد

ابن أسد بن كز بن عامر بن عبقرى ، أبو الهيثم البجلي القسرى الدمشقي ، أمير مكة والحجاز للوليد ثم لسليمان ، وأمير العراقين لهشام خمس عشرة سنة . قال ابن عساكر : كانت داره بدمشق في أربعة الفز وتعرف اليوم بدار الشريف البريدي ، وإليه ينسب الحمام الذي داخل باب توما ، روى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا أسد ^(١) أحب الجنة » قال : نعم ، قال : فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك » . رواه أبو يعلى عن عثمان بن أبي شيبة عن هيثم عن سيار عن أبي الحكم أنه سمعه على المنبر يقول ذلك . ومن روى عنه إسماعيل بن أوسط وإسماعيل بن أبي خالد ، وحبيب بن أبي حبيب ، وحميد الطويل . وروى أنه روى عن جده عن النبي (ص) في تكفير المرض الذنوب . وكانت أمه نصرانية ، وذكره أبو بكر بن عياش في الأشراف ، فيمن أمه نصرانية . وقال المدائني : أول ما عرف من رياسته أنه وطأ صبيا بدمشق بفرسه فحمله فأشهد طائفة من الناس أنه هو صاحبه ، فان مات فعليه دية ، وقد استنابه الوليد على الحجاز من سنة تسع وثمانين إلى أن توفي الوليد ثم سليمان ، وفي سنة ست ومائة استنابه هشام على العراق إلى سنة عشرين ومائة . وسأله إلى يوسف بن عمر الذي ولاه مكانه فمأقبه وأخذ منه أموالا ثم أطلقه ، وأقام بدمشق إلى الحزم من هذه السنة فسأله الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر يستخلص منه خمسين ألف ألف ، فأتت نحت

(١) في تاريخ ابن عساكر (٥ : ٦٧) : « يزيد بن أسد » .

المقدرة البليغة ، كسر قدميه ثم ساقيه ثم نخذه ، ثم صدره ، فأت ولا يتكلم كلمة واحدة ، ولأنه حتى خرجت روحه رحمه الله .

قال اللبي عن أبيه : خطب خالد القسري يوماً فأرتج عليه فقال : أيها الناس ! إن هذا الكلام يسمى أحياناً ويعزب أحياناً ، فيسبب عند مجيئه سببه ويتعذر عند عزو به مطلبه ، وقد يرد إلى السابط . ينادي ويثيب إلى الحصر كلامه ، وسيعود إلينا ما تحبون ، ونعود لكم كما تريدون . وقال الأصمعي وغيره : خطب خالد القسري يوماً بواسط فقال : يا أيها الناس تنافسوا في التكلم وسارعوا إلى المغالبة واشتروا الحـد بالجلود ، ولا تتكسبوا بالمطل ذماً ، ولا تمتدوا بمعرف لم تعجلوه ، ومهما تكن لأحد منكم نعمة عند أحد لم يبلغ شكرها فأنه أحسن له جراً ، وأجزل عطاء ، واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم فلا تمهلوا فنحول نقماً ، فإن أفضل المال ما كسب أجراً وأورث ذكراً ، ولورأيتم المعروف لرأيتموه رجلاً حسناً جميلاً يسر الناس إذا نظروا إليه ، ويفوق العالمين . ولورأيتم البخل لرأيتموه رجلاً مشوهاً قبيحاً تنفر منه القلوب وتفض دونه الأبخار . إنه من جاد ساد ومن بخل ذل ، وأكرم الناس من أعطى من لا يرجوه ، ومن عفا عن قدرة ، وأفضل الناس من وصل عن قطيعة ، ومن لم يطب حرته لم يترك نبتة ، والفروع عند مفارستها تنمو ، وبأصولها تسمو ، وروى الأصمعي عن عمر ابن المهيم أن أعرابياً قدم على خالد فأنشده قصيدة امتدحه بها يقول فيها :

إليك ابن كرز الخير أقبلت راعياً * لنجبر منى ما وهما وتبتدا
إلى الماجد البهلولى الحلم والندى * واكرم خلق الله فرعاً ومعتدا
إذا ما أناس قصروا بفعالهم * نهضت فلم تلق هنالك مقتدا
فيالك بحرّاً يعرف الناس موجة * إذا يسأل المعروف جاش وأزبدا
بلوت ابن عبد الله في كل موطن * فالفيت خير الناس نفساً وأمجدا
فلو كان في الدنيا من الناس خالد * لجلود بمعرف لكننت مخلصدا
فلا تحرمي منك ما قد رجوت * فيصيح وجهي كالخ لاون أربدا

قال : لحفظها خالد ، فلما اجتمع الناس عند خالد قام الأعرابي ينشد ما ابتدره إليها خالد فأنشده قبله وقال : أيها الشيخ إن هذا شعر قد سبقناك إليه . فنهض الشيخ فولى ذاهباً فأتبعه خالد من يسمع ما يقول فإذا هو ينشد هذه الأبيات .

ألا في سبيل الله ما كنت أرتجى * لديه ومالاً فيت من تكبير الجهد
دخلت على بحر يجرود بالمر * ويعطى كثير المال في طلب الحمد
نخالفني الجهد المشوم لشعوتي * وقار بنى نحسى وفارقتى سمدي

فولكان لي رزق لديه لثمنه * ولكنه أمر من الواحد الفرد

فردة إلى خالد وأعلمه بما كان يقول فأمر له بمشرة آلاف درهم . وقال الأصمعي : سأل أعرابي خالداً القسري أن يعمله جرابه دقيقاً فأمر بملكه له دراهم ، فقيل للأعرابي حين خرج : ما فعل ملك ؟ فقال : سأنته بما تشتهي فأمر لي بما يشتهي هو . وقال بعضهم : بينما خالد يسير في موكبه إذ تقدمه أعرابي فسأله أن يضرب عنقه ، فقال ويحك ولم ؟ أقطعت السدول ؟ أخرجت يدا من طاعة ؟ فشكل ذلك يقول لا قال : فلم ؟ قال : من الفقر والغفلة . فقال : سل حاجتك ، قال ثلاثين ألفاً . فقال خالد : ما ربح أحد مثل ما ربحك اليوم ، إلى وضعت في نفسي أن يسألني مائة ألف فسأل ثلاثين فربحت سبعين . ارجعوا بنا اليوم ، وأمر له بثلاثين ألفاً . وكان إذا جلس يوضع [المال] بين يديه ويقول : إن هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها . وسقط خاتم لجرارته رابعة يساوي ثلاثين ألفاً ، في بالوعة الدار ، فسألت أن تؤتى بمن يخرجها ، فقال : إن يدك أكرم على من أن تلبس به بعد ماصار إلى هذا الموضع القدر ، وأمر لها بخمسة آلاف دينار بدله . وقد كان لرابعة هذه من الخلق شيء عظيم ، من جملة ذلك ياقوتة وجوهرة ، كل واحدة بثلاثة وسبعين ألف دينار .

وقد روى البخاري في كتاب أعمال العباد ، وابن أبي حاتم في كتاب السنة ، وغير واحد ممن صنف في كتب السنة أن خالد بن عبد الله القسري خطب الناس في عيد أضحى فقال : أيها الناس ، ضحوا يقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجمد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، تعالى الله عما يقول الجهم بن درهم علواً كبيراً . ثم نزل فأنبج في أصل المنبر . قال غير واحد من الأئمة : كان الجهم بن درهم من أهل الشام ، وهو مؤدب مروان الحمار ، ولهذا يقال له مروان الجهمدي ، ففسب إليه ، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . وكان الجهم بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سحمان ، وأخذة أبان عن طالوت ابن أخت لبيد ابن أعصم ، عن خاله لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي (ص) في مشط وماشطة وجف طلعة ذكر له ، ونحت راعوفة بئر ذي اروان الذي كان مأوها نقاعة الحناء . وقد ثبت الحديث بذلك في الصحيحين وغيرهما . وجاء في بعض الأحاديث أن الله أنزل بسبب ذلك سورتي المودنتين .

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : حدثنا محمد بن يزيد الرافعي سمعت أبا بكر بن عياش قال : رُببت حالاً القسري حين أتى بالمغيرة وأصحابه ، وقد وضع له سرير في المسجد ، فجلس عليه ثم أمر برجل من أصحابه فضرب عنقه ثم قال للمغيرة : أحبه - وكان المغيرة يزعم أنه يحبي الموتى - فقال : والله صلحك الله ما أحبي الموتى . قال : لتحيينه أولاً ضر بن عنك . قال : والله ما أقدر على ذلك . ثم أمر

بطن قصب فأضرموا فيه ناراً ثم قال المهيرة : اعتنقه ، فأبى ، فعدا رجل من أصحابه فاعتنقه ، قال أبو بكر : فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة . قال خالد : هذا والله أحق بالرياسة منك . ثم قتله وقتل أصحابه . وقال المدائني : أتى خالد بن عبد الله برجل تنكب بالسكوفة فقبل له ما علامة نبوتك ؟ قال : قد نزل على قرآن ، قال : إنا أعطيك الكآهر ، فصل لربك ولا تجاهر . ولا تطع كل كافر وفاجر . فأمر به فصل فقتل وهو يصلب : إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، فأنا ضامن لك ألا تعود . وقال المهيرد : أتى خالد بشاب قد وجد في دار قوم وادعى عليه السرقة ، فسأله فاعترف فأمر بقطع يده فتقدمت حسناء فقالت :

أخالد قد أوطأت والله عثرة * وما الناشق المسكين فينا بسارق

أقر بما لم يجز غير أنه * رأى القطع أولي من فضيحة عاشق

فأمر خالد باحضار أبيها فزوجهما من ذلك الغلام وأمرها عنه عشرة آلاف درهم . وقال الأصمعي : دخل أعرابي على خالد فقال : إني قد مدحتك بيتين ولست أنشدما إلا بعشرة آلاف وخادم ، فقال : نعم ! فأنشأ يقول :

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن * سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم

وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن * سمعت بها في سالف الدهر والأهم

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم وخادم يحملها . قال : ودخل عليه أعرابي فقال له : سل حاجتك فقال : مائة ألف . فقال : أكثر حط منها . قال : أضع تسعين ألفاً ، فتمجب منه خالد فقال : أيها الأمير سألتك على قدرك ووضعت على قدرى ، فقال له : لن تغلبني أبداً ، وأمر له بمائة ألف ، قال : ودخل عليه أعرابي ، فقال : إني قد قلت فيك شعراً وأنا أستصغره فيك ، فقال : قل فأنشأ يقول :

تعرضت لي بالجوهر حتى لمشتني * وأعطيتني حتى ظننتك تلعب

فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليت الندى ما للندى عنك مذهب

فقال : سل حاجتك . قال : على خمسون ألف دينار ، فقال : قد أمرت لك بها وأضعتها لك ، فأعطاه مائة ألف . قال أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوصافي : دخل أعرابي على خالد القسري .

فأنشده كتبت نعم ببابك فهي تدعو * اليك الناس مسفرة النقاب

وقلت لا عليك بباب غيري * فانك لن ترى أبداً ببابي

قال فأعطاه على كل بيت خمسين ألفاً . وقد قال فيه ابن معين : كان رجل سوء يقع في على بن أبي طالب رضى الله عنه .

ودكر الأصمعي عن أبيه : أن خالداً حنر بثراً بمكة ادعى فضلها على زمزم ، وله في رواية عنه

تفضيل الخليفة على الرسول ، وهذا كفر إلا أن يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله أعلم .
[والذى يظهر أن هذا لا يصح عنه، فانه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله لجمد
ابن درهم وغيره من أهل الالحاد ، وقد نسب إليه صاحب المقد أشياء لا تصح ، لأن صاحب المقد
كان فيه تشيع شنيع ومثالة في أهل البيت ، وربما لا يفهم أحد من كلامه ما فيه من التشيع ، وقد
اغتر به شيخنا الذهبي فحده بالحفظ وغيره ^(١) .

وقد ذكر ابن جرير وابن عساكر وغيرهما أن الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في إمارته
فمن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة ، فلما بلغ ذلك جماعة من الأمراء اجتمعوا على قتله ونولية
غيره من الجماعة ، فحذر خالد أمير المؤمنين منهم ، فسأله أن يسميهم فأبى عليه فماتوا شديداً ،
ثم بعت به إلى يوسف بن عمر فمات حتى مات شرقلة وأوسوها ، وذلك في محرم من هذه السنة - أعني
سنة ست وعشرين ومائة - وذكره القاضي ابن خلصكان في الوفيات وقال : كان متهما في دينه ، وقد
بنى لأمه كنيسة في داره ، قال فيه بعض الشعراء وقال صاحب الأعيان كان في نسبه يهود فانتصروا
إلى القرب ، وكان يقرب [من] شق وسطيح . قال القاضي ابن خلصكان : وقد كانا ابني خلعة ،
وعاش كل منهما ستائة ، ولدا في يوم واحد ، وذلك يوم ماتت طريفة بذت الخمر بعد ما تغلّت في فم
كل منهما وقالت : إنه سيقوم مقامى في السكناة ، ثم ماتت من يومها .

ومن توفي في هذه السنة جبلة بن سحيم ودراج أبو السمح وسعيد بن مسروق في قول ، وسليمان
ابن حبيب المحاربي ، قاضي دمشق ، وعبد الرحمن بن قاسم شيخ مالك وعبيد الله بن أبي يزيد
وعمر بن دينار . وقد ذكرنا تراجمهم في كتابنا التكميل .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

استهلت هذه السنة والخليفة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بوصية أخيه يزيد الناقص إليه ، وبإيمه
الأمراء بذلك ، وجميع أهل الشام إلا أهل حمص فلم يبايعوه ، وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب
بالحمار كان نائباً بأذربيجان وأرمينية ، وتلك كانت لأبيه من قبله ، وكان نعم علي يزيد بن الوليد في
قتله الوليد بن يزيد ، وأقبل في طلب دم الوليد ، فلما انتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد ،
فلم يلبث إلا قليلاً حتى بلغه موته ، فأقبل في أهل الجزيرة حتى وصل قنسرين فحاصرها أهلها فمزقوا على
طاعته ، ثم أقبل إلى حمص وعليها عبيد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد
فحاصروا حتى يبايعوا لإبراهيم بن الوليد ، وقد أصروا على عدم مبايعته ، فلما بلغ عبد العزيز قرب
مروان بن محمد ترحل عنها ، وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق ، ومعهم جنود

(١) وجدت هذه العبارة في نسخة ثانية بالاستانة .

الجزيرة وجند قنسرين ، فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفاً ، وقد بعث إبراهيم بن الوليد بن هشام بن عبيد الملك في مائة وعشرين ألفاً ، فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع ، فدعاهم مروان إلى الكف عن القتال وأن يتخلوا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذ العهد لهما ، وكان يزيد قد سجنهما بدمشق ، فأبوا عليه ذلك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً من حين ارتفاع النهار إلى العصر ، وبعث مروان سرية تأتي جيش ابن هشام من ورائهم ، فتم لهم ما أرادوه ، وأقبلوا من ورائهم يكبرون ، وحمل الآخرون من تلقاهم عليهم ، فسكات الهزيمة في أصحاب سليمان ، فقتل منهم أهل حصص خلقاً كثيراً ، واستبيح عسكرهم ، وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريباً من مئتين ألفاً أو ثمانمائة ألفاً وأسروا منهم من ملهم ، فأخذ عليهم مروان البيعة للغلامين ابني الوليد ، الحكم وعثمان ، وأطلقهم كلهم سوى رجلين وهما يزيد بن القمار والوليد ابن مصاد الكلبيين ، فضرهما بين يديه بالسياط وجسهما فسانا في السجن ، لأنهما كانا من باشر قتل الوليد بن يزيد حين قتل . وأما سليمان وبقية أصحابه فانهم استمروا منهزمين ، فصار أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأخبروا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع ، فاجتمع معهم رؤس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، وأبو علافة السكسكي ، والاصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم ، على أن يمددوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان ، خشية أن يلي الخلافة فيهلكا من عاداتهما وقتل أباهما ، فبعثوا إليهما يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ، فعمد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغا ، ويقال وولدا لحدتهما ولد فشدنهما بالعمد ، وقتل يوسف بن عمر - وكان مسجوناً معهما - وكان في سجنهما أيضاً أبو محمد السفياي فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب ردماً ، فخاصروه فامتنع ، فأثا بنار ليحرقوا الباب . ثم اشتغلوا عن ذلك بدخول مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين .

دخول مروان الحمار دمشق وولايته الخلافة

لما أقبل مروان بن عمر مع من الجنود من عين الجر وأقرب من دمشق وقد انهزم أهلها بين يديه بالأمس ، هرب إبراهيم بن الوليد وصمد سليمان بن هشام إلى بيت المال ففتحته وأنفق ما فيه على أصحابه ومن أتبعه من الجيوش ، ونار موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبيد العزيز بن الحجاج فقتلوه فيها وأنتمبوهوا ونهبوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مروان بن محمد دمشق فقتل في أماليها وأتى بالغلامين الحكم وعثمان وهما مقتولان وكذلك يوسف بن عمر فدفنوه . وأتى بأبي محمد السفياي وهو في حبسه فسلم على مروان بالخلافة فقال مروان : مه ، فقال : إن هذين الغلامين جعلاهما لك من بعدهما ثم أنشد قصيدة قالها الحكم في السجن وهي طويلة منها قوله :

الا من مبلغ مروان عني * وعني الغمر طال بذنا حنيننا
باني قد ظلمت وصار قومي * على قتل الوليد متابعينا
فان اهلك انا وولي عهدي * فروان امير المؤمنين

ثم قال أبو محمد السفيناني لمروان : ابسط يدك ، فكان أول من بايعه بالخلافة ، فعاوية بن يزيد بن حصين بن نعيم بن بايعه رؤس أهل الشام من أهل دمشق وحصن وغيرهم ، ثم قال لهم مروان : اختاروا أمراء نوابهم عليكم ، فاختار أهل كل بلد أميراً فولاه عليهم ، فعلى دمشق زامل بن عمرو الجبراني ، وعلى حصن عبد الله بن شجرة الكندي ، وعلى الأردن الوليد بن معاركة بن مروان ، وعلى فلسطين ثابت بن نعيم الجنداحي . ولما استوت الشام لمروان بن محمد رجع إلى حران وعند ذلك طلب منه إبراهيم بن الوليد الذي كان خليفة وابن عمه سليمان بن هشام الأمان فأمتهما ، وقدم عليه سليمان بن هشام في أهل تدمر فبأيامه ، ثم لما استقر مروان في حران أقام فيها ثلاثة أشهر فانتقض عليه ما كان انبؤهم له من مبايعة أهل الشام ، فنقض أهل حصن وغيرهم ، فأرسل إلى أهل حصن جيشاً فوافوهم ليلة عيد الفطر من هذه السنة ، وقدم مروان إليها بعد الفطر بثومين ، فنازلها مروان في جنود كثيرة ، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخولع ، وسليمان بن هشام ، وهما عنده مكرمان خصيصان لا يجلس إلا بهما وقت الغداء والعشاء ، فلما حاصر حصن نادوه إنا على طاعتك ، فقتل : افتحوا باب البلد ففتحوه . ثم كان منهم بعض القتال فقتل منهم نحو الخمائة أو الستائة ، فأمر بهم فصلبوا حول البلد ، وأمر بهم بعض سورها . وأما أهل دمشق فأما أهل القوطة فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو وأمروا عليهم يزيد بن خالد القسري وثبت في المدينة نائبا ، فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حصن عسكرياً نحو عشرة آلاف ، فلما اقتربوا من دمشق خرج النائب فيمن معه والتقوا والعسكر بأهل القوطة فهزمهم وحرقوا المزة وقرى أخرى معها ، واستجار يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكبي برجل من أهل المزة من نخم ، فدل عليهم زامل بن عمرو وقتلهمما وبعث برأسيهما إلى أمير المؤمنين مروان وهو بمحمص . وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين على الخليفة وأتوا طبرية فحاصروها ، فبعث الخليفة إليهم جيشاً فأجلوهم عنها واستباحوا عسكرهم ، وفر ثابت بن نعيم هارباً إلى فلسطين فاتبعه الأمير أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق عنه أصحابه ، وأسر أبو الورد ثلاثة من أولاده فبعث بهم إلى الخليفة وهم جرحى فأمر بمدواوتهم ، ثم كتب أمير المؤمنين إلى نائب فلسطين وهو الزمخشر بن عبد العزيز الكنتاني يأمره بطلب ثابت بن نعيم حيث كان ، فما زال يتلطف به حتى أخذه سيراً ، وذلك بمسد شهرين ، فبعثه إلى الخليفة وأمر بقطع يديه ورجليه ، وكذلك جماعة كانوا معه ، وبعث بهم إلى دمشق فأقيموا على باب مسجدھا ، لأن أهل دمشق كانوا قد أرجفوا بأن ثابت بن نعيم ذهب

إلى ديار مصر فتغلب عليها وقتل نائب مروان فيها ، فأرسل إليهم مقطع اليمين والرجلين ليعرفوا بطلان ما كانوا به أرجفوا . وأقام الخليفة مروان بدرياً يوب عليه السلام مدة حتى بايع لابنه عبد الله ثم هبده الله وزوجهما ابنتي هشام ، وهما أم هشام وعائشة ، وكان مجرمًا حافلاً وعقدًا هائلًا ، ومباينة عامة ، ولكن لم تكن في نفس الأمر تامة . وقدم الخليفة إلى دمشق وأمر بثابت وأصحابه بعد ما كانوا تقطعوا أن يصلبوا على أبواب البلد ، ولم يستبق منهم أحدًا إلا واحدًا وهو عمرو بن الحارث السكلي ، وكان عنده قبا زعم علم يوديع كان ثابت بن نعيم أودعها عند أقوام . واستوسق أمر الشام لمروان ماعدًا تدمر ، فسار من دمشق فنزل القسطل من أرض حصص ، وبلغه أن أهل تدمر قد غوروا ما بينه وبينهم من المياه ، فاشتد غضبه عليهم ومعه جعافل من الجيوش ، فتكلم الأبرش بن الوليد وكانوا قومه فسأل منه أن يرسل إليهم أولًا ليعذر إليهم ، فبعث عمرو بن الوليد أخا الأبرش ، فلما قدم عليهم لم يلتفتوا إليه ولا سمعوا له قولاً فرجع ، فهم الخليفة أن يبعث الجنود فسأله الأبرش أن ينهب إليهم بنفسه فأرسله ، فلما قدم عليهم الأبرش كلهم واستألمهم إلى السمع والطاعة ، فأجابه أكثرهم وامتنع بعضهم ، فكتب إلى الخليفة يعلمه بما وقع ، فأمره الخليفة أن يهدم بعض سورتها ، وأن يقبل بمن أطاعه منهم إليه ، ففعل . فلما حضروا عنده سار بمن معه من الجنود نحو الرصافة على طريق البرية ، ومعه من الرؤس إبراهيم بن الوليد المخولع ، وسليمان بن هشام ، وجماعة من ولد الوليد وبزيد وسليمان ، فأقام بالرصافة أيامًا ثم شخض إلى البرية ، فاستأذنه سليمان بن هشام أن يقيم هناك أيامًا ليستريح ويحم ظهره فأذن له ، فانحدر مروان فنزل عند واسط على شط الفرات فأقام ثلاثًا ثم مضى إلى قرقيسيا ، وابن هبيرة بها ليبيته إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي الحروري ، واشتغل مروان بهذا الأمر ، وأقبل عشرة آلاف فارس من كان مروان قد بمنهم في بعض السرايا ، فاجتازوا بالرصافة وفيها سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي كان استأذن الخليفة في المقام هناك للراحة ، فدعوه إلى البيعة له وخلع مروان بن محمد ومحاربته ، فاستزله الشيطان فأجابهم إلى ذلك ، وخلع مروان وسار بالجيوش إلى قنسرين ، وكاتب أهل الشام فانفضوا إليه من كل وجه ، وكتب سليمان إلى ابن هبيرة الذي جهزه مروان لقتال الضحاك بن قيس الخارجي يأمره بالمسير إليه ، فالتف إليه نحو من سبعين ألفًا ، وبعث مروان إليهم هيس بن مسلم في نحو من سبعين ألفًا فالتقوا بأرض قنسرين فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، وجاء مروان والناس في الحرب فقاتلهم أشد القتال فهزمهم وقتل يومئذ إبراهيم بن سليمان بن هشام ، وكان أكبر ولده ، وقتل منهم نيفا وثلاثين ألف ، وذهب سليمان مغلوبًا فأتى حصص فالتف عليه من انهزم من الجيش فسكر بهم فيها ، وبني ما كان مروان هدم من سورها . فجاءهم مروان فحاصرهم بها ونصب عليهم نيفا وثمانين

منجنيقا، فكث كذلك ثمانية أشهر يرميهم ليلا ونهاراً، ويخرجون إليه كل يوم ويقاتلون ثم يرجعون. هذا وقد ذهب سليمان وطائفة من الجيش معه إلى تدمر وقد اعترضوا جيش مروان في الطريق وهما بالفتك به وأن يذبحوه فلم يكتنهم ذلك، ونهياً لهم مروان فقاتلهم فقتلوا من جيشه قريباً من ستة آلاف وهم تسعة، والنصر فوا إلى تدمر، ولزم مروان محاصرة حمص كال عشرة أشهر، [فلما تنابح عليهم هم البلاء، ولزمهم الليل، سألوهم أن يؤمنهم فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه، ثم سألوهم الأمان على أن يكتنهم من سعيد بن هشام]^(١) وابنيه مروان وعثمان ومن السكسكي الذي كان حبس معه، ومن ~~الذين~~ كان يغترى عليه ويشنّه فأجابهم إلى ذلك فأمنهم وقتل أولئك، ثم سار إلى الضحاك، وكان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحاك الخارجى على ما بيده من الكوفة وأعمالها، وجاءت خيول مروان فاصدة إلى الكوفة، فتلقاهم نائبها من جهة الضحاك - ملحان الشيباني - فقاتلهم فقتل ملحان، واستناب الضحاك عليها المشى بن عمران من بى عائنة، وسار الضحاك في ذي القعدة إلى الموصل، وسار ابن هبيرة إلى الكوفة فانزعها من أيدي الخوارج، وأرسل الضحاك جيشاً إلى الكوفة فلم يجد شيئاً.

وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني، وكان سبب خروجه أن رجلاً يقال له سعيد بن بهدل - وكان خارجياً - اغتشم غفلة الناس واشتغلهم بمقتل الوليد بن يزيد، فثار في جماعة من الخوارج بالعراق، فالتف عليه أربعة آلاف - ولم تجتمع قبلها لخارجي - فقصدهم الجيوش فاقبلوا معهم، فثار يكرسون وثار يكرسون، ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون أصابه، واستخلف على الخوارج من بعدهم الضحاك بن قيس هذا، فالتف أصحابه عليه، والتقى هو وجيش كثير فغلبت الخوارج وقتلوا خلقاً كثيراً، منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز - أخو أمير العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز - فرماه بأشعار، ثم قصد الضحاك بطائفة من أصحابه مروان فاجتاز بالكوفة، فنهض إليه أهلها فكسروهم ودخل الكوفة فاستحوذ عليها، واستناب بها رجلاً اسمه حسان، ثم استناب ملحان الشيباني في شعبان من هذه السنة، وسار هو في طلب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق، فالتقوا لجزت بينهم حرب كثيرة يطول ذكرها وتفصيلها.

وفي هذه السنة اجتمعت جماعة من الدعاة إلى بنى المباس عند إبراهيم بن محمد الإمام ومهم أبو مسلم الخراساني، فبدعوا إليه فقتلوا كثيرة، وأعطوه خمس أموالهم، ولم ينظم لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة، والفتن الواقعة بين الناس. وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فدعا إلى نفسه وخرج إلى محاربة أمير العراق عبد الله بن عمر

ابن عبد العزيز، فجرت بينهما حروب يطول ذكرها، ثم أجلاء عنها فلحق بالجبال فتغلب عليها. وفي هذه السنة خرج الحارث بن سريج الذي كان لحق ببلاد الترك ومالاً ثم على المسلمين فن الله عليه بالهداية ووقعه حتى خرج إلى بلاد الشام، وكان ذلك عن دعاء يزيد بن الوليد إلى الرجوع إلى الاسلام وأهله فأجابه إلى ذلك، وخرج إلى خراسان فأكرمه نصر بن سيار نائب سورة^(١)، واستمر الحارث ابن سريج على الدعوة إلى الكتاب والسنة وطاعة الامام، وعنده بعض المناوأة لنصر بن سيار.

قال الواقدي وأبو معشر: وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أمير الحجاز ومكة والمدينة والطائف، وأمير العراق نصر بن سعيد الحرشي، وقعد خرج عليه الضحاك الحروري، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز. وأمير خراسان نصر بن سيار، وقد خرج عليه السكراني والحارث بن سريج. وعمن توفي في هذه السنة:

بكر بن الأشج وسعد بن إبراهيم وعبد الله بن دينار وعبد الملك بن مالك الجزري وعمر بن مائي ومالك بن دينار وهب بن كيسان وأبو إسحاق السبيعي.

فم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

فيها كان مقتل الحارث بن سريج، وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد الناقص كان قد كتب إليه كتاب أمان، حتى خرج من بلاد الترك وصار إلى المسلمين ورجع عن موالاته المشركين إلى نصره الاسلام وأهله، وأنه وقع بينه وبين نصر بن سيار نائب خراسان وحشة ومنافسات كثيرة يطول ذكرها، فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد استوحش الحارث بن سريج من ذلك. وتولى ابن هبيرة نيابة العراق، وجاءت البيعة لمروان، فامتنع الحارث من قبولها وتكلم في مروان، وجاءه مسلحة بن أحوز أمير الشرطة، وجماعة من رؤس الأجناد والأمراء، وطلبوا منه أن يكف لسانه ويده، وأن لا يفرق جماعة المسلمين، فأبى وبرز ناحية عن الناس، ودعا نصر بن سيار إلى ما هو عليه من الدعوة إلى الكتاب والسنة فامتنع نصر من موافقته، واستمر هو على خروجه على الاسلام. وأمر الجهم بن صفوان مولى بني راسب ويكنى بأبي محرز - وهو الذي نسبت إليه الفرقة الجهمية - أن يقرأ كتابا فيه سيرة الحارث على الناس، وكان الحارث يقول أنا صاحب الرايات السود. فبعث إليه نصر يقول: لئن كنت ذاك فلعمري إنكم الذين تخربون سور دمشق وتزليون بني أمية، تغدمني خمسمائة رأس ومائة بعير، وإن كنت غيره فقد أهلكك عشيرتك. فبعث إليه الحارث، يقول: لعمري إن هذا إسكان. فقال له نصر: فابدأ بالكرمانى أولا، ثم سر إلى الري، وأنا في طاعتك إذا وصلتها. ثم تناظر نصر والحارث ورضيا أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان [لحكمهما] كذا. ولعل فيه تحريفاً صوابه (نائب خراسان).

أن يعزل نصر ويكرن الأمر شورى . فامتنع نصر من قبول ذلك ، ولزم الجهم بن صفوان ^(١) وغير قراءة سيرة الحارث على الناس في الجامع والطرق ، فاستجاب له خلق كثير ، وجم غفير فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيار ، فقصده فحارب دونه أصحابه ، فقتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان ، طعنه رجل في فيه فقتله ، ويقال بل أسر الجهم فأوقف بين يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله ، فقال : إن لي أماتا من أبيك ، فقال : ما كان له أن يؤمنك ، ولو فعل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه الملاة كواكب ، وأنزلت عيسى بن مريم ، ما نجوت ، والله ولو كنت في بطني لشقت بطني حتى أقتلك . وأمر ابن ميسر فقتله . ثم اتفق الحارث بن سريج والكرماني على نصر ومخالفته ، والدعوة إلى الكتاب والسنة واتباع أئمة الهدى وتحريم المنكرات إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة ، ثم اختلفا فيما بينهما واقتتلا قتالا شديدا ، فغلب الكرمانى وانهمز أصحاب الحارث . وكان راكبا على بغل فتحول إلى فرس فخرت أن تمشى ، وهرب عنه أصحابه ولم يبق معه منهم سوى مائة ، فأدركه أصحاب الكرمانى فقتلوه تحت شجرة زيتون ، وقيل تحت شجرة عبيرا . وذلك يوم الأحد لست بقين من رجب من هذه السنة ، وقتل معه مائة من أصحابه ، واحتاط الكرمانى على حواصله وأمواله ، وأخذ أموال من خرج معه أيضاً ، وأمر بصلب الحارث بلا رأس على باب مرو ، ولما بلغ نصر بن سيار مقتل الحارث : في ذلك :

يا مدخل اللذلى عنى قومى * بعداً وسحقاً لك من هالك
شومك أردى مضراً كلها * وغض من قومك بالحارث
ما كانت الازد وأشياعها * تطمّع فى عمرو ولا مالك
ولا بنى سعد إذ ألجوا * كل طير لونه حالك

وقد أجابه عباد ^(٢) بن الحارث بن سريج فيما قال :

ألا يا نصر قد برح الخفاء * وقد طال التقي والرجاء
وأصبحت المزون بأرض مروى * تقضى فى الحكومة ما تشاء
بجور قضاؤها فى كل حكم * على مضرو وإن جار القضاء
وجير فى مجالسها قعود * ترقق فى رقابهم الدماء
فإن مضربنا رضى وذلت * فطال لها المنة والشقاء
وإن هى أعتبت فيها وإلا * فخل على عساكرها العفاء

وفى هذه السنة بعث إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس أباسلم الخراسانى إلى خراسان

(١) زيادة من المصرية (٢) فى المصرية عتاب وفى نسخة القسطنطينية غيات ومصحناه من

تاريخ ابن جرير الطبرى ٩ : ٧٤

وكتب معه . كتبنا إلى شيعتهم بها : إن هذا أبا مسلم فاسموا له وأطيعوا ، وقد ولينه على ماغلب عليه من أرض خراسان . فلما قدم أبو مسلم خراسان وقرأ على أصحابه هذا الكتاب ، لم يلقفتوا إليه ولم يعملوا به وأعرضوا عنه ونبذوه وراء ظهورهم ، فرجع إلى إبراهيم بن محمد أيام الموسم ، فاشتكاكم إليه وأخبره بما قالوه من الخالفة ، فقال له : يا عبد الرحمن ! إنك رجل منا أهل البيت ، إرجع إليهم وعليك بهذا الحق من بين فأكرمهم وانزل بين أظهرهم فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم . ثم حذره من بقية الأحياء وقال له : إن استطعت أن لاتدع بتلك البلاد لسانا عربيا فافعل ، ومن بلغ من أبنائهم خمسة أشبار وأتمته فاقتله ، وعليك بذلك الشيخ فلا تقصه - يعني سليمان بن كثير - وسأني ما كان من أمر أبي مسلم الخراساني فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي في قول أبي مخنف ، وكان سبب ذلك أن الضحاك حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط وواقفه على محاصرته منصور بن جمهور ، فكتب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز إليه : إنه لا فائدة لك في محاصرتي ولكن عليك بمروان بن محمد فسر إليه ، فإن قتلتك اتبعتك . فاصطاحا على مخالفة مروان بن محمد أمير المؤمنين ، فلما اجتاز الضحاك بالموصل كاتبه أهلها فال إليهم فدخلها ، وقتل فائتها واستحوذ عليها ، وبلغ ذلك مروان وهو محاصر حص ، ومشغول بأهلها وعدم مبايعةهم إياه ، فكتب إلى ابنه عبد الله بن مروان - وكان الضحاك قد التفت عليه مائة ألف وعشرون ألفا فحاصروا نصيبين - وساق مروان في طلبه فالتقيا هناك ، فاقتلا قتالا شديداً فقتل الضحاك في المعركة وحجز الليل بين الفريقين ، وفقد أصحاب الضحاك الضحاك وشكوا في أمره حتى أخبرهم من رآه قد قتل ، فبكوا عليه وناحوا ، وجاء الخبر إلى مروان فبعث إلى المعركة بالمشاعل ومن يعرف مكانه بين القتلى ، وجاء الخبر إلى مروان وهو مقتول ، وفي رأسه وجهه نحو من عشرين ضربة ، فأمروا برأسه فطيف به في مدائن الجزيرة . واستخلف الضحاك على جيشه من بعده رجلا يقال له الخبيري ، فالتفت عليه بقية جيش الضحاك ، والتفت مع الخبيري سليمان ابن هشام بن عبد الملك وأهل بيته ومواليه ، والجيش الذين كانوا قد بايعوه في السنة الماضية على الخلافة ، وخلصوا مروان بن محمد عن الخلافة لأجله ، فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان ، فحمل الخبيري في أربعمائة من شجعان أصحابه على مروان ، وهو في القلب ، فكر منهزما واتبعه حتى أخرجوه من الجيش ، ودخلوا عسكره وجلس الخبيري على فرشه ، هذا وميمنة مروان ثابتة وعليها ابنه عبد الله ، وميسرته أيضا ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم المقتيل . ولما رأى عبد الله المسكر فارين مع الخبيري ، وأن الميمنة والميسرة من جنهم باقيتان طمعا فيه فأقبلوا إليه بعمد الخيام فقتلوه بها ، وبلغ قتله مروان وقد سار عن الجيش نحواً من خمسة أميال أو ستة ، فرجع مسرورا وانهرم أصحاب الضحاك ،

وقد ولوا عليهم شيبان ، فقصدهم مروان بعد ذلك ، فكان يقال له الكراديس فهزمهم .
وفيهما بعث مروان الحمار على إمارة العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقا تل من بها من الخوارج .
وفي هذه السنة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب المدينة ومكة والطائف ،
وأمر العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ، وأمر خراسان نصر بن سيار .
ومن توفى في هذه السنة بكر بن سوادة وجابر الجعفي والجهم بن صفوان ، مقتولا كما تقدم ، والحارث
ابن سريج أحد كهراء الأمراء ، وقد تقدم شئ من ترجمته ، وعاصم بن عبدلة ، وأبو حصين عثمان بن
عاصم ، ويزيد بن أبي حبيب ، وأبو التياح يزيد بن حميد ، وأبو حمزة التميمي ، وأبو الزبير المكي
وأبو عمران الجوني وأبو قبيل المغافري . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

فيها اجتمعت الخوارج بعد الخيبر على شيبان بن عبد العزيز بن الحليس الليشكري الخارجي
فأشار عليهم سليمان بن هشام أن يتحصنوا بالموصل ويحملوها منزلا لهم ، فمحلوا إليها وتبعهم مروان
ابن محمد أمير المؤمنين ، فمكروا بظاهرها وخندقوا عليهم مما يلي جيش مروان . وقد خندق مروان
على جيشه أيضا من ناحيتهم ، وأقام سنة يحاصرم ويقتتلون في كل يوم بكرة وعشية ، وظفر مروان
بأخ سليمان بن هشام ، وهو أمية بن معاوية بن هشام ، أسره بعض جيشه ، فأمر به فقطعت
يداه ثم ضرب عنقه ، وعنه سليمان والجيش ينظرون إليه . وكتب مروان إلى نائبه بالعراق يزيد بن
عمر بن هبيرة يأمره بقتال الخوارج الذين في بلاده . فحرت له معهم وقعات عديدة ، فظفر بهم
ابن هبيرة . وأباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية بالعراق ، واستنقذ الكوفة من أيدي الخوارج ، وكان
عليها المنفى بن عمران العائذي - عائذة قریش - في رمضان من هذه السنة ، وكتب مروان إلى ابن
هبيرة لما فرغ من الخوارج أن يمد بهمار بن صبارة - وكان من الشجمان - فبعثه إليه في سبعة آلاف
أو ثمانية آلاف ، فأرسلت إليه سرية في أربعة آلاف فاعترضوه في الطريق فهزمهم ابن صبارة
وقتل أميرهم الجون بن كلاب الشيباني الخارجي ، وأقبل نحو الموصل ، ورجع فل الخوارج إليهم .
فأشار سليمان بن هشام عليهم أن يتحلوا عن الموصل ، فإنه لم يكن يمكنهم الإقامة بها ، ومروان من
أمامهم وابن صبارة من ورائهم ، قد قطع عنهم الميرة حتى لم يجدوا شيئا يأكلونه ، فارتحلوا عنها
وساروا على حلوان إلى الأهواز ، فأرسل مروان ابن صبارة في آثارهم في ثلاثة آلاف ، فاتبعهم يقتل
من تخلف منهم ويلحقهم في مواطن فيقاتلهم ، وما زال وراءهم حتى فزق شملهم شذرا مذر ، وهلك
أميرهم شيبان بن عبد العزيز الليشكري بالأهواز في السنة القابلة ، قبله خالد بن مسعود بن جعفر بن
خليد الأزدي . وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهل بيته السفن وساروا إلى السند ، ورجع

مروان من الموصل فأقام بمنزله بجران وقد وجد سروراً بزوال الخوارج ، ولكن لم يتم سروره ، بل أعقبه القدر من هو أقوى شوكة وأعظم أتباعاً ، وأشد بأساً من الخوارج ، وهو ظهور أبي مسلم الخراساني الداعية إلى دولة بني العباس .

أول ظهور أبي مسلم الخراساني

وفي هذه السنة ورد كتاب من إبراهيم بن محمد الامام العباسي بطلب أبي مسلم الخراساني من خراسان ، فصار إليه في سبعين من النقباء ، لا يبرون ببلد إلا سألوهم إلى أين تذهبون ؟ فيقول أبو مسلم : نريد الحج . وإذا توسم أبو مسلم من بعضهم ميلاً إليهم دعاهم إلى ما هم فيه فيجيبه إلى ذلك ، فلما كان ببعض الطريق جاء كتاب ثان من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم : إلى بعثت إليك براءة النصر فارجع إلى خراسان وأظهر الدعوة ، وأمر قحطبة بن شبيب أن يسير بما معه من الأموال والتحف إلى إبراهيم الامام فيوافيه في الموسم ، فرجع أبو مسلم بالكتاب فدخل خراسان في أول يوم من رمضان فرفع الكتاب إلى سليمان بن كثير وفيه : أن أظهر دعوتك ولا تتر بص . فقدموا عليهم أبا مسلم الخراساني داعياً إلى بني العباس ، فبعث أبو مسلم دعاته في بلاد خراسان ، وأمر خراسان - نصر بن سيار - مشغول بقتال الكرماني ، وشيبان بن سلمة الحروري ، وقد بلغ من أمره أنه كان يسلم عليه أصحابه بالخلافة في طوائف كثيرة من الخوارج ، فظهر أمر أبي مسلم وقصده الناس من كل جانب ، فكان من قصده في يوم واحد أهل ستين قرية ، فأقام هناك اثنين وأربعين يوماً ، ففتحت على يديه أقاليم كثيرة . ولما كان ليلة الخميس لحس بقين من رمضان في هذه السنة ، عقد أبو مسلم الاواء الذي بعثه إليه الامام ، ويدعى الظل ، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد الراية التي بعث بها الامام أيضاً ، وتدعى السحاب ، على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً ، وهما سوداوان ، وهو يتلو قوله تعالى [أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير] ولبس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن أجابهم إلى هذه الدعوة ، السواد ، وصارت شعارهم ، وأوقدوا في هذه الليلة ناراً عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي ، وكانت علامة بينهم فتجمعوا . ومعنى تسمية إحدى الرايتين بالسحاب أن السحاب كما يطبق جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم أهل الأرض ، ومعنى تسمية الأخرى بالظل أن الأرض كما أنها لا تخلو من الظل فكذلك بنو العباس لا تخلو الأرض من قائم منهم . وأقبل الناس إلى أبي مسلم من كل جانب ، وكثر جيشه .

ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس ، ونصب له منبراً ، وأن يخالف في ذلك بهي أسيّة ، ويعمل بالسنة ، فنودي للصلاة الصلاة جامعة ، ولم يؤذن ولم يقيم خلافاً

لهم . وبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، وكبر ستاً في الأولى قبل القراءة ، لا أربعاً . وخمساً في الثانية لا ثلاثاً ، خلافاً لهم . وابتدأ الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بالقراءة ، وانصرف الناس من صلاة العشاء . وقد أعد لهم أبو مسلم طعاماً فوضعه بين أيدي الناس ، وكتب إلى نصر بن سيار كتاباً بدأ فيه بنفسه ثم قال إلى نصر بن سيار . بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد فإن الله غير أقواماً في كتابه فقال [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم] إلى قوله [تحملاً] فمظم على نصر أن قدم اسمه على اسمه ، وأطال الذكر ، وقال : هذا كتاب له جواب .

قال ابن جرير : ثم بعث نصر بن سيار خيلاً عظيمة لمحاربة أبي مسلم ، وذلك بعد ظهوره بثمانية عشر شهراً ، فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن الهيثم الخزاعي ، فالتقوا ، فدعاهم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله - ، فأبوا ذلك ، فتصافوا من أول النهار إلى العصر ، فجاء إلى مالك مدد فقوى فظفر بهم مالك ، وكان هذا أول موقف اقتتل فيه جند بني العباس وجند بني أمية .

وفي هذه السنة غلب خازم بن خزيمه على مرو الروذ وقتل عاملها من جهة نصر بن سيار ، وهو بشر بن جعفر السعدي ، وكتب بالفتح إلى أبي مسلم ، وكان أبو مسلم إذ ذاك شاباً حدثاً قد اختاره إبراهيم لدعوتهم . وذلك لشهامته بصرامته ، وقوة فهمه وجودة ذهنه ، وأصله من سواد الكوفة ، وكان مولى لآلدريس بن معقل العجلي ، فاشترى بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم ، ثم أخذه محمد بن علي ثم آل ولاؤه لآل العباس ، وزوجه إبراهيم الامام بابنة أبي النجم إسماعيل بن عمران ، وأصدقها عنه وكتب إلى دعاهم بمخراسان والعراق أن يسمعوها منه ، فامتنلوا أمره ، وقد كانوا في السنة الماضية قبل هذه السنة ردوا عليه أمره لصغره فيهم ، فلما كانت هذه السنة أكد الامام كتابه إليهم في الوصاية به وطاعته ، وكان في ذلك الخبير له ولهم [وكان أمر الله قدراً مقدوراً] ولما فشا أمر أبي مسلم بمخراسان تماقت طوائف من العرب الذين بها على حربه ومقاتلته ، ولم يكره الكرماني وشيبان لأنهما خرجا على نصر وأبو مسلم بخالف النصر كحالهما ، وهو مع ذلك يدعو إلى خلع مروان الحمار ، وقد طلب نصر من شيبان أن يكون معه على حرب أبي مسلم ، أو يكف عنه حتى ينفرد بحربه ، فإذا قتل أبا مسلم عادا إلى عداوتهما ، فأجاباه إلى ذلك ، فبلغ ذلك أبا مسلم فبعث إلى الكرماني يعلمه بذلك فلام الكرماني شيبان على ذلك ، وثناه عن ذلك ، وبعث أبو مسلم إلى هراة النصر بن نعيم فأخذها من عاملها عيسى بن عقيل الليثي ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، وجاء عاملها إلى نصر هارباً ، ثم إن شيبان وادع نصر بن سيار سنة على ترك الحرب بينه وبينه ، وذلك عن كره من الكرماني ، فبعث ابن الكرماني إلى أبي مسلم إلى معك على قتال نصر ، وركب أبو مسلم في خدمة الكرماني فاتفقا على حرب نصر ومخالفته . وتحول أبو مسلم إلى موضع فسيح وكثر جنده وعظم جيشه ، واستعمل على الحرس والشرط

والرسائل والديوان وغير ذلك مما يحتاج إليه الملك عمالا ، وجعل القاسم بن مجاشع النخعي - وكان أحد النقباء - على القضاء وكان يصلي بأبي مسلم الصلوات ، ويقص بعض القصص فيذكر محاسن بني هاشم ويندم بني أمية . ثم تحول أبو مسلم إلى قرية يقال لها بالين ، وكان في مكان منخفض ، فغشى أن يطلع عنه نصر بن سيار الماء ، وذلك في سادس ذي الحجة من هذه السنة ، وصلى بهم يوم النحر القاضي القاسم بن مجاشع ، وصار نصر بن سيار في جحافل كالجباب فأصدا قتال أبي مسلم ، واستخلف على البلاد نوابا وكان من أمرهما ما سند كرمي السنة الآتية .

مقتل ابن الكرماني

ولشبت الحرب بين نصر بن سيار وبين ابن الكرماني - وهو جديع بن علي الكرماني - فقتل بينهما من الفريقين خلق كثير ، وجعل أبو مسلم يكتب كلاما من الطائفتين ويستميلهم إليه ، يكتب إلى نصر وإلى ابن الكرماني : إن الامام قد أوصاني بكم خيرا ولست أعدد رأيي فيكم ، وكتب إلى الكور يدعو إلى بني العباس فاستجاب له خلق كثير وجم غفير ، وأقبل أبو مسلم فنزل بين خندق نصر وخندق ابن الكرماني ، فهابه الفريقان جميعا ، وكتب نصر بن سيار إلى مروان يعلمه بأمر أبي مسلم ، وكثرة من معه ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب في جملة كتابه :

أرى بين الرمادِ وميضَ جهرٍ * وأحرى أن يكونَ لهُ ضرامُ
فإن النارَ بالعيدانِ تذكى * وإنَّ الحربَ مبدؤها السكلامُ
فقلتُ من التمجيدِ ليت شعري * أيقاظُ أميةُ أمُ نيامُ

فكتب إليه مروان : الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، فقال نصر : إن صاحبكم قد أخبركم أن لا نصر عنده . وبعضهم يرونها بلفظ آخر : -

أرى خللَ الرمادِ وميضَ نارٍ * فيوشكُ أن يكونَ لها ضرامُ
فإنَّ النارَ بالعيدانِ تذكى * وإنَّ الحربَ أولها كلامُ
فإن لم يطفها عقلاء قومٍ * يكونَ وقودها جنثٌ وهامُ
أقول من التمجيدِ ليت شعري * أيقاظُ أميةُ أمُ نيامُ
فإن كانوا حينئذٍ نياماً * فقل قوموا فقد حانَ القيامُ

قال ابن خلدكان : وهذا كما قال بعض علوية الكوفة حين خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسين على المنصور أخى السفاح :

أرى ناراً تشبُّ على بقاعٍ * لها في كل ناحيةٍ شماغُ
وقد رقدت بنو العباس عنها * وباتت وهي آمنةٌ رناعُ
كما رقدت أميةٌ ثم هبت * تدافعُ حين لا يغنى الدفاعُ

وكتب نصر بن سيار أيضا إلى نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستعده وكتب إليه :
 أبلغ يزيد وخير القول أصدق * وقد تحققت أن لا خير في الكذب
 بأن أرض خراسان رأيت بها * بيضا إذا أفرخت حدثت بالمعجب
 فراخ علمين إلا أنها كبرت * ولم يطرن وقد سر بلن بالزغب
 فان يطرن ولم يحتل لمن بها * يلهن نيران حرب أيما لهب

فبعث ابن هبيرة بكتاب نصر إلى مروان ، واتفق في وصول الكتاب إليه أن وجدوا رسولا
 من جهة إبراهيم الامام ومعه كتاب منه إلى أبي مسلم ، وهو يشتمه فيه ويسبه ، ويأمره أن يناهض
 نصر بن سيار وابن الكرماني ، ولا يترك هناك من يحسن العربية . فعند ذلك بعث مروان وهو مقيم
 بمران كتابا إلى نائبه بدمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يأمره فيه أن يذهب إلى الحمية ،
 وهي البلدة التي فيها إبراهيم بن محمد الامام ، فيقيدته ويرسله إليه . فبعث نائب دمشق إلى نائب
 البلقاء فذهب إلى مسجد البلدة المذكورة فوجد إبراهيم الامام جالسا فقيده وأرسل به إلى دمشق ،
 فبعثه نائب دمشق من فوره إلى مروان ، فأمر به فسجن ثم قتل كما سيأتي .

وأما أبو مسلم فإنه لما توسط بين جيش نصر وابن الكرماني ، كاتب ابن الكرماني : إني ملك قال
 إليه ، فكتب إليه نصر ويحك لا تغتر فانه إنما يريد قتلك وقتل أصحابك ، فلم حتى نكتب كتابا
 بيننا بالوادعة ، فدخل ابن الكرماني داره ثم خرج إلى الرحبة في مائة فارس ، وبعث إلى نصر هلم
 حتى نتكاتب ، فأبصر نصر غرة من ابن الكرماني فنهض إليه في خلق كثير ، فحملوا عليه فقتلوه
 وقتلوا من جماعته جماعة ، وقتل ابن الكرماني في المعركة ، طعنه رجل في خصرته فغر عن دابته ، ثم
 أمر نصر بصلبه وصلب معه جماعة ، وصلب معه سمكة ، وانضاف ولده إلى أبي مسلم الخراساني ومعه
 طوائف من الناس من أصحاب ابن الكرماني ، فصاروا كنفاء واحدا على نصر .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة تغلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على فارس وكورها ،
 وعلى حلوان وقومس واصبهان والري ، بعد حرب يطول ذكرها ، ثم التقى عامر بن ضبارة معه باصطخر
 فهزمه ابن ضبارة وأسر من أصحابه أربعين ألفا . فكان منهم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ،
 فنسبه ابن ضبارة وقال له : ما جاء بك مع ابن معاوية وقد علمت خلافه لأمر المؤمنين ؟ فقال : كان
 على دين فأتيته فيه . فقام إليه [حرب بن] قحطان بن وهب الهلالي فاستوجهه منه وقال : هو ابن أختنا
 فوجه له ، وقال : ما كنت لأقدم على رجل من قريش ، ثم استعلم ابن ضبارة منه أخبار ابن معاوية
 فذمه ورماه هو وأصحابه باللوأط ، وحبس من الأسارى بمائة غلام عليهم الثياب المصبغة ، وقد كان
 يعمل معهم الفاحشة ، وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد لابن هبيرة ليخبره بما أخبر به

ابن ضبارة عن ابن مارية . وقد كتب الله عز وجل أن زوال ملك من أمة يكون على يدي هذا الرجل ، وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولا يشمر واحد منهم بذلك . قال ابن جرير : وفي هذه السنة ولي الموسم أبو حمزة الخارجي فأطاعه النعمان والمهاجرة المرواني . وتبرأ منه . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مكة والمدينة والطائف . وإليه أمر الحجاج في هذه السنة ، ثم صالحهم على الأمان إلى يوم النفر ، فوفقوا على حدة من الناس بمرقات ، ثم تميزوا عنهم ، فلما كان يوم النفر الأول لمجمل عبد الواحد وترك مكة فذهب إلى الخارجي بغير قنبل ، فقتل بعض الشعراء في ذلك : -

زاد الحجاج مصابة قد خالفوا * دين الاله فز عبد الواحد

ترك الحلال والامارة هاربا * ومضى يخط كاليمبر الشارد

لو كان والده تنصل هرقه * لصفحت موارده بريق الوارد

ولما رجع عبد الواحد إلى المدينة شرع في تجهيز السرايا إلى قتال الخارجي ، وبقيل النقتل وزاد في أعطية الأجناد ، وسبهم مرياً . وكان أمير العراق يزيد بن هبيرة ، وأمير خراسان نصر بن سيار ، وقد استحوذ على بعض بلاده أبو مسلم الخراساني . ومن تولى فيها من الأعيان : سالم أبو النصر ، وعلي بن زيد بن جندب ، في قول ، ويحيى بن أبي كثير . وقد ذكرنا تراجمهم في التشكيل والله الحمد .

سنة ثلاثين ومائة

في يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى منها ، دخل أبو مسلم الخراساني مرو ، ونزل دار الامارة بها ، وانزعها من يد نصر بن سيار ، وذلك بمساعدة علي بن الكرماني ، وهرب نصر بن سيار في شرفة قليلة من الناس ، نحو من ثلاثة آلاف ، وملك امرأته كمر زبانه ، حتى لحق - رخص وترك امرأته وراة ، ونجا بنفسه ، واستنفل أمر أبي مسلم حفاً ، وانفت عليه الصاكر .

مقتل شيبان بن سلة الحاروري

ولما هرب نصر بن سيار إلى شيبان وكان مماثله على أبي مسلم ، فبعث إليه أبو مسلم رسلاً لحبسهم فأرسل أبو مسلم إلى إسماعيل بن إبراهيم مولى بن ليث يأمره أن يركب إلى شيبان بميثاقه ، فصار إليه فالتفتا فبزمه إسماعيل فقتله واتبع أصحابه يقتلهم ويأسرهم ، ثم قتل أبو مسلم عليا وعثمان بن الكرماني ، ثم رجع أبو مسلم إلى داود إلى بلخ فأخذ منها من زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وأحد منهم أموالي جريفة . ثم إن أبا مسلم اتفق مع أبي داود على قتل عثمان بن الكرماني في يوم كذا ، وفي ذلك اليوم دسبه يقتل أبو مسلم على بن جديع الكرماني ، فوقع ذلك كذلك .

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم قحطبة بن شبيب إلى نيسابور لقتال نصر بن سيار ، ومع قحطبة جماعة من كبار الأمراء ، منهم خالد بن برمك . فالتقوا مع تميم بن نصر بن سيار وقد وجهه أبوه لقتالهم بطاوس ، فقتل قحطبة من أصحاب نصر نحواً من سبعة عشر ألفاً في المعركة ، وقد كان أبو مسلم بعث إلى قحطبة مسدداً نحو عشرة آلاف فارس ، عليهم هلى بن معقل ، فاقتتلوا فقتلوا من أصحاب نصر خلقاً كثيراً ، وقتلوا تميم بن نصر ، وغدموه أو أجازيلة جنداً ، ثم إن يزيد بن عمر بن هبيرة نائب مروان على العراق بعث سرية مدداً لنصر بن سيار ، فالتقى معهم قحطبة في مستهل ذي الحجة ، وذلك يوم الجمعة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهمز جند بني أمية ، وقتل من أهل الشام وغيرهم عشرة آلاف ، منهم ثمانية من محظلة عامل جرجان ، فبعث قحطبة برأسه إلى أبي مسلم .

ذكر دخول أبي حمزة الخارجي المدينة النبوية واستلانه عليها

قال ابن جرير: وفي هذه السنة كانت وقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي الذي كان عام أول في أيام الموسم ، فقتل من أهل المدينة من قریش خلقاً كثيراً ، ثم دخل المدينة وهرب نائبها عبد الواحد ابن سليمان ، فقتل الخارجي من أهلها خلقاً ، وذلك لتسع عشرة ليلة خلت من صفر من هذه السنة ، ثم خطب على منبر رسول الله (ص) فويح أهل المدينة ، فقال : يا أهل المدينة إني مرت بك أيام الأحول - يعني هشام بن عبد الملك - وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فكنتم إليهِ تسألونه أن يضع الخرص عنكم فوضعه ، وزاد غنيكم غنى وزاد فقيركم فقراً ، فكنتم إليه جزاك الله خيراً ، فلا جزاه الله خيراً . في كلام طويل . فأقام عندهم ثلاثة أشهر ببقية صفر وشهر ربيع وبعض جمادى الأول فيما قلل الواقدي وغيره . وقد روى المدائني أن أبا حمزة رقى يوماً منبر رسول الله (ص) ، ثم قال : تعلمون يا أهل المدينة أننا لم نخرج من بلادنا بطراً ولا أشراً ، ولا لدولة نريد أن نخوض فيها النار ، وإنما أخرجنا من ديارنا أننا رأينا مصابيح الحق طمست ، وضعف القائل بالحق ، وقتل القائم بالنفس ، فلما رأينا ذلك ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن ، وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله [ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض] أقبلنا من قبائل شتى ، والنفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم ، يتماورون لحافاً واحداً قليلون مستضعفون في الأرض ، فأوأانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا والله بنعمة الله إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني مروان ، فشتان لعمر الله بين النى والرشد ، ثم أقبلوا نحونا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلث بدمائهم مراجله ، وصدق عليهم ظنه فاتبعوه ، وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب ، بكل مهند ذي روق ، فصدارت رحانا واستدارت رحامه ، بضرب يرتاب منه المبطون ، وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان يسحقكم الله بمذاب من عنده أو

بأيدشاً ، ويشف صدور قوم مؤمنين ، يا أهل المدينة أولسكم خير أول ، وآخركم شر آخر ، يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم ، إلا مشركاً عابداً وثناً أو كافراً أهل كتاب ، أو إماماً جارراً . يا أهل المدينة من زعم أن الله يكلف نفساً فوق طاقتها ، أو يسألها ما لم يؤتها ، فهو لله عدو ، وأنا له حرب . يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوى والضعيف ، فجاء ناسع ليس له منها ولا سهم واحد ، فأخذها لنفسه ، مكابراً محارباً لربه ، يا أهل المدينة بلغني أنكم تفتقصون أصحابي قتلتم شباب أحداث ، وأعراب جفاة أجلاف ، ويحكم فهل كان أصحاب رسول الله (ص) ، إلا شباباً أحداثاً ، شباباً والله مكنتهم في شبابهم ، غصة عن الشر أعينهم ، ثقل عن السعي في الباطل أقدامهم ، قد باعوا الله أنفساً بموت بأنفس لا تموت ، قد خالطوا كلامهم بكلامهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار ، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة . فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت ، وإلى الرماح قد شرعت ، وإلى السهام قد فوقت ، وارتعدت الكتيبة بصواعق الموت ، استخفوا والله وعيد الكتيبة لوعيد الله في القرآن ، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة ، فطوبى لهم وحسن مأب ، فكم من عين في مناقير الطير طال ما فاضت في جوف الليل من خشية الله ، وطال ما بكت خالية من خوف الله ، وكم من يد زالت عن مفصلها طال ما ضربت في سبيل الله وجاهدت أعداء الله . وطال ما اعتمد بها صاحبها في طاعة الله . أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيري ، وما توفيقي إلا بالله .

ثم روى المدائني عن العباس عن هارون عن جده قال : كان أبو حمزة الخارجي قد أحسن السيرة في أهل المدينة فقالوا إليه حتى ممدوه [يقول] برح الخلفاء أين عن بابلك نذهب [ثم قال] من زنا فهو كافر ، ومن سرق فهو كافر ، فمنذ ذلك أبغضوه ورجعوا عن محبته . وأقام بالمدينة حتى بعث مروان الحمار عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد في خيل أهل الشام أربعة آلاف ، قد انتخبها مروان من جيشه ، وأعطى كل رجل منهم مائة دينار وفرساً عربية ، وبغلاً ثقله ، وأمره أن يقاتله ولا يرجع عنه ، ولو لم يلحقه إلا باليمن فليتبعمه إليها ، وليقاتل نائب صنعاء عبد الله بن يحيى . فسار ابن عطية حتى باغ وادي القرى فلتقاه أبو حمزة الخارجي فاصداً قتال مروان بالشام ، فاقتنلوا هنالك إلى الليل ، فقال له : ويحك يا ابن عطية ! إن الله قد جعل الليل سكناً فأخر إلى غد ، فأبى عليه أن يطلع عن قتاله ، فما زال يقاتلهم حتى كسروهم فولوا ورجع فلم يبق إلى المدينة ، فنهض إليهم أهل المدينة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ودخل ابن عطية المدينة ، وقد انهزم جيش أبي حمزة عنها ، فيقال إنه أقام بها شهراً ثم استخلف عليها ، ثم استخلف على مكة وسار إلى اليمن ففرج إليه عبد الله ابن يحيى نائب صنعاء ، فاقتنلوا فقتله ابن عطية وبعث برأسه إلى مروان وجاء كتاب مروان إليه

بأمره بإقامة الحج للناس في هذه السنة ، ويستعجله في المسير إلى مكة . فخرج من صنعاء في اثني عشر راجيا ، وترك جيشه بصنعاء ، ودمه خرج فيه أربعون ألف دينار ، فلما كان ببعض الطريق نزل منزلا إذا أقبل إليه أميران يقال لهما ابنا جمانة من سادات تلك الناحية ، فقالوا وبحكم أنتم لصوص . فقال : أنا ابن عطية وهذا كتاب أمير المؤمنين إلى بأمره الحج ، فنحن نعجل السير لنذكر الموسم ، فقالوا : هذا باطل ، ثم حملوا عليهم فقتلوا ابن عطية وأصحابه ولم يفلت منهم إلا رجل واحد ، وأخذوا مامعهم من المال .

قال أبو معشر : وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان ، وقد جعلت إليه إمرة المدينة ومكة والطائف ، ونائب العراق ابن هبيرة ، وإمرة خراسان إلى نصر بن سيار ، غير أن أبا مسلم قد استحوذ على مدن وقرى كثيرة من خراسان ، وقد أرسل نصر إلى ابن هبيرة يستمده بعشرة آلاف قبل أن لا يكفيه مائة ألف ، وكتب أيضا إلى مروان يستمده ، فكتب مروان إلى ابن هبيرة يمدّه بما أراد .

ومن توفي فيها من الأعيان شعيب بن الحبحاب ، وعبد العزيز بن صهيب ، وعبد العزيز بن رفيع ، وكعب بن علقمة ، ومحمد بن المنكدر . والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

في الحرم منها وجهه قحطبة بن شبيب ولده الحسن إلى قوميس لقتال نصر بن سيار ، وأردفه بالامداد ، فغار بعضهم إلى نصر وأرتحل نصر فنزل الرى ، فأقام بها يومين ثم مرض فساد منها إلى همدان . فلما كان بساره قريبا من همدان توفي لمضى ثلثي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة ، عن خمس وثلاثين سنة . فلما مات نصر تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان ، وقويت شوكتهم جدا ، وسار قحطبة من جرجان ، وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيري ، وكان قد ندم على اتباع أبي مسلم ، فترك الجيش وأخذ جماعة معه وسلك طريق أصبهان ليأتى ابن ضبارة ، فبعث قحطبة وراه جيشا فقتلوا عامة أصحابه ، وأقبل قحطبة وراه فقدم قومس وقد افتتحها ابنه الحسن فأقام بها ، وبعث ابنه بين يديه إلى الرى ثم ساق وراه فوجده قد افتتحها فأقام بها وكتب إلى أبي مسلم بذلك . وأرتحل أبو مسلم من مرو فنزل نيسابور واستفحل أمره ، وبعث قحطبة بعد دخوله الرى ابنه الحسن بين يديه إلى همدان ، فلما اقترب منها خرج منها مالك بن أدهم وجماعة من أجداد الشام وخراسان ، فزولوا نهاوند ، فافتتح الحسن همدان ثم سار وراه إلى نهاوند ، وبعث إليه أبوه بالامداد فحاصروا حتى افتتحها .

وفي هذه السنة مات عامر بن ضبارة ، وكان سبب ذلك أن ابن هبيرة كتب إليه أن يسير إلى

فحطبة وأمه بالمسافر ، فسار ابن ضبارة حتى التقى مع قحطبة في عشرين ألفاً ، فلما تواجه الفريقان رفع قحطبة وأصحابه المصاحف ونادى المنادى : يا أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى مافي هذا المصحف ، فشتبوا المنادى وشتبوا قحطبة ، فأمر قحطبة أصحابه أن يحملوا عليهم ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أصحاب ابن ضبارة ، واتبعهم أصحاب قحطبة فقتلوا منهم خاتماً كثيراً ، وقتلوا ابن ضبارة في المسكر [لشجاعته فإنه لم يول] وأخذوا من عسكرهم مالا يحد ولا يوصف .

وفىها حاصر قحطبة نهاوند حصاراً شديداً حتى سأل أهل الشام الذين بها أن يمل أهلها حتى يفتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أماناً ، فقال لهم من بها من أهل خراسان : ما فعلتم ؟ فقالوا : أخذنا لنا ولكم أماناً ، فخرجوا ظانين أنهم في أمان ، فقال قحطبة للامراء الذين معه : كل من حصل عنده أسير من الخراسانيين فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ، ففعلوا ذلك ولم يبق ممن كان حرب من أبي مسلم أحد ، وأطلق الشاميين وأوفى لهم عهدهم وأخذ عليهم الميثاق أن لا يمالئوا عليه عدواً . ثم بعث قحطبة أبا عون إلى شهر زور ، عن أمر أبي مسلم في ثلاثين ألفاً فافتتحها ، وقتل قائمها عثمان بن سفيان . وقيل لم يقتل بل تحول إلى الموصل والجزيرة وبعث إلى قحطبة بذلك ، ولما بلغ مروان خبر قحطبة وأبي مسلم وما وقع من أمرهما ، تحول مروان من حران فزل بمكان يقال له الزاب الأكبر .

وفىها قصد قحطبة في جيش كثيف نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة . فلما اقترب منه تنهقر ابن هبيرة إلى ورائه ، وما زال يتقهقر إلى أن جاوز الفرات ، وجاء قحطبة فجازها وراه ، وكان من أمرهما ما سئد كره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة

في الحرم منها جاز قحطبة بن شبيب الفرات ومعه الجنود والفرسان ، وابن هبيرة يخيم على فم الفرات مما يلي الفلوجة ، في خلق كثير وجم غفير ، وقد أمده مروان بجنود كثيرة ، والنضاف إليه كل من انهزم من جيش ابن ضبارة . ثم إن قحطبة عدل إلى الكوفة ليأخذها ، فاتبعه ابن هبيرة . فلما كانت ليلة الأربعاء لعاشرة من الشهر اقتتلوا قتالاً شديداً وكثراً قتل في الفريقين ، ثم ولى أهل الشام منهزمين واتبعهم أهل خراسان ، وفقد قحطبة من الناس فأخبرهم رجل أنه قتل وأوصى أن يكون أمير الناس من بعده ولده الحسن ، ولم يكن الحسن حاضراً ، فبايعوا حميد بن قحطبة لأخيه الحسن وذهب البريد إلى الحسن ليحضر . وقتل في هذه الليلة جماعة من الأمراء . والذي قتل قحطبة مع ابن زائدة ، ويحيى بن حصين . وقيل بل قتله رجل من كان معه أخذاً بشار أبي نصر بن سيار فأنه أعلم . ووجد قحطبة في القتلى فدفن هنالك ، وجاء الحسن بن قحطبة فسار نحو السكوفة ، وقد خرج بها

محمد بن خالد بن عبد الله القسري ودعا إلى بني العباس وسوّد ، وكان خروجه ليلة عاشوراء المحرم من هذه السنة ، وأخرج عامها من جهة ابن هبيرة ، وهو زياد بن صالح الحارثي ، ونحوّل محمد بن خالد إلى قصر الامارة فقصده حويزة في عشرين ألفاً من جهة ابن هبيرة ، فلما اقترب من الكوفة أصحاب حويزة يذهبون إلى محمد بن خالد فيبأيونه لبني العباس ، فلما رأى حويزة ذلك ارتحل إلى واسط ، ويقال بل دخل الحسن بن قحطبة الكوفة ، وكان قحطبة قد جعل في وصيته أن تكون وزارة الخلافة إلى أبي سلمة حفص بن سليمان مولى السبيع الكوفي الخلال ، وهو بالكوفة ، فلما قدموا عليه أشار أن يذهب الحسن بن قحطبة في جماعة من الأمراء إلى قتال ابن هبيرة بواسط ، وأن يذهب أخوه حميد إلى المدائن ، وبمّث البعوث إلى كل جانب يفتتحونها ، وفتحوا البصرة ، افتتحها مسلم بن قتيبة لابن هبيرة ، فلما قتل ابن هبيرة جاء أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي فأخذ البصرة لأبي مسلم الخراساني .

وفي هذه السنة ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر منها ، أخذت البيعة لأبي العباس السفاح ، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، قاله أبو معشر وهشام بن الكلبي . وقال الواقدي : في جمادى الأولى من هذه السنة فاته أعلم .

ذكر مقتل إبراهيم بن محمد السلام

قد ذكرنا في سنة تسع وعشرين ومائة أن مروان أطلع على كتاب من إبراهيم الامام إلى أبي مسلم الخراساني ، يأمره فيه بأن لا يبق أحدًا بأرض خراسان ممن يتكلم بالعريية إلا أباده ، فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم فقيل له هو بالبقاء ، فكتب إلى نائب دمشق أن يحضره فبعث نائب دمشق يريداه ومعه صفته وولته ، فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح ، فاعتقد أنه هو فأخذه فقيل له : إنه ليس به ، وإنما هو أخوه ، فدل على إبراهيم فأخذه وذهب معه بأم ولد له كان يحبها ، وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخوه أبو العباس السفاح ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة ، فارتحلوا من يدهم إليها ، منهم أعمامه الستة وهم : عبد الله ، وداود ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل ، وعبد الصمد ، بنوا علي ، وأخوه أبو العباس السفاح ، ومحمد ابنا محمد بن علي ، وابناء محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الامام الممسوك ، وخلق سواهم . فلما دخلوا الكوفة أنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعيد ، مولى بني هاشم ، وكنتم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من القواد.

والأمراء ، ثم ارتحل بهم إلى موضع آخر ، ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكان حتى فتحت البلاد . ثم بويج للسفاح . وأما إبراهيم بن محمد الإمام فإنه سير به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مروان ابن محمد وهو ببحران فحبسه ، وما زال في السجن إلى هذه السنة ، فأت في صفر منها في السجن ، عن ثمان وأربعين سنة . وقيل إنه غم بمرققة وضمت على وجهه حتى مات عن إحدى وخمسين سنة ، وصلى عليه رجل يقال له بهلول بن صفوان ، وقيل إنه هدم عليه بيت حتى مات ، وقيل بل سقى لبناً مسموماً فأت ، وقيل إن إبراهيم الإمام شهد الموسم عام إحدى وثلاثين ، واشتهر أمره هنالك لأنه وقف في أبهة عظيمة ، ونجائب كثيرة ، وحرمة وافرة ، فأتهى أمره إلى مروان وقيل له : إن أبا مسلم يدعو الناس إلى هذا ويسمونه الخليفة ، فبعث إليه في المحرم من سنة ثنتين وثلاثين وقتله في صفر من هذه السنة ، وهذا أصبح مما تقدم : وقيل إنه إنما أخذه من الكوفة لامن حمية البلقاء فله أعلم . وقد كان إبراهيم هذا كريماً جواداً له فضائل وفواضل ، وروى الحديث عن أبيه عن جده ، وأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ، وعنه أخواه عبد الله السفاح ، وأبو جعفر عبد الله المنصور ، وأبو سلمة عبد الرحمن بن مسلم أنظر أساني ، ومالك بن هاشم . ومن كلامه الحسن : السكامل المودة من أحرز دينه ، ووصل رحمه ، واجتنب ما يلام عليه .

خليفة أبي العباس السفاح

لما بلغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد ، أراد أبو سلمة الخلال أن يحول الخلافة إلى آل علي ابن أبي طالب ، فقلبه بقية النقباء والأراء ، وأحضروا أبا العباس السفاح وسلوا عليه بالخلافة ، وذلك بالكوفة ، وكان عمره إذ ذاك ستاً وعشرين سنة . وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة الخلال ، وذلك ليلة الجمعة ثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، فلما كان وقت صلاة الجمعة خرج السفاح على برذون أبيض ، والجند ملبسة معه ، حتى دخل دار الإمارة ، ثم خرج إلى المسجد الجامع وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر وبايعه الناس وهو على المنبر في أعلاه ، وعنه داود ابن علي واقف دونه بثلاث درج ، وتكلم السفاح ، وكان أول ما نطق به أن قال : الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه ديناً ، وكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا ، وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه والقوام به والذابين عنه والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها ، خصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ، ووضعنا بالاسلام وأهله في الموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتاباً ينزل عليهم . فقال تعالى [إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً] وقال [قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى] وقال : [وأنذر عشيرتكم

الأقر بين [وقال: «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذی القربى واليتامى والمساكين»]
 الآية . فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا ، وأجزل من النية والغنيمة نصيبتنا
 تكرمنا لنا ، وتفضلة علينا ، والله ذو الفضل العظيم . وزعمت السبائية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة
 والسياسة والخلافة منا ، فشاعت وجوههم . أيها الناس بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ، ونصرهم
 بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر لنا الحق وأدحض بنا الباطل ، وأصلح بنا منكم ما كان
 فاسداً ، ورفع بنا الحسيسة ، وأنتم النقيصة وجمع الفرقة ، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف
 وبر ومواساة في دينهم ، وإخوانا على سرر متقابلين في أخراهم ، فتح الله علينا ذلك منة ومنحة
 بمحمد (س) ، فلما قبضه إليه قام بذلك الأمر بعده أصحابه ، وأمرهم شورى بينهم ، فخورا ووارث
 الأمر فعدلوا فيها ، ووضعوها وأضعوها ، وأعطوها أهلها ، وخرجوا خفاصا منها . ثم وثب بنو حرب
 وسروان فابتزوها لأنفسهم ، وتداولوها . فجاروا فيها واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فأبى الله لهم
 حيناً [فلما آسفونا انتقمنا منهم] فانزع منهم ما بأيديهم بأيدينا ، ورد الله علينا حقنا ، وتدارك بنا
 أمتنا ، وتولى أمرنا والقيام بنصرنا لئن بنا على الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افشج بنا ،
 وإني لأرجو [أن] لا يأتيتكم الجور من حيث جاءكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الإصلاح ، وما
 توفيتنا أهل البيت إلا بالله . يا أهل الكوفة أنتم محل محبةنا ومنزل مودتنا ، وأنتم أسعد الناس بنا
 وأكرمهم علينا ، وقد زدتم في أعطيائكم مائة درهم ، فاستعدوا فانا السفاح الهاجج والشائر المبير . وكان
 به وعك فاشتد عليه حتى جلس على المنبر ونهض معه داود فقال : الحمد لله شكر آ الذي أهلك عدونا
 وأصار إلينا ميراثنا من بيتنا . أيها الناس الآن انقضت حنادس الظلمات وانكشف غطاؤها ،
 وأشرقت أرضها وسماؤها ، فطلعت شمس الخلافة من مطلعها ، ورجع الحق إلى نصابه ، إلى أهل نبيكم
 أهل الرأفة والرحمة والعطف عليكم ، أيها الناس إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لشكناز لجينا ولا غشياناً
 ولا لنحفر نهرآ ولا لنبنى قصرآ ولا لنجمع ذهباً ولا فضة ، وإنما أخرجتنا الأنفة من انزع حقنا
 والفضب لبني عمننا ، ولسوء سيرة بني أمية فيكم ، واستدلالهم لكم ، واستئثارهم بفيضكم وصدقاتكم ،
 فلكم علينا ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل بكتاب الله ،
 ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله ، تهابنا لبني أمية وبني مروان ، آثروا العاجلة على
 الآجلة ، والدار الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الآثام وظلموا الأثام ، وارتكبوا المحارم ، وغشوا
 الجرائم ، وجاروا في سيرتهم في العباد ، وسنتم في البلاد التي بها استلذوا بسر بل الأوزار ، ونجلب
 الآصار ، ومرحوا في أهنة المعاصي ، وركضوا في ميادين الفنى ، جهلوا منهم باستدراج الله ، وعميا عن
 أخذ الله . وأمنوا لمسكر الله ، فأنام بأس الله بيانا وهم نائمون ، فأصبغوا أحاديثهم وقوا كل ممرق ،

فبعدا للقوم الظالمين . وأدان الله من مروان ، وقد غره بالله الغرور ، أرسل عدو الله في عنائه حتى
عثر جواده في فضل خطابه ، أظن عدو الله أن لن يقدر عليه أحد ؟ فنادى حزبه وجمع جنده ورمى
بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته من مكر الله وبأسه ونقمته
ما أمت باطله ، وبحق ضلاله ، وأحل دائرة السوء به ، وأحاط به خطيئته ، ورد إلينا حقنا وآوانا .
أبها الناس ! إن أمير المؤمنين نذر الله نصرآ عز بآ ، إنما عاد إلى المنبر بعد صلاة الجمعة لأنه
كره أن يخلط بكلام الجمعة بغيره ، وإنما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك ، فادعوا الله
لأمير المؤمنين بالعافية ، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان ، المتبع للأسفلة
الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون المتوكل على الله المقتدى بالأبرار الأخيار الذين أصلحوا
الأرض بعد فسادها بمالم الهدى ، ومناهج النقي . قال فميج الناس له بالدعاء ثم قال : واعلموا يا أهل
الكوفة أنه لم يصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله (ص) ، إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
وأمر المؤمنين هذا - وأشار بيده إلى السفاح - واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج عنا ، حتى
نسله إلى عيسى بن مريم عليه السلام ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا . ثم نزل أبو
المعبس وداود حتى دخلا القصر . ثم دخل الناس يبأيون إلى المعصر ، ثم من بعد المعصر إلى الليل .
ثم إن أبا المعباس خرج فمسك بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود ، وبعث عمه عبد الله
ابن علي إلى أبي عون بن أبي يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة . وهو
يومئذ بواسط يحاصر ابن هبيرة ، وبعث يحيى بن [جعفر بن] تمام بن القباس إلى حميد بن قحطبة
بالمدائن ، وبعث أبا البقطان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام
بالأهواز ، وبعث سبعة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف . وأقام هو بالمسكر أشهرآ ، ثم
ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الامارة ، وقد تنكر لأبي سبعة الخلال ، وذلك لما كان بلغه عنه
من المدول بالخلافة عن ابن المعباس إلى آل علي بن أبي طالب والله سبحانه وتعالى أعلم .

مقتل مروان بن محمد بن مروان

آخر خلفاء بني أمية ، وتحول الخلافة إلى بني المعباس مأخوذ من قوله تعالى [والله يؤتي ملكه
من يشاء] وقوله [قل اللهم مالك الملك] الآية . وقد ذكرنا أن مروان لما بلغه خبر أبي مسلم وأتباعه
وما جرى بأرض خراسان ، تحول من حران فنزل على نهر قريب من الموصل ، يقال له الزاب من
أرض الجزيرة ثم لما بلغه أن السفاح قد بويع له بالكوفة والتفت عليه الجنود ، واجتمع له أمره ، شق
عليه جدآ ، وجمع جنوده فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف وهو أحد أمراء السفاح ،
فنازله على الزاب وجاءته الأمداد من جهة السفاح ، ثم نذب السفاح الساس من يلى القتال من أهل

بيته . فالتدب له عبد الله بن علي فقال : سر على بركة الله ، فسار في جنود كثيرة فقدم على أبي عون فتحول له أبو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه ، وجعل عبد الله بن علي على شرطته حياش ابن حبيب الطائي ، ونصير بن الحنفز ، ووجه ، أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلا على البريد إلى عبد الله بن علي يحته على مناجزة مروان ، والمبادرة إلى قتاله ونزاله قبل أن تحدث أمور ، وتبرد نيران الحرب . فقدم عبد الله بن علي بجنوده حتى واجه جيش مروان ، ونهض مروان في جنوده وأصاف الغريقان في أول النهار ، ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مائة ألف وخمسون ألفا ، ويقال مائة وعشرون ألفا ، وكان عبد الله بن علي في عشرين ألفا . فقال مروان لعبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز : إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كئنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى بن مرهم ، وإن قاتلونا قبل الزوال فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله المودة ، فقال عبد الله : كذب ابن زريق ، لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله . وثاق ذلك يوم السبت لاثني عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة ، فقال مروان : قفوا لا تبتدون بقتال ، وجعل ينظر إلى الشمس فخالفه الوليد بن معاوية بن مروان - وهو ختن مروان على أبلته - فحمل ، فغضب مروان فشمته فقاتل أهل الميمنة فأنجاز أبو عون إلى عبد الله بن علي ، فقاتل موسى بن كعب لعبد الله بن علي ، فأمر الناس فنزلوا ونودي الأرض الأرض ، فنزلوا وأشروعوا الرماح وجثوا على الركب وقاتلهم ، وجعل أهل الشام يتأخرون كأنما يدفنون ، وجعل عبد الله يمشي قدما ، وجعل يقول : يارب حتى متى تقتل فيك ، ونادى : يا أهل خراسان ، ياشارات إبراهيم الامام ، يا محمد يا منصور ، واشتد القتال جدياً بين الناس ، فلا تسمع إلا وقعاً كالمرابز على النعاس ، فأرسل مروان إلى قضاة يأمرهم بالنزول فقالوا : قل لبني سليم فلينزلوا ، وأرسل إلى السكاسك أن يحملوا فقالوا : قل لبني عامر أن يحملوا ، فأرسل إلى السكون أن يحملوا فقالوا : قل إلى غطفان فليحملوا . فقال لصاحب شرطته : انزل فقال لا والله لا أجمل نفسي غرضاً . قال : أما والله لأسوءك . قال : وددت والله لو قدرت على ذلك .

ويقال : إنه قال ذلك لابن هبيرة . قالوا : ثم انهزم أهل الشام واتبعهم أهل خراسان في أدبارهم يقتلون ويأسرون ، وكان من غرق من أهل الشام أكثر من قتل وكان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الخلويع ، وقد أمر عبد الله بن علي بعقد الجسر ، واستخراج من غرق في الماء ، وجعل يتلو قوله تعالى [إذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون] وأقام عبد الله ابن علي في موضع المعركة سبعة أيام ، وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص في مروان وفراره يومئذ :
لج الفرار بمروان فقلت له * عاد الظلوم ظليماً همه الهرب

أبن الغراز وترك الملك إذ ذهبت * عنك الهوينا فلا دين ولا حسب
فراشة الحلم فرعون المقابر وإن * تطلب نداء فكلب دونه كلب

واحتاز عبد الله مالى معسكر مروان من الأموال والامنة والحوصل ، ولم يجد فيه امرأة سوى
جارية كانت لعبد الله بن مروان ، وكتب إلى أبى العباس السفاح بما فتح الله عليه من النصر ،
وما حصل لهم من الأموال . فصلى السفاح ركعتين شكراً لله عز وجل ، وأطلق لكل من حضر الوقعة
خمسائة خمسمائة ، ورفع فى أرزاقهم إلى ثمانين ، وجعل يتلو قوله [فلما فصل طالوت بالجنود] الآية

صفة مقتل مروان

لما انهزم مروان سار لايلى على أحد ، فأقام عبد الله بن على فى مقام المعركة سبعة أيام ، ثم سار
خلفه بن معه من الجنود ، وذلك عن أمر السفاح له بذلك ، فلما مر مروان بمران اجتازها وأخرج
أبا محمد السفياى من سجنه ، واستخلف عليها أبان بن يزيد - وهو ابن أخته ، وزوج ابنته أم عثمان -
فلما قدم عبد الله على حران خرج إليه أبان بن يزيد مسوداً فأمنه عبد الله بن على وأقره على عمله ،
وهدم الدار التى سجن فيها إبراهيم الامام ، واجتاز مروان قنسرين قاصداً حصص ، فلما جاءها خرج
إليه أهلها بالأسواق والمعاش ، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها ، فلما رأى أهل حصص قلة من
معه اتبعوه ليقتلوه ونهبوا ماله ، وقالوا : مرعوب مهزوم ، فأدركوه بواد عند حصص فأكن لهم أميرين ،
فلما تلاحقوا بمروان عطف عليهم فناشدهم أن يرجعوا فأبوا إلا مقاتلته ، فنار القتال بينهم ونار
الكينان من ورائهم ، فانهزم الخصيون ، وجاء مروان إلى دمشق وعلى نيابتهما من جهته زوج ابنته الوليد
ابن معاوية بن مروان ، فتركها واجتاز عنها قاصداً إلى الديار المصرية ، وجعل عبد الله بن على
لا يمر ببلد وقد سودوا فيها يدهونه ويعطيهم الأمان ، ولما وصل إلى قنسرين وصل إليه أخوه عبد الصمد
ابن على فى أربعة آلاف ، قد بعثهم السفاح مدداً له ، ثم سار عبد الله حتى أتى حصص ، ثم سار منها
إلى بعلبك ، ثم منها حتى أتى دمشق من ناحية المزة فنزل بها يومين أو ثلاثة ، ثم وصل إليه أخوه صالح
ابن على فى ثمانية آلاف مدداً من السفاح ، فنزل صالح بمرج عذراء ، ولما جاء عبد الله بن على دمشق
نزل على الباب الشرقى ، ونزل صالح أخوه على باب الجابية ، ونزل أبو عون على باب كيسان ، ونزل بسام
على الباب الصغير ، وحيد بن قحطبة على باب توما ، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد
على باب الفرائيس ، فحاصرها أياماً ثم لفتحتها يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان هذه السنة ،
فقتل من أهلها خلقاً كثيراً وأباحها ثلاث ساعات ، وهدم سورها ، ويقال إن أهل دمشق لما حاصرم
عبد الله اختلفوا فيما بينهم ، ما بين عباسى وأموى ، فاقتتلوا فقتل بعضهم بعضاً ، وقتلوا نائبيهم ثم
سلموا البلد ، وكان أول من صعد السور من ناحية الباب الشرقى رجل يقال له عبد الله الطائى ، ومن

ناحية الباب الصغير إسماعيل بن إبراهيم ، ثم أبيحت دمشق ثلاث ساعات حتى قيل إنه قتل بها في هذه المدة نحواً من خمسين ألفاً .

وذكر ابن عساكر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج من ولد جعفر بن أبي طالب ، وكان أميراً على خمسة آلاف مع عبد الله بن علي في حصار دمشق ، أنهم أقاموا محاصرها خمسة أشهر ، وقيل مائة يوم ، وقيل شهراً ونصفاً ، وأقرب البلد كان قد حصنه نائب مروان نخصيناً عظيماً ، واسكنوا مختلف أهلها فيما بينهم بسبب الخيانة والمضرة ، وكان ذلك سبب الفتح ، حتى إنهم جعلوا في كل مسجد محرابين للقبليتين حتى في المسجد الجامع منبرين ، وإمامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين ، وهذا من عجيب ما وقع ، وغريب ما انتفى ، وقطيع ما أحدث بسبب الفتنة والهوى والعصبية ، نسأل الله السلامة والمافية . وقد بسط ذلك ابن عساكر في هذه الترجمة المذكورة ، وذكر في ترجمة محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال : كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق ، دخلها بالسيف ، وأباح القتل فيها ثلاث ساعات ، وجعل جامعها سبعين يوماً أسطبلًا لدوابه وجماله ، ثم نبش قبور بني أمية فلم يجد في قبر معاوية إلا خيطاً أسود مثل الهباء ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد جمجمة ، وكان يجد في القبر العضو بعد العضو ، إلا هشام بن عبد الملك فانه وجده صحيحاً لم يبل منه غير أرنبة أنفه ، فضربه بالسياط وهو ميت وصلبه أياماً ثم أحرقه ودق رماده ثم ذره في الريح ، وذلك أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن علي ، حين كان قد اتهم بقتل ولد له صغير ، سبعة سوط ، ثم نفاه إلى الحيمة بالبلقاء . قال : ثم تتبع عبد الله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم ، فقتل منهم في يوم واحد اثنين وتسعين ألفاً عند نهر بالرملة ، و بسط عليهم الأنطاع ومد عليهم بها طافاً كل وهم يحملون تحته ، وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه ، وقد مضى ولم يدم له ما أراداه ورجاه ، كما سيأتي في ترجمته . وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية صاحبة الخال ، مع نفر من الخراسانية إلى البرية ماشية حافية حاسرة عن وجهها وجسدها عن ثيابها ثم قتلوها . ثم أحرق ما وجده من عظم ميت منهم . وأقام بها عبد الله خمسة عشر يوماً .

وقد استدعى بالأوزاعي فأوقف بين يديه فقال له : يا أبا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعناه ؟ قال فقلت له : لا أدري ، غير أنه قد حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله (ص) : « إنما الأعمال بالنيات » فذكر الحديث . قال الأوزاعي : وانتظرت رأسه أن يسقط بين رجلي ثم أخرجت ، وبعثت إلى بمائة دينار . ثم سار

وراء مروان فنزل على نهر الكسوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائبا على دمشق ، ثم سار فنزل مرج الروم ، ثم أتى نهر أبي فطرس فوجد مروان قد هرب فدخل مصر ، وجاءه كتاب السفاح : ابعث صالح بن علي في طلب مروان وأقم أنت بالشام نائبا عليها ، فسار صالح يطلب مروان في ذى القعدة من هذه السنة ، ومعه أبو عمرو وعامر بن إسماعيل ، فنزل على ساحل البحر وجمع ما هناك من السفن وبلغه أن مروان قد نزل الفرما ، وقيل الفيوم ، فجعل يسير على الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى أتى العريش ، ثم سار حتى نزل على النيل ثم سار إلى الصعيد ، فعبر مروان النيل وقطع الجحير وحرق ما حوله من العلف والطعام ، ومضى صالح في طلبه . فالتقى بخيل لمروان فهزمهم ، ثم جعل كلما التقوا مع خيل لمروان يهزمونهم حتى سألوا بعض من أسروا عن مروان فدلهم عليه ، وإذا به في كنيسة أبو صير ، فوافوه من آخر الليل فانهزم من معه من الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير معه فأحاطوا به حتى قتلوه ، طمعه رجل من أهل البصرة يقال له معود ، ولا يعرفه حتى قال رجل صريح أمير المؤمنين . فابتدره رجل من أهل الكوفة كان يبيع الزمان فاحتز رأسه ، فبعث به عامر بن إسماعيل أمير هذه السرية إلى أبي عون ، فبعث به أبو عون إلى صالح بن علي ، فبعث به صالح مع رجل يقال له خزيمة بن يزيد بن هاني كان على شرطته ، لأمر المؤمنين السفاح .

وكان مقتل مروان يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة ، وقيل يوم الخميس لست مضين منها سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور ، واختلفوا في سنة قتله أربعون سنة ، وقيل ست وقيل ثمان وخمسون سنة ، وقيل ستون وقيل اثنتان وقيل ثلاث وقيل تسع وستون سنة ، وقيل ثمانون والله أعلم .

ثم إن صالح بن علي سار إلى الشام واستخلف على مصر أبا عون بن أبي يزيد والله سبحانه أعلم .

وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار

وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ، القرشي الأموي ، أبو عبد الملك أمير المؤمنين آخر خلفاء بني أمية ، وأمه أمة كردية يقال لها لبابة ، وكانت لابراهيم بن الأشتر النخعي ، أخذها محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا ، ويقال إنها كانت أولا لمصعب بن الزبير ، وقد كانت دار مروان هذا في سوق الأكافين ، قاله ابن عساكر . بويع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد ، وبعد موت يزيد بن الوليد ، ثم قدم دمشق وخلع إبراهيم بن الوليد ، واستمر له الأمر في نصف سنة سبع وعشرين ومائة . وقال أبو معشر : بويع له بالخلافة في ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائة ، وكان يقال له مروان الجعدي ، نسبة إلى رأى الجعدى بن درهم ، وتلقب بالحمار ، وهو آخر من ملك من بني أمية ، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، وقيل

خمس مـسـين وشهراً ، و بى بعد أن بولع للسفاح تسعة أشهر ، وكان أبيض مشرباً حمرة ، ارقى
المينين ، كبير اللحية ، ضخمة الهامة ، ربة ، ولم يكن بخضب . ولاء هشام نيابة أذر بيجان وأرمينية
والجزيرة ، فى سنة أربع عشرة ومائة ، ففتح بلاداً كثيرة وحصولاً متعددة فى سنين كثيرة ، وكان
لا يفارق الغزو فى سبيل الله ، وقاتل طوائف من الناس الكفار ومن الترك والخر واللان وغيرهم ،
فكسرهم وقهرهم ، وقد كان شجاعاً بطلاً مقداماً حازم الراى ، لولا أن جنده خذلوه بتقدير الله
عز وجل لما له فى ذلك من حكمة سلب الخلافة لشجاعته وصرامته . ولكن من يخذل الله يخذل ، ومن
يهن الله فواله من مكرم .

قال الزبير بن بكار عن عمه معصم بن عبد الله : كان بنو أمية يرون أنه تذهب منهم الخلافة
إذا وليها من أمه أمة ، فلما وليها مروان هذا أخذت منهم فى سنة ثنتين وثلاثين ومائة . وقد قال
الحافظ ابن عساکر : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبى الحسين أخبرنا سهل بن بشر أنبأ الخليل
ابن هبة الله بن الخليل أنبأ عبد الوهاب الكلأى حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين أنبأ العباس
ابن الوليد بن صبيح ثنا عباس بن يحيى أبو الحارث حدثنى الهيثم بن حميد حدثنى راشد بن داود
عن أسماء عن ثوبان قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال الخلافة فى بنى أمية يتلفونها تلقف
الغلمان السكره ، فإذا خرجت من أيديهم فلا خير فى عيش » . هكذا أورد ابن عساکر وهو منكسر
جداً ، وقد سأل الرشيد أبا بكر بن عياش : من خير الخلفاء نحن أو بنو أمية ؟ فقال : هم كانوا أنفع
للناس ، وأنتم أقوم للصلاة ، فأعطاه سنة آلاف . قالوا وقد كان مروان هذا كثير المروءة كثير
المعجب ، يمجيه الله والطرب ، ولكنه كان يشتغل عن ذلك بالحرب .

قال ابن عساکر : قرأت بخط أبى الحسين على بن مقلد بن نصر بن منقذ بن الأمير فى مجموع له :
كتب مروان بن محمد إلى جارية له تركها بالرملة عند ذهابه إلى مصر منهزماً :

وما زال يدعوى إلى الصبر ما أرى * فأبى ويدنى الذى لك فى صدرى
وكان عزيراً أن تبقي وبيننا * حجاب قد أمسى منى على عشر
وأنكاهما والله للقلب فاعلى * إذا زدت مثليها فصرت على شهر
وأعظم من هذين والله أننى * أخاف بأن لالتقى آخر الدهر
سأبكيك لامستبقياً فيض عبرة * ولا طالباً بالصبر عاقبة الصبر

وقال بعضهم : اجتاز مروان وهو هارب براهب فاطلع عليه الراهب فسلم عليه فقال له : ياراهب
هل عندك علم بالزمان ؟ قال : نعم . عندى من تلونه ألوان . قال : هل تبلغ الدنيا من الانسان أن
تجمله ملوكاً بعد أن كان مالكا ؟ قال : نعم . قال : فكيف ؟ قال : بحبه لها وحرصه على نيل شواتها

وتضييع الحزم وترك انتهاز الفرص . فان كنت تحبها فان عبيدها من أحبها قال فما السبيل إلى المتيق ؟ قال : ببعضها والنجافي عنها . قال : هذا مالا يكون . قال الرابع : اما إنه سيكون ، فبادر بالحرب منها قبل أن تسلبها . قال : هل تعرفني ؟ قال : نعم ! أنت ملك العرب مروان ، تقتل في بلاد السودان : وتدفن بلا أكفان ، فلولا أن الموت في طلبك للدلتك على موضع هر بك . قال بعض الناس : كان يقال في ذلك الزمان يقتل ع بن ع بن ع بن م بن م بن م يعنون يقتل عبد الله بن علي بن عباس مروان بن محمد بن مروان .

وقال بعضهم : جلس مروان يوماً وقد أحيط به وعلى رأسه خادم له قائم ، فقال مروان لبعض من يخاطبه : ألا ترى ما نحن فيه ؟ لهنى على أيد ما ذُكرت ، ولنعم ماشكرت ، ودولة مانصرت . فقال له الخادم : يا أمير المؤمنين من ترك القليل حتى يكبر ، والصغير حتى يكبر ، والخفي حتى يظهر ، وآخر فعل اليوم لغد ، حل به أكثر من هذا . فقال مروان : هذا القول أشد على من فقد الخلافة . وقد قيل إن مروان قتل يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وقد جاوز الستين وبلغ الثمانين . وقيل إنما عاش أربعين سنة . والصحيح الأول . وهو آخر خلفاء بني أمية به انقضت دولتهم .

ما ورد في انقضاء دولة بني أمية وابتداء بني العباس من الأخبار النبوية

قال الملاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) : « إذا بلغ بنو العاص أربعين رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً ، وعباد الله خولاً ، ومال الله دولا » . ورواه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً بنحوه ، وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب أنه كان عند معاوية فدخل عليه مروان بن الحكم فتكلم في حاجة فقال : اقض حاجتي فاني لأبوعشرة ، وأخوعشرة وعم عشرة . فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس وهو معه على السرير : أما تعلم أن رسول الله (ص) قال : « إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولا ، وعباد الله خولاً ، وكتاب الله دغلاً ، فاذا بلغوا سبعة وتسعين وأربعمائة ، كان هلاكهم أسرع من لوك تمر » . فقال ابن عباس : اللهم نعم ؟ فلما أدبر مروان قال معاوية : أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله (ص) ذكر هذا فقال : « أبو الجبابرة الأزبعة » . فقال ابن عباس : اللهم نعم . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا القاسم بن الفضل ثنا يوسف بن مازن الراسبي قال : قام رجل إلى الحسين بن علي فقال : يا مسود وجوه المؤمنين ! فقال الحسين : لا تؤنبنى رحمتك الله ، فان رسول الله (ص) رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً فساده ذلك فتزلت [إنا أعطيناك السكون] وهو نهر في الجنة ، ونزلت [إنا أنزلناه

في ليلة القدر [السورة إلى قوله] [خير من ألف شهر] مملكة بنى أمية . قال : لحسبنا ذلك فإذا هو كما قال لا يزيد ولا ينقص ، وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة وثقه يحيى القطان وابن مهدي . قال : وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن ، رجل مجهول ، ولا يعرف هذا بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه . وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث القاسم بن الفضل الجداوي ، وقد تكلمت على نكارة هذا الحديث في التفسير بكلام مبسوط ، وإنما يكون متجها إذا قيل إن دولتهم ألف شهر بأن أسقط منها أيام ابن الزبير ، وذلك أن معاوية يبيع به مستقلا بالملك في سنة أربعين ، وهي عام الجماعة حين سلم إليه الحسن بن علي الأمر بعد ستة أشهر من قتل علي ، ثم ثلاث الخلافة عن بنى أمية في هذه السنة ، وهي سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وذلك ثنتان وتسعون سنة ، وإذا أسقط منها تسعين سنة خلافة ابن الزبير بقي ثلاث وثمانون سنة ، وهي مائة لما ورد في هذا الحديث ، ولكن ليس هذا الحديث صرفاً إلى النبي (ص) ، أنه فسر هذه الآية بهذا العدد ، وإنما هذا من قول بعض الرواة ، وقد تكلمنا على ذلك مطولاً في التفسير ، وتقدم في الدلائل أيضاً تقريره والله أعلم .

وقال علي بن المديني عن يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله (ص) قال : « رأيت بنى أمية يصعدون منبري فشق ذلك علي » فأنزلت : إنا أنزلناه في ليلة القدر » فيه ضعف وإرسال . وقال أبو بكر بن أبي خيثمة : ثنا يحيى بن معين ثنا عبد الله بن نمير عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب في قوله [وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس] قال : رأى ناساً من بنى أمية على المنابر فسأه ذلك ، فقيل له : إنما هي دنيا يعطونها وتضرمحل عن قليل فسرى عنه . وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع قال : لما أسرى برسول الله (ص) رأى فلاناً وهو من بعض بنى أمية على المنبر يخطب الناس فشق ذلك عليه فأنزل الله [وإن أدرى لكم فتنة لكم ومتاع إلى حين] وقال مالك بن دينار : سمعت أبا الجوزاء يقول والله كبر من الله ملك بنى أمية كما أعز ملك من كان قبلهم ، ثم لين ملكهم كما أذل ملك من كان قبلهم ، ثم تلا قوله تعالى [وتلك الأيام نداولها بين الناس] . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني إبراهيم بن سعيد ثنا أبو أسامة ثنا عمر بن حمزة أخبرني عمر بن سيف مولى أميئة بن عبدان قال سمعت سعيد بن المسيب وهو يقول لأبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة - وذكروا بنى أمية - فقال : لا يكون هلاكهم إلا بينهم . قالوا كيف ؟ قال : بهلك خلفاؤهم وبقى شرارهم فيقتلوا فسوقها ، ثم يكفر الناس عليهم فيهلكونهم . وقال يعقوب بن سفيان : أنبأ أحمد بن محمد الأزرق ثنا الزنجبي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « رأيت في النوم بنى أبي

الحكم أو بنى أبي العاص ينزون على منبرى كما تنزو القردة : قال فارة بنى رسول الله (ص)، مستجماً صاحكاً بعدها حتى توفى . قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى [له الدارمى] : حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا سعيد بن زيد - أخو حماد بن زيد - عن علي بن الحكم البنائى عن أبي الحسن هو الحصى عن عمرو بن مرة - وكانت له محبة - قال : جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله (ص)، فعرف كلامه فقال : « ائذنوا له صبت عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل مام ، يشرفون فى الدنيا ويوضعون فى الآخرة ، ذرو دهاء وخديعة ، يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق » .

وقال أبو بكر الخطيب البغدادي : أنبأ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن محمد أنبأ محمد بن المظفر الحافظ أنبأ أبو القاسم تمام بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقى أنبأ أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملابس ثنا أبو النصر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد [مولى أم الحكم بنت عبد العزيز ، حدثنا يزيد] (١) بن ربيعة حدثنا أبو الأشعث الصنعائى عن ثوبان قال : « كان رسول الله (ص)، قائماً واضعاً رأسه على نخذ أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فنجب ثم تبسم ، فقالوا : يا رسول الله رأيناك نجبت ثم تبسمت ، فقال : رأيت بنى أمية يتماورون على منبرى فسأنى ذلك ، ثم رأيت بنى العباس يتماورون على منبرى فسررت ذلك » . وقال يعقوب بن سفيان : حدثني محمد بن خالد بن العباس ثنا الوليد بن مسلم حدثني أبو عبد الله عن الوليد بن هشام المعيطى عن أبان بن الوليد عن عقبة بن أبي معيط . قال : قدم ابن عباس على معاوية وأنا حاضر فأجازه فأحسن جائزته ، ثم قال : يا أبا العباس هل يكون لكم دولة ؟ فقال : اعفنى يا أمير المؤمنين ، فقال : لتخبرنى ، قال نعم ! قال فن أنصارك ؟ قال : أهل خراسان ، وبنى أمية من بنى هاشم نطحات .

وقال المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير : سمعت ابن عباس يقول : يكون منا ثلاثة أهل البيت السماع ، والمنصور ، والمهدى . رواه البيهقى من غير وجه ، ورواه الأعمش عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً ، وروى ابن أبي خيثمة عن ابن معين عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي معبد عن ابن عباس قال : كما افتتح الله بأولنا فأرجو أن يفتحنا بنا . وهذا إسناد صحيح إليه ، وكذا وقع ويقع للمهدى إن شاء الله . وروى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد . قال قال رسول الله (ص) : « يخرج رجل من أهل بيتى عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن ، يقال له السماع ، يعطى المال حشياً » . وقال عبد الرزاق : حدثنا الثورى عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول

الله (س) : « يقتل عند حركتهم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفة لا تصير إلى واحد منهم ، ثم تقبل الرايات من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم ير مثلهما . ثم ذكر شيئاً فإذا كان كذلك فأتوه ولو حبوا على الشايع ، فانه خليفة الله المهدي » . ورواه بعضهم عن ثوبان فوقفه وهو أشبه والله أعلم .

وقال الامام أحمد : حدثني يحيى بن غيلان وقتيبة بن سعيد قالا : ثنا راشد بن سعد حدثني يونس ابن يزيد عن ابن شهاب عن قبيصة هو ابن ذؤيب عن أبي هريرة عن رسول الله (س) ، أنه قال : « يخرج من خراسان رايات سود لا يردنها شيء حتى تنهب بابلها » . وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث راشد بن سعد المصري ، وهو ضعيف . ثم قال : قد روى قريباً من هذا عن كعب الأحبار وهو أشبه . ثم رواه عن كعب أيضاً قال : « تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم » . وروى إبراهيم بن الحسين عن ابن أبي أويس عن ابن أبي ذؤيب عن محمد بن عبيد الرحمن العامري عن سول عن أبيه عن أبي هريرة . أن رسول الله (س) ، قال للعباس : « فيكم النبوة وفيكم المملكة » . وروى عبد الله بن أحمد عن ابن معين عن عبيد بن أبي قرة عن الليث عن أبي قبيل عن أبي ميسرة مولى العباس قال سمعت العباس يقول : كنت عند رسول الله (س) ، ذات ليلة فقال : « انظر هل ترى في السماء من شيء ؟ قلت : نعم ا قال : ما ترى ؟ قلت : النريا ، قال : أما إنه سيملك هذه الأمة بعددها من صلبك » . قال البخاري : عبيد بن أبي قرة لا يتابع على حديثه . وروى ابن عسدي من طريق سويد بن سعيد عن حجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال : « مررت برسول الله (س) ، ومعه جبريل وأنا أظنه دحية السكابي ، فقال جبريل لرسول الله (س) : إنه لو سخط الثياب ، وسلبس ولده من بعده السواد . وهذا منكر من هذا الوجه ، ولا شك أن بني العباس كان السواد من شعارهم ، أخذوا ذلك من دخول رسول الله (س) . مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء ، فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد والجمع والحافل . وكذلك كان جندهم لا بد أن يكون على أحدهم شيء من السواد ، ومن ذلك الشرابوش الذي يلبسه الأمراء إذا خلع عليهم . وكذلك دخل عبد الله بن علي دمشق يوم دخلها وعليه السواد ، فجعل النساء والغلمان يعجبون من لباسه ، وكان دخوله من باب كيسان . وقد خطب الناس يوم الجمعة وصلى بهم وعليه السواد . وقد روى ابن عساكر عن بعض الخراسانية قال : لما صلى عبد الله بن علي بالناس يوم الجمعة صلى إلى جانبي رجل فقال : الله أكبر ، سبحانك اللهم وبمحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، أنظروا إلى عبد الله بن علي ما أقبج وجهه وأشنع سواده ؟ ! وشعارهم إلى يومك هذا كما تراه على الخطباء يوم الجمعة والأعياد .

استقرار أبي العباس السفاح

واستقلاله بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة الحسنة

قد تقدم أنه أول ما بويع له بالخلافة بالسكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر ، وقيل الأول من هذه السنة ، سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ثم جرد الجيوش إلى مروان فطردوه عن المملكة وأجلوه عنها ، وما زالوا خلفه حتى قتلوه ببوسير من بلاد الصعيد ، بأرض مصر ، في العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة على ما تقدم بيانه ، وحينئذ استقل السفاح بالخلافة واستقرت يده على بلاد العراق وخراسان والحجاز والشام والديار المصرية ، خلا بلاد الأندلس ، فإنه لم يحكم عليها ولا وصل سلطانها إليها ، وذلك أن بعض من دخلها من بني أمية استنحذ عليها وملكها كما سيأتي بيانه . وقد خرج على السفاح في هذه السنة طوائف ، فمنهم أهل قلنسرين بعد ما يأموه على يدى عمه عبد الله بن علي وأقر عليهم أميرهم مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث السكلاي ، وكان من أصحاب مروان وأمراءه ، نفلع السفاح ولبس البياض ، وحمل أهل البلد على ذلك فوافقوه ، وكان السفاح يومئذ بالحيرة ، وعبد الله بن علي مشغول بالبقاء يقاتل بها حبيب بن مرة المزني ومن وافقه من أهل البلقاء والبثنية وحواران على خلع السفاح ، فلما بلغه عن أهل قلنسرين ما فعلوا صالح حبيب بن مرة وسار نحو قلنسرين ، فلما اجتاز بدمشق - وكان بها أهله وثقله - استخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن ربي الكنتاني في أربعة آلاف ، فلما جاوز البلد وانتهى إلى حصص ، نهض أهل دمشق مع رجل يقال له عثمان بن عبد الأعلى بن سراقبة نفلعوا السفاح وبيضوا وقتلوا الأمير أبا غانم وقتلوا جماعة من أصحابه وانتهبوا ثقل عبد الله بن علي وحواصله ، ولم يتعرضوا لأهله . وتذاقم الأمر على عبد الله وذلك أن أهل قلنسرين ترأسوا مع أهل حصص وتزمروا واجتهدوا على أبي محمد السفياي ، وهو أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فبايأوه بالخلافة وقام معه نحو من أربعين ألفا فقصدهم عبد الله بن علي فالتقوا بمرج الأخرم ، فاقتتلوا مع مقدمة السفياي وعليها أبو الورد فاقتتلوا قتالا شديداً وهزموا عبد الحميد وقتل من الفريقين ألف ، فتقدم إليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن حنظلة فاقتتلوا قتالا شديداً جداً ، وجعل أصحاب عبد الله يفرّون وهو ثابت هروحميد . وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد ، وثبت أبو الورد في خمسمائة فارس من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً وهرب أبو محمد السفياي ومن معه حتى لحقوا بتدمر ، وأمن عبد الله أهل قلنسرين وسودوا وبايأوه ورجعوا إلى الطاعة ، ثم كر عبد الله راجعاً إلى دمشق وقد بلغه ما صنعوا ، فلما دنا منها تفرقوا عنها ولم يكن منهم فقال فأنهسهم ودخلوا في الطاعة . وأما أبو محمد السفياي فإنه ما زال مضطرباً ومشتتاً حتى لحق بأرض الحجاز فقاتله

نائب أبي جعفر المنصور في أيام المنصور، فقتله وبعث رأسه وبأدين له أخذهما أسيرين فأطاعهما المنصور في أيامه. وقد قيل إن وقعة السفيناء يوم الثلاثاء آخر يوم من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة فآله أعلم.

ومن خلع السفاح أيضا أهل الجزيرة حين بلغهم أن أهل قنسرين خلعوا، فواقفهم وبيضوا وركبوا إلى نائب حران من جهة السفاح - وهو موسى بن كعب - وكان في ثلاثة آلاف قد اعتصم بالبلد، فحاصروه قريبا من شهرين، ثم بعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور فيمن كان بواسطة محاصري ابن هبيرة، فر في مسيره إلى حران بقرقيسيا وقد يبيضوا فخلعوا أبوابها دونه، ثم مر بالركة وعليها بكار بن مسلم ومم كذلك، ثم مهاجر وعليها إسحاق بن مسلم فيمن معه من أهل الجزيرة يحاصرونها فرحل إسحاق عنها إلى الرها، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من جند حران فقتلوا المنصور ودخلوا في جيشه، وقدم بكار بن مسلم على أخيه إسحاق بن مسلم بالرها فوجه إلى جماعة ربيعة بدارا ومادين، ورئيسهم حروري يقال له بريككة، فصارا حزبا واحداً، فقصده إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالا شديداً، فقتل بريككة في المعركة، وهرب بكار إلى أخيه بالرها، فاستخلفه بها ومضى بمظم السكر [حق نزل] سميساط وخذلق على عسكره، وأقبل أبو جعفر فحاصر بكاراً بالرها، وجرت له معه وقعات. وكتب السفاح إلى عمه عبد الله بن علي أن يسير إلى سميساط وقد اجتمع على إسحاق بن مسلم ستون ألفاً من أهل الجزيرة، فسار إليهم عبد الله واجتمع إليه أبو جعفر المنصور، فكتبهم إسحاق وطلب منهم الأمان فأجابوه إلى ذلك، على إذن أمير المؤمنين. وولى السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة وأذربيجان وأرمينية، فلم يزل عليها حتى أفضت إليه الخلافة بعد أخيه، ويقال إن إسحاق بن مسلم العقيلي إنما طلب الأمان لما تحقق أن مروان قد قتل، وذلك بعد مضي سبعة أشهر وهو محاصر، وقد كان صاحباً لأبي جعفر المنصور فآمنه.

وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمر أخيه السفاح إلى أبي مسلم الخراساني وهو أميرها، ليستطلع رأيه في قتل أبي سلمة، لأنه كان يريد أن يصرف الخلافة عنهم، فيسأله هل ذلك كان عن عمالة أبي مسلم لأبي سلمة في ذلك أم لا؟ فسكت القوم، فقال السفاح: لئن كان هذا عن رأيي إنا ليعرّ بلاه عظيم، إلا أنت يدفعه الله عنا. قال أبو جعفر فقال لي أخى: ما ترى؟ فقلت: الرأي رأيك. فقال: إنه ليس أحد أحسن بأبي مسلم منك، فأذهب إليه فاعلم لي عمله، فإن كان عن رأيي احتلنا له، وإن لم يكن عن رأيي طابت أنفسنا. قال أبو جعفر: فخرجت إليه فاصداً على وجل. قال المنصور: فلما وصلت إلى الرى إذا كتاب أبي مسلم إلى نائبها يستعني إليه في السيرة، فازدبت وجلا، فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابه يستعني أيضاً وقال لنا بها: لاندعه يفر ساعة

واحدة . فان أرضك بها خوارج ، فانشرحت لذلك فلما صرت من مرو على فرسخين ، خرج يتلقاني ومعه الناس ، فلما واجهني ترجل فقبيل يدي ، فأمرته فركب . فلما دخلت مرو نزلت في داره فكث ثلثا لا يسألني في أى شئ جئت ، فلما كان في اليوم الرابع سألني ما أقدمك ؟ فأخبرته بالأمر . فقال : أفعلمها أبو سلمة ؟ أنا أكفيكموه . فدعا مرار بن أنس الضبي فقال : اذهب إلى الكوفة فخيث لقيت أبا سلمة فاقتله ، وانته في ذلك إلى رأى الامام . فقدم مرار الكوفة الهاشمية ، وكان أبو سلمة يسمر عند السفاح ، فلما خرج قتله مرار وشاع أن الخوارج قتلوه ، وغالقت البلد . ثم صلى عليه يحيى بن محمد بن علي أخو أمير المؤمنين ، ودفن بالهاشمية ، وكان يقال له وزير آل محمد . ويقال لأبي مسلم أمير آل محمد . قال الشاعر : -

إن الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشنأك كانَ وزيراً

ويقال إن أبا جعفر إنما سار إلى أبي مسلم بعد قتل أبي سلمة وكان معه ثلاثون رجلاً على البريد ، منهم الحاجب بن أوطاة ، وإسحاق بن الفضل الهاشمي ، وجماعة من السادات . ولما رجع أبو جعفر من خراسان قال لأخيه : لست بخليفة مادام أبو مسلم حياً حتى تقتله ، لما رأى من طاعة السالك له ، فقال له السفاح : اكتبها فسكت . ثم إن السفاح بعث أخاه أبا جعفر إلى قتال ابن هبيرة بواسط ، فلما اجتاز بالحسن بن قطيبة أخذه معه ، فلما أحيط بابن هبيرة كتب إلى محمد بن عبد الله بن حسن ليبياع له بالخلافة فأبطأ عليه جوابه ، قال إلى مصالحة أبي جعفر ، فاستأذن أبو جعفر أخاه السفاح في ذلك فأذن له في المصالحة ، فكتب له أبو جعفر كتاباً بالصلح ، فكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أو بعين يوماً . ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخارية ، فلما دنا من سرادق أبي جعفر هم أن يدخل بفرسه فقال الحاجب سلام : انزل أبا خالد . فنزل . وكان حول السرادق عشرة آلاف من أهل خراسان ، ثم أذن له في الدخول فقال : أنا ومن مئى ؟ قال : لا بل أنت وحدك ، فدخل ووضعت له وسادة فجلس عليها ، فغادته أبو جعفر ساعة ثم خرج من عنده فاتبعه أبو جعفر بصره ، ثم جعل يأتيه يوماً بعد يوم في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل ، فشكوا ذلك إلى أبي جعفر فقال أبو جعفر للحاجب : مره فليأت في حاشيته ، فكان يأتي في ثلاثين نفساً ، فقال الحاجب : كأنك تأتي متأهباً^(١) فقال : لو أمرتموني بالمشي لمشيئت إليكم ، ثم كان يأتي في ثلاثة أنفس . وقد خاطب ابن هبيرة يوماً لأبي جعفر فقال له في غبون كلامه : يا هناء - أو قال يا أيها المرء - ثم اعتذر إليه بأنه قد سبق لسانه إلى ذلك ، فأعذره . وقد كان السفاح كتب إلى أبي مسلم يستشير في مصالحة ابن هبيرة فنهاه عن ذلك ، وكان السفاح لا يقطع أمراً دونه ، فلما وقع الصلح على يدي أبي جعفر لم يحب السفاح ذلك ولم يعجبه ، وكتب إلى أبي جعفر يأمره بقتله ، فراجع أبو جعفر مراراً

(١) في تاريخ ابن جرير « مباهاة » .

لا يفيد ذلك شيئاً ، حتى جاء كتاب السفاح أن اقتله لا محالة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
كجف يعطى الامان ويشكك ؟ هذا فعل الجبابرة وأقسم عليه في ذلك ، فأرسل إليه أبو جعفر طائفة
من الخراسانية فدخلوا عليه وعنده ابنه داود وفي حجره صبي صغير ، وحوله مواليه وحاجبه ، فدافع
عنه ابنه حتى قتل وقتل خلق من مواليه ، وخلصوا إليه ، فألقى الصبي من حجره وخر ساجداً فقتل
وهو ساجد ، واضطرب الناس ، فنادى أبو جعفر في الناس بالامان إلا عبد الملك بن بشر وخالده
ابن سلمة المخزومي وعمر بن ذر . فسكن الناس ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقتل بعضاً .
وفي هذه السنة بعث أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس وأمره أن يأخذ عمال أبي
سلمة الخلال فيضرب أعناقهم ، ففعل ذلك . وفيها ولي السفاح أخاه يحيى بن محمد الموصل وأعمالها ،
وولى عمه داود مكة والمدينة واليمن والجماعة ، وعزله عن الكوفة وولى مكانه عليها عيسى بن موسى ،
وولى قضاءها ابن أبي ليلى ، وكان على نيابة البصرة سفيان بن معاوية المهلبى ، وعلى قضائها الحجاج
ابن أرقطاة ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى فارس محمد بن الأشعث . وعلى أرمينية وأذربيجان
والجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى الشام وأعمالها عبد الله بن علي عم السفاح ، وعلى مصر أبو عون
عبد الملك بن يزيد . وعلى خراسان وأعمالها أبو مسلم الخراساني ، وعلى ديوان الخراج خالد بن
برمك . وحج بالناس فيها داود بن علي .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

مروان بن محمد بن مروان بن الحسك أبو عبد الملك الأموى ، آخر خلفاء بنى أمية ، قتل في
العشر الأخير من ذى الحجة من هذه السنة كما تقدم ذلك مبسوطاً ، ووزيره عبد الحميد بن يحيى بن
سعد مولى بني عامر بن لؤى ، الكاتب البليغ الذى يضرب به المثل ، فيقال فنحت الرسائل بعبد
الحميد ، وختمت بابن العميد . وكان إماماً فى الكتابة وجميع فنونها ، وهو القدوة فيها . وله رسائل
فى ألف ورقة ، وأصله من قيسارية ثم سكن الشام ، وتعلم هذا الشأن من سالم مولى هشام بن عبد الملك
وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه ، وعليه تخرج ، وكان ابنه إسماعيل بن عبد الحميد
ماهرآ فى الكتابة أيضاً ، وقد كان أولاً يعلم الصبيان ثم تقلبت به الأحوال أن صار وزيراً لمروان ،
وقتل السفاح ومثل به ، وكان اللائق بمثله العفو عنه . ومن مستجاد كلامه : العلم شجرة ثمرها
الألفاظ ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة . ومن كلامه وقد رأى رجلاً^(١) يكتب خطأ رديئاً فقال : أطل
جلفسة قلبك وأسمها ، وحرّف قلبك وأسمها . قال الرجل : ففعلت ذلك فجاء خطي . وسأله رجل
أن يكتب له كتاباً إلى بعض الأكابر يوصيه به ، فكتب إليه : حقّ موصل كتابي إليك كحقه على

(١) هو ابراهيم بن جبلة

إذ رآك موضعاً لأمله ، ورآنى أهلاً لحاجته ، وقد قضيت أنا حاجته فصدق أنت أمله . وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت : —

إذا خرج الكتاب كان دويهم * قسيماً وأقلام القسي لها نبلا
وأوسلة حفص بن سليمان ، هو أول من وزر لآل العباس ، قنسله أبو مسلم بالأنبار عن أمر السفاح ، بعد ولايته بأربعة أشهر ، في شهر رجب . وكان ذا هيئة فاضلا حسن المفاكحة ، وكان السفاح يأبى به ويحب مسامحته لطيب محاضراته ، ولكن توم ميده لآل على فدى أبو مسلم عليه من قبله غيلة كما تقدم ، فأشدد السفاح عند قتله :

إلى النار فليذهب ومن كان مثله * على أي شيء فأتانا منه نأسف
كان يقال له وزير آل محمد ، ويعرف بالخلل ، لسكنائه بدرب الخلالين بالسكوفة ، وهو أول من سمى بالوزير ، وقد حكى ابن خلكان عن ابن قتيبة أن اشتقاق الوزير من الوزر وهو الحمل ، فكان السلطان حمله ألقالا لاستناده إلى رأيه ، كما يلجأ الخائف إلى جبل ينصم به .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

فبها ولى السفاح همه سليمان البصرة وأعمالها ، وكور دجلة والبحرين وحمان . ووجه همه إسماعيل ابن على إلى كور الأهواز . وفيها قتل داود بن على من بمكة والمدينة من بنى أمية ، وفيها توفى داود ابن على بالمدينة في شهر ربيع الأول واستخلف ابنه موسى على عمله ، وكانت ولايته على الحجاز ثلاثة أشهر ، فلما بلغ السفاح موته استناب على الحجاز خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الدار الحارثي ، وولى النعمان بن محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الدار ، وجعل إمرة الشام لعلميه عبد الله وصالح بنى على ، وأقر أباهن على الديار المصرية نائباً . وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالاً شديداً حتى فتعها . وفيها خرج شريك بن شبيب المهرى ببخارى على أبي مسلم وقال : ما على هذا يا مينا آل محمد ، على سفك الدماء وقتل الأنفس واتبعه على ذلك نحو من ثلاثين ألفاً ، فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

وفيها عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل ، وولى عليه همه إسماعيل . وفيها ولى الصائفة من جهته صالح بن على بن شبيب بن عبيد الله وغزا ما وراء الدروب . وحج بالناس خال السفاح زياد ابن عبيد الله بن عبد الدار الحارثي . ونواب البلاد هم الذين كانوا في القى قبلها سوى من ذكرنا أنه عزل .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

فبها خلع بسام بن إبراهيم بن بسام الطاعة وخرج على السفاح ، فبعث إليه خازم بن خرزعة فقاتله فقتل عامة أصحابه ، واستباح عسكره . ورجع فرحلاً من بنى عبد الدار أحوال السفاح فسألم

عن بعض ما فيه اصره للخليفة ، فلم يردوا عليه ، واستهانوا به ، وأمر بضرب أعناقهم - وكانوا قريباً من عشرين رجلاً ومنهم من واليهم - فاستمدى بنو عبد الدار على خازم بن خزيمه إلى السفاح ، وقالوا : قتل هؤلاء بلا ذنب ، فهم السفاح يقتله فأشار عليه بعض الأمراء بأن لا يقتله ولكن ليبعثه مبعوثاً صعباً ، فان سلم فذاك ، وإن قتل كان الذي أراد . فبعثه إلى عمان وكان بها طائفة من الخوارج قد تمردوا وجهز معه سبعمائة رجل ، وكتب إلى عمه سليمان بالبصرة أن يحملهم في السفن إلى عمان ففعل ، فقاتل الخوارج فكسبهم وقهرهم وأستحوذ على ما هنالك من البلاد ، وقتل أمير الخوارج الصفرية وهو الجلندي ، وقتل من أصحابه وأنصاره نحواً من عشرة آلاف ، وبعث برؤسهم إلى البصرة ، فبعث بها نائب البصرة إلى الخليفة . ثم بعد أشهر كتب إليه السفاح أن يرجع فرجع سالماً غانماً منصوراً .

وفيما غزا أبو مسلم بلاد الصند وغزا أبو داود أحد نواب أبي مسلم بلاد كش ، فقتل خلقاً كثيراً وغنم من الأواني الصينية المنقوشة بالذهب شيئاً كثيراً جداً . وفيها بعث السفاح موسى ابن كعب إلى منصور بن جمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً ، فالتقاه موسى بن كعب وهو في ثلاثة آلاف فجزمه واستباح عسكره . وفيها مات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبد الله بن عبد الدار ، فاستخلف السفاح عليها عمه ، وهو خال الخليفة . وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار وحج بالناس نائب الكوفة عيسى بن موسى ، ونواب الأقاليم هم . وفيها توفي من الأعيان أبوهارون العبدى ، وعمار بن جوين ، ويزيد بن يزيد بن جابر الدمشقي والله أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

فيها خرج زياد بن صالح من وراء نهر بلخ على أبي مسلم فأظفروه الله بهم فبدد فمهلهم واستقر أمره بتلك النواحي . وحج بالناس فيها سليمان بن علي نائب البصرة . والنواب هم المذكورون قبلها . ومن توفي فيها من الأعيان : يزيد بن سنان ، وأبو عقيل زهرة بن معبد ، وعطاء الخراساني

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

فيها قدم أبو مسلم من خراسان على السفاح ، وذلك بعد استئذانه الخليفة في القدوم عليه ، فكتب إليه أن يقدم في خمسمائة من الجند ، فكتب إليه : إني قد وترت الناس ، وإني أخشى من قلة الحسمائة . فكتب إليه أن يقدم في ألف ، فقدم في ثمانية آلاف ، فرفقه وأخذ معه من الأموال والتحف والهدايا شيئاً كثيراً . ولما قدم لم يكن معه سوى ألف من الجند ، فقتله القواد والأمراء إلى مسافة بعيدة . ولما دخل على السفاح أكرمه وعظمه واحترمه وأنزله قريباً منه ، وكان يأتي إلى

الخليفة كل يوم ، واستأذن الخليفة في الحج فأذن له ، وقال : لولا أنى عيذت الحج لأخى أبى جعفر لأمرتك على الحج . وكان الذى بين أبى جعفر وأبى مسلم خرابا وكان يبغيه ، وذلك لما رأى ما هو فيه من الحرمة حين قدم عليه نيسابور في البيعة للسفاح والمنصور بعده ، فخار في أمره لذلك ، فخذ عليه المنصور وأشار على السفاح بقتله ، فأمره بكتف ذلك . وحين قدم أمره بقتله أيضا وحرصه على ذلك ، فقال له السفاح : قد علمت بلاءه معنا وخدمته لنا فقال أبو جعفر : يا أمير المؤمنين إنما ذلك بدولتنا ، والله لو أرسلت سنورا لسموا لها وأطاعوا ، وإنك إن لم تتمعه به تغدى بك هو . فقال له : كيف السبيل إلى ذلك ؟ فقال : إذا دخل عليك فحادثه ثم أجبني أنا من ورائه فأضرب به بالسيف . قال : كيف بمن معه ؟ قال : هم أذل وأقل . فأذن له في قتله ، فلما دخل أبو مسلم على السفاح ندم على ما كان أذن لأخيه فيه ، فبعث إليه الخادم يقول له : إن ذاك الذى بينك وبينه ندم عليه فلا تفعله . فلما جاءه الخادم وجده محتبيا بالسيف قد تهبأ لما يريد من قتل أبى مسلم . فلما نهاه عن ذلك غضب أبو جعفر غضبا شديدا . وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور عن ولاية أخيه السفاح ، وسار معه إلى الحجاز أبو مسلم الخراساني عن أمر الخليفة ، وأذن له في الحج ، فلما رجعا من الحج وكافا بذات عرق جاء الخبر إلى أبى جعفر - وكان يسير قبل أبى مسلم بمرحلة - بموت أخيه السفاح ، فكتب إلى أبى مسلم أن قد حدث أمر فاعجل العجل ، فلما استعلم أبو مسلم الخبر عجل السير وراءه ، فلاحقه إلى الكوفة . وكانت بيعة المنصور على ماسياتى بيانه وتفصيله قريبا والله سبحانه وتعالى أعلم .

ترجمة ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس

هو عبد الله السفاح - ويقال له المرتضى ، والقاسم أيضا - ابن محمد بن الامام ابن على السجاد ابن عبد الله الخضر ابن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أمير المؤمنين ، وأمه ربيعة - ويقال رايطة - بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الدار الحارثي ، كان مولد السفاح بالحيمية من أرض الشراه من البلقاء بالشام ، ونشأ بها حتى أخذ مروان أخاه إبراهيم الامام فانتقلوا إلى الكوفة . بويج له بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفة كما تقدم . وتوفي بالجندى بالأنبار يوم الأحد الحادى عشر ، وقيل الثالث عشر من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وكان عمره ثلاثا ، وقيل اثنتين ، وقيل إحدى وثلاثين سنة ، وقيل ثمان وعشرين سنة . قاله غير واحد . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، وكان أبيض جميلا طويلا ، أوفى الأنف ، جمعد الشعر ، حسن اللحية ، حسن الوجه ، فصيح الكلام ، حسن الرأي ، جيد البديهة . دخل عليه في أول ولايته عبد الله بن حسن بن حسن بن على ومعه مصحف وعند السفاح وجوه بنى هاشم من أهل بيته وغيرهم ، فقال له : يا أمير المؤمنين اعطنا حقنا الذى جعله الله لنا في هذا

المصحف . قال : فأشفق عليه الحاضرون أن يجعل السفاح عليه بشيء أو يترك جوابه فيبقى ذلك مسبة عليه وعليهم . فأقبل السفاح عليه غير منضب ولا منزعج ، فقال : إن جندك علياً كان خيراً مني وأعدل ، وقد ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيراً منك ، شيئاً قد أعطيتك زدتك عليه ، فما كان هذا جزائي منك . قال : فما رد عليه عبد الله بن حسن جواباً ، وتوجب الناس من سرعة جوابه وجدته وجودته على البديهة .

وقد قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له السفاح ، يكون إعطاؤه المال حثياً » وكذا رواه زائدة وأبو معاوية عن الأعمش به . وهذا الحديث في إسناد عطية العوفي وقد تكلموا فيه . وفي أن المراد بهذا الحديث هذا السفاح نظر والله أعلم . وقد ذكرنا فيما تقدم عند زوال دولة بني أمية أخباراً وآثاراً في مثل هذا المعنى . وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن سلمة بن محمد بن هشام أخبرني محمد بن عبد الرحمن الخزومي حدثني داود بن عيسى عن أبيه عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس - وهو والد السفاح - قال : دخلت على عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من النصارى فقال له عمر : من تجدون الخليفة بعد سليمان ؟ قال له : أنت . فأقبل عمر بن عبد العزيز عليه فقال له : زدني من بيانك . فقال ثم آخر ، إلى أن ذكر خلافة بني أمية إلى آخرها . قال محمد بن علي : فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصارى في بالي فرأيت يوماً فأمرت غلامي أن يجسسه علي ، وذهبت إلى منزلي فسألته عما يكون في خلفاء بني أمية فذكرهم واحداً واحداً ، وتجاوز عن مروان بن محمد . قلت : ثم من ؟ قال : ثم ابن الحارثية ، وهو ابنك . قال : وكان ابني ابن الحارثية إذ ذاك حملاً . قال ووفد أهل المدينة على السفاح فبادروا إلى تقبيل يده غير عمران بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع العدوي ، فإنه لم يقبل يده ، وإنما حياه بالخلافة فقط . وقال : والله يا أمير المؤمنين لو كان تقبيلها يزيدك رفعة ويزيدني وسيلة إليك ماسبقني إليها أحد من هؤلاء ، وإني لفي عما لا أجر فيه ، وربما قاذنا عمله إلى الوزر ثم جلس . قال : فوالله ما نقصه ذلك عنده حفظاً من حفظ أصحابه ، بل أحبه وزاده . وذكر القاضي المعافى بن زكريا أن السفاح بعث رجلاً ينادي في عسكر مروان بهذين البيتين ليلاً ثم رجع :

يَا لَـمَـرَؤَانِ إِنَّ اللَّهَ مَهْلِكُكُمْ • ومبديلُ أَمْنِكُمْ خَوْفًا وتشريدا

لَا عَمْرَؤَ لِلَّهِ بْنِ أَسْبَالِكُمْ أَحَدًا • وبشك في بلاد الخوف تطريدا

وروى الخطيب البغدادي أن السفاح نظر يوماً في المرأة - وكان من أجل الناس وجهاً - فقال : اللهم لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك : أنا الخليفة الشاب . ولكن أقول : اللهم عمرى طويلاً في

طاعتك ممناً بالعافية . فـما استمع كلامه حتى سمع غلاماً يقول لا آخر : الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام . فتطير من كلامه وقال : حسبي الله لا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه أستعين . فأت بعد شهرين وخمسة أيام . وذكر محمد بن عبد الله بن مالك الخزازي أن الرشيد أمر ابنه أن يسمع من إسحاق بن عيسى بن علي ما يرويه عن أبيه في قصة السفاح ، فأخبره عن أبيه عيسى أنه دخل على السفاح يوم عرفة بكرة فوجده صائماً ، فأمره أن يجادته في يومه هذا ثم يختم ذلك بفطره عنده . قال : فجادته حتى أخذته النوم فقامت عنه . وقلت : أقبل في منزلي ثم أجيء بعد ذلك . فذهبت فتمت قليلاً ثم قمت فأقبلت إلى داره فإذا على بابه بشير يبشر بفتح السند وبيعتهم للخليفة وتسلم الأُمُور إلى نوابه . قال : فحمدت الله الذي وفقني في الدخول عليه بهذه البشارة ، فدخلت الدار فإذا بشير آخر معه إشارة بفتح إفريقية ، فحمدت الله فدخلت عليه فبشرته بذلك وهو يسرح لحبيته بعد الوضوء ، فستط المشط من يده ثم قال : سبحان الله ، كل شيء بائد سواه ، نعت والله إلى نفسي ، حدثني إبراهيم الإمام عن أبي هشام عن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن رسول الله (ص) ، أنه قال : « يقدم على في مدينتي هذه وافدان والسند والآخرون وافدون إفريقية بسمهم وطاعتهم وبيعتهم ، فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت . قال : وقد أتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك . فقلت : كلا ، يا أمير المؤمنين إن شاء الله . قال بلى إن شاء الله ! لئن كانت الدنيا حبيبة إلى فالآخرة أحب إلى ، ولقاء ربي خير لي ، وصحة الرواية عن رسول الله بذلك أحب إلى منها ، والله ما كُذبت ولا كُذبت . ثم نهض فدخل منزله وأمرني بالجلوس ، فلما جاء المؤذن يعلمه بوقت الظهر خرج الخادم يعلمني أن أصلي عنه ، وكذلك العصر والمغرب والعشاء ، وبث هناك ، فلما كان وقت السحر أتاني الخادم بكتاب معه يأمرني أن أصلي عنه الصبح والعين ثم أرجع إلى داره ، وفيه يقول : يا عم إذا مت فلا تعلم الناس بموتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب فيبأيعوا إن فيه . قال : فصليت بالناس ثم رجعت إليه فإذا ليس به بأس ، ثم دخلت عليه من آخر النهار فإذا هو على حاله غير أنه قد خرجت في وجهه حبتان صغيرتان ، ثم كبرتاه ، ثم صار في وجهه حب صفار بيض يقال إنه جدري ، ثم بكرت إليه في اليوم الثاني فإذا هو قد هجر وذهبت عنه معرفتي ومعرفة غيري ، ثم رجعت إليه بالمشي فإذا هو انتفخ حتى صار مثل الزق ، وتوفي اليوم الثالث من أيام التشريق ، فسجنيته كما أمرني ، وخرجت إلى الناس فقرأت عليهم كتابه فإذا فيه : من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأبد ، وجماعة المسلمين ، سلام عليكم أما بعد فقد قلل أمير المؤمنين خلافة عليكم بعد وفاته أخاه فاسمعوا وأطيعوا ، وقد قلدها من بعده عيسى بن موسى (رضي الله عنه) . قال : فاختلاف الناس في قوله « إن كان » قيل إن كان أهلاً لها ، وقال آخرون إن كان حياً . وهذا القول الثاني هو الصواب ، ذكره الخليل

وابن عساكر مطولا . وهذا ملخص منه . وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جدا . وذكر ابن عساكر أن الطبيب دخل عليه فأخذ بيده فأنشأ يقول عند ذلك :
انظر إلى ضعف الحرا * كـ وذل وبمـ السكون * ينبئك أن بيانه * هذا مقدمة المنون
فقال له الطبيب : أنت صالح . فأنشأ يقول :

يبدى بى باني ذو صلاح * يبين له وبى داء دفين * لقد أيقنت أنى غيرى باقى * ولا شك إذا وضح اليقين
قال بعض أهل العلم : كان آخر ما تكلم به السفاح : الملك لله الحى القيوم ، ملك الملوك ، وجبار الجبابرة . وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله . وكان موته بالجدري في يوم الأحد الثالث عشر من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأبواب العالية ، عن ثلاث وثلاثين سنة . وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر على أشهر الأقوال . وصلى عليه عمه عيسى بن علي . ودفن في قصر الامارة من الأنبار . وترك تسع جبات وأربعة أقصص وخمسة سراويلات وأربعة طيلاسة وثلاثة مطارف خز . وقد ترجمه ابن عساكر فذكر بعض ما أوردناه والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان السفاح كما تقدم ، وأشعث بن سوار ، وجعفر بن أبي ربيعة ، وحسين ابن عبد الرحمن ، وزبيدة الزعاعى ، وزيد بن أسلم ، وعبد الملك بن عمير ، وعبد الله بن أبي جعفر ، وعطاء بن السائب . وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل والله الحمد .

خلافة أبي جعفر المنصور

واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

قد تقدم أنه لما مات السفاح كان في الحجاز فبلغه موته وهو بذات عرق راجعا من الحج ، وكان معه أبو مسلم الخراساني ، فمجل السير وعزاد أبو مسلم في أخيه ، فبكى المنصور عند ذلك ، فقال له : أتبكي وقد جاءتك خلافة ؟ أنا أكنيكها إن شاء الله . فسرى عنه ، وأمر زياد بن عبيد الله أن يرجع إلى مكة واليا عليها ، وكان السفاح قد عزله عنها بالعباس بن عبد الله بن معبد بن عباس فأقره عليها . والنواب على أعمالهم حتى انساخت هذه السنة ، وقد كان عبد الله بن علي قدم على ابن أخيه السفاح الأنبار فأمره على الصائفة ، فركب في جيوش عظيمة إلى بلاد الروم ، فلما كان ببعض الطريق بلغه موت السفاح فذكر راجعا إلى حران ، ودعا إلى نفسه ، وزعم أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى الشام أن يكون ولي العهد من بعده ، فالتفت عليه جيوش عظيمة ، وكان من أمره ما سئذ كره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

ذكر خروج عبد الله بن علي ابن أخيه المنصور

لما رجع أبو جعفر المنصور من الحج بعد موت أخيه السفاح ، دخل الكوفة فخطب بأهلها يوم

الجمعة وصلى بهم ، ثم ارتحل منها إلى الأنبار وقد أخذت له البيعة من أهل العراق وخراسان وسائر البلاد سوى الشام ، وقد ضبط عيسى بن علي بيوت الأموال والحواصل للمنصور حتى قدم ، فسلم إليه الأمر ، وكتب إلى عمه عبد الله بن علي يعلمه بوفاة السفاح ، فلما بلغه الخبر نادى في الناس الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الأمراء والناس ، قرأ عليهم وفاة السفاح ، ثم قام فيهم خطيباً فذكر أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى مروان أنه إن كسره كان الأمر إليه من بعده ، وشهد له بذلك بعض أمراء العراق ، ومنضوا إليه فبايعوه ، ورجع إلى حران فتسللها من نائب المنصور بعد محاصرة أربدين ليلة ، وقتل مقاتل العسكى نائبها . فلما بلغ المنصور ما كان من أمر عمه بعث إليه أبا مسلم الخراساني ومعه جماعة من الأمراء وقد تحصن عبد الله بن علي بخران ، وأرصد عنده مما يحتاج إليه من الأطعمة والسلاح شيئاً كثيراً جداً ، فسار إليه أبو مسلم الخراساني وعلى مقدمته مالك بن هيثم الخزازي ، فلما تحقق عبد الله قدوم أبي مسلم إليه خشي من جيش العراق أن لا ينصحوه ، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً ، وأراد قتل حميد بن قحطبة فهرب منه إلى أبي مسلم ، فركب عبد الله بن علي فنزل نصيبين وخندق حول عسكره ، وأقبل أبو مسلم فنزل ناحية وكتب إلى عبد الله : إني لم أؤمر بقتالك ، وإنما بعثني أمير المؤمنين واليا على الشام فأنا أريدكم . تخاف جنود الشام من هذا الكلام فقالوا : إنا نخاف على ذرارينا وديارنا وأموالنا ، فنحن نذهب إليها نمنعهم منه . فقال عبد الله : ويحك ! والله إنه لم يأت إلا لقتالنا . فأبوا إلا أن يرتحلوا نحو الشام ، فنحول عبد الله من منزله ذلك وقصد ناحية الشام ، فتمض أبو مسلم فنزل موضعه وغور ما حوله من المياه - وكان موضع عبد الله الذي تحول منه موضعاً جيداً جداً - فاحتاج عبد الله وأصحابه فنزلوا في موضع أبي مسلم فوجدوه منزلاً رديئاً ، ثم أنشأ أبو مسلم القتال فغار بهم خمسة أشهر ، وكان على خيل عبد الله أخوه عبد الصمد بن علي ، وعلى ميمنته بكار بن مسلم العقيلي ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي . وعلى ميمته أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته أبو نصر خازم بن خزيم ، وقد جرت بينهم وقعات وقتل منهم جماعات في أيام نحسات ، وكان أبو مسلم إذا حمل يرتجز ويقول :

مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ * فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعُ

وكان يعمل له عرش فيكون فيه إذا التقى الجيشان فما رأى في جيشه من خلل أرسل فأصلحه . فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكر بهم أبو مسلم ، بعث إلى الحسن بن قحطبة أمير الميمنة فأمره أن يتحول بمن معه إلا القليل إلى الميسرة ، فلما رأى ذلك أهل الشام انحازوا إلى الميمنة بازاء الميسرة التي تعمرت ، فأرسل حينئذ أبو مسلم إلى القلب أن يحمل بمن بقي في الميمنة على ميسرة أهل الشام لمخطومهم ، فجاء أهل القلب

والمينة من الشاميين فحمل الخراسانيون على أهل الشام وكانت الهزيمة : وانتهز عبد الله بن علي بمسء تلوم ، واحتاز أبو مسلم ما كان في معسكرهم ، وأمن أبو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم أحداً ، وكتب إلى المنصور بذلك ، فأرسل المنصور ، ولأه أبا الخصيب ليحصى ما وجدوا في معسكر عبد الله ، فغضب من ذلك أبو مسلم الخراساني . واستوسقت الممالك لأبي جعفر المنصور ، ومضى عبد الله بن علي وأخوه عبد الصمد على وجهيهما ، فلما مرا بالرصافة أقام بها عبد الصمد ، فلما رجع أبو الخصيب وجسده بها فأخذه معه مقيداً في الحديد فأدخله على المنصور فدفعه إلى عيسى بن موسى فاستأن له المنصور ، وقيل بل استأن له إسماعيل بن علي . وأما عبد الله بن علي فإنه ذهب إلى أخيه سليمان ابن علي بالبصرة فأقام عنده زماناً مخفياً ، ثم علم به المنصور فبعث إليه فسجنه [في بيت بني أسامة على الملح ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط البيت على عبد الله فمات . وهذه من بعض دراهي المنصور والله سبحانه أعلم] ^(١) . فلبث في السجن سبع سنين ثم سقط عليه في البيت الذي هو فيه فمات كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

سيرة أبي مسلم الخراساني

في هذه السنة أيضاً لما فرغ أبو مسلم من الحج سبق الناس بمرحلة فجاءه خبر السفاح في الطريق فكتب إلى أبي جعفر يعز به في أخيه ولم يمنه بالخلافة ، ولا رجع إليه . فغضب المنصور من ذلك مع ما كان قد أضمر له من سوء إذا أنفضت إليه الخلافة ، وقيل إن المنصور هو الذي كان قد تقدم بين يدي الحج بمرحلة ، وأنه لما جاءه خبر موت أخيه كتب إلى أبي مسلم يستعجله في السير كما قدمنا . فقال لأبي أيوب : اكتب له كتاباً غليظاً ، فلما بلغه الكتاب أرسل يمنه بالخلافة واقتمع من ذلك . وقال بعض الأمراء للمنصور : إنا نرى أن لانجامعه في الطريق فإن معه من الجنود من لا يخافه . وهم له أهيب ، وعلى طاعته أحرص ، وليس مملك أحد ، فأخذ المنصور برأيه ثم كان من أمره في مبايعته لأبي جعفر ما ذكرنا ، ثم بمنه إلى عمه عبد الله فكسره كما تقدم ، وقد بعث في غبون ذلك الحسن بن قحطبة لأبي أيوب كاتب رسائل المنصور يشافه ويخبره بأن أبا مسلم منهم عند أبي جعفر ، فانه إذا جاءه كتاب منه يقرأه ثم يلوى شذقيه ويرى بالكتاب إلى أبي نصر ويضحكان استهزاء ، فقال أبو أيوب : إن تهمة أبي مسلم عندنا أظهر من هذا . ولما بعث أبو جعفر مولاه أبا الخصيب يقطين ليحتاط على ما أصيب من معسكر عبد الله من الأموال والجواهر الثينة وغيرها ، غضب أبو مسلم فشم أبا جعفر وهم بأبي الخصيب ، حتى قيل له : إنه رسول فتركه ورجع . فلما قدم أخبر المنصور بما كان وبما هم به أبو مسلم من قتله ، فغضب المنصور وخشى أن يذهب أبو مسلم إلى

(١) زيادة وجدت بهامش نسخة الاستانة .

خراسان فيشقى عليه تحصيله بعد ذلك ، وأن تحدث حوادث ، فكتب إليه مع يقطين إلى قد ولبتك الشام ومصر وهما خير من خراسان . فابعث إلى مصر من شدت وأقم أنت بالشام ، لتكون أقرب إلى أمير المؤمنين ، إذا أراد لقاءك كنت منه قريباً . فغضب أبو مسلم وقال : قد ولاني الشام ومصر ، ولي ولاية خراسان ، فإذا أذهب إليها وأستخلف على الشام ومصر . فكتب إلى المنصور بذلك فقلق المنصور من ذلك كثيراً ، ورجع أبو مسلم من الشام قاصداً خراسان وهو عازم على مخالفة المنصور . ففرج المنصور من الأنبار إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم بالمسير إليه ، فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزاب عازم على الدخول إلى خراسان : إنه لم يبق لأمر المؤمنين عدو إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروى عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء . فحين نأفرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريون بالسمع والطاعة غير أنهم من بعيد حيث يقارنها السلامة . فان أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ، وإن أبيت

إلا أن تعطى نفسك إرادتهم انقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسى عن مقامات الذل والاهانة . فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمت كتابك وليست صفاتك صفة أولئك الوزراء الغششة إلى ملوكهم الذين يمتنون اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم ، وإنما راحتهم في تبديد نظام الجماعة ، فلم سويت نفسك بهم وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعت بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ، وليس مع الشريرة التي أوجبت منك جميع ولا طاعة ، وقد حمل أمير المؤمنين عيسى بن موسى إليك رسالة ليسكن إليها قلبك إن أصغيت إليها ، واسأله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك ، فانه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده من هذا ولا أقرب من طبه من الباب الذي فتحه عليك . ويقال إن أبا مسلم كتب إلى المنصور : أما بعد فاني اتخنت رجلاً إماماً ودليلاً على ما افترض الله على خلقه ، وكان في محلة العلم نارلاً وفي قرابته من رسول الله رس ، قريباً ، فاستجھلني بالقرآن فحرفه عن مواضع طمعاً في قليل قد تماها الله إلى خلقه ، وكان كالذي دلى بفرو ، وأمرني أن أجرد السيف وأرفع المرحمة ولا أقبل المَعْدرة ولا أقبل العثرة . فضلت توطيداً لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يجهلكم ، وأطاعكم من كان عدوكم ، وأظهركم الله في بعد الاخفاء والحقارة والذل ، ثم استغنى الله بالتوبة . فان يفت عن قديما عرف به ونسب إليه ، وإن يماقني فيها قدمت يداي ، وما الله بظلام للعبيد . ذكره المدائني عن شيوخه .

وبعث المنصور إليه جرب بن يزيد بن جرب بن عبد الله الجبلي . وقد كان أوحده أهل زمانه - في جماعة من الأمراء ، وأمره أن يكلم أبا مسلم بالابن كلاماً يقدر عليه ، وأن يكون في جملة ما يكلمه به

انه يريد رفع قدرك وعلو منزلتك ولاطلاقات لك ، فان جاء بهذا فذاك ، وإن أبى قتل هو برئ من العباس إن شقت العصا وذهبت على وجهك ليدركك بنفسه وليقاتلك دون غيره ، ولو خضت البحر انخضم نفاذه خلقت حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك . ولا تقل له هذا حتى تياس من رجوعه بالتي هي أحسن فلما قدم عليه أمراء المنصور يحلون دخولوا عليه ولاموه فيما هم به من منابذة أمير المؤمنين ، وما هو فيه من مخالفته ، ورغبتوه في الرجوع إلى الطاعة ، فشاور ذوي الرأي من أمرائه فكلمهم فنهاه عن الرجوع إليه ، وأشاروا بأن يقيم في الري فتكون خراسان تحت حكمه ، وجنوده طوعاً له ، فان استسلم له الخليفة وإلا كان في عز ومنعة من الجند . فعند ذلك أرسل أبو مسلم إلى أمراء المنصور فقال لهم : ارجعوا إلى صاحبكم فليست ألقاه . فلما استياسوا منه قالوا له ذلك الكلام الذي كان المنصور أمرهم به . فلما سمع ذلك كسره جداً وقال قوموا عني الساعة .

وكان أبو مسلم قد استخاف على خراسان أبا داود إبراهيم بن خالد ، فكتب إليه المنصور في غيبة أبي مسلم حين اتهم : إن ولاية خراسان لك ما بقيت ، فقد وليتها وعزلت عنها أبا مسلم . فعند ذلك كتب أبو داود إلى أبي مسلم حين بلغه ما عليه من منابذة الخليفة : إنه ليس يليق بنا منابذة خلفاء أهل بيت رسول الله . ، فارجع إلى إمامك سامعاً مطيعاً والسلام . فزاده ذلك كسراً أيضاً فبعث إليهم أبو مسلم : إني سأبعث إليه أبا إسحاق وهو ممن أثق به . فبعث أبا إسحاق إلى المنصور فأكرمه ووعدته ببقاية العراق إن هو رده . فلما رجع إليه أبو إسحاق قال له : ما وراءك ؟ قال : رأيتمهم معظمين لك يعرفون قدرك . ففره ذلك وعزم على الذهاب إلى الخليفة ، فاستشار أميراً يقال له نيزك ، فنهاه ، فصمم على الذهاب ، فلما رآه نيزك عازماً على الذهاب تمثل بقول الشاعر : -

ما للرجل مع القضاء محالة * ذهب القضاء بحيلة الأقوام

ثم قال له : احفظ عني واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع من شئت بالخلافة فان الناس لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم إلى المنصور يعلمه بقدمه عليه . قال أبو أيوب كاتب الرسائل : فدخلت على المنصور وهو جالس في خباء شعر جالس في مصلاه بعد العصر ، وبين يديه كتاب فألقاه إلى فاذا هو كتاب أبي مسلم يعلمه بالقدوم عليه ، ثم قال الخليفة : والله لئن ملأت عيني منه لأقتله . قال أبو أيوب : فقلت له إنا لله وإنا إليه راجعون . وبت تلك الليلة لا يأتي نوم ، أفكر في هذه الواقعة ، وقلت : إن دخل أبو مسلم خائفاً ربما يبدو منه شر إلى الخليفة ، والمصلحة تقتضي أن يدخل آمناً لئتمكن منه الخليفة . فلما أصبحت طلبت رجلاً من الأمراء وقتلت له : هل لك أن تتولى مدينة كسكر فانها مغلقة في هذه السنة ؟ فقال : ومن لي بذلك ؟ فقلت له : فاذهب إلى أبي مسلم فناقاه في الطريق فاطلب منه أن يوليكَ تلك البلد ، فان أمير المؤمنين يريد أن يولي ما وراء بابه

ويعبر عن نفسه . واستأذنت المنصور له أن يذهب إلى أبي مسلم فأذن له ، وقال له : سلم عليه وقل له : إنا بالاشواق إليه . فسار ذلك الرجل - وهو سلمة بن فلان -^(١) إلى أبي مسلم فأخبره بأشواق الخليفة إليه ، فسر له ذلك وانشرح ، وإنما هو غرور ومكر به ، فلما سمع أبو مسلم بذلك عجل السير إلى منيته ، فلما قرب من المدائن أمر الخليفة القواد والامراء أن يثقلوه ، وكان دخوله على المنصور من آخر ذلك اليوم ، وقد أشار أبو أيوب على المنصور أن يؤخر قتله في ساعته هذه إلى الغد ، فقبل ذلك منه . فلما دخل أبو مسلم على المنصور من المشي أظهر له الكرامة والتعظيم ، ثم قال : اذهب فأرح نفسك وادخل الحام ، فإذا كان الغد فأتني . فخرج من عنده وجاءه الناس يسلمون عليه ، فلما كان الغد طلب الخليفة بعض الأمراء فقال له : كيف بلائي عنده ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين لو أمرتني أن أقتل نفسي لقتلتها . قال : فكيف بك لو أمرتك بقتل أبي مسلم ؟ قال : فوجم ساعة ثم قال له أبو أيوب : مالك لا تتكلم ؟ فقال : قولة ضعيفة : أقبله . ثم اختار له من عيون الحرس أربعة فحرضهم على قتله ، وقال لهم : كونوا من وراء الرواق فإذا صفقت بيدي فأخرجوا عليه فاقتلوه . ثم أرسل المنصور إلى أبي مسلم رسلا تترى يتبع بعضها بعضاً ، فأقبل أبو مسلم فدخل دار الخلافة ثم دخل على الخليفة وهو يتقسم ، فلما وقف بين يديه جعل المنصور يماثبه في الذي صنع واحدة واحدة ، فيعتمد عن ذلك كله . ثم قال : يا أمير المؤمنين أرجو أن تكون نفسك قد طابت علي . فقال المنصور : أما والله ما زادني هذا إلا غيظاً عليك . ثم ضرب بأحدى يديه على الأخرى فخرج عثمان وأصحابه فضربوه بالسيف حتى قتلوه ولفوه في عباءة ثم أمر بالقائه في دجلة ، وكان آخر العهد به ، وكان مقتله في يوم الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة .

وكان من جملة ما عاتبه به المنصور أن قال : كتبت إلى مرات تبدأ بنفسك ، وأرسلت تخطب عني أمينة ، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس إلى غير ذلك . فقال أبو مسلم : يا أمير المؤمنين لا يقال لي هذا وقد سميت في أمركم بما علمه كل أحد . فقال : ويحك ! لو قامت في ذلك أمة سوداء لأتبعها الله لجدنا وحيطتنا . ثم قال : والله لأقتلنك . فقال : استبقني يا أمير المؤمنين لأعدائك . فقال : وأي عدوى أعدى منك . ثم أمر بقتله كما تقدم : فقال له بعض الأمراء : يا أمير المؤمنين الآن صرت خليفة . ويقال إن المنصور أنشد عند ذلك :

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قرأ عينا بالابجير المسافر

وذكر ابن خلكان أن المنصور لما أراد قتل أبي مسلم فحبر في أمره هل يستشير أحداً في ذلك أو يستبد هو به إشلايشيع وينشر ، ثم استشار واحداً من نصحاء أمهاته فقال : يا أمير المؤمنين

(١) كذا بالأصلين . وفي الطبري : سلمة بن سعيد بن جابر .

قال الله تعالى [لربكنا ههـ آلمة إلا الله لفسدنا] فقال له : لقد أودعتها أدنا واعية . ثم عزم على ذلك

ترجمة أبي مسلم محمد سافى

هو عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم صاحب دولة بنى العباس ، ويقال له أمير آل بيت رسول الله ص . وقال الخطيب : يقال له عبد الرحمن بن شيرون بن اسفنديار أبو مسلم المروزي ، صاحب الدولة العباسية ، يروى عن أبي الزبير وثابت البناني وإبراهيم وعبد الله ابني محمد بن هلى بن عبد الله بن عباس ، زاد ابن عساكر فى شيوخه محمد بن على وعبد الرحمن بن حرمة وعكرمة مولى ابن عباس . قال ابن عساكر : روى عنه إبراهيم بن ميمون الصائغ ، وبشر والد مصعب بن بشر ، وعبد الله بن شهرمة وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن منيب المروزي وقديد بن منيع صهر أبى مسلم . قال الخطيب : وكان أبو مسلم فاتكا ذا رأى وعقل وتدبير وحزم ، قتله أبو جعفر المنصور بالمداين . وقال أبو نعيم الأصبهاني فى تاريخ أصفهان : كان اسمه عبد الرحمن بن عثمان بن يسار ، قيل إنه ولد بأصفهان ، وروى عن السدى وغيره ، وقيل كان اسمه إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس ابن حوذون ، من ولد بزرجمهر ، وكان يكنى أبا إسحاق ، ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى به إلى عيسى ابن موسى السراج ، فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين ، فلما بعثه إبراهيم بن محمد الامام إلى خراسان قال له : غير اسمك وكنيتك . فسمى عبد الرحمن بن مسلم ، واكتفى بأبى مسلم ، فسار إلى خراسان وهو ابن سبع عشرة سنة راكبا على حمار با كاف ، وأعطاه إبراهيم بن محمد نفقة ، فدخل خراسان وهو كذلك ، ثم آل به الحال حتى صارت له خراسان بأزمتها وحذافيرها ، وذكر أنه فى ذهابه إليها عدا رجل من بعض الخانات فقطع ذنب حماره ، فلما تمكن أبو مسلم جعل ذلك المكان دكا فكان بعد ذلك خرابا . وذكر بعضهم أنه أصابه سبي فى صفرة وأنه اشتراه بعض دعة بنى العباس بأربعمائة درهم ، ثم إن إبراهيم بن محمد الامام استوهيه واشتراه فأنتمى إليه وزوجه إبراهيم بنت أبى النجم إسماعيل الطائى ، أحد دعايمهم ، لما بعثه إلى خراسان ، وأصدقها عنه أربعمائة درهم فولد لأبى مسلم بختان إحداهما أسماء أعقبت ، وفاطمة لم تعقب .

وقد تقدم ذكر كيفية استقلال أبى مسلم بأموار خراسان فى سنة تسع وعشرين ومائة ، وكيف نشر دعوة بنى العباس ، وقد كان ذا هيئة وصرامة وإقدام وتسرع فى الأمور . وقد روى ابن عساكر باسناده أن رجلا قام إلى أبى مسلم وهو يخطب فقال : ما هذا السواد الذى أرى عليك ؟ فقال : حدثنى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله « أن رسول الله ص . دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء » . وهذه ثياب الهيئة وثياب الدولة . يا غلام اضرب عنقه . وروى من حديث عبد الله بن منيب عنه عن محمد بن على عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس . قال : قال رسول الله

س : « من أراد هوان قريش أهانه الله » . وقد كان إبراهيم بن ميمون الصائغ من أصحابه وجلسائه في زمن الدعوة ، وكان يعمد إذا ظهر أن يقيم الحدود ، فلما تمكن أبو مسلم ألح عليه إبراهيم ابن ميمون في القيام بما وعده به حتى أخرج به ، فأمر بضرب عنقه ، وقال له : لم لا كنت تنكر على نصر بن سيار وهو يعمل أو أوى الخمر من الذهب فيبيئها إلى بنى أمية ؟ فقال له : إن أولئك لم يقر بوى من أنفسهم ويمدوني منها ما وعدتني أنت . وقد رأى بعضهم لإبراهيم بن ميمون هذا منازل عالية في الجنة بصبره على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانه كان آمراً ناهياً قائماً في ذلك ، فقتله أبو مسلم رحمه الله .

وقد ذكرنا طاعة أبي مسلم للسفاح واعتناؤه بأمره وامتناله مراسيمه ، فلما صار الأمر إلى المنصور استخف به واحتقره ، ومع هذا بعثه المنصور إلى عمه عبد الله إلى الشام فكسره واستنقذ منه الشام وردّها إلى حكم المنصور . ثم شتمت نفسه على المنصور وهم بقتله ، فظن لذلك المنصور مع ما كان مبطلنا له من البغضة ، وقد سأل أخاه السفاح غير مرة أن يقتله كما تقدم ذلك فأبى عليه ، فلما تولى المنصور مازال بما كره ويخادعه حتى قدم عليه فقتله . قال بعضهم : كتب المنصور إلى أبي مسلم أما بعد فانه يرين على القلوب ويطبع عليها المعاصي ، فع أيها الطائش ، وأفق أيها السكران ، وانتبه أيها النائم ، فانك مغرور بأضغاث أحلام كاذبة ، في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوائف القرون [هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا] وإن الله لا يعجزه من هرب ، ولا يفوته من طلب ، فلا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي ، فسكانهم قد صالوا عليك بعد أن صالوا معك ، إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبدأ لك من الله ما لم تكن تحسب ، مهلا مهلا ، احذر البغي أبا مسلم فانه من بنى واعتسدى تخلى الله عنه ، ونهر عليه من يصصره لليدين والغم ، واحذر أن تكون سنة في الذين قد خلوا من قبلك ، ومثله لمن يأتي بعدك ، فقد قامت الحاجة وأهذرت إليك ، وإلى أهل طاعتي فيك . قال تعالى [واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين]

فأجابه أبو مسلم : أما بعد فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانباً ، وعن الحق حائداً إذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكالكها ، وكتبت إلى فيه آيات منزلة من الله للكافرين ، وما يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، وإني والله ما السلخت من آيات الله ، ولكنني يا عبد الله بن محمد كنت رجلاً متأولاً فيكم من القرآن آيات أوجبت لكم بها الولاية والطاعة ، فأتممت بأخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما ، فكنت لهما شعبة متديناً أحسبني هادياً مهتدياً ، وأخطأت في التأويل وقدماً أخطأ المتأولون ، وقد قال تعالى [وإذا حاكك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على

نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم [وإن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالاً فأمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهة وأرفع الرحمة ولا أقبل العثرة ، فوترت أهل الدنيا في طاعتكم ، وتوطئة سلطانتكم ، حتى عرفكم الله من كان جهمكم . ثم إن الله سبحانه تداركني منه بالندم واستغفني بالتوبة ، فإن يمت غنى ويصنع فانه كان للأوابين غفورا ، وإن يعاقبني فبذنوبي وما ربك بظلام للعبيد .

فكتب إليه المنصور : أما بعد أيها المجرم العاصي ، فإن أخى كان إمام هدى يدعو إلى الله على بينة من ربه ، فأوضح لك السبيل ، وحملك على المنهج السديد ، فلو بأخى اقتديت لما كنت عن الحق حائثاً ، وعن الشيطان وأوامره صادراً ، ولكنه لم يسئ لك أمران إلا كنت لأرشدكما تاركا ، ولأغواهما راكباً ، تقتل قتل الفراعنة ، وتبطلش بطش الجبارة ، وتحكم بالجور حكم المفسدين ، وتبذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين ، ثم من خبرى أيها الفاسق أنى قد وليت موسى ابن كعب خراسان ، وأمرته أن يقيم بليساوور ، فإن أردت خراسان لتيك بمن معه من قوادى وشيعتى ، وأنا موجه للقاتك أقرانك ، فاجمع كيذك وأمرك غير مسدد ولا موفق ، وحسب أمير المؤمنين ومن اتبعه الله ونعم الوكيل .

ولم يزل المنصور يرسله نارة بالرجبة وقارة بالهبة ، ويستخف أحلام من حوله من الأمراء والزسل الذين يبعثهم أبوهم إلى المنصور ويمدحهم ، حتى حسنوا لأبى مسلم في رآيه القدوم عليه سوى أمير معه يقال له نيزك ، فانه لم يوافق على ذلك ، فلما رأى أبا مسلم وقد انطاع لهم أنشد عند ذلك البيت المتقدم ، وهو : ما للرجال مع القضاء محالة * ذهب القضاء بحيلة الأقوام

وأشار عليه بأن يقتل المنصور ويستخلف ببله فلم يمكنه ذلك ، فانه لما قدم المدائن تلقاه الأمراء عن أمر الخليفة ، فما وصل إلا آخر النهار ، وقد أشار أبو أيوب كاتب الرسائل أن لا يقتله يومه هذا كما تقدم [فلما وقف بين يدى الخليفة أكرمه وعظمه وأظهر احترامه ، وقال : اذهب الليلة فأذهب عنك وهشاء السفر ثم اتقى من الغد .] (١) فلما كان الغد أُرصد له من الأمراء من يقتله ، منهم عثمان بن نهيك ، وشبيب بن واثق ، فقتلوه كما تقدم . ويقال بل أقام أياماً يظهر له المنصور الاكرام والاحترام ، ثم نشق منه الوحشة فخاف أبو مسلم واستشفع بعيسى بن موسى واستجار به ، وقال : إني أخافه على نفسى . فقال : لا بأس عليك فانطلق فاني آت وراك ، أنت في ذمتي حتى آتيك ، - ولم يكن مع عيسى خبر بما يريد به الخليفة - فجاء أبو مسلم يستأذن على المنصور فقالوا له : اجلس ههنا فإن أمير المؤمنين يتوضأ ، فجلس وهو يود أن يطول مجلسه ليجى عيسى بن موسى فأبطأ ، وأذن له الخليفة

(١) زيادة من المصرية .

فدخل عليه فجعل يعاتبه في أشياء صدرت منه فيمتنر عنها جيداً ، حتى قال له : فلم قتلت سليمان بن كثير ، وإبراهيم بن ميمون ، وفلانا وفلانا ؟ قال : لأنهم عصوني وخالفوا أمرى . فغضب عند ذلك المنصور وقال : ويحك ! أنت تقتل إذا عصيت ، وأنا لا أقتلك وقد عصيتنى ؟ وصفق بيديه وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله - ، فتبادروا إليه ليقتلوه فضر به أحدهم فقطع حائل سيفه ، فقال : يا أمير المؤمنين استبقنى لأعذالك ، فقال : وأى عدو لى أعذى منك . ثم زجره المنصور فقطعوه قطعاً وفلوه في عباءة ، ودخل عيسى بن موسى على إثر ذلك فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا أبو مسلم ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فقال له المنصور : احمد الله الذى هجمت على نعمة ، ولم تهجم على نعمة ، ففى ذلك يقول أبو دلالة : -

أبا مسلم ما غيّر الله نعمة * على عبد حتى يغيرها العبد

أبا مسلم خوفنى القتل فانتخى * عليك بما خوفنى الأسد الورى

وذكر ابن جرير أن المنصور تقدم إلى عثمان بن نهيك وشبيب بن واثق وأبى حنيفة حرب بن قيس وآخر من الحرس أن يكونوا قريباً منه ، فإذا دخل عليه أبو مسلم وخاطبه وضرب باحدى يديه على الأخرى فليقتلوه . فلما دخل عليه أبو مسلم قال له المنصور : ما فعل السيفان اللذان أصبتما من عبد الله بن على ؟ فقال : هذا أحدهما . فقال : أرنيه ، فناوله السيف فوضعه تحت ركبته ثم قال له : ما حملك على أن تكتب لأبى عبد الله السفاح تنهاه عن الموات ، أردت أن تعلمنا الدين ؟ قال : إبنى ظننت أن أخنعه لا يحل ، فلما جاءنى كتاب أمير المؤمنين علمت أنه وأهل بيته ممدن العلم . قال : فلم تقدمت على فى طريق الحج ؟ قال : كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس ، فتقدمت الناس الرقى . قال : فلم لارجعت إلى حين أناك خبر موت أبى العباس ؟ قال : كرهت التضيق على الناس فى طريق الحج ، وعرفت أنا سنجتمع بالكوفة ، وليس عليك منى خلاف . قال : فجارية عبد الله بن على أردت أن تتخذها لنفسك ؟ قال : لا ! ولكن خفت أن تضيع لعمليتها فى قبة ووكلت بها من يحفظها . ثم قال له : ألسنت الكاتب إلى تبدأ بنفسك والكاتب إلى تخطب آمنة بنت على ؟ ونزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس ؟ هذا كاه ويد المنصور فى يده يمر كها ويقبلها ويمتنر ، ثم قال له : فما حملك على مراغمتى ودخولك إلى خراسان ؟ قال : خفت أن يكون دخلك منى شىء فأردت أن أدخل خراسان وأكتب إليك بهذرى . قال : فلم قتلت سليمان بن كثير وكان من نقبائنا ودعاتنا قبلك ؟ قال : أراد خلافى . فقال : ويحك وأنت أردت خلافى وعصيتنى ، قتلتى الله إن لم أقتلك . ثم ضربه بعمود الخيمة وخرج إليه أولئك فضر به عثمان فقطع حائل سيفه ، وضربه شبيب فقطع رجله ، وحمل عليه بقينهم بالسيوف ، والمنصور يصيح : ويحكم اضربوه قطع الله أيديكم . ثم ذبحوه

وقطعوه قطعاً قطعاً ، ثم أتى في دجلة . وروى أن المنصور لما قتله وقف عليه فقال : رحك الله أبا مسلم ، بايعتنا فبايعناك ، وعاهدتنا وعاهدناك ، ووفيت لنا فوفيناك ، وإنا بايعناك على أن لا يخرج علينا أحد في هذه الأيام إلا قتلناه ، فخرجت علينا فقتلناك ، وحكنا عليك حكك على نفسك لنا . ويقال إن المنصور قال : الحمد لله الذي أرانا يومك يا عدو الله . قال ابن جرير وقال المنصور عند ذلك : —

زعمت أن الدين لا يقتضى * فاستوفى بالكيل أبا محرم
سقيت كأساً كنت تسقى بها * أمراً في الخلق من العلقم

ثم إن المنصور خطب في الناس بعد قتل أبي مسلم فقال : أيها الناس ، لا تنفروا أطيار النعم بترك الشكر ، فتحل بكم النقم ، ولا تفسروا غش الأئمة فان أحدا لا يسر منكم شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه ، وصفحات وجهه ، وطوالع نظره وإنا لن نجعل حقوقكم ما عرقم حقنا ، ولا ننسى الاحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا ، ومن نازعنا هذا القميص أو طائفاً أم رأسه ، حتى يستقيم رجالكم ، وترتدع عمالككم . وإن هذا القميص أبا مسلم بايع على أنه من ذلك بيعتنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه ، فشك وغدر ونجر وكفر ، فحكنا عليه لأنفسنا حكاه على غيره لنا ، وإن أبا مسلم أحسن مبتدئاً وأساء منتهياً ، وأخذ من الناس بنا لنفسه أكثر مما أعطانا . ورجع قبيح باطنه على حسن ظاهره ، وعلنا من خبث سريره وفساد نيته ما لو علم اللأم لنا فيه لما لام ، ولو اطلع على ما اطلعنا عليه منه لعننا في قتله ، وعنفنا في إمهاله ، وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه ، فحكنا فيه حكاه على غيره من شق العصا ، ولم يمننا الحق له من إمضاء الحق فيه ، وما أحسن ما قال النافعة الديبائي للنعمان - يعني ابن المنذر - :

فمن أطاعك فأنعمه بطاعته * كما أطاعك وأقر على الرشد
ومن عصاك فعاقبه - معاقبة * تنهى الظلم ولا تقعد على ضمير

وقد روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبد الله بن المبارك سئل عن أبي مسلم أهو خير أم الحجاج ؟ فقال : لا أقول إن أبا مسلم كان خيراً من أحد ، ولكن كان الحجاج شرّاً منه ، قد اتهمه بعضهم على الاسلام ، ورموه بالزندقة ، ولم أرفهاذكروه عن أبي مسلم ما يدل على ذلك ، بل على أنه كان من يخاف الله من ذنوبه ، وقد ادعى التوبة فيها كان منه من سفك الدماء في إقامة الدولة العباسية والله أعلم بأمره .

وقد روى الخطيب عنه أنه قال : ارتدبت الصبر ، وآثرت الكفاف ، وحالفت الأحزان والأشجان ، وشاخنت المقادير والأحكام ، حتى بلغت غاية همتي ، وأدركت نهاية بنيتي . ثم أنشأ يقول :

قد نلت بالعزم والكتان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
مازلت أضرهم بالسيف فانتقموا * من رقدة لم ينمها قبلهم أحد
وطفت أسمى عليهم في ديارهم * والقوم في ملكهم في الشام قد رقدوا
ومن رعى غنماً في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وقد كان قتل أبي مسلم بالمداين يوم الأربعاء لسبع خلون ، وقيل لخمس بقين ، وقيل لأربع ،
وقيل لليلتين بقيتا من شعبان من هذه السنة - أعني سنة سبع وثلاثين ومائة - قال بعضهم : كان
ابتداء ظهوره في رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، وقيل في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة .
وزعم بعضهم أنه قتل ببغداد في سنة أربعين ، وهذا غلط من قائله ، فإن بغداد لم تكن بذيت بعد
كما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، ورد هذا القول .

ثم إن المنصور شرع في تأليف أصحاب أبي مسلم بالأعطية والرغبة والرغبة والوليات ، واستدعى
أبا إسحاق - وكان من أعز أصحاب أبي مسلم - وكان على شرطة أبي مسلم ، وهم بضرب عنقه قتل : يا أمير
المؤمنين والله ما أمنت قط إلا في هذا اليوم ، وما من يوم كنت أدخل عليك إلا تمنعت ولبست
كفني ، ثم كشف عن ثيابه التي تلى جسده فاذا هو محط وعليه أدرع أكفان ، فرق له المنصور وأطلقه
وذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتماطله لأجل دولة بني العباس ستائة ألف
صبراً زيادة عن من قتل بغير ذلك . وقد قال للمنصور وهو يماطله على ما كان يصنعه : يا أمير المؤمنين
لا يقال لي هذا بعد بلائ وما كان مني . فقال له : يا ابن الخبيثة ، لو كانت أمة مكاتلك لأجزأت
فاحيتها ، إنما عملت ما عملت بدولتنا وبريحتنا ، لو كان ذلك إليك لما وصلت إلى فنيل . ولما قتله
المنصور لف في كساء وهو مقطوع إربا إربا ، فدخل عيسى بن موسى فقال : يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم ؟
قال : قد كان هاهنا آنفاً . فقال : يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى إبراهيم الإمام
فيه . فقال له : يا أنوك والله ما أعلم في الأرض عدواً أعدى لك منه ، هاهو ذاك في البساط . فقال :
إنما لله وإنا إليه راجعون . فقال له المنصور : خلع الله قلبك ! وهل كان لكم مكان أو سلطان أو أمر
أو نهى مع أبي مسلم ؟ ثم استدعى المنصور برؤس الأمراء فجعل يستشيرهم في قتل أبي مسلم قبل أن
يلصوا بقتله ، فكلهم يشير بقتله ، ومنهم من كان إذا تكلم أسر كلامه خوفاً من أبي مسلم لئلا ينقل إليه ،
فلما أعلمهم على قتله أفرعهم ذلك وأظهروا سروراً كثيراً . ثم محلب المنصور الناس بذلك كما تقدم .
ثم كتب المنصور إلى نائب أبي مسلم على أمواله وخواصه بكتاب على لسان أبي مسلم أن
يقدم بجميع ما عنده من الخواصل والذخائر والأموال والجواهر ، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم
بكلمة ، مطبوعاً بكل فص الخاتم ، فلما رآه الخازن استراب في الأمر ، وقد كان أبو مسلم تقدم إلى

خازنه أنه إذا جاءك كتابي فإن رأيته مختوماً بنصف الفص فامض لما فيه ، فإني إنما أختم بنصف فصه على كني ، وإذا جاءك الكتاب مختوماً عليه بكلمة فلا تقبل ولا تمض ما فيه . فامتنع عند ذلك خازنه أن يقبل ما بعث به المنصور ، فأرسل المنصور بعد ذلك إليه من أخذ جميع ذلك وقتل ذلك الرجل الخازن ، وكتب المنصور إلى أبي داود إبراهيم بن خالد بأمره خراسان كما وعده قبل ذلك عوضاً عن أبي مسلم .

وفي هذه السنة خرج سنباذ يطلب بدم أبي مسلم ، وقد كان سنباذ هذا مجوسياً تغلب على قومس وأصبهان ، ويسمى بفيروز أصبهيد ، فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشاً هم عشرة آلاف فارس عليهم جهور بن مرار المعلى - فالتقوا بين همدان والري بالمغازة ، فهزم جهور لسنباذ وقتل من أصحابه ستين ألفاً وسبى ذراريهم ونساءهم ، وقتل سنباذ بعد ذلك فكانت أيامه سبعين يوماً . وأخذ ما كان استحوذ عليه من أموال أبي مسلم التي كانت بالري . وخرج في هذه السنة أيضاً رجل يقال له ملبد [بن حرمة الشيباني] في ألف من الخوارج بالجزيرة فجهز إليه المنصور جيوشاً متعددة كشيعة كلها تنفر منه وتنكسر ثم قاتله حميد بن قحطبة نائب الجزيرة ، فهزمه ملبد وتمصن منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قحطبة على مائة ألف فدفعها إليه وقبلها ملبد وتقلع عنه .

وحج بالناس في هذه السنة عم الخليفة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس قاله الواقدي . وكان نائب الموصل - يعني عم المنصور - وعلى نيابة الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة سليمان ابن علي ، وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة ، وعلى مصر صالح بن علي ، وعلى خراسان أبو داود إبراهيم ابن خالد ، وعلى الحجاز زياد بن عبد الله . ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل الخليفة بسنباذ وغيره . ومن مشاهير من توفى فيها أبو مسلم الخراساني كما تقدم ، ويزيد بن أبي زياد أحد من تكلم فيه كما ذكرناه في التكميل ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ففيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطية عنوة فهدم سورها وعفا عن قدر عليه من مقاتلتها . وفيها غزا الصائفة صالح بن علي نائب مصر ، فبنى ما كان هدم ملك الروم من سور ملطية ، وأطلق لأخيه عيسى بن علي أربعين ألف دينار ، وكذلك أعطى لابن أخيه العباس بن محمد بن علي أربعين ألف دينار . وفيها بايع عبد الله بن علي الذي كسره أبو مسلم وانهمز إلى البصرة واستجار بأخيه سليمان بن علي ، حتى بايع للخليفة في هذه السنة ورجع إلى طاعته . ولكن حبس في سجن بغداد كما سيأتي . وفيها خلع جهور بن مرار المعلى الخليفة المنصور بمسح ما كسر سنباذ واستحوذ على حواصله وعلى أموال أبي مسلم ، فقويت نفسه بذلك وظن أنه لا يقدر عليه بعد ، فأرسل إليه

الخليفة محمد بن الأشعث الخراساني في جيش كثيف فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزم جهور وقتل عامة من معه ، وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل والذخائر ، ثم لحقوه فقتلوه . وفيها قتل الملبد الخارجي على يدى خازم بن خزيمه في ثمانية آلاف ، وقتل من أصحاب الملبد ما يزيد على ألف وانهمز بقيتهم . قال الواقدي : وحج بالناس فيها الفضل بن علي ، والنواب فيها هم المذكورون بالتى قبلها

ومن توفى فيها من الأعيان زيد بن واقد ، والعلاء بن عبد الرحمن ، وليث بن أبي سليم في قول ، وفيها كانت خلافة الداخل من بني أمية إلى ملاد الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الهاشمي . قلت : ليس هو بهاشمي إنما هو من بني أمية ويسمى أموياً ، كان قد دخل إلى بلاد المغرب فراراً من عبيد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ، فاجتاز بمن معه من أصحابه الذين فروا معه يقوم يقتتلون على عصبية الجانية والمضرية ، فبعث مولاه بدرأ إليهم فاستسلم إليه فبايعوه ودخل بهم ففتح بلاد الاندلس واستحوز عليها وانزعها من نائبها يوسف بن عبد الرحمن ابن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وقتله . وسكن عبد الرحمن قرطبة واستمر في خلافته في تلك البلاد من هذه السنة إلى سنة ثنتين وسبعين ومائة . فتوفى فيها وله في الملك أربع وثلاثون سنة وأشهر . ثم قام من بعده ولده هشام ست سنين وأشهر . ثم مات فولى بعده الحكم بن هشام ستا وعشرين سنة وأشهر ثم مات . ثم ولي بعده ولده عبد الرحمن بن الحكم ثلاثا وثلاثين سنة ثم مات . ثم ولي بعده محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستا وعشرين سنة . ثم ابنه المنذر بن محمد ، ثم أخوه عبد الله بن محمد بن المنذر . وكانت أيامه بعد الثلاثمائة بدهر ، ثم زالت تلك الدولة كما سذكركم من زوال تلك السنون وأهلها وما قضا فيها من النعم والعيش الرغيد والنساء الحسان ثم انقضت تلك السنوات وأهلها كأنهم على ميعاد ، ثم أضحوا كأنهم ورق جف ألوت عليه الصبا والذبول

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة فيها أكل صالح بن علي بناء ملطية ثم غزا الصائفة على طريق الحدث ، فوغل في بلاد الروم ، وغزا معه أخته أم عيسى ولبابة ابنتا علي ، وكانتا ندرتا إن زال ملك بني أمية أن يجاهدا في سبيل الله عز وجل . وفيها كان الفداء الذي حصل بين المنصور وبين ملك الروم ، فاستنقذ بعض أسرى المسلمين ثم لم يكن للناس صائفة في هذه السنة إلى سنة ست وأربعين ، وذلك لاشتغال المنصور بأمر ابني عبد الله بن حسن كما سذكركم . ولكن ذكر بعضهم أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن ابراهيم الامام سنة أربعين فآله أعلم .

وفيها وسع المنصور المسجد الحرام ، وكانت هذه السنة خصبة جداً - أي كثيرة الخصب فكان



يقال لها السنة الخصبية - وقيل إنما كان ذلك في سنة أربعين . وفيها عزل المنصور عمه سليمان عن إمرة البصرة ، فاختفى عبد الله بن علي وأصحابه خوفاً على أنفسهم ، فبعث المنصور إلى نائبه على البصرة ، وهو سفيان بن معاوية ، يستحثه في إحضار عبد الله بن علي إليه ، فبعثه في أصحابه فقتل بعضهم وسجن عبد الله بن علي معه ، وبعث بقية أصحابه إلى أبي داود نائب خراسان فقتلهم هناك وحجج بالناس فيها العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفي عمرو بن مجاهد ، ويزيد بن عبد الله بن الهاد ، ويونس بن عبيد ، أحد العباد وصاحب الحسن البصري .

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

فيها ثار جماعة من الجند على أبي داود نائب خراسان ، وحاصروا داره ، فأشرف عليهم وجعل يستغيث بمجنديه ليحضروا إليه ، واتكأ على آجرة في الحائط فانكسرت به فسقط فانكسر ظهره فمات ، فغلفه على خراسان عاصم ، صاحب الشرطة حتى قدم الأمير من جهة الخليفة عليها ، وهو عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، فقتل بلاد خراسان ، وقتل جماعة من الأمراء لأنه بلغه عنهم أنهم يدعون إلى خلافة آل علي بن أبي طالب ، وحبس آخرين ، وأخذ نواب أبي داود بمجباية الأموال المنكسرة عندهم .

وفيها حجج بالناس الخليفة المنصور أحرم من الحيرة ورجع بعد انقضاء الحج إلى المدينة ، ثم رحل إلى بيت المقدس فزاره ، ثم سلك الشام إلى الرقة ، ثم سار إلى الهاشمية - هاشمية الكوفة - ونواب الأقاليم هم المذكورون في التي قبلها ، سوى خراسان فإنه مات نائبها أبو داود ، فغلفه مكانه عبد الجبار الأزدي . وفيها توفي داود بن أبي هند ، وأبو حازم سلة بن دينار ، وسهيل بن أبي صالح ، وهارثة بن غزية بن قيس السكوني .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

فيها خرجت طائفة يقال لها الراوندية على المنصور . ذكر ابن جرير عن المدائني أن أصلهم من خراسان ، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني ، كانوا يقولون بالتناسخ ، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور . وأن الهيثم بن معاوية جبريل ، قبحهم الله .

قال ابن جرير : فأتوا يوماً قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون : هذا قصر ربنا ، فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين ، ففضبوا من ذلك وقالوا : علام تحبسهم ؟ ثم عمدوا إلى نعلهم فغلموه على كواهلهم وليس عليه أحد ، واجتمعوا حوله كأنهم يشيرون جنازة ، واجتازوا بباب السجن ، فألقوا النعل ودخلوا السجن قهراً واستخرجوا من فيه من أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور

وم في سبائة ، فتنادى الناس وغلقت أبواب البلد ، وخرج المنصور من القصر ماشياً ، لأنه لم يجد دابة يركبها ، ثم جرى بدابة فركبها وقصد نحو الراوندية وجاء الناس من كل ناحية ، وجاء معن بن زائدة ، فلما رأى المنصور ترجل وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين ارجع ونحن نكفيكم . فأبى وقام أهل الأسواق إليهم فقاتلهم ، وجاءت الجيوش فالتفوا عليهم من كل ناحية فحصدوم عن آخرهم ، ولم يبق منهم بقية . وجرحوا عثمان بن نهيك بسهم بين كتفيه ، ففرض أياماً ثم مات ، فصلى عليه الخليفة ، وقام على قبره حتى دفن ودعاه ، وولى أخاه عيسى بن نهيك على الحرس ، وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية من الكوفة .

ولما فرغ المنصور من قتال الراوندية ذلك اليوم صلى بالناس الظهر في آخر وقتها ، ثم أتى بالطعام فقال أين معن بن زائدة ؟ وأمسك عن الطعام حتى جاء معن فأجلسه إلى جنبه ، ثم أخذ في شكره لمن يحضرته لما رأى من شهامته يومئذ . فقال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد جئت وإني لو جل ، فلما رأيت استناتك بهم وإقداك عليهم قوى قلبي واطمأن ، وما ظننت أن أحداً يكون في الحرب هكذا ، فذال الله الذي شجعني يا أمير المؤمنين . فأمر له المنصور بمشرة آلاف ورضى عنه وولاه اليمن . وكان معن بن زائدة قبل ذلك مخنفياً ، لأنه قاتل المسودة مع ابن هبيرة ، فلم يظهر إلا في هذا اليوم . فلما رأى الخليفة صدقه في قتاله رضى عنه . ويقال : إن المنصور قال عن نفسه : أخطأت في ثلاث : قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة ، وحين خرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق لذهبت الخلافة ، ويوم الراوندية لو أصابني سهم غرب لذهبت ضياعاً . وهذا من حزمه وصرامته .

وفي هذه السنة ولى المنصور ابنه محمداً العهد من بعده ودعاه بالمهدي وولاه بلاد خراسان وعزل عنها عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وذلك أنه قتل خلقاً من شيعة الخليفة ، فشكاه المنصور إلى أبي أوب كاتب الرسائل فقال : يا أمير المؤمنين أكتب إليه ليبعث جيشاً كثيفاً من خراسان إلى غزو الروم ، فإذا خرجوا بعثت إليه من شئت فأخرجوه من بلاد خراسان ذليلاً . فكتب إليه المنصور بذلك ، فرد الجواب بأن بلاد خراسان قد عانت بها الأتراك ، ومتى خرج منها جيش خيف عليها وفسد أمرها . فقال المنصور لأبي أوب : ماذا ترى ؟ قال : فكتب إليه : إن بلاد خراسان أحق بالمدد لشغور المسلمين من غيرها ، وقد جهزت إليك بالجنود . فكتب إليه أيضاً : إن بلاد خراسان ضيقة في هذا العام أقواتها ، ومتى دخلها جيش أفسدها . فقال الخليفة لأبي أوب : ماتقول ؟ فقال : يا أمير المؤمنين هذا رجل قد أبدى صفحته وخلع فلا تناظره . فبعث المنصور ابنه محمداً المهدي ليقيم بالري ، فبعث المهدي بين يديه خازم بن خزيمه مقسمة إلى عبد الجبار ، فما زال به يبعده ومن معه حتى هرب من معه وأخفوه هو فأركبوه بمرآ محمولا وجهه إلى ناحية ذنب البعير . وسيره ككفت

في البلاد حتى أقدموه على المنصور ومعه ابنه وجماعة من أهله ، فضرب المنصور عنقه وسير ابنه ومن معه إلى جزيرة في طرف اليمن ، فأمرتهم الهند بمسد ذلك ، ثم فودى بعضهم بمسد ذلك . واستقر المهدي نائبا على خراسان ، وأمره أبوه أن يغزو طبرستان ، وأن يحارب الأصبهينيين معه من الجنود وأمدته بجيش عليهم عمر بن العلاء ، وكان من أعلم الناس بحرب طبرستان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

فَقُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِئْتَهُ * فَصَبِحًا وَلَا خَيْرَ فِي الْمَتِّهِمْ

إِذَا أَيْقَظَكَ حُرُوبَ الْعَدَى * فَتَبَّهَ لَهَا عُمَرَاءَ نَمَ نَمَ

فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ * وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا يَنَامَ

فلما توافقت الجيوش على طبرستان فتحوها وحاصروا الأصبهينيين حتى ألجؤوه إلى قلعتهم فصالحهم على ما فيها من الذخائر ، وكتب المهدي إلى أبيه بذلك ، ودخل الأصبهينيين بلاد الديلم فمات هناك . وكسروا أيضا ملك الترك الذي يقال له المصمغان ، وأسرهم وأما من الدراري ، فهذا فتح طبرستان الأول . وفيها فرغ بناء المصيصة على يدى جبريل بن يحيى الخراساني ، وفيها رابط محمد بن إبراهيم الإمام ببلاد ملطية . وفيها عزل المنصور زياد بن عبيد الله عن إمرة الحجاز وولى المدينة محمد بن خالد القسري وقبها في رجب . وولى مكة والطائف الهيثم بن معاوية المكي . وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرطة المنصور . وعلى مصر من كان عليها في السنة الماضية ، ثم ولى مصر محمد بن الأشعث ثم عزله عنها وولى عليها نوفل بن الفرات . وحج بالناس فيها صالح بن علي وهو نائب قنشرين وحص ودمشق ، وبقية البلاد عليها من ذكرنا في التي قبلها والله أعلم .

وفيها توفي أبان بن تغلب ، وموسى بن عقبة ، صاحب المغازي ، وأبو إسحاق الشيباني في قول والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ورومانه

فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب نائب السند الخليفة ، فجهز إليه العساكر محبة عمر بن حفص ابن أبي صفرة ، وولاه السند والهند ، فخاربه عمر بن حفص وقهره على الأرض وتسلمها منه . وفيها نكث أصبهينيين طبرستان العهد الذي كان بينه وبين المسلمين ، وقتل طائفة ممن كان بطبرستان ، فجهز إليه الخليفة الجيوش محبة خازم بن خزيمه ، وروح بن حاتم ، ومعهم مرزوق أبو الخصب ، مولى المنصور ، فحاصروه مدة طويلة ، فلما أعيام فتح الحصن الذي هو فيه احتالوا عليه ، وذلك أن أبا الخصب قال : اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ، ففعلوا ذلك ، فذهب إليه كأنه مناضب للمسلمين قد ضربوه وحلقوا لحيته ، فدخل الحصن ففرح به الأصبهينيين وأكرمه وقربه ، وجعل أبو الخصب يظهر له النصيح والخدمة حتى خدعه ، وحفل عنده جدا وجعله من جملة من يتولى فتح الحصن وغلقه ، فلما تمكن من ذلك كاتب المسلمين وأعلمهم أنه في الليلة الغلانية يفتح لهم ، فاقتربوا من الباب حتى

أفتحه لكم ، فلما كانت تلك الليلة فتح لهم باب الحصن فدخلوا فقتلوا من فيه من المقاتلة وسبوا الذرية وامنص الأصمهد خاتماً مسموماً فبات . وكان فيمن أسروا يومئذ أم منصور بن المهدي ، وأم إبراهيم ابن المهدي ، وكاتنا من بنات الملوك الحسان .

وفيهما بنى المنصور لأهل البصرة قبلتهم التي يصلون عندها بالجبان ، وتولى بناءها سلمة بن سعيد ابن جابر نائب الفرات والأبلة . وصام المنصور شهر رمضان بالبصرة وصلى بالناس العيد في ذاب المصلى . وفيها عزل المنصور نوفل بن الفرات عن إمرة مصر وولى عليها حميد بن قحطبة . وحج بالناس فيها إسماعيل بن علي . وفيها توفي سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم الخليفة ونائب البصرة . كان ذلك يوم السبت لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصلى عليه أخوه عبد الصمد . روى عن أبيه وعكرمة وأبي بردة بن أبي موسى . وعنه جماعة منهم بشو جعفر ، ومحمد ، وزيلب والأصمعي . وكان قد شاب وهو ابن عشرين سنة وخضب لحيته من الشيب في ذلك السن ، وكان كريماً جواداً ممدحاً . كان يمتق عشية عرفة في كل سنة مائة نسمة ، وبلغت صلاته ابني هاشم وسائر قریش والألنصار خمسة آلاف ألف واطلع يوماً من قصره فرأى نسوة ينزلن في دار من دور البصرة ، فاتفق في نظره هذا البهن أن قالت واحدة منهن : لو أن الأمير نظر إلينا واطلع على حالنا فأغتنا عن الفزل ؟ فنهض من فوره فجعل يدور في قصره ويجمع من حلى نسائه من الذهب والجوهر وغيرها ما ملأ به منديلاً كبيراً ، ثم دلأه إليهن ونثر عليهن من الدنانير والدرهم شيئاً كثيراً ، فانت إحداهن من شدة الفرح ، فأعطى ديتها وما تركته من ذلك لورثتها . وقد ولى الحج في أيام السفاح ، وولى البصرة أيام المنصور ، وكان من خيار بني العباس ، وهو أخو إسماعيل وداود وصالح وعبد الصمد وعبد الله وعيسى ومحمد ، وهو عم السفاح والمنصور .

ومن توفي فيها من الأعيان خالد الحذاء ، وعاصم الأحول ، وعمرو بن عبيد القدرى في قول . وهو عمرو بن عبيد بن ثوبان ، ويقال ابن كيسان ، التميمي مولاهم أبو عثمان البصري ، من أبناء فارس ، شيخ القدرية والمعتزلة . روى الحديث عن الحسن البصري وعبيد الله بن أنس ، وأبي المالية وأبي قلابة ، وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة والأعمش . وكان من أقرانه . وعبد الوارث ابن سعيد ، وهارون بن موسى ، ويحيى القطان ، ويزيد بن زريع . قال الامام أحمد بن حنبل : ليس بأهل أن يحدث عنه . وقال علي بن المديني ويحيى بن معين : ليس بشيء ، وزاد ابن معين وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع . وقال الفلاس : متروك صاحب بدعة . كان يحيى القطان يحدثن عنه ثم تركه وكان ابن مهدي لا يحدث عنه . وقال أبو حاتم : متروك . وقال اللسائي ليس بثقة . وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكتب في الحديث .

وقال حماد بن سلمة : قال لي حميد : لاتأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصري . وكذا قال أبو بوب وعوف وابن عون . وقال أبو بوب : ما كنت أعده عقلا ، وقال مطر الوراق : والله لا أصدقه في شيء . وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر . وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل ، وأثنى عليه آخرون في عبادته ورهده وتقشفه . قال الحسن البصري : هذا سيد شباب القراء ما لم يحدث . قالوا : فأحدث والله أشد الحديث . وقال ابن حبان : كان من أهل الورع والمعبادة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه ففسموا المعتزلة ، وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث ، وهما لاتتمدأ . وقد روى عنه أنه قال : إن كانت تبث بدا أبي لهاب في اللوح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة . وروى له حديث ابن مسعود : حدثنا الصادق المصدوق « ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما » حتى قال : « فيؤمر بأربع كلمات . رزقه وأجله ، وعمله ، وشقى أم سعيد » إلى آخره . فقال : لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ، ولو سمعته من زيين وهب لما أحببته ، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته ، ولو سمعته من رسول الله رسا لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت ما على هذا أخذت علينا الميثاق . وهذا من أنبج الكفر ، لعنه الله إن كان قال هذا . وإذا كان مكذوبا عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه وقد قال عبد الله ابن المبارك رحمه الله :

أيها الطالبُ علماً * إيتِ حماد بن زيد * نخذ العلم بحمل * ثم قيده بقيد
وذو البدة من * آثار عمرو بن عبيد

وقال ابن عسدي : كان عمرو يفر الناس بتقشفه ، وهو مذموم ضعيف الحديث جدا ، معلل بالبدع . وقال الدارقطني : ضعيف الحديث . وقال الخطيب البغدادي : جالس الحسن واشتهر بصحبته ثم أزاله [واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه ، واعتزل أصحاب الحديث ، وكان له سمت وإظهار زهد . وقد قيل : إنه ^(١) واصل بن عطاء ولدا سنة ثمانين ، وحكي البخاري أن عمرأ مات سنة ثنتين أو ثلاث وأربعين ومائة بطريق مكة ، وقد كان عمرو محظيا عند أبي جعفر المنصور ، كان المنصور يحبه ويعظمه لأنه كان يفد على المنصور مع القراء فيعطاهم المنصور فيأخذون ، ولا يأخذ عمرو منه شيئا ، وكان يسأله أن يقبل كما يقبل أصحابه فلا يقبل منه ، فكان ذلك مما يفر المنصور وبروح به عليه حاله ، لأن المنصور كان بخيلا وكان يعجبه ذلك ، ويخشى :

كلكم يمشي رويد * كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

ولو تبصر المنصور لعلم أن كل واحد من أولئك القراء خير من ملء الأرض مثل عمرو بن عبيد ،

(١) زيادة المصرية .

والزهد لا يدل على صلاح ، فان بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين في زمانه . وقد روينا عن إسماعيل بن خالد القعني قال : رأيت الحسن بن جعفر في المنام بعد ما مات بهبادة فقال لي : أيوب ويونس وابن عون في الجنة . قلت : فعمر بن عبيد ؟ قال : في النار . ثم رآه مرة ثانية وروى ثالثة ، فيسأله فيقول له مثل ذلك . وقد رؤيت له منامات قبيحة ، وقد أطل شيخنا في تهذيبه في ترجمته ونلصقنا حاصلها في كتابنا التكميل ، وأشرنا ههنا إلى نبت من حاله ليعرف فلا يغتر به والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

فيها ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم ، لأنهم قتلوا من المسلمين خلقا ، وأمر أهل الكوفة والبصرة من كان منهم يقدر على عشرة آلاف فصاعداً فليذهب مع الجيش إلى الديلم ، فانتدب خلق كثير وجم غفير لذلك . وحجج بالناس فيها عيسى بن موسى نائب الكوفة وأعمالها . وفيها توفي حجاج الصواف ، وحيد بن رؤبة الطويل ، وسليمان بن طرخان التيمي ، وقد ذكرناه في التي قبلها ، وعمرو بن عبيد في قول ، وليث بن أبي سليم على الصحيح . ويحيى بن سعيد الأنصاري .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

فيها سار محمد بن أبي العباس السفاح عن أمر عمه المنصور إلى بلاد الديلم ومعه الجيوش من الكوفة والبصرة وأسطر والموصل والجزيرة . وفيها قدم محمد بن جعفر المنصور المهدي على أبيه من بلاد خراسان ودخل بابنة عمه رايدة بلت السفاح بالجزيرة . وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور واستخلف على الجزيرة والمسكر خازم بن خزيمه ، وولى رباح بن عثمان المزي المدينة وعزل عنها محمد بن خالد القسري ، وتلقى الناس أبا جعفر المنصور إلى أثناء طريق مكة في حجة في سنة أربع وأربعين ومائة . وكان في جملة من تلقاه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، فأجلسه المنصور معه على السباط ، ثم جعل يحادثه بأقبال زائد بحيث إن المنصور اشتغل بذلك عن عامة غدايته ، وسأله عن ابنه إبراهيم ومحمد لم لا جآئى مع الناس ؟ فحلف عبد الله بن حسن أنه لا يدرى أين صار من أرض الله . وصدق في ذلك ، وما ذلك إلا أن محمد بن عبد الله بن حسن كان قد بايعه جماعة من أهل الحجاز في أواخر دولة مروان الحمار بالخلافة وخلع مروان ، وكان في جملة من بايعه على ذلك أبو جعفر المنصور ، وذلك قبل تحويل الدولة إلى بني العباس ، فلما صارت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور خاف محمد بن عبد الله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً .

وذلك لأن المنصور توهم منهما أنهما لا بد أن يخرجاه عليه كما أرادا أن يخرجاه على مروان ، والذي توهم منه المنصور وقع فيه ، فذهب هرباً إلى البلاد الشاسعة فصار إلى اليمن ، ثم سار إلى الهند فاختلفا

بها ، فدل على مكانهما الحسن بن زيد فمربا إلى موضع آخر ، فاستبدل عليه الحسن بن زيد ودل عليهما ، ثم كذلك . وانتصب إليهما عند المنصور . والعجب منه أنه من أتباعهما . واجتهد المنصور بكل طريق على تحصيلهما فلم يوفق له ذلك ، وإلى الآن . فلما سأل أباهما عنهما حلف أنه لا يدرى أين صارا من أرض الله ، ثم ألح المنصور على عبد الله في طلب ولديه فغضب عبد الله من ذلك وقال : والله لو كنا تحت قدمي مادلتك عليهما . فغضب المنصور وأمر بسجنه وأمر ببيع رقيقه وأمواله ، فلبث في السجن ثلاث سنين ، وأشاروا على المنصور بحبس بني حسن عن آخرهم فحبسهم ، وجد في طلب إبراهيم ومحمد جدا ، هذا وهما يحضران الحج في غالب السنين ويكنان في المدينة في غالب الأوقات ، ولا يشعر بهما من يتم عليهما والله الحمد . والمنصور يعزل نائبا عن المدينة ويولى عليهما غيره . ويحرضه على إمساكهما والفحص عنهما ، وبذل الأموال في طلبهما ، وتعمجه المقادير عنهما لما يريد الله عز وجل .

وقد واطأهما على أمرهما أمير من أمراء المنصور يقال له أبو العساكر خالد بن حسان ، فمزموا في بعض الحجات على الفتك بالمنصور بين الصفا والمروة ، فنهام عبد الله بن حسن لشرف البقعة . وقد اطاع المنصور على ذلك وعلم بما مالا ذلك الأمير ، فعذبه حتى أقر بما كانوا تمالؤا عليه من الفتك به . فقال : وما الذي صرفكم عن ذلك ؟ فقال : عبد الله بن حسن نهانا عن ذلك ، فأصر به الخليفة فغيب في الأرض فلم يظهر حتى الآن . وقد استشار المنصور من يعلم من أمرائه ووزرائه من ذوى الرأي في أمر ابني عبد الله بن حسن ، وبعث الجواسيس والقصاد في البلاد فلم يقع لهما على خبر ، ولا ظهر لهما على عين ولا أثر ، والله غالب على أمره . وقد جاء محمد بن عبد الله بن حسن إلى أمه فقال يا أمه ! إني قد شفت على أبي وعمومي ، ولقد هممت أن أضع يدي في يد هؤلاء لأريح أهلي . فذهبت أمه إلى السجن فعرضت عليهما ما قال ابنها ، فقالوا : لا ولا كرامة ، بل نصبر على أمره فلعل الله أن يفتح على يديه خيراً ، ونحن نصبر وفرجنا بيد الله إن شاء فرج عنا ، وإن شاء ضيق . وتمالؤا كلهم على ذلك رحمهم الله .

وفيها نقل آل حسن من حبس المدينة إلى حبس بالعراق وفي أرجلهم القيود ، وفي أعناقهم الأغلال . وكان ابتداء تقييدهم من الرinde بأمر أبي جعفر المنصور ، وقد أشخص معهم محمد بن عبد الله العثماني ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه ، وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وقد حملت قريباً ، فاستحضره الخليفة وقال : قد حلفت بالعناق والطلاق إنك لم تشفى ، وهذه ابنتك حامل ، فإن كان من زوجها فقد حبست منه وأنت تعلم به ، وإن كان من غيره فأنت دبرث ، فأجابه العثماني بحجاب أحفظه به ، فأمر به فجردت عنه ثيابه فاذا جسمه مثل الغضة النقية ، ثم

ضربه بين يديه مائة وخمسين سوطاً ، منها ثلاثون فوق رأسه ، أصاب أحدها عينه فسالت ، ثم رده إلى السجن وقد بقي كأنه عبد أسود من زرقة الضرب ، وتراكم الدماء فوق جلده ، فأجلس إلى جانب أخيه لأمه عبد الله بن حسن ، فاستسقى ماءً فما جسر أحد أن يسقيه حتى سقاه خراساني من جملة الجلّالزة الموكلين بهم . ثم ركب المنصور هودجه وأركبوا أولئك في محامل ضيقة ، وعليهم القيود والأغلال ، فاجتاز بهم المنصور وهو في هودجه ، فناداه عبد الله بن حسن : والله يا أبا جعفر ما هكذا صنعنا بأسرائكم يوم بدر ، فأخسأ ذلك المنصور وثقل عليه ونفر عنهم . ولما انتهوا إلى العراق حبسوا بالهاشمية ، وكان فيهم محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وكان جليلاً فتياً ، فكان الناس يندهبون لينظروا إلى حسنه وجهه . وكان يقال له : الديباج الأصفر ، فأحضره المنصور بين يديه وقال له : أما لاقتلك قتلة ما قتلتها أحداً . ثم ألقاه بين أسطواناتين وسد عليه حتى مات . فعلى المنصور ما يستحقه من عذاب الله ولعنته . وقد هلك كثير منهم في السجن حتى فرج عنهم بعد هلاك المنصور على ما سئد كره . فكان فيمن هلك في السجن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، وقد قيل والأظهر أنه قتل صبراً ، وأخوه إبراهيم بن الحسن وغيرهما ، وقل من خرج منهم من الحبس ، وقد جعلهم المنصور في سجن لا يسمعون فيه أذاناً ، ولا يعرفون فيه وقت صلاة إلا بالانلاوة ، ثم بعث أهل خراسان يشعمون في محمد بن عبد الله العثماني ، فأمر به فضربت عنقه وأرسل برأسه إلى أهل خراسان ، لا جزاء الله خيراً ، ورحم الله محمد بن عبد الله العثماني .

وهو محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي رحمه الله ، أبو عبد الله المدني المعروف بالديباج ، لحسن وجهه . وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي ، روى الحديث عن أبيه وأمه وخارجة بن زيد وطاوس وأبي الزناد والزهرى ونافع وغيرهم ، وحدث عنه جماعة ، وثقه النسائي وابن حبان ، وكان أخا عبد الله بن حسن لأمه ، وكانت ابنته بركة زوجة ابن أخيه إبراهيم بن عبد الله ، وكانت من أحسن النساء ، وبسببها قتله أبو جعفر المنصور في هذه السنة . وكان كريماً جواداً ممدحاً . قال الزبير بن بكار : أنشدني سليمان بن عباس السعدي لأبي وجرة السعدي يمدحه .

وجدنا الحفص الأبيض من قریش * فتى بين الخليفة والرسول
أناك المجد من هنا وهناك * وكنت له بعتلج السيول
فما للمجد دونك من مبيت * وما للمجد دونك من مقتل
ولا يمضى وراءك يبتغيه * ولا هو قابل بك من بديل
ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

فما كان فيها من الأحداث مخرج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة وأخيه إبراهيم بالبصرة ،

على ما سئدنيته إن شاء الله . أما محمد فانه خرج على أثر ذهاب أبي جعفر المنصور باهله بنى حسن من المدينة إلى العراق على الصفة والذمت الذى تقدم ذكره ، وسجنهم في مكان ساء مستقراً ومقاماً ، لا يسمعون فيه أذاناً ولا يعرفون فيه دخول أوقات صلوات إلا بالأذان والنداء . وقد مات أكثر أكابرهم هنالك رحمهم الله . هذا كله ومحمد الذى يطلبه مختلف بالمدينة ، حتى أنه في بعض الأحيان اختفى في بئر نزل في مائه كله إلا رأسه ، وباقيه مغمور بالماء ، وقد تواعد هو وأخوه وقتناً معيناً يظهران فيه ، هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ، ولم يزل الناس - أهل المدينة وغيرهم - يؤنبون محمد بن عبد الله في اختفائه وعدم ظهوره حتى عزم على الخروج ، وذلك لما أضرب به شدة الاختفاء وكثرة إلحاح رياح نائب المدينة في طلبه ليلاً ونهاراً ، فلما اشتد به الأمر وضاق الحال واعد أصحابه على الظهور في الليلة الغلالية ، فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الوشاة إلى متولى المدينة فأعلمه بذلك ، فضاق ذرعاً وانزعج لذلك انزعاجاً شديداً ، وركب في جحافل فطاف بالمدينة وحول دار مروان ، وهم مجتمعون بها ، فلم يشمر بهم . فلما رجع إلى منزله بعث إلى بنى حسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤس من سادات قریش وغيرهم ، فوعظهم وأنهم وقال : يا معشر أهل المدينة ، أمير المؤمنين يتطلب هذا الرجل في المشارق والمغارب وهو بين أظهركم ، ثم ما كفناكم حتى يابستموه على السمع والطاعة ؟ والله لا يبلغنى عن أحد منكم خرج معه إلا ضربت عنقه . فأنكر الذين هم هنالك حاضرون أن يكون عندهم علم أو شعور بشيء من هذا ، وقالوا : نحن نأتيك برجال مسلحين يقاتلون دونك إن وقع شيء من ذلك . فنهضوا لجاؤهم بمجموعة مسلحين فاستأذنوه في دخولهم عليه ، فقال : لا إذن لهم ، إنى أخشى أن يكون ذلك خديعة . فلبس أولئك على الباب ومكث الناس جلوساً حول الأمير وهو واجم لا يتكلم إلا قليلاً حتى ذهبت طائفة من الليل ، ثم ما فجئ الناس إلا وأصحاب محمد بن عبد الله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير ، فانزعج الناس في جوف الليل ، وأشار بعض الناس على الأمير أن يضرب أعناق بنى حسين ، فقال أحدهم : سلام ونحن مقرون بالطاعة ؟ واشتغل الأمير عنهم بما فجأه من الأمر ، فاغتنموا الغفلة ونهضوا سراعاً فتسوروا جدار الدار وألقوا أنفسهم على كناسة هنالك .

وأقبل محمد بن عبد الله بن حسن في مائتين وخمسين ، فر بالسجن فأخرج من فيه ، وجاء دار الامارة فاحصرها فافتتحها ومسك الأمير رياح بن عثمان نائب المدينة فسجنه في دار مروان ، وسجن معه ابن مسلم بن عقبة ، وهو الذى أشار بقتل بنى حسين في أول هذه الليلة فنجوا وأحيط به . وأصبح محمد بن عبد الله بن حسن وقد استظهر على المدينة ودان له أهلها ، فصلى بالناس الصبح وقرأ فيها سورة إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ، وأسفرت هذه الليلة عن مستهل رجب من هذه السنة . وقد خطب محمد بن عبد الله أهل المدينة في هذا اليوم ، فتكلم في بنى العباس وذكر عنهم أشياء ذمهم

بها ، وأخبرهم أنه لم ينزل بلدآ من البلدان إلا وقد بايعوه على السمع والطاعة ، فبايعه أهل المدينة كلهم إلا القليل .

وقد روى ابن جرير عن الامام مالك أنه أفتى الناس بمبايعته ، فقبل له فان في أعناقنا بيعة المنصور ، فقال : إنما كنتم مكرهين وليس لمكره بيعة . فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك ، ولزم مالك بيته . وقد قال له إسماعيل بن عبد الله بن جعفر حين دعاه إلى بيعته : يا ابن أخي إنك مقتول . فارتدع بعض الناس عنه واستمر جمهورهم معه ، فاستناب عليهم عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله الخزوي ، وعلى شرطتها عثمان بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن مسور بن محزومة ، وتلقب بالمهدي طمعاً أن يكون هو المذكور في الأحاديث فلم يكن به ، ولا نتم له ما رجاه ولا ما تمناه ، فانا لله . وقد ارتحل بعض أهل المدينة عنها ليلة دخلها ، فطوى المراحل البعيدة إلى المنصور في سبع ليال ، فورد عليه فوجده قائماً في الليل ، فقال للربيع الحاجب : استأذن على الخليفة ، فقال : إنه لا يوقظ في هذه الساعة . فقال : إنه لا بد من ذلك فأخبر الخليفة فخرج فقال : ويحك ! ما وراك ؟ فقال : إنه خرج ابن حسن بالمدينة . فلم يظهر المنصور لذلك أكثرنا وانزعاجاً ، بل قال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ! فقال : هلك والله وأهلك معه من اتبعه . ثم أمر بالرجل فسجن ، ثم جاءت الأخبار بذلك فتواترت . فأطلقه المنصور وأطلق له عن كل ليلة ألف درهم فأعطاه سبعة آلاف درهم .

ولما تحقق المنصور الأمر من خروجه ضاق ذرعاً ، فقال له بعض المنجمين : يا أمير المؤمنين لا عليك منه ، فوالله لو ملك الأرض بحدافيرها فانه لا يقيم أكثر من سبعين يوماً . ثم أمر المنصور جميع رؤس الأمراء أن يذهبوا إلى السجن فيجتمعوأ بعبد الله بن حسن - والد محمد - فيخبروه بما وقع من خروج ولده ويسموا ما يقول لهم . فلما دخلوا عليه أخبروه بذلك فقال : ما ترون ابن سلامة فاعلا ؟ - يعني المنصور - فقالوا : لا ندري . فقال : والله لقد قتل صاحبكم البخل يلبنى له أن ينفق الأموال ويستخدم الرجال ، فان ظهر فاسترجاع ما أنفق سهل ، وإلا لم يكن لصاحبكم شيء في الخزائن وكان ماخزون لغيره . فرجعوا إلى الخليفة فأخبروه بذلك ، وأشار الناس على الخليفة بمناجزته ، فاستدعى عيسى بن موسى فندبه إلى ذلك ، ثم قال : إني سأكتب إليه كتاباً أنذره به قبل قتاله فكتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم ا من عبد الله بن عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً] الآية إلى قوله [فاعلموا أن الله غفور رحيم] ثم قال : فلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ، إن أنت رجعت إلى الطاعة لأؤذنك

ومن اتبعك ، ولأعطيتك ألف ألف درهم ، ولأدعيتك تقيم في أحب البلاد إليك ، ولأقضيت لك جميع حوائجك ، في كلام طويل . فكتب إليه محمد جواب كتابه :

من عبد الله المهدى محمد بن عبد الله بن حسن : [بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستعبي نسائهم إنه كان من المفسدين ، وزيد أن ننم على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين] ثم قال : وإني أعرض عليك من الأمان مثل ما عرضت عليّ ، فأنا أحق بهذا الأمر منك ، وأنتم إنما وصلتم إليّ بنا ، فان علياً كان الوصي وكان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟ ونحن أشرف أهل الأرض نسباً ، فرسول الله خير الناس وهو جدنا ، وجدتنا خديجة وهي أفضل زوجاته ، وفاطمة ابنته أمنا وهي أكرم بناته ، وإن هاشمًا ولد علياً مرتين ، وإن حسناً ولده عبد المطلب مرتين ، وهو وأخوه سيدا شباب أهل الجنة ، وإن رسول الله (س) ، ولد أبي مرتين ، وإني أوسط بني هاشم نسباً ، [وأصرحهم أباً ، لم تعرق في المعجم . ولم تنازع في أمهات الأولاد] ^(١) فانا ابن أرفع الناس درجة في الجنة ، وأخفهم عذاباً في النار . فانا أولى بالأمرك منك ، وأولى بالمهد وأوفى به منك ، فانك تعطى المهد ثم تنسك ولا تفي ، كما فعلت بآبن هبيرة فانك أعطيت المهد ثم غدرت به ، ولا أشد عذاباً من إمام غادر ، وكذلك فعلت بعمك عبد الله بن علي ، وأبي مسلم الخراساني . ولو أعلم أنك تصدق لأجبتك لما دعوتني إليه ، ولكن الوفاء بالمهد من مثلك لمثل بعيد والسلام .

فكتب إليه أبو جعفر جواب ذلك في كتاب طويل حاصله : أما بعد فقد قرأت كتابك فاذا جل نفرك وإدلائك قرابة النساء لتفضل به الجفأة والنوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالصبيبة والأولياء ، وقد أنزل الله [وأنذر عشيرتلك الأقربين] وكان له حينئذ أربعة أعمام ، فاستجاب له اثنان أحدهما جدنا ، وكفر اثنان أحدهما أبوك - يعني جده أبا طالب - قطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينهما إلا ولاذمة ، وقد أنزل الله في عدم إسلام أبي طالب [إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء] وقد نفرت به وأنه أخف أهل النار عذاباً ، وليس في الشر خيار ، ولا يلبيح لمؤمن أن يغفر بأهل النار ، ونفرت بأن علياً ولده هاشم مرتين . وأن حسناً ولده عبد المطلب مرتين ، فهذا رسول الله (س) ، إنما ولده عبد الله مرة واحدة ، وقولك [إنك لم تترك أمهات أولاد ، فهذا إبراهيم ابن رسول الله (س) ، من مارية ، وهو خير منك ، وعلي بن الحسن من أم ولد وهو خير منك ، وكذلك ابنه محمد بن علي ، وابنه جعفر بن محمد ، جداتهما أمهات أولاد وهما خير منك ،

(١) زيادة من الطبري جئنا بها للنسابة .

وأما قولك بنو رسول الله (ص) فقد قال تعالى : [ما كان محمد أباً أحد من رجالكم] وقد جاءت السنة التي لا خلاف فيها بين المسلمين أن الجد أب الأم والخال والخالة لا يورثون ، ولم يكن لفاطمة ميراث من رسول الله (ص) ، بنص الحديث ، وقد مرض رسول الله (ص) وأبوك حاضر فلم يأمره بالصلاة بالناس ، بل أسر غيره . ولما توفي لم يمدل الناس بأبي بكر وعمر أحداً ، ثم قدموا عليه عثمان في الشورى والخلافة ، ثم لما قتل عثمان اتهمه بعضهم به ، وقاتله طلحة والزبير على ذلك ، وامتنع سعد من مبايعته ثم بعد ذلك معاوية ، ثم طلبها أبوك وقاتل عليها الرجال ، ثم اتفق على التحكيم فلم يف به ، ثم صارت إلى الحسن فباعها بخرق ودرهم ، وأقام بالحجاز يأخذ مالا من غير حله ، وسلم الأمر إلى غير أهله ، وترك شيئته في أيدي بني أمية ومعاوية . فان كانت لكم فقد تركتموها وبعتموها بشئها . ثم خرج حمك حسين على ابن مرجانة وكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأثوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بني أمية فقتلوك وصلبوك على جذوع النخل ، وحرقوك بالنار ، وحملوا نساءكم على الإبل كالسبائا إلى الشام ، حتى خرجنا عليهم نحن فأخذنا بشاركم ، وأدركننا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وذكرنا فضل سلفكم ، فجعلت ذلك حجة علينا ، وظننت أنا إنما ذكرنا فضله على أمثاله على حزة والعباس وجعفر ، وليس الأمر كما زعمت ، فان هؤلاء مضوا ولم يدخلوا في الفتن ، وسملوا من الدنيا فلم تنقصهم شيئاً ، فاستوفوا ثوابهم كاملاً ، وابتلى بذلك أبوك . وكانت بنو أمية تلمسه كما تلعن الكفرة في الصلوات المكتوبات ، فأحيينا ذكره وذكرنا فضله وعنفانهم بما نالوا منه ، وقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية بسقاية الحميج الأعمى ، وخدمة زمزم ، وحكم رسول الله (ص) لنا بها . ولما قعط الناس زمن عمر استسقى بأبينا العباس ، وتوسل به إلى ربه وأبوك حاضر ، وقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد رسول الله (ص) إلا العباس ، فالسقاية سقايته ، والوراثة وراثته ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف في الجاهلية والاسلام إلا والعباس وارثه ومورثه ، في كلام طويل فيه بحث ومناظرة وفصاحة . وقد استقصاه ابن جرير بطوله والله سبحانه أعلم .

فَضْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

مقتل محمد بن عبد الله بن حسن

بعث محمد بن عبد الله بن حسن في غبون ذلك رسولا إلى أهل الشام يدعوهم إلى بيعته وخلافته فأبوا قبول ذلك منه ، وقالوا : قد ضجرتنا من الحروب وللنا من القتال . وجعل يستميل رؤس أهل المدينة ، فتمهم من أجابه وتمهم من امتنع عليه ، وقال له بعضهم : كيف أبائك وقد ظهرت في بلد ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال ؟ ولزم بعضهم منزله فلم يخرج حتى قتل محمد . وبعث محمد هذا الحسين بن معاوية في سبهم رجالاً ونحواً من عشرة فوارس إلى مكة نائباً إن هو دخلها

فساروا إليها ، فلما بلغ أهلها قدومهم خرجوا إليهم في ألوف من المقاتلة ، فقال لهم الحسين بن معاوية :
علام تقاتلون وقد مات أبو جعفر ؟ فقال السري بن عبد الله زعيم أهل مكة : إن برده جاءتنا من
أربع ليال وقد أرسلت إليه كتاباً فأنا أنتظر جوابه إلى أربع ، فان كان ما تقولون حقاً سلمتكم البلد
وعلى ذمة رجالكم وخيلكم . فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة ، وحلف لا يبيت
الليلة إلا بمكة ، إلا أن يموت . وأرسل إلى السري أن ابرز من الحرم إلى الحل حتى لا تراق الدماء
في الحرم . فلم يخرج ، فقدموا إليهم فصاؤهم فحمل عليه الحسن وأصحابه حملة واحدة فهزمهم وقتلوا
منهم نحو سبعة ، ودخلوا مكة . فلما أصبحوا خطب الحسن بن معاوية الناس وأغرام بأبي جعفر ،
ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدي .

خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن

وظهر بالبصرة أيضاً إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، وجاء البريد إلى أخيه محمد فأنهى إليه
ليلاً فاستؤذن له عليه وهو بدار مروان فطرق بابها . فقال : اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل
والنهار إلا طارقاً يطارق بخبر يا رحمن . ثم خرج فأخبر أصحابه عن أخيه فاستبشروا جساً وفرحوا
كثيراً ، وكان يقول للناس بعد صلاة الصبح والمغرب : ادعوا لله لآخوانكم أهل البصرة ، وللعسرين
ابن معاوية بمكة ، واستنصروه على أعدائكم .

وأما ما كان من المنصور فإنه جهز الجيوش إلى محمد بن عبد الله بن حسن ، محبة عيسى بن
موسى عشرة آلاف فارس من الشجعان المنتخبين ، منهم محمد بن أبي العباس السفاح وجعفر بن
حنظلة البهراني ، وحيد بن قحطبة ، وكان المنصور قد استشاره فيه فقال : يا أمير المؤمنين ادع بمن
شئت ممن تثق به من مواليك فابعث بهم إلى وادي القرى بمنهونهم من ميرة الشام ، فيموت هو ومن
معه جوعاً ، فإنه ببلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كراع ولا سلاح . وقدم بين يديه كثير من الحصين
العبدى وقد قال المنصور لعيسى بن موسى حين ودعه : يا عيسى ! إني أبعثك إلى جنبي هذين ، فان
ظفرت بالرجل فشم سيفك وناد في الناس بالأمان وإن تغيب فضمنهم إياه حتى يأتوك به ، فانهم أعلم
بمذاهبه . وكتب معه كتاباً إلى رؤساء قريش والألصار من أهل المدينة يدفعها إليهم خفية يدعوم
إلى الرجوع إلى الطاعة . فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بعث الكتب مع رجل فأخذه
حرس محمد بن عبد الله بن حسن فوجدوا معه تلك الكتب فدفعوها إلى محمد فاستحضر جماعة
من أولئك فعاقبهم وضربهم ضرباً شديداً وقيدهم قيوداً ثقلاً ، وأودعهم السجن . ثم إن محمد استشار
أصحابه بالقيام بالمدينة حتى يأتي عيسى بن موسى فيحاصروهم بها ، أو أنه يخرج بمن معه فيقاتل أهل
العراق ؟ ففهم من أشار بهذا ، ومنهم من أشار بذلك ، ثم اتفق الرأي على المقام بالمدينة ، لأن رسول

الله (ص) ندم يوم أحد على الخروج منها ، ثم اتفقوا على حفر خندق حول المدينة كما فعل رسول الله (ص) يوم الأحزاب ، فأجاب إلى ذلك كله ، وحفر مع الناس في الخندق بيده اقتداء برسول الله (ص) ، وقد ظهر لهم لبنة من الخندق الذي حفره رسول الله (ص) ، وفرحوا بذلك وكبروا وبشروه بالنصر . وكان عهد حاضرًا عليه قباء أبيض وفي وسطه منطقة ، وكان شكلًا ضخماً أسمر عظيم الهامة . ولما نزل عيسى بن موسى الأعوص واقترب من المدينة ، صعد محمد بن عبد الله المنبر فخطب الناس وحثهم على الجهاد - وكانوا قريباً من مائة ألف - فقال لهم في جملة ما قال : إني جمعتكم في حل من يبيع ، فمن أحب منكم أن يقيم عليها فعل . ومن أحب أن يتركها فعل . فقتل كثير منهم أو أكثرهم عنه ، ولم يبق إلا شذمة قليلة . وخرج أكثر أهل المدينة بأهلهم منها لثلاث يشهدوا القتال بها ، فنزلوا الأعراض ورؤس الجبال . وقد بعث محمد أبا الليث ليردهم عن الخروج فلم يمكنه ذلك في أكثرهم ، واستمروا ذاهبين . وقال محمد لرجل أتأخذ سيفاً ورمحاً وترد هؤلاء الذين خرجوا من المدينة ؟ فقال : نعم إن أعطيتني رمحاً أطعنهم وهم بالأعراض ، وسيفاً أضربهم وهم في رؤس الجبال فعلت . فسكت محمد ثم قال لي : ويحك ؟ إن أهل الشام والعراق وخراسان قد بيضوا - يعني لبسوا البياض - موافقة لي وخلصوا السواد . فقال : وما ذا ينفعني أن لو بقيت الدنيا زبدية بيضاء - وأنا في مثل صوفة الدواة ، وهذا عيسى بن موسى نازل بالأعوص . ثم جاء عيسى بن موسى فنزل قريباً من المدينة ، على ميل منها ، فقال له دليله ابن الأصم : إني أخشى إذا كشفته وهم أن يرجعوا إلى معسكرهم سريعاً قبل أن تدرهم الخيل . ثم ارتحل به فأنزله الجرف على سقاية سليمان بن عبد الملك على أربعة أميال من المدينة ، وذلك يوم السبت لصباح اثنى عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة . وقال : إن الراجل إذا هرب لا يقدر على الهرولة أكثر من ميلين أو ثلاثة فتدركه الخيل .

وأرسل عيسى بن موسى خمسمائة فارس فنزلوا عند الشجرة في طريق مكة ، وقال لهم هذا الرجل إن هرب فليس له ملجأ إلا مكة ، فحولوا بينه وبينها . ثم أرسل عيسى إلى محمد يدعو إلى السمع والطاعة لأمر المؤمنين المنصور ، وأنه قد أعطاه الأمان له ولا هل بينه إن هو أجابه . فقال محمد للرسول : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك . ثم بعث إلى عيسى بن موسى يقول له : إني أدعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فاحذر أن تمنع فأقتلك فتكون شرقتيل ، أو تتلنى فتكون قتلت من دعاك إلى الله ورسوله . ثم جعلت الرسل تتردد بينهما ثلاثة أيام . هذا يدعو هذا ، وهذا يدعو هذا . وجعل عيسى بن موسى يتف في كل يوم من هذه الأيام الثلاثة على الثنية عند سلع فينادي : يا أهل المدينة إن دماءكم علينا حرام فمن جاءنا فوقف تحت رايقتنا فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، فليس لنا في قتالكم أرب ، وإنما نريد محمدًا

وحده لذهب به إلى الخليفة . فجعلوا يسبونونه وينالون من أمه ، ويكلمونه بكلام شنيع ، ويخاطبونه بخاطبة فظيمة . وقالوا له : هذا ابن رسول الله . معنا ونحن معه ، نقاتل دونه .

فلما كان اليوم الثالث أنام في خيل ورجال وسلاح ورماح لم ير مثلها ، فناداه يا محمد ابن أمير المؤمنين أمرني أن لا أقاتلك حتى أدعوك إلى الطاعة ، فإن فعلت أمرك وقضى دينك وأعطاك أموالاً وأراضى ، وإن أبيت فأتيتك فقد دعوتك غير مرة . فناداه محمد : إنه ليس لكم عندي إلا القتال . ففشبت الحرب حينئذ بينهم ، وكان جيش عيسى بن موسى فوق أربعة آلاف ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة ، وعلى يمينته محمد بن السفاح ، وعلى يسارته داود بن كزار ، وعلى الساقة الهيثم بن شعبة ، ومعهم عدد لم ير مثلها . وفرق عيسى أصحابه في كل قطار طائفة . وكان عدا وأصحابه على عدة أصحاب أهل بدر ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً جداً ، وترجل محمد إلى الأرض فيقال إنه قتل بيده من جيش عيسى بن موسى سبعين رجلاً من أبطالهم ، وأحاط بهم أهل العراق فقتلوا طائفة من أصحاب محمد بن عبد الله بن حسن ، فاقتمحوهم عليهم انخدق الذي كانوا حذروه وهملوا أبواباً على قدره ، وقيل إنهم ردموه بمحاريج الجبال حتى أمكنهم أن يجوزوه ، وقد يكونون فعلوا هذا موضع منه ، وهذا في موضع آخر والله أعلم .

ولم تزل الحرب ناشبة بينهم حتى صليت العصر . فلما صلى محمد العصر نزلوا إلى مسيل الوادي بسلم فكسر جفن سيفه وعقر فرسه وفعل أصحابه مثله وصبروا أنفسهم للقتال وحميت الحرب حينئذ جداً ، فاستظهر أهل العراق ورفعوا راية سوداء فوق سلع ، ثم دنوا إلى المدينة فسفلوها ولصبوا راية سوداء فوق مسجد رسول الله .

فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا : أخذت المدينة ، وهربوا وبقي محمد في شذمة قليلة جداً . ثم بقي وحده وليس معه أحد ، وفي يده سيف صلت يضرب به من تقدم إليه ، فكان لا يقوم له شيء إلا أنابه ، حتى قتل خلقاً من أهل العراق من الشجمان ، ويقال إنه كان في يده يومئذ ذو الفقار ثم تكاثر عليه الناس فتقدم إليه رجل فضر به بسيفه فحمت شحمة أذنه اليمنى فسقط ركبته وجعل يحمي نفسه ويقول : ويحكم ابن نبيكم مجروح مظلوم . وجعل حميد بن قحطبة يقول : ويحكم دعوه لا تقتلوه ، فأحجم عنه الناس وتقدم إليه حميد بن قحطبة فحز رأسه وذهب به إلى عيسى بن موسى فوضعه بين يديه . وكان حميد قد حلف أن يقتله متى رآه ، فما أدركه إلا كذلك . ولو كان على حاله وقوته لما استطاعه حميد ولا غيره من الجيش .

وكان مقتل محمد بن عبد الله بن حسن هند أحجار الزيت يوم الاثنين بصد مصر ، لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وقال عيسى بن موسى لأصحابه حين وضع

رأسه بين يديه : ما تقولون فيه ؟ فنال منه أقوام وتكلموا فيه ، فقال رجل : كذبتم والله ! لقد كان صواماً قواماً ، ولـسـكنه خائف أمير المؤمنين وشق عصي المسلمين فقتلناه على ذلك . فسكتوا حينئذ وأما سيفه ذو الفقار فانه صار إلى بنى العباس يتوارثونه حتى جر به بعضهم فضرب به كلباً فانقطع . ذكره ابن جرير وغيره . وقد بلغ المنصور في غيـبـون هذا الأمر أن محمداً فر من الحرب فقال : هذا لا يكون ، فانا أهل بيت لا نفر .

وقال ابن جرير : حدثني عبد الله بن راشد حدثني أبو الحجاج قال : إني لقائم على رأس المنصور وهو يسألني عن مخرج محمد ، إذ بلغه أن عيسى بن موسى قد انهزم وكان مشككاً فجلس فضرب بقضيب معه مصلاه وقال : كلا وأين لعب صبيانا بها على المنابر ومشورة النساء ؟ ما أرى لذلك بعد . وبعث عيسى بن موسى بالشارة إلى المنصور مع القاسم بن الحسن وبالرأس مع ابن أبي الكرام ، وأمر بدفن الجثة فدفن بالبقيع ، وأمر بأصحابه الذين قتلوا معه فصلبوا صفيـن ظاهر المدينة ثلاثة أيام ثم طرحوا على مقبرة اليهود عند سلع . ثم نقلوا إلى خندق هناك . وأخذ أموال بني حسن كلها فسوغها له المنصور ، ويقال إنه ردها بعد ذلك إليهم ، حكاه ابن جرير . ونودي في أهل المدينة بالأمان فأصبح الناس في أسواقهم ، وترفع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجرف من مطر أصاب الناس يوم قتل محمد ، وجعل ينتاب المسجد من الجرف ، وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسع عشر من رمضان ، ثم خرج منها قاصداً مكة وكان بها الحسن بن معاوية من جهة محمد ، وكان محمد قد كتب إليه يقدم عليه ، فلما خرج من مكة وكان ببعض الطريق تلقته الأخبار بقتل محمد ، فاستمر فاراً إلى البصرة إلى أخى محمد إبراهيم بن عبد الله ، الذي كان قد خرج بها ثم قتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سنده . ولما جرى المنصور برأس محمد بن عبد الله بن حسن فوضع بين يديه أمر به فطيف به في طبق أبيض ثم طيف به في الأقاليم بعد ذلك ، ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من أشرف أهل المدينة ، فنهـم من قتله ومنهم من ضربه ضرباً مبرحاً ، ومنهم من عفا عنه . ولما توجه عيسى إلى مكة استناب على المدينة كثير بن حصين ، فاستمر بها شهراً حتى بعث المنصور على ثيابها عبد الله بن الربيع ، فمات جنده في المدينة فصاروا إذا اشتروا من الناس شيئاً لا يعطونهم ثمنه ، وإن طولبوا بذلك ضربوا المطالب وخوفوه بالقتل ، فثار عليهم طائفة من السودان واجتمعوا ونفخوا في بوق لهم فاجتمع على صوته كل أسود في المدينة ، وحملوا عليهم حملة واحدة وهم ذاهبون إلى الجمعة ، لسبع بقين من ذي الحجة من هذه السنة ، وقيل لخمس بقين من شوال منها ، فقتلوا من الجند طائفة كثيرة بالزاريق وغيرها ، وهرب الأمير عبد الله بن الربيع وترك صلاة الجمعة . وكان رؤس السودان : وثيق ويعقل ورمقة وحديا وعنفود ، ومسر ، وأبو النار . فلما رجع عبد الله بن الربيع ركب في جنوده

والنقي مع السودان فهزموه أيضا فلحقوه بالبيع فألقى لهم رداه يشغلهم فيه حتى نجا بنفسه ومن اتبعه ، فلحق بطن نخل على ليلتين من المدينة ، ووقع السودان على طمام المنصور كان مخزونا في دار مروان قد قدم به في البحر فتمبوه ونهبوا ما للجند الذين بالمدينة من دقيق وسويق وغيره ، وباعوا ذلك بأرخص ثمن . وذهب الخبر إلى المنصور بما كان من أمر السودان ، وخاف أهل المدينة من معرفة ذلك ، فاجتمعوا وخطبهم ابن أبي سبرة - وكان مسجوناً - فصعد المنبر وفي رجله القيود ، خثهم على السمع والطاعة للمنصور ، وخوفهم شرماسنعه مواليتهم ، فاتفق رأيهم على أن يكفوا مواليتهم ويفرغوا وينهبوا إلى أميرهم فيردوه إلى عمله ، ففعلوا ذلك ، فسكن الأمر وهدأ الناس والطفأت الشرور ، ورجع عبد الله بن الربيع إلى المدينة فقطع يد وثيق وأبى النار ويقتل ومسمر .

ذكر خروج ابراهيم بن عبد الله بن حسن بالبصرة

كان إبراهيم قد هرب إلى البصرة فنزل في بني ضبيعة من أهل البصرة ، في دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالنهار ، وكان قدومه إليها بعد أن طاف بلاداً كثيرة جداً ، وجرت عليه وعلى أخيه خطوط شديدة هائلة ، وانعمت أسباب هلاكهما في أوقات متعددة ، ثم كان آخر ما استقر أمره بالبصرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة ، بعد منصرف الحجيج . وقيل إن قدومه إليها كان في مستهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، بعثه أخوه إليها بعد ظهوره بالمدينة ، قاله الواقدي . قال : وكان يدعو في السر إلى أخيه ، فلما قتل أخوه أظهر الدعوة إلى نفسه في شوال من هذه السنة ، والمشهور أنه قدمها في حياة أخيه ودعا إلى نفسه كما تقدم والله أعلم .

ولما قدم البصرة نزل عند يحيى بن زياد بن حسان النبطي ، فاخفى عنده هذه المدة كلها ، حتى ظهر في هذه السنة في دار أبي فروة ، وكان أول من بايعه نميلة بن مرة ، وعبد الله بن سفيان ، وعبد الواحد بن زياد ، وعمر بن سلمة المهجيمي ، وعبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي . وندبوا الناس إليه فاستجاب له خلق كثير فتحول إلى دار أبي مروان في وسط البصرة ، واستفحل أمره ، وبايعه فثام من الناس ، وتفاقم الخطب به ، وبلغ خبره إلى المنصور فزاد غمّاً إلى غمه بأخيه محمد ، وذلك لأنه ظهر قبل مقتل أخيه وإنما كان سبب تعجيله الظهور كتاب أخيه إليه فامتثل أمره ودعا إلى نفسه ، فانظم أمره بالبصرة ، وكان قائمها من جهة المنصور سفيان بن معاوية وكان ممالئاً لإبراهيم هذا في الباطن ، ويبلغه أخباره فلا يكثر ثبثها ، ويكذب من أخبره ويود أن يتضح أمر إبراهيم ، وقد أمده المنصور بأمرين من أهل خراسان معهما ألفا فارس وراجل ، فأنزلهما عنده لينقوى بهما على محاربة إبراهيم ، وتحول المنصور من بغداد - وكان قد شرع في عمارتها - إلى الكوفة ، وجعل كما اتهم رجلا من أهل الكوفة في أمر إبراهيم بمث إليه من يقتله في الليل في منزله ، وكان الغرافصة

العجلى قدم بالوثوب بالكوفة فلم يكتفه ذلك لمكان المنصور بها ، وجعل الناس يقصدون البصرة من كل فج لمبايعة إبراهيم ، ويفدون إليها جماعات وفرادى ، وجعل المنصور يرصد لهم المسالح فيقتلونهم في الطريق ويأتونه برؤسهم فيصلبها بالكوفة ليمعظ بها الناس . وأرسل المنصور إلى حرب الراوندى - وكان مرابطاً بالجزيرة في أنفى فارس لقتال الخوارج - يستدعيه إليه إلى الكوفة ، فأقبل بمن معه فاجتاز ببلدة بها أنصار لا إبراهيم فقالوا له : لا ندعك تجتاز ، لأن المنصور إنما دعاك لقتال إبراهيم . فقال : ويحكم ! دعوى ، فأبوا فقاتلهم فقتل منهم خمسمائة وأرسل برؤسهم إلى المنصور . فقال : هذا أول الفتح . ولما كانت ليلة الاثنين مستهل رمضان من هذه السنة ، خرج إبراهيم في الليل إلى مقبرة بنى يشكر في بضعة عشر فارساً ، وقدم في هذه الليلة أبو حماد الأبرص في أنفى فارس مدداً لسفيان ابن معاوية ، فأنزلهما الأمير في القصر ، ومال إبراهيم وأصحابه على دواب أولئك الجيش وأسلحتهم فأخذوها جميعاً ، ففتقوا بها ، فكان هذا أول ما أصاب . وما أصبح الصباح إلا وقد استظهر جداً ، فصلى بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع ، والتف الخلائق عليه ما بين ناظر وناصر ، وتحصن سفيان بن معاوية نائب الخليفة بقصر الامارة وحبس عنده الجنود لمحاصرهم إبراهيم ، فطلب سفيان ابن معاوية من إبراهيم الأمان فأعطاه الأمان ، ودخل إبراهيم قصر الامارة فبسطت له حصير ليجلس عليها في مقدم إيوان القصر ، فهبّت الريح فقلبت الحصير ظهراً لبطن ، فظطير الناس بذلك ، فقال إبراهيم : إنا لا نتطير . وجلس على ظهر الحصير ، وأمر بحبس سفيان بن معاوية مقيماً . وأراد بذلك براءة ساحته عند المنصور ، واستحوذ على ما كان في بيت المال فاذا فيه ستمائة ألف ، وقيل ألفا ألف . فقوى بذلك جدا .

وكان في البصرة جعفر وعبد ابناسليمان بن على ، وهما أبناعم الخليفة المنصور ، فركبا في ستمائة فارس إليه فهزمهما ، وأركب إبراهيم المضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارساً وثلاثين راجلاً فهزم ستمائة فارس كانت لهما . وآمن من بقى منهم ، وبعث إبراهيم إلى أهل الاهواز فبايعوه وأطاعوه ، وأرسل إلى نائبها مائتى فارس عليهم المنيرة فخرج إليه عبد بن الحصين نائب البلاد في أربعة آلاف فارس فهزمه المنيرة واستحوذ على البلاد ، وبعث إبراهيم إلى بلاد فارس فأخذها ، وكذلك واسط والمدائن والسواد ، واستفعل أمره جداً ، ولكن لما جاءه نعى أخيه عبد انكسر جداً ، وصلى بالناس يوم العيد وهو مكسور . قال بعضهم : والله لقد رأيت الموت في وجهه وهو يخطف الناس فعنى إلى الناس أخاه محمداً ، فازداد الناس حنقا على المنصور وأصبح فمسكر بالناس واستناب على البصرة نائلة وخلف ابنه حسنا معه .

ولما بلغ المنصور خبره تحير في أمره وجعل يتأسف على ما فرق من جنده في الممالك ، وكان قد

بعث مع ابنه المهدي ثلاثين ألفاً إلى الري ، وبعث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقية أربعين ألفاً والباقيون مع عيسى بن موسى بالحجاز ، ولم يبق مع المنصور سوى ألفي فارس . وكان يأمر بالنيران الكثيرة فتوقد ليلاً ، فيحسب الناظر إليها أن ثم جنوداً كثيراً . ثم كتب المنصور إلى عيسى بن موسى : إذا قرأت كتابي هذا فأقبل من فورك ودع كل ما أنت فيه . فلم يذهب أن أقبل إليه فقال له : اذهب إلى إبراهيم بالبصرة ولا يهولك كثرة من معه ، فانهم جملة بني هاشم المقتولان جميعاً ، فابسط يدك وثق بما عندك وستذكر ما أقول لك فكان الأمر كما قال المنصور . وكتب المنصور إلى ابنه المهدي أن يوجه خازم بن خزيمه في أربعة آلاف إلى الأهواز ، فذهب إليها . فأخرج منها نائب إبراهيم - وهو المغيرة - وأباحها ثلاثة أيام ، ورجع المغيرة إلى البصرة ، وكذلك بعث إلى كل كورة من هذه الكور التي نقضت بيعته جنداً يردون أهلها إلى الطاعة . قالوا : ولزم المنصور موضع مصلاه فلا يبرح منه ليلاً ونهاراً في ثياب بذلة قد اتسخت ، فلم يزل مقبلاً هناك بضعا وخمسين يوماً حتى فتح الله عليه . وقد قيل له في غيوبة ذلك : إن نساءك قد خبيثت نفسهن لفبيثتك عنهن . فأنهر القائل وقال : ويحك ليست هذه أيام نساء ، حتى أرى رأس إبراهيم بين يدي ، أو يحمل رأسه إليه . وقال بعضهم : دخلت على المنصور وهو مهووم من كثرة ما وقع من الشرور ، وهو لا يستطيع أن يتابع الكلام من كثرة همه ، وما تفتق عليه من الفتوق والخرق ، وهو مع ذلك قد أعد لكل أمر ما يسد خلله به ، وقد خرجت عن يده البصرة والأهواز وأرض فارس والمدائن وأرض السواد ، وفي الكوفة عنده مائة ألف مغمدة سيوفها تلتنظر به صبيحة واحدة ، فيقبون مع إبراهيم ، وهو مع ذلك يترك النوائب ويمر سها ولم تقعد به نفسه وهو كما قال الشاعر :

نفسُ عصامٍ سودتْ عصاماً * وعلمته الكركُ والإقداما * فصيرته ملكاً هماماً

وأقبل إبراهيم بعساكر من البصرة إلى الكوفة في مائة ألف مقاتل فأرسل إليه المنصور عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً ، وعلى مقدمته حميد بن قطبة في ثلاثة آلاف . وجاء إبراهيم فنزل في باخرى في جحافل عظيمة ، فقال له بعض الأمراء : إنك قد اقتربت من المنصور فلو أنك سرت إليه بطائفة من جيشك لأخذت بقفاه فانه ليس عنده من الجيوش ما يردون عنه . وقال آخرون : إن الأولى أن نناجز هؤلاء الذين بازائنا ، ثم هو في قبضتنا . فشنهم ذلك عن الرأي الأول . ولو فعله لثم لهم الأمر . ثم قال بعضهم : خندق حول الجيش . وقال آخرون : إن هذا الجيش لا يحتاج إلى خندق حوله ، فترك ذلك . ثم أشار بعضهم أن يبيت جيش عيسى بن موسى فقال إبراهيم : أنا لا أرى ذلك ، فتركه . ثم أشار آخرون بأن يجعل جيشه كراديس فان غلب كردوس ثبت الآخر . قال آخرون : الأولى أن نقاتل صفوفاً لقوله تعالى [إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً

كانهم بليان مرصوص] . والامر لله وما شاء فعل ولو ساروا إلى الكوفة وبيتوا الجيش أو جعل جيشه كراديس لم له الأمر مع تقدير الله تعالى

وأقبل الجيشان فتصافوا في باخرى وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة فاقتتلوا بها قتالاً شديداً فانهمز حميد بن قحطبة بمن معه من المقدمة ، فجعل عيسى يناشدهم الله في الرجوع والسكر فلا يلوى عليه أحد ، وثبت عيسى بن موسى في مائة رجل من أهله ، فقيل له : لو تنحيت من مكانك هذا لتلا يحطملك جيش إبراهيم فقال : والله لا أزول منه حتى يفتح الله لي أو أقتل هاهنا . وكان المنصور قد تقدم إليه بما أخبره به بعض المنجمين أن الناس يكون لهم جولة عن عيسى بن موسى ثم يقومون إليه وتكون العاقبة له ، فاستمر المنهزمون ذاهبين فأتوا إلى نهر بين جبلين فلم يمكنهم خوضه ففكروا راجعين بأجمعهم ، وكان أول راجع حميد بن قحطبة الذي كان أول من انهزم . ثم اجندلوا هم وأصحاب إبراهيم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم انهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في خمسمائة ، وقيل في أربعمائة ، وقيل في تسعين رجلاً ، واستظهر عيسى بن موسى وأصحابه ، وقتل إبراهيم في جملة من قتل واختلط رأسه مع رؤس أصحابه ، فجعل حميد يأتي بالرؤس إلى عيسى بن موسى حتى عرفوا رأس إبراهيم فبعثوه مع البشير إلى المنصور ، وكان نبيخت المنجم قد دخل على المنصور قبل مجيئ الرأس فأخبره أن إبراهيم مقتول فلم يصدقه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن لم تصدقني فأحسني فإن لم يكن الأمر كما ذكرت فاقتلني . فبينما هو عنده إذ جاء البشير بهزيمة جيش إبراهيم ، ولما جرى بالرأس تمثل المنصور ببيت معقر بن أوس بن حمار البارقى : فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قرء عينا بالأياب المسافر

وقيل إن المنصور لما رأى الرأس بكى حتى جعلت دموعه تسقط على الرأس وقال : والله لقد كنت لهذا كارها ، ولكنك ابتليت بي وابتليت بك . ثم أمر بالرأس فنصب بالسوق . وأقطع نبيخت المنجم الكذاب ألفي جريب .

فهذا المنجم إن كان قد أصاب في قضية واحدة فقد أخطأ في أشياء كثيرة ، فهم كذبه كفره وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا ، وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين وذلك خلال لا يجوز

وذكر صالح مولى المنصور قال : لما جرى برأس إبراهيم جلس المنصور مجلساً عاماً وجعل الناس يدخلون عليه فيهنثونه وينالون من إبراهيم ويقبحون الكلام فيه إبتغاء مرضاة المنصور ، والمنصور ساكت متغير اللون لا يتكلم ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فوقف فسلم ثم قال : أعظم الله

أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط فيه من حقدك . قال فاصفر لون المنصور وأقبل عليه وقال له : يا أبا خالد مرحباً وأهلاً ، ههنا فاجلس . فعلم الناس أن ذلك وقع منه موقعاً جيداً . فجلس كل من جاء يقول كما قال جعفر بن حنظلة . قال أبو نعيم الفضل بن دكين : كان مقتل إبراهيم في يوم الخميس لخمس بقين من ذى الحجة من هذه السنة .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فن أعيان أهل البيت عبد الله بن حسن وابناه محمد وإبراهيم ، وأخوه حسن بن حسن ، وأخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالديباج . وقد تقدمت ترجمته . وأما أخوه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي فنبأني ، روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو صحابي جليل ، وغيرهم . وروى عنه جماعة منهم سفیان الثوري والدروردي ومالك ، وكان معظماً عند العلماء ، وكان عابداً كبير القدر . قال يحيى بن معين : كان ثقة صدوقاً ، وفد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه ، وفد على السفاح فمظمه وأعطاه ألف درهم ، فلما ولي المنصور عامله بمكس ذلك ، وكذلك أولاده وأهله ، وقد مضوا جميعاً والتقوا عند الله عز وجل ، وأخذ المنصور وأهل بيته مقيدتين مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية ، فأودعهم السجن الضيق كما قدمنا ، فمات أكثرهم فيه ، فكان عبد الله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج ولده محمد بالمدينة ، وقد قيل إنه قتل في السجن عمداً . وكان عمره يوم مات خمسا وسبعين سنة ، وصلى عليه أخوه لأمه الحسن بن الحسن بن علي . ثم مات بعده أخوه حسن فصلى عليه أخوه لأمه محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان . ثم قتل بعدهما وحمل رأسه إلى خراسان كما تقدم .

وأما ابنه محمد الذي خرج بالمدينة فروى عن أبيه ونافع ، وعن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة في كيفية الهوى إلى السجود وحدث عنه جماعة ، ووثقه النسائي وابن حبان وقال البخاري : لا يتابع على حديثه . وقد ذكر أن أمه حملت به أربع سنين ، وكان طويلاً سميناً أسمر ضخماً ذا همة سامية ، وسطوة عالية وشجاعة باهرة . قتل بالمدينة في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، وله خمس وأربعون سنة . وقد حملوا برأسه إلى المنصور ، وطيف به في الأقاليم . وأما أخوه إبراهيم فكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور أخيه بالمدينة وكان مقتله بعد مقتل أخيه في ذى الحجة من هذه السنة وليس له شيء في الكتب الستة ، وحكى أبو داود السجستاني عن أبي عوانة أنه قال : كان إبراهيم وأخوه محمد خارجين . قال داود : ليس كما قال ، هذا رأى الزيدية . قلت : وقد حكى عن جماعة من العلماء والأئمة أنهم مالوا إلى ظهورهما .

وفيهما توفي من المشاهير والأعيان

الأجلح بن عبد الله ، وإسماعيل بن أبي خالد في قول ، وحبيب بن الشهيد ، وعبد الملك بن أبي سليمان ، وعمر بن مولى عفرة ، ويحيى بن الحارث الزماري ، ويحيى بن سعيد أبو حيان التميمي ، ورؤبة بن المعجاج والمعجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة ، وأبو محمد التميمي البصري ، الراجز بن الراجز ، ولسك من بني ديان رجز ، وكل منهما بارع في فنسه لا يجاري ولا يساري ، عالم بالغة . وعبد الله بن المقفع الكاتب المفوه ، أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور ، وكتب له ، وله رسائل وألغاز صحيحة ، وكان متبها بالزندقة ، وهو الذي صنف كتاب كيلة ودمنة ، ويقال : بل هو الذي عربها من المحوسية إلى العربية . قال المهدي : ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفع ، ومطالع بن إلياس ، ويحيى بن زياد . قالوا ونسى الجاحظ وهو رايعهم . وكان مع هذا فاضلا بارعا فصيحاً . قال الأصمعي : قيل لابن المقفع من أدبك ؟ قال : نفسي ، إذا رأيت من غيري قبيحاً أبيته ، وإذا رأيت حسناً أتيت به . ومن كلامه : شربت من الخطب رياء ، ولم أضبط هارديا . ففاضت ثم فاضت ، فلا هي نظاما ، ولا نسيت غيرها كلاما ،

وكان قتل ابن المقفع على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة نائب البصرة ، وذلك أنه كان يعث به ويسب أمه ، وإنما كان يسميه ابن المهلب ، وكان كبير الأنف ، وكان إذا دخل عليه يقول : السلام عليك - على سبيل التهنيم - وقال لسفيان بن معاوية مرة : ما ندمت على سكوت قط . فقال : صدقت ، الخرس لك خير من كلامك . ثم اتفق أن المنصور غضب على ابن المقفع فكتب إلى نائبه سفيان بن معاوية هذا أن يقتله ، فأخذنه فأحى له تنورا وجعل يغطيه إرباً إرباً ويلقيه في ذلك التنور حتى حرقه كله وهو ينظر إلى أطرافه كيف تقطع ثم تحرق ، وقيل غير ذلك في صفة قتله . قال ابن خلدون : ومنهم من يقول إن ابن المقفع نسب إلى بيع القناع وهي من الجريد كالزنبيل بلا آذان ، والصحيح أنه ابن المقفع وهو أبو دارويه كان الحجاج قد استعمله على الخراج فخان فعاقبه حتى تقفمت يده والله أعلم .

وفيهما خرج الترك والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة . وحج بالناس في هذه السنة نائب المدينة عبد الله بن الربيع الحارثي . وعلى الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى البصرة مسلم بن قتيبة ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

ففيها تكامل بناء مدينة السلام ببغداد ، وسكنها المنصور في صفر من هذه السنة ، وكان مقبلاً قبل

ذلك بالهاشمية المناخفة للكوفة ، وكان قد شرع في بنائها في السنة الخارجة ، وقيل في سنة أربع وأربعين ومائة فإله أعلم .

وقد كان السبب الباعث له على بنائها أن الراوندية لما وثبوا عليه بالكوفة ووقاه الله شرهم ، بقيت منهم بقية تخشى على جنده منهم ، ففرج من الكوفة يرتاد لهم . موضعاً لبناء مدينة ، فسار في الأرض حتى بلغ الجزيرة فلم ير موضعاً أحسن لوضع المدينة من موضع بغداد الذي هي فيه الآن ، وذلك بأنه موضع يغدا إليه ، ويراح بخيرات ما حوله في البر والبحر ، وهو محصن بدجلة والفرات من ههنا وههنا ، لا يقدر أحد أن يتوصل إلى موضع الخليفة إلا على جسر ، وقد بات به المنصور قبل بنائه ليالي فرأى الرياح تهب به ليلاً ونهاراً من غير انجمار ولا غبار ، ورأى طيب تلك البقعة وطيب هوائها ، وقد كان في موضعها قرى وديور لعباد النصاري وغيرهم . ذكر ذلك مفصلاً بأسماؤه وتعدادها أبو جعفر ابن جرير . فحينئذ أمر المنصور باختطاطها فرسمها له بالرماد فشى في طرقها ومسالكها فأعجبه ذلك ، ثم سلم كل ربيع منها لأمر يقوم على بنائه ، وأحضر من كل البلاد فعالاً وصناعاً ومهندسين ، فاجتمع عنده ألوف منهم ، ثم كان هو أول من وضع لبنة فيها بيده وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والمآقية للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله . وأمر ببنائها مسدورة صلك سورها من أسفل خمسة أذراع ، ومن أعلاه عشرون ذراعاً ، وجعل لها ثمانية أبواب في السور البراني ، ومثلها في الجواني ، وليس كل واحد نجاه الآخر ، ولكن جعله أزور عن الذي يليه ، ولهذا سميت ببغداد الزوراء ، لازورار أبوابها بعضها عن بعض ، وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها . وبنى قصر الإمارة في وسط البلد ليكون الناس منه على حد سواء ، واختط المسجد الجامع إلى جانب القصر ، وكان الذي وضع قبلته الحجاج بن أرطاة . وقال ابن جرير : ويقال إن في قبلته انحرافاً يحتاج المصلى فيه أن ينحرف إلى ناحية باب البصرة ، وذكر أن مسجد الرصافة أقرب إلى الصواب منه لأنه بنى قبل القصر ، وجامع المدينة بنى على القصر ، فاختلت قبلته بسبب ذلك . وذكر ابن جرير عن سليمان بن مجاهد أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء بها فأبى وامتنع فحلف المنصور أن يتولى له ، وحلف أبو حنيفة أن لا يتولى له ، ففلا القيام بأمر المدينة وضرب اللبن ، وأخذ الرجال بالعمل ، فتولى ذلك حتى فرغوا من استتمام حائط المدينة بما يلي الخندق ، وكان استتمامه في سنة أربع وأربعين ومائة . قال ابن جرير : وذكر عن الهيثم بن عدى أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع ، فحلف أن لا يقلع عنه حتى يعمل له ، فأخبر بذلك أبو حنيفة فدما بقصة قعد اللبن ليبر بذلك يمين أبي جعفر ، ومات أبو حنيفة ببغداد بعد ذلك . وذكر أن خالد ابن برمك هو الذي أشار على المنصور ببنائها ، وأنه كان مستحثاً فيها للصناع ، وقد شاور المنصور

الأمراء في نقل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل قصر الامارة بها ، فقالوا : لا تفعل فإنه آية في العالم ، وفيه مصلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب . فخالفهم ونقل منه شيئاً كثيراً فلم يبق ما تحصل منه بأجرة ما يصرف في حمله فتركه ، ونقل أبواب قصر واسط إلى أبواب قصر الامارة ببغداد . وقد كان الحجاج نقل حجراته من مدينة هناك كانت من بناء سليمان بن داود ، وكانت الجن قد عملت تلك الأبواب ، وهي حجارة هائلة . وقد كانت الأسواق وضجيجها تسمع من قصر الامارة ، فكانت أصوات الباعة وهوسات الأسواق تسمع منه ، فعاب ذلك بعض بطارقة النصارى ممن قدم في بعض الرسائل من الروم ، فأمر المنصور بنقل الأسواق من هناك إلى موضع آخر ، وأمر بتوسعة الطرقات أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً ، ومن بني في شيء من ذلك هدم .

قال ابن جرير : وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدت في خزان المنصور في الكتب أنه أنفق على بناء مدينة السلام ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والأسواق وغيرها ذلك ، أربعة آلاف ألف ومئتمائة ألف وثلاثة وعشرين ألف درهم ، وكان أجرة الأستاذ من البنائين كل يوم قيراط فضة ، وأجرة الصانع من الحبتين إلى الثلاثة . قال الخطيب البغدادي : وقد رأيت ذلك في بعض الكتب ، وحكى عن بعضهم أنه قال : أنفق عليه ثمانية عشر ألف ألف فأنفق أعلم .

وذكر ابن جرير أن المنصور ناقص أحد المهندسين الذي بنى له بيتاً حسناً في قصر الامارة فنقصه درهما عما سواه ، وأنه حاسب بعض المستعنين على الذي كان عنده ففضل عنده خمسة عشر درهما فحبسه حتى جاء بها وأحضرها وكان شحيحاً . قال الخطيب : وبنائها مدورة ، ولا يعرف في أقطار الأرض مدينة مدورة سواها ، ووضع أساسها في وقت اختاره له نوبخت المنجم . ثم ذكر عن بعض المنجمين قال قال لي المنصور لما فرغ من بناء بغداد : خذ الطالع لها ، فنظرت في طالعها . وكان المشتري في القوس . فأخبرته بما تدل عليه النجوم ، من طول زمانها ، وكثرة عمارتها ، وانصباب الدنيا إليها وفقر الناس إلى ما فيها . قال : ثم قلت له : وأبشرك يا أمير المؤمنين أنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً . قال : فرأيتهم يبتسم ثم قال : الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعراً منه :

قضى ربها أن لا يموت خليفة * بها إن شاء ما شاء في خلقه يقضي

وقد قرره على هذا الخطأ الخطيب وسلم ذلك ولم ينتفضه بشيء بل قرره مع اطلاعه ومعرفة . قال : وزعم بعض الناس أن الأمين قتل بدرب الأنبار منها فذكر ذلك للقاضي أبي القاسم علي بن حسن التنوخي فقال : محمد الأمين لم يقتل بالمدينة ، وإنما كان قد نزل في سفينة إلى دجلة لينتزع فقبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك . ذكر ذلك الصولي وغيره .

وذكر عن بعض مشايخ بغداد أنه قال : اتساع بغداد مائة وثلاثون جريباً ، وذلك بقدر ميلين في ميلين ، قال الامام أحمد : بغداد من الصراة إلى باب التبن . وذكر الخطيب أن بين كل بابين من أبوابها ثمانية ميلا ، وقيل أقل من ذلك . وذكر الخطيب صفة قصر الامارة وأن فيه القبة الخضراء طوله ثمانون ذراعاً ، على رأسها تمثال فرس عليه فارس في يده رمح يدور به فأى جهة استقبلها واستمر مستقبلاً ، علم السلطان أن في تلك الجهة قد وقع حدث فلم يلبث أن يأتي الخليفة خبره . [وهذه القبة وهى على مجلس في صدر إوان المحكمة وطوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً . وقد سقطت هذه القبة في ليلة برد ومطر ورعد وبرق ، ليلة الثلاثاء لسبع خلون من شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة] .^(١)

وذكر الخطيب البغدادي أنه كان يباع في بغداد في أيام المنصور الكبش الغنم بدرهم والحل بأربعة دنانير ، وينادى على لحم الغنم كل ستين طلاً بدرهم ، ولحم البقر كل تسعين طلاً بدرهم ، والتمر كل ستين طلاً بدرهم ، والزيت ستة عشر طلاً بدرهم ، والسمن ثمانية أرتال بدرهم ، والعسل عشرة أرتال بدرهم . ولهذا الأمن والرخص كثير ساكنوها وعظم أهلها وكثر الدارج في أسواقها وأزقتها ، حتى كان المار لا يستطيع أن يجتاز في أسواقها لكثرة زحام أهلها . قال بعض الأمراء وقد رجع من السوق : طال والله ما طردت خلف الأرناب في هذا المكان .

وذكر الخطيب أن المنصور جلس يوماً في قصره فسمع ضجة عظيمة ثم أخرى ثم أخرى فقال للربيع الحاجب : ما هذا ؟ فكشف فإذا بقرة قد نفرت من جازرها هاربة في الأسواق ، فقال الرومى : يا أمير المؤمنين إنك بذيت بناء لم يبنه أحد قبلك ، وفيه ثلاثة عيوب ، بهمه من الماء ، وقرب الأسواق منه ، وليس عنده خضرة ، والعين خضرة تحب الخضرة . فلم يرفع بها المنصور رأساً ثم أمر بتغيير ذلك ، ثم بعد ذلك ساق إليها الماء وبنى عندها البساتين ، وحول الأسواق من ثم إلى الكرخ . قال يعقوب بن سفيان : كل بناء بغداد في سنة ست وأربعين ومائة ، وفي سنة سبع وخمسين حول الأسواق إلى باب السكر وباب الشمير وباب المحول وأمر بتوسعة الأسواق أربعين ألفاً ، وبعد شهرين من ذلك شرع في بناء قصره المسمى بالخلد ، فكل سنة ثمان وخمسين ومائة .

وجعل أمر ذلك إلى رجل يقال له الوضاح ، وبنى للعامة جامعاً للصلاة والجمعة لئلا يدخلوا إلى جامع المنصور ، فأما دار الخلافة التي كانت ببغداد بهمه ذلك فاتها كانت للحسن بن سهل ، فانتقلت من بهمه إلى بوران زوجة المأمون ، فطلبها منها المعتضد - وقيل المعتمد - فأنعمت له بها ، ثم استنظرت أياماً حتى تفتت منها فأظفراها ، فشرعت في تلك الأيام في ترميمها وتبييضها وتحسينها ، ثم فرشتها

(١) زيادة من المصرية .

بأنواع الفرش والبسط، وعلقت فيها أنواع الستور، وأرصدت فيها ما ينبغي للخلافة من الجوارى والخدم، وألبستهم أنواع الملابس، وجعلت في الخزائن ما ينبغي من أنواع الأطعمة والمأكول، وجعلت في بعض بيوتها من أنواع الأموال والذخائر، ثم أرسلت بمنايحتها إليه، ثم دخلها فوجد فيها ما أرصدته بها، فهاله ذلك واستعظمه جداً، وكان أول خليفة سكنها وبنى عليها سوراً. ذكره الخطيب.

وأما التاج فبناه المكتفى على دجلة وحوله القباب والمجالس والميدان والثريا وحير الوحوش. وذكر الخطيب صفة دار الشجرة التي كانت في زمن المقتدر بالله، وما فيها من الفرش والستور والخدم والممالك والحشمة الباهرة، والدنيا الظاهرة، وأنها كان بها إحدى عشر ألف طواشي، وسبعمائة حاجب. وأما الممالك فأولف لا يحصون كثرة، وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في أيامهم ودولتهم التي ذهبت كأنها أحلام نوم، بعد سنة ثلثمائة. وذكر الخطيب دار الملك التي بالحرم، وذكر الجوامع التي تقام فيها الجمع، وذكر الأنهار والجسور التي بها، وما كان في ذلك في زمن المنصور، وما أحدث بعده إلى زمانه، وأنشد لبعض الشعراء في جسور بغداد التي على دجلة:

يَوْمَ سَرَقْنَا الْعِيْشَ فِيهِ خَلْسَةٌ * فِي مَجْلِسٍ بِنَاءُ دَجْلَةٍ مَفْرَدٍ
رَقَى الْهَوَاءُ بَرْقَةً وَقَدَامَةً * فَنَدَوْتُ رَقَاً لِلزَّمَانِ الْمَسْمُودِ
فَكَانَ دَجْلَةُ طَيْلَسَانٍ أَيْضُ * وَالْجِسْرُ فِيهَا كَالطَّرَازِ الْأَسْوَدِ
وَقَالَ آخَرُ: يَا حَبِيبَا جَسْرٌ عَلَى مَتْنِ دَجْلَةٍ * بَاتَقَانِ تَأْسِيسَ وَحْسَنِ وَرَوْنِقِ
جَمَالٍ وَحَسَنِ لِلْعِرَاقِ وَنَزْهَةٍ * وَسُلُوكٍ مِنْ أَضْنَاءِ فَرْطِ اللَّشَوِقِ
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ مُتَمَلِّئاً * كَسَطَرٍ عَبِيرٍ خَطٌّ فِي وَسْطِهِ مَرْقِ
أَوْ الْعَاجِ فِيهِ الْأَبْنُوسُ مَرْقَشٌ * مِثْلَ فَيُولٍ تَحْنُ أَرْضُ زَيْبِقِ

وذكر الصولي قال: ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد أن ذراع بغداد من الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب، وأن الجانب الشرقي ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً وأن عدة حماماتها سنون ألف حمام، وأقل ما في كل حمام منها خمسة نفر حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقاء، وأن بازا كل حمام خمسة مساجد، فذلك ثلاثمائة ألف مسجد، وأقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر. يعني إماماً وقيماً ومأذوناً ومأمومين. ثم تناقصت بعد ذلك، ثم دثرت بعد ذلك حتى صارت كأنها خربة صورة ومعنى. على ما سيأتي بيانه في موضعه.

وقال الحافظ أبو بكر البغدادي: لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلالة قدرها، ونفاعة أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها، وتميز خواصها وعوامها، وعظم أقطارها، وسعة أطوارها،

وكثرة دورها ودروبها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماماتها وخاناتها ، وطيب هوائها وعذوبة ماثها وبرد غلالها واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيها وخريفها ، وأكثر ما كانت عمارة وأهلا في أيام الرشيد ، ثم ذكرتنا قص أحوالها وهلم جرا إلى زمانه . قلت : وكذا من بعده إلى زماننا هذا ، ولا سببا في أيام هولاكو بن تولى بن جنكيز بن خان التركي الذي وضع معالمها وقتل خليفتها وعالمها وخرب دورها وهدم قصورها وأباد انطاخا والعمام من أهلها في ذلك العام ، وأخذ الأموال والخراسل ، ونهب الدراري والأصائل ، وأورث بها حزنا يسدد به في المبكرات والأصائل ، وصيرها مثلة في الأقاليم ، وعبرة لكل معتبر عليم ، وتذكرة لكل ذي عقل مستقيم ، وبدلت بعد تلاوة القرآن بالنهات والألحان ، وإنشاد الأشعار ، وكان . وبعد سماع الأحاديث النبوية بدرس الفلسفة اليونانية ، والمناهج الكلامية والتأويلات القرطبية ، وبعد العلماء بالأطباء ، وبعد الخليفة العباسي بشر الولاية من الاناسي ، وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة ، وبعد الطلبة المشتغلين بالظلمة والعمارين ، وبعد العلم والفقه والحديث وتعبير الرؤيا ، بالموشح ودوبيت ومواليا . وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم [ومارك بظلام للعبيد] والتحول منها في هذه الأزمان لكثرة ما فيها من المنكرات الحسية والمعنوية ، وأكل الحشيشة ، والانتقال عنها إلى بلاد الشام الذي تكفل الله بأهلها أفضل وأكل وأجل . وقد روى الامام أحمد عن رسول الله (ص) ، أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام ، وشرار أهل الشام إلى العراق » .

ما ورد في مدينة بغداد من الآثار وما فيها من الأخبار

فيها أربع لغات بغداد وبغداد باهمال الذال الثانية وإعجمها ، وبغداد بالنون آخره وبالميم مع ذلك أولا مفدان ، وهي كلمة أجمية قيل إنها مركبة من يغ وداد فقيل يغ بستان وداد اسم رجل ، وقيل يغ اسم صنم وقيل شيطان وداد عطية أى عطية الصنم ، ولهذا كره عبد الله بن المبارك والأصمعي وغيرهما تسميتها ببغداد وإنما يقال لها مدينة السلام ، وكذا أسماها بالنبأ أبو جعفر المنصور ، لأن حجة كان يقال لها وادي السلام ، ومنهم من يسميها الزوراء .

فروى الخطيب البغدادي من طريق حماد بن سيف - وهو منهم - قال : سمعت عاصم الأحول يحدث عن سفيان الثوري عن أبي عثمان عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله (ص) : « تبني مدينة بين دجلة ودجيل وقطر بل والصراة فجي إليها خزائن الأرض ، وملوكها جبابرة ، فلهي أسرع ذهابا في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة » . قال الخطيب : وقد رواه عن عاصم الأحول سيف ابن أخت سفيان الثوري ، وهو أخو حماد بن سيف . قلت : وكلاهما ضعيف منهم يرى بالكذب ، ومحمد بن جابر الجعفي ضعيف ، وأبو شهاب الخنطلي ضعيف . وروى عن سفيان الثوري

عن عاصم من طرق ثم أسند ذلك كله . وأورد من طريق يحيى بن معين عن يحيى بن أبي كثير عن
عمار بن سيف عن الثوري عن عاصم عن أبي عثمان عن جرير عن النبي (ص) . وقال أحمد ويحيى :
يس لهذا الحديث أصل . وقال أحمد : ما حدث به إنسان ثقة ، وقد علاه الخطيب من جميع طرقه
وسقه أيضاً من طريق عمار بن سيف عن الثوري عن أبي عبيدة حميد الطويل ، عن أنس بن
مالك ، ولا يصح أيضاً . ومن طريق عمر بن يحيى عن سفیان عن قيس بن مسلم عن ربي عن حذيفة
مرفوعاً بنحوه ، ولا يصح . ومن غير وجه عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وثوبان وابن عباس ،
وفي بعضها ذكر السفينائي « وأنه يخربها » ولا يصح إسناد شيء من هذه الأحاديث . وقد أوردنا
الخطيب بأسانيدنا وألفاظها ، وفي كل منها تكرار ، وأقرب ما فيها عن كعب الأحبار وقد جاء في
آثار عن كتب متقدمة أن بابها يقال له مقلص وذو الدوانيق لبخله .

فضائل بغداد

محاسن بغداد ومساوئها وما روى في ذلك عن الأئمة

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي : قال لي الشافعي : هل رأيت بغداد ؟ قلت لا فقال : ما رأيت
الدنيا . وقال الشافعي : ما دخلت بلدا قط إلا عدته سفرا ، إلا بغداد فاني حين دخلتها عدتها
وطنا . وقال بعضهم : الدنيا بادية وبغداد حاضرتها . وقال ابن علية : ما رأيت أعقل في طلب
الحديث من أهل بغداد ، ولا أحسن دعة منهم . وقال ابن مجاهد : رأيت أبا عمرو بن السلاء في
النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال لي : دعني من هذا ، من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات
نقل من جنة إلى جنة . وقال أبو بكر بن عياش : الاسلام ببغداد ، وإنها لصيادة تصيد الرجال ،
ومن لم يرها لم ير الدنيا . وقال أبو معاوية : بغداد دار دنيا وآخرة . وقال بعضهم : من محاسن الاسلام
يوم الجمعة ببغداد ، وصلاة التراويح بمكة ، ويوم العيد بطرسوس . قال الخطيب : من شهد يوم
الجمعة بمدينة السلام عظم الله في قلبه محل الاسلام ، لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم
العيد في غيرها من البلاد . وقال بعضهم : كنت أواظب على الجمعة بجامع المنصور فعرض لي شغل
فصليت في غيره فرأيت في المنام كأن قائلا يقول : تركت الصلاة في جامع المدينة وإنه ليصلي فيه
كل جمعة سبعون ولياً . وقال آخر : أردت الانتقال من بغداد فرأيت كأن قائلا يقول في المنام :
أنتنقل من بلد فيه عشرة آلاف ولي لله عز وجل ؟ وقال بعضهم : رأيت كأن ملكين أتيا بغداد
فقال أحدهما لصاحبه : ألقها . فقد حق القول عليها : فقال الآخر كيف ألقب ببلد يتختم فيها
القرآن كل ليلة خمسة آلاف ختمة ؟ وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبيد العزيز بن سليمان بن موسى
قال : إذا كان علم الرجل حمازيا وخلقه عراقيا وصلاته شامية ففسد كل . وقالت زبيدة للمنصور

الفرى قل شعرا تحبب فيه بغداد إلى . فقد اختار عليها الزافة فقال :

ماذا ببغداد من طيب الأفانين * ومن منازة الدنيا ولدين
تحي الرياح بها المرضى إذا نسمت * وجوشت بين أغصان الرياحين
قال . فأعطته ألى دينار . وقال الخطيب : وقرأت في كتاب طاهر بن مظفر بن طاهر الخازن
بخطه من شعره :

سقى الله صوب الغاديات محلة * ببغداد بين الكرخ والخلير فالجسر
هى البلدة الحسناء خصت لأهلها * بأشياء لم يجمعن مذكن في مصر
هواء رقيق في اعتدال وصحة * وماء له طعم اللذ من الخمر
ودجلتها شيطان قد لظا لنا * بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر
تراها كمسك والمياه كفضة * وحصىاؤها مثل اليواقيت والبر

وقد أورد الخطيب في هذا أشعاراً كثيرة وفيها ذكرنا كفاية . وقد كان الفراغ من بناء بغداد
في هذه السنة - أعنى سنة ست وأربعين ومائة - وقيل في سنة ثمان وأربعين ، وقيل إن خندقها
وسورها كلاً في سنة سبع وأربعين ، ولم يزل المنصور يزيد فيها ويتألق في بنائها حتى كان آخر ما بنى
فيها قصر الخلد ، فظن أنه يخلد فيها ، أو أنها تخلد فلا تخرب ، فعند كاله مات . وقد خربت بغداد
مرات كما سيأتى بيانه .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتيبة عن البصرة وولى عليها محمد بن
سليمان بن على ، وذلك لأنه كتب إلى سلم يأمره بهدم بيوت الذين يابعوا إبراهيم بن عبد الله بن حسن
فتواتى في ذلك عزله ، وبعث ابن عمه محمد بن سليمان فمات بها فساداً ، وهدم دوراً كثيرة . وعزل
عبد الله بن الربيع عن إمرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان ، وعزل عن مكة السرى بن
عبد الله وولى عليها عبد الصمد بن على . قال : وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم
ابن محمد بن على قاله الواقدي وغيره . قال : وفيها غزا الصائفة من بلاد الروم جعفر بن حنظلة
البرائى . وفيها توفى من الأعيان أشعث بن عبد الملك ، وهشام بن السائب الكافى ، وهشام بن
عروة . وبزيد بن أبى عبيد في قول .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

فيها أغار اشترخان الخوارزمى في جيش من الأتراك على ناحية أرمينية فدخلوا تغليس وقتلوا
خلقا كثيراً وأسروا كثيراً من المسلمين وأهل القعة ، ومن قتل يومئذ حرب بن عبد الله الراوندى
الذى تنسب إليه الحربية ببغداد ، وكان مقباً بالموصل فى ألفين لمقابلة الخوارج ، فأرسله المنصور

لمساعدة المسلمين ببلاد أرمينية ، وكان في جيش جبريل بن يحيى ، فهزم جبريل وقتل حرب رحمه الله . وفي هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علي عم المنصور .

وهو الذي أخذ الشام من أيدي بني أمية ، كان عليها واليا حتى مات السفاح ، فلما مات دعا إلى نفسه فبعث إليه المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه أبو مسلم وهرب عبد الله إلى عند أخيه سليمان ابن علي وإلى البصرة فاخفى عنده مدة ثم ظهر المنصور على أمره فاستدعى به وسجنه ، فلما كان في هذه السنة عزم المنصور على الحج فطلب عنه عيسى بن موسى - وكان ولي العهد من بعد المنصور عن وصية السفاح - وسلم إليه عنه عبد الله بن علي وقال له : إن هذا عدوى وعدوك ، فاقتله في غيبتي عنك ولا تتواني . وسار المنصور إلى الحج وجعل يكتب إليه من الطريق يستحثه في ذلك ويقول له : ماذا صنعت فيما أودعت إليك فيه ؟ مرة بعد مرة . وأما عيسى بن موسى فإنه لما تسلم عنه حارفي أمره وشاور بعض أهله فأشار بعضهم ممن له رأى أن المصلحة تقتضي أن لا تقتله وأبقه عندك وأظهر قتله فأنما نخشى أن يطالبك به جبهة فتقول : قتلته ، فيأمر بالقود فتدعى أنه أمرك بقتله بالسربينك وبينه فتعجز عن إثبات ذلك فيقتلك به ، وإنما يريد المنصور قتله وقتلك ليستريح منك ما . فتغير عيسى بن موسى عند ذلك وأخفى عنه وأظهر أنه قتله . فلما رجع المنصور من الحج أمر أهله أن يدخلوا عليه ويشفوا في عنه عبد الله بن علي ، وألحوا في ذلك فأجابهم إلى ذلك ، واستدعى عيسى بن موسى وقال له : إن هؤلاء شفعوا في عبد الله بن علي وقد أجبتهم إلى ذلك فسلمه إليهم . فقال عيسى : وأين عبد الله ؟ ذاك قتلته منذ أمرتني . فقال المنصور : لم أرك بملك ، وجحد ذلك وأن يكون تقدم إليه منه أمره في ذلك ، فأحضر عيسى الكتب التي كتبها إليه المنصور مرة بعد مرة في ذلك فأذكر أن يكون أراد ذلك ، وصمم على الإنكار ، وصمم عيسى ابن موسى أنه قد قتله ، فأمر المنصور عند ذلك بقتل عيسى بن موسى قصاصاً بعبد الله ، فخرج به بنو هاشم ليقنطروه ، فلما جاؤا بالسيف قال : ردوني إلى الخليفة وأمر بسجنه بدار جدرانها مبلية على ملح ، ولم أقتله ، فقال : هلم به . فأحضروه فسقط في يد الخليفة وأمر بسجنه بدار جدرانها مبلية على ملح ، فلما كان من الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء فهلك . ثم إن المنصور خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقدم عليه ابنه المهدي ، وكان يجلسه فوق عيسى بن موسى عن يمينه ، ثم كان لا يلتفت إلى عيسى بن موسى ويهينه في الأذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده ، ثم ما زال يقصيه ويمدده ويتوعده حتى خلع نفسه بنفسه ، وبايع لمحمد بن منصور وأعطاه المنصور على ذلك نحواً من اثني عشر ألف ألف درهم ، وانصلح أمر عيسى بن موسى وبليه عند

المنصور ، وأقبل عليه بعدما كان قد أعرض عنه . وكان قد جرت بينهما قبل ذلك مكاتبات في ذلك كثيرة جداً ، ومراودات في تمهيد البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه ، وأن العامة لا يستدلون بالمهدي أحداً . وكذلك الأمراء والخواص . ولم يزل به حتى أجاب إلى ذلك مكرهاً ، فوضعه عن ذلك ما ذكرنا ، وسارت بيعة المهدي في الآفاق شرقاً وغرباً ، وبعداً وقرباً ، وفرح المنصور بذلك فرحاً شديداً ، واستقرت الخلافة في ذريته إلى زماننا هذا ، فلم يكن خليفة من بني العباس إلا من سلالة [ذلك تقدير العزيز العليم] .

وفيهما توفى عبيد الله بن عمر العمري ، وهاشم بن هاشم ، وهشام بن حسان صاحب الحسن البصري .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

فيها بمث المنصور حميد بن قحطبة لغزو الترك الذين عاثوا في السنة الماضية ببلاد تفليس ، فلم يجد منهم أحداً فانهم انشروا إلى بلادهم . وحج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر ، ونواب البلاد فيها هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفى جعفر بن محمد الصادق المنسوب إليه كتاب اختلاج الأعضاء وهو مكذوب عليه . وفيها توفى سليمان بن مهران الأعشى أحد مشايخ الحديث في ربيع الأول منها وعمر بن الحارث ، والعوام بن حوشب ، والزيدي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى . ومحمد بن مجلان .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

فيها فرغ من بناء سور بغداد وخذلها . وفيها غزا الصائفة العباس بن محمد فدخل بلاد الروم ومعه الحسين بن قحطبة ومحمد بن الأشعث . ومات محمد بن الأشعث في الطريق . وفيها حج بالناس محمد بن إبراهيم بن علي وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضاً عن عمه عبد الصمد بن علي . وعمال الأمصار فيها هم الذين كانوا في السنة قبلها . وفيها توفى زكريا بن أبي زائدة ، وكهمس بن الحسن ، والمثنى بن الصباح . وعيسى بن عمر أبو عمرو والتقي البصري النحوي شيخ سيديوه . يقال إنه من موالى خالد بن الوليد ، وإنما نزل في تقيف فنسب إليهم . كان إماماً كبيراً جليلاً في اللغة والنحو والقراءة ، أخذ ذلك عن عبيد الله بن كثير وابن الخيص . وعبد الله بن أبي إسحاق ، وسمع الحسن البصري وغيرهم . وعنه الخليل بن أحمد والأصمعي وسيديوه . ولزمه وعرف به وانتفع به ، وأخذ كتابه الذي سماه بالجامع فزاد عليه وبعده ، فهو كتاب سيديوه اليوم ، وإنما هو كتاب شيخه ، وكان سيديوه يسأل شيخه الخليل بن أحمد عما أشكل عليه فيه ، فسأله الخليل أيضاً عما صنف عيسى بن عمر فقال : جمع بضعاً وسبعين كتاباً ذهبت كلها إلا كتاب الأكل ،

وهو بأرض فارس . وهو الذى أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه ، فاطرق الخليل ساعة ثم أنشد :
 ذهب النحورُ جميعاً . كله * غير ما أحدث عيسى بن عمر
 ذاك إكمالاً وهذا جامع * وهما للناس شمس وقر
 ، قد كان عيسى يفرح ويتقعر في عبارته جيداً . وقد حكى الجوهري عنه في الصحاح أنه سقط يوماً
 عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال : مالكم تكلموا كأنهم على تكلم كؤم على ذى مرة ؟ افرقوا عني .
 منهم : مالكم تجمعتم على تجمعكم على مجنون ؟ انكشفوا عني . وقال غيره : كان به ضيق النفس
 فسقط بسببه فاعتقد الناس أنه مصروع . فجعلوا يعودونه ويقرؤن عليه ، فلما أفاق من غشيته قال ،
 ما قال . فقال بعضهم : إلى حسبته - يتكلم بالفارسية - وذكر ابن خلدكان أنه كان صاحباً لأبي
 عمرو بن العلاء ، وأن عيسى بن عمرو قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء : أنا أفصح من معد بن عدنان .
 فقال له أبو عمرو كيف تقرأ هذا البيت .

قد كنّ يخبان الوجوه تستراً * فاليوم حين بدأن للنظر
 أو بدين ؟ فقال بدين . فقال أبو عمرو : أخطأت ، ولو قال : بدأن لأخطأ أيضاً . وإنما أراد
 أبو عمرو تغليظه ، وإنما الصواب بدون من بداييد وإذا ظهر ، وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء .
 ثم دخلت سنة خمسين ومائة من الهجرة

فيها خرج رجل من الكفرة يقال له استاذيس في بلاد خراسان فاستحوذ على أكثرها ، والتف
 معه نحو من ثلاثمائة ألف ، وقتلوا من المسلمين هنالك خلقاً كثيراً ، وهزموا الجيوش التي في تلك
 البلاد ، بسبوا خلقاً كثيراً ، وتحكم الفساد بسبهم ، وتفاقم أمرهم ، فوجه المنصور خازم بن خزيمة
 إلى ابنه المهدي ليوليّه حرب تلك البلاد ، ويضم إليه من الأجناد ما يقاوم أولئك . فنهض المهدي
 في ذلك نهضة هاشمية ، وجمع لخازم بن خزيمة الأمرة على تلك البلاد والجيوش ، وبعثه في نحو من
 أربعين ألفاً ، فسار إليهم وما زال يراوغهم وبما كرم ويعمل الخديعة فيهم حتى فاجأهم بالحرب ،
 واجههم بالطنم والضرب ، فقتل منهم نحواً من سبعين ألفاً ، وأسر منهم أربعة عشر ألفاً ،
 وهرب ملكهم استاذيس فتحرز في جبل ، لجأ خازم إلى تحت الجبل وقتل أولئك الأسرى
 كلهم ، ولم يزل يحاصره حتى نزل على حكم بعض الأمراء ، فحكم أن يقيّد بالحديد هو وأهل بيته ،
 وأن يمتق من معه من الأجناد - وكانوا ثلاثين ألفاً - ففعل خازم ذلك كله وأطلق لكل واحد من
 كان مع استاذيس ثوبين ، وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي ، فكتب المهدي بذلك إلى أبيه
 المنصور . وفيها عزل الخليفة عن إمرة المدينة جعفر بن سليمان وولاه الحسن بن زيد بن الحسن
 ابن الحسن بن علي بن أبي طالب . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن علي عم الخليفة . وتوفي فيها

جعفر ابن أمير المؤمنين المنصور ودفن أولاً بمقابر بني هاشم من بغداد ، ثم نقل منها إلى موضع آخر .
وفيهما توفي عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أحد أئمة أهل الحجاز ، ويقال إنه أول من جمع
السنن . وعثمان بن الاسود ، وعمر بن محمد بن زيد . وفيها توفي الامام أبو حنيفة .

ذكر ترجمته

هو الامام أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي ، فقيه العراق ، وأحد أئمة
الاسلام ، والسادة الأعلام ، وأحد أركان العلماء ، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة ،
وهو أقدمهم وفاة ، لأنه أدرك عصر الصحابة ، ورأى أنس بن مالك ، قتل وغيره . وذكر بعضهم
أنه روى عن سبعة من الصحابة فأنه أعلم .

وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحامد بن أبي سليمان ، وسلمة بن كهيل ، وعاصم
الشعبي ، وعكرمة ، وعطاء ، وقتادة ، والزهرى ، ونافع ، ولى ابن عمر ، ويحيى بن سعيد الأنصارى
وأبو إسحاق السبيعي . وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان ، وإسحاق بن يوسف
الأزرق ، وأسد بن عمرو القاضى ، والحسن بن زياد اللؤلؤى ، وحزرة الزيات ، وداود الطائى ، وزفر ،
وعبد الرزاق ، وأبو نعيم ، ومحمد بن الحسن الشيبانى ، وهشيم ، ووكيع ، وأبو يوسف القاضى . قال
يحيى بن معين : كان ثقة ، وكان من أهل الصدق ولم ينسهم بالكذب ، ولقد ضربه ابن هبيرة على
القضاء فأبى أن يكون قاضياً . وقد كان يحيى بن سعيد يختار قوله فى الفتوى ، وكان يحيى يقول :
لا نكذب الله ، أما سمعنا أحسن من رأى أبى حنيفة ، وقد أخذنا بأكثر أقواله . وقال عبد الله بن
المبارك : لولا أن الله أعاننى بأبى حنيفة وسفيان الثورى لكنت كسائر الناس . وقال فى الشافعى :
رأيت رجلاً لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته : وقال الشافعى : من أراد الفقه فهو
عيال على أبى حنيفة ، ومن أراد السير فهو عيال على محمد بن إسحاق ، ومن أراد الحديث فهو
عيال على مالك ، ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان . وقال عبد الله بن داود الحربى :
يلبى الناس أن يدعوا فى صلاتهم لأبى حنيفة ، لحفظه الفقه والسنن عليهم . وقال سفيان الثورى
وابن المبارك : كان أبو حنيفة أفتى أهل الأرض فى زمانه . وقال أبو نعيم : كان صاحب غوص فى
المسائل . وقال مكى بن إبراهيم : كان أعلم أهل الأرض . وروى الخطيب بسنده عن أسد بن عمرو
أن أباه حنيفة كان يصلى بالليل ويقرأ القرآن فى كل ليلة ، ويبكى حتى يرجمه جيرانه . ومكث أربعين
سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء ، وختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعين ألفاً مرة ، وكانت
وفاته فى رجب من هذه السنة - أعنى سنة خمس مائة - وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين .
وقال غيره : سنة ثلاث وخمسين . والصحيح الأول .

وكان مولده في سنة ثمانين قتم له من العمر سبعون سنة ، وولى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام ، وقبره هناك رحمه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

فيها عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وولى عليها هشام بن عمرو التغلبي ، وكان سبب عزله عنها أن محمد بن عبد الله بن حسن لما ظهر بمث ابنه عبد الله الملقب بالأشتر ومعه جماعة بهدية وخيول هتاق إلى عمر بن حفص هذا إلى السند فقبلها ، فدعوه إلى دعوة أبيه محمد بن عبد الله بن حسن في السرفأجابهم إلى ذلك ولبسوا البياض . ولما جاء خبر مقتل محمد بن عبد الله بالمدينة سقط في أيديهم وأخذوا في الاعتذار إلى عبد الله بن محمد ، فقال له عبد الله : إني أخشى على نفسي . فقال : إني سأبعثك إلى ملك من المشركين في جوار أرضنا ، وإنه من أشد الناس تغلباً لرسول الله (ص) ، وإنه متى عرفك أنك من سلالة أحبك . فأجابه إلى ذلك ، وسار عبد الله ابن محمد إلى ذلك الملك وكان عنده آمناء ، وصار عبد الله يركب في موكب من الزيدية ويتصيد في جحفل من الجنود ، وانضم إليه خلق وقدم عليه طوائف من الزيدية .

وأما المنصور فانه بمث يعتب على عمر بن حفص نائب السند ، فقال رجل من الأمراء ابغضني إليه واجعل القضية مسندة إلى ، فإني سأعتذر إليه من ذلك ، فان سلمت وإلا كنت فداءك وفداء من عندك من الأمراء . فأرسله سفيراً في القضية إلى المنصور ، فلما وقف بين يدي المنصور أمر بضرب عنقه ، وكتب إلى عمر بن حفص بمنزله عن السند وولاه بلاد إفريقية عوضاً عن أميرها ، ولما وجه المنصور هشام بن عمرو إلى السند أمره أن يجتهد في تحصيل عبد الله بن محمد ، فجعل يتوآى في ذلك ، فبعث إليه المنصور يستحثه في ذلك ، ثم اتفق الحال أن سيفاً أخا هشام بن عمرو لقي عبد الله بن محمد في بعض الأماكن فقتلوا قتل عبد الله وأصحابه جميعاً واشتبه عليهم مكانه في القتلى فلم يقدروا عليه . فكتب هشام بن عمرو إلى المنصور يعلمه بقتله ، فبعث يشكره على ذلك ويأمره بقتال الملك الذي آواه ، ويعلمه أن عبد الله كان قد تسرى بحاركة هنالك وأولدها ولماً أسماه محمدآ ، فاذا ظفرت بالملك فاحتفظ بالسلام فنهض هشام بن عمرو إلى ذلك الملك فقاتله فقتله وقبره على بلاده وأمواله وحواسله ، وبعث بالفتح والأخماس وبذلك الغلام والملك إلى المنصور ، وفرح المنصور بذلك وبعث بذلك السلام إلى المدينة ، وكتب المنصور إلى نائبها يعلمه بصحة نسبه ، ويأمره أن يلحقه بأهله يكون عندهم لثلاً يضيغ نسبه ، فهو الذي يقال له أبو الحسن بن الأشتر . وفي هذه السنة قدم المهدي بن المنصور على أبيه من خراسان فلقاه أبوه والأمراء والأكابر

إلى أثناء الطريق ، وقدم بعد ذلك نواب البلاد والشام وغيرها للسلام عليه وتمنئته بالسلامة والنصر .
وحل إليه من الهدايا والتحف ما لا يحصى ولا يوصف .

بناء الرصافة

قال ابن جرير : وفي هذه السنة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي بعد مقدمه من خراسان ، وهي في الجانب الشرق من بغداد ، وجعل لها سوراً وخندقاً ، وعمل عندها ميداناً وبستاناً ، وأجرى إليها الماء من نهر المهدي . قال ابن جرير :

وفيها جدد المنصور البيعة لنفسه ثم لولده المهدي من بعده ، ولعيسى بن موسى من بعدهما ، وجاء الأمراء والخواص فبايعوا وجعلوا يقبلون يد المنصور ويد ابنه ويلبسون يد عيسى بن موسى ولا يقبلونها . قال الواقدي : وولى المنصور معن بن زائدة سجستان .

وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي ، وهو نائب مكة والطائف ، وعلى المدينة الحسن بن زيد ، وعلى الكوفة محمد بن سليمان ، وعلى البصرة جابر بن زيد الكلبي ، وعلى مصر يزيد بن حاتم . ونائب خراسان حميد بن قحطبة ، ونائب سجستان معن بن زائدة . وغزا الصائفة فيها عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد .

وفيها توفي حنظلة بن أبي سفيان ، وعبد الله بن عون ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علماً يتسدى به ، ونفراً يستجلى به ، والناس كلهم عيال عليه في ذلك ، كما قال الشافعي وغيره من الأئمة .

ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة

فيها عزل المنصور عن إمارة مصر يزيد بن حاتم وولاه محمد بن سعيد ، وبعث إلى نائب إفريقية وكان قد بلغه أنه عصى وخالف ، فلما جرى به أمر بضرب عنقه . وعزل عن البصرة جابر ابن زيد الكلبي وولاه يزيد بن منصور . وفيها قتلت الخوارج معن بن زائدة بسجستان . وفيها توفي عباد بن منصور ، وبولس بن يزيد الأيلي .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسون ومائة

وفيها غضب المنصور على كاتبه أبي أيوب المورياني وسجنه وسجن أخاه خالداً وبنى أخيه الأربعة سعبداً ومسموداً ومخلداً ومحمدآ ، وطالبهم بالأموال الكثيرة . وكان سبب ذلك ما ذكره ابن عساكر في ترجمة أبي جعفر المنصور ، وهو أنه كان في زمن شببته قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له ولا معه شيء ، فأجر نفسه من بعض الملاحين حتى اكتسب شيئاً تزوج به امرأة ، ثم جعل يدها ويمنيها أنه من بيت سيصور الملك إليهم سريراً ، فاتفق حبيلها منه ، ثم طلبه بنو أمية فهرب عنها

وتركها حاملا ، ووضع عندها رقعة فيها نسبته ، وأنه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمرها إذا بلغها أمره أن تأتيه ، وإذا ولدت غلاما أن تسميه جعفرا . فولدت غلاما فسمته جعفرا . ونشأ الغلام فتعلم الكتابة وغوى العربية والأدب ، وأتقن ذلك إتقاناً جيداً ، ثم آل الأمر إلى بني الهباس ، فسألت عن السفاح فاذا هو ليس صاحبها ، ثم قام المنصور وصار الولد إلى بغداد فاختلط بكتاب الرسائل فأعجب به أبو أيوب المورياني صاحب ديوان الانشاء للمنصور ، وحظي عنده وفداه على غيره ، فاتفق حصوره معه بين يدي الخليفة فجعل الخليفة يلاحظه ، ثم بعث يوماً الخادم ليأتيه بكتاب فدخل ومعه ذلك الغلام ، فكتب بين يدي المنصور كتاباً وجعل الخليفة ينظر إليه ويتأمله ، ثم سأله عن اسمه فأخبره أنه جعفر ، فقال : ابن من ؟ فسكت الغلام ، فقال : مالك لا تتكلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إن من خبري كيت وكيت ، فتغير وجه الخليفة ثم سأله عن أمه فأخبره ، وسأله عن أحوال بلد الموصل فجعل يخبره والغلام يتعجب . ثم قام إليه الخليفة فاحتضنه وقال : أنت ابني . ثم بعثه بمقدنين ومال جزيل وكتاب إلى أمه يعلمها بحقيقة الأمر وحال الولد . وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة فأمر ذلك ثم جاء إلى أبي أيوب فقال : ما بطأ بك عند الخليفة ؟ فقال : إنه استكنبني في رسائل كثيرة ، ثم تقاولا ، ثم فارقه السلام مضطرباً ونهض من فوره فاستأجر إلى الموصل ليعلم أمه ويحملها وأهلها إلى بغداد ، إلى أبيه الخليفة . فسار مراحل ، ثم سأل عنه أبو أيوب فقيل سافر فظن أبو أيوب أنه قد أفشى شيئاً من أسرارهِ إلى الخليفة وفر منه ، فبعث في طلبه رسولا وقال : حيث وجدته فردّه على . فسار الرسول في طلبه فوجده في بعض المنازل نفقته وألقاه في بئر وأخذ ما كان معه فرجع به إلى أبي أيوب . فلما وقف أبو أيوب على الكتاب أسقط في يده وندم على بعثه خلفه . وانتظر الخليفة عود ولده إليه واستبسطه وكشف عن خبره فاذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله . فحينئذ استحضر أبا أيوب وألزمه بأموال عظيمة ، وما زال في العقوبة حتى أخذ جميع أمواله وحواسله ثم قتله ، وجعل يقول : هذا قتل حبيبي . وكان المنصور كلما ذكر ولده حزن عليه حزناً شديداً .

وفيهما خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاذ إفريقية . فاجتمع منهم ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً ، ما بين فارس وراجل ، وعليهم أبو حاتم الانماطي ، وأبو عباد . وانضم إليهم أبو قرة الصفرى في أربعين ألفاً ، فقاتلوا نائب إفريقية فهزموا جيشه وقتلوه ، وهو عمر بن عثمان بن أبي صدة الذي كان نائب السند كما تقدم ، قتله هؤلاء الخوارج رحمة الله . وأكثر الخوارج الفساد في البلاد ، وقتلوا الحريم والأولاد . وفيها ألزم المنصور الناس بلبس قلانس سود طوال جيداً ، حتى كانوا يسمنون على رفهما من داخلها بالقضيب ، فقال أبو دلالة الشاعر في ذلك :

وكنا نرجى من إمام زيادة * فزاد الامام المرتضى في القلائس
تراها على هام الرجال كأنها * دنانير يهودي جللت بالبرانس
وفيها غزا الصائفة معيوت بن يحيى الحجورى فأسر خلقاً كثيراً من الروم يذيفه على سنة
آلاف أسير ، وغنم أموالاً جزيلة ، وحج بالناس المهدي بن المنصور [وهو ولي العهد الملقب بالمهدي .
وكان على نيابة مكة والطائف محمد بن إبراهيم ، وعلى المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن
سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور ، وعلى مصر محمد بن سعيد . وذكر الواقدي أن يزيد بن
منصور كان ولاد المنصور في هذه السنة الهجرية . ^(١) فاعلم
وفيها توفي أبان بن صمعة ، وأسامة بن زيد الليثي ، وثور بن يزيد الحمصي ، والحسن بن عمار ،
وقطر بن خليفة ، وممر وهشام بن الغازي والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة

فيها دخل المنصور بلاد الشام وزار بيت المقدس وجيز يزيد بن حاتم في خمسين ألفاً وولاد بلاد
إفريقية ، وأمره بقتال الخوارج ، وأنفق على هذا الجيش نحواً من ثلاث وستين ألف درهم ، وغزا
الصائفة زفر بن حاصم الهلالي . وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم . وثواب البلاد والأقاليم
الذكورية في التي قبلها ، سوى البصرة فعليها عبد الملك بن أيوب بن غلبان . وفيها توفي أبو
أيوب الكاتب وأخوه خالد ، وأمر المنصور ببنى أخيه أن تقطع أيديهم وأرجلهم ثم تضرب بهد
ذلك أعناقهم ففعل ذلك بهم . وفيها توفي :

أشعب الطامع

وهو أشعب بن جبير أبو العلاء ، ويقال أبو إسحاق المديني ، ويقال له أبو حميدة . وكان أبوه
مولي لآل الزبير ، قتله المختار ، وهو خال الواقدي . روى عن عبد الله بن جعفر د أن رسول الله
«س» كان يتختم في العيين ، وأبان بن عثمان ، وسالم وعكرمة ، وكان ظريفاً ماجناً يحبه أهل زمانه
لخلعته وطمعه ، وكان حميد الغناء ، وقد وفد على الوليد بن يزيد دمشق ففرجه ابن عساکر ترجمة
ذكر عنه فيها أشياء مضحكة ، وأسند عنه حديثين . وروى عنه أنه سئل يوماً أن يحدث فقال :
حدثني عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله «س» قال : « خصلتان من عمل بهما دخل الجنة » ثم
سكت فقيل له : وما هما ؟ فقال : لشي عكرمة الواحدة ونسيت أنا الأخرى . وكان سالم بن عبد الله
ابن ممر يستغفه ويستحليه ويضحك منه يأخذه معه إلى الغابة ، وكذلك كان غيره من أكابر
الناس . وقال الشافعي : عبت الولدان يوماً بأشعب فقال لهم : إن ههنا أناساً يفرقون الجوز - ليطردم

عنه - ففسارح الصبياني إلى ذلك ، فلما رآهم مسرعين قال : لعله حق فنبههم . وقال له رجل : ما بلغ من طمعك ؟ فقال : ما زلت عروس بالمدينة إلا رجوت أن تزف إلى فأكسح داري وأنظف باي رأكس بتي . واجتاز يوماً برجل يصنع طبقاً من قش فقال له : زد فيه طورا أو طورين لعله أن يهدي يوماً لنافسه هدية . وروى ابن عساكر أن أشعب غنى يوماً لاسلم بن عبد الله بن عمر قول بعض الشعراء :

مضين بها والبدر يشبه وجهها * مطهرة الأنواب والدين وافر
لها حسب ذلك وعرض مهذب * وعن كل مكروه من الأمر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ربيته * ولم يستملها عن ثقي الله شاعر
فقال له سالم : أحسنت فزدنا . فغناه :

ألمت بنا والليل داج كأنه * جناح غراب عنه قد نفخ القطر
فقلت أعتار ثوى في رحالنا * وما علمت ليلى سوى ريمها عطر

فقال له : أحسنت ولولا أن يتحدث الناس لأجزأت لك الجائزة ، وإليك من الأمر لمكان . وفيها توفي جعفر بن برقان ، والحكم بن أبان ، وعبد الرحمن بن زيد بن جابر ، وقرّة بن خالد ، وأبو عمرو بن الملاء أحد أئمة القراء ، واسمه كنيته ، وقيل اسمه ريان والصحيح الأول .

وهو أبو عمرو بن الملاء بن عمار بن المريان بن عبد الله بن الحصين النيمي المازني البصري ، وقيل غير ذلك في نسبه ، كان علامة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات ، وكان من كبار العلماء العاملين ، يقال إنه كتب ملء بيت من كلام العرب ، ثم تزهّد فأحرق ذلك كله ، ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلا ما كان يحفظه من كلام العرب ، وكان قد لقي خلقاً كثيراً من أعراب الجاهلية ، كان مقدماً أيام الحسن البصري ومن بعده . ومن اختياراته في الترمذية قوله في تفسيره الفرقة في الجنين : إنها لا يقبل فيها إلا أبيض غلاماً كان أو جارية . فهم ذلك من قوله عليه السلام : « غرة عبد أو أمة » ولو أراد أي عبد كان أو جارية لما قيدته بالفرقة ، وإنما الفرقة البياض . قال ابن خلكان : وهذا غريب ولا أعلم هل بواقعه قول أحد من الأئمة المجتهدين أم لا . وذكر عنه أنه كان إذا دخل شهر رمضان لا يفشد بيتاً من الشعر حتى يسلخ ، وإنما كان يقرأ القرآن وأنه كان يشتري له كل يوم كوزاً جديداً وريحاً طرياً ، وقد صحبه الأصمعي نحواً من عشرين سنة .

كانت وفاته في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وخمسين . وقيل تسع وخمسين فأنه أعلم . وقد قال ب التسمين ، وقيل إنه جاوزها فأنه أعلم ، وقبره بالشام وقيل بالكوفة فأنه أعلم .

وقد روى ابن عساكر في ترجمة صالح بن حلى بن عبد الله بن العباس عن أبيه عن جده عبد الله

ابن عباس مرفوعاً « لأن برئ أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جبر و كلب خير له من أن يربى ولداً لصنبيه ». وهذا منكر جداً وفي إسناده نظر . ذكره من طريق تمام عن خزيمة بن سليمان عن محمد بن عوف الجصبي عن أبي المغيرة عبد الله بن السمط عن صالح به ، وعبد الله بن السمط هذا لأعرufe ، وقد ذكره شيخنا الحافظ الذهبي في كتابه الميزان وقال : روى عن صالح بن علي حديثاً موضوعاً .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

ففيها دخل يزيد بن حاتم بلاد إفريقية فافتتحها عوداً على بدء ، وقتل من كان فيها من تغلب عليها من الخوارج ، وقتل أمراءهم وأسرى كبرائهم وأذل أنصارهم واستبدل أهل تلك البلاد بالخوفاً أمناً وسلاماً ، وبالأهانة كرامة ، وكان من جملة من قتل من أمرائهم أبو حاتم وأبو عباد الخارجيين . ثم لما استقامت له وبه الأمور في البلدان دخل بعد ذلك بلاد القيروان فهدمها وأقر أهلها وقرر أمورها وأزال محنورها والله سبحانه أعلم .

نبأ الرافقة وهي المدينة المشهورة

وفيها أمر المنصور ببناء الرافقة على منوال بناء بغداد في هذه السنة ، وأمر فيها ببناء سور وحمل خندق حول الكوفة ، وأخذ ما غرم على ذلك من أموال أهلها ، من كل إنسان من أهل البصرة أربعين درهما . وقد فرضها أولاً خمسة دراهم ، خمسة دراهم ، ثم جباها أربعين أربعين ، فقال في ذلك بعضهم يا لقوى ما رأينا * في أمير المؤمنين * قسم الخسة فينا * وجباها أربعين وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلي . وفيها طلب ملك الروم الصلح من المنصور على أن يحصل إليه الجزية . وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه أموالاً كثيرة . وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي عن إمرة الكوفة ، فقبل لأمر بلفته عنه في تعاطي منكرات ، وأمر لاتليق بالعلم ، وقيل لقتله محمد بن أبي العوجاء . وقد كان ابن أبي العوجاء هذا زنديقاً . يقال إنه لما أمر بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع أربعة آلاف حديث يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ، ويصوم الناس يوم الفطر ويفطرون في أيام الصيام ، فأراد المنصور أن يجعل قتله ذنباً فعزله به ، وإنما أراد أن يقيد منه ، فقال له عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين لا تعزله بهذا ولا تقتله به ، فإنه إنما قتله على الزندقة ، ومتى عزلته به شكره العامة وذنوبك ، فتركه حينئذ ثم عزله وولى مكانه على الكوفة عمرو بن زهير . وفيها عزل عن المدينة الحسن بن زيد وولى عليها عمه عبد الصمد بن علي ، وجعل معه قليح بن سليمان مشرفاً عليه . وعلى إمرة مكة محمد بن إبراهيم بن محمد ، وعلى البصرة الهيثم بن ، ماوية ، وعلى مصر محمد بن سعيد ، وعلى إفريقية يزيد بن حاتم . وفيها توفي صفوان

ابن عمرو وعثمان بن أبي العاتكة الدمشقيان ، وعثمان بن عطاء ، ومسر بن كدام .

حماد الراوية

وهو ابن أبي ليلى ميسرة - ويقال سبانور - بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي ، مولى بكير ابن زيد الخليل الطائي ، كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتنا ، وهو الذي جمع السمع المملقات الطوال ، وإنما سمي الراوية لكثرة روايته الشعر عن العرب ، اختبره الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين في ذلك فأنشده تسماً وعشرين قصيدة على حروف المعجم ، كل قصيدة نحواً من مائة بيت ، وزعم أنه لا يسمى شاعر من شعراء العرب إلا أنشده له ما لا يحفظه غيره . فأطلق له مائة ألف درهم . وذكر أبو محمد الحريري في كتابه درة القواص ، أن هشام بن عبد الملك استدعاه من العراق من نائبه يوسف بن عمر ، فلما دخل عليه إذا هو في دار قوراء مرخمة بالرخام والذهب ، وإذا عنده جاريتان حسنتان جداً ، فاستنشد شيتاً فأنشده ، فقال له : سل حاجتك : فقال : كائنة ما كانت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : وما هي ؟ فقال تطلق لي إحدى هاتين الجاريتين . فقال : هما وما عليهما لك ، وأخلاه في بعض داره وأطلق له مائة ألف درهم . هذا ملخص الحكاية ، والظاهر أن هذا الخليفة إنما هو الوليد بن يزيد ، فإنه ذكر أنه شرب معه الخمر ، وهشام لم يكن يشرب . ولم يكن نائبه على العراق يوسف بن عمر ، إنما كان نائبه خالد بن عبيد الله القسري ، وبسده يوسف بن عمر بن عبد العزيز . كانت وفاة حماد في هذه السنة عن ستين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه أدرك أول خلافة المهدي في سنة ثمان وخمسين فأنشده .

وفيها قتل حماد مجرد على الزندقة . وهو حماد بن عمر بن يوسف بن كليب الكوفي ، ويقال إنه واسطي ، مولى بني سواد ، وكان شاعراً ماجناً ظريفاً زنديقاً متهماً على الاسلام ، وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في أيام بني العباس ، وكان يدينه وبين إشار بن برد مهاجرة كثيرة ، وقد قتل بإشار هذا على الزندقة أيضاً كما سيأتي ، ودفن مع حماد هذا في قبره ، وقيل إن حماداً مجرد مات سنة ثمان وخمسين ، وقيل إحدى وستين ومائة فأنشده .

ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

فيها ظفر الهيثم بن معاوية نائب المنصور على البصرة ، بعمر بن شداد الذي كان عاملاً لابراهيم ابن محمد على فارس . فقتل أسر قطعت يداؤه وجلاه وضربت عنقه ثم صلب . وفيها عزل المنصور الهيثم بن معاوية هذا الذي فعل هذه الفعلة عن البصرة وولى عليها قاضياً سوار بن عبد الله ، فجمع له بين القضاء والصلاة ، وجعل على شرطتها وأحداثها سعيد بن دعلج ، ورجع الهيثم بن معاوية قاتل عمرو بن شداد إلى بغداد فمات فيها فجأة في هذه السنة ، وهو على بطن جارية له ، وصلى عليه

المنصور ودفن في مقابر بني هاشم ، ويقال إنه أصابته دعوة عمر بن شداد الذي قتله تلك القتلة ، فليتنق العبدُ الظلم .

وحج بالناس العباس بن محمد أخو المنصور ، ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وعلى فارس والأهواز وكور دجلة عمارة بن حمزة ، وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو . وفيها توفي حمزة الزيات في قول . وهو أحد القراء المشهورين والعباد المذكورين ، وإليه تنسب المدود الطويلة في القراءة اصطلاحاً من عنده ، وقد تكلم فيه بسببها بعض الأئمة وأنكروها عليه . وسعيد بن أبي عروبة ، وهو أول من جمع السنن في قول ، وعبد الله بن شاذب ، وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي ، وعمر بن ذر . ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

فيما بنى المنصور قصره المسمى بالخلد في بغداد ، تفاؤلاً بالتخليد في الدنيا ، فعند كاله مات وخرب القصر من بعده ، وكان المستعش في عمارته أمان بن صدقة ، والربيع مولى المنصور وهو حاجبه . وفيها حول المنصور الأسواق من قرب دار الامارة إلى باب الكرخ . وقد ذكرنا فيما تقدم سبب ذلك . وفيها أمر بتوسعة الطرقات . وفيها أمر بعمل جسر عند باب الشمير . وفيها استعرض المنصور جنده وهم ملبسون السلاح وهو أيضاً لا لبس سلاحاً عظيم ، وكان ذلك عند دجلة . وفيها عزل عن السند هشام بن عمرو مولى عليها سعيد بن الخليل . وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلي فأوغل في بلاد الروم ، وبث سناتنا مولى البطال مقدمة بين يديه ففتح حصونا وسبي وغنم . وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي . ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفيها توفي الحسين بن واقد ، والامام الجليل علامة الوقت أبو عمرو وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام وإمامهم . وقد بقى أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحواً من مائتين وعشرين سنة . شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله

هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو الأوزاعي . والأوزاع بطن من حمير وهم من أنفسهم ، قاله محمد بن سعد . وقال غيره : لم يكن من أنفسهم وإنما نزل في محلة الأوزاع ، وهي قرية خارج باب الفراديس من قرى دمشق ، وهو ابن عم يحيى بن عمرو الشيباني . قال أبو زرعة : وأصل من سى السند فنزل الأوزاع فقلب عليه النسبة إليها . وقال غيره : ولد ببعلبك ولشأ بالبقيع يتما في حجر أمه ، وكانت تلتقل به من بلد إلى بلد ، وتأدب بنفسه ، فلم يكن في أبناء الملوك وانحفاً ، والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أروع ولا أعلم ، ولا أفصح ولا أوفر ولا أحلم ، ولا أكثر صدقاً منه ، ما تكلم بكلمة إلا كان المتنعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه ، من حسناتها ،

وكان يمازى الرسائل والكنابة ، وقد اكتب مرة في بحث إلى الإمامة فسمع الحديث من يحيى بن
 أن كثير واقطع إليه فأرشدته إلى الرحلة إلى البصرة ليرى من الحسن وابن سيرين . فصار إليها
 فوجد الحسن قد توفي من شهرين ووجد ابن سيرين مريضاً ، فجعل يتردد لمباده ، فقوى المرض
 به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئاً . ثم جاء فنزل دمشق بمحلة الأوزاعي خارج باب الفراديس ،
 وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام . وقد
 أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين ، كمالك بن أنس والثوري
 والزهرى ، وهو من شيوخه . وأثنى عليه غير واحد من الأئمة ، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته .
 قال مالك : كان الأوزاعي إماماً يقتدى به . وقال سفیان بن عيينة وغيره : كان الأوزاعي إمام
 أهل زمانه ، وقد حج مرة فدخل مكة وسفیان الثوري أخذ بزمام جملة ، ومالك بن أنس يسوق به ،
 والثوري يقول : انصموا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه . وقد
 تذاكر مالك والأوزاعي مرة بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ، ومن العصر حتى صليا المغرب ،
 فغمره الأوزاعي في المغازي ، وغمره مالك في الفقه . أو في شيء من الفقه . وتناظر الأوزاعي
 والثوري في مسجد الخيف في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه . فاحتج الأوزاعي على الرفع
 في ذلك بما رواه عن الزهرى عن سالم عن أبيه « أن رسول الله (ص) كان يرفع يديه في الركوع
 والرفع منه » . واحتج الثوري على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد : فغضب الأوزاعي وقال :
 تعارض حديث الزهرى بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف ؟ فاجار وجه الثوري ، فقال
 الأوزاعي : لعلك كرهت ما قلت ؟ قال : نعم . قال : فم بنا حتى نلتعن عند الركن أيضا على الحق .
 فسكت الثوري . وقال هقل بن زياد : أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة بحدثننا . وأخبرنا . وقال
 أبو زرعة : روى عنه ستون ألف مسألة . وقال غيرهما : أفتى في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذ
 ذاك خمس وعشرون سنة ، ثم لم يزل يفتى حتى مات وعقله زاك . وقال يحيى القطان عن مالك :
 اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت : أيهم أرجح ؟ قال : الأوزاعي . وقال محمد بن
 عجلان : لم أر أحداً أنصح للمسلمين من الأوزاعي . وقال غيره : ما روى الأوزاعي ضاحكاً مقهياً
 قط ، ولقد كان يهبط الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه ، وما رأيته يبكي في مجلسه
 قط وكان إذا خلى بكى حتى يرحم . وقال يحيى بن معين : العلماء أربعة : الثوري ، وأبو حنيفة ،
 ومالك ، والأوزاعي . قال أبو حاتم : كان ثقة متنبهاً لما سمع . قالوا : وكان الأوزاعي لا يلحن في
 كلامه ، وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها ويتمجب من فصاحتها وحلاوة عبارتها .

وقد قال المنصور يوما لأحظى كتابه عنده - وهو سليمان بن بحالد - : ينبغي أن نجيب الأوزاعي على ذلك دائماً ، لنستعين بكلامه فيما نحتاج به إلى الاتِّفاق إلى من لا يعرف كلام الأوزاعي . فقال : والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شيء منه . وقال الوليد ابن مسلم : كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله سبحانه حتى تطلع الشمس ، وكان يأثر عن السلف ذلك . قال : ثم يقومون فينشدون في الفقه والحديث . وقال الأوزاعي : رأيت رب العزة في المنام فقال : أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فقلت : بفضلك أي رب . ثم قلت : يا رب أمتنى على الإسلام . فقال : وعلى السنة . وقال محمد بن شعيب بن شابور : قال لي شيخ بجامع دمشق : أُنميت في يوم كذا وكذا . فلما كان في ذلك اليوم رأيته في صحن الجامع يتفلى ، فقال لي : اذهب إلى سرير الموتى فحرزه لي عندك قبل أن تسبق إليه . فقلت : ما تقول ؟ فقال : هو ما أقول لك ، وإني رأيت كأن قائلًا يقول فلان قد رى ، وفلان كذا وعثمان بن الماتكة نعم الرجل ، وأبو عمرو الأوزاعي خير من يمشي على وجه الأرض ، وأنت ميت في يوم كذا وكذا . قال محمد بن شعيب : فما جاء الظاهر حق مات وصلينا عليه بمدحا وأخرجت جنازته . ذكر ذلك ابن عساکر . وكان الأوزاعي رحمه الله كثير العبادة حسن الصلاة ورعاً ناسكاً طويلاً الصمت ، وكان يقول : من أطال القيام في صلاة الليل هوّن الله عليه طول القيام يوم القيامة ، أخذ ذلك من قوله تعالى [ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ، إن هؤلاء يحبون العاجلة ويغفرون وراءهم يوماً ثقيلاً] وقال الوليد بن مسلم : ما رأيت أحداً أشد اجتهاداً من الأوزاعي في العبادة . وقال غيره : حج فإقام على الراحة ، إنما هو في صلاة ، فإذا نسأستند إلى القتب ، وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى . ودخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصى الذي يصل عليه مبلولا فقالت لها : لعل الصبي بال هبنا . فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده ، هكذا يصبح كل يوم . وقال الأوزاعي : عليك بأمر من سلف وإن رفضك الناس ، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه ، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم . وقال أيضا : اصبر على السنة وقف حيث يقف القوم ، وقل ما قالوا وكف عما كفوا ، وليس لك ما وسعهم . وقال : المسلم ما جاء عن أصحاب محمد ، وما لم يحمى منهم فليس يعلم . وكان يقول : لا يجتمع حب عليّ وعثمان إلا في قلب مؤمن . وإذا أراد الله بقوم شرّاً ففتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والعمل . وكان الأوزاعي من أكرم الناس وأسخامهم ، وكان له في بيت المال على الخلفاء أقطاع صار إليه من بنى أمية وقد وصل إليه من خلفاء بنى أمية وأقاربهم وبنى العباس نحو من سبعين ألف دينار ، فلم يمسك منها شيئاً ، ولا اتقى شيئاً من عقار ولا غيره ، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه ، بل

كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين .

ولما دخل عبد الله بن علي - عم السفاح الذي أجلى بنى أمية عن الشام ، وأزال الله سبحانه دولتهم على يده - دمشق فطلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه . قال الأوزاعي : دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة والمسودة عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مصلطة - والعمد الحديد - فسلمت عليه فلم يرد ونكت بترك الخيزرانة التي في يده ثم قال : يا أوزاعي ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد ؟ أجاباً ورباطاً هو ؟ قال : فقلت : أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله (س) ، يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . قال فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت ، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ، ثم قال : يا أوزاعي ما تقول في دماء بنى أمية ؟ فقلت : قال رسول الله (س) : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدئى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » . فنكت بها أشد من ذلك ثم قال : ما تقول في أموالهم ؟ فقلت : إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً ، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي . فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال : ألا نوليكم القضاء ؟ فقلت : إن أسلافك لم يكونوا يشقون على في ذلك ، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤنى به من الاحسان . فقال : كأنك تحب الانصراف ؟ فقلت : إن ورأى حرماً وهم محتاجون إلى القيام عليهم وسترهم ، وقلوبهم مشغولة بسببي . قال : وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي ، فأمرني بالانصراف . فلما خرجت إذا برسوله من ورأى ، وإذا معه مائتا دينار ، فقال يقول لك الأمير : استنشق هذه . قال : فنصدقت بها ، وإنما أخذتها خوفاً . قال : وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً فيقال إن الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده .

قالوا : ثم رحل الأوزاعي من دمشق فنزل بيروت مرابطاً بأهله وأولاده ، قال الأوزاعي : وأهيجني في بيروت أني مرت بقبورها فإذا امرأة سوداء في القبور فقلت لها : أين العارة ياهنتاه ؟ فنالت : إن أردت العارة فهي هذه - وأشارت إلى القبور - وإن كنت تريد الخراب فأمامك - وأشارت إلى البلد - فعزمت على الإقامة بها . وقال محمد بن كثير : سمعت الأوزاعي يقول : خرجت يوماً إلى الصحراء فإذا رجل جراد وإذا شخص راكب على جراد منها وعليه سلاح الحديد ، وكما قال بيده هكذا إلى جهة مال الجراد مع يده ، وهو يقول : الدنيا باطل باطل باطل ، وما فيها باطل

باطل باطل . وقال الأوزاعي : كان عندنا رجل يخرج يوم الجمعة إلى الصيد ولا ينتظر الجمعة فحسف ببئله فلم يبق منها إلا أذناها ، وخرج الأوزاعي يوما من باب مسجد بيروت وهناك دكان فيه رجل يبيع الناطف وإلى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول : يا بصل أحلى من العسل ، أو قال أحلى من الناطف . فقال الأوزاعي : سبحان الله ! أيعظن هذا أن شيئا من الكذب يباح ؟ فكأن هذا ما يرى في الكذب بأسا .

وقال الواقدي قال الأوزاعي : كنا قبل اليوم نضعف ونذهب ، أما إذ صرنا أئمة يقتدى بنا فلا نرى أن يسعنا ذلك ، وينبغي أن نتحفظ . وكتب إلى أخ له : أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب ، وإنه يسار بك في كل يوم وليلة ، فاحذر الله والقيام بين يديه ، وأن يكون آخر العهد بك والسلام .
وقال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إدريس سمعت أبا صالح - كاتب الليث - يذكر عن الحقل ابن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته : أيها الناس ، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الحرب من نار الله الموقدة ، التي تطلع الأئسدة ، فانكم في دار النواء فيها قليل ، وأنتم عما قليل هتبا راحلون ، خلافت بعد القرون الماضية الذين استقبلوا من الدنيا آتقها وزهرتها ، فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمد أجساماً ، وأعظم أحلاماً ، وأكثر أموالاً وأولاداً ، تغدوا الجبال وجابوا الصخر بالواد ، وتنقلوا في البلاد ، مؤيدين ببطش شديد ، وأجساد كالعماد ، فابقيت الأيام والليالي أن طوت آثارهم ، وأخرت منازلهم وديارهم ، وأنست ذكركم ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا ؟ كانوا بلهو الأمل آمنين ، وعن ميقات يوم موتهم غافلين ، فأبوا ليل قوم ناديين ، ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياناً من عقوبة الله ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين ، وأصبح الباقون المتخلفون يبصرون في نعمة الله وينظرون في آثار نعمته ، وزوال نعمته عن تقدمهم من المالكين ينظرون والله في مساكن خالية خاوية ، قد كانت بالمرح محفوفة ، وبالنعم مرفوفة ، والقلوب إليها مصروفة ، والأعين نحوها ناظرة ، فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم ، وعبرة لمن يخشى . وأصبحتم بعمى في أجل منقوص ودنيا منقوصة ، في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه وخيره وصفوه ، فلم يبق منه إلا جهة شر ، وصباية كدر ، وأهاويل عير ، وعقوبات غير ، وإرسال قتن ، وتنايع زلازل ، ورذالة خلف بهم ظلم الفساد في البر والبحر ، يضيقون الديار ويفلون الأسفار بما يرتكبونه من العار والشار ، فلا تكثرنا أشباها لمن خدعه الأمل ، وغره طول الأجل ، ولبت به الأماني ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من إذاعي بدر ، وإذا نهى انتهى ، وعقل مثواه فهد لنفسه .
وقد اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين دخل الشام وعظله وأحبه المنصور وعظله ، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له ، فلما خرج قال المنصور للربيع

الحاجب : الحقه فاسأله لم كره لبس السواد ؟ ولا تعلمه أنى قلت لك . فسأله الربيع فقال : لأنى لم أرحمنا أحرم فيه ، ولا ميتنا كفن فيه ، ولا عروسا جليت فيه ، فلمذا أكرهه . وقد كان الأوزاعى فى الشام معظما مكرما أمره أعز عندهم من أمر السلطان ، وقد هم به بعض الولاة مرة فقال له أصحابه : دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لتقتلوك . ولما مات جلس على قبره بعض الولاة فقال : رحلك الله ، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذى ولائى - يعنى المنصور - وقال ابن أبى العشرين : ما مات الأوزاعى حتى جلس وحده وسمع شتمه بأذنه .

وقال أبو بكر بن أبى خيشمة : حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى قال : كنت جالسا عند الثورى فجاءه رجل فقال : رأيت كأن ربحانة من المغرب - يعنى قلعت - . قال : إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعى . فكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعى فى ذلك اليوم . وقال أبو مسهر : بلغنا أن سبب موته أن امرأته أغلقت عليه باب حمام فمات فيه ، ولم تكن عامدة ذلك ، فأمرها سميد بن عبد العزيز بتق رقبة . قال : وما خلف ذهب ولا فضة ولا عقاراً ، ولا مناعا إلا ستة وثمانين ، فضلت من عطائه . وكان قد اكتتب فى ديوان الساحل . وقال غيره : كان الذى أغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام ، أغلقه وذهب لحاجة له ثم جاء ففتح الحمام فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة رحمه الله .

قلت : لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطاً ، واختلفوا فى سنه ووفاته ، فروى يعقوب بن سفيان عن سلمة قال قال أحمد : رأيت الأوزاعى وتوفى سنة خمسين ومائة . قال العباس بن الوليد البيرونى : توفى يوم الأحد أول النهار لليلتين بقينا من صفر سنة سبع وخمسين ومائة ، وهو الذى عليه الجمهور وهو الصحيح ، وهو قول أبى مسهر وهشام بن عمار والوليد بن مسلم - فى أصح الروايات عنه - ويحيى بن معين ودحيم وخليفة بن خياط وأبى عبيد وسميد بن عبد العزيز وغير واحد . قال العباس بن الوليد : ولم يبلغ سبعين سنة . وقال غيره : جاوز السبعين ، والصحيح سبع وستون سنة ، لأن ميلاده فى سنة ثمان وثمانين على الصحيح . وقيل إنه ولد سنة ثلاث وسبعين ، وهذا ضميم . وقد رآه بعضهم فى المنام فقال له : دلنى على حمل يقربنى إلى الله . فقال : ما رأيت فى الجنة درجة أعلا من درجة العلماء العاملين ، ثم المحزونين .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

فبها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بالخلد وسكنه أياما يسيرة ثم مات وتركه ، وفيها مات طاغية الروم . وفيها وجه المنصور ابنه المهدى إلى الرقة وأمره بمزل موسى بن كعب عن الموصل ، وأن يولى عليها خالد بن برمك ، وكان ذلك بعد نكتة غريبة اتفقت ليحيى بن خالد ، وذلك أن

المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك ، وألزمه بحمل ثلاثة آلاف ألف ، فضاقت ذرعا بذلك ، ولم يبق له مال ولا حال وعجز عن أكثرها ، وقد أجله ثلاثة أيام ، وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة الأيام وإلا فدمه هدر فجعل يرسل ابنه يحيى إلى أصحابه من الأصماء يستقرض منهم ، فكان منهم من أعطاه مائة ألف ، ومنهم أقل وأكثر . قال يحيى بن خالد : فبينما أنا ذات يوم من تلك الأيام الثلاثة على جسر بغداد ، وأنا مهموم في تحصيل ما طلب منا مما لا طلاقة لنا به ، إذ وثب إلى زاجر من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية ، فقال لي : ابشر ، فلم ألفت إليه ، فتقدم إلى حتى أخذ بلجام فرسى ثم قال لي : أنت مهموم ، ليفرجن الله همك ولتفرغ غدا في هذا الموضع والقواء بين يديك ، فان كان ما قلت لك حقا فلي عليك خمسة آلاف . فقلت : نعم . ولو قال خمسون ألفا لقلت نعم ، لبعد ذلك عندي . وذهبت لشأني ، وقد بقي علينا من الحمل ثلاثمائة ألف فورد الخبر إلى المنصور بانتقاض الموصل وانتشار الأكراد فيها ، فاستشار المنصور الأمراء من يصلح للموصل ؟ فأشار بعضهم بخالد بن برمك ، فقال له المنصور : أو يصلح لذلك بعد ما فعلنا به ؟ فقال : نعم ! وأنا الضامن أنه يصلح لها ، فأمر باحضاره فولاه إياها ووضع عنه بقية ما كان عليه ، وعقد له الأواء ، وولى ابنه يحيى أذر بيجان وخرج الناس في خدمتهما . قال يحيى : فررنا بالجسر فنشأ لي ذلك الزاجر فطالبني بما وعدته به ، فأمرت له به فقبض خمسة آلاف .

وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج فساق الهدى معه ، فلما جاوز الكوفة بمراحل أخذه وجعه الذي مات به وكان عنده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحر وركوبه في المواجر ، وأخذته إسهال وأفرط به ، فقوى مرضه ، ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذى الحجة ، وصلى عليه ودفن بكندا عند ثنية باب المعلاة التي بأعلا مكة ، وكان عمره يومئذ ثلاثا وقيل أربعا وقيل خمسا وستين ، وقيل إنه بلغ ثمانيا وستين سنة والله أعلم . وقد تم الربيع الحجاب موته حتى أخذ البيعة للمهدي من القواد ورؤس بني هاشم ، ثم دفن . وكان الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ، وهو الذي أقام للناس الحج في هذه السنة .

ترجمة المنصور

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم أبو جعفر المنصور . وكان أكبر من أخيه أبي العباس السفاح ، وأمه أم ولد اسمها سلامة . روى عن جده عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتختم في يمينه » أوردته ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم السلي عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به ، يروي له بالخلافة بعد أخيه في ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة ، لأنه ولد في سنة خمس وتسعين

على المشهور في صفر منها بالحكمة من بلاد البلقاء ، وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياماً ، وكان أسمر اللون موفر اللمة خفيف اللحية ، رجب الجبهة ، أفتى الأنف ، أعين كأن عينيه لسانان ناطقان ، يخالطه أبهة الملك ، وتقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في مواضعه ، والعنف في صورته ، والليث في مشيته ، هكذا وصفه بعض من رآه . وقد صح عن ابن عباس أنه قال : « منا السفاح والمنصور » وفي رواية « حتى نسلها إلى عيسى بن مريم » . وقد روى مرفوعاً ولا يصح ولا وقفه أيضاً . وذكر الخطيب أن أمه سلامة قالت : رأيت حين حملت به كأنه خرج مني أسد فزأر وأقفا على يديه ، فلما بقي أسد حتى جاء فسجد له . وقد رأى المنصور في صفره مناماً غريباً كان يقول : ينبغي أن يكتب في ألواح الذهب ، ويعلق في أعناق الصبيان . قال : رأيت كأنى في المسجد الحرام وإذا رسول الله (س) ، في الكعبة والناس مجتمعون حولها ، فخرج من عنده مناد : أين عبد الله ؟ فقام أخى السفاح يتخطى الرجال حتى جاء باب الكعبة فأخذ بيده فأدخله إياها ، فسا لبث أن خرج ومعه لواء أسود . ثم نودي أين عبد الله ؟ فقامت أنا وعمرى عبد الله بن علي نستبق ، فسبقتني إلى باب الكعبة فدخلتها ، فإذا رسول الله (س) ، وأبو بكر وعمر وبلال ، فمعدلى لواء وأوصاني بأمرته وعمرى عمامة كورها ثلاثة وعشرون كوراً ، وقال : « خذها إليك أيها الخلفاء إلى يوم القيامة » . وقد اتفق سجن المنصور في أيام بني أمية فاجتمع به نوبخت المنجم وتوسم فيه الرياسة فقال له : من تكون ؟ فقال : من بني العباس ، فلما عرف منه نسبه وكنيته قال : أنت الخليفة الذي تلى الأرض . فقال له : ويحك ماذا تقول ؟ فقال : هو ما أقول لك ، فضع لي خطك في هذه الرقعة أن تعطيني شيئاً إذا وليت . فكتب له ، فلما ولى أكرمه المنصور وأعطاه وأسلم نوبخت على يديه ، وكان قبل ذلك مجوسياً . ثم كان من أخص أصحاب المنصور . وقد حج المنصور بالناس سنة أربعين ومائة ، وأحرم من الحيرة ، وفي سنة أربع وأربعين ، وفي سنة سبع وأربعين . وفي سنة ثنتين وخمسين ، ثم في هذه السنة التي مات فيها . وبني بندگان والرافقة وقصره الخلد .

قال الربيع بن يونس الحاجب : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . والملوك أربعة معاوية وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك ، وأنا . وقال مالك : قال لي المنصور : من أفضل الناس بعد رسول الله (س) ، ؟ فقلت : أبو بكر . وعمر . فقال : أصبت وذلك رأى أمير المؤمنين . وعن إسماعيل البهرى قال سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفة يقول : أيها الناس ! إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بنو فقيه ورشده ، وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بأذنه ، وقد جعلني الله عليه قفلاً فإن شاء أن يفتحنى لأعطيتكم وقسم أرزاقكم فتحى ، وإذا شاء أن يقفلنى عليه قفلنى . فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي

وهبكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه ، إذ يقول : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً] . أن يوفى للصواب ويسدد للرشاد ويلهم معنى الرأفة بكم والاحسان إليكم ويفتح ليعطيائكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، فانه جميع مجيب .

وقد خطب يوماً فاعترضه رجل وهوى ثني على الله عز وجل ، فقال : يا أمير المؤمنين اذكر من أنت ذا كره ، وأتق الله فيما تأتيه وتذره . فسكت المنصور حتى انتهى كلام الرجل فقال : أعوذ بالله أن أكون من قال الله عز وجل فيه [وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم] أو أن أكون جباراً عصبياً ، أيها الناس ! إن الموعدة علينا نزلت ومن عندنا نبتت . ثم قال للرجل : ما أظنك في مقاتلتك هذه تريد وجه الله ، وإنما أردت أن يقال عنك وعظ أمير المؤمنين ، أيها الناس لا يفرنكم هذا فتفعلوا كفعله ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكملها ، ثم قال لمن هو عنده : أعرض عليه الدنيا فان قبلها فأعطني ، وإن ردها فأعطني ، فما زال به الرجل الذي هو عنده حتى أخذ المال ومال إلى الدنيا فولاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزة حسنة ، وثياب وشارية وهيئة دنيوية ، فقال له الخليفة : ويحك ! لو كنت محققاً صريداً وجه الله بما قلت على رؤس الناس لما قبلت شيئاً مما أرى ، ولكن أردت أن يقال عنك إنك وعظت أمير المؤمنين ، وخرجت عليه ، ثم أمر به فضربت عنقه . وقد قال المنصور لابنه المهدى : إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة . والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العفوة ، وأقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه . وقال أيضاً : يا بني استدم النعمة بالشكر ، والقسدة بالعفو ، والطاعة بالتأليف ، والنصر بالتواضع والرحمة للناس ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله .

وحضر عنده مبارك بن فضالة يوماً وقد أمر برجل أن يضرب عنقه وأحضر النطع والسيوف ، فقال له مبارك : سمعت الحسين يقول قال رسول الله (ص) : « إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقيم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا » فأمر بالعفو عن ذلك الرجل . ثم أخذ يعدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل ومأذمه . وقال الأصمى : أتى المنصور برجل ليعاقبه فقال : يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والعفو فضل ، وتعوذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، وأدنى القسمين ، دون أرفع الدرجتين . قال فعفا عنه .

وقال الأصمى : قال المنصور لرجل من أهل الشام : أحمد الله يا أعرابي الذي دفع عنكم الطاعون بولايتنا . فقال إن الله لا يجمع علينا حسناً وسوء كيل ، ولا يتكلم والطاهون . والحكايات في ذكر حلمه وعفوه كثيرة جداً . [ودخل بعض الزهاد على المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، وأذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة ، وأذكر ليلة تمخض عن

يوم لاليلة بعده . قال : فأغم المنصور قوله وأمر له بمال فقال : لو احتجت إلى مالك لما وعظمتك^(١) ودخل عمرو بن عبيد القدرى على المنصور فأكرمه وعظمه وقربه وسأله عن أهله وعياله ، ثم قال له : عظمى . فقرأ عليه سورة الفجر إلى [إن ربك لبالمرصاد] فبكى المنصور بكاء شديداً حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات قبل ذلك ، ثم قال له : زدنى . فقال : إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها ، وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك ثم هو صائر لمن بعدك ، وإذا كر ليلة تسفر عن يوم القيامة . فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت أجنافه . فقال له سليمان بن جاهد : رفقاً بأمر المؤمنين . فقال عمرو : وماذا على أمير المؤمنين أن يبكى من خشية الله عز وجل . ثم أمر له المنصور بمشرة آلاف درهم فقال : لا حاجة لى فيها . فقال المنصور : والله لتأخذنها . فقال : والله لا آخذنها . فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه : أيجلف أمير المؤمنين وتجلف أنت ؟ فالتفت إلى المنصور فقال : ومن هذا ؟ فقال : هذا ابني محمد ولي العهد من مهدي . فقال عمرو : إلك سميت اسمها لم يستحقه لعمله ، وألبسته لبوساً ما هو لبوس الأبرار ، ولقد مهدت له أمراً أمتنع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . ثم التفت إلى المهدي فقال : يا ابن أخي إذا حلف أبوك وحلف عمك فلا ينحث أبوك أيسر من أن ينحث عمك ، لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك . ثم قال المنصور : يا أبا عثمان هل من حاجة ؟ قال : نعم . قال : وما هي ؟ قال : لا تبعث إلى حق آتيك . ولا تعطني حق أسألك . فقال المنصور : إذا والله لا نلتقي . فقال عمرو : من حاجتي سألتني . فودعه وانصرف . فلما ولي أمده بصره وهو يقول :

كلكم يمشى رويد * كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

ويقال إن عمرو بن عبيد ألشد المنصور قصيدة في موعظته إياه وهي قوله :

يا أيها الذي قد غره الأمل * ودون ما يامل التنفيس والأجل
ألا ترى أنما الدنيا وزينتها * كنزل الركب حلوا ثم ارتحلوا
حتوقها رصداً وعيشها نكد * وصفوها كدر وملسها دول
تظلل تفرع بالروعات ساكنها * فما يسوغ له لين ولا جنل
كأنه للنيا والردى غرض * تظلل فيه بنات الدهر تنتقل
تديره ما تدور به دوائرها * منها المصيب ومنها الخطى الزلل
والنفس هاربة والموت يطلبها * وكل عسر رجل عندها جلل
والمرء يسمى بما يسمى لوارثه * والقبر وارث ما يسمى له الرجل

وقال ابن دريد عن الريثي عن محمد بن سلام قال : رأيت جارية للمنصور توبه مرقوعاً فتالت :
 خايعة وقيص مرقوع ؟ فقال : ويحك أما سمعت ما قال ابن هريرة
 قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه * خلق وبهض قيص مرقوع
 وقال بعض الزهاد للمنصور : اذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة مثله ، واذكر ليلة
 تمخض عن يوم القيامة ليلية بمسها فألهم المنصور قوله فأمر له بمال . فقال : لو احتجت إلى مالك
 ما وعظتك . ومن شعره لما عزم على قتل أبي مسلم : -
 إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة * فإن فسلك الرأي أن يترددا
 ولا يُتمل الأعداء يوماً لندرة * وبأدوم أن يملكو مثله غدا
 ولما قتله ورآه طريقاً بين يديه قال : -
 قد اكتسفتك ثلاث ثلاث * جلبن عليك محرم الحمام
 خلافتك وامتناعك من يميني * وقودك لجماهير العظام
 ومن شعره أيضاً : -

المرء يأمل أن يمد * ش وطول عمره قد يضره
 تبلى بشاشته ويه * في بعد حلو العيش مرة
 ونحوه الأيام حتى * لا يرى شيئاً يسره
 كم شملت في إن هلك * مت وقائل لله دره

قالوا : وكان المنصور في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات والمزل
 والنظر في مصالح العامة ، فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح إلى العصر ، فإذا صلاها جلس لأهل
 بيته ونظر في مصالحهم الخاصة ، فإذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الآفاق ،
 وجلس عنده من يسامره إلى تلك الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر ،
 فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح ، ثم يخرج فيصلي بالناس ، ثم يدخل فيجلس في إخوانه .
 وقد ولي بعض العمال على بلد فبلغه أنه قد تصدى للصيد وأعد لذلك كلاباً وبزاة ، فكتب إليه
 ثكلتك أمك وعشيرتك ، ويحك إنا إنما استكفيناك واستملمناك على أمور المسلمين ، ولم نستكفك
 أمور الوحوش في البراري ، فبلم ماتلى من عملنا إلى فلان والحق بأهلك ملوماً مدحوراً .

وأنى يوماً بخارجي قد هزم جيوش المنصور غير مرة فلما وقف بين يديه قال له المنصور : ويحك
 يا ابن الفاعلة ! مثلك يهزم الجيوش ؟ فقال الخارجى : ويلك سواء لك بيني وبينك أمس السيف
 ، القتل واليوم القذف والسب ، وما يؤمنك أن أرد عليك وقد يئست من الحياة فما أستقبلها أبداً .

قال فاستحي منه المنصور وأطلقه . فما رأى له وجها إلى الحول [وقال لابنه لما ولاه المهد : يا بني ائندم النعمة بالشكر ، والقصدرة بالعفو ، والنهص بالتواضع ، والتألف بالطاعة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا و نصيبك من رحمة الله] ^(١)

وقال أيضا : يا بني ليس العاقل من يحتمل للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه ، ولكن العاقل الذي يحتمل للأمر الذي غشيه حتى لا يقع فيه . وقال المنصور : يا بني لا تجلس مجلساً إلا وعندهك من أهل الحديث من يحدئك ، فان الزهري قال : علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال ، ولا يكرهه إلا إناثهم ، وصدق أخو زهرة . وقد كان المنصور في شببته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فقال جانباً جيداً وطرفاً صالحاً ، وقد قيل له يوما : يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله ؟ قال : شيء واحد ، قالوا : وما هو ؟ قال : قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمتك الله . فاجتمع و زراؤه وكتابه وجلسوا حوله وقالوا : لئيل علينا أمير المؤمنين شيئا من الحديث ، فقال : لستم بهم ، إنما هم الدلسة ثيابهم ، المشقة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، رواد الآفاق وقطاع المسافات ، تارة بالمرأى وتارة بالحجاز ، وتارة بالشام ، وتارة باليمن . فهؤلاء نقلة الحديث .

وقال يوما لابنه المهدي : كم عندك من دابة ؟ فقال لا أدري . فقال : هذا هو التقصير ، فأنت لأمر الخلافة أشد تضيقاً فائق الله يا بني . وقالت خالصة إحدى حظيات المهدي : دخلت يوما على المنصور وهو يشتكي ضرره ويداء على صدغيه فقال لي : كم عندك من المال يا خالصة ؟ فقلت ألف درهم . فقال : ضعي يدك على رأسي واحلفي ، فقلت : عندى عشرة آلاف دينار . قال : اذهبي فاحملها إلى . قالت : فذهبت حتى دخلت على سيدي المهدي وهو مع زوجته الخبززان فشكوت ذلك إليه فوكزني برجله وقال : ويحك ! إنه ليس به وجع ولكني سألته بالأمس مالا قمارض ، وإنه لا يسمعك إلا ما أمرك به . فذهبت إليه خالصة ومعهما عشرة آلاف دينار ، فاستدعى بالمهدي فقال له : تشكو الحاجة وهذا كله عند خالصة ؟ وقال المنصور لخازنه : إذا علمت بمجيء المهدي فأتني بخلفان الثياب قبل أن يجيئ ، فجاء بها فوضعا بين يديه ودخل المهدي والمنصور يقلبها ، فجعل المهدي يضحك ، فقال : يا بني من ليس له خلق ليس له جديد ، وقد حضر الشتاء فنتحتاج ثمين العيال والولد . فقال المهدي : على كسوة أمير المؤمنين وعياله ، فقال : دونك فافعل .

وذكر ابن جرير عن الهيثم أن المنصور أطلق في يوم واحد لبنض أعمامه ألف ألف درهم . وفي هذا اليوم فرق في بيته عشرة آلاف درهم ، ولا يعلم خليفة فرق مثل هذا في يوم واحد . وقرأ بعض القراء عند المنصور [الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل] فقال : والله لولا أن المسال حسن

للسلطان ودعامة للدين والدنيا وعزها ما بث ليلة واحدة وأنا أحرص منه ديناراً ولا درهما لما جد لبذل المال من اللذة ، ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة . وقرأ عنده قارئ آخر [ولا تجعل يدك مفلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط] الآية . فقال : ما أحسن ما أدبنا ربنا عز وجل . وقال المنصور : هممت أبي يقول سمعت علي بن عبيد الله يقول : سادة أهل الدنيا في الدنيا الأسخياء ، وسادة أهل الآخرة في الآخرة الأتقياء .

ولما عزم المنصور على الحج في هذه السنة دعا ولده المهدي فأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته وبسائر المسلمين خيراً ، وعلمه كيف تفعل الأشياء وتسد الثغور ، وأوصاه بوصايا يطول بسطها وخرج عليه أن لا يفتح شيئاً من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فان بها من الأموال ما يكفي المسلمين لو لم يجب إليهم من الخراج درهم عشر سنين ، وعهد إليه أن يقضى ما عليه من الدين وهو ثلاثمائة ألف دينار ، فانه لم يرقضاءها من بيت المال . فامتثل المهدي ذلك كله . وأحرم المنصور بمحج وعمره من الرصافة وساق بدنه وقال : يا بني إني ولدت في ذى الحجة وتسد لي أن أموت في ذى الحجة ، وهذا الذي جرأتني على الحج عامي هذا . وودعه وسار واعتراه مرض الموت في أثناء الطريق فسا دخل مكة إلا وهو ثقيل جداً ، فلما كان بآخر منزل نزله ديون مكة إذا في صدره منزله مكتوب : (بسم الله الرحمن الرحيم) .

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * لك اليوم من كرب المنية مانع
فدعا بالحجة فأقرأهم ذلك فلم يروا شيئاً عرف أن أجله قد نعى إليه . قالوا : ورأى المنصور في منامه ويقال بل هتف به هاتف وهو يقول : -

أما ورب السكون والحرك * إن الدنيا كثيرة الشرك
عليك يا نبي إن أسأت وإن * أحسنت يا نفس كأن ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت مجوم السماء في الفلك
إلا بنقل السلطان عن ملك * إذا انقضى ملكه إلى ملك
حتى يصير أنه إلى ملك * ماعز سلطانهم بمشرك
ذاك بديع السماء والأرض والمر * سى الجبال السور الفلك

فقال المنصور : هذا أوان حضور أجل وانقضاء عمرى . وكان قد رأى قبل ذلك في قصره الخلد لدى بناء وتأتق فيه مناماً أفزعته فقال للزبيح : ويحك يا زبيح لقد رأيت مناماً هائلي ، رأيت قاتلاً يقف في باب هذا القصر وهو يقول :

كأنى بهذا القصر قد بادأ أهله * وأوحش منه أهله ومنزله
 وصار رئيس القصر من بعدهمجة * إلى جدث يبنى عليه جناده
 فما أقام في الخلد إلا أقل من سنة حتى مرض في طريق الحج ، ودخل مكة مدنفًا ثقيلاً . وكانت
 وفاته ليلة السبت لست وقبل سبع مضي من ذى الحجة ، وكان آخر ما تكلم به أن قال : اللهم
 بارك لي في لقاءك . وقيل : إنه قال يا رب إن كنت عصيتك في أمور كثيرة فقد أظلمت في أحب
 الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً . ثم مات . وكان نقش خاتمه . الله ثقة عبد الله وبه
 يؤمن . وكان عمره يوم وفاته ثلاثاً وستين سنة على المشهور ، منها ثلثان وعشرون سنة خليفة . ودفن
 بباب الملة رحمه الله . قال ابن جرير : ومما رآني به قول سلم الخالص الشاعر :

عجباً للذي نسي الناعيان * كيف فاهت بموته الشفتان
 ملك أن عدا على الدهر يوماً * أصبح الدهر ساقطاً للجران
 ليت كفاحت عليه تراباً * لم تعد في يمينها يديان
 حين دانت له البلاد على المد * فوأغضى من خوفه الثقلان
 أين رب الزوراء قد قلته إلا * ملك عشرين حجة والثلثان
 إنما المرة كالزناد إذا ما * أخذته قوادح النهران
 ليس يفتى هواه زجر ولاية * مدح في حبله ذوو الأذهان
 قلته أعنة الملك حتى * قاد أعداءه بغير عنان
 يكسر الطرف دونه وترى الأي * مدح من خوفه على الأذهان
 ضم أطراف ملكهم ثم أضى * خلقت أقصام ودون الداني
 هاشمي التشير لا يحمل الفة * ل على غارب الشروق الهدان
 ذو أناق ينسى لها الخائف الخو * ف وهزم يلوى بكل جنان
 ذهب دونه النفوس حذاراً * غير أن الأرواح في الأبدان

وقد دفن عند باب الملة بمكة ولا يعرف قبره لأنه أعمى قبره ، فان الربيع الحجاب جفر مائة
 قبر ودفنه في غيرها لثلا يعرف .

أولاد المنصور

محمد المهدي وهو ولي عهده ، وجعفر الأكبر مات في حياته ، وأمهما أروى بنت منصور .
 وعيسى ، ويعقوب ، وسليمان ، وأمههم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله . وجعفر الأصغر
 من أم ولد كردية ، وصالح المسكين من أم ولد رومية . يقال لها قالي الفراشة . والقاسم من أم

ولد أيضاً . وإماليه من امرأة من بني أمية .

خلافة المهدي بن المنصور

لما مات أبوه بمكة است أو لسبع مضي من ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة أخذت البيعة للمهدي من رؤس بني هاشم والقواد الذين هم مع المنصور في الحج قبل دفنه ، وبعث الربيع الحاجب بالبيعة مع البرد إلى المهدي وهو ببغداد ، فدخل عليه البريد بذلك يوم الثلاثاء النصف من ذى الحجة ، فسلم عليه بالخلافة وأخطاه السكتب بالبيعة ، وبأياه أهل بغداد ، ونفذت بيعته إلى سائر الأفاق . وذكر ابن جرير أن المنصور قبل موته بيوم تحامل وتساند واستدعى بالأمراء لخدم البيعة لابنه المهدي ، فتسارعوا إلى ذلك وتبادروا إليه . وحج بالبأس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس عن وصية عمه المنصور ، وهو الذي صلى عليه ، وقيل إن الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى ولي العهد من بعد المهدي ، والصحيح الأول ، لأنه كان نائب بمكة والطائف ، وعلى إمارة المدينة عبد الصمد بن علي ، وعلى الكوفة عمرو بن زهير الضبي - آخر السديب ابن زهير أمير الشرطة للخليفة - وعلى خراسان حميد بن قحطبة ، وعلى خراج البصرة وأرضها عملة ابن حمزة ، وعلى صلاتها وقضاها عبد الله بن الحسن العنبري ، وعلى أحداثها سميد بن دعلج .

قال الواقدي : وأصاب الناس في هذه السنة وباء شديد فتوفي فيه خلق كثير وجم غدير ، منهم أفلح بن حميد ، وحيوة بن شريح ، وهماوية بن صالح بمكة ، وزفر بن الهذيل بن قيس بن سليم ثم ساق نسبه إلى محمد بن عدنان ، يقال له التميمي العنبري الكوفي الفقيه الحنفي ، أقدم أصحاب أبي حنيفة وفاة ، وأكثرهم استعمالاً للقياس ، وكان عابداً ، اشتغل أولاً بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس . ولد سنة ست عشرة ومائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثلاثين وأربعين سنة رحمه الله وإيانا . ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة

استتمت هذه السنة وخليفة الناس أبو عبد الله محمد بن المنصور المهدي ، فبعث في أولها العباس ابن محمد إلى بلاد الروم في جيش كثيف ، وركب معهم شيئاً لهم ، فساروا إليها فالتحقوا بمدينة عظيمة للروم ، وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا سالمين لم يفتقد منهم أحد . وفيها توفي حميد بن قحطبة نائب خراسان ، فولى المهدي مكانه أبا عون عبد الملك بن يزيد ، وولى حمزة بن مالك سجستان ، وولى جبرين بن يحيى سمرقند . وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة وبندها . وفيها جهز جيشاً كثيراً إلى بلاد الهند فوصلوا إليها في السنة الآتية ، وكان من أمرهم ما سذكروه . وفيها توفي نائب السند محمد بن الفضل فولى المهدي مكانه روح بن حاتم بمشورة وزيره أبي عبد الله . وفيها أطلق المهدي من كان في السجن إلا من كان محبوباً على دم ، أو من سعى في الأرض فساداً ، أو من كان عنده

حق لأحد . وكان في جملة من أخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بنى سليم ، والحسن بن إبراهيم ابن عبد الله بن حسين ، وأمر بصيرورة حسن هذا إلى نصير الخادم ليحترز عليه . وكان الحسن قد هزم على الحزب من السجن قبل خروجه منه ، فلما أخرج يعقوب بن داود ناصح الخليفة بما كان عزم عليه فنقله من السجن وأودعه عند نصير الخادم ليحتاط عليه ، وحظى يعقوب بن داود عند المهدي جداً حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استئذان ، وجعله على أمور كثيرة ، وأطلق له مائة ألف درهم . وما زال عنده كذلك حتى تمكن المهدي من الحسن بن إبراهيم فسطعت منزلة يعقوب عنده . وقد عزل المهدي نواباً كثيرة عن البلاد وولى بدلهم . وفي هذه السنة تزوج المهدي بابنة عمه أم عبد الله بنت صالح بن علي ، وأعتق جاريته الخيزران وتزوجها أيضاً ، وهي أم الرشيد . وفيها وقع حريق عظيم في السفن التي في دجلة ببغداد . ولما ولى المهدي سأل عيسى بن موسى - وكان ولى المهدي من بعده - أن يخلع نفسه من الأمر فامتنع على المهدي ، وسأل المهدي أن يقيم بأرض الكوفة في ضيعة له فأذن له ، وكان قد استقر على إمرة الكوفة روح بن حاتم ، فكتب إلى المهدي : إن عيسى بن موسى لا يأتي الجمعة ولا الجمعة مع الناس إلا شهرين من السنة ، وإنه إذا جاء يدخل بدوابه إلى داخل باب المسجد فتروث دوابه حيث يصل الناس . فكتب إليه المهدي أن يعمل خشباً على أفواه السكك حتى لا يصل الناس إلى المسجد إلا مشاة . ففعل بذلك عيسى بن موسى فاشترى قبل الجمعة دار المختار بن أبي عبيدة من ورثته - وكانت ملاصقة للمسجد - وكان يأتي إليها من يوم الخميس ، فإذا كان يوم الجمعة ركب حماراً إلى باب المسجد فنزل إلى هناك وشهد الصلاة مع الناس وأقام بالكلية بالكوفة بأهله ، ثم ألع المهدي عليه في أن يخلع نفسه وتوعده إن لم يفعل ، ووعده إن فعل فأجابته إلى ذلك فأعطاه أقطاعاً عظيمة ، وأعطاه من المال عشرة آلاف ألف ، وقيل عشرين ألف ألف ، وبايع المهدي لولديه من بعده موسى الهادي ، ثم هارون الرشيد كما سيأتي .

وحج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي ، وكان نائباً على اليمن فولاه الموسم واستقدمه عليه شوقاً إليه ، وغالب نواب البلاد عزلم المهدي ، غير أن إفريقية مع يزيد بن حاتم ، وعلى مصر محمد ابن سليمان أبو ضمرة ، وعلى خراسان أبو عون ، وعلى السند بسطام بن عمرو ، وعلى الأهواز وفارس عمارة بن حمزة ، وعلى اليمن رجاء بن روح ، وعلى البصرة بشر بن المنذر ، وعلى الجزيرة الفضل بن صالح . وعلى المدينة عبيد الله بن صذوان الجمحي ، وعلى مكة والطائف إبراهيم بن يحيى ، وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح السكندى ، وعلى خراجها ثابت بن موسى ، وعلى قضائها شريك بن عبد الله النخعي ، وعلى أحداث البصرة عمارة بن حمزة ، وعلى صلاتها عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النخعي ، وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن العنبري .

وفيهما توفي عبد العزيز بن أبي رواد ، وعكرمة بن عمار ، ومالك بن مغول ، ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب المدني : نظير مالك بن أنس في الفقه ، وربما أنكر على مالك أشياء ترك الأخذ فيها ببعض الأحاديث ، كان يراها مالك من إجماع أهل المدينة وغير ذلك من المسائل .
ثم دخلت سنة ستين ومائة

فيها خرج رجل بخراسان على المهدي منكرآ عليه أحواله وسيره وما يتعاطاه ، يقال له يوسف البرم ، والتف عليه خلق كثير ، وتفاقم الأمر وعظم الخطب به ، فتوجه إليه يزيد بن يزيد فلقبه فاقنتلا قتالا شديداً حتى تنازلا وتعانقا ، فأسر يزيد بن يزيد يوسف هذا ، وأسر جماعة من أصحابه فبعثهم إلى المهدي فأدخلوا عليه ، وقد حملوا على جمال محولة وجوههم إلى ناحية أذنان الابل ، فأمر الخليفة هرمة أن يقطع يدي يوسف ورجليه ثم تضرب عنقه وأعناق من معه وصلبهم على جسر دجلة الأمامي .

البقية موسى الهاوي

ذكرنا أن المهدي ألح على عيسى بن موسى أن يخلع نفسه وهو مع كل ذلك يمتنع وهو مقيم بالكوفة ، فبعث إليه المهدي أحد القواد الكبار وهو أبو هريرة محمد بن فروخ في ألف من أصحابه لاحضاره إليه ، وأمر كل واحد منهم أن يحمل طيلاً ، فإذا واجهوا الكوفة عند إضاءة الفجر ضرب كل واحد منهم على طبله ، ففعلوا ذلك فانجبت الكوفة ، وخاف عيسى بن موسى ، فلما انتهوا إليه دعوه إلى حضرة الخليفة فأظهر أنه يشتكي ، فلم يقبلوا ذلك منه بل أخذوه معهم فدخلوا به على الخليفة في يوم الخميس ثلاث خلون من المحرم من هذه السنة ، فاجتمع عليه وجوه بني هاشم والقضاة والأعيان وسألوه في ذلك وهو يمتنع ، ثم لم يزل الناس به بالرغبة والرغبة حتى أجاب في يوم الجمعة لأربع مضي من المحرم بمسد مصر . وبويع لولدي المهدي موسى وهارون الرشيد صباحة يوم الخميس ثلاث بقين من المحرم وجلس المهدي في قبة عظيمة في إيوان الخلافة ، ودخل الأمراء فبايعوه ثم نهض فصعد المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحت ، وقام عيسى بن موسى على أول درجة ، وخطب المهدي فأعلم الناس بما وقع من خلع عيسى بن موسى نفسه وأنه قد حلل الناس من الإيمان التي له في أعناقهم وجعل ذلك إلى موسى الهادي . فصديق عيسى بن موسى ذلك وبايع المهدي على ذلك . ثم نهض الناس فبايعوا الخليفة على حسب مراتبهم وأسنانهم ، وكتب على عيسى بن موسى مكتوباً مؤكداً بالإيمان البالغة من الطلاق والعناق ، وأشهد عليه جماعة الأمراء والوزراء وأعيان بني هاشم وغيرهم وأعطاه ما ذكرنا من الأموال وغيرها .

وفيهما دخل عبيد الملك بن شهاب المسمى مدينة باربد من الهند في جحفل كبير فغاصروها

ونصبوا عليها المجانيق ، ورموها بالنفط فأحرقوا منها طائفة ، وهلاك بشر كثير من أهلها ، وفتحوها عنوة وأرادوا الانصراف فلم يمكنهم ذلك لاعتلاء البحر ، فأقاموا هناك فأصابهم داء في أفواههم يقال له حمام قرأت منهم ألف نفس منهم الربيع بن صبيح ، فلما أمكنهم المسير ركبوا في البحر فهاجت عليهم ريح ففرق طائفة أيضا ، ووصل بقيتهم إلى البصرة ومهم سبي كثير ، فيهم بنت ملكهم . وفيها حكم المهدي بالخاق ولد أبي بكر الثقفى إلى ولاء رسول الله (ص) ، وقطع نسبهم من تقيف ، وكتب بذلك كتابا إلى والى البصرة . وقطع نسبه من زياد ومن نسب نافع فى ذلك يقول بعض الشعراء وهو خالد النجار : —

إنَّ زياداً ونافعا وأبا * بكرةً عندي من أعجب العجب

ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهذا بزعم عربي

وقد ذكر ابن جرير أن نائب البصرة لم ينفذ ذلك .

وفى هذه السنة حج بالناس المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي ، واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وخلقا من الأمراء ، منهم يعقوب بن داود على منزله ومكانته ، وكان الحسن ابن إبراهيم قد هرب من الخادم فلحق بأرض الحجاز ، فاستأنم له يعقوب بن داود فأحسن المهدي صلته وأنزل جائزته ، وفرق المهدي في أهل مكة مالا كثيرا جدداً ، كان قد قدم معه ثلاثين ألف ألف درهم ومائة ألف ثوب ، وجاء من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار ، فأعطاهما كلها في أهل مكة والمدينة . وشكت الحجة إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تنهم من كثرة ما عليها من الكسوى ، فأمر بتجريدها ، فلما انتهوا إلى كسوى هشام بن عبد الملك وجدها من ديباج نخين جدداً ، فأمر بإزالتها وبقيت كسوى الخلفاء قبله وبعده ، فلما جردها طلائها بالخلاف وكساها كسوة حسنة جدداً ، ويقال إنه استغنى مالكا في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من بناية ابن الزبير ، فقال مالك : دعها فاني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة . فتركها على ما هي .

وحمل له محمد بن سليمان نائب البصرة الثلج إلى مكة ، وكان أول خليفة حمل له الثلج إليها . ولما دخل المدينة وسع المسجد النبوى ، وكان فيه مقصورة فأزالها وأراد أن ينقص من المنبر ما كان زاده معاوية بن أبي سفيان فقال له مالك : إنه يخشى أن ينكسر خشبه العتيق إذا زعزع ، فتركه . وتزوج من المدينة رقية بنت عمرو العثمانية ، وانتخب من أهلها خمسمائة من أعيانها ليكونوا حوله حرسا بالعراق وأنصاراً وأجرى عليهم أرزاقاً غير أعطياتهم وأقطعا معروفة بهم .

وفيها توفي الربيع بن صبيح ، وسفيان بن حسين ، أحد أصحاب الزهري ، وشعبة بن الحجاج بن الورد العسكى الأزدي أبو بسطام الواسطي ، ثم انتقل إلى البصرة . رأى شعبة الحسن وابن سيرين ،

وروى عن أمم من التابعين ، وعنه عنه خلق من مشايخه وأقرانه وأئمة الاسلام . وهو شيخ
المحدثين الملقب فيهم بأمير المؤمنين قاله الثوري . وقال يحيى بن معين : هو إمام المتقين ، وكان في
غاية الزهد والورع والتقشف والحفظ وحسن الطريقة . وقال الشافعي : لولاه ما عرف الحديث بالعراق .
وقال الامام أحمد : كان أمة وحده في هذا الشأن ، ولم يكن في زمانه مثله . وقال محمد بن سعد : كان
ثقة مأمونا حجة صاحب حديث . وقال وكيع : إني لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات بذبه
عن حديث رسول الله (ص) . وقال صالح بن محمد بن حرزة : كان شعبة أول من تنكلم في الرجال
وتبعه يحيى القطان ثم أحمد وابن معين . وقال ابن مهدي : ما رأيت أعقل من مالك ، ولا أشد
تقشفا من شعبة ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك ، ولا أحفظ للحديث من الثوري . وقال مسلم بن
إبراهيم : ما دخلت على شعبة في وقت صلاة الا ورأيت يصبى ، وكان أباه للقراءة وأما لهم . وقال النضر
ابن سميل : ما رأيت أرحم بمسكين منه ، كان إذا رأى مسكينا لا يزال ينظر إليه حتى يذهب عنه .
وقال غيره : ما رأيت أعبد منه لقد عبد الله حتى لصق جلده بظلمه . وقال يحيى القطان : ما رأيت
أرق للمسكين منه ، كان يدخل المسكين في منزله فيعطيه ما أمكنه . قال محمد بن سعد وغيره : مات
في أول سنة ستين ومائة في البصرة عن ثمان وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

ففيها غزا الصائفة ثمانية بن الوليد فنزل دابق ، وجاشت الروم عليه فلم يتمكن المسلمون من
الدخول إليها بسبب ذلك . وفيها أمر المهدي بحفر الزكيا وعمل المصانع وبناء القصور في طريق مكة
وولى يعقوب بن موسى على ذلك ، فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة ، مقدار
عشر سنين ، حتى صارت طريق الحجاز من العراق من أرفق الطرقات وآمنها وأطيبها . وفيها وسع
المهدي جامع البصرة من قبلته وغربه . وفيها كتب إلى الآفاق أن لا تبقى مقصورة في مسجد
جاهية ، وأن تقصر المنابر إلى مقدار منبر رسول الله (ص) ، ففعل ذلك في المساجد كلها . وفيها
اتضعت منزلة أبي عبيد الله وزير المهدي وظهرت عنده خيانتة فضم إليه المهدي من يشرف عليه ،
وكان ممن ضم إليه إسماعيل بن علي ، ثم أبسده وأقصاه وأخرجه من معسكره . وفيها رلى القضاء
عافية بن يزيد الأزدي وكان يحكم هو وابن علاثة في عسكر المهدي بالرافضة . وفيها خرج رجل يقال
له المنيع بخراسان في قرية في قرى مرو ، وكان يقول بالناسخ وتبعه على ذلك خلق كثير فجهز
إليه المهدي عدة من أمرائه وأفند إليه جيوشا كثيرة ، منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان ، وكان من
أمره وأمرهم ماسند كره .

وحج بالناس فيها موسى الهادي بن المهدي . وفيها توفي إسرائيل بن يونس بن إسحاق السبيعي

وزائدة بن قدامة و سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد أئمة الاسلام وعبادهم والمقتدى به أبو عبد الله الكوفي . روى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم ، قال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وغير واحد : هو أمير المؤمنين في الحديث . وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم . وقال أبوب : ما رأيت كوفياً أفضله عليه . وقال يونس بن عبيد : ما رأيت أفضل منه . وقال عبد الله : ما رأيت أحسن من الثوري . وقال شعبة : ساد الناس بالورع والعلم . وقال أصحاب المذاهب الثلاثة : ابن عباس في زمانه والشامي في زمانه ، والثوري في زمانه . وقال الامام أحمد : لا يتقدمه في قلبي أحد . ثم قال : تدرى من الامام ؟ الامام سفيان الثوري . وقال عبد الرزاق : سمعت الثوري يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فغاني حتى إني لأمر بالهلك يتغنى فأسد أذني مخافة أن أحفظ ما يقول . وقال : لأن أترك عشرة آلاف دينار يحاسبني الله عليها أحب إلي من أن أحتاج إلى الناس .

قال محمد بن سعد : أجمعوا أنه توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة ، ورآه بعضهم في المنام يطير في الجنة من نخلة إلى نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقرأ [الحمد لله الذي صدقنا وعده] الآية . وقال : إذا ترأس الرجل سريماً آخر بكثير من العلم . ومن توفي فيها : أبو دلالة

زيد بن الجون الشاعر المالح ، أحد الظرفاء ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد وحظي عند المنصور لأنه كان يضحكه وينشده الأشعار ويمدحه ، حضر يوماً جنازة امرأة المنصور - وكانت ابنة عمه - يقال لها حادة بنت عيسى ، وكان المنصور قد حزن عليها ، فلما سورا عليها التراب وكان أبو دلالة حاضراً ، فقال له المنصور : ويحك يا أبا دلالة ، ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال : ابنة عم أمير المؤمنين . فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال : ويحك فضحتنا . ودخل يوماً على المهدي بهنته بقدمه من سفره وأنشده :

إني حلفتُ لئن رأيتك سالماً * بقرى العراق وأنت ذو وافر
لتصلين على النبي محمد * ولتلاّن دراهماً حجري

فقال المهدي : أما الأول فنعم ، نصلى على النبي محمد (س) ، وأما الثاني فلا . فقال : يا أمير المؤمنين هما كلمتان فلا تفرق بينهما . فأمر أن يملأ حجره دراهم ، ثم قال له : قم ! فقال : ينخرق منها قميصي فأفرغت منه في أكياسها ثم قام فحملها وذهب . وذكر عنه ابن خلدكان أنه مرض ابن له فداواه طبيب فلما عوفي قال له : ليس عندنا ما نعطيك ، ولكن ادع علي فلان اليهودي بمبلغ ما تستحقه عندنا من أجرتك حتى أشهد أنا وولدي عليه بالمبلغ المذكور . قال : فذهب الطبيب إلى قاضي الكوفة محمد

ابن عبد الرحمن بن أبي ليل - وقيل ابن شبرمة - فادهى عليه عنده فأنكر اليهودي فشده عليه أبو دلالة وابنه ، فلم يستطع القاضي أن يرد شهادتهما وخاف من طلب التزكية فأعطى الطبيب المدعى المال من عنده وأطلق اليهودي . وجمع القاضي بين المصالح . تولى أبو دلالة في هذه السنة ، وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة سبعين فاته أهل .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة

فبها خرج عبد السلام بن هاشم البشكري بأرض قلسرين وأتبعه خلق كثير ، وقويت شوكته فقاتله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه ، وجهر إليه المهدي جيوشا وألفق فيهم أموالا فهزمهم مرات ثم آل الأمر به أن قتل بعد ذلك . وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في ثمانين ألفا من المرتزقة سوى المتطوعة ، فدمر الروم وحرق بلدانا كثيرة ، وخرّب أماكن وأسر خلقا من الذراري . وكنكك غزا يزيد بن أبي أسيد السلي بلاد الروم من باب قاليبلا فغنم وسبي خلقا كثيرا .

وفيها خرجت طائفة يجرجان فلبسوا الحرّة مع رجل يقال له عبد القهار ، فغزاهم وبن العلاء من طبرستان فغهر عبد النهار وقتله وأصحابه . وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر الأقاليم والآفاق على المجذمين والمحبوسين ، وعنده منوبة عظيمة ومكرمة جسيمة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور . وفيها توفى من الأعيان :

إبراهيم بن آدم

أحد مشاهير العبّاد وأكابر الزهاد . كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله . فهو إبراهيم بن آدم بن منصور بن يزيد بن عاصم بن إسحاق التميمي ، ويقال له البعلج ، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق ، وروى الحديث عن أبيه والأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبعي وخلق . وحدث عنه خلق منهم بقية والثوري وأبو إسحاق الفزاري ومحمد بن حنبل . وحكى عنه الأوزاعي . وروى ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الجزدي عن إبراهيم بن آدم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة . قال : « دخلت على رسول الله ﷺ ، وهو يصلي جالسا فقلت : يا رسول الله إنك تصلي جالسا فأصا بك ؟ قال : الجوع يا أبا هريرة . قال : فبكيت فقال : لا تبك فان شئت يوم للقيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا » . ومن طريق بقية عن إبراهيم بن آدم حدثني أبو إسحاق الهمداني عن عمارة بن غزية عن أبي هريرة . قال قال رسول الله ﷺ : « إن الفتنة نجى » فنفس العباد لسفا ، وينجو العالم منها بعلمه » .

قال اللسان : إبراهيم بن آدم ثقة مأمون أحد الزهاد . وذكر أبو نعيم وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان ، وكان قد حبيب إليه الصيد ، قال : فخرجت مرة فأثرت ثلما ففتفت بي هاتف

من قريوس سرجي : ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت . قال : فوقفت وقلت : انتهيت انتهيت ، جاءني نذير من رب العالمين . فرجعت إلى أهلي تغليت عن فرسي وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخذت منه جبة وكساء ثم ألقيت ثيابي إليه ، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً فلم يصف لي بها الحلال ، فسألت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدني إلى بلاد الشام فأتييت طرسوس فعملت بها أياماً أنظر البسائين وأحصت الحصاد ، وكان يقول : ما تهينيت بالعيش إلا في بلاد الشام . أفر يدي من شاحق إلى شاحق ومن جبل إلى جبل ، فمن برأه يقول هو موسوس . ثم دخل البادية ودخل مكة وصحب الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها ، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه مثل الحصاد وحمل الفاعل وحفظ البسائين وغير ذلك . وما روى عنه أنه وجد رجلاً في البادية فمعه اسم الله الأعظم فكان يدعو به حتى رأى الخضر فقال له : إنما عليك أخى داود اسم الله الأعظم ، ذكره القشيري وابن عساكر عنه باسناد لا يصح . وفيه أنه قال له : إن إلياس عليك اسم الله الأعظم . وقال إبراهيم : أطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار .

وذكر أبو نعيم عنه أنه كان أكثر دعائه اللهم اغفر لي من ذل مصيبتك إلى عز طاعتك . وقيل له إن اللحم قد غلا فقال : ارحصوه أي لا تشتروه فإنه يرخص . وقال بعضهم : هتف به الهائف من فوقه يا إبراهيم ما هذا الميث [أحسبتم أنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجعون] اتق الله وعليك بالزاد . ليوم القيامة . فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة . وروى ابن عساكر باسناد فيه نظر في ابتداء أمره قال : بينما أنا يوماً في منظر في بيلخ وإذا شبخ حسن الهيئة حسن اللحية قد استظل بظله فأخذ بمجامع قلبي ، فأمرت غلاماً فدعا فدخل فمرضت عليه الطعام فأبى فقلت : من أين أقبلت ؟ قال : من وراء النهر . قلت : أين تريد ؟ قال الحج . قلت في هذا الوقت ؟ - وقد كان أول يوم من ذى الحجة أو ثانيه - فقال : يفعل الله ما يشاء . فقلت : الصعبة . قال : إن أحببت ذلك فوعدك الليل ، فلما كان الليل جاءني فقال : قم بسم الله فأخذت ثياب سفرى وسرنا ثم شئنا كما نأخذ الأض تجنب من نحتنا ، ونحن نمر على البلدان ونقول : هذه فلانة هذه فلانة ، فإذا كان الصبح طارقتني ويقول : موعدك الليل ، فإذا كان الليل جاءني فعملنا مثل ذلك . فأنهيننا إلى مدينة النهي (س) . ثم سرنا إلى مكة فجنناها ليلاً فقصينا الحج مع الناس ثم رجعنا إلى الشام فزرتنا بيت المقدس وقال : إني عازم على المقام بالشام ، ثم رجعت أنا إلى بلدي ببلخ كسائر الضعفاء حتى رجعنا إليها ولم أسأله عن اسمه ، فكان ذلك أول أمرى .

[وروى من وجه آخر فيه نظر . وقال أبو حاتم الرازي عن أبي نعيم عن سفيان الثوري قال : كان إبراهيم بن آدم يشبه إبراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة كان رجلاً فاضلاً له سرار وما رأيته

يظهر تسبيحاً ولا شيئاً ولا أكل مع أحد طامناً إلا كان آخر من يرفع يديه . (١)

وقال عبد الله بن المبارك : كان إبراهيم رجلاً فاضلاً له سرائر ومعاملات بينه وبين الله عز وجل وما رأيته يظهر تسبيحاً ولا شيئاً من عمله ، ولا أكل مع أحد طامناً إلا كان آخر من يرفع يده . قال بشر بن الحارث الخافي : أربعة رفعهم الله بطيب المطعم ، إبراهيم بن آدم ، ومسلم بن الخواص وهيب بن الورد ، ويوسف بن أسباط . وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حنص قال : إنما سمع إبراهيم بن آدم حديثاً واحداً فأخذ به فساد أهل زمانه . قال : حدثنا منصور بن ربه بن خراش قال : جاء رجل إلى رسول الله ، فقال : يا رسول الله داني على عمل يحبني الله عليه وبحبي الناس قال : « إذا أردت أن يحبك الله فابض الدنيا ، وإذا أردت أن يحبك الناس فإكف عنك من فضولها فأنبئه إليهم » . وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو الربيع عن إدريس قال : جلس إبراهيم إلى بعض العلماء فجلسوا يتذاكرون الحديث وإبراهيم ساكت ، ثم قال : حدثنا منصور ، ثم سكت فلم ينطق بحرف حتى قام من ذلك المجلس : فمات به بعض أصحابه في ذلك ، فقال : إني لأخشى مضرة ذلك المجلس في قاي إلى البرم . وقال رشدين بن سعد : مر إبراهيم بن آدم بالأوزاعي وحوله حلقة فقال : لو أن هذه الحلقة على أبي هريرة لعجز عنهم . فقام الأوزاعي وتركهم . وقال إبراهيم بن بشر قيل لابن آدم : لم تركت الحديث ؟ فقال : إني مشغول عنه بثلاث ، بالشكر على النعم ، وبالاستغفار من الذنوب ، وبالاستعداد للوثة . ثم صاح وغشى عليه فسمعوا هاتفاً يقول : لا تدخلوا بيوتنا وبين أولياتنا . وقال أبو حنيفة يوماً لإبراهيم بن آدم : قد رزقت من العبادة شيئاً صالحاً فليكن الله من مالك فانه رأس العبادة وقوام الدين . فقال له إبراهيم : وأنت فليكن العبادة والعمل بالعمل من مالك وإلا هلك . وقال إبراهيم : ماذا أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الأغنياء . وقال شقيق بن إبراهيم : لقبت ابن آدم بالشام وقد كنت رأيته بالعراق وبين يديه ثلاثون شاكرًا . فقلت له : تركت ملك خراسان ، وخرجت من لمعتك ؟ فقال : اسكت ما تهينيت بالعيش إلا ههنا ، أفر بديني من شامق إلى شامق ، فن براني يقول هو موسون أو جمال أو ملاح ، ثم قال : بلغني أنه يؤتى بالفقير يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له : يا عبدي مالك لم تهجج ؟ فيقول : يا رب لم تمنعني شيئاً أحجج به . فيقول الله : صدق عبدي اذهبوا به إلى الجنة . وقال أقت بالشام أربماً وعشرين سنة لم أقم بها لجهاد ولا رباط إنما نزلتها لأشبع من خبز حلال . وقال : الحزن حزنان حزن لك وحزن عليك ، فحزنك على الآخرة لك . وحزنك على الدنيا وزينتها عليك . وقال : الزهد ثلاثة ، واجب ،

(١) زيادة من المصرية .

ومستحب ، و زهد سلامة ، فأما الواجب فالزهد في الحرام ، والزهد عن الشهوات الحلال مستحب ، والزهد عن الشبهات سلامة . وكان هو وأصحابه ينعون أنفسهم الحمام والماء البارد والحذاء ولا يجمعون في ما يحرم أبزاراً ، وكان إذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رعى بإصبعه إلى أصحابه وأكل هو الخبز والزيتون . وقال قسلة الحرص والطبع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطبع تورث النعم والجزع . وقال له رجل : هذه جبة أحب أن تقبلها مني . فقال : إن كنت غنياً قبلتها ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها . قال : أنا غني . قال : كم عندك ؟ قال ألفان . قال : تود أن تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم ، قال فأنت فقير ، لا أقبلها منك . وقيل له : لو تزوجت ؟ فقال : لو أمكنتني أن أطلق نفسي لطلقتها . ومكث بمكة خمسة عشر يوماً لا شيء له ولم يكن له زاد سوى الرمل بالماء ، وصلى بوضوء واحد خمس عشرة صلاة ، وأكل يوماً على حافة الشريعة كسرات مبلولة بالماء وضعها بين يديه أبو يوسف النسوي ، فأكل منها ثم قام فشرب من الشريعة ثم [جاء واستلقى على قفاه وقال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعم لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش . فقال له أبو يوسف : طلب القوم الراحة والنعم فأخطأوا الطريق المستقيم . فتبسم إبراهيم وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ وبينما هو بالمصيصة في جهانة من أصحابه إذ جاءه راكب فقال : أيكم إبراهيم بن آدم ؟ فأرشد إليه ، فقال : يا سيدي أنا غلامك ، وإن أباك قد مات وترك مالا هو عند القاضي ، وقد جئت بك بمشرة آلاف درهم لنفقة عليك إلى بلخ ، وفرس وبغلة . فسكت إبراهيم ما يلائم رفع رأسه فقال : إن كنت صادقاً فالدرهم والفرس والبغلة لك ، ولا تخبر به أحداً . ويقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى بلخ وأخذ المال من الحاكم وجعله كله في سبيل الله .

وكان معه بعض أصحابه فكانوا شهرين لم يحصل لهم شيء يأكلونه ، فقال له إبراهيم : ادخل إلى هذه البقيعة . وكان ذلك في يوم شات . قال : فدخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فلات منه جرابي ثم خرجت ، فقال : ما معك ؟ قلت : خوخ . فقال : يا ضيف اليقين ! لو صبرت لوجدت رطباً جنياً ، كما رزقت مريم بنت عمران . وشكاً إليه بعض أصحابه الجوع فصلى ركعتين فإذا حوله دنائير كثيرة فقال لصاحبه : خذ منها ديناراً ، فأخذته واشترى لهم به طعاما . وذكروا أنه كان يعمل بالفاعل ثم يذهب فيشتري البيض والزبدة وتارة الشواء والجوزبان والخبيص فيطعمه أصحابه وهو صائم ، فإذا أفطر يأكل من ردى الطعام ويحرم نفسه المطعم الطيب ليبر به الناس تأليفاً لهم ونحبياً وتودداً إليهم .

وأضاف الأوزاعي إبراهيم بن آدم قصر إبراهيم في الأكل فقال : مالك قصرت ؟ فقال : لأنك قصرت في الطعام . ثم هل إبراهيم طعاماً كثيراً ودعا الأوزاعي فقال الأوزاعي : أما تخاف

أن يكون سرّاً ؟ فقال : لا ! إنما السرف ما كان في مصيبة الله ، فأما ما أنفقه الرجل على إخوانه فهو من الدين . وذكروا أنه حصده مرة بمشرين ديناراً ، فجلس مرة عند حجام هو وصاحب له ليحلق رؤسهم ويحجمهم ، فكأنه تبرم بهم واشتغل عنهم بغيرهم ، فتأذى صاحبه من ذلك ثم أقبل عليهم الحجام فقال : ماذا تريدون ؟ قال إبراهيم : أريد أن تحاق رأسي وتحجمني ، ففعل ذلك فأعماه إبراهيم المشرين ديناراً ، وقال : أردت أن لا تحقر بعدها فقيراً أبداً . وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيم أصحابه بصوم ولا صلاة ولكن بالصدق والسخاء .

وكان إبراهيم يقول : فروا من الناس كفراكم من الأسد الضاري ، ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة . وكان إذا سافر مع أحد من أصحابه يحدّثه إبراهيم ، وكان إذا حضر في مجلس فكأنما على رؤسهم الطير هيبة له وإجلالا . وربما تسامر هو وسفيان الثوري في الليلة الشاتية إلى الصباح ، وكان الثوري يتحرز منه في الكلام . ورأى رجلا قيل له : هذا قاتل خالك ، فذهب إليه فسلم عليه وأهدى له وقال : بلغني أن الرجل لا يبلغ درجة البقيين حتى يأمنه عدوه . وقال له رجل : طوبى لك أذيت عرك في العبادة وتركت الدنيا والزوجات . فقال : ألك عيال ؟ قال : نعم . فقال : لروعة الرجل بعيله - يعني في بعض الأحيان من الفاقة - أفضل من عبادة كذا وكذا سنة . وراه الأوزاعي ببيروت وعلى عنقه حزمة حطب فقال : يا أبا إسحاق إن إخوانك يكفونك هذا . فقال له : اسكت يا أبا عمرو افقد بلغني أنه إذا وقف الرجل موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة . وخرج ابن آدم من بيت المقدس فر بطريق فأخذته المسلحة في الطريق فقالوا : أنت عبد ؟ قال : نعم . قالوا : آتني ؟ قال نعم . فسجنوه . فبلغ أهل بيت المقدس خبره فخافوا برمتهم إلى نائب طبرية فقالوا : علام سجنتم إبراهيم بن آدم ؟ قال : ماسجنته . قالوا : بلى هو في سجنك . فاستحضره فقال : علام سجنتم . فقال : سل المسلحة ، قالوا : أنت عبد ؟ قلت نعم وأنا عبد الله . قالوا : آتني ؟ قلت نعم وأنا عبد آتني من ذنوبي . نفلى سبيله .

وذكروا أنه مرع رقعة فاذا الأسد على الطريق فتقدم إليه إبراهيم بن آدم فقال له : يا قسورة إن كنت أشرت فينا بشيء فاض لما أمرت به وإلا فودك على بذلك . قالوا : فولى إلسبع ذاهبا يضرب بدنبه ، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال : قولوا : اللهم راعنا بعينك التي لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذي لا يرام ، وارحنا بقدرتك علينا ، ولا تتركنا وأنت رجاؤنا يا الله ، يا الله ، يا الله . قال خلف بن تميم : فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي أص ولا غيره .

وقد روى لهذا شواهد من وجوه أخر . وروى أنه كان يصل ذات ليلة لحاجه .

ثلاثة فتقدم إليه أحدهم فشتم ثيابه ثم ذهب فربض قريباً منه ، وجاء الثاني ففعل مثل ذلك ، وجاء الثالث ففعل مثل ذلك ، واستمر إبراهيم في صلاته ، فلما كان وقت السحر قال لهم : إن كنتم أمرتم بشئ فلهوا ، وإلا فالصرفوا فالصرفوا . وصعد مرة جبلاً بمكة ومعه جماعة فقال لهم : لو أن ولياً من أولياء الله قال لجبل زل زلال . فتحرك الجبل تحته فوكزه برجله وقال : اسكن فانما ضربتك مثلاً لأصحابي . وكان الجبل أباً قبيس . وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إبراهيم رأسه بكسائه واضعاجع وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء ، وأيقظوه وقالوا : ألا ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس هذه شدة ، وإنما الشدة الحاجة إلى الناس . ثم قال : اللهم أريقنا قدرتك فأرنا عفوك . فصار البحر كأنه قدح زيت . وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حمله دينارين وألح عليه ، فقال له : اذهب معي حتى أعطيك ديناريك ، فأثنى به إلى جزيرة في البحر ففوض إبراهيم وحملتي زكيتين ودعا إذا ما حواه قد ملي دنانير ، فقال له : خذ حقك ولا تزد ولا تذكر هذا لأحد . وقال حذيفة المرعشي : أريت أنا إبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة ، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً ، فقال لي : كأنك جائع . قلت : نعم . فأخذ رقعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال ، المشار إليه بكل معنى ،

أنا حامدٌ أنا ذاكرٌ أنا شاكرٌ * أنا جائعٌ أنا حاسرٌ أنا عارى
هى ستة وأنا الضمينُ لنصفها * فكن الضمينُ لنصفها يابارى
مدعى لفيرك وهج نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار

ثم قال لي : اخرج بهذه الرقعة ولا تعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى ، وادفع هذه الرقعة لأول رجل تلقاه . فخرجت فإذا رجل على بغلة فدفعتهما إليه فلما قرأها بكى ودفع إلى ستمائة دينار وانصرف ، فسألت رجلاً من هذا الذى على البغلة ؟ فقالوا : هو رجل نصراني . فجنّت إبراهيم فأخبرته فقال : الآن يبعني فيسلم . فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس إبراهيم وألم . وكان إبراهيم يقول : دارنا أماننا وحياتنا بعد وفاتنا . فاما إلى الجنة وإما إلى النار . مثل لبصرك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك وانظر كيف تكون : حينئذ ، ومثل له هول المضجع ومساءلة . منكر وذكرير وانظر كيف تكون . ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها والعرض والحساب ، وانظر كيف تكون . ثم صرخ صرخة خر منشياً عليه . ونظر إلى رجل من أصحابه يضحك فقال له : لا تطمع فيما لا يكون ، ولا تلس ما يكون . فقيل له : كيف هذا يا أبا إسحاق ؟ فقال : لا تطمع في البقاء والموت يطلبك ، فكيف يضحك من يموت ولا يدري أين ينهب به إلى جنة أم إلى نار ؟ ولا تنس ما يكون الموت يأتيك صباحاً أو مساء . ثم قال : أوه أوه ! ثم خر منشياً عليه . وكان يقول : مالنا نشكو قفراً إلى

فلما ولا نسال كشفه من رينا . ثم يقول : ثككت عبيداً أمه أحب الدنيا ونبي ما في خزان مولاہ
وقال : إذا كنت بالليل نائماً وبالنهار هائماً وفي الماصى دائماً فكيف ترضى من هو بأمرك قائماً .
ورآه بعض أصحابه وهو بمسجد بيروت وهو يبكي ويضرب يديه على رأسه ، فقال : ما يبكيك ؟
فقال : ذكرت يوماً تنقلب فيه القلوب والأبصار . وقال : إنك كلما أمنت النظر في مرآة النوبة
بان لك قبح شين المعصية .

وكتب إلى الثوري : من سرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ، ومن
أطلق أمله ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه . وسأله بعض الولاة من أين معيشتك ؟ فأنشأ يقول :

نزعُ دنياها بتزريقِ ديانها * فلا ديلنا يبقى ولا ما نرفع
وكان كثيراً ما يمثل بهذه الأبيات :

لما نزع الدنيا به من شرورها * يكون بكاء الطفل ساعة بوضع
في الآفا يبكي من منها وإنها * لأروح مما كان فير وأوسع
إذا أبصر الدنيا استهل كأنها * يرى ما يلقى من أذاها ويسمع
وهي يمثل أيضاً :

رأيت الذنوب تجبت القلوب * وبورنها الدل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب * وخير لنفسك عصيانها
وما أفسد الدين إلا ملوك * وأجار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا * ولم ينل بالبيع أثمانها
لقد رجع القوم في جيفة * تبين لدى اللب أنتانها

قال : إنما يتم الورع بتسوية كل الخلق في قلبك ، والاشتغال عن هيوهم بذهبك ، وعليك
باللفظ الجبل من قلب ذليل لرب جليل ، فكر في ذنبك وتب إلى ربك يذبت الورع في قلبك ،
واقطع الطمع إلا من ربك . وقال : ليس من أسلام الحب أن تحب ما يفضله حبيبك ، ذم ، ولانا
الدنيا فدهانها ، وأنفضها فأحبيناها ، زهدنا فيها فآثرناها ورغبنا في طلبها ، وهصدك خراب
الدينا فخدمناها ، ونهاكم عن طلبها فطلبناها ، وأنذرناكم الكنوز فكفرتهموها ، دعناكم إلى هذه
المرارة فدعيناها ، فأجتمت مسرعين منادينا ، خدعناكم بدورها ، ومنتكم فانقدتم خاضعين لأمانها
تنسرفون في زهراتها وزخارفها ، وتثتمون في لذاتها وتثقلون في شهواتها ، وتتلون بلبانها ،
تدشون بمخالب الحرس عن خزانها ، تمهرون بمال الطمع في معادنها . وشكى إليه رجل كثرة
عياله فقال : ابعث إلى منهم من لا رزقه على الله . فسكت الرجل . وقال : مرت في بعض جبال
فاذا حجر مكتوب عليه بالعربية :

كلُّ حَيٍّ وَإِنْ بَقِيَ • فَمَنْ الْعَيْشِ يَسْتَقِي
فَاعْمَلِ الْيَوْمَ وَاجْتَنِبْ • وَاحْذَرْ الْمَوْتَ يَا شَقِي
قال : فبينما أنا واقف أقرأ وأبكي ، وإذا برجل أشعر أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم وقال : مم
تبكي ؟ فقلت : من هذا . فأخذ بيدي ومضى غير بعيد فاذا بصخرة عظيمة مثل المحراب فقال اقرأ
وابك ولا تقصر . وقام هو يصلي فاذا في أعلاه نقش بين عربي :

لا تَبْغَيْنِ جَاهَا وَجَاهَكَ سَاقِطٌ • عِنْدَ الْمَلِكِ وَكُنْ لْجَاهِكَ مُصْلِحَا
وفي الجانب الآخر نقش بين عربي :

مَنْ لَمْ يَتَّقِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ • لَا فِي هُمُومًا كَثِيرَةً الضَّرَرُ
وفي الجانب الأيسر منه نقش بين عربي :

مَا أَزَيْنُ التَّقَى وَمَا أَقْبَحُ الْخُلَا • وَكَلِّ مَاخُودَةً بِمَا جَنَّا • وَعِنْدَ اللَّهِ الْجَزَا
وفي أسفل المحراب فوق الأرض بذراع أو أكثر :
إِنَّمَا النُّورُ وَالنُّفَى • فِي تُقَى اللَّهِ وَالْعَمَلِ

قال : فلما فرغت من القراءة التفت فاذا ليس الرجل هناك ، فما أدري انصرف أم حجب عني .
وقال : أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان ، ومن وفي العمل وفي له الأجر ، ومن لم يعمل
رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير . وقال : كل سلطان لا يكون عادلا فهو والوص
بمنزلة واحدة ، وكل عالم لا يكون ورعاً فهو والذئب بمنزلة واحدة ، وكل من خدم سوى الله فهو
والكلب بمنزلة واحدة . وقال : ما يلبغي لمن ذل لله في طاعته أن يذل لغير الله في مجاعته ، فكيف
بمن هو يتقلب في نعم الله وكفايته ؟ وقال : أعر بنا في كلامنا فلم نلحن ، ولحنا في أعمالنا فلم نعرب .
وقال : كنا إذا رأينا الشاب يسكنكم في المجلس أيسنا من خيره . وقال : جانبوا الناس ولا تنقطعوا
عن جمعة ولا جماعة .

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب : أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسن بن محمد بن زامين
الأسترابادي قال : أنبأ عبد الله بن محمد الحليدي الشيرازي أنبأ القاضي أحمد بن خرداد الأهوازي
حدثني علي بن محمد القصوي حدثني أحمد بن محمد الحلبي سمعت سرياً السقطي يقول سمعت بشراً
ابن الحارث الحنفي يقول : قال إبراهيم بن آدم : وقفت على راهب فأشرف على قلعت له : عظمي
فأنشأ يقول :

خُذْ مِنْ النَّاسِ جَانِبًا • كُنْ بِمَدْوَكٍ رَاهِبَا

إِنَّ دهرًا أَظْلَى * قَدْ أَرَانِي المِجَانِبَا
 قَلْبَ النَّاسِ كَيْفَ شُدَّ * تَنَجِّدُمْ عَقَارِيَا
 قَالَ بِشِيرٍ قُلْتُ لَا إِبْرَاهِيمَ هَذِهِ مَوْعِظَةُ الرَّاهِبِ لَكَ ، فَمَظَّنِي أَنْتَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
 تَوْحِشُ مِنَ الْإِخْوَانِ لَا تَبِيعْ مَوْلَسًا * وَلَا تَتَخَذْ خَلَاوِلًا تَبِيعْ صَاحِبَا
 وَكُنْ سَامِرَى الْفَعْلِ مِنْ نَسْلِ آدَمِ * وَكُنْ أَوْحَدِيَا مَا قَدَرْتُ بِمِجَانِبَا
 فَقَدْ فَسَدَ الْإِخْوَانُ وَالْحُبُّ وَالْإِخَا * فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا مَذْوَفًا وَكَاذِبَا
 فَقُلْتُ وَتَوَلَّى أَنْ يَقَالَ مَدْمَدَةً * وَتَذَكَّرُ حَالَتِي لَقَدْ صَرَّتْ رَاهِبَا
 قَالَ سَرَى ! قُلْتُ لِبَشَرٍ : هَذِهِ مَوْعِظَةُ إِبْرَاهِيمَ لَكَ فَمَظَّنِي أَنْتَ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالْحَوْلِ وَلِزُومِ
 بَيْتِكَ . قُلْتُ بَلَمُنَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ : لَوْلَا اللَّيْلُ وَمِلَاقَةُ الْإِخْوَانِ مَا بَالَيْتُ مَتَى مَتَى . فَأَنْشَأَ بِشِيرٍ
 يَقُولُ :
 يَا مَنْ يَسُرُّ بِرُؤْيَا الْإِخْوَانِ * مَهْلًا أُمْنَتْ مَكَايِدَ الشَّيْطَانِ
 خَلَّتِ الْقُلُوبُ مِنَ الْمَعَادِ وَذَكَرُوا * وَتَشَاغَلُوا بِالْخُرُصِ وَالْخُسْرَانِ
 صَارَتْ بِجَالِسٍ مَنْ تَرَى وَحْدَهُمْ * فِي هُنَاكَ مُسْتَوٍ وَمَوْتٍ جَنَانِ
 قَالَ الْحَلْبِي قُلْتُ لِسَرَى : هَذِهِ مَوْعِظَةُ بِشِيرٍ فَمَظَّنِي أَنْتَ . فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالْإِخْلَالِ قُلْتُ
 أَحِبُّ ذَاكَ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا مَنْ يَرُومُ بِزَعْمٍ إِخْلَالًا * إِنْ كَانَ حَقًّا فَاسْتَعِدَّ خِصَالَا
 تَرَكِ الْجَالِسِينَ وَالتَّذَاكُرَ يَا أَخِي * وَاجْعَلْ خُرُوجَكَ لِلصَّلَاةِ خِيَالَا
 بَلْ كُنْ بِهَا حَيًّا كَأَنَّكَ مَيِّتٌ * لَا يَرْجُو مِنْهُ الْقَرِيبُ وَصَالَا
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَصْرِيُّ : قُلْتُ لِلْحَلْبِيِّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ سَرَى لَكَ فَمَظَّنِي أَنْتَ . فَقَالَ : يَا أَخِي
 أَحِبُّ الْأَعْمَالَ إِلَى اللَّهِ مَا صَدَّقَ إِلَيْهِ مِنْ قَلْبٍ زَاهِدٍ فِي الدُّنْيَا ، فَزَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا يَحِبُّكَ اللَّهُ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :
 أَنْتَ فِي دَارِ شَتَاتٍ * فَتَأْهَبُ لَشَتَاتِكَ * وَاجْعَلِ الدُّنْيَا كَيَوْمٍ * صَمْتُهُ عَنْ شَهَوَاتِكَ
 وَاجْعَلِ الْفَطْرَ إِذَا * مَا صَمْتُهُ يَوْمَ وَفَاتِكَ
 قَالَ ابْنُ خَيْرٍ زَادَ فَمَا لَمْ لَعَلَّ مَوْعِظَةَ الْحَلْبِيِّ لَكَ فَمَظَّنِي أَنْتَ . فَقَالَ لِي : احْفَظْ وَقْتُكَ
 وَاسْحَبْ بِسَبَابِكَ نَهْ عَنْ وَجْهِ ، وَانْزِعْ قَلْبَكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ يَصِفُ لَكَ بِئْسَ مَرْكَزٌ يَدُوكُ بِهِ
 ذَكَرَكَ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

حَيَاتُكَ أَنْفَاسٌ تَمُوتُ فَكَلِّمْهَا * بَعْضُ مَنْ مِنْهَا انْتَفَعَتْ بِهَرَجِزَا
 فَتَصْبِيحُ فِي نَقْصٍ وَتَمْسِي بِشَلَلٍ * وَمَالُكَ مَقُولٌ تَحْسِبُ بِهِ رِزَا
 بِمَيْتِكَ مَا بِحَيِّكَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ * وَبِحَدُوكَ حَادٍ مَا يَزِيدُكَ الْهَزَا

قال أبو محمد قلت لأحمد : هذه وعظة على لك فعضي . فقال : يا أخى عليك بلزوم الطاعة
رياك أن تغرق باب القناعة ، وأصلح ممالك ، ولا تؤثر هواك ، ولا تتبع آخرتك بدنياك ، واشتغل
بما يمنيك بترك ما لا يمنيك . ثم أنشدنى :

ندمت على ما كان منى ندامة * ومن يتبع ما تشتهى النفس يندم
نفاقوا لكيما تأمنوا بعد موتكم * سئلون رباً عادلاً ليس يظلم
فليس لمغرور بدنياه زاجر * سيندم إن زلت به النعل فاعلوا

قال ابن زامين فقلت لأبي محمد : هذه وعظة أحمد لك فعضي أنت . فقال : اعلم رحمك الله أن
الله عز وجل ينزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهبوطها ، فانظر أين ينزل قلبك ، واعلم أن الله
سبحانه يقرب من القلوب على حسب ما تقرب منه . وتقرب منه على حسب ما قرب إليها . فانظر
من القريب من قلبك . وأنشدنى :

قلوب رجال في الحجاب نزول * وأرواحهم فيها هناك حلول
تروح نعيم الأنس في عز قربهم * بأفراد توحيد الجبل تحول
لهم بقاء القرب من محض برو * عوائد بذل خطيئهم جليل

قال الخطيب : فقلت لابن زامين : هذه وعظة الحميدى لك فعضي أنت . فقال : اتق الله وثق
به ولا تهمله فان اختيارك لك خير من اختيارك لنفسك وأنشدنى :

اتخذ الله صاحباً * ودع الناس جانباً
جرب الناس كيف شئت * تخرجهم عقارباً

قال أبو الفرج غيث الصورى : فقلت للخطيب : هذه وعظة ابن زامين لك فعضي أنت .
فقال : احذر نفسك التي هي أعدى أعدائك أن تنابها على هواها ، فذاك أعضل دائك ، واستشرف
الخوف من الله تعالى بخلافها ، وكرر على قلبك ذكر نعمتها وأوصافها ، فانها الأمانة بالسوء والفحشاء ،
والموردة من أطاعها موارد العطب والبلاء ، واعمد فى جميع أمورك إلى تحرى الصدق ، ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله . وقد ضمن الله لمن خالف هواه أن يجعل جنسة الخلد قراره ومأواه
ثم أنشد نفسه :

إن كنت تبغى الرشاد محضاً * فى أمر دنياك والمعاد
نحالف النفس فى هواها * إن الهوى جامع الفساد

قال ابن عساكر : المحفوظ أن إبراهيم بن آدم توفى سنة ثنتين وستين ومائة . وقال غيره : إحدى
وستين وقيل سنة ثلاث ، والصحيح ما قاله ابن عساكر والله أعلم . وذكروا أنه توفى فى جزيرة من

جزائر بحر الروم وهو مرايط ، وأنه ذهب إلى الخلاء ليلة مات نحواً من عشرين مرة ، وفي كل مرة يجدد الوضوء بعدهذا ، وكان به البطن ، فلما كانت غشية الموت قال : أوتروا لي قوسى ، فأوتروه فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرى به إلى المدو رحمه الله وأكرم مثواه .

وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي : حدثنا محمد بن عيسى بن يزيد الصائغ قال سمعت الشافعى يقول : كان سفيان ممجاً به :

[أجمعهم الدنيا تغافوا ولم يزل * كذلك ذوالنقوى عن العيش ملجما
أخوه طيء داود منهم وسمر * ومنهم وهيب والمريب ابن أدهما
وفى ابن سعيد قدوة البر والنهى * وفى الوارث الفاروق صدقاً مقدما
وحسبك منهم بالفضيل مع ابنه * ويوسف أن لم يأل أن يقتلما
أولئك أمهات وأهل مودى * فصلى عليهم ذو الجلال وسلما
فما ضر ذا النقوى لصال أسنة * وما زال ذو النقوى أحر وأكرما
وما زالت النقوى تربك على الفتى * إذا محض النقوى من العز ميسما]

وروى البخارى فى كتاب الأدب عن إبراهيم بن آدم وأخرج الترمذى فى جامعه حديثاً معلقاً فى المسح على الخفين ، والله سبحانه أعلم ، [(١)

وفىها توفى أبو سليمان داود بن نصير الطائى الكوفى الفقيه الزاهد ، أخذ الفقه عن أبي حنيفة . قال سفيان بن عيينة : ثم ترك داود الفقه وأقبل على العبادة ودفن كتبه . قال عبد الله بن المبارك : وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائى . وقال ابن معين : كان ثقة ، وفد على المهدي ببغداد ثم عاد إلى الكوفة . ذكره الخطيب البغدادي . وقال : مات فى سنة ستين ومائة ، وقيل فى سنة ست وخمسين ومائة . وقد ذكر شيخنا الذهبي فى تاريخه أنه توفى فى هذه السنة - أعنى سنة ثنتين وستين ومائة - والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة
فبها حصر المقفع الزنديقى الذى كان قد نبغ بخراسان وقال بالتناسخ ، واتهمه على جهالته وضلالته خلق من الطعام وسفهاء الأنام ، والسئلة من العوام ، فلما كان فى هذا العام لجأ إلى قلعة كش لحاصره سميد الحريثى فألح عليه فى الحصار ، فلما أحس بالثغلة تحصى سما وسم لساءه فاتوا جميعاً ، عليهم لعائن الله ، ودخل الجيش الاسلامى قلعة فاحتزوا رأسه وبشوا به إلى المهدي ، وكان المهدي يحلب . قال ابن خلدكان : كان اسم المقنع عطاء ، وقيل جكيم ، والأول أشهر . وكان أولاً قصاراً ثم ادعى الربوبية ، مع أنه كان أعور قبيح المنظر ، وكان يتخذ له وجهاً من ذهب ، وقامه على جهالته خلق (١) زيادة من المصرية .

كثير ، وكان يرى الناس قرأ يرى من مسيرة شهرين ثم يغيب ، فمظم اعتقادهم له ومنعوه بالسلاح ، وكان يزعم لعنه الله وتعالى عما يقولون علواً كبيراً أن الله ظهر في صورة آدم ، ولهذا سجدت له الملائكة ، ثم في نوح ، ثم في الأنبياء واحداً واحداً ، ثم تحول إلى أبي مسلم الخراساني ، ثم تحول إليه . ولما حاصره المسلمون في قلعة التي كان جددوها بناحية كش مما وراء النهر ويقال لها سنم ، نحسى هو ونساؤه سمّاً فأتوا واستحوذ المسلمون على حواصله وأمواله

وفيها جهز المهدي البعوث من خراسان وغيرها من البلاد لغزو الروم ، وأمر على الجميع ولده هارون الرشيد ، وخرج من بغداد مشيعاً له ، فسار معه مراحل واستخلف على بغداد ولده موسى الهادي ، وكان في هذا الجيش الحسين بن قحطبة والربيع الحجاب وخالد بن برمك - وهو مثل الوزير للرشيد ولي العهد - وبجي بن خالد - وهو كاتبه وإليه النفقات - وما زال المهدي مع ولده مشيعاً له حتى بلغ الرشيد إلى بلاد الروم ، وارتاد هناك المدينة المسماة بالمهدية في بلاد الروم ، ثم رجع إلى الشام وزار بيت المقدس ، فسار الرشيد إلى بلاد الروم في جحافل عظيمة ، وفتح الله عليهم فتوحات كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة جداً ، وكان لخالد بن برمك في ذلك أثر جميل لم يكن لغيره ، وبعثوا بالبشارة مع سليمان بن برمك إلى المهدي فأكرمه المهدي وأجرل عطائه .

وفيها عزل المهدي عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى عليها زفر بن عاصم الهلالي ، ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن علي . وفيها ولى المهدي ولده هارون الرشيد بلاد المغرب وأذربيجان وأرمينية ، وجعل على رسائله يحيى بن خالد بن برمك ، وولى وعزل جماعة من النواب . وحج بالناس فيها على بن المهدي .

وفيها توفي إبراهيم بن طهمان ، وحريز بن عثمان الجعفي الرحبي ، وموسى بن علي اللخمي المصري وشبيب بن أبي حمزة ، وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وإليه ينسب قصر عيسى ، ونهر عيسى ببغداد ، قال يحيى بن معين : كان له مذهب جميل ، وكان معتزلاً للسلطان . توفي في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة . وهمام بن يحيى ، ويحيى بن أبي أيوب المصري ، وعبيدة بنت أبي كلاب العبادية ، بكت من خشية الله أربعين سنة حتى عميت . وكانت تقول : أشتى الموت فاني أخشى أن أجنى على نفسي جناية تكون سبب هلاكي يوم القيامة .

ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

فيها غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بلاد الروم ، فأقبل إليه ميهمائيل البطريق في نحو من تسعين ألفاً ، فبهم طاراذ الأرمني البطريق ففشل عنه عبد الكبير ومنع المسلمين من القتال وانصرف راجعاً - فأراد المهدي ضرب عنقه فكلّم فيه لحبسه في المطبق .

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القعدة أسس المهدي قصرآ من ابن بيسا هاذ ، ثم عزم على الذهاب إلى الحج فأصابه حمى فرجع من أثناء الطريق ، فعطش الناس في الرجعة حتى كاد بعضهم يموت ، فغضب المهدي على يقعين صاحب المصانع ، وبعث من حيث رجع المهلب بن صالح بن أبي جعفر ليحج بالناس لحج بهم عائد . وفيها توفي شيبان بن عبد الرحمن النحوي ، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ، ومبارك بن فضالة صاحب الحسن البصري .

ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

فيها جهز المهدي ولده الرشيد لغزو الصائفة ، وأخذ معه من الجيوش خمسة وتسعين ألفاً وسبعمائة وثلثمائة وتسعين رجلاً ، وكان معه من النفقة مائة ألف دينار ، وأربعة وتسعون ألف دينار ، وأربعمائة وخمسون ديناراً ، ومن الفضة إحدى وعشرون ألف ألف وأربعمائة ألف ، وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم . قال ابن جرير . فبلغ بجندوه خليج البحر الذي على القسطنطينية ، وصاحب الرم يوشد أخسطة امرأة اليون ، وهما ابنتها في حجرها من الملك الذي توفي عنها ، فطلبت الصلح من الرشيد على أن تدفع له سبعمائة ألف دينار في كل سنة ، فقبل ذلك منها ، وذلك بعد ما قتل من الروم في الواقع أربعة وخمسين ألفاً وأسر من الداراي خمسة آلاف رأس وستمائة وأربعة وأربعين رأساً ، وقتل من الأسرى ألفي قتيل صبرآ ، وغنم من الدواب بأدواتها عشرين ألف فرس ، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس . وبيع البرذون بدرهم والبخل بأقل من عشرة دراهم ، والدرع بأقل من درهم وعشرون سيفاً بدرهم . فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة :

أطقت بـعـاطـلـيـة الروم مسندآ • إليها القنا حتى اكتفى اللئ سورخا

وما ريتها حتى أتتك ملوكها • بهزيتها والحرب تفل قدورها

وحج بالناس صالح بن أبي جعفر المنصور ، وفيها توفي سليمان بن المظيرة ، وعبد الله بن الملا ابن دبر ، وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان . ووهب بن خالد .

ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

في المحرم منها قدم الرشيد من بلاد الروم فدخل بغداد في أبهة عظيمة ومعه الروم يحملون الجزية من الذهب وغيره . وفيها أخذ المهدي البيعة لولده هارون من بعد موسى الهادي ، ولقب بالرشيد . وفيها سخط المهدي على يعقوب بن داود وكان قد حظى عنده حتى استوزره وأرتفعت منزلته في الوزارة حتى فوض إليه جميع أمر الخلافة ، وفي ذلك يقول بشار بن برد : -

بنو أمية مبروا طلال نومكم • إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافكم يا قوم فاطلبوا • خليفة الله بين الحر والموذ

(١) رواية ابن جرير : بين الدف والمود .

فلم نزل السماء والوشاة بينه وبين الخليفة حتى أخرجه عليه ، وكما سموا به إليه دخل إليه فأصلح أمره معه ، حتى وقع من أمره ما سأذكره ، وهو أنه دخل ذات يوم على المهدي في مجلس عظيم قد فرش بأنواع الفرش وألوان الحرير ، وحول ذلك المكان أصحان مزهرة بأنواع الأزاهير ، فقال : يا يعقوب كيف رأيت مجلسنا هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما رأيت أحسن منه . فقال : هو لك بما فيه ، وهذه الجارية ليتم بها سرورك ، ولي إليك حاجة أحب أن تقضيها . قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حتى تقول نعم . فقلت : نعم ! وعلى السمع والطاعة . فقال : الله ! فقلت : الله . قال : وحياتة رأسي قلت وحياتة رأسك . فقال : ضح يدك على رأسي وقل ذلك ، ففعلت . فقال : إن ههنا رجلا من العلويين أحب أن تكفيليه ، والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب . فقلت : نعم ، فقال : ومجمل علي ، ثم أمر بتحويل ما في ذلك المجلس إلى منزلي وأمر لي بمائة ألف درهم وتلك الجارية ، فافرحت بشئ فرح بها . فلما صارت بمنزلي حجبته في جانب الدار في خدر ، فأمرت بذلك العلوي فجئ به فجلس إلى فتكلم ، ففأرأيت أعقل منه ولا أفهم . ثم قال لي : يا يعقوب تلقى الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله (ص) . فقلت : لا والله ولكن اذهب حيث شئت وأين شئت . فقال : إني أختار بلاد كذا وكذا . فقلت : اذهب كيف شئت ، ولا يظهرن عليك المهدي فتهلك وأهلك . فخرج من عندي وجهزت معه رجلين يسفرانه ويوصلانه بعض البلاد ، ولم أشعر بأن الجارية قد أحاطت علما بما جرى ، وأنها كالجاسوس على ، فبعثت بخادمها إلى المهدي فأعلمته بما جرى ، فبعث المهدي إلى تلك الطريق فردوا ذلك العلوي فحبسه عنده في بيت من دار الخلافة ، وأرسل إلى من اليوم الثاني فذهبت إليه ولم أشعر من أمر العلوي بشئ ، فلما دخلت عليه قال : ما فعل العلوي ؟ قلت : مات . قال : الله ! فقلت : الله . قال : فضع يدك على رأسي وأحلف بحياته ، ففعلت . فقال : يا غلام أخرج ما في هذا البيت ، فخرج العلوي فأستط في يدى ، فقال المهدي : ذلك لي حلال . ثم أمر به فألق في بئر في المطبق . قال يعقوب : فكنت في مكان لا أسمع فيه ولا أبصر ، فذهب بصري وطال شعري حتى صرت مثل البهائم ، ثم مضت على مدد متطاولة ، فبينما أنا ذات يوم إذ دعيت فخرجت من البئر فقبل لي : سلم على أمير المؤمنين . فسلمت وأنا أظنه المهدي ، فلما ذكرت المهدي قال : رحم الله المهدي . فقلت : الهادي ؟ فقال : رحم الله الهادي . فقلت : الرشيد ؟ قال نعم . فقلت : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما حل بي من الضعف والدة ، فإن رأيت أن تطلقني ، فقال : أين تريد ؟ قلت : مكة . فقال : اذهب راشداً ، فسار إلى مكة فما لبث بها إلا قليلا حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد كان يعقوب هذا يعطى المهدي في أتاويه شرب النبيذ بين يديه ، وكثرة سماع الفناء فكان

يلومه على ذلك ويقول : ما على هذا استوزرتي ، ولا على هذا صحبتك ، أبعد الصلوات الحسن في المسجد الحرام يشرب الخمر ويعني بين يديك ؟ فيقول له المهدي : فقد سمع عبيد الله بن جعفر : فقال له يعقوب : إن ذلك لم يكن له من حسناته ، ولو كان هذا قرينة لكان كلما داوم عليه العبد أفضل . وفي ذلك يقول بعض الشعراء حسناً للمهدي على ذلك :

فدفع عنك يعقوب بن داود جانباً * وأقبل على صهباء طيبة النشر

وفيها ذهب المهدي إلى قصره المسمى بعيسا باذ - بنى له بالأجر بعد القصر الأول الذي بناه باليمن - فسكنه وضرب هناك للدرام والديناير . وفيها أمر المهدي بأقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يفعل أحد هذا قبل هذه السنة . وفيها خرج موسى الهادي إلى جرجان . وفيها ولي القضاء أبا يوسف صاحب أبي حنيفة . وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد عامل الكوفة . ولم يكن في هذه السنة صائفة للهدنة التي كانت بين الرشيد وبين الروم . وفيها توفي صدقة بن عبيد الله السمين ، وأبو الأشهب الهطاري ، وأبو بكر النهشلي ، وعففر بن معدان .

ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

فيها وجه المهدي ابنه موسى الهادي إلى جرجان في جيش كثيف لم ير مثله ، وجعل على رسائله أبا بن صدقة . وفيها توفي عيسى بن موسى الذي كان ولي العهد من بعد المهدي : مات بالكوفة فأشهد عليه روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الأعيان . ثم دفن . وكان قد امتنع من الصلاة عليه فكتب إليه المهدي يدعنه أشد التمني ، وأمر بحاسبته على عمله . وفيها عزل المهدي أبا عبيد الله مملوكة بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع بن يونس الحاجب ، فاستخلف فيه سعيد بن واقد وكان أبو عبيد الله يدخل على صرته . وفيها وقع وباء شديد وسعال كثير ببغداد والبصرة ، وأظلمت الدنيا حتى كانت كالليل حتى تعالى النهار ، وكان ذلك قليلاً بقيت من ذي الحجة من هذه السنة . وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في سائر الأفاق فاستحضرهم وقتلهم صبراً بين يديه ، وكان المتولي أمر الزنادقة عمر السكواذي . وفيها أمر المهدي بزيادة كثيرة في المسجد الحرام ، فدخل في ذلك دور كثيرة ، وولى ذلك ليقطين بن موسى الموكل بأمر الحرمين ، فلم يزل في عمارة ذلك حتى مات المهدي كاسياً . ولم يكن للناس صائفة للهدنة . وحج بالناس نائب المدينة إبراهيم بن محمد . وتوفي بعد فراقه من الحج بأبام . وولى مكانه إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس . ومن توفي فيها من الأعيان .

بشار بن برد أبو معاذ الشاعر مولى هذيل ، ولد أحمى ، وقال الشعر وهو دون عشرين سنين ، وله التشبيهات التي لم يهتد إليها البصرياء . وقد أنفى عليه الأصمعي والجاحظ وأبو تمام وأبو عبيدة ، وقال

له ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر . فلما بلغ المهدي أنه هاجم وشهد عليه قوم أنه ونديق أمر به فصرخ
حتى ملئت من بضع وسبعين سنة . وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات ، فقال : بشار بن برد بن
برسوخ النخيلي مولاهم ، وقد نسب صاحب الألقاب فأطال نسبه . وهو يصري فقدم مسند أصله من
طبرستان ، وكان ضخما عظيم النطق ، وشعره في أول طبقات المولدين ، ومن شعره البيت المشهور :

هل تطيق وداة الحب منزلة * كندى إليك هل الحب أوصاف
وقوله : أنا والله أشبهى سحر عبيد * لكوا وأنشئ معاصر العشاق
وله : يا قوم أذى لبعض الحب حائفة * والأذن تفتق قتل العين أحياء
فلما لم لا ترى عيبك قلت لهم * الأذن كالبنزورى للقلب حكاية^(١)

وله : إذا بلغ الرأي الشاؤز فاستمن * بحرم نصبح أو نصبح حرم
ولا تفعل الشورى عليك فضاغة * فريش الظوايق فوة القوامر
وما خبز كفت أسك الدل أنها * وما خبز سبغ لم يربط خنفر

كان بشار يمدح المهدي حتى وثق إليه الوزير^(٢) أنه هاجم وقده وذهب إلى شي من الرندة ،
وأه يقول بتفضيل النلو على التراب ، وعبر إبليس في السجود لآدم ، وأنه أشد به
الأرض مظلة والنار شرفة * والنلو مبيدة منذ كانت النار

فأمر المهدي بضربه فضر به حتى مات . ويقال : إنه غرق ثم نقل إلى البصرة في هذه السنة .
وفيهما توفي الحسن بن صالح بن حي ، وعاد من سلة ، والربيع بن سلم ، وسعيد بن عبد العزيز
ابن سلم ، وعتبة النخلام ، وهو عتبة بن أبي من سمعة أحد الصناد المشهورين السكاكين المذكورين ،
كان يأكل من حسل يده في الخمر ، ويصوم الدهر ويحضر على المنابر والملاح . والقاسم الحنابلة ،
وأبو حلال محمد بن سليم ، ومحمد بن طلبة ، وأبو حرة البشكري محمد بن جسون .

ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

فبها في رمضان منها قضت الروم ما بينهم وبين المسلمين من الصالح الذي عظمه هارون الرشيد
عن أمر أبي المهدي ، ولم يشهروا على الصالح إلا قنص وثلاثين شهرا ، فبث غالب الجزيرة
حبلا إلى الروم قتلوا وأسرروا وغسوا وسلوا . وفيها أخذ المهدي دواوين الأرملة^(٣) ولم يكن سوى أبيه
يرفرق ذلك . وفيها حج بالناس على بن محمد المهدي الذي يقال له أس ربطة . وفيها توفي الحسن

(١) في هذا البيت نهر ب (٢) بهادش التركي : أي نائب الوزير لبشار .

(٣) ويسمى واحدا (دواوين الرمام) . ويرى أنه لما حمت الدواوين لسمر بن بريع فسكر فإذا
هو لا يضبطها إلا برمام يكون له كل دواوين فأنشد دواوين الأرملة في خلافة المهدي .

ابن يزيد بن حسين بن علي بن أبي طالب ، ولله المنصور المدينة خمس سنين ، ثم غضب عليه فضر به وجسه وأخذ جميع ماله . [وهما محمد . كان ظريفاً ماجناً شاعراً ، وكان ممن يماثر الوليد بن يزيد ويهاجى بشار بن برد . وقدم على المهدي ونزل الكوفة واتهم بالزندقة . قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء : ثلاثة حمادون بالكوفة يرمون بالزندقة حماد الراوية ، وهما محمد ، وهما بن الزبرقان النحوي . وكانوا يتشاعرون ويتماجنون . ^(١) وخارجة بن مصعب ، وعبد الله بن الحسن ابن الحسين بن أبي الحسل البصري ، قاضي البصرة بعد سوار . سمع خالداً الخذاء وداود بن أبي هند ، وسميلاً الجري . وردى عنه ابن مهدي . وكان ثقة فقيهاً له اختيارات تمرى إليه غريبة في الأصول والفروع ، وقد سئل عن مسألة فأخطأ في الجواب فقال له قائل : الحكيم فيها كذا وكذا . فأطرق ساعة ثم قال : إذا أرجع وأنا صاغر ، لأن أكون ذنباً في الحق أحب إلى من أن أكون رأساً في الباطل . توفي في ذي القعدة من هذه السنة ، وقيل بعد ذلك بمشتر سنين قاله أعلم . غوث ابن سليمان بن زياد بن ربيعة أبو يحيى الجرمي ، قاضي مصر ، كان من خيار الحكام ، ولي الديار المصرية ثلاث مرات في أيام المنصور والمهدي . ووليح بن سليمان ، وقيس بن الزبيد في قول ، ومحمد بن عبد الله بن علاثة بن علقمة بن مالك ، أبو اليسر العقيلي ، قاضي الجانب الشرقي من بغداد للمهدي ، هو وعافية بن يزيد . وكان يقال لابن علاثة قاضي الجن ، لأنه كانت يثرى يصاب من أخذ منها شيئاً فقال : أيها الجن ! إنا حكمنا أن لكم الليل ولنا النهار . فكان من أخذ منها شيئاً في النهار لم يصبه شيء . قال ابن معين : كان ثقة . وقال البخاري : في حفظه شيء .

ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

فيها في المحرم منها توفي المهدي بن المنصور بمكان يقال له ما سبذان ، بالحلي ، وقيل مسموماً وقيل عضه فرس فمات . وهذه ترجمته

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أبو عبد الله المهدي ، أمير المؤمنين وإمام لقب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به ، وإن اشتركا في الاسم فقد اختلفا في الفعل ، ذلك يأتي في آخر الزمان عند فساد الدنيا فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً . وقد قيل إن في أيامه ينزل عيسى بن مريم يسبق كاسيائي ذلك في أحاديث الفتن والملاحم . وقد جاء في حديث من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بني العباس ، وجاء موقوفاً على ابن عباس وكسب الأخبار ولا يصح ، ويتقدّر بحجة ذلك لا يلزم أن يكون علي التميمي ، وقد ورد في حديث آخر أن المهدي من ولد فاطمة فهو يمارض هذا والله أعلم . وأم المهدي بن المنصور أم موسى

(١) زيادة من المصرية .

بنت منصور بن عبد الله الحبري . روى عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس « أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، رآه عنده يحيى بن حمزة النهشل قاضي دمشق ، وذكر أنه
صلى خلف المهدي حين قدم دمشق فخير في السورتين بالبسلة ، وأسند ذلك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، رواه غير واحد عن يحيى بن حمزة ، ورواه المهدي عن المبارك بن فضالة ، ورواه عنه أيضا جعفر
ابن سليمان الضبي ، ومحمد بن عبد الله الرقاشي ، وأبو سفيان سميد بن يحيى بن مهدي .

وكان مولد المهدي في سنة ست أو سبع وعشرين وسائة ، أو في سنة إحدى وعشرين ومائة
ولي الخلافة بعد موت أبيه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وعمره إذ ذلك ثلاث وثلاثون
سنة ، ولد بالحيرة من أرض البلقاء ، وتوفي في الحرم من هذه السنة . أعني سنة تسع وستين ومائة
عن ثلاث أو ثمان وأربعين سنة ، وكانت خلافته عشرين وشهراً و بعض شهر ، وكان أصغر طويلاً
جمد الشعر ، على إحدى عينيه نكتة بيضاء ، قيل على عينه اليمنى ، وقيل اليسرى . قال الربيع
الحاجب : رأيت المهدي يصلي في ليلة مقمرة في بهوله عليه ثياب حسنة ، فما أدري هو أحسن أم
القمر ، أم بهوه ، أم ثيابه . فقرأ [فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتعلموا أرحامكم]
الآية . ثم أمرني فأحضرت رجلاً من أقاربه كان مسجوناً فأطلقه . ولما جاء خبر موت أبيه بمكة كما
تقدم ، كنتم الأمر يومئذ في نودى في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة ، فقام فيهم خطيباً فأعلمهم
بموت أبيه وقال : إن أمير المؤمنين دعى فأجاب فعند الله أحسن وأجود من أمير المؤمنين وأسمنه على خلافة
المسلمين . ثم بايحه الناس بالخلافة يومئذ . وقد عزاه أبو دلالة وهنأه في قصيدته له يقول فيها :

عيناي واحدة ترى مسرورة * بأمرها جندلاً وأخرى تذرف
تبكي وتضحك نارة ويسوها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسوها موت الخليفة محرماً * ويسرها أن قام هذا الأراف
ما إن رأيت كما رأيت ولا أرى * شعراً أرجله وأخر يلف
هلك الخليفة يال أمة أحمد * وأناكم من بعد من يخلق
أهدى لهذا الله فضل خلافة * ولذلك جنسات النعم ترزف

وقد قال المهدي يوماً في خطبة : أيها الناس أسروا مثلما تعلمون من طاعتنا تهتكم العافية ،
وتحمدا العاقبة ، واخفضوا جناح الطاعة لمن ينشر مدانته فيكم ، ويطوى ثوب الاصر عنكم .
وأهال عليكم السلامة وابن الميمنة من حيث أراه الله ، مقدما ذلك على فعل من تقدمه ، والله لأعفين
عمرى من عقوبتكم ، ولأحملن نفسي على الاحسان إليكم . قال : فأشرفت وجوه الناس من حسن
كلامه . ثم استخرج حواصل أبيه من الذهب والفضة التي كانت لا تعد ولا توصف كثرة ، وفرقها

في الناس ، ولم يعط أهله ومواليه منها شيئاً ، بل أجرى لهم أرزاقاً بحسب كفايتهم من بيت المال ، لكل واحد خمسمائة في الشهر غير الأعطيات . وقد كان أبوه حريصاً على توفير بيت المال ، وإنما كان ينفق في السنة ألفي درهم من مال السراة . وأمر المهدي ببناء مسجد الرصافة وعمل خندق وسور حولها ، وبني مدناً ذكرناها فيما تقدم .

وذكر له عن شريك بن عبد الله القاضي أنه لا يرى الصلاة خلفه ، فأحضره فتكلم معه ثم قال له المهدي في جملة كلامه : يا ابن الأبيسة ! فقال له شريك : مه مه يا أمير المؤمنين . فلقد كانت صرامة قوامة . فقال له : يا زنديق لأقتلنك . فضحك شريك ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الزنادقة علامات يعرفون بها ، شربهم القهوات ، واتخاذهم القينات . فأطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه . وذكروا أنه حاجت ريح شديدة ، فدخل المهدي بيتاً في داره فألقى خده بالغراب وقال : اللهم إن كنت أنا المطلب بهذه المقربة دون الناس فما أناذا بين يديك ، اللهم لا تشمت بي الأعداء من أهل الأديان . فلم يزل كذلك حتى انجلت . ودخل عليه رجل يوماً معه نعل فقال : هذه نعل رسول الله . قد أهديتها لك . فقال : هاتها ، فنأوله إياها ، فقبلها ووضعها على عينيه وأمر له بعشرة آلاف درهم . فلما انصرف الرجل قال المهدي : والله إني لأعلم أن رسول الله . لم ير هذه النعل ، فضلاً عن أن يلبسها ، ولكن لورودته لذهب يقول للناس : أهديت إليه نعل رسول الله . فردها علي ، فتصدقته الناس ، لأن العامة تميل إلى أمثالها ، ومن شأنهم نصر الضعيف على القوى . وإن كان ظالماً ، فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم ، ورأينا هذا أرجح وأصلح .

واشتهر عنه أنه كان يحب اللعب بالحمام والسباق بينها ، فدخل عليه جماعة من محدثين فيهم عتاب بن إبراهيم فحدثه بمحدث أبي هريرة : « لا سبق إلا في خوف أو نعل أو حافر » . وزاد في الحديث « أو جناح » فأمر له بعشرة آلاف . ولما خرج قال : والله إني لأعلم أن عتاباً كذب على رسول الله . ثم أمر بالحمام فذبح ولم يذكر عتاباً بعدها . وقال الواقدي : دخلت على المهدي يوماً فحدثته بأحاديث فكتبها عني ثم تآم فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو محتلى غيظاً فقلت : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : دخلت على الخيزران فقامت إلى وزعت ثوبي وقالت : ما رأيت منك خيراً ، وإني والله يا واقدي إنما اشتريتها من نخاس ، وقد نالت عندي ما نالت ، وقد بايعت لولديها بأمرة المؤمنين من بعدي . فقلت : يا أمير المؤمنين إن رسول الله . قال : « إنهن يغلبن الكرام ويغلبن اللئيم » . وقال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله » ، وقد خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومه كسرتة . وحدثته في هذا الباب بكلام حضري . فأمر لي بألفي دينار ، فلما وافيت المنزل إذا رسول الخيزران قد لحقني بألفي دينار إلا عشرة دنانير ، وإذا معه أثواب أخر ، وبعثت تشكرني وتثني على معروف .

وذكروا أن المهدي كان قد أهدر دم رجل من أهل الكوفة وجعل لمن جاء به مائة ألف ، فدخل الرجل بغداد متنكرًا فلقية رجل فأخذ بمجامع ثوبه ونادى : هذا طلبة أمير المؤمنين . وجعل الرجل يريد أن ينفلت منه فلا يقدر ، فبيناهما ، يتجاذبان وقد اجتمع الناس عليهما ، إذ مر أمير في موكبه - وهو ممن بن زائدة - فقال الرجل يا أبا الوليد خائف مستجير ، فقال ممن : ويلاك مالك وله ؟ فقال هذا طلبة أمير المؤمنين ، جعل لمن جاء به مائة ألف . قال ممن : أما علمت أني قد أجرته ؟ أرسله من يدك . ثم أمر بعض غلماناه فترجل وأركبه وذهب به إلى منزله ، وانطلق ذلك الرجل إلى باب الخليفة وأنهى إليهم الخيل ، فبلغ المهدي فأرسل إلى ممن فدخل عليه فسلم فلم يرد عليه السلام وقال : يا ممن أبلغ من أمرك أن تجير علي ؟ قال : نعم قال : وانهم أيضا قال : نعم ! قد قتلت في دولتك أربعة آلاف مصل فلا يجار لي رجل واحد ؟ فأطرق المهدي ثم رفع رأسه إليه وقال : قد أجرنا من أجرت يامن . فقال : يا أمير المؤمنين إن الرجل ضعيف ، فأمر له بثلاثين ألفا . فقال : إن جريمته عظيمة وإن جوائز الخلفاء على قدر جرائم الرعية . فأمر له بمائة ألف ، فحملت بين يدي ممن إلى ذلك الرجل ، فقال له ممن : خذ المال وادع لأمر المؤمنين وأصلح نيتك في المستقبل .

وقدم المهدي مرة البصرة فخرج ليصلي بالناس فجاء أعرابي فقال : يا أمير المؤمنين مر هؤلاء فلينتظروني حتى أتوا - يعني المؤذنين - فأمرهم بانتظاره ، ووقف المهدي في الحراب لم يكبر حتى قيل له هذا لأعرابي قد جاء . فكبر ، فتعجب الناس من سباحة أخلاقه . وقدم أعرابي ومعه كتاب مخنوم فجعل يقول : هذا كتاب أمير المؤمنين إلى ، أين الرجل الذي يقال له الربيع الحاجب ؟ فأخذ الكتاب وجاء به إلى الخليفة وأوقف الأعرابي وفتح الكتاب فاذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضيقة ، والأعرابي يزعم أن هذا خط الخليفة ، فتبسم المهدي وقال : صدق الأعرابي ، هذا خطي ، إني خرجت يوماً إلى الصيد فضعت عن الجيش وأقبل الليل فتعذت بتعويذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فرفع لي نار من بعيد فقصدتها فاذا هذا الشيخ وامرأته في خباء يوقدان نارا ، فسلمت عليهما فردا السلام وفرش لي كساء وسقاني مذقة من لبن مشوب بهاء ، فما شربت شيئا إلا وهى أطيب منه ، ونمت نومة على تلك العباءة ما أشكر أني نمت أحلى منها . فقام إلى شوية له فذهبها فسمعت امرأته تقول له : عمدت إلى مكسبك ومميشة أولادك فذهبتها ، هلكت نفسك وعيالك . فما التفت إليها ، واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشوية وقلت له : أعتدك شيء أكتب لك فيه كتابا ؟ فأنا في هذه القطعة فكنت له بعدد من ذلك الرماد خمسمائة ألف ، وإنما أردت خسين ألفا ، والله لا نقتلها لك كلها ولولم يكن في بيت المال سواها . فأمر له بخمسمائة ألف فقبضها الأعرابي واستمر مقبيا في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الأنبار ، فجعل يقرى الضيف ومن مر به من الناس ، فمر ف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي .

وعن سوار - صاحب رجة سوار - قال : انصرفت يوماً من عند المهدي فجئت منزلي فوضع لي الغداء فلم تقبل نفسي عليه ، فدخلت خلوتي لأنام في القاعة فلم يأخذني نوم ، فاستدعيت بعض حظايي لأتلهي بها فلم تنبسط نفسي إليها ، فتهضت فخرجت من المنزل وركبت بعقلي فما جاوزت الدار إلا قليلاً حتى لقيني رجل ومعه ألف درهم ، فقلت : من أين هذه ؟ فقال : من ملكك الجديد . فاستصحبته ممي وسرت في أركة بغداد لأتأجل عما أنا فيه من الضرر ، فحانت صلاة العصر عند مسجد في بعض الحارات ، فقلت لأصلي فيه ، فلما قضيت الصلاة إذا برجل أعمى قد أخذ بثيابي فقال : إن لي إليك حاجة ، فقلت : وما حاجتك ؟ فقال : إني رجل ضرير ولكنني لما شمت رائحة طيبك ظننت أنك من أهل النعمة والثروة ، فأحببت أن أفضي إليك بحاجتي . فقلت : وما هي ؟ فقال : إن هذا القصر الذي تجاه المسجد كان لأبي فساخر منه إلى خراسان فباعه وأخذني معه وأنا صغير ، فافترقنا هناك وأصابني أنا الضرر ، فرجعنا إلى بغداد بعد أن مات أبي ، فجئت إلى صاحب هذا القصر أطلب منه شيئاً أتبلغ به لعلني أجمع بسوار ، فإنه كان صاحباً لأبي ، فلعلة أن يكون عنده سعة يجوز منها علي . فقلت : ومن أبوك ؟ فذكر رجلاً كان أصحب الناس إلى ، فقلت : إني أنا سوار صاحب أبيك ، وقد منى الله يومك هذا النوم والقرار والأكل والراحة حتى أخرجني من منزلي لأجتمع بك ، وأجلسني بين يديك ، وأمرت وكيلي يدفع له الألفي الدرهم التي معه ، وقلت له : إذا كان الغد فأت منزلي في مكان كذا وكذا . وركبت فجئت دار الخلافة وقلت : ما أنحف المهدي الليلة في السر بأغرب من هذا . فلما قصصت عليه القصة تعجب من ذلك جداً وأمر لذلك الأعمى بألفي دينار ، وقال لي : هل عليك دين ؟ قلت نعم . قال : كم ؟ قلت : خمسون ألف دينار . فسكت وحادثني ساعة ثم لما قت من بين يديه فوصلت إلى المنزل إذا الجمالون قد سبقوني بخمسين ألف دينار وألفي دينار للأعمى ، فانتظرت الأعمى أن يجيئ في ذلك اليوم فتأخر فلما أسيت عدت إلى المهدي فقال : قد فكرت في أمرك فوجدتك إذا قضيت دينك لم يبق مئكة شيء ، وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار أخرى . فلما كان اليوم الثالث جاءني الأعمى فقلت : قد رزقني الله بسببك خيراً كثيراً ، ودفعت له الألفي الدينار التي من عند الخليفة وزدته ألفي دينار من عندي أيضاً .

ووقفت امرأة للمهدي فقالت : يا عصابة رسرا ، أئقض حاجتي . فقال المهدي : ما سمعتها من أحد غيرها ، اقضوا حاجتها واعطوها عشرة آلاف درم . ودخل ابن الخياط على المهدي فاستدعه فأمر له بخمسين ألف درم ففرقها ابن الخياط وأنشأ يقول :-

أخذت بكفى كفى أبنتى الغنى • ولم أدر أن الجود من كفى يُعزى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى • أفدت ، وأعداني فبددت ما عندي

قال : فبلغ ذلك المهدي فأعطاه بدل كل درهم ديناراً . وبالجملة فإن المهدي مآثر ومحاسن كثيرة ، وقد كانت وفاته بما سبذان ، كان قد خرج إليها ليعث إلى ابنه الهادي ليحضر إليه من جرجان حتى يخلمه من ولاية العهد ويجمعه بعد هارون الرشيد ، فامتنع الهادي من ذلك ، فركب المهدي إليه قاصداً إحصاره ، فلما كان بماسبذان مات بها . وكان قد رأى في النوم وهو يقصره ببغداد المسمى بقصر السلامة - كأن شيخاً وقف بباب القصر ، ويقال إنه سمع هاتفاً يقول : -

كأنى بهذا القصر قد بادُ أهله * وأوحش نُه ربه ومنازله
وصارَ حميدُ التوم من بعد هجرة * وملك إلى قبرٍ عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه * تنادى عليه معولات حلالله
فأعاش بعدها إلا عشرًا حتى مات . وروى أنه لما قال له الهاتف : -

كأنى بهذا القصر قد بادُ أهله * وقد درست أعلامه ومنازله
فأجابه المهدي : كذلك أمور الناس يبلى جديدها * وكل فتى يوماً سنبلى فعائله
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك ميت * وإنك مسؤل فما أنت قائله
فأجابه المهدي : أقول بأن الله حق شهادته * وذلك قول ليس تصحى فضائله
فقال الهاتف : تزود من الدنيا فانك راحل * وقد أرف الأمر الذي بك نازل
فأجابه المهدي : متى ذاك خبرني حديث فاني * سأفعل ما قد قلت لي وأعاجله
فقال الهاتف : تلبث ثلاثاً بعد عشرين ليلة * إلى منتهى شهر وما أنت كامله
قالوا : فلم يمش بعدها إلا تسعاً وعشرين يوماً حتى مات رحمه الله تعالى .

وقد ذكر ابن جرير اختلافاً في سبب موته ، فقيل إنه ساق خلف طلي والكلاب بين يديه فدخل الظلي إلى خربة فدخلت الكلاب وراءه وجاء الفرس لحمل به شواره فدخل الخربة فكسر ظهره ، وكانت وفاته بسبب ذلك . وقيل إن بعض حظايه بعثت إلى أخرى لبنا مسموماً ثم رسول بالمهدي فأكل منه فمات . وقيل بل بعثت إليها بصيلة فيها السكرى وفي أعلاها واحدة كبيرة مسمومة ، وكان المهدي يعجبه السكرى ، فمات به الجارية ومعها تلك الصيلة فأخذ التي في أعلاها فأكلها فمات من ساعته ، فجعلت الحظية تنده وتقول : وأمير المؤمنين ، أردت أن يكون لي وحدي فقتلته بيدي . وكانت وفاته في الحرم من هذه السنة - أعني سنة تسع وستين ومائة - وله من العمر ثلاث ، وأربعون سنة على المشهور ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً وكسوراً ، ورتاه الشراء بمرائي كثيرة قد ذكرها ابن جرير وابن عساكر .

وفيهما توفي عبيد الله بن زياد ، ونافع بن عمر الجمحي ، ونافع بن أبي نعيم القاري .

مخدوم موسى الهادي بن علي هادي

توفي أبوه في الحرم من أول سنة تسع وستين ومائة وكان ولي العهد من بعد أبيه ، وكان أبوه قد عزم قبل موته على تقديم أخيه الرشيد عليه في ولاية العهد ، فلم يتفق ذلك حتى مات المهدي بماسبذان . وكان الهادي إذ ذاك بجرجان ، فهم بعض الدولة منهم الربيع الحاجب وطائفة من القواد على تقديم الرشيد عليه والمبايعة له ، وكان الرشيد حاضراً ببغداد ، وعزموا على التفتة على الجند لذلك تنفيذاً لما رآه المهدي من ذلك . فأسرع الهادي السير من جرجان إلى بغداد حين بلغه الخبر ، فساق منها إليها في عشرين يوماً ، فدخل بغداد وقام في الناس خطيباً ، وأخذ البيعة منهم فبايعوه ، وتغيب الربيع الحاجب فتطلبه الهادي حتى حضر بين يديه ، فعفا عنه وأحسن إليه وأقره على حجو بيته ، وزاده الوزارة وولايات أخر . وشرع الهادي في تطلب الزنادقة من الآفاق فقتل منهم طائفة كثيرة ، واقتدى في ذلك بأبيه ، وقد كان موسى الهادي من أفكك الناس مع أصحابه في الخلوة ، فإذا جلس في مقام الخلقة كانوا لا يستطيعون النظر إليه ، لما يعلوه من المهابة والرياسة ، وكان شاباً حسناً وقوراً مهيئاً .

وفيها - أعنى سنة تسع وستين ومائة - خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وذلك أنه أصبح يوماً وقد لبس البياض وجلس في المسجد النبوي ، وجاء الناس إلى الصلاة فلما رأوه ولوا راجعين ، والنف عليه جماعة فبايعوه على الكتاب والسنة والرضى من أهل البيت . وكان سبب خروجه أن متولياً خرج منها إلى بغداد لينهى الخليفة بالولاية ويعزیه في أبيه . ثم جرت أمور اقتضت خروجه ، والنف عليه جماعة وجعلوا مأواهم المسجد النبوي ، ومنهوا الناس عن الصلاة فيه ، ولم يجبه أهل المدينة إلى ما أرادوه ، بل جعلوا يدعون عليه لانهاكه المسجد ، حتى ذكر أنهم كانوا يقذرون في جنبات المسجد ، وقد اقتتلوا مع المسودة مرات فقتل من هؤلاء وهؤلاء . ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحج ، فبعث إليه الهادي جيشاً فقاتلوه بهد فراغ الناس من الموسم فقتلوه وقتلوا طائفة من أصحابه ، وهرب بقيتهم وتفرقوا شذر مندر . فكان مدة خروجه إلى أن قتل تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً ، وقد كان كريماً من أجود الناس ، دخل يوماً على المهدي فأطلق له أربعين ألف دينار ففرقها في أهله وأصدقائه من أهل بغداد والكوفة ، ثم خرج من الكوفة وما عليه قيص ، إنما كان عليه فروة وليس تحتها قيص .

وفيها حج بالناس سليمان بن أبي جعفر عم الخليفة . وغزا الصائفة من طريق درب الراهب معترق بن يحيى في جفضل كثيف ، وقد أقبلت الروم مع بطريقها فبلغوا الحدث . وفيها توفي الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب قتل في أيام التشريق كما تقدم .

والزبيح بن يونس الحجاب مولى المنصور، وكان حاجبه ووزيره، وقد ورر للعهدى والهادى، وكان بعضهم يلعن في نسبه. وقد أورد الخطيب في ترجمته حديثاً من طريقه ولكنه منكر، وفي صحته عنه نظر. وقد ولى الحجووية بعده ولده الفضل بن الزبيح، ولأه إياها الهادى.

ثم دخلت سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية

وفيها عزم الهادى على خلع أخيه هارون الرشيد من الخلافة وولاية العهد لابنه جعفر بن الهادى فانقاد هارون لذلك ولم يظهر منازعة بل أجاب، واستدعى الهادى جماعة من الأمراء فأجابوه إلى ذلك، وأبى ذلك أمهما الخيزران، وكانت تميل إلى ابنتها هارون أكثر من موسى، وكان الهادى قد منعها من التصرف فى شئ من المملكة لذلك، بعد ما كانت قد استحوذت عليه فى أول ولايته، وانقلبت الدول إلى بابها والأمراء إلى جنبها، فخلع الهادى لئن عاد أمير إلى بابها ليضر بن عتقه ولا يقبل منه شفاعاً، فامتنعت من الكلام فى ذلك، وحلفت لا تكلمه أبداً، وانتقلت عنه إلى منزل آخر. وأخ هو على أخيه هارون فى الخلع وبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك - وكان من أكبر الأمراء الذين هم فى صف الرشيد - فقال له: ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتولية ابنى جعفر؟ فقال له خالد: إني أخشى أن تهون الايمان على الناس، ولكن المصلحة تقتضى أن تجعل جعفرأولى العهد من بعد هارون، وأيضاً فاني أخشى أن لايجيب أكثر الناس إلى البيعة لجعفر، لأنه دون البلوغ، فيتناقم الامر ويختلف الناس. فأطرق ملياً - وكان ذلك ليلاً - ثم أمر بسجنه ثم أطلقه. وجاء يوماً إليه أخوه هارون الرشيد لجلس عن يمينه بعيداً، فجعل الهادى ينظر إليه ملياً ثم قال: يا هارون! اطعم أن تكون ولياً للعهد حقاً؟ فقال: إي والله، واثن كان ذلك لأصلن من قطعت، ولأنصفن من ظلمت، ولأزجن بنديك من بنائى. فقال ذاك الظن بك. فقام إليه هارون ليقبل يده فخلع الهادى ليجلس معه على السرير فجلس معه، ثم أمر له بألف دينار، وأن يدخل الخيزران فبدأت منها ما أراد، وإذا جاء الخيزران دفع إليه نصفه. ففعل ذلك كله ورضى الهادى عن الرشيد. ثم سافر الهادى إلى حديقة الموصل بعد الصلح، ثم عاد منها فمات بعيساهاذ ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول، وقيل لآخر سنة سبعين ومائة، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته ستة أشهر^(١) وثلاثة وعشرون يوماً. وكان طويلاً جميلاً، أبيض، بشفته العليا تقلص.

وقد توفى هذه الليلة خليفة وهو الهادى، وولى خليفة وهو الرشيد، وولد خليفة وهو المأمون بن الرشيد. وقد قالت الخيزران أمهما فى أول الليل: إنه بلغنى أن يولد خليفة ويموت خليفة ويولى خليفة. يقال إنها سمعت ذلك من الأوزاعى قبل ذلك بمدة، وقد سرها ذلك جداً. ويقال: إنها

(١) فى المصرية: سنة وشهراً وثلاثة وعشرين يوماً.

سمعت ولدها الهادي خوفا منه على ابنها الرشيد ، ولأنه كان قد أبعدا وأقصاها وقرب حظيته خالصة وأدناها فأنه أعلم .

وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي

هو موسى بن محمد المهدي بن عبيد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو محمد الهادي . ولي الخلافة في محرم سنة تسع وستين ومائة . ومات في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنة سبعين ومائة ، وله من العمر ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل ست وعشرون سنة ، والصحيح الأول ، ويقال إنه لم يل الخلافة أحد قبله في سنة ، وكان حسنا جميلا طويلا ، أبيض ، وكان قوي البأس يشب على الدابة وعليه درعان ، وكان أبوه يسميه ربحاني . ذكر عيسى بن دأب قال : كنت يوما عند الهادي إذ جئ بطست فيه رأس جاريتين قد ذبحا وقطعا ، لم أر أحسن صورةا منهما ، ولا مثل شعورهما ، وفي شعورهما اللآليء والجواهر منضدة ، ولا رأيت مثل طيب ريحهما . فقال لنا الخليفة : أتدرون ما شأن هاتين ؟ قلت : لا . فقال : إنه ذكر أنه تركب إحداهما الأخرى يفعلان الفاحشة ، فأمرت الخادم فرصدهما ثم جاءني فقال : إنيما يجتمعتان ، فنجثت فوجدتهما في الخاف واحد وهما على الفاحشة ، فأمرت بحرقهما . ثم أمر برفع رؤسهما من بين يديه ورجع إلى حديثه الأول كأنه لم يصنع شيئا . وكان شهقا خيرا بالملك كريما ، ومن كلامه : ما أصلح الملك بمثل تعجيل العقوبة للجاني ، والعفو عن الزلات ، ليقطع الطمع عن الملك . وغضب يوما على رجل فاسترضى عنه فرضى ، فشرع الرجل يعتذر فقال الهادي : إن الرضا كفك مؤنة الاعتذار . وعزى رجلا في ولد ، فقال له : سرك وهو عدو وقتنة ، وساء له وهو خلافة ورخمة . وروى الزبير بن بكار أن مروان بن أبي حفصة أنشد الهادي قصيدة له منها قوله : -

تشابه يوما بأسر ونواله * فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي : أيما أحب إليك ؟ ثلاثون ألفا معجلة أو مائة ألف تنذور في الدواوين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أو أحسن من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تكون ألفا معجلة ومائة ألف تنذور بالدواوين . فقال الهادي : أو أحسن من ذلك ، نعمل الجميع لك . فأمر له بمائة ألف وثلاثين ألفا معجلة . قال الخطيب البغدادي : حدثني الأزهرى ثنا سهل بن أحمد الديباجي ثنا الصولي ثنا الغلابي حدثني محمد بن عبد الرحمن التيمي المسكي حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال : قدمنا على أبي محمد الهادي شهودا على رجل منا أنه شتم قریشا وتخطى إلى رسول الله (ص) ، فجلس لنا مجلسا أحضر فيه فقهاء أهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابيه ، وأحضر الرجل وأحضرنا فشهدنا عليه بما حاضا منه . فتخير وجه الهادي ثم نكس رأسه ثم رفعه ثم قال : إني سمعت أبي المهدي يتحدث عن أبيه المنصور

عن أبيه على بن عبد الله بن عباس قال : من أهان قريشا أهان الله ، وأنت يا عدو الله لم ترض بأن ذبت قريشا حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله (ص) ؟! اضربوا عنقه : فما برحنا حتى قتل .
توفي الهادي في ربيع الأول من هذه السنة ، وصلى عليه أخوه هارون ، ودفن في قصر بناء وسماه الأبيض بعيساباذ من الجانب الشرقي من بغداد ، وكان له من الولد تسعة ، سبعة ذكور وابنتان ، فالذكر جعفر ، وعباس ، وعبد الله ، وإسحاق ، وإسماعيل ، وسليمان ، وموسى الأعشى ، الذي ولد بعد وفاته فسمى باسم أبيه . والبنتان هما أم عيسى التي تزوجها المؤمنون ، وأم العباس تلقب توبة .

خلفته هارون الرشيد بن المهدي

بويح له بالخلافة ليلة مات أخوه ، وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة وكان عمر الرشيد يومئذ ثمان وعشرين سنة ، فبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك فأخبره من السجن ، وقد كان الهادي عزم تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد ، وكان الرشيد ابنه من الرضاة ، فولاه حينئذ الوزارة ، وولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الأشاء . وكان هو الذي قام خطيباً بين يديه حتى أختت البيعة له على المنبر بعيساباذ ، ويقال إنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى ابن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائماً فقال : قم يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تروني ، لو سمعت هذا الرجل لكان ذلك أكبر ذنوبي عنده ؟ فقال : قد مات الرجل . فجلس هارون فقال : أشر على في الولايات . فجعل يذكرولايات الأقاليم لرجال يسميهم فيوابعهم الرشيد ، فبينما هما كذلك إذ جاء آخر فقال : أبشر يا أمير المؤمنين فقد ولد لك الساعة غلام . فقال : هو عبد الله وهو المؤمن . ثم أصبح فصلى على أخيه الهادي ، ودفنه بعيساباذ ، وحلف لا يصلى الظهر إلا ببغداد . فلما فرغ من الجنائز أمر بضرب عنق أبي عصمة القائد لأنه كان مع جعفر بن الهادي ، فزاحوا الرشيد على جسر فقال أبو عصمة : أصبر وقف حتى يجوزولى العهد . فقال الرشيد : السمع والطاعة للأمير . فجاز جعفر وأبو عصمة ووقف الرشيد مكسوراً ذليلاً . فلما ولى أمر بضرب عنق أبي عصمة ، ثم سار إلى بغداد . فلما انتهى إلى جسر بغداد استدعى بالعواصين فقال إنى سقط منى ههنا خاتم كان والدى المهدي قد اشتراه لي بمائة ألف ، فلما كان من أيام بعث إلى الهادي يعالبه فألقينته إلى الرسول فسقط ههنا . ففاس العواصون وراءه فوجدوه فسر به الرشيد سروراً كثيراً . ولما ولى الرشيد يحيى بن خالد الوزارة قال له : قد فوضت إليك امر الرعية وخلعت ذلك من عنقي وجعلته في عنقك ، فول من رأيت وأعزل من رأيت . ففي ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي : -

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذي الندى * فهارون والبا ويحيى وزيرها

ثم إن هارون أمر يحيى بن خالد أن لا يقطع أمراً إلا بمشاورة والدته الخيزران . فكانت هي المشاورة في الأمور كلها ، فتبرم وتحمل وتمضى ونحكم .

وفيها أمر الرشيد بسم ذوى القربى أن يقسم بين بنى هاشم على السواء . وفيها تتبع الرشيد خدما من الزنادقة فقتل منهم طائفة كثيرة . وفيها خرج عليه بعض أهل البيت . وفيها ولد الأمين محمد بن الرشيد ابن زبيدة . وذلك يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة . وفيها نال بناء مدينة طرسوس على يدى فرج الخادم التركي ونزلها الناس . وفيها حج بالناس أمير المؤمنين الرشيد ، وأعطى أهل الحرمين أموالا كثيرة ، ويقال إنه غزا في هذه السنة أيضا . وفي ذلك يقول داود بن رزين الشاعر : —

هارون لآح النور فى كل بلدة * وقام به فى عدل سيرته النهج
إمام بذات الله أصبح شغله * وأكثر ما يعنى به لغزو والحج
تضيئ عيون الناس عن نور وجهه * إذا ما بدا للناس منظر البليج
وإن أمين الله هارون ذا النداء * يدل الذى يرجوه أضعاف ما يرجو
وغزا الصائفة فيها سليمان بن عبد الله البكائي .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدى ، ويقال الفرهودى الأزدى ، شيخ للتحفة ، وعنه أخذ سيبويه والنضر بن شميل ، وغير واحد من أكابرهم ، وهو الذى اخترع علم العروض . قسمه إلى خمس دوائر وفرعه إلى خمسة عشر بحراً ، وزاد الألف فى فيه بحراً آخر وهو الخطيب ، وقد قال بعض الشعراء : —

قد كان شر الورى صحيحاً * بن قبل أن يخلق الخليل

وقد كان له معرفة بعلم النغم ، وله فيه تصنيف أيضاً ، وله كتاب العين فى اللغة ، ابتداءه وأكمله النضر بن شميل وأضرابه من أصحاب الخليل ، كدورج السدوسى ، ونضر بن على الجهمضى . فلم يناسبوا ما وضعه الخليل . وقد وضع ابن درستويه كتاباً وصف فيه ما وقع لهم من الخلل فأفاد . وقد كان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً وقوراً كاملاً ، وكان منقلباً من الدنيا جداً ، صبوراً على خشونة العيش وضيقه ، وكان يقول : لا يجاوز همى ما وراء بابى ، وكان ظريفاً حسن الخلق ، وذكر أنه اشتغل رجل عليه فى العروض وكان بعيد الذهن فيه ، قال فقلت له يوماً : كيف تقطع هذا البيت ؟

إذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع

فشرع مى فى تقطيعه على قدر معرفته ، ثم إنه نهض من عنده فلم يعد إلى ، وكأنه فهم ما أشرت

إليه . ويقال إنه لم يسم أحد بعد النبي (ص) ، بأحمد سوى أبيه . روى ذلك عن أحمد بن أبي خيثمة والله أعلم . ولد الخليل سنة مائة من الهجرة ، ومات بالبصرة سنة سبعين ومائة على المشهور ، وقيل سنة ستين ، وزعم ابن الجوزي في كتابه شذور العقود أنه توفي سنة ثلاثين ومائة ، وهذا غريب جداً . والمشهور الأول .

وفيها توفي الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم ، المصري المؤدب راوية الشافعي ، وآخر من روى عنه . وكان رجلاً صالحاً تفرس فينه الشافعي وفي البويطي والمزني وابن عبد الحكم أعلام فوافق ذلك ما وقع في نفس الأمر . ومن شعر الربيع هذا :

صبراً جليلاً ما أسرع الفرجا * من صدق الله في الأمور نجبا

من خشى الله لم ينله أذى * ومن رجا الله كان حيث رجا

فأما الربيع بن سليمان بن داود الجيزي فإنه روى عن الشافعي أيضاً . وقد مات في سنة ست وخمسين ومائتين والله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

فيها أضاف الرشيد الخاتم إلى يحيى بن خالد مع الوزارة . وفيها قتل الرشيد أبا هريرة محمد بن فروخ نائب الجزيرة صبراً في قصر الخلد بين يديه . وفيها خرج الفضل بن سعيد الحروي قتل . وفيها قدم روح بن حاتم نائب إفريقية . وفيها خرجت الخيزران إلى مكة فأقامت به إلى أن شهدت الحج ، وكان الذي حج بالناس فيها عبد الصمد بن علي عم الخلفاء .

ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة

فيها وضع الرشيد عن أهل العراق العشر الذي كان يؤخذ منهم بعبد النصف هو فيها خرج الرشيد من بغداد يراد له موضعاً يسكنه غير بغداد فتشوش فرجع . وفيها حج بالناس يعقوب بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها غزا الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

فيها توفي بالبصرة محمد بن سليمان فأمر الرشيد بالاحتياط على حواصله التي تصلح للخلفاء ، فوجسوا من ذلك شيئاً كثيراً من الذهب والفضة والأمتعة وغير ذلك ، فنضدوه ليستعان به على الحرب وعلى مصالح المسلمين . وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي ، وكان من رجالات قریش وشجعانهم . جمع له المنصور بين البصرة والكوفة ، وزوجه المهدي ابنته العباسية ، وكان له من الأموال شيء كثير ، كان دخله في كل يوم مائة ألف . وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله . وروى الحديث عن أبيه عن جده الأكبر ،

وهو حديث مرفوع في مسح رأس اليتيم إلى مقدم رأسه ، ومسح رأس من له أب إلى مؤخر رأسه . وقد وفد على الرشيد فهناه بالخلافة فأكرمه وعظمه وزاده في عمله شيئاً كثيراً . ولما أراد الخروج خرج معه الرشيد يشيعه إلى كواذا . توفي في جمادى الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين سنة ، وقد أرسل الرشيد من أصغاف من ماله الصامت فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف ألف دينار ، ومن الدرهم ستة آلاف ألف ، خارجاً عن الأملاك .

وقد ذكر ابن جرير أن وفاته و وفاة الخيزران في يوم واحد ، وقد وقعت جارية من جواريه على قبره فأنشأت تقول :

أَمْسى الترابُ لمن هويتُ مبيتاً * القى الترابُ قتلُ لهُ حيثما
إنا نحبُّكَ يا ترابُ وما بنا * إلا كرامةٌ من عليهٍ حيثما

وفيها توفيت الخيزران جارية المهدي وأم أمير المؤمنين الهادي والرشيد ، اشتراها المهدي وحظيت عنده جداً ثم أعتقها وتزوجها وولدت له خليفين : موسى الهادي والرشيد . ولم يتفق هذا لغيرها من النساء إلا الولادة بنت العباس العباسية ، زوجة عبد الملك بن مروان ، وهي أم الوليد وسليمان . وكذلك لشاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ، ولدت لمولاه الوليد بن عبد الملك : مروان وإبراهيم . وكلاهما ولي الخلافة . وقد روى من طريق الخيزران عن مولاه المهدي عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبي (ص) ، قال : « من أتى الله وفاه كل شيء » . ولما عرضت الخيزران على المهدي ليشتريها أعجبته لإدقة في ساقها ، فقال لها : يا جارية إنك لعلى غاية المنى والجمال لولا دقة ساقيك وخمشهما . فقالت : يا أمير المؤمنين إنك أحوج ماتكون إليهما لا تراهما فاستحسن جوابها واشتراها وحظيت عنده جداً . وقد حجت الخيزران مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي بمكة يستوحش لها ويتشوق إليها بهذا الشعر : -

نحنُ في غايةِ السرورِ ولكنْ * ليسَ إلا بكمْ يتمُّ السرورُ
عيبٌ . ونحنُ فيه يا أهلَ ودي * أنكمْ عُقِبْتُمْ ونحنُ حضورُ
فأجِدُوا في السيرِ بل إن قدرتمْ * أن تطيروا معَ الرياحِ فطُيروا
فأجابته أو أمرت من أجابه :

قد أنانا الذي وصفتُ من الشو * ق فكندا وما قدرنا فطير
ليتَ أنَ الرياحَ كنْ يودينَ * إليكمْ ما قدَ يكنُ الضميرُ
لم أزلُ صبةً فإن كنتَ بعدي * في سرورِ فدامَ ذاكَ السرورُ

وذكروا أنه أهدى إليها محمد بن سليمان نائب البصرة الذي مات في اليوم الذي ماتت فيه مائة

وصيفة ، مع كل وصيفة جام من فضة مملوء مسكا . فكتبنت إليه : إن كان ما بعثته نمناعن فلننا فيك
فلننا فيك أكثر مما بعثت ، وقد بخسنا في الثمن ، وإن كنت تريد به زيادة المودة فقد أتممتني في
المودة . وردت ذلك عليه . وقد اشترت الدار المشهورة بها بمكة المعروفة بدار الخيزران ، فزادتها
في المسجد الحرام .

وكان مغلّ ضياعها في كل سنة ألف ألف وستين ألفا . واتفق موتها ببغداد ليلة الجمعة لثلاث
بقيين من جمادى الآخرة من هذه السنة . وخرج ابنها الرشيد في جنازتها وهو حامل سريرها يحب
في الطين . فلما انتهى إلى المقبرة أتى بماء فغسل رجله ولبس خفًا وصلى عليها ، ونزل لحدها . فلما
خرج من القبر أتى بسرير فخاس عليه واستدعى بالفضل بن الربيع فولاه الخاتم والدفقات . وأنشد
الرشيد قول ابن نيرة حين دفن أمه الخيزران :

وكنا كندماي جديمة برهة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك * لعل اجتماع لم نبت ليلة معا

غادر

وفيهما توفيت :

جارية كانت لموسى الهادي ، كان يحبها حبا شديدا جدا ، وكانت تحسن الغناء جدا ، فبينما هي
يوما تغني إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونه ، فسأله بعض الحاضرين : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟
فقال : أخذتني فكرة أتى أموت وأخي هارون يتولى الخلافة بعدى ويتزوج جاريته هذه . ففداه
الحاضرون ودعوا له بطول العمر . ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع فعوضه الرشيد من ذلك ،
فاستحلفه الهادي بالإيمان المغلظة من الطلاق والعناق والحج ماشيا حافيا أن لا يتزوجها ، فحلف له
واستحلف الجارية كذلك فحلفت له ، فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات ، ثم خطبها الرشيد
فقال : كيف بالإيمان التي حلفناها أنا وأنت ؟ فقال : إنى أكفر عني وعنك . فتزوجها وحظيت عنده
جدا ، حتى كانت تنام في حجره فلا يتحرك خشية أن يزعجها . فبينما هي ذات ليلة نائمة إذ انقهرت
مدعورة تبكي ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين رأيت الهادي في منامى هذا وهو
يقول :

أخلفت عهدي بعد ما * جاورت سكان المقابر
ونسيتني وحنثت في * أيمانك الكذب الفواجر
ونكحت غادرة أخى * صدق الذي سماك غادر
أسميت في أهل الهل * وعددت في الموتى الفواجر
لا بينك الألف الجدي * دولا تدرك عنك الدوائر
ولحقت في قبل الصبا * حوصرت حيث غدت صائر

فقال لها الرشيد : أضفأت أحلام . فقالت : كلا والله يا أمير المؤمنين ، فكأنما كنت هذه الأبيات في قلبي . ثم ما زالت ترتعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح . وفيها ماتت : هيلانة جارية الرشيد ، وهو الذي سماها هيلانة لكثرة قولها هي لانه . قال الأصمعي : وكان هذا محباً ، وكانت قبيلة لخالد بن يحيى بن برمك ، فدخل الرشيد يوماً منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه وقالت : أمالنا منك نصيب ؟ فقال : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ فقالت : استوهبني من هذا الشيخ . فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها له وحظيت عنده ، ومكثت عنده ثلاث سنين ثم توفيت فحزن عليها حزناً شديداً ورثاها وكان من قوله فيها : -

قد قلت لما ضمنوك الثرى * وجالت الحسرة في صدري
أذهب فلاق الله لا سرى * بمدك شيء آخر الدهر
وقال العباس بن الأحنف في موتها :

يامن تباشرت القبور بموتها * قصد الزمان مساء في فراك
أبني الأنيس فما أرى لي مؤنساً * إلا التردد حيث كنت أراك
قال : فأمر له الرشيد بأربعين ألفاً ، لكل بيت عشرة آلاف ، فله أعلم .
ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة من الهجرة

فيها وقعت عصبية بالشام وتخبط من أهلها . وفيها استقضى الرشيد يوسف ابن القاضي أبي يوسف وأبوه يحيى . وفيها غزا الصائفة عبيد الملك بن صالح فدخل بلاد الروم . وفيها حج بالناس الرشيد ، فلما اقترب من مكة بلغه أن فيها وباء فلم يدخل مكة حتى كان وقت الوقوف وقف ثم جاء المزدلفة ثم منى ثم دخل مكة فطاف وسعى ثم ارتحل ولم ينزل بها .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

فيها أخذ الرشيد بولاية المهدي بن عمه لولده محمد بن زبيدة وسماه الأمين ، وعمره إذ ذاك خمس سنين ، فقال في ذلك سلم الخاسر :

قد وفق الله الخليفة إذ بنى * بيت الخلافة للهجان الأزهري
فهو الخليفة عن أبيه وجم * شهدا عليه بمنظر وبمخير
قد بايع الثقلان في مهب المدي * محمد بن زبيدة ابنه جعفر

وقد كان الرتبة يتوسم النجاة والرجاحة في عبد الله المأمون ، ويقول : والله إن فيه حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعرة نفس الهادي . ولو شئت أن أقول الرابعة منى لقلت ، وإني لأقدم محمد بن زبيدة وإني لأعلم أنه متبع هواه ولكن لا أستطيع غير ذلك . ثم أنشأ يقول :

لقد بان وجه الرأي لي غير أني * غلبت على الأمر الذي كان أحزما
وكيف يرد الدار في الضرع بعدما * نوزع حتى سار نهبا مقسما
أخاف التواء الأمر بعد استوائه * وأن ينقض الأمر الذي كان أبرما

وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح ، في قول الواقدي . وحج بالناس الرشيد . وفيها ساريحي
ابن عبد الله بن حسن إلى الديلم ونحرك هناك . وفيها توفي من الأعيان .

شعوانة العابدة الزاهدة

كانت أمة سوداء كثيرة العبادة ، روى عنها كلمات حسان ، وقد سأها الفضيل بن عياض الدعاء
فقال : أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك ؟ فشق الفضيل ووقع مغشيا عليه . وفيها توفي
الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم . قال ابن خلكان : كان مولى قيس بن رفاعه
وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر الفهمي ، كان الليث إمام الديار المصرية بلا مدافعة ، وولد
بقرقشنة من بلاد مصر سنة أربع وتسعين . وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة ، ونشأ بالديار
المصرية . وقال ابن خلكان : أصله من قرقشنة وضبطه بلامين الثانية متحركة . وحكى عن بعضهم
أنه كان جيد الذهن ، وأنه ولي القضاء بمصر فلم يحمدا ذهنه بعد ذلك ، ولد سنة أربع وعشرين
ومائة ، وذلك غريب جدا . وكان يدخله من ملكه في كل سنة خمسة آلاف دينار .
وقال آخرون : كان يدخله من الغلة في كل سنة ثمانون ألف دينار ، وما وجبت عليه زكاة ، وكان
إماما في الفقه والحديث والعربية . قال الشافعي : كان الليث أقره من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه .
وبعث إليه مالك يستهديه شيئا من المصفر لأجل جهاز ابنته ، فبعث إليه بثلاثين حملا ، فاستعمل
منه مالك حاجته وباع منه بخمسة دنانير ، وبقيت عنده منه بقية . وحج مرة فأهدى له مالك طبقا .
فيه رطب فرد الطبق وفيه ألف دينار . وكان يهب للرجل من أصحابه من العلماء الألف دينار وما
يقارب ذلك . وكان يخرج إلى الاسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب ومطبخه في مركب .
ومناقبه كثيرة جدا . وحكى ابن خلكان أنه سمع قائلا يقول يوم مات الليث :

ذهب الليث فلا ليت لكم * ومضى الملم غريبا وقبر
فالتفتوا فلم يروا أحدا . وفيها توفي :

المنذر بن عبد الله المنذر

القرشي ، عرض عليه المهدي أن يلى القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم ، فقال : إني
عاهدت الله أن لا ألى شيئا ، وأعيد أمير المؤمنين بالله أن أخيس بهدي . فقال له المهدي : الله ؟
قال : الله . قال : انطلق فقد أعفيتك .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

فيها كان ظهور يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ببلاد الديلم ، واتبعه خاق كثير وجم غفير ، وقويت شوكته ، وارتحل إليه الناس من السكور والأمصار ، فانزعج لذلك الرشيد وخلق من أمره ، فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين ألفاً ، وولاه كور الجبل والري وجرجان وطبرستان وقومس وغير ذلك . فسار الفضل بن يحيى إلى تلك الناحية في أمة عظيمة ، وكتب الرشيد تلحقته مع البرد في كل منزلة ، وأنواع التحف والبر ، وكتب الرشيد صاحب الديلم ووعده بألف درهم إن هو سهل خروج يحيى إليهم ، وكتب الفضل إلى يحيى بن عبد الله يده ويمنه ويؤمله ويرجيه ، وأنه إن خرج إليه أن يقيم له المنصر عند الرشيد . فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده . فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعا عظيما . وكتب الأمان بيده وأشهد عليه القضاة والعقهاء ومشيخة بني هاشم ، منهم عبد الصمد بن علي ، وبعث الأمان وأرسل معه جوارز وتحفا كثيرة إليهم ، ليدفعوا ذلك جميعه إليه . ففعلوا وسلمه إليه فدخلوا به بغداد ، وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له في العطاء ، وخدمه آل برمك خدمة عظيمة ، بحيث إن يحيى بن خالد كان يقول : خدمته بنفسى وولدى : وعظم الفضل عند الرشيد جداً بهذه الفعلة حيث سعى بالصلح بين العباسيين والفاطميين ، ففي ذلك يقول مروان ابن أبي حفصة يمدح الفضل بن يحيى ويشكره على صليبه هذا :

ظفرت فلا شلت يداً برمكية * رقت بها الفتق الذي بين هاشم
على حين أعيا الراقب التثامه * فكفوا وقالوا ليس بالسلام
فأصبحت قد فازت يدك بخطه * من المجد باق ذكرها في المواسم
وما زال قدح الملك يخرج فازاً * لكم كلما ضمت قداح المسام

قالوا : ثم إن الرشيد تنكر ليحيى بن عبد الله بن حسن وتغير عليه ، ويقال : إنه سجنه ثم استحضره وعنده جماعات من الهاشميين ، وأحضر الأمان الذي بعث به إليه فسأل الرشيد محمد بن الحسن عن هذا الأمان أمحيص هو ؟ قال : نعم ! فتفيظ الرشيد عليه . وقال أبو البختری : ليس هذا الأمان بشئ فحكم فيه بما شئت ، ومزق الأمان . وبصق فيه أبو البختری ، وأقبل الرشيد على يحيى بن عبد الله فقال : هيه هيه ، وهو يبسم تبسم الغضب ، وقال : إن الناس يزعمون أنا سمعناك . فقال يحيى : يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورحما وحقا ، فعلام تمدبني وتجبسني ؟ فرق له الرشيد ، فاهترى بكار بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال : يا أمير المؤمنين لا يترك هذا الكلام من هذا ، فانه عاص شاق ، وإنما هذا منه مكر وخبث . وقد أفسد علينا مدينتنا وأظهر

فيها العصيان فقال له يحيى : ومن أنتم عاقلكم الله ؟ وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بآبائي وآباء هذا ثم قال يحيى : يا أمير المؤمنين لقد جاءني هذا حين قتل أنخي محمد بن عبد الله فقال : لعن الله قاتله ، وأنشدني فيه نحواً من عشرين بيتاً ، وقال لي ، إن تحركت إلى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك ، وما يمنعك أن تلحق بالبصرة وأيدينا معك ؟ قال : فتغير وجه الرشيد ووجه الزبيرى وأنكر وشرع يحلف بالإيمان المغلظة إنه لكاذب في ذلك ، ونحير الرشيد . ثم قال لي يحيى : انحفظ شيئاً من المرمية ؟ قال : نعم . وأنشده منها جانباً . فإزداد الزبيرى في الإنكار ، فقال له يحيى بن عبد الله : قتل : إن كنت كاذباً فقد برئت من حول الله وقوته ، ووكلني الله إلى حولي وقوتي . فامتنع من الحلف بذلك ، فعزم عليه الرشيد وتغيظ عليه ، فحلف بذلك فلا كان إلا أن خرج من عند الرشيد فرماه الله بالفالج فمات من ساعته . ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتله الله .

ثم إن الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله وأطلق له مائة ألف دينار ، ويقال إنما حبسه بعض يوم وقيل ثلاثة أيام . وكان جملة ما وصله من المال من الرشيد أربع مائة ألف دينار من بيت المال ، وعاش بعد ذلك كله شهراً واحداً ثم مات رحمه الله .

وفيها وقعت فتنة عظيمة بالشام بين التزارية ، وهم قيس ، والجمالية وهم يمن ، وهذا كان أول بدو أمر المشيرتين بحوران ، وهم قيس ويمن ، أعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الآن . وقتل منهم في هذه السنة بشر كثير . وكان على نيابة الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى ، وقيل عبد الصمد بن علي فأنه أعلم . وكان على نيابة دمشق بخصوصها سندی بن سهل أحد موالى جعفر المنصور ، وقد هدم سور دمشق حين ثارت الفتنة خوفاً من أن يتغلب عليها أبو الهيثم المزي رأس القيدية ، وقد كان مزي هذا دميم الخلق . قال الجاحظ : وكان لا يحلف المكارى ولا الملاح ولا الحائك ، ويقول : القول قولهم ، ويستخير الله في الحال ومعلم الكتاب . وقد توفي سنة أربع ومائتين . فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤس السكتاب ، فأصلحوا بين الناس وهدأت الفتنة واستقام أمر الرعية ، وحلوا جماعات من رؤس الفتنة إلى الرشيد فرد أمرهم إلى يحيى بن خالد فعما عنهم وأطلقهم ، وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

قد هاجت الشام هيجاً * يشيب رأس وليده
فصب موسى عليها * بخيل وجنوده
فدانت الشام لما * أتى بسنح وحيدة
هذا الجواد الذي * نك كل جود بجوده

أعداهُ جودُ أبيسر * يحبي وجودُ جدوده
نجادُ موسى بن يحبي * بطارفٍ وتليده
ونالُ موسى ذرى الحج * بر وهو حشو مهوده
خصصته . بمديحي * منشوره وقصيده
ون البراءك عوداً * له فأكرم بعوده
حووا على الشعر طراً * خفيه ومديده

وفيها عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وولاه حمزة بن مالك بن الهيثم الخراساني الملقب بالعرس . وفيها ولي الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد نيابة مصر ، فاستناب عليها جعفر عمر بن مهران ، وكان ردئ الخلق ردئ الشكل زمن الكف أحول ، وكان سبب ولايته إياها أن نائبها موسى ابن عيسى كان قد عزم على خلع الرشيد . فقال الرشيد : والله لأعزله ولأولين عليها أحسن الناس . فاستدعى عمر بن مهران هذا فولاه عليها عن نائبه جعفر بن يحيى البرمكي . فسار إليها على بغل وبغلا . أبو درة على بغل آخر ، فدخلها كذلك فاتته إلى مجلس نائبها موسى بن عيسى فجلس في أخريات الناس ، فلما انفض الناس أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو ، فقال : ألك حاجة يا شيخ ؟ قال : نعم ! قال : لمن الله فرعون حين قال : أليس لي ملك مصر ؟ ثم سلم إليه العمل وارتحل منها ، وأقبل عمر بن مهران على عمله ، وكان لا يقبل شيئاً من الهدايا إلا ما كان ذهباً أو فضة أو نقاشاً ، ثم يكتب على كل هدية اسم مهديها ، ثم يطالب بالخراج ويأخذ في طلبه عليهم ، وكان بعضهم يماطله به ، فأقسم لا يماطله أحد إلا فعل به وفعل . فجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، وكان يبعث ما جمعه إلى بغداد ، ومن ماضله بعثه إلى بغداد . فتأدب الناس معه . ثم جاءهم القسط الثاني فمعجز كثير منهم عن الأداء فجعل يستحضر ما كانوا أدوه إليه من الهدايا ، فإن كان نقداً أداه عنهم ، وإن كان براً باعه وأداه عنهم ، وقال لهم : إني إنما ادخرت هذا لكم إلى وقت حاجتكم . ثم أكل استخراج جميع الخراج بديار مصر ولم يفعل ذلك أحد قبله ، ثم انصرف عنها لأنه كان قد شرط على الرشيد أنه إذا مهد البلاد وجب الخراج ، فذلك إذنه في الانصراف . ولم يكن معه بالديار المصرية جيش ولا غيره سوى مولاة أبو درة وحاجبه ، وهو منفذ أموره . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ففتح حصناً . وفيها حجت زبيدة زوجة الرشيد ومعهما أخوها ، وكان أمير الحج سليمان بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد . وفيها توفي :

إبراهيم بن صالح

ابن علي بن عبد الله بن عبيد ، كان أميراً على مصر ، توفي في شعبان . وإبراهيم بن هرمة

كان شاعراً . وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة أبو إسحاق الفهرى المدني ، وفد على المنصور في وفد أهل المدينة حين استوفدم عليه ، فجلسوا إلى ستر دون المنصور ، يرى الناس من ورائه ولا يرونه ، وأبو الخصيب الحجاب واقف يقول : يا أمير المؤمنين هذا فلان الخطيب ، فيأمره فيخطب ، ويقول : هذا فلان الشاعر فيأمره فيشد . حتى كان من آخرهم ابن هرمة هذا ، فسمته يقول : لا مرحباً ولا أهلاً ولا أنعم الله بك حيناً . قال : قتلت : هلك ، ثم استندني فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :
سرى ثوبة هند الصبا المتجابل^(١) * وقرب للبين الخليل المزايل
حتى انتهيت إلى قول :

فأما التي أنته يامن الردى * وأما الذي حاولت بالشكل ناكل

قال : فأمر برفع الحجاب فكأذا وجهه كأنه فلق قر ، فاستندني بقية القصيدة وأمر لي بالقرب بين يديه ، والجلوس إليه ، ثم قال : ويحك يا إبراهيم الولاد ذنوب بلغتني عنك لفضلتك على أصحابك ، فقلت : يا أمير المؤمنين كل ذنوب بلغتني عنك لم تفر عنه فأنا مقربه . قال : فنالوا المحصرة فضر بني بها ضربتين وأمر لي بمشرة آلاف وخمسة وعشرون وأخفى بنظراني . وكان من جملة ما نال المنصور عليه قوله :

ومهما ألام على جهنم * فاني أحب بنى قاطمة

بنى بلى من جاء بالحسنة * ترو بالدن وبالسنن القائمة

فلست أبالى بحبي لهم * سواهم من النعم السائمة

قال الأخفش . قال لنا ثعلب قال الأصمى : ختمت الشعراء بابن هرمة . ذكر وفاته في هذه السنة . أبو الفرج ابن الجوزي . وفيها توفي الجراح بن مليح والد وكيع بن الجراح ، وسعيد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن جميل أبو عبد الله المدني ، ولي قضاء بغداد سبعة عشر سنة لمسير المهدي ، وثقه ابن معين وغيره . وفيها توفي :

صالح بن بشير المروى

أحد الهباد الزهاد ، كان كثير البكاء وكان يعظ فيحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء ، ويقول : سفيان هذا نذير قوم ، وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده فجاء إليه راكباً على حمار فدنا من بساط الخليفة وهو راكب فأمر الخليفة ابنه . ولي العهد من بعده موسى الهادي وهارون الرشيد . أن يقوموا إليه لينزلوه عن دابته ، فابتدراه فأنزلوه ، فأقبل صالح على نفسه فقال : لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم ، وفي هذا الله . - يس إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه ، ثم قال له : أعلم أن رسول الله (س) خصم من خالفه في أمته ، ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه ، فأعد لخصمة الله وخصامة رسوله حججاً تضمن لك النجاة ، وإلا فاستسلم للهلاك ، وأعلم أن أبطأ الصرع نهضة صريع هوى بدعته ، وأعلم أن الله قاهر فوق عباده ، وأن أثبت الناس قدماً

(١) كذا وأمل فيه تحريفاً .

آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله ، وكلام طويل . فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه .
وفيهما توفي عبد الملك بن محمد بن محمد بن أبي بكر عمرو بن حزم قدم قاضياً بالعراق . وفرج بن
فضالة التنوخي الحمصي ، كان على بيت المال ببغداد في خلافة الرشيد ، فتوفي في هذه السنة ، وكان
مولده سنة ثمان وثمانين ثمان وله ثمان وثمانون سنة . ومن مناقبه أن المنصور دخل يوماً إلى قصر
الذهب فقام الناس إلا فرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه : لم لم تقم ؟ قال : خفت أن يسأني الله
عن ذلك ويسألك لم رضيت بذلك ، وقد كره رسول الله (ص) ، القيام للناس . قال : فبكى المنصور
وقربه وقضى حوائجه . والمسيب بن زهير بن عمرو أبو سلمة الضبي ، كان والي الشرطة ببغداد في أيام
المنصور والمهدي والرشيد ، وولي خراسان مرة المهدي . عاش ستاً وتسعين سنة . والوضاح بن عبد الله
أبو عوانة السري مولاهم ، كان من أئمة المشايخ في الرواية . توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

فيها عزل الرشيد جعفر البرمكي عن مصر وولى عليها إسحاق بن سليمان ، وعزل حمزة بن مالك
عن خراسان وولى عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافاً إلى ما كان بيده من الأعمال بالرى وسجستان
 وغير ذلك . وذكر الواقدي أنه أصاب الناس ريح شديدة وظلمة في أواخر المحرم من هذه السنة ،
 وكذلك في أواخر صفر منها . وفيها حج بالناس الرشيد . وفيها توفي (شريك بن عبد الله) القاضي
 الكوفي النخعي ، سمع أبا إسحاق وغير واحد ، وكان مشكوراً في حكمه وتنفيذ الأحكام ، وكان لا يجلس
 للحكم حتى يتندى ثم يخرج ورقة من خفه فينظر فيها ثم يأمر بتقديم الخصومة إليه ، فحرص بعض أصحابه
 على قراءة ما في تلك الورقة فإذا فيها يا شريك بن عبد الله اذكر الصراط وحدته يا شريك بن عبد الله
 اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل . كانت وفاته يوم السبت مستهل ذى القعدة منها .
 وفيها توفي عبد الواحد بن زيد ، ومحمد بن مسلم وموسى بن أعين .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

فيها وثبت طائفة من الخوفاة من قيس وقضاة على عامل مصر إسحاق بن سليمان فقتلوه وجرت
 فتنة عظيمة فبعث الرشيد هرثمة بن أعين نائب فلسطين في خلق من الأمراء مدداً لإسحاق ، فقاتلوه
 حتى أذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج والوظائف ، واستمر هرثمة نائباً على مصر نحواً من
 شهر عوضاً عن إسحاق بن سليمان ، ثم عزله الرشيد عنها وولى عليها عبد الملك بن صالح . وفيها
 وثبت طائفة من أهل إفريقية فقتلوا الفضل بن روح بن حاتم وأخرجوا من كان بها من آل المهلب ،
 فبعث إليهم الرشيد هرثمة فرجعوا إلى الطاعة على يديه . وفيها فوض الرشيد أمور خلافة كلها إلى
 يحيى بن خالد بن برمك . وفيها خرج الوليد بن طريف بالجزيرة وحكم بها وقتل خلقاً من أهلها ، ثم

مضى منها إلى أرمينية فكان من أمره ما سئد ذكره . وفيها سار الفضل بن يحيى إلى خراسان فأحسن
السيرة فيها وبقي فيها الرابط والمساجد ، وغزا ما وراء النهر ، وأخذ بها جنوداً من المعجم ممام
العباسية ، وجعل ولائهم له ، وكانوا نحواً من خمسمائة ألف ، وبعث منهم نحواً من عشرين ألفاً إلى
بغداد ، فكانوا يسمون بها بالكرمينية ، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حصبة :

ما الفصل إلا شهاب لا أقول له • عند الحروب إذا ما نأفل الشهب
حاصر هل ملك قوم غر سبهم • بن الوراق في أيديهم سبب
أست يدربني ساق الحبيص بها • كنائب ملما في غيرهم أوب
كنائب لبني العباس قد عرفت • ما ألف الفضل منها المعجم والعرب
أثبتت خمس مئين في عدادهم • من الألف التي أحصت لها الكتب
يقارعون عن القوم الذين هم • أولى بأحد في الفرقان إن أسوا
إن الجواد ابن يحيى الفضل لا رقى • يبقى على حود كعبه ولا ذهب
ما مع يوم له منذ شد مزره • إلا يقول أقوام بما يوجب
كم غاية في الندى والبأس أحرزها • لاطالبين مداها دوتها فعب
يمطى النهى حين لا يعل الجواد ولا • يبدو إذا سلست الهندية الفصب
ولا الرضى والرضى فخر غايته • إلى سوى الحق يدعو ولا الفصب
قد طاش عرفك حتى ما يداله • غيب مفيت ولا يجر له حسب

وكان قد أنشده قبل حروجه إلى خراسان :

ألم تر أن الجود بن يد آدم • تحدر حتى صار في راحل الفضل
إذا ما أبو العباس سمعت سبزه • فبالك من هطل وبالك من • بل

وقال فيه أيضاً :

إذا أم طفل راحها جوع طفلها • دعته باسم الفضل فاعنعم الطفل
ليحي بك الاسلام إنك هزه • وإنك من قوم صنيرم كهل
قال فأمر له بمائة ألف درهم ذكره ابن جرير . وقال سلم الخاسر فيهم أيضاً :
وكيف تخاف من بؤس بدوي • يجاورها البرامكة البحود
وقوم منهم الفضل بن يحيى • نصير ما يوازنه نصير
له يومان يوم ندى وبأس • كأن الدهر بينهما أسير

(١) في المصرية والطبري : تكتنفها .

إذا ما البرمكي غدا ابن عشرين • فمتمته أمير أو وزير

وقد اتفق للفضل في هذه السفارة إلى خراسان أشياء غريبة ، وفتح بلادا كثيرة ، منها كابل وما وراء النهر ، وقهر ملك الترك وكان ممتعا ، وأطلق أموالا جزيلة جسدأ ، ثم قفل راجعا إلى بغداد ، فلما اقترب منها خرج الرشيد ووجوه الناس إليه ، وقدم عليه الشعراء والخطباء وأكابر الناس ، فجعل يطلق الألف ألف ، والخسمائة ألف ونحوها ، وأنفذ في ذلك من الأموال شيئا كثيرا لا يمكن حصره إلا بتمب وكافة ، وقد دخل عليه بعض الشعراء والبدر موضوعة بين يديه وهي تفرق على الناس فقال :

كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد * وجود يديه بخل كل بخل

فأمر له بمال جزيل . وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفر بن عاصم . وغزا الثانية سليمان ابن راشد . وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس نائب مكة . وفيها توفي جعفر بن سليمان ، وعنتر بن القاسم ، وعبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم القاضي ببغداد ، وصلى عليه الرشيد ودفن بها ، وقد قيل إنه مات في التي قبلها فآله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن جميل ، فولى الرشيد عليها منصور بن يزيد بن منصور الحيرى . وفيها عزل الرشيد خالد بن برمك عن الحجوبة وردها إلى الفضل بن الربيع . وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني ، وكان من أمره ما سياتى طرف منه . وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري إلى الجزيرة واشتدت شوكته وكثر أتباعه ، فبعث إليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فأروغته حتى قتله وتفرق أصحابه ، فقالت الفارعة في أخيها الوليد ابن طريف ترميه :

أيا شجر الخابور مالك موقفا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يحب الزاد إلا من التقى * ولا المال إلا من قنأ وسؤوف

وفيها خرج الرشيد معتمرا من بغداد شكرا لله عز وجل ، فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى حج بالناس في هذه السنة ، فشئ من مكة إلى منى ثم إلى عرفات ، وشهد المشاهد والمشاعر كلها ماشيا ، ثم انصرف إلى بغداد على طريق البصرة . وفيها توفي :

اسماعيل بن محمد

ابن يزيد بن ربيعة أبو هاشم الحيرى الملقب بالسيد ، كان من الشعراء المشهورين المبرزين فيه ، وله كنه كان رافضيا خبيثا ، وشيئا غثيا ، وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة - أى بالدور - قال يوما لرجل : أقرضني ديناراً ولك غنمة مائة دينار إذا رجعتنا إلى الدنيا . فقال له

الرجل : إني أخشى أن تعود كلباً أو خنزيراً فيذهب دينارى .

وكان قبحه الله يسب الصحابة في شعره . قال الأصمى : ولولا ذلك ما قدمت عليه أحد آ في طبقته ، ولا يسب الشيعين وابليهما . وقد أورد ابن الجوزى شيئاً من شعره في ذلك كرهت أن أذكره لبشاعته وشناعته ، وقد اسود وجهه عند الموت وأصابه كرب شديد جداً . ولما مات لم يدفنه له لسبه الصحابة رضى الله عنهم . وفيها توفي . **حماد بن زيد**

أحد أئمة الحديث . وخالده بن عبد الله أحد الصلحاء ، كان من سادات المسلمين ، اشترى نفسه من الله أربع مرات . ومالك بن أنس الامام ، والهل بن زياد صاحب الأوزاعى ، وأبو الأحرص . وكلهم قد ذكرناهم في التكميل . **والامام مالك**

هو أشهرهم وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المنتبة ، فهو مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشيد بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو أصبح الحيرى ، أبو عبد الله المدنى إمام دار الهجرة في زمانه ، روى مالك عن غير واحد من التابعين ، وحدث عنه خلق من الأئمة ، منهم السفينان ، وشعبة ، وابن المبارك ، والأوزاعى ، وابن مهدي وابن جريج والليث والشافعى والزهرى شيخه ، ويحيى بن سعيد الأنصارى وهو شيخه ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويحيى بن يحيى الأندلسى ، ويحيى بن يحيى النيسابورى . قال البخارى : أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر . وقال سفيان بن عيينة : ما كان أشد انتقاده للرجال . وقال يحيى بن معين : كل من روى عنه مالك فهو ثقة ، إلا أبا أمية . وقال غير واحد : هو أثبت أصحاب نافع والزهرى . وقال الشافعى : إذا جاء الحديث فمالك فمالك النجم . وقال : من أراد الحديث فهو عيال على مالك . ومناقبه كثيرة جداً ، وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذا المكان . قال أبو مصعب : سمعت مالكا يقول : ما أفتيت حتى شهد لى سبعون أئى أهل لذلك . وكان إذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وشرح لحينه ولبس أحسن ثيابه ، وكان يلبس حسناً . وكان نقش خاتمه حسبي الله ونعم الوكيل ، وكانت إذا دخل منزله قال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله . وكان منزله مبسوطاً بأنواع المغارش . ومن وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن لزم مالك بيته فلم يكن يأتي أحداً لا لعزاء ولا لهناء ، ولا يخرج لجمعة ولا لجماعة ، ويقول : ما كل ما يعلم يقال ، وليس كل أحد يقدر على الاعتذار ولما احتضر قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم جعل يقول : لله الأمر من قبل ومن بعد ، ثم قبض في ليلة أربعة عشر من صفر ، وقيل من ربيع الأول من هذه السنة ، وله خمس وثمانون سنة . قال الواقدى : بلغ سبعين سنة ودفن بالقيج . وقد روى الترمذى عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن أبى الزبير عن أبى صالح عن أبى هريرة : « يوشك أن يضرب الناس أكياد الأبل

يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة * . ثم قال : هذا حديث حسن . وقد روى عن ابن عيينة أنه قال : هو مالك بن أنس . وكذا قال عبد الرزاق . وعن ابن عيينة رواية أنه عبد العزيز بن عبد الله العمرى . وقد ترجمه ابن خلدكان في الوفيات فأطنب وأنى بفوائد جمة .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة

فيها هاجت الفتنة بالشام بين النزارية واليمينية ، فانزعج الرشيد لذلك فذهب جعفر البرمكي إلى الشام في جماعة من الأمراء والجنود ، فدخل الشام فائقاد الناس له ولم يدع جعفر بالشام فرساً ولا سيفاً ولا رمحاً إلا استلبه من الناس ، وألفاً الله به نار تلك الفتنة . وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

لقد أوقدت بالشام نيران فتنة * فهذا أوان الشام تحمد ناراها
إذا جاش موج البحر من آل برمك * عليها خبت شهبانها وشرارها
رماها أمير المؤمنين بجعفر * وفيه تلافى صدعها وانكسارها
رماها بميمون النقيب ماجد * تراصى به قحطانها ونزارها

ثم كر جعفر راجعاً إلى بغداد بعد ما استخلف على الشام عيسى العكي ، ولما قدم على الرشيد أكرمه وقر به وأدناه ، وشرع جعفر يذكّر كثرة وحشته له في الشام ، ويحمد الله الذي من عليه برجوعه إلى أمير المؤمنين ورؤيته وجهه . وفيها ولي الرشيد جعفر أخراسان وسجستان فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قحطبة ، ثم عزل الرشيد جعفر أخراسان بعد عشرين ليلة . وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج ، وجعل الرشيد جعفر أخراسان على الحرس ، ونزل الرشيد الرقة واستوطنها واستناب على بغداد ابنه الأمين محمد وأولاده العراقيين ، وعزل حرمة عن إفريقية واستدعاه إلى بغداد فاستنابه جعفر على الحرس . وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الاسكندرية . وفيها خرج بالجزيرة خراشة الشيباني فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي . وفيها ظهرت طائفة بمرجان يقال لها الحمرة لبسوا الحرمة واتبعوا رجلاً يقال له عمرو بن محمد العمركي ، وكان ينسب إلى الزندقة ، فبعث الرشيد يأمر بقتله فقتل وألفاً الله نارهم في ذلك الوقت . وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم . وحج بالناس موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها كانت وفاة جمة من الأعيان :

إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري

فأرى أهل المدينة ومؤدب على بن المهدي ببغداد . وقد مات على بن المهدي في هذه السنة أيضاً . وقد ولي إمارة الحج غير مرة ، وكان أسن من الرشيد بشهور .

حسان بن أبي سنان

ابن أبي أوفى بن عوف التنوخي الأنباري ، ولد سنة ستين ، ورأى أنس بن مالك ودنا له فجاءه .

نسله قضاة ووزراء وصلحاء ، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية . وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه .
وكان يكتب بالبرية والفارسية والسريانية ، وكان يعرب الكتب بين يدي ربيعة لما ولاه السفاح
الأخبار . وفيها توفي : عبد الوارث بن سعيد البيروتي أحد الثقات

وعافية بن يزيد

ابن قيس القاضي للمهدى على جانب بغداد الشرق ، هو وابن عسلانة ، وكانا يحكيان بجميع
الرصافة ، وكان عافية عابداً زاهداً ورعاً ، دخل يوماً على المهدي في وقت الظهيرة فقال : يا أبا المؤمنين
اعفني ، فقال له المهدي : ولم أعفيك ؟ هل اعترض عليك أحد من الأمراء ؟ فقال له : لا ولكن كان
بين اثنين خصومة عندي فعند أحدهما إلى رطب السكر - وكأنه سمع أني أحبه - فأهدى إلى منه
طبقاً لا يصلح إلا لأمير المؤمنين ، فرددته عليه ، فلما أصبحنا : وجلسنا إلى الحكومة لم يستويا
عندي في قلبي ولا نظري ، بل مال قلبي إلى المهدي منهما ، هذا مع أني لم أقبل منه ما أهداه فكيف
لو قبلت منه ؟ فاعفني غفاً الله عنك فأعفاه . وقال الأصمعي : كنت عند الرشيد يوماً وعنده عافية وقد
أحضره لأن قوماً استمدوا عليه إلى الرشيد ، فجعل الرشيد يوقفه على ما قيل عنه وهو يجيب عما يسأله .
وطال المحاسن فمطس الخليفة فشمته الناس ولم يشمه عافية ، فقال له الرشيد : لم لم تشمني مع الناس ؟
فقال : لأنك لم تحمد الله ، واحتج بالحديث في ذلك . فقال له الرشيد : ارجع لملك فوالله ما كنت
لتفعل ما قيل عنك ، وأنت لم تسأحي في عطسة لم أحمد الله فيها . ثم رده رداً جميلاً إلى ولايته .

سيبويه

وفيها توفي :

إمام النحاة ، واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، المعروف بسيبويه ، مولى بني الحارث بن
كعب ، وقيل مولى آل الربيع بن زياد ، وإنما سمي سيبويه لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك ،
ومعنى سيبويه رائحة التفاح ، وقد كان في ابتداء أمره يصحب أهل الحديث والعقلاء ، وكان يستملئ
على حماد بن سلمة ، فلحن يوماً فرد عليه قوله فأنف من ذلك ، فلزم الخليل بن أحمد فبرع في النحو ،
ودخل بغداد وناظر الكسائي . وكان سيبويه شاباً حسنًا جميلاً نظيفاً ، وقد تعلق من كل علم بسبب ،
وضرب مع كل أهل أدب بسهم ، مع حداثة سنه . وقد صنف في النحو كتاباً لا يلحق شأوه ، وشرحه
أئمة النحاة بعده فأنعموا في الجحجحة ، واستخرجوا من درره ، ولم يبلغوا إلى قعره . وقد زعم
ثعلب أنه لم ينفرد بتصنيفه ، بل ساعده جماعة في تصنيفه نحواً من أربعين نفساً هو أحدهم ، وهو
أصول الخليل ، فادعاه سيبويه إلى نفسه . وقد استبعد ذلك السيرافي في كتاب طبقات النحاة .
قال : وقد أخذ سيبويه اللغات عن أبي الخطاب والأخفش وغيرهما ، وكان سيبويه يقول : سمعت بن
بني العروبة ، والعروبة يوم الجمعة ، وكان يقول : من قال عروبة فقد أخطأ . فذكر ذلك ليونس فقال

أصاب الله دره ، وقد ارتحل إلى خراسان ليحظى عند طاحنة بن طاهر فانه كان يحب النحو ففرض هناك مرضه الذي توفي فيه فتمثل عند الموت :

يؤملُ دنيا لتبقى له * فأتَ المؤملُ قبلَ الأملِ

يربى فسيلًا لبقى له * فمأشُ الفسيلِ وماتَ الرجلُ

ر يقال : إنه لما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فدمعت عين أخيه فاستفاق فرآه يبكي فقال :

وكنا جميعاً فرقَ الدهرُ بيننا * إلى الأمدِ الأقصى فنِ يَأْمُنُ الدهرُ

قال الخطيب للبغدادى : يقال إنه توفي وعمره ثمان وثلاثون سنة . وفيها توفيت :

عفيرة العابدة

كانت طويلة الحزن كثيرة البكاه . قدم قريب لها من سفر فجعلت تبكي ، فقيل لها في ذلك فقالت : لقد ذكرني قدوم هذا الفتي يوم القدوم على الله ، فسرو و مشهور . وفيها مات مسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي ، كان من أهل مكة ، ولقد تكلموا فيه لسوء حفظه .

ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة .

فيها غزا الرشيد بلاد الروم فافتتح حصنا يقال له الصفصاف ، فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة :

إن أمير المؤمنين المنصفا * قد ترك الصفصاف قاعاً صفصفا

وفيها غزا عبد الملك بن صالح بلاد الروم فبلغ أنقرة وافتتح مطورة . وفيها تغلبت الحمرة على جرجان . وفيها أمر الرشيد أن يكتب في صدور الرسائل الصلاة على رسول الله (س) ، بعدثناء على الله عز وجل . وفيها حج بالناس الرشيد وتمجل بالفرس ، وسأله يحيى بن خالد أن يعفيه من الولاية فأعفاه وأقام يحيى بجمكة . وفيها توفي : الحسن بن قحطبة

أخذ أكبر الأمراء ، وحزة بن مالك ، ولوى إمرة خراسان في أيام الرشيد ، وخلف بن خليفة شيخ الحسن بن عرفة عن مائة سنة : وعبدالله بن المبارك

أبو عبد الرحمن المروزي ، كان أبوه تركيا مولى لرجل من التجار من بني حنظلة من أهل همدان ، وكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم ، وكانت أمه خوارزمية ، ولد لثمان عشرة ومائة ، وسمع إسماعيل بن خالد ، والأعمش ، وهشام بن عروة ، وحيد الطويل ، وغيرهم من أئمة التابعين . وحدث عنه خلائق من الناس ، وكان موصوفاً بالحفظ والفقه والعربية والزهد والكرم والشجاعة والشعر ، له التصانيف الحسان ، والشعر الحسن المتضمن حكماً جمة ، وكان كثير الغزو والحج ، وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف يدور يتجر به في البلدان ، فحيث اجتمع بعالم أحسن إليه ، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العباداة والزهد والعلم ، وربما أنفق من رأس ماله . قال

سفيان بن عيينة : نظرت في أمره وأمر الصحابة فما رأيتمهم يفضلون عليه إلا في محبتهم رسول الله (ص) . وقال إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثله ، وما أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك ، ولقد حدثني أصحابي أنهم محبوبوه من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الطيبين وهو الدهر صائم . وقدم مرة الرقة وبها يهاجرون الرشيد ، فلما دخلها احتفل الناس به وازدحم الناس حوله ، فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر هناك فقالت : ما للناس ؟ فقيل لها : قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك فاجتمع الناس إليه . فقالت المرأة : هذا هو الملك ، لا ملك هارون الرشيد الذي يجتمع الناس عليه بالسوط والمصا والرغبة والرهبة .

وخرج مرة إلى الحج فاجتاز ببغض البلاد فمات طائر معهم فأمر بالقائه على منزلة هناك ، وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراهم ، فلما مر بالمنزلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لغته ثم أسرعت به إلى الدار ، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة ، فقالت : أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الأزار ، وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المنزلة ، وقد حملت لنا الميتة منذ أيام ، وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل . فأمر ابن المبارك برد الأحمال وقال لوكيله : كم مملك من النفقة ؟ قال : ألف دينار . فقال : عدد منها عشرين ديناراً تكفيينا إلى مرو وأعطها الباقي . فهذا أفضل من حجبنا في هذا العام ، ثم رجع .

وكان إذا عزم على الحج يقول لأصحابه : من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتني بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه ، فكان يأخذ منهم نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها في صندوق ، ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب ، وحسن الخلق والتيسير عليهم ، فإذا قضوا حاجتهم فيقول لهم : هل أوصاكم أهلوكم بهدية ، فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكيبة والتمينة وغيرها ، فإذا جازوا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية ، فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحهم وبيضت أبوابها ورسم شئونها ، فإذا وصلوا إلى البلد عمل وليمة بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكسبهم ، ثم دعا بذلك الصندوق ففتحه وأخرج منه تلك الصرر ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه ، فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون لواء الشناء الجليل . وكانت سفرته تحمل على بعير وحدها ، وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وتغير ذلك ، ثم يطعم الناس ، وهو الدهر صائم في الحر الشديد . وسأله مرة سائل فأعطاه درهما فقال له بعض أصحابه : إن هؤلاء يأكلون الشواء والفالوج ، وقد كان يكفيه قطعة . فقال : والله ما ظننت أنه يأكل إلا البقل والخبز ، فأما إذا كان يأكل الفالوج والشواء فانه لا يكفيه درهم . ثم أمر بعض غلمانة فقال : رده وادفع إليه عشرة دراهم . فضالاه ومناقبه كثيرة جداً .

قال أبو عمر بن عبد البر : أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله . توفي عبد الله بن المبارك بهيت في هذه السنة في رمضان عن ثلاث وستين سنة

ومفضل بن فضالة

وولى قضاء مصر مرتين ، وكان ديناً ثقة ، فسأل الله أن يذهب عنه الأمل فأذهب ، فكان بعد ذلك لا يهتبه العيش ولا شيء من الدنيا ، فسأل الله أن يرد عليه فردته فرجع إلى حاله .

ويعقوب التائب

العابد الكوفي ، قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار : خرجت ذات ليلة وأنا أظن أنى قد أصبحت ، فإذا على ليل ، فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبكي وهو يقول : وعزتك وجلالك ما أردت بمصبتك مخالفتك ولكن سولت لى نفسى ، وغلبتني شقوتى ، وغرتنى سترك المرخى على فلاز من عندك من يستغنى ؟ وبجل من أتصل إن أنت قطعت حبلك عنى ؟ واسوأناه على ما مضى من أيامى فى معصية ربى ، يا ولى كم أتوب وكم أعود ، قد حان لى أن أستغى من ربى عز وجل . قال منصور فقامت : أعود بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) قال : فسمعت صوتا واضعابا شديدا فذهبت لحاجتى ، فلما رجعت مررت بذلك الباب فإذا جنازة موضوعة ، فسألت عنه فإذا ذاك الذى قد مات من هذه الآية .

ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة

فيها أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون ولاية العهد من بعد أخيه محمد الأمين بن زبيدة ، وذلك بالركة بعد مرمجه من الحج ، وضم ابنه المأمون إلى جعفر بن يحيى البرمكى وبهته إلى بغداد ومعه جماعة من أهل الرشيد خدمة له ، وولاه خراسان وما يتصل بها ، وسماه المأمون . وفيها رجع يحيى بن خالد البرمكى من مجاورته بمكة إلى بغداد . وفيها غزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ مدينة أصحاب الكهف . وفيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا عليهم أمه ريفي وتلقب أغسطس . وخرج بالناس موسى بن عيسى بن العباس .

وفيها توفي من الأعيان إسماعيل بن عياش الحمصى أحد المشاهير من أئمة الشاميين هو فيه كلام . ومروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور المشكور ، كان يمدح الخلفاء والبرامكة .

ومعن بن زائدة

حصل من الأموال شيئا كثيرا جدآ ، وكان مع ذلك من أبخل الناس ، لا يكاد يأكل اللحم من بخله ، ولا يشمل فى بيته سراجا ، ولا يلبس من الثياب الا الكرباسى والفرو الغليظ ، وكان رفيقه

سلم الخناسر إذا ركب إلى دار الخلافة يأتي على بردون وعليه حلة تساوي ألف دينار، والطيب ينفخ من ثيابه، ويأتي هو في شر حالة وأسوئها. وخرج يوماً إلى المهدي فقاتل امرأة من أهله: إن أطلق لك الخليفة شيئاً فاجعل لي منه شيئاً. فقال: إن أعطاني مائة ألف درهم فلك درهم. فأعطاه ستين ألفاً فأعطاهما أكرمة دوايق. توفي ببغداد في هذه السنة، ودفن في مقبرة نصر بن مالك.

والقاضي أبو يوسف

واسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة، وهي أمه، وأبوه مجير بن معاوية، استصغر يوم أحد، وأبو يوسف كان أكبر أصحاب أبي حنيفة، روى الحديث عن الأعمش وحماد ابن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد وغيرهم. وعنه محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين. قال علي بن الجعد: سمعته يقول: توفي أبي وأنا صغير فأسلتني أمي إلى قصار فكنزت أمر علي حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار، ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة: إن هذا صبي يقيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من منزلي، وإنك قد أفسدته علي. فقال لها: اسكتي يا رعناء، هاهوذا يتعلم العلم وسياً كل الفالوذج بدهن الفستق في صحن الفير وزج فقاتل له: إنك شيخ قد خرفت. قال أبو يوسف: فلما وليت القضاء - وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاء، وكان يقال له: قاضي قضاة الدنيا، لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يهكم فيها الخليفة - قال أبو يوسف: فبينما أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتني بفالوذج في صحن فيروز فقلت لي: كل من هذا، فإنه لا يصنع لنا في كل وقت. وقلت: وما هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذا الفالوذج. قال فتبسمت فقال: مالك تقبسم؟ فقلت: لا شيء أبقى الله أمير المؤمنين. فقال: لتخبرني. فقصصت عليه القصة فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة. ثم قال: رحم الله أبا حنيفة، فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا ينظر بعين رأسه. وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف: إنه أعلم أصحابه. وقال المزني: كان أبو يوسف أتبعهم للحديث. وقال ابن المديني: كان صدوقاً. وقال ابن معين: كان ثقة. وقال أبو زرعة: كان سليماً من النجوم. وقال بشار الخفاف: سمعت أبا يوسف يقول: من قال القرآن مخلوق فخرام كلامه، وفرض مبايلته، ولا يجوز السلام ولا رده عليه. ومن كلامه الذي ينبغي كتابته بماء الذهب قوله: من طلب المال بالكبى أفسس، ومن تتبع شرائب الحديث كذب، ومن طلب العلم بالكلام تزندق. ولما تناظر هو ومالك بالمدينة بمحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضراوات احتج مالك بما استدعى به من تلك الصيغان المنقولة عن آبائهم وأمسلافهم، وبأنه لم يكن الخضراوات يخرج فيها شيء في زمن الخلفاء الراشدين. فقال:

أبو يوسف : لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع كما رجعت . وهذا انصاف منه .

وقد كان يحضر في مجلس حكمه العلماء على طبقاتهم ، حتى إن أحمد بن حنبل كان شابا وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس فيقنظرون ويتباحثون ، وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضا . وقال : وليت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد ، إلا يوما واحدا جاءني رجل فذكر أن له بستانا وأنه في يد أمير المؤمنين ، فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال : البستان لي اشتراء لي المهدي . فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه . فأحضره فادعى بالبستان فقلت : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هو بستاني . فقلت للرجل : قد سمعت ما أجاب . فقال الرجل : يحلف ، فقلت ، أنحلف يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لا ، فقلت سأعرض عليك اليمين ثلاثا فإن حلفت وإلا حكمت عليك يا أمير المؤمنين . فعرضتها عليه ثلاثا فامتنع فحكمت بالبستان للمدعي . قال : فكنت في أثناء الخصومة أو دأن ينفصل ولم يمكني أن أجلس الرجل مع الخليفة . وبعث القاضي أبو يوسف في تسليم البستان إلى الرجل .

وروى المعافي بن زكريا الجري عن محمد بن أبي الأزهر عن حماد بن أبي إسحاق عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف . قال : بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش ، إذا رسول الخليفة يطرق الباب ، فخرجت منزعا فقال : أمير المؤمنين يدعوك ، فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى ابن جعفر فقال لي الرشيد : إن هذا قد طلبت منه جارية يهذيها فلم يفعل ، أو يمينها ، وإلى أشهدك إن لم يجبيني إلى ذلك قتلته . فقلت لعيسى : لم لم تفعل ؟ فقال : إني حائف بالطلاق والعناق وصدقة مالي كله أن لا أبيعها ولا أحبها . فقال لي الرشيد : فهل له من مخلص ؟ فقلت : نعم ببيعك نصفها وببيعك نصفها . فوهبه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار ، فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية ، فلما رآها الرشيد قال : هل لي من سبيل عليها الليلة ؟ قلت : إنها مملوكة ولا بد من استبرائها ، إلا أن تمتقها وتزوجها فإن الحرية لا تستبرأ . قال فأعتقها وتزوجها منه بعشرين ألف دينار ، وأمر لي بمائتي ألف درهم وعشرين نخعا من ثياب ، وأرسلت إلى الجارية بعشرة آلاف دينار .

وقال يحيى بن معين : كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب ديبق وطيب وفاتيل ند وغير ذلك ، فذا كرتي رجل في إسناد حديث «من أهديت له هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه» فقال أبو يوسف : إنما ذاك في الأقط والنمر والزبيب ، ولم تكن الهدايا في ذلك الوقت ماترون ، يا غلام ارفع هذا إلى الخزان ، ولم يعطهم منها شيئا . وقال بشر بن غياث المريسي : سمعت أبا يوسف يقول : صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت على الدنيا سبع عشرة سنة ، وما أظن أجلى إلا أن اقترب . فما مكث بعد ذلك إلا شهورا حتى مات .

وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة عن سبع وستين سنة ، ومكث في القضاء بعده ولده يوسف . وقد كان نائبه على الجانب الشرقي من بغداد . ومن زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقوله عبد الله بن محمد البلوي الكذاب في الرحلة التي ساقها الشافعي فقد أخطأ في ذلك ، إنما ورد [الشافعي] بغداد في أول قدمه قديماً إليها في سنة أربع وثمانين . وإنما اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن إليه وأقبل عليه ، ولم يكن بينهما شئان كما يذكره بعض من لا خبرة له في هذا الشأن والله أعلم . وفيها توفي :

يعقوب بن داود بن طهمان

أبو عبد الله . ولي عبد الله بن حازم السلي ، استوزره المهدي وحظي عنده جداً ، وسلم إليه أئمة الأمور ، ثم لما أمر بقتل ذلك العلوي كما تقدم فأطلقه ونمت عليه تلك الجارية سجنه المهدي في بئر وبذبت عليه قبة ، ونبت شعره حتى صار مثل شعور الأعلام ، وعصى ، ويقال بل غشى بصره ، ومكث نحواً من خمسة عشر سنة في ذلك البئر لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً إلا في أوقات الصلوات يعلونه بذلك ، ويدلى إليه في كل يوم رغيف وكرز ماء ، فكث كذلك حتى انقضت أيام المهدي وأيام الهادي وصدر من أيام الرشيد ، قال يعقوب : فأنا في آت في منامي فقال :

عسى الكرب الذي أمسيته في * يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائفه وفك عان * ويأني أهله النائي الغريب

فلما أصبحت نوديت فظننت أني أعلم بوقت الصلاة ، ودلى إلي حبلي وقيل لي : اربط هذا الحبلي في وسطك ، فأخرجوني ، فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئاً ، وأوقفت بين يدي الخليفة فقيل لي : سلم على أمير المؤمنين ، فظننت المهدي فسلمت عليه باسمه ، فقال : لست به ، فقلت الهادي ؟ فقال : لست به . فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد . فقال : نعم ، ثم قال : والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد ، ولكنني البارحة حملت جارية لي صغيرة على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك فرجحت ما أنت فيه من الضيق فأخرجتك . ثم أنعم عليه وأحسن إليه . فغار منه يحيى بن خالد بن برمك ، وخشى أن يعيده إلى منزله التي كان عليها أيام المهدي وعرفهم ذلك يعقوب فاستأذن الرشيد في الذهاب إلى مكة فأذن له ، فكان بها حتى مات في هذه السنة رحمه الله . وقال يخشى يحيى أن أرجع إلى الولايات لا والله ما كنت لأفعل أبداً ، ولوردت إلى مكاني . وفيها (توفي يزيد بن زريع) أبو معاوية شيخ الإمام أحمد بن حنبل في الحديث ، كان ثقة عالماً عابداً ورعاً ، توفي أبوه وكان والي البصرة وترك من المال خمسمائة درهم ، فلم يأخذ منها يزيد درهما واحداً ، وكان يعمل الخوص بيده ويقتات منه هو وعياله . توفي بالبصرة في هذه السنة ، وقيل قبل ذلك فله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

فيها خرجت الخزرجة على الناس من نعمة أرميلية فقاتلوا في تلك البلاد فساداً، وسبوا من المسلمين وأهل الذمة نحواً من مائة ألف، وقتلوا بشراً كثيراً، وانهمزم نائب أرميلية سعيد بن مسلم، فأرسل الرشيد إليهم خازم بن خزيمعة ويزيد بن يزيد في جيوش كثيرة كثيفة، فأصلحوا ما فسد في تلك البلاد. وحج بالناس العباس بن موسى الهادي.

وفيها توفي من الأعيان **علي بن الفضيل بن عياض** في حياة أبيه. كان كثير العبادة والورع والخوف والخشية. **ومحمد بن صبيح** أبو العباس مولى بني عجل المذكور. ويعرف بابن السماك. روى عن إسماعيل بن أبي خالد والأعمش والثوري وهشام بن عروة وغيرهم، ودخل يوماً على الرشيد فقال: إن لك بين يدي الله وقفاً فانظر أين منصرفك، إلى الجنة أم النار؟ فبكى الرشيد حتى كاد يموت.

وموسى بن جعفر

ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الهاشمي، ويقال له السكاظم، ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، وكان كثير العبادة والورع، وإذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتحف، ولد له من الذكور والبنات أربعون نسمة. وأهدى له مرة عبد صديقه فاشترى به المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه، ووهب المزرعة له. وقد استعاه المهدى إلى بغداد فحبسه، فلما كان في بعض الليالي رأى المهدى علي بن أبي طالب وهو يقول له: يا محمد [فهل عسى إن توليتهم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم] فاستيقظ مذعوراً وأمر به فأخرج من السجن ليلاً فأجلس معه وعانقه وأقبل عليه، وأخذ عليه المهد أن لا يخرج عليه ولا على أحد من أولاده، فقال: والله ما هذا من شأنى ولا حدثت فيه نفسى، فقال: صدقت. وأمر له بثلاثة آلاف دينار، وأمر به فرداً إلى المدينة، فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق، فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فخرج، فلما دخل ليسلم على قبر النبي (ص)، ومعه موسى بن جعفر السكاظم، فقال الرشيد: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم. فقال موسى: السلام عليك يا أبت. فقال الرشيد: هذا هو الفخر يا أبا الحسين. ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استعاه في سنة تسع وستين وسجنه فأطال سجنه، فمكتب إليه موسى رسالة يقول فيها: أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انتفض عنك يوم من الرخاء، حتى يفضى بنا ذلك إلى يوم يحضر فيه المبطون. توفي نحس بقين من رجب من هذه السنة ببغداد وقبره هناك مشهور. وفيها توفي:

هاشم بن بشير بن أبي حازم

القاسم بن دينار أبو معاوية السلمي الواسطي، كان أبوه طبائخاً للحجاج بن يوسف الثقفي، ثم كان

بعد ذلك يبيع الكواخج ، وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله ، فابى إلا أن يسمع الحديث . فاتفق أن هاشما مرض فجاءه أبو شيبة قاضى واسط عائداً له ومعه خاق من الناس ، فلما رآه بشير فرح بذلك وقال : يا بى أبلغ من أمرك أن جاء القاضى إلى منزلى ؟ لا أمنك بعد هذا اليوم من طلب الحديث . كان هاشم من سادات العلماء ، وحدث عنه مالك وشعبة والثورى وأحمد بن حنبل وخلق غير هؤلاء ، وكان من الصلحاء العباد . ومكث يصلى الصبح بوضوء المشاء قبل أن يموت بمئتين سنة .

ويحيى بن زكريا

ابن أبى زائدة قاضى المدائن ، كان من الأئمة الثقات . ويونس بن حبيب أحد النحاة الثجباء ، أخذ النحو عن أبى عمرو بن العلاء وغيره ، وأخذ عنه الكسائى والفراء ، وقد كانت له حلقة بالبصرة يفتاها أهل العلم والأدب والفصحاء من الحاضرين والغياب . توفى فى هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة .

ثم دخلت سنة اربع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الرقة إلى بغداد فأخذ الناس بأداء بقايا الخراج الذى عليهم ، وولى رجلاً يضرب الناس على ذلك ويحبسهم ، وولى على أطراف البلاد . وعزل وولى وقطع وصل . وخرج بالجزيرة أبو عمرو الشاربي فبعث إليه الرشيد من قبله شهر زور . وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد العباسى . وفيها توفى :

أحمد بن الرشيد

كان زاهداً عابداً قد تنسك ، وكان لا يأكل إلا من عمل يده فى الطين ، كان يعمل فاعلاً فيه ، وليس يملك الاثرواً وزنببلاً - أى مجرفة وقفة - وكان يعمل فى كل جمعة بدرهم ودائق يتقوت بهما من الجمعة إلى الجمعة ، وكان لا يحمل إلا فى يوم السبت فقط . ثم يقبل على العبادة بقية أيام الجمعة . وكان من زبيدة فى قول بعضهم ، والصحيح أنه من امرأة كان الرشيد قد أحبها فتزوجها فحملت منه بهذا الفلام ، ثم إن الرشيد أرسلها إلى البصرة وأعطاهما خاتماً من ياقوت أحمر ، وأشياء نفيسة ، وأمرها إذا أنضت إليه الخلافة أن تأتبه . فلما صارت الخلافة إليه لم تأتبه ولا ولدها ، بل اختفيا ، وبلغه أنهما ماتا ، ولم يكن الأمر كذلك ، ولخص عنهما فلم يطلع لهما على خبر ، فكان هذا الشاب يعمل بيده ويأكل من كدها ، ثم رجع إلى بغداد ، وكان يعمل فى الطين ويأكل مدة زمانية . هذا وهو ابن أمير المؤمنين ، ولا يذكر للناس من هو إلى أن اتفق مرضه فى دار من كان يستعمله فى الطين فمرضه عنده ، فلما احتضر أخرج الخاتم وقال لصاحب المنزل : اذهب بهذا إلى الرشيد وقل له : صاحب هذا الخاتم يقول لك : إياك أن تموت فى سكرتك هذه فتندم . حيث لا ينفع نادماً ندمه ، واحذر انصرافك من بين يدي الله إلى الدارين ، وأن يكون آخر العهد بك ، فان ما أنت فيه لو دام لغيرك لم يصل إليك ، وسيصير إلى غيرك وقد بلغك أخبار من مضى

قال : فلما مات دفنته وطلبت الحضور عند الخليفة ، فلما أوقفت بين يديه قال : ما حاجتك ؟ قلت : هذا الخاتم دفعه إلى رجل وأمرني أن أدفعه إليك ، وأوصاني بكلام أقوله لك ، فلما نظر الخاتم عرفه فقال : ويحك وأين صاحب هذا الخاتم ؟ قال فقلت : مات يا أمير المؤمنين . ثم ذكرت الكلام الذي أوصاني به ، وذكرت له أنه كان يعمل بالغافل في كل جمعة يوماً بدرهم وأربع دنانير ، أو بدرهم ودانق ، يتقوت به سائر الجمعة ، ثم يقبل على العبادة . قال : فلما سمع هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يتمرغ ويتقلب ظهراً لبطن ويقول : والله لقد فصحتني يا بني ، ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال : أتعرف قبره ؟ قلت : نعم أنا أدفنته . قال : إذا كان العشي فائتني . قال : فأتيتته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكي دنده حتى أصبح ، ثم أمر لذلك الرجل بعشرة آلاف درهم . وكتب له ولعياله رزقاً . وفيها مات :

عبد الله بن مصعب

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشي الأسدي ، والد بكار . أئزله الرشيد بولاية المدينة فقبلها بشروط عدل اشترطها ، فأجابته إلى ذلك ، ثم أضاف إليه نيابة اليمن ، فكان من أعدل الولاة ، وكان عمره يوم تولى نحواً من سبعين سنة .

عبد الله بن عبد العزيز العمري

أدركناها طولة ، وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد ، وكان عابداً زاهداً ، وعظ الرشيد يوماً فأطرب وأطيب . قال له وهو واقف على الصفا : أنتظركم حولها - يعني الكعبة - من الناس ؟ فقال : كثير ، فقال : كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه ، وأنت تسأل عنهم كلهم . فبكي الرشيد بكاء كثيراً ، وجهولوا يأتونه بمنديل بعد منديل يلشف به دموعه . ثم قال له : يا هارون إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم ؟ ثم تركهم وانصرف والرشيد يبكي . وله معه مواقف محمودة غير هذه . توفي عن ست وستين سنة .

ومحمد بن يوسف بن معدان

أبو عبد الله الأصهباني ، أدرك الناهمين ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة . كان عبد الله بن المبارك يسميه عروس الزهاد . وقال يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت أفضل منه ، كان كأنه قد طاب . وقال ابن مهدي : ما رأيت مثله ، وكان لا يشتري خبزاً من خباز واحد ، ولا بقله من بقل واحد ، كان لا يشتري إلا من لا يعرفه ، يقول : أخشى أن يجابوني فأكون ممن يعيش بدينه . وكان لا يضع يده للنوم صيفاً ولا شتاء . ومات ولم يجاوز الأربعين سنة رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

فيها قتل أهل طبرستان متواليهم ، ورويه الرازي ، فولى الرشيد عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي . وفيها قتل عبد الرحمن الأتباري أبان بن قحطبة الخارجي بمرج العلقة . وفيها عاث حمزة الشاري ببلاد باذغيس من خراسان ، فنهض عيسى بن علي بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حمزة فقتلهم ، وسار وراء حمزة إلى كابل وزابلستان . وفيها خرج أبو الخصب فتغلب على أبيورد وطوس ونيسابور وحاصر مرو وقوى أمره . وفيها توفي يزيد بن مزيد بهرذعة ، فولى الرشيد مكانه ابنه أسد بن يزيد . واستأذن الوزير يحيى بن خالد الرشيد في أن يمتصر في رمضان فأذن له ، ثم رابط بجنده إلى وقت الحج . وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس . وفيها توفي :

عبد الصمد بن علي

ابن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور . ولد سنة أربع ومائة ، وكان ضخماً الخلق جدياً ولم يبدل أسنانه ، وكانت أصولها صفيحة واحدة ، قال يوما للرشيد : يا أمير المؤمنين هذا المجلس اجتمع فيه عم أمير المؤمنين ، وعم عمه ، وعم عمه ، وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم الرشيد ، والعباس بن محمد بن علي عم سليمان ، وعبد الصمد بن علي عم السفاح ، وتلخيص ذلك أن عبد الصمد عم عم الرشيد لأنه عم جده . روى عبد الصمد عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس عن النبي (ص) أنه قال : « إن البر والصلة لطيلان الأحمار ، ويعمران الديار ، ويثران الأموال ، ولو كان القوم نجاراً » . وبه أن رسول الله (ص) قال : « إن البر والصلة ليخفنان الحساب يوم القيامة » ثم تلا رسول الله (ص) : « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » . وغير ذلك من الأحاديث .

ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، المعروف بالامام ، كان على إمارة الحاج ، وإقامة سقايته في خلافة المنصور عدة سنين . توفي ببغداد فصل عليه الأمين في شوال من هذه السنة ، ودفن بالعباسية .

وفيها توفي من مشايخ الحديث تمام بن إسماعيل ، وعمر بن عبيد . والمطلب بن زياد . والمغاف ابن عمران . في قول . ويوسف بن الماجشون . وأبو إسحاق الفزاري إمام أهل الشام بعد الأوزاعي في المغازي والعلم والعبادة .

ورابعة العدوية

وهي رابعة بنت إسماعيل مولا آل عتيك ، العدوية البصرية العابدة المشهورة . ذكرها أبو نعيم في الحلية والرسائل ، وابن الجوزي في صفوة الصفوة ، والشيخ شهاب الدين السهروردي في المعارف ، والقشيري . وأثنى عليها أكثر الناس ، وتحكم فيها أبو داود السجستاني ، وأتهمها بالزندقة ،

فلعله بلغه عنها أمر . وأُنشد لها السهر وردى في المعارف : —

إحمر جملتك في الفؤادِ محمدي * وأبحث جسمى من أرادَ جلوسى

فالجسم منى للجلوسِ موانيس * وحبيب قلبي في الفؤادِ أنيسى

وقد ذكر لها أحوالاً وأعمالاً صالحة ، وصيام نهار وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات صالحة فآله أعلم . توفيت بالقدس الشريف وقبرها شرقيه بالطور والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

فيها خرج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصيب إلى نسا فقاتله بها ، وسبى لسياده وذراريه . واستقامت خراسان . وحج بالناس فيها الرشيد ومعه ابنه محمد الأمين ، وعبد الله المأمون ، فبلغ جملة ما أعطى لأهل الحرمين ألف ألف دينار وخمسين ألف دينار ، وذلك أنه كان يعطي الناس فيذهبون إلى الأمين فيعطيهـم ، فيذهبون إلى المأمون فيعطيهـم . وكان إلى الأمين ولاية الشام والعراق ، وإلى المأمون من همدان إلى بلاد المشرق . ثم تابع الرشيد لولده القاسم من بعد ولديه ، ولقبه المؤمنين ، وولاه الجزيرة والثغور والمواصم ، وكان الباعث له على ذلك أن ابنه القاسم هذا كان في حجر عبد الملك بن صالح ، فلما تابع الرشيد لولديه كتب إليه :

يا أيها الملك الذي * لو كان نجماً كان سعدا

اعقبته القاسم بيعة * وأقدح له في الملك زندا

فآله فرد واحد * فاجعل ولاية المهدي فردا

ففعل الرشيد ذلك ، وقد حمده قوم على ذلك ، وذمه آخرون . ولم ينتظم للقاسم هذا أمر ، بل اختلطت المنون والأقدار عن بلوغ الأمل والأوطار . ولما قضى الرشيد حجه أحضر من معه من الأمراء والوزراء ، وأحضر ولي العهد محمداً الأمين وعبد الله المأمون . وكتب بعضهم ذلك صحيفة ، وكتب فيها الأمراء والوزراء بخطوطهم بالشهادة على ذلك ، وأراد الرشيد أن يعلقها في الكعبة لمسجات قبول ، وهذا أمر سريع انتفاضه . وكذا وقع كما سيأتي . وقال إبراهيم الموصلي في عقد هذه البيعة في الكعبة :

خير الأمور مئة * وأحق أمر بالتمام

أمر قضى أحكامه الر * حن في البلل الحرام

وقد أطلال القول في هذا المقام أبو جعفر بن جرير واتبه ابن الجوزي في المنتظم .

وفيها توفي من الأعيان

أصبح بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو ريان في رمضان منها . وحسان بن إبراهيم قاضي

كرمان عن مائة سنة . وسلم الخناس الشاعر

وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء ، وإنما قيل له الخناس لأنه باع مصحفاً واشترى به ديوان شعر لا يرى القيس ، وقيل لأنه أنفق مائتي ألف في صناعة الأدب . وقد كان شاعراً منطيقاً له قدرة على الانشاء على حرف واحد ، كما قال في موسى الهادي :

موسى المطر غيث بكر ثم أنهر كم اعتبر ثم فتر ثم قدر ثم غفر عدل السير باقى الأثر
خير البشر فرع مضر بدر بدر لمن فطر هو الوزر لمن حضر والمفتخر لمن غبر
وذكر الخطيب أنه كان على طريقة غير مرضية من المجون والفسق ، وأنه كان من تلاميذ بشار ابن برد ، وأن نظمه أحسن من نظم بشار ، فما غلب فيه بشاراً قوله :

من راقب الناس لم يظفر بجاحته * وفاز بالطيبات الفاتك للهج

فقال سلم : من راقب الناس مات غماً * وفاز بالندى الجسور

فغضب بشار وقال : أخذ معاني كلامي فكساها ألفاظاً أخف من ألفاظي . وقد حصل له من الخلفاء والبرامكة نحواً من أربعين ألف دينار ، وقيل أكثر من ذلك . ولما مات ترك ستة وثلاثين ألف دينار وديعة عند أبي الشعر الغساني ، ففنى إبراهيم الموصلي يوماً الرشيد فأطرب به فقال له : سل . فقال : يا أمير المؤمنين أسألك شيئاً ليس فيه من مالك شيء ، ولا أرزأك شيئاً سواه . قال : وما هو ؟ فذكر له وديعة سلم الخناس ، وأنه لم يترك وارثاً . فأمر له بها . ويقال إنها كانت لخسين ألف دينار .

والعباس بن محمد

ابن علي بن عبد الله بن عباس عم الرشيد ، كان من سادات قریش ، ولى إمارة الجزيرة في أيام الرشيد ، وقد أطلق له الرشيد في يوم خمسة آلاف ألف درهم ، وإليه تنسب العباسية ، وبها دفن وعمره خمس وستون سنة ، وصلى عليه الامين .

ويقطين بن موسى

كان أحد الدعاة إلى دولة بني العباس ، وكان داهية ذا رأى ، وقد احتال مرة حيلة عظيمة لما حبس مروان الحمار إبراهيم بن محمد بخران ، فتحررت الشيعة العباسية فيمن يولون ، ومن يكون ولى الأمر من بعده إن قتل ؟ فذهب يقطين هذا إلى مروان فوق بين يديه في صورة تاجر فقال : يا أمير المؤمنين إني قد بعث إبراهيم بن محمد بضاعة ولم أقبض منها منه حتى أخذته رسلك ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بيني وبينه لأطالبه بمالى فعل . قال : نعم فأرسل به إليه مع غلام ، فلما رآه قال : يا عبد الله إلى من أوصيت بعدك آخذ مالى منه ؟ فقال له : إلى ابن الحارثية - يعنى أخاه عبد الله السفاح - فرجع يقطين إلى الدعاة إلى بني العباس فأعلمهم بما قال ، فبايعوا السفاح ، فكان من أمره

ما ذكرناه . ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

فيها كان مهلك البرامكة على يد الرشيد ، قتل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، ودمر ديارهم واندرست آثارهم ، وذهب صغارهم وكبارهم . وقد اختلف في سبب ذلك على أقوال ذكرها ابن جرير وغيره ، قيل إن الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البرمكي ليسجنه عنده ، لما زال يحيى يترقب له حتى أطلقه ، فتم الفضل بن الربيع ذلك إلى الرشيد فقال له الرشيد : وبك لا تدخل بيني وبين جعفر ، فلمله أطلقه عن أمرى وأنا لا أشعر . ثم سأل الرشيد جعفر آ عن ذلك فصده فتفيظ عليه وحلف ليقتلنه ، وكره البرامكة ، ثم قتلهم وقلامهم بعد ما كانوا أحظى الناس عنده ، وأحبهم إليه ، وكانت أم جعفر والفضل أم الرشيد من الرضاة ، وقد جعلتهم الرشيد من الرفعة في الدنيا وكثرة المال بسبب ذلك شيئاً كثيراً لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولا من بعدهم من الأكارب والرؤساء ، بحيث إن جعفر بن داراً غرم عليها عشرين ألف ألف درهم ، وكان ذلك من جملة ما قدمه عليه الرشيد . ويقال : إنما قتلهم الرشيد لأنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل لهذا الجعفر ، ويقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة . وقيل إنما قتلهم بسبب العباسية . ومن العلماء من أنكروا ذلك وإن كان ابن جرير قد ذكره .

وذكر ابن الجوزي أن الرشيد سئل عن سبب قتله البرامكة فقال : لو أعلم أن قيسى أعلم ذلك لأحرقته . وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظايه . وهذه وجهة ومنزلة عالية . وكان عنده من أحظى المشراء على الشراب المسكر - فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر - وكان أحب أهله إليه أخته العباسية بنت المهدي ، وكان يحضرها معه ، وجعفر البرمكي حاضر أيضاً معه ، فزوجه بها ليحل النظر إليها ، واشترط عليه أن لا يطأها . وكان الرشيد ربما قام وتركها وهما يملآن من الشراب فرجما وأقعها جعفر حبلى منه فولدت ولداً وبعثته مع بعض جواربها إلى مكة ، وكان يربي بها .

وذكر ابن خلكان أن الرشيد لما زوج أخته العباسية من جعفر أحبها حباً شديداً ، فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفاً من الرشيد ، فاحتالت عليه . وكانت أمه تهدي له في كل ليلة جمعة جارية حسناء بكرًا - فقالت لأمه : أدخليني عليه بصفة جارية . فهابت ذلك فتهديتها حتى فعلت ذلك . فلما دخلت عليه لم يتحقق وجهها فواقمها فقالت له : كيف رأيت خديعة بنات الملوك ؟ وحملت من تلك الليلة ، فدخل على أمه فقال : بعثيني والله برخيص . ثم إن والده يحيى بن خالد جعل يضيئ على عيال الرشيد في النفقة حتى شكت زبيدة ذلك إلى الرشيد مرات ، ثم أفضت له سر العباسية ، فاستشاط غيظاً ، ولما أخبرته أن الولد قد أرسلت به إلى مكة حج عام ذلك حتى تحقق الأمر . ويقال :

إن بعض الجوارى نمت عليها إلى الرشيد وأخبرته بما وقع ، وأن الولد بمكة وعنده جرار وأموال وحلى كثيرة . فلم يصدق حتى حجج في السنة التالية ، ثم كشف الأمر عن الحال ، فإذا هو كما ذكر . وقد حجج في هذه السنة التي حجج فيها الرشيد يحيى بن خالد ، فجعل يدعو عند الكعبة : اللهم إن كان يرضيك عنى سلب جميع مالى وولدى وأهلى فافعل ذلك وأبقى على منهنم الفضل ، ثم خرج . فلما كان عند باب المسجد رجع فقال : اللهم والفضل معهم فإني راض برضاك عنى ولا تستثنى منهم أحداً .

فلما قفل الرشيد من الحج صار إلى الحيرة ثم ركب في السفن إلى الفجر من أرض الأنبار ، فلما كانت ليلة السبت سلك الحرم من هذه السنة أرسل مسروراً الخادم ومنعه حماد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجند ، فأطافوا بحمير بن يحيى ليلاً ، فدخل عليه مسرور الخادم وعنده بمخيشوع المتطبيب ، وأبو ركانة الأعشى المغنى السكوذاني ، وهو في أمره وسروره ، وأبو ركانة يغنيه :

فلا تبعه فكل فتى سياتي * عليه الموت يطرق أو يفادي

فقال الخادم له : يا أبا الفضل هذا الموت قد طرقت ، أجب أمير المؤمنين . فقام إليه يقبل قدميه ويدخل عليه أن يمكنه فيدخل إلى أهله فيوصى إليهم ويدعهم ، فقال : أما الدخول فلا سبيل إليه ، ولكن أوص . فأوصى وأعتق جميع ممالিকে أو جماعة منهم ، وجاءت رسل الرشيد تستحثه فأخرج إخراجاً عنيفاً ، فحملوا يقودونه حتى أتوا به المنزل الذي فيه الرشيد ، فحبسه وقيد به سحار ، وأعلموا الرشيد بما كان يفعل ، فأمر بضرب عنقه ، فجاء السياف إلى جعفر فقال : إن أمير المؤمنين قد أمرني أن آتيه برأسك . فقال : يا أبا هاشم لعل أمير المؤمنين سكران ، فإذا صحا عاتبك في ، فعاوده . فرجع إلى الرشيد فقال : إنه يقول : لملك مشغول . فقال : يا ماص بظر أمه اثقني برأسه . ففكر رعليه جعفر المقالة فقال الرشيد في الثالثة : برئت من المهدى إن لم تأتني برأسه لأبعثن من يأتيك برأسك ورأسه . فرجع إلى جعفر فحز رأسه وأتى به إلى الرشيد فألقاه بين يديه ، وأرسل الرشيد من ليلته البرد بالاحتياط على البرامكة جميعهم ببغداد وغيرها ، ومن كان منهم بسبيل . فأخذوا كلهم عن آخرهم . فلم يفلت منهم أحد . وحبس يحيى بن خالد في منزله ، وحبس الفضل بن يحيى في منزل آخر وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من الدنيا ، وبعث الرشيد برأس جعفر وجثته فنصب الرأس عند الجسر الأعلى ، وشقت الجثة بأثنتين فنصب نصفها الواحد عند الجسر الأسفل ، والآخر عند الجسر الآخر ، ثم أحرقتهما بعد ذلك . ونودي في بغداد : أن لا أمان للبرامكة ولا لمن آواهم ، إلا محمد بن يحيى بن خالد فإنه مستثنى منهم لنصحته للخليفة . وأتى الرشيد بانس بن أبي شيخ كان يهتم بالزندقة ، وكان مصاحباً لجعفر ، فدار بينه وبين الرشيد كلام ، ثم أخرج الرشيد من تحت فراشه سيفاً وأمر بضرب عنقه به . وجعل يتمثل ببیت قيل في قتل أنس . قبل ذلك :

تَلَطَّ السَّيْفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنْسٍ • فَالسَّيْفُ يَلْحَظُ وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

فَضَرَبَتْ عَنْقَ أَنْسٍ فَسَبَقَ السَّيْفُ الدَّمَ فَقَالَ الرَّشِيدُ : رَحِمَ اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَصْعَبٍ ، فَقَالَ النَّاسُ : إِنَّ السَّيْفَ كَانَ لِلزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ . ثُمَّ شَحَنْتِ السَّجُونُ بِالْبَرَامِكَةِ وَاسْتَلْبَتِ أَمْوَالَهُمْ كُلَّهَا ، وَزَالَتْ عَنْهُمْ النِّعْمَةُ . وَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَتَلَ جَعْفَرَ فِي آخِرِهِ ، وَهُوَ وَإِيَّاهُ رَاكِبِينَ فِي الْعَصِيدِ فِي أَوَّلِهِ ، وَقَدْ خَلَا بِهِ دُونَ وَلَاةِ الْمَوْتِ ، وَطَبِيعُهُ فِي ذَلِكَ بِالْغَالِيَةِ بَيِّدَهُ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْمَغْرَبِ وَدَعَاهُ الرَّشِيدُ وَضَعَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ اللَّيْلَةَ لَيْسَلَةُ خُلِقْتُ بِالنِّسَاءِ مَا فَارَقْتُكَ ، فَاذْهَبْ إِلَى مَنْزِلِكَ وَاشْرَبْ وَأَطْرِبْ وَطَبِّعْ عَيْشًا حَتَّى تَكُونَ عَلَى مِثْلِ حَالِي ، فَأَكُونَ أَنَا وَأَنْتَ فِي الْهَذَّةِ سَوَاءً . فَقَالَ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا أَشْتَهِي ذَلِكَ إِلَّا مَعَكَ . فَقَالَ : لَا ! انْصَرَفْ إِلَى مَنْزِلِكَ . فَانْصَرَفَ عَنْهُ جَعْفَرٌ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ - بَعْضُهُ حَقٌّ أَوْقَعَ بِهِ مِنَ الْبَأْسِ وَالنَّكَالِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةً السَّبْتِ آخِرَ لَيْلَةٍ مِنَ الْحَرَمِ ، وَقِيلَ إِنَّهَا أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ صَفَرٍ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَكَانَ عَمْرُو جَعْفَرَ إِذْ ذَاكَ سَبْعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا جَاءَ الْخَبَرُ إِلَى أَبِيهِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بَقَتْلِهِ قَالَ : قَتَلَ اللَّهُ ابْنَهُ . وَلَمَّا قِيلَ لَهُ : قَدْ خَرَبْتَ دَارَكَ قَالَ : خَرَبَ اللَّهُ دَوْرَهُ . وَيُقَالُ : إِنْ يَحْيَى لَمَّا نَظَرَ إِلَى دَوْرِهِ وَقَدْ هَتَكَتْ سَتُورَهَا وَاحْتَبَيْحَتْ قُصُورَهَا ، وَأَنْتَهَبَ مَا فِيهَا . قَالَ : هَكَذَا تَقُومُ السَّاعَةُ . وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَعْزِيهِ فِيمَا جَرَى لَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ جَوَابَ التَّعْزِيَةِ : أَنَا بِقَضَاءِ اللَّهِ رَاضٍ ، وَبِاخْتِيَارِهِ عَالِمٌ ، وَلَا يُؤَاخِذُنِي اللَّهُ الْعِبَادَ إِلَّا بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْمَبِيدِ . وَمَا يَفِرُّ اللَّهُ أَكْثَرَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ . وَقَدْ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءُ مِنَ الْمُرَائِي فِي الْبَرَامِكَةِ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّقَاشِيِّ ، وَقِيلَ إِنَّهَا لِأَبِي نَوَاسٍ :

الآنَ اسْتَرَحْنَا وَاسْتَرَحْتَ رِكَابُنَا • وَأَمْسَكَ مِنْ يَحْيَى وَمَنْ كَانَ يَحْتَدِي
قَتْلَ الْمُعْطَايَا قَدْ أَهْنَتْ مِنَ الشَّرِّ • وَطَى الْفِيَا فِي فِدْفَدًا بَعْدَ فِدْفِدٍ
وَقَتْلَ لِلدُّنْيَا قَدْ ظَفَرَتْ بِجَعْفَرٍ • وَلَنْ تَغْفِرِي مِنْ بَعْدِهِ بِسُودٍ
وَقَتْلَ لِلْمُعْطَايَا بَعْدَ فَضْلٍ مُعْطَى • وَقَتْلَ لِلرَّزَايَا كُلِّ يَوْمٍ نَجْدِي
وَدُونَكَ سَيْفًا بِرَمِكِيَا مَهْدَا • أَصِيبَ بِسَيْفٍ هَاشِمِي مَهْدٍ

وقال الرقاشي ، وقد نظر إلى جعفر وهو على جذعه :

أما والله لولا خوف واش • وعين للخليفة لا تنام .
لطفنا حول جذعك واستلطنا • كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى • حساما فله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا • ودولة آل برمك السلام

قال فاستدعاه الرشيد فقال له : كم كان يمطيك جعفر كل عام ؟ قال : ألف دينار . قال : فأمر له

بأنى دينار . وقال الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيرى قال : لما قتل الرشيد جعفراً وقفت امرأة على حمار فار . فقالت باسان نصيح : والله يا جعفر ائن صرت اليوم آية لقد كنت فى المسكار غاية ، ثم أنشأت تقول :

وإِذْ رَأَيْتُ السَّيْفَ خَالِطَ جُمْهُرًا • وَنَادَى مُتَابِعًا لِلْخُلَفَاءِ فِي بَحْيٍ
بَكَتْ عَلَى الدُّنْيَا وَأَيْقَنْتُ أَنَّهَا • قِصَارَى الْفَتَى بِوَجْهِهَا، وَمَا دَامَ الدُّنْيَا
وَمَا هِيَ إِلَّا دَوْلَةٌ بَعْدَ دَوْلَةٍ • تَخْرُجُ ذَا نَعْمَى وَقَعِيبُ ذَا بَلْوَى
إِذَا أُنْزِلَتْ هَذَا مَنَازِلُ رَفَعَةٍ • مِنَ الْمَلِكِ حِطَّتْ ذَا إِلَى الْغَايَةِ الْقِصْوَى

قال : ثم حركت حمارها فذهبت فبكأنها كانت رجحا لا أثر لها ، ولا يعرف أين ذهبت .

وذكر ابن الجوزي أن جعفرًا كان له جارية يقال لها فتيمة مغنية ، لم يكن لها في الدنيا نظير ، كان يشتراها عليه بمن معها من الجوارى مائة ألف دينار ، فطلبها منه الرشيد فامتنع من ذلك ، فلما قتله الرشيد اصطفى تلك الجارية فأحضرها ليلة في مجلس شرابه وعنده جماعة من جلسائه وسناده ، فأمر من معها أن يغنين فاندفعت كل واحدة تغني ، حتى انتهت النوبة إلى فتيمة ، فأمرها بالإنشاء فأسبلت دمعها وقالت : أما بعد السادة فلا . فغضب الرشيد غضباً شديداً ، وأمر بعض الخضرين أن يأخذها إليه فقد وهبها له ، ثم لما أراد الانصراف قال له فيما بينه وبينه : لا تطأها . ففهم أنه إنما يريد بذلك كسرها . فلما كان بعد ذلك أحضرها وأظهر أنه قد رضى عنها وأمرها بالإنشاء فامتنعت وأرسلت دمعها وقالت : أما بعد السادة فلا . فغضب الرشيد أشد من غضبه فتبر المرة الأولى وقال : الطمع والسيف ، وجاء السياف فوقف على رأسها فقال له الرشيد : إذا أرسلتكم ثلاثاً وعقدت أصابعي ثلاثاً فاضرب . ثم قال لها غن : فبكت وقالت : أما بعد السادة فلا . ففقد أصبعه الخنصر ، ثم أمرها الثانية فامتنعت ، فعمد المثنين ، فارتعد الحاضرون وأشفقوا غاية الشفقة وأقبلوا عليها يسألونها أن تغني ثلاثاً تقتل نفسها ، وأن نجيب أمير المؤمنين إلى ما يريد . ثم أمرها الثالثة فاندفعت تغني كراته :

لما رأيت الدنيا قد درست * أيقنت أن النعيم لم يعد

قال فوثب إليها الرشيد وأخذ العود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر ، وأقبلت الدماء وتطايرت الجوارح حولها ، وحملت من بين يديه فانت بعد ثلاث .

وروى أن الرشيد كان يقول : لعن الله من أغرائى بالبراءة ، فها وجدت بعدهم لذة ولا راحة ولا رجاء ، وددت والله أنى شطرت نصف عمرى وبلىكى وأنى تركتهم على حالهم .

وحكى ابن خلكان أن جعفرًا اشترى جارية من رجل بأربعمائة دينار، فالتفتت إلى بانيها وقالت: اذكر العهد الذي بيني وبينك، لا تأكل من ثمنى شيئاً، فبكى سيدها وقال: اشهدوا أنها

حرة ، وأنى قد تزوجتها . فقال جعفر : اشهدوا أن النفر له أيضا . وكتب إلى نائب له : أما بعد فقد كثر شاكوك ، وقل شاكوك ، فأما أن تعمل ، وإما تعزل . ومن أحسن ما وقع منه من التلطف في إزالة هم الرشيد ، وقد دخل عليه . منجم يهودى فأخبره أنه سيموت في هذه البهنة ، فحمل الرشيد هماً عظيماً ، فدخل عليه جعفر فسأله : ما الخبر ؟ فأخبره بقول اليهودى فاستدعى جعفر اليهودى فقال له : كم بقى لك من العمر ؟ فذكر مدة طويلة . فقال : يا أمير المؤمنين اقتله حتى تعلم كذبه فيها أخبر عن عمره . فأمر الرشيد باليهودى فقتل ، وسرى عن الرشيد الذى كان فيه .

وبعد مقتل البرامكة قتل الرشيد إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، وذلك أنه حزن على البرامكة ، ولا سباً على جعفر ، كان يكثر البكاء عليهم ، ثم خرج من حيز البكاء إلى حيز الانتصار لهم والأخذ بثأرهم ، وكان إذا شرب في منزله يقول لجاريته : ائتني بسيفي ، فيسبله ثم يقول : والله لأقتل قاتله ، فأكثر أن يقول ذلك ، ونفى ابنه عثمان أن يطلع الخليفة على ذلك فبهلكم عن آخرهم ، ورأى أن أباه لا ينزع عن هذا ، فذهب إلى الفضل بن الربيع فأعلمه ، فأخبر الفضل الخليفة ، فاستدعى به فاستخبره فأخبره ، فقال : من يشهد معك عليه ؟ فقال : فلان الخادم . فجاء به فشده ، فقال الرشيد : لا يحمل قتل أمير كبير بمجرد قول غلام وخصى ، لعلهما قد تواطأ على ذلك . فأحضره الرشيد معه على الشراب ثم خلا به فقال : ويحك يا إبراهيم ، إن عندي سرّاً أحب أن أطلعك عليه ، أفلقتي في الليل والنهار . قال : وما هو ؟ قال : إني ندمت على قتل البرامكة ووددت أنى خرجت من نصف ملكي ونصف عمرى ولم أكن فعلت بهم ما فعلت ، فإني لم أجِدْ بعدم لذة ولا راحة . فقال : رحمة الله على أبي الفضل - يعنى جعفر - وبكى ، وقال : والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله . فقال له : قم لعنك الله ، ثم حبسه ثم قتله بعد ثلاثة أيام . وسلم أهله وولده .

وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب أنه بلغه أنه يريد الخلافة ، واشتد غضبه بسببه على البرامكة الذين هم في الحبوس ، ثم سجنه فلم يزل في السجن حتى مات الرشيد فأخرجهم الأمين وعقد له على نيابة الشام . وفيها ثارت العصبة بالشام بين المضرية والزرارية ، فبعث إليهم الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم .

وفيها كانت زلزلة عظيمة بالمصيصة فانهدم بعض سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل . وفيها بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة ، وجعله قرباناً ووسيلة بين يديه ، وولاه العواصم ، فسار إلى بلاد الروم فحاصرهم حتى أفندوا بخلق من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم ، ففعل ذلك . وفيها نقضت الروم الصلح الذى كان بينهم وبين المسلمين ، الذى كان عقده الرشيد بينه وبين رضى ملكة الروم الملقبة أخسطه . وذلك أن الروم عزلوا عنهم وملكوا عليهم النقفور ، وكان شجاعاً ، يقال إنه

من صلاة آل جفنة ، فغلبوا رلى وسلموا عبيدا . فكتب قنور إلى الرشيد : من قنور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد فإن الملكة التي كانت قبل أهلك مقام الرخ ، وأطقت نفسها مقام البندق ، لحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها ، وذلك من ضعف الداء وحققين ، لذا قرأت كتابي هذا فأردت إلى ماحلك إليك من الأموال وأنت نفسك به ، وإلا فالسيف بيننا وبينك . فلما قرأ هارون الرشيد كتابه أخذه الغضب الشديد حتى لم يتمكن أحد أن ينظر إليه ، ولا يستطيع مخاطبته ، وأشفق عليه جلساءه خوفاً منه ، ثم استدعى بدواة وكتب على ظهر الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى قنور ملك الروم . قد قرأت كتابك يا ابن الكثرة ، والجواب ما تراه دون ما نسبه والسلام . ثم شخص من فوره وسار حتى نزل بيلب هرة ففتحها وأعطى ابنة ملكها ، وغنم من الأموال شيئاً كثيراً ، وغرب وأحرق ، فطلب قنور من المراجعة على خراج يؤديه إليه في كل سنة ، فأجابه الرشيد إلى ذلك . فلما رجع من غزوه وصار بالهرة ففقد الكافر العهد وخان البيهقي ، وكان الجرد قد اشتد جداً ، فلم يبق أحد أن يجهز فينبغي الرشيد بذلك فلوهم على أنفسهم من الجرد ، حتى يخرج فصل الشتاء . وحج بالناس فيها عبد الله بن عباس بن محمد بن علي .

ذكر من تولى فيها من الأعيان

جفر بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل البرمكي الوزير ابن الوزير ، ولاء الرشيد الشام وغيرها من البلاد ، وبنت إلى دمشق لما كثرت الفتنة الشهران بموران بين قيس وبين ، وكان ذلك أول ظهوره بين قيس وبين في بلاد الاسلام ، كان خلفه من زمن الجاهلية فأنكروا في هذا الأوان ، فلما قدم جفر بميشة خست الشرور وظهر السرور ، وقيل في ذلك أشعار حسنة ، قد ذكر ذلك ابن عسكركري في ترجمة جفر من ترويضه فيها ، -

لقد أوتيت في الشام نيراناً فتنة • فيها أوائل الشام فخذوها
إذا جلت سرج البحر من البرمكية • عليها خبت شهباتها وشرارها
رماها أمير المؤمنين بهنجر • وفيه ثلاث صدعها وأنهبوها
هو الملك المأمور لغيره والتقى • وصولاً لا يستطيع خطارها

وهي تصبغة لطيفة ، وكانت له فصاحة وبلاغة وذكاء وكرم زائد ، كان أبوه قد ضمه إلى القاضى أبي يوسف فتتبعه عليه ، وصار له اختصاص بالرشيد ، وقد وقع ليلة بمحضرة الرشيد زيادة على ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها من موجب الفتنة . وقد روى الحديث عن أبيه عن عبد الحميد الكاتب عن عبد الملك بن مروان كاتب عثمان عن زيد بن ثابت كاتب الوحي . قال قال رسول الله

«ب» : « إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السنين فيه » . رواه الخطيب وابن عساكر من طريق أبي القاسم الكمي الشكلم ، واسمه عبد الله بن أحمد البلخي - وقد كان كاتباً لـ محمد بن زيد - من أبيه عن عبد الله بن طاهر عن طاهر بن الحسين بن زريق عن الفضل بن سهل ذي الرياستين عن جعفر بن يحيى به . وقال عمرو بن بحر الجاحظ قال جعفر الرشيد : يا أمير المؤمنين ! قال لي أبي يحيى : إذا أقبلت الدنيا عليك فاعط ، وإذا أدبرت فاعط ، فانها لا تبقى ، وأنشدني أبي :

لا تبخلنْ بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

فإن تولت فأحرى أن تجود بها * فالحنن إذا ما أدبرت جلف

قال الخطيب : ولقد كان جعفر من علو القدر ونفاذ الأمر وعظم المحل وجلالة المنزلة عند الرشيد على حالة انفردها ، ولم يشاركه فيها أحد . وكان سمح الأخلاق طلق الوجه ظاهر البشر . أما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فأشهر من أن يذكر . وكان أيضاً من ذوى الفصاحة والمذكورين بالبلاغة . وروى ابن عساكر عن مهذب حاجب العباس بن محمد صاحب قطيعة العباس والعباسية أنه أصابته فاقة وضائقة ، وكان عليه ديون ، فألح عليه المطالبون وعنده سبط فيه جواهر شراؤه عليه ألف ألف ، فأبى به جعفر فعرضه عليه وأخبره بما هو عليه من الثمن ، وأخبره بالحاج المطالبين بديونهم ، وأنه لم يبق له سوى هذا السبط . فقال : قد اشتريته منك بألف ألف ثم أقبضه المال وقبض السبط منه ، وكان ذلك ليلاً . ثم أمر من ذهب بالمال إلى منزله وأجلسه معه في السر تلك الليلة ، فلما رجع إلى منزله إذا السبط قد سبقه إلى منزله أيضاً . قال فلما أصبحت غدوت إلى جعفر لأشكر له فوجدته مع أخيه الفضل على باب الرشيد يستأذنان عليه ، فقال له جعفر : إني قد ذكرت أمرك للفضل ، وقد أمر لك بألف ألف ، وما أعطها إلا قد سبقتك إلى منزلك ، وسأفاوض فيك أمير المؤمنين . فلما دخل ذكر له أمره وما لحقه من الديون فأمر له بثلاثمائة ألف دينار .

وكان جعفر ليلة في سمره عند بعض أصحابه فجاءت الخنفساء فركبت ثياب الرجل فألقاها عنه جعفر وقال : إن الناس يقولون : من قصده الخنفساء يبشر بمال يصيبه . فأمر له جعفر بألف دينار . ثم عادت الخنفساء ، فرجعت إلى الرجل فأمر له بألف دينار أخرى

وحج مرة مع الرشيد فلما كانوا بالمدينة قال لرجل من أصحابه : انظر جارية اشتريها تكون فاققة في الجمال والثناء والمعاية ، ففتش الرجل فوجد [جارية] على النعمت فطلب سيدها فيها مالا كثيراً على أن يراها جعفر ، فذهب جعفر إلى منزل سيدها فلما رآها أعجب بها ، فلما غنته أعجبه أكثر ، فسأومه صاحبها فيها ، فقال له جعفر : قد أحضرتنا مالا فإن أعجبك وإلا زدناك ، فقال لها سيدها : إني كنت في لعمرة وكنت عندي في غاية السرور ، وإنه قد انقبض على حالي ، وإني قد أحبيت أن

أبيك لهذا الملك ، لكنى تكونى عنده كما كنت عندى . فقالت له الجارية : والله يا سيدى لو ملكت منك كما ملكت منى لم أبعك بالدنيا وما فيها ، وأين ما كنت عاهدتنى أن لا تبغى ولا تأكل من نمنى . فقال سيدها جعفر وأصحابه : أشهدكم أنها حرة لوجه الله ، وأنى قد تزوجتها . فلما قال ذلك نهض جعفر وقام أصحابه وأمروا الخال أن يحمل المال . فقال جعفر : والله لا يتبغى ، وقال للرجل : قد ملكتك هذا المال فأنتقه على أهلك ، وذهب وتركه .

هذا وقد كان يبعث بالنسبة إلى أخيه الفضل . إلا أن الفضل كان أكثر منه مالا . وروى ابن عساکر من طريق الدارقطنى بسنده أنه لما أصيب جعفر وجسدوا له فى جرة ألف دينار ، زنة كل دينار مائة دينار ، مكتوب على صفحة الدينار جعفر

وأصغر من ضرب دار الملوك * يلوح على وجه جعفر
يزيد على مائة واحد * متى تعطر معسراً يوسر

وقال أحمد بن المولى الراوية : كتبت عنان جارية الناطقى لجعفر تطلب منه أن يقول لأبيه يحيى أن يشير على الرشيد بشرائها ، وكتبت إليه هذه الأبيات من شعرها فى جعفر : -

يا لائى جهلاً ألا تقصُر * من ذا على حر الهوى يصبر
لا تلحنى إذا شربت الهوى * صرفاً فمزوج الهوى سكر
أحاط بى الحب تغلى له * بحر وقد أوى له أبحر
تحفنى رأيت الهوى بالردى * فوق وحول للهوى عسكر
سيان عندى فى الهوى لائم * أقل فيه والذى يكثر
أنت المصطفى من بى برمك * يا جعفر الخيرات يا جعفر
لا يبلغ الواصف فى وصفه * ما فىك من فضل ولا يعثر
من وفر المال لأغراضه * لجعفر أغراضه أوفر
ديباجة الملك على وجهه * وفى يديه العارض المطر
سحت علينا منها ديمة * ينهل منها الذهب الأحمر
لومسحت كفاء جلوده * نصر فيها الورق الأخضر
لا يستمجد إلا فنى * يصبر للبذل كما يصبر
بهتر ناج الملك من فوقه * نقرأ وزهى تحت المنبر
أشبه البدر إذا ما بدا * أو غرة فى وجهه يزهر
وأفوا أدرى أبدر الدجى * فى وجه أم وجه أنور

يستعطر الزوار منك الندى * وأنت بالزوار تستبشر
وكتبت تحت أبياتها حاجتها ، فركب من فورهِ إلى أبيه فأدخله على الخليفة فأشار عليه بشرائها
فقال : لا والله لأشتريها ، وقد قال فيها الشراء فأكثرُوا ، واشتهر أمرها وهي التي يقول فيها أبو نواس :
لا يشتريها إلا ابن زانية * أو قُلْطبانُ يكونُ من كانا
وعن ثمامة بن أشرس قال : بت ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد ، فانقبه من منامه يبكي مدموذاً
فقلت : ما شأنك ؟ قال : رأيت شيئاً جاء فأخذ بعضادتي هذا الباب وقال :
كأن لم يكن بينَ الحجونِ إلى الصفا * أنيسٌ ولم يسر بمكة سامرُ
قال فأجبتُه : بلى نحنُ كنا أهلها فأبادنا * صروفُ أهالي والجودُ الموائرُ
قال ثمامة : فلما كانت الليلة القابلة قتله الرشيد ونصب رأسه على الجسر ثم خرج الرشيد فنظر
إليه فتأمله ثم أنشأ يقول :

تقاضاكُ دهرُك ما أسلفنا * وكدرَ عيشك بعد الصفا
فلا تمجبنَ فإن الزمانَ * رهينَ بتفريقٍ ما ألفنا
قال : فنظرت إلى جعفر وقلت : أما لئن أصبحت اليوم آيةً فلقد كنت في الكرم والجود غاية ،
قال : فنظر إلى كأنه جل صؤول ثم أنشأ يقول : —
ما يعجبُ العالمُ بينَ جعفرٍ * ما عاينوهُ فبتنا كانا
من جعفرٍ أو من أبوه ومن * كانت بنو برهك لولانا
ثم حول وجهه فرسه وانصرف .

وقد كان مقتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر من سنة سبع وثمانين ومائة ، وكان عمره سبعاً
وثلاثين سنة ، ومكث وزيراً سبع عشرة سنة . وقد دخلت عبادة أم جعفر على أناس في يوم عيد
أضحى تستمنحهم جلد كبش تدفأ به ، فسألوها عن ما كانت فيه من النعمة فقالت : لقد أصبحت في
مثل هذا اليوم وإن على رأسي أربع مائة وصيفة ، وأقول إن ابني جعفر آفاق لي . وروى الخطيب
البغدادي بإسناده أن سفيان بن عيينة لما بلغه قتل الرشيد جعفرآ وما أحل بالبرامكة ، استقبل القبلة
وقال : اللهم إن جعفرآ كان قد كفاني مؤنة الدنيا فكفه مؤنة الآخرة .

حكاية غريبة

ذكر ابن الجوزي في المنتظم أن المأمون بلغه أن رجلاً يأتي كل يوم إلى قبور البرامكة فيبكي
عليهم ويندبهم ، فبعث من جاء به فنخل عليه وقد يش من الحياة ، فقال له : وبكح أما يحملك على
صنيعك هذا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنهم أسدوا إلى معرفاً وخبراً كثيراً . فقال : وما الذي

أسدوه إليك ؟ فقال : أنا المنذر بن المغيرة من أهل دمشق ، كنت بدمشق في نعمة عظيمة واسعة ، فزالت عني حتى أفضى بي الحال إلى أن بمت داري ، ثم لم يبق لي شيء ، فأشار بعض أصحابي على بقصد البرامكة ببغداد ، فأتيت أهلي وتحملت بعالي ، فأتيت ببغداد ومعي نيف وعشرون امرأة فأنزلن في مسجد مهجور ثم قصصت مسجدا مأهولا أصلي فيه . فدخلت مسجداً فيه جماعة لم أر أحسن وجوهاً منهم ، فجلست إليهم فجعلت أدبر في نفسي كلاماً أطلب به منهم قوتاً للعيال الذين معي ، فيمنعني من ذلك السؤال الحياء ، فبينما أنا كذلك إذا بخادم قد أقبل فدعاهم فقاموا كلهم وقبت معهم ، فدخلوا داراً عظيمة ، فإذا الوزير يحيى بن خالد جالس فيها فجلسوا حوله ، فعقد عقد ابنته عائشة على ابن عم له ونثروا فلق المسك وبنادق المنبر ، ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصينية من فضة فيها ألف دينار ، ومعها فئات المسك ، فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالساً ، وبين يدي الصينية التي وضعوها لي ، وأنا أهاب أن آخذها من عظمتها في نفسي ، فقال لي بعض الحاضرين : ألا تأخذها وتذهب ؟ فددت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جبي وأخذت الصينية تحت إبطي وقت ، وأنا خائف أن تؤخذ مني ، فجعلت أتلقت والوزير ينظر إلى وأنا لا أشعر ، فلما بلغت الستارة أمرم فردوني فيئست من المال ، فلما رجعت قال لي : ما شألك خائف ؟ فقصصت عليه خبري ، فبكي ثم قال لأولاده : خذوا هذا فضموه إليكم . فجاءني خادم فأخذ مني الصينية والذهب وأقت عتدم عشرة أيام من ولد إلى ولد ، وخاطري كله عند عيالي ، ولا يمكنني الانصراف ، فلما انقضت المشرة الأيام جاءني خادم فقال : ألا تذهب إلى عيالك ؟ فقلت : بلى والله ، فقام يمشي أمامي ولم يعطني الذهب ولا الصينية ، فقلت : يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ مني الصينية والذهب ، ياليت عيالي رأوا ذلك . فسار يمشي أمامي إلى دار لم أر أحسن منها ، فدخلتها فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحريز فيها ، وقد بعثوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ، وكتاباً فيه تملك الدار بما فيها ، وكتاباً آخر فيه تملك قريتين جيلتين ، فكننت مع البرامكة في أطيب عيش ، فلما أصيدوا أخذ مني عمرو بن مسعدة القرينتين وألزمني بخراجهما ، فكلما لحقني فاقة قصصت دورم وقبورم فبكي عليهم . فأمر المأمون برد القرينتين ، فبكي الشيخ بكاء شديداً فقال المأمون : مالك ؟ ألم استأنف بك جيلاً ؟ قال : بلى ! ولكن هو من بركة البرامكة . فقال له المأمون : امض صاحباً فان الوفاء مبارك ، ومراعاة حسن العهد والصعبة من الإيمان . وفيها توفي :

الفصيل بن عياض

أبو علي التميمي أحد أئمة العباد الزهاد ، وهو أحد العلماء والأولياء ، ولد ببخراسان بكورة دينور وقدم الكوفة وهو كبير ، فسمع بها الأعشى ومنصور بن المعتز وعطاء بن السائب وحصين بن

عبد الرحمن وغيرهم . ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها ، وكان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام ، وكان سيداً جليلاً ثقة من أئمة الرواية رحمه الله ورضي عنه . وله مع الرشيد قصة طويلة ، وقد روينا ذلك مطولاً في كيفية دخول الرشيد عليه منزله ، وما قال له الفضيل بن عياض ، وعرض عليه الرشيد المال فأبى أن يقبل منه ذلك . توفي بمكة في المحرم من هذه السنة . وذكروا أنه كان شاعراً يقطع الطريق ، وكان يتعشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جداراً إذ سمع قارئاً يقرأ [ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله] فقال : يا ! وثاب وأفلح عما كان عليه . ورجع إلى خربة فبات بها فسمع سفاراً يقولون : خذوا حذرکم إن فضيلاً أمامکم يقطع الطريق ، فأنهم واستمر على نوبته حتى كان منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة ، ثم صار علماً يقتدى به ويهتدى بكلامه وفعاله . قال الفضيل : لو أن الدنيا كلها حلال لأحاطب بها لكنك أتقنوها كما يتقن أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تعيب ثوبه ، وقال : العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس رياء ، والاحلاس أن يشك الله منهما . وقال له الرشيد يوماً : ما أزهديك ، فقال : أنت أزهديني ، لأنني أنا زهدت في الدنيا التي هي أقل من جناح بدوضة ، وأنت زهدت في الآخرة التي لا قيمة لها ، فأنا زاهد في الثاني وأنت زاهد في الباقي : ومن زهد في درة أزهدي من زهد في برة . وقد روى مثل هذا عن أبي حازم أنه قال ذلك لسليمان بن عبد الملك .

وقال : لو أني دعوة مستجابة لجعلتها للامام ، لأن به صلاح الرعية ، فإذا صلح أنت المباد والبلاد . وقال : إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حمارى وخادمى وامرأتى وفاربيق [وقال في قوله تعالى : [ليبلوكم أيكم أحسن عملاً] . قال : يعنى أخلصه وأصوبه ، إن العمل يجب أن يكون خالصاً لله ، وصواباً على متابعة النبي (ص)]^(١) وفيها توفي :

بشر بن المفضل ، وعبد السلام بن حرب . وعبد العزيز بن محمد الدراوردي . وعبد العزيز العمى . وعلى بن عيسى ، الأمير ببلاد الروم مع القاسم بن الرشيد في الصائفة . ومعتز بن سليمان وأبو شعيب البرائى الزاهد ، وكان أول من سكن برائاً في كوخ له يتعبد فيه ، فهو يته امرأة من بنات الرؤساء فأنجلمت مما كانت فيه من الدنيا والسعادة والحشمة ، وتزوجته وأقامت معه في كوخه تتعبد حتى ماتا ، يقال إن اسمها جوهرة .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

فيها غزا إبراهيم بن إسرائيل الصائفة فدخل بلاد الروم من درب الصنصاف ففرج النقفور لقاؤه ففرج النقفور ثلاث جراح ، وأنهزم ، وقتل من أصحابه أكثر من أربعين ألفاً ، وغنموا أكثر من

(١) زيادة من المضرية .

أربعة آلاف دابة . وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق . وفيها حج بالناس الرشيد ، وكانت آخر حجاته . وقد قال أبو بكر حين رأى الرشيد منصرفاً من الحج - وقد اجتاز بالكوفة - لا يبيع الرشيد بعدها ، ولا يبيع بعده خليفة أبداً . وقد رأى الرشيد بهلول الموله فوعظه موعظة حسنة ، فروينا من طريق الفضل بن الربيع الحاجب قال : حججت مع الرشيد فرأنا بالكوفة فإذا بهلول المجنون يهذى ، فقلت : اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين ، فسكت . فلما حاذاه المودج قال : يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نائل ثنا قدامة بن عبد الله العاصري قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - على جبل وتحتة رجل رث ، ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك . قال الربيع فقلت : يا أمير المؤمنين إنه بهلول ، فقال : قد عرفته ، قل يا بهلول فقال :

هَبْ أَنْ قَدْ مَلَكَتِ الْأَرْضَ طَرَأَ * وَدَانَ لَكَ الْعِبَادُ فَكُنْ مَاذَا

أَلَيْسَ غَدَاً مَصِيرُكَ جَوْفَ قَبْرِ * وَيَحْمُو عَلَيْكَ التُّرَابَ هَذَا ثُمَّ هَذَا

قال : أجدت يا بهلول ، أفذير ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! من رزقه الله مالا وجهلاً فنف في جهاله ، وواسى في ماله ، كتب في ديوان الله من الأبرار . قال : فظن أنه يريد شيئاً ، فقال : إنا أمرنا بقضاء دينك . فقال : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، لا يقضى دين بدين ، اردد الحق إلى أهله واقض دين نفسك من نفسك . قال : إنا أمرنا أن يجرى عليك رزق تقتات به . قال : لا تفعل يا أمير المؤمنين فإنه سبحانه لا يعطيك ويلسأني . بها أنا قد عشت عمراً لم تجر على رزقا ، انصرف لاحاجة لي في جرايتك . قال : هذه ألف دينار خذها . فقال : ارددها على أصحابها فهو خير لك ، وما أصنع أنا بها ؟ انصرف عني فقد آذنتني . قال : فالصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا . ومن توفى فيها من الأعيان :

أبو إسحاق الفزاري

إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة ، إمام أهل الشام في المغازي وغير ذلك . أخذ عن الثوري والأوزاعي وغيرهما ، توفى في هذه السنة . وقيل قبلها .

وإبراهيم الموصلي

النديم ، وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق ، أحد الشعراء والمفنين والندماء للرشيد وغيره ، أصله من الفرس وولد بالكوفة وصحب شبائهما وأخذ عنهم الغناء ، ثم سافر إلى الموصل ثم عاد إلى الكوفة فقالوا : الموصلي . ثم اتصل بالخلفاء أولهم المهدي وحظي عند الرشيد ، وكان من جملة سماره وندمائيه ومفنيه ، وقد أثرى وكثر ماله جداً ، حتى قيل إنه ترك أربعة وعشرين ألف ألف

درهم ، وكانت له طرف وحكايات غريبة ، وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة في الكوفة ، ونشأ في كفاية بني تميم ، فتعلم منهم ونسب إليهم ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الغناء ، وكان مزوجاً بأخت المنصور الملقب بزئز ، الذي كان يضرب معه ، فإذا غنى هذا وضرب هذا اهتز المجلس . توفي في هذه السنة على الصحيح ، وحكى ابن خلصكان في الوفيات أنه توفي وأبو العتاهية وأبو عمرو الشيباني ببغداد في يوم واحد من سنة ثلاث عشرة ومائتين . وصحح الأول . ومن قوله في شعره عند احتضاره قوله :

ملّ والله طيبي * بن مقاسقر الذي بي
سوف أنى عن قريب * لعدو وحبيب

وفيها مات جرير بن عبد الحميد . ورشد بن سعد . وعبد بن سليمان . وعقبة بن خالد . وعمر ابن أيوب العابد أحد مشايخ أحمد بن حنبل . وعيسى بن يونس في قول .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

فيها رجع الرشيد من الحج وسار إلى الري فولى وعزل . وفيها رد علي بن عيسى إلى ولاية خراسان ، وجاءه نواب تلك البلاد بالهدايا والتحف من سائر الأشكال والألوان ، ثم عاد إلى بغداد فأدركه عيد الأضحى بقصر المصوص فضحى عنده ، ودخل إلى بغداد لثلاث بقين من ذى الحجة ، فلما اجتاز بالجرس أمر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي فأحرقت ودفنت ، وكانت مصوبة من حين قتل إلى هذا اليوم ، ثم ارتحل الرشيد من بغداد إلى الرقة ليسكنها وهو متأسف على بغداد وطبيها ، وإنما مراده بمقامه بالرقة ردع المفسدين بها ، وقد قال العباس بن الأحنف في خروجهم من بغداد مع الرشيد :

ما أتخنا حتى ارتحلنا فما : * فرق بين المناخر والارتحال
ساءلونا عن حالنا إذ قدمنا * فرقنا وداعهم بالسؤال

وفيها غادى الرشيد الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم ، حتى يقال إنه لم يترك بها أسيراً من المسلمين . فقال فيه بعض الشعراء :

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها * محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أهيأ المسلمين فكما كها * وقالوا سجون المشركين قبورها

وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق يحاصر الروم . وفيها حج بالناس العباس بن موسى ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

ذكر من توفي فيها من الأعيان

على بن حمزة بن عبد الله بن فيروز أبو الحسن الأسدي مولاهم ، الكوفي المعروف بالكسائي لأحرامه في كسائه ، وقيل لاشتغاله على حمزة الزيات في كسائه ، كان نحوياً لغوياً أحد أئمة القراء ، أصله

من الكوفة ثم استوطن بغداد ، فأدب الرشيد و ولده الأمين ، وقد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته ، وكان يقرئ بها ، ثم اختار لنفسه قراءة وكان يقرأ بها . وقد روى عن أبي بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وغيرهما ، وعنه يحيى بن زياد الفراء وأبو عبيد . قال الشافعي : من أراد النحو فهو عيال على الكسائي . أخذ الكسائي عن الخليل صناعة النحو فسأله يوماً : عن من أخذت هذا العلم ؟ قال : من بوادي الحجاز . فرحل الكسائي إلى هناك فكتب عن العرب شيئاً كثيراً ، ثم عاد إلى الخليل فاذا هو قد مات وتصدر في موضعه يونس ، فجرت بينهما مناظرات أقر له فيها يونس بالفضل ، وأجلسه في موضعه .

قال الكسائي : صليت يوماً بالرشيد فأعجبني قراءتي ، فغلطت غلطة ما غلطها صبي ، أردت أن أقول أعلمهم يرجعون ، فقلت أعلمهم ترجمين ، فأتجاسر الرشيد أن يردّها . فلما سلمت قال : أي لغة هذه ؟ فقلت : إن الجواد قد يثمر . فقال : أما هذا فضع . وقال بعضهم : لقيت الكسائي فاذا هو مهموم ، فقلت : مالك ؟ فقال : إن يحيى بن خالد قد وجه إلى ليسألني عن أشياء فأخشى من الخطأ ، فقلت : قل ما شئت فأنت الكسائي ، فقال : قطع الله - يعني لسانه - إن قلت ما لم أعلم . وقال الكسائي يوماً قلت لنجار : بكم هذان البابان ؟ فقال : بسالجيان يا مصفعان .

توفي الكسائي في هذه السنة على المشهور ، عن سبعين سنة . وكان في محبة الرشيد ببلاد الري فأت بشواحيها هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد ، وكان الرشيد يقول : دفنت الفقه والعربية بالري . قال ابن خلكان : وقيل إن الكسائي توفي بطوس سنة ثنتين وثمانين ومائة ، وقد رأى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالسدر فقال : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي بالقرآن . فقلت : ما فعل حمزة ؟ قال : ذاك في عليين ، ما نراه إلا كما نرى الكوكب . وفيها توفي :

محمد بن الحسن بن زفر

أبو عبد الله الشيباني مولاهم ، صاحب أبي حنيفة . أصله من قرية من قرى دمشق ، قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ولشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة ومسر والثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول ، وكتب عن مالك بن أنس والأوزاعي وأبي يوسف ، وسكن بغداد وحدث بها ، وكتب عنه الشافعي حين قدمها في سنة أربع وثمانين ومائة ، وولاه الرشيد قضاء الرقة ثم عزله . وكان يقول لأهله : لا تسألوني حاجة من حاجات الدنيا فتشغلوا قلبي . وخذوا ما شئتم من مالي فإنه أقل لهمى وأفرغ لقلبي . وقال الشافعي : ما رأيت حبراً سمياً مثله ، ولا رأيت أخف روحاً منه ، ولا أفصح منه . كنت إذا سمعته يقرأ القرآن كأنما ينزل القرآن بلغته . وقال أيضاً : ما رأيت أعقل منه ، كان يملأ العين والقلب ، قال الطحاوي : كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن

كتاب السير فلم يجبه إلى الاعارة فكتب إليه :-

قل للذي لم ترَ عيناي مثله * حتى كأن من رآه قد رأى من قبله

العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله * للعلم ببذله لأهله لعله

قال : فوجه به إليه في الحال هدية لاعارية . وقال إبراهيم الحربي : قيل لأحمد بن حنبل : هذه المسائل الدقاق من أين هي لك ؟ قال : من كتب محمد بن الحسن رحمه الله . وقد تقدم أنه مات هو والسكاسي في يوم واحد من هذه السنة . فقال الرشيد : دفنت اليوم اللغة والفقه جميعاً . وكان عمره ثمانية وخمسين سنة . ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة

فيها خاع رافع بن ليث بن نصر بن سيار نائب ممرقند الطاعة ودعا إلى نفسه ، وتابعه أهل بلده وطائفة كثيرة من تلك الناحية ، واستفحل أمره ، فسار إليه نائب خراسان علي بن عيسى فهزمه رافع وتناقم الأمر به . وفيها سار الرشيد ليز و بلاد الروم لعشر بقين من رجب ، وقد لبس على رأسه قلنسوة فقال فيها أبو المعلل السكلاي :

فمن يطلب لقاءك أو يرده * فبالحرمين أو أقصى الثغور

ففي أرض المدبر على طمر * وفي أرض الترفه فوق كور

وما حاز الثغور سواك خلق * من المتخلفين على الأمور

فسار حتى وصل إلى الطوالة فحسكر بها وبعث إليه نفقور بالطاعة وحمل الخراج والجزية حتى عن رأس ولده ورأسه ، وأهل مملكته ، في كل سنة خمسة عشر ألف دينار ، وبعث يطلب من الرشيد جارية قد أسروها وكانت ابنة ملك هرقة ، وكان قد خطبها على ولده ، فبعث بها الرشيد مع هدايا وتحف وطيب بعث يطلبه من الرشيد ، واشترط عليه الرشيد أن يحمل في كل سنة ثلثمائة ألف دينار ، وأن لا يهرق دماً . ثم انصرف الرشيد راجعاً واستناب على الفوز وعقبة بن جعفر . ونقض أهل قيس العهد فزاهم ميعوف بن يحيى ، فسبى أهلها وقتل منهم خلقاً كثيراً . وخرج رجل من عبد القيس فبعث إليه الرشيد من قتله . وحج بالناس فيها عيسى بن موسى الهادي .

من توفي فيها من الأعيان والمشاهير

أسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلي الكوفي صاحب أبي حنيفة ، حكم ببغداد وبواسط ، فلما انكف بصره عزل نفسه عن القضاء . قال أحمد بن حنبل : كان صدوقاً . وثقه ابن معين ، وتكلم فيه علي بن المديني والبخاري ومسلمون المجنون صام ستين سنة نخف دماغه فسماه الناس مجنوناً ، وقف يوماً على حلقة ذي النون المصري فسمع كلامه فصرخ ثم أنشأ يقول :

ولاخير في شكوى إلى غير مشتكى * ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

وقال الأصمعي : مررت به وهو جالس عند رأس شيخ سكران يذب عنه ، فقلت له : مالي أراك عند رأس هذا الشيخ ؟ فقال : إنه مجنون . فقلت : أنت مجنون أو هو ؟ قال : لا بل هو ، لأنني صليت الظهر والعصر في جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادى . وهو مع هذا قد شرب الخمر وأنا لم أشربها . قلت : فهل قلت في هذا شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم أنشأ يقول : —
 تركت النبيذ لأهل النبذ * وأصبحت أشرب ماء قراحا
 لأن النبيذ يذل العزير * ويكسو السواد الوجوه الصباحا
 فان كان ذا جائزاً للشباب * فاعذر منه إذا الشيب لاحا
 قال الأصمعي : فقلت له : صدقت ، أنت العاقل وهو المجنون .

وعبيدة بن حميد بن صبيب ، أبو عبد الرحمن التميمي الكوفي ، مؤدب الأمين . روى عن الأعمش وغيره ، وعنه أحمد بن حنبل . وكان يفتي عليه . وفيها توفي :

بجعي بن خاليد بن برمك

أبو علي الوزير والد جعفر البرمكي ، ضم إليه المهدي ولده الرشيد فرباه ، وأرضعته امرأته مع الفضل بن بجعي ، فلما ولي الرشيد عزف له حقه ، وكان يقول : قال أبي ، قال أبي . وفوض إليه أمور الخلافة وأزمتهما ، ولم يزل كذلك حتى تكبت البرامكة فقتل جعفر وخلد أباه بجعي في الحبس حتى مات في هذه السنة . وكان كريماً فصيحا ، ذا رأي شديد ، يظهر من أموره خير وصلاح . قال يوماً لولده : خذوا من كل شيء طرفة ، فان من جهل شيئاً عاذاه . وقال لأولاده : اكتبوا أحسن ما تسمعون ، واحفظوا أحسن ما تكتبون ، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون . وكان يقول لهم : إذا أقبلت الدنيا فأنفقوا منها فانها لا تبقى ، وإذا أدبر فأنفقوا منها فانها لا تبقى ، وكان إذا سأل في الطريق وهو راكب أقل ما يأمر له بمائتي درهم فقال رجل يوماً : ب

يا سمعي الحصور بجعي * أتيتك لك من فضل ربنا جنان
 كل من مر في الطريق عليكم * فله من نوالكم مائتان
 مائتا درهم لثلى قليله * هي للفارس المجلان

قال : صدقت . وأمر فسبق به إلى الهبار ، فلما رجع سأل عنه فإذا هو قد تزوج وهو يريد أن يدخل على أهله فأعطاه صداقها أربعة آلاف ، وعن دار أربعة آلاف ، وعن الأمتعة أربعة آلاف . وكلفة الدخول أربعة آلاف ، وأربعة آلاف يستظهر بها . وجاء رجل يوماً فسأله شيئاً فقال : وبجك لقد جشنت في وقت لا أملك فيه مالا ، وقد بعثت إلى صاحب لي يطلب مني أن يهديني إلى ما أحب ، وقد بلغني أنك تريد أن تبيع جارية لك ، وأنت قد أعطيت فيها ثلاثة آلاف دينار ، وإلى ساطلها

فلا تبعتها منه بأقل من ثلاثين ألف دينار . فجأؤى فبلغوا معى بالدمرة إلى عشرين ألف دينار ، فلما سمعتها ضمت قلبى عن ردها ، وأجبت إلى بيها ، فأخذها وأخذت العشرين ألف دينار . فأهداها إلى يحيى ، فلما اجتمعت بيحيى قال : بكم ربتها ؟ قلت : بعشرين ألف دينار . قال : إنك تطلبى منى خذ جاريته إليك وقد بعث إلى صاحب فارس يطلب منى أن أسنهديه شيئاً ، وإبنى سأأهبها منه فلا تبعتها بأقل من خمسين ألف دينار . فجأؤى فوصلوا فى ثمنها إلى ثلاثين ألف دينار ، فبعتها منهم . فلما جئته لأمنى أيضاً وردّها على ، فقلت : أشهدك أنها حرة وأنى قد تزوجتها ، وقلت : جارية قد أفادنى خمسين ألف دينار لا أفرط فيها بعد اليوم .

وذكر الخطيب أن الرشيد طلب من منصور بن زياد عشرة آلاف ألف درهم ، ولم يكن عنده منها سوى ألف ألف درهم ، فضاق ذرعاً ، وقد توعد بالقتل وخراب الديار إن لم يحمله فى يومه ذلك ، فدخل على يحيى بن خالد وذكر أمره فأطلق له خمسة آلاف ألف ، واستعاطق له من ابنه الفضل ألفى ألف ، وقال لابنه : يا بنى بلغنى أنك تريد أن تشتري بها ضيعة . وهذه ضيعة تغل الشكر وتبقى مدى الدهر . وأخذ له من ابنه جعفر ألف ألف ، ومن جاريته دنانير عقداً اشتراه بمائة ألف دينار ، وعشرون ألف دينار ، وقال للمترسم عليه : قد حسبناه عليك بألفى ألف . فلما عرضت الأموال على الرشيد رد العقد ، وكان قد وهبه لجارية يحيى ، فلم يمد فيه بعد إذ وهبه . وقال له بعض بذيه وم فى السجن والقيود : يا أبت بعد الأمر والنهى والنعمة صرنا إلى هذا الحال ، فقال : يا بنى دعوة مظلوم سرت بليل ونحن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها . ثم أنشأ يقول :

ربّ قوم قد غدوا فى نعمة * زناً والدهر ريان غدى
سكت الدهر زماناً عنهم * ثم أبكاهم دماً حين لطق

وقد كان يحيى بن خالد هذا يجرى على سفیان بن عيينة كل شهر ألف درهم ، وكان سفیان يده . له فى سجوده يقول : اللهم إنه قد كفانى المؤنة وفرغنى للعبادة فاكفه أمر آخرته . فلما مات يحيى رآه بعض أصحابه فى المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى بدعاء سفیان .

وقد كانت وفاة يحيى بن خالد رحمه الله فى الحبس فى الرافقة لثلاث خلون من المحرم من هذه السنة عن سبعين سنة ، وصلى عليه ابنه الفضل ، ودفن على شط الفرات ، وقد وجد فى جيبه رقعة مكتوب فيها بخطه : قد تقدم الخضم والمدح عليه بالأثر ، والحاكم الحكم العدل الذى لا يحبر ولا يحتاج إلى بيعة . لحملت إلى الرشيد فلما قرأها بكى يومه ذلك ، وبكى أياماً يتبين الأسى فى وجهه . وقد قال بعض الشعراء فى يحيى بن خالد : -

سألت النداء هل أنت حرّ فقال لا * ولكنى عبده لبيحى خال

فقلتُ شراءه قال لا بل وراثته * توارث رقي والده بعد والد
ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة

فيها خرج رجل بسواد العراق يقال له ثروان بن سيف ، وجعل يتنقل فيها من بلد إلى بلد ، فوجه إليه الرشيد طوق بن مالك فهزمه وجرح ثروان وقتل عامة أصحابه ، وكتب بالفتح إلى الرشيد . وفيها خرج بالشام أبو النداء فوجه إليه الرشيد يحيى بن معاذ واستنابه على الشام . وفيها وقع الثلج ببغداد . وفيها غزا بلاد الروم يزيد بن مخلد الهبيري في عشرة آلاف ، فأخذت عليه الروم المضيق فقتلوه في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس ، وانهمز الباقون ، وولى الرشيد غزو الصائفة هرثمة بن أعين ، وضم إليه ثلاثين ألفاً فيهم مسرور الخادم ، وإليه النفقات . وخرج الرشيد إلى الحدث ليكون قريباً منهم . وأمر الرشيد بهدم الكنائس والدبور ، وألزم أهل الذمة بتمييز لباسهم وهياتهم في بغداد وغيرها من البلاد . وفيها عزل الرشيد على بن موسى عن إمرة خراسان وولاه هرثمة بن أعين . وفيها فتح الرشيد هرقة في شوال وخربها وسبى أهلها وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم إلى عين زربة ، والكنيسة السوداء . وكان دخل هرقة في كل يوم مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق ، وولى حميد بن معيوف سواحل الشام إلى مصر ، ودخل جزيرة قبرص فسي أهلها وحملهم حتى باعهم بالرافقة ، فبلغ ثمن الأسقف ألفي دينار ، باعهم أبو البختری القاضي .

وفيها أسلم الفضل بن سهل على يدى المأمون . وحج بالناس فيها الفضل بن عباس بن محمد بن على العباسي ، وكان إلى مكة ، ولم يكن للناس بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين . وفيها توفى من الأعيان :

سلمة بن الفضل الأبرش . وعبد الرحمن بن القاسم الفقيه الراوى عن مالك بن يونس بن أبي إسحاق ، قدم على الرشيد فأمر له بمال جزيل ، نحواً من خمسين ألفاً فلم يقبله . والفضل بن موسى الشيباني . ومحمد بن سلمة . ومحمد بن الحسين المصيصي أحد الزهاد النقات . قال لم أتكلم بكلمة أحتاج إلى الاعتذار منها منذ خمسين سنة . وفيها توفى معمر الرقي .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة

فيها دخل هرثمة بن أعين إلى خراسان نائباً عليها وقبض على على بن عيسى فأخذ أهواله وحواصله وأركبه على بعير وجهه لذنه ونادى عليه ببلاد خراسان ، وكتب إلى الرشيد بذلك فشكره على ذلك ، ثم أرسله إلى الرشيد بعد ذلك فحبس بداره ببغداد . وفيها ولى الرشيد ثابت بن نصر بن مالك نيابة الثغور فدخل بلاد الروم وفتح معطورة . وفيها كان الصلح بين المسلمين والروم على يد ثابت

ابن نصر . وفيها خرجت الخرمية بالجليل و بلاد أذر بيجان . فوجه الرشيد إليهم عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزازي في عشرة آلاف فارس فقتل منهم خلقا وأسر وسبي ذراريهم ، وقدم بهم بغداد فأمر له الرشيد بقتل الرجال منهم ، وبالذرية فبيعوا فيها . وكان قد غزاهم قبل ذلك خزيمه بن خازم . وفي ربيع الأول منها قدم الرشيد من الرقة إلى بغداد في السفن وقد استخلف على الرقة ابنه القاسم وبين يديه خزيمه بن خازم ، ومن نية الرشيد الذهاب إلى خراسان لغزو وافع بن ليث الذي كان قد خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد سمرقند وغيرها ، ثم خرج الرشيد في شعبان قاصداً خراسان ، واستخلف على بغداد ابنه محمداً الأمين ، وسأل المأمون من أبيه أن يخرج معه خوفاً من غدر أخيه الأمين ، فأذن له فصار معه وقد شبكا الرشيد في أثناء الطريق إلى بعض أمرائه جفاء بنييه الثلاثة الذين جعلهم ولاية للعهد من بعده ، وأراه داء في جسده ، وقال إن لسكلى واحد من الأميين والمأمون والقاسم عندي عينا على ، وهم يعدون أنفاسي ويتمنون انقضاء أيامي ، وذلك شر لهم لو كانوا يملكون . فدعا له ذلك الأمير ثم أمر له الرشيد بالانصراف إلى عمله وودعه ، وكان آخر العهد به . وفيها تحرك نروان الحروري وقتل عامل السلطان بطف البصرة . وفيها قتل الرشيد الهيصم النجاشي . ومات عيسى بن جعفر وهو يريد اللحاق بالرشيد فمات في الطريق . وفيها حج بالناس العباس ابن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور . وفيها توفي :

اسماعيل بن جامع

ابن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة أبو القاسم ، أحد المشاهير بالفناء ، كان ممن يضرب به المثل ، وقد كان أولاً يحفظ القرآن ثم صار إلى صناعة الفناء وترك القرآن ، وذكر عنه أبو الفرج بن علي بن الحسين صاحب الأغاني حكايات غريبة ، من ذلك أنه قال كنت يوماً مشرفاً من غرفة بمران إذ أقبلت جارية سوداء معها قربة تستقي الماء ، فجلست ووضعت قريتها واندهت نفثي :

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي * لها حسلٌ مِنِّي وتبذلُ عَلَمًا

فردّني مصاب القلب أنتِ قتلتي * ولا تتركه هائم القلب مفرماً

قال : فسمعت مالا صبر لي عنه ورجوت أن تعيده فقامت وانصرفت ، فذهبت وانطلقت وراءها وسألتها أن تعيده فقالت : إن علي خراجاً كل يوم درهمين ، فأعطيتها درهمين فأعادته لحفظته وسلكته يومئذ ذلك ، فلما أصبحت أنسيته فأقبلت السوداء فسألتها أن تعيده فلم تفعل إلا بدرهمين ، ثم قالت : كأنك تستكثر أربعة دراهم ، كأني بك وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار . قال فغنيته ليلة للرشيد فأعطاني ألف دينار ، ثم استعادني ثلاث مرات أخرى وأعطاني ثلاثة آلاف دينار ، فنبست فقال : مم نبست ؟ فذكرت له القصة فضحك وألقى إلى كيس آخر فيه ألف دينار . وقال :

لا أكذب السوداء . وحكى عنه أيضاً قال : أصبحت يوماً بالمدينة وليس معي إلا ثلاثة دراهم ، فإذا جارية على رقبته جرة تريد الركي وهي تسمى وتترنم بصوت شجي : -

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا * فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذلكَ لأنَّ النومَ يَفْشَى عيونهم * سريعاً ولا يَفْشَى لنا النومُ أعيننا
إذا مادنا الليلَ المَصْرَ بنى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقونَ مثلنا * نلاقى لكانوا في المضاجعِ مثلنا

قال : فاستعدته منها وأعطيتها الدرام الثلاثة فقالت : لنأخذن بدلها ألف دينار ، وألف دينار وألف دينار . فأعطاني الرشيد ثلاثة آلاف دينار في ليلة على ذلك الصوت . وفيها توفي :

بكر بن النطاح أبو وائل الحنفي البصري الشاعر المشهور ، نزل بغداد زمن الرشيد ، وكان يخاطب أبا المتاهية . قال أبو عثمان : أشعر أهل العدل من الحديثين أربعة ، أولهم بكر بن النطاح . وقال المبرد : سمعت الحسن بن رجاء يقول اجتمع جماعة من الشعراء ومعهم بكر بن النطاح يتناشدون ، فلما فرغوا من طواهم أنشد بكر بن النطاح لنفسه :

ما ضرها لو كتبت بالرضى * لحب جفن العين أو أغضضا
شفاعة مردودة عندها * في عاشقٍ يودُّ لو قد قضى
يانفس صبراً واعلى أنما * يأمل منها مثلما قد مضى
لم تعرض الأجفان من قاتل * بلحظ إلا لأن أضرنا

قال : فابتدوه يقبلون رأسه . ولما مات رثاه أبو المتاهية فقال :

مات ابن نطاح أبو وائل * بكر فأمسى الشعر قد بانا

وفيها توفي بهلول المجنون ، كان يأوي إلى مقابر الكوفة ، وكان يشكلم بكلمات حسنة ، وقد وعظ الرشيد وغيره كما تقدم . وعبد الله بن إدريس

الأودي الكوفي ، سمع الأعمش وابن جريج وشعبة ومالكا وخلقا سرام . وروى عنه جماعات من الأئمة ، وقد استدعاه الرشيد ليؤليه القضاء فقال : لا أصلح ، وامتنع أشد الامتناع ، وكان قد سأل قبله وكيعاً فامتنع أيضاً ، فطلب حفص بن غياث فقبل . وأطلق لكل واحد خمسة آلاف عوضاً عن كلمته التي تكلمها في السفر ، فلم يقبل وكيع ولا ابن إدريس ، وقبل ذلك حفص ، لحلف ابن إدريس لا يكلمه أبداً . وحجج الرشيد في بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه القاضي أبو يوسف والأمين والمأمون ، فأمر الرشيد أن يجتمع شيوخ الحديث ليسمعوا ولديه ، فاجتمعوا إلا ابن إدريس هذا ، وعيسى بن يونس . فركب الأمين والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من

المشايخ إلى ابن إدريس فأجمعهما مائة حديث ، فقال له المأمون : يا عم إن أردت أعدتهما من حفظي ، فأذن له فأعطاها من حفظه كما سمعها ، فتعجب لحفظه . ثم أمر له المأمون بمال فلم يقبل منه شيئاً ، ثم سارا إلى عيسى بن يونس فسمعا عليه ثم أمر له المأمون بمشرة آلاف فلم يقبلها ، فظن أنه استقلها فأضمرها فقال : والله لو ملأت لي المسجد مالا إلى سقته ما قبلت منه شيئاً على حديث رسول الله (ص) . ولما احتضر ابن إدريس بكى أبنته فقال : علام تبكي ؟ فقد ختمت في هذا البيت أربعة آلاف ختمة .

صمصمة بن سلام

ويقال ابن عبد الله أبو عبد الله الدمشقي ، ثم تحول إلى الأندلس فاستوطنتها في زمن عبد الملك ابن معاوية وابنه هشام ، وهو أول من أدخل علم الحديث ومذهب الأوزاعي إلى بلاد الأندلس ، وولى الصلاة بقرطبة ، وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما يراه الأوزاعي والشاميون ويكرهه مالك وأصحابه . وقد روى عن مالك والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز . وروى عنه جماعة منهم عبد الملك بن حبيب الفقيه ، وذكره في كتاب الفقهاء ، وذكره ابن يونس في تاريخه - تاريخ مصر - والحيدى في تاريخ الأندلس ، وحرر وفاته في هذه السنة . وحكى عن شيخه ابن حزم أن حمصمة هذا أول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس . وقال ابن يونس : أول من أدخل علم الحديث إليها . وذكر أنه توفي قريباً من سنة ثمانين ومائة ، والذي حرره الحيدى في هذه السنة أثبت

علي بن ظبيان

أبو الحسن العباسي قاضي الشرقية من بغداد ، ولاء الرشيد ذلك . كان ثقة عالماً من أصحاب أبي حنيفة ، ثم ولاء الرشيد قضاء القضاة ، وكان الرشيد يخرج معه إذا خرج من عنده ، مات بقوميسين في هذه السنة .

العباس بن الأحنف

ابن الأسود بن طلحة الشاعر المشهور ، كان من عرب خراسان ونشأ ببغداد ، وكان لطيفاً ظريفاً مقبولاً حسن الشعر . قال أبو العباس قال عبد الله بن المعتز : لو قيل لي من أحسن الناس شعراً تعرفه ؟ لقلت العباس : —

قد سَحَبَ الناسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بنا • وفَرَّقَ الناسُ فينا قَوْلَهُمُ فِرْقًا
فكَافَبَ قد رمى بالظنِّ غيرَكم • وصادقٌ ليسَ بِدري أنه صدّا

وقد طلبه الرشيد ذات ليلة في أثناء الليل فأتزعج لذلك وخاف لساؤه ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال له : ويحك إنه قد عن لي بيت في جارية لي فأحببت أن تشغفه بمنثله ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خفت أعظم من هذه الليلة ، فقال : ولم ؟ فذكر له دخول الحرس عليه في الليل ، ثم جلس حتى سكن روعه ثم قال : ما قلت يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

حناناً قد رأيناها فلم نر مثلها بشراً * يزيدك وجهها حسناً إذا مازدتها نظراً
فقال الرشيد : زد . فقال :

إذا ما الليل مال عليك بالاغلام واعتكرا * ودج فلم تر فجراً فبرزها تر قرا
فقال : إنما قد رأيناها ، وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم . ومن شعره الذي أقر له فيه بشار
ابن برد وأثبتته في سلك الشعراء بسببه قوله :

أبكي الذين أذاقوني مودتهم * حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قت منتصباً * بشقل ما حلوني منهم قعدوا
وله أيضاً وحديثي يا سعد عنها فردتني * جنونا فزدني من حديثك يسمع
هواها هو لم يدرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد

قال الأصمعي : دخلت على العباس بن الأحنف بالبصرة وهو طريق على فراشه يجود بنفسه وهو
يقول :
يا بيمد الدار عن وطنه * مفرداً يبكي على شجته
كلما جد النحيب به * زادت الأسقام في بدنه
ثم أغمى عليه ثم انتبه بصوت طائر على شجرة فقال :

ولقد زاد الفؤاد شجاً * هاتفت يبكي على فننه
شاقة ما شاقني فبكي * كلنا يبكي على سكنه

قال ثم أغمى عليه أخرى فحركته فإذا هو قد مات . قال الصولي : كانت وفاته في هذه السنة ،
وقيل بعدها ، وقيل قبلها في سنة ثمان وثمانين ومائة والله أعلم . وزعم بعض المؤرخين أنه بقي بعد
الرشيد . عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور

أخو زبيدة ، كان نائباً على البصرة في أيام الرشيد فمات في أثناء هذه السنة . وفيها توفي :

الفضل بن يحيى

ابن خالد بن برمك أخو جعفر وأخوته ، كان هو والرشيد يتراضعان . أرضعت الخيزران فضلاً ،
وأرضعت أم الفضل وهي زبيدة بنت بن بريح هارون الرشيد . وكانت زبيدة همة من مولدات بتين
البرية ، وقد قال في ذلك بعض الشعراء :

كفى لك فضلاً أن أفضل حرة * غدتك بشدى والخليفة واحدة
لقد زنت يحيى في المشاهر كلها * كما زان يحيى خالداً في المشاهر

قالوا : وكان الفضل أكرم من أخيه جعفر ، ولكن كان فيه كبر شديد ، وكان هبوساً ، وكان
جعفر أحسن بشراً منه وأطلق وجهها ، وأقل عطاء . وكان الناس إليه أميل ، ولكن خصلة الكرم

انفعل جميع القبايح ، فهي تستر تلك الخصلة التي كانت في الفضل . وقد وهب الفضل لطلبه مائة ألف درهم فمابه أبوه على ذلك ، فقال : يا أبت إن هذا كان يصحبني في العسر واليسر والعيش والخشن ، واستمر معي في هذا الحال فأحسن صحبتي ، وقد قال بعض الشعراء :

إِنَّ السَّكْرَامَ إِذَا مَا أُتْسِرُوا ذَكَّرُوا • مَنْ كَانَ يَتَادَمُّ فِي الْمَنْزِلِ الْخُشِنِ

ووهب يوماً لبعض الأديباء عشرة آلاف دينار فبكي الرجل فقال له : مم تبكي ، أستهلتها ؟ قال : لا والله ، ولكنني أبكي أن الأرض تأكل مثلك ، أو توارى مثلك .

وقال علي بن الجهم عن أبيه : أصبحت يوماً لا أملك شيئاً حتى ولا علف الدابة ، فقصدت الفضل ابن يحيى ، فإذا هو قد أقبل من دار الخلافة في موكب من الناس ، فلما رأيته رحب بي وقال : هلم . فسرت معه ، فلما كان ببعض الطريق سمع غلاماً يدعو جارية من دار ، وإذا هو يدهوها باسم جارية له يحبها ، فارتعج لذلك وشكا إلى ما لقي من ذلك ، فقلت : أصابك ما أصاب أخى بنى عامر حيث يقول :
وَدَاعَ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَلِيفِ مِنْ مَنَى • فَهَيَّجَ أَحْزَانُ الْفَوَادِ وَلَا يَدْرِي
دَعَا بِاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَا وَكُنَّا • أَطَارَ بَلِيلَى طَائِراً كَانَ فِي صَدْرِي

فقال : اكتب لي هذين البيتين . قال : فنسخت إلى بقال فرهنت عنده خاتمي على ثمن ورقة وكتبتهما له ، فأخذهما وقال : انطلق راشداً . فرجعت إلى منزلي فقال لي غلامى : هات خاتمك حتى نرهنه على طعام لنا وعلف للدابة ، فقلت : إني رهنته . فما أمسينا حتى أرسل إلى الفضل بثلاثين ألفاً من الذهب ، وعشرة آلاف من الورق ، أجراه على كل شهر ، وأسلفني شهراً .

ودخل على الفضل يوماً بعض الأكرام فأكرمه الفضل وأجلسه معه على السرير ، فشكا إليه الرجل ديناً عليه وسأله أن يكلم في ذلك أمير المؤمنين . فقال : نعم ، وكم دينك ؟ قال ثلاثمائة ألف درهم . فخرج من عنده وهو مهموم لضمف رده عليه ، ثم مال إلى بعض إخوانه فاستراح عنده ثم رجع إلى منزله فإذا المال قد سبقه إلى داره ، وما أحسن ما قال فيه بعض الشعراء :

لَكَ الْفَضْلُ يَا فَضْلُ بْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ • وَمَا كُلُّ مَنْ يَدْعَى بِفَضْلٍ لَهُ فَضْلٌ

رَأَى اللَّهُ فَضْلًا مِنْكَ فِي النَّاسِ وَأَسْمًا • فَسَاكَ فَضْلًا فَاتَّقِ الْأَسْمَ وَالْفَعْلَ

وقد كان الفضل أكبر رتبة عند الرشيد من جعفر ، وكان جعفر أحظى عند الرشيد منه وأخص . وقد ولي الفضل أعمالاً كباراً ، منها نيابة خراسان وغيرها . ولما قتل الرشيد الهرامكة وحبسهم جلد الفضل هذا مائة سوط وخلده في الحبس حتى مات في هذه السنة ، قبل الرشيد بشهور خمسة في الرقة وصلى عليه بالقرصر الذي مات فيه أصحابه ، ثم أخرجت جنازته فصلى عليها الناس ، ودفن هناك وله خمس وأربعون سنة ، وكان سبب موته ثقل أصابه في لسانه اشتد به يوم الخميس ويوم الجمعة ، ونوفى

قبل أذان النداء من يوم السبت . قال ابن جرير : وذلك في الحرم من سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقال ابن الجوزي : في سنة ثنتين وتسعين فالفه أعلم .

وقد أطل ابن خلكان ترجمته وذكر طرفاً صالحاً من محاسنه ومكارمه ، من ذلك أنه ورد بلخ حين كان قائماً على خراسان ، وكان بها بيت النار التي كانت تعبد بها المجوس ، وقد كان جده برمك من خدامها ، فهدم بعضه ولم يتمكن من هدم كله ، لقوة إحكامه ، وبني مكانه مسجداً لله تعالى . وذكر أنه كان يتمثل في السجن بهذه الأبيات ويكي :

إلى الله فيما نالنا نرفع الشكوى * ففي يدو كشف المضرة والبلوى

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلانحن في الأموات فيها ولا الأحبا

إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة * عجيبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ومحمد بن أمية الشاعر الكاتب ، وهو من بيت كلهم شعراء ، وقد اختلط أشعار بعضهم في بعض ومنصور بن الزبرقان

ابن سلمة أبو الفضل الفيرى الشاعر ، امتدح الرشيد ، وأصله من الجزيرة وأقام ببغداد ويقال لجده مطعم الكباش الرخم ، وذلك أنه أضاف قوماً فجعلت الرخم يحوم حولهم ، فأمر بكباش يذبح للرخم حتى لا يتأذى بها ضيفاله ، ففعل له ذلك . فقال الشاعر فيه :

أبوك زعيم بن قاسط * وخالك ذو الكباش ينفذ الرخم

وله أشعار حسنة ، وكان يروى عن كلثوم بن عمرو ، وكان شيخه الذي أخذ عنه الفناء .

يوسف بن القاضي أبي يوسف

مع الحديث من السري بن يحيى ويونس بن أبي إسحاق ، ونظر في الرأي وتقه ، وولى قضاء الجانب الشرقي ببغداد في حياة أبيه أبي يوسف ، وصلى بالناس الجمعة بجامع المنصور عن أمر الرشيد . توفي في رجب من هذه السنة وهو قاضي ببغداد .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

قال ابن جرير : في الحرم منها توفي الفضل بن يحيى ، وقال ابن الجوزي توفي الفضل في سنة ثنتين وتسعين كما تقدم . وما قاله ابن جرير أقرب . قال : وفيها توفي سعيد الجوهري ، قال : وفيها وافى الرشيد جرجان وانتهت إليه خزائن علي بن عيسى فعمل على ألف وخمسمائة بعير ، وذلك في سفر منها ، ثم تحول منها إلى طوس وهو عليل ، فلم يزل بها حتى كانت وفاته فيها . وفيها توقع هرثمة نائب العراق هو ورافع بن الليث فكسره هرثمة وافتتح بخاري وأسر أخاه بشير بن الليث ، فبعثه إلى الرشيد وهو بطوس قد ثقل عن السير ، فلما وقف بين يديه شرع يترقق له فلم يقبل منه ، بل قال :

والله لو لم يبق من عمرى إلا أن أحرك شفتى بقتلك لقتلتك ، ثم دعا بقصاص فجزأه بين يديه أربعة عشر عضواً ، ثم رفع الرشيد يديه إلى السماء يدعو الله أن يمكنه من أخيه رافع كما يمكنه من أخيه بشير .

وفاة الرشيد

كان قد رأى وهو بالكوفة رؤيا أفزعته وغبه ذلك ، فدخل عليه جبريل بن بختيشوع فقال : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيت كفا فيها تربة حراء خرجت من تحت سريري وأثلاً يقول : هذه تربة هارون . فهون عليه جبريل أمرها وقال : هذه من أضغاث الأحلام من حديث النفس ، فتناسها يا أمير المؤمنين . فلما سار يريد خراسان ومر بطوس واعتقلته العلة بها ، ذكر رؤياه فباله ذلك وقال لجبريل : ويحك ! أما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا ؟ فقال : بلى . فدعا مسروراً الخادم وقال : ائتني بشئ من تربة هذه الأرض ، فجاءه بتربة حراء فى يده ، فلما رآها قال : والله هذه الكف التى رأيت ، والتربة التى كانت فيها . قال جبريل : فوالله ما أتت عليه ثلاث حتى توفى ، وقد أمر بحفر قبره قبل موته فى الدار التى كان فيها ، وهى دار حميد بن أبى غانم الطائى ، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول : يا ابن آدم تصير إلى هنا . ثم أمر أن يقرأوا القرآن فى قبره ، فقرءوه حتى ختموه وهو فى حفرة على شفير القبر . ولما حضرته الوفاة احتجى بملاءة وجلس يقاسى سكرات الموت ، فقال له بعض من حضر : لو اضطجعت كان أهون عليك . فضحك ضحكاً صحيحاً ثم قال : أما سمعت قول الشاعر :

وإنى من قوم كرام يزيدهم • شماساً وصبراً شدة الحدائير

مات ليلة السبت ، وقيل ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، سن خمس ، وقيل سبع وأربعين سنة . وكان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة .

وهذه ترجمته

هو هارون الرشيد أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشى الهاشمى ، أبو محمد ، ويقال أبو جعفر . وأمه الخيزران أم ولد . كان مولده فى شوال سنة ست وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعين ومائة ، وقيل إنه ولد سنة خمسين ومائة ، وبويح له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادى فى ربيع الأول سنة سبعين ومائة ، بهمد من أبيه المهدي . روى الحديث عن أبيه وجده ، وحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله ص ، قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » . وأورده وهو على المنبر وهو يضطرب الناس ، وقد حدث عنه ابنه وسليمان الهاشمى والد إسحاق ، ونباتة بن عمرو . وكان الرشيد أبيض طويلاً سميناً جميلاً ، وقد غزا الصائفة فى حياة أبيه مراراً ، وعقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرته القسطنطينية ، وقد لقي المسلمون . ذلك جهلاً جديداً وخوفاً شديداً ، وكان

الصلح مع امرأة ليون وهي الملقبة بأغسطه على حمل كثير تبذله للمسلمين في كل عام ، ففرح المسلمون بذلك ، وكان هذا هو الذي حدا أباه على البيعة له بعد أخيه في سنة ست وستين ومائة ، ثم لما أفضت إليه الخلافة في سنة سبعين كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا وحجا ، ولهذا قال فيه أبو السمل :

فمن يطلب لقاءك أو يرده * فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض المدو على طبر * وفي أرض الترفه فوق كور
وما حاز الثغور سواك خلق * من المتخلفين على الأمور

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم ، وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابقة والكسوة التامة ، وكان يحب التشبه بمجده أبي جعفر المنصور إلا في العطاء ، فانه كان سريع العطاء جزيله ، وكان يحب الفقهاء والشعراء ويعطيهم ، ولا يضيع لديه بر ومعروف ، وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله . وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة تطوعا ، إلى أن فارق الدنيا ، إلا أن تمرض له علة ، وكان ابن أبي مريم هو الذي يضحكه ، وكان عنده فضيلة بأخبار الحجاز وغيرها ، وكان الرشيد قد أنزله في قصره وخلطه بأهله . نبه الرشيد يوما إلى صلاة الصبح فقام فتوضأ ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ [ومالي لا أعبد الذي فطرني] فقال ابن أبي مريم : لا أدري والله . فضحك الرشيد وقطع الصلاة ، ثم أقبل عليه وقال : ويحك اجتنب الصلاة والقرآن وقل فيما عدا ذلك . ودخل يوما العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالية من أحسن الطيب ، فجعل يمدحها ويزيد في شكرها ، وسأل من الرشيد أن يقبلها منه فقبلها فاستوهبها منه ابن أبي مريم فوهبها له ، فقال له العباس : ويحك اجئت بشئ منعتك نفسي وأهلي وآثرت به أمير المؤمنين سيدي فأخذته . فحلف ابن أبي مريم ليطيبن به استه ، ثم أخذ منها شيئا فطلى به استه ودهن جوارحه كلها منها ، والرشيد لا يتأكل نفسه من الضحك . ثم قال لخدام قائم عندهم يقال له خاقان : اطلب لي غلاص . فقال الرشيد : ادع له غلامه . فقال له : خذ هذه الغالية واذهب بها إلى ستك فرها فلتطيب منها إستها حتى أرجع إليها فأنيكها . فذهب الضحك بالرشيد كل مذهب ، ثم أقبل ابن أبي مريم على العباس بن محمد فقال له : جئت بهذه الغالية تمدحها عند أمير المؤمنين الذي ما تخطر السماء شيئا ولا تلبث الأرض شيئا إلا وهو تحت تصرفه وفي يده ؟ وأعجب من هذا أن قيل للملك الموت : ما أمرك به هذا فأنفذه . وأنت تمدح هذه الغالية عنده كأنه يقال أو خباز أو طبناح أو تمار ، فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك . ثم أمر لابن أبي مريم بمائة ألف درهم .

وقد شرب الرشيد يوما دواء فسأله ابن أبي مريم أن يلى الحجابة في هذا اليوم ، ومهما حصل له كان بينه وبين أمير المؤمنين ، فولاه الحجابة ، فجاءت الرسل بالهدايا من كل جانب ، من عند زبيدة

والبرامكة وكبار الأمراء ، وكان حاصله في هذا اليوم ستين ألف دينار ، فسأله الرشيد في اليوم الثاني عما تحصل فأخبره بذلك ، فقال له : فأين نصيبي ؟ فقال ابن أبي مرزوق : قد صالحتك عليه بم عشرة آلاف تنافحة .

وقد استدعى إليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم لسمع منه الحديث قال أبو معاوية : ماذا كنت عنده حديثاً إلا قال صلى الله وسلم على سيدي ، وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى ، وأكلت عنده يوماً ثم قلت لأغسل يدي فصب الماء على وأنا لا أراه . ثم قال : يا أبا معاوية أتدري من يصب عليك الماء ؟ قلت : لا . قال : يصب عليك أمير المؤمنين . قال أبو معاوية : فدعوت له ، فقال : إنما أردت أعظم العلم . وحده أبو معاوية يوماً عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بحديث احتجاج آدم موسى ، فقال عم الرشيد : أين التقيا يا أبا معاوية ؟ فنضب الرشيد من ذلك غضباً شديداً ، وقال : ألتدري على الحديث ؟ على بالنطع والسيف ، فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفعون فيه فقال الرشيد : هذه زندقة . ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى إليه هذا ، فأقسم عمه بالإيمان بالمناظرة ما قال هذا له أحد ، وإنما كانت هذه الكلمة بادرة مني وأنا أستغفر الله وأتوب إليه منها . فأطلقه .

وقال بعضهم : دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول ، فقال الرشيد : قتلته لأنه قال القرآن مخلوق ، فقتله على ذلك قرينة إلى الله عز وجل . وقال بعض أهل العلم : يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم بمن سلطانك ، فقال الرشيد : أولست كذلك ؟ أنا والله كذلك أحبهما وأحب من يحبهما وأعاقب من يبغضهما . وقال له ابن السماك : إن الله لم يجعل أحداً فوقك فاجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطوع إلى الله منك . فقال : لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبلغت في الموعظة .

وقال له الفضيل بن عياض - أو غيره - إن الله لم يجعل أحداً من هؤلاء فوقك في الدنيا . فاجهد نفسك أن لا يكون أحد منهم فوقك في الآخرة ، فأكدح لنفسك وأعملها في طاعة ربك . ودخل عليه ابن السماك يوماً فاستسقى الرشيد فألقى بقلعة فيها ماء مبرد فقال لابن السماك : عطشى . فقال : يا أمير المؤمنين ! بك كنت تشتري هذه الشرية لو منعنيها ؟ فقال : بنصف ملكي . فاشرب هنيئاً ، فلما شرب قال : أرايت لو منعت خروجها من بدمك بك كنت تشتري ذلك ؟ قال بنصف ملكي الآخر . فقال : إن ملكاً قيمة نصفه شربة ماء ، وقيمة نصفه الآخر بولة ، فلتيق أن لا يتنافس فيه . فبكى هارون .

وقال ابن قتيبة : ثنا الرياشي سمعت الأصمعي يقول : دخلت على الرشيد وهو يقلم أظفاره يوم الجمعة فقلت له في ذلك فقال : أخذ الأظفار يوم الخميس من السنة ، وبلغني أن أخذها يوم الجمعة بنفى الفقر . فقلت : يا أمير المؤمنين أو تحشى الفقر ؟ فقال : يا أصمعي وهل أحد أخشى للفقر مني ؟ . وروى ابن عساکر عن إبراهيم المهدى قال : كنت يوماً عند الرشيد فدعا طبائحه فقال : أعندك في الطعام لحم جزور ؟ قال : نعم ، ألوان منه . فقال : أحضره مع الطعام فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضها في فيه فضحك جعفر البرمكي ، فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال : مم تضحك ؟ قال : لا شيء يا أمير المؤمنين ، ذكرت كلاماً بيني وبين جاريتي البارحة . فقال له : بحق عليك لما أخبرتني به . قال : حتى تأكل هذه اللقمة ، فألقاها من فيه وقال : والله لتخبرني . فقال : يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك ؟ قال : بأربعة دراهم . قال : لا والله ، يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم . قال : وكيف ذلك ؟ قال : إنك طلبت من طبائحك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده ، فقلت : لا يخلون المطبخ من لحم جزور ، فمنع ثم حر كل يوم جزوراً لأجل مطبخ أمير المؤمنين ، لأننا لا نشترى من السرقة لحم جزور ، فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم ، ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم . قال جعفر : فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة . فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف

قال : فبكى الرشيد بكاء شديداً وأمر برفع السباط من بين يديه ، وأقبل على نفسه يوبخها ويقول : هلكت والله يا هارون . ولم يزل يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة الظهر ، فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي حتى آذنه المؤذنون بصلاة العصر ، وقد أمر بألني ألف تصرف إلى فقراء الحرمين في كل حرم ألف ألف صدقة ، وأمر بألني ألف يتصدق بها في جانبي بغداد الغربي والشرقي ، وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة . ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب ، ثم رجع ، فدخل عليه أبو يوسف القاضي فقال : ما شأنك يا أمير المؤمنين يا كيا في هذا اليوم ؟ فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لأجل شهرته ، وإنما ناله منها لقمة . فقال أبو يوسف لجعفر : هل كان ما تنبأ به من الجزور يفسد ، أو يأكله الناس ؟ قال : بل يأكله الناس . فقال : أيا بشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون في الأيام الماضية ، وبما يسره الله عليك من الصدقة ، وبما رزقك الله من خشيته وخوفه في هذا اليوم ، وقد قال تعالى [ولن خاف مقام ربه جنان] . فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف . ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : اجتمع للرشيـد من الجسد والـهزل ما لم يجتمع لغيره من بعده ، كان أبو يوسف قاضيه ، والبرامكة وزراءه ، وحاجبه الفضل بن الربيع أنـبه الناس وأشدهم تعاظما ، وندبه عمر بن العباس بن محمد صاحب العباسية . وشاعره مروان بن أبي حفصة ، ومغذيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته ، ومضحكه ابن أبي مریم ، وزامره برصوما . وزوجته أم جعفر - یعنی زبیده - وكانت أرغب الناس في كل خير وأسرعهم إلى كل بر ومعرف ، أدخلت الماء الحرم بعد امتناعه من ذلك ، إلى أشياء من المعروف أجزاها الله على يدها .

وروى الخطيب البغدادي أن الرشيد كان يقول : إنا من قوم عظمت رزيتهم ، وحسنت بعثتهم ، ورتنا رسول الله (ص) ، وبقيت فينا خلافة الله . وبينما الرشيد يطوف يوماً بالببيت إذ عرض له رجل فقال : يا أمير المؤمنين إني أريد أن أتكلم بكلام فيه غلظة ، فقال لا ولا نعمت عين قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولاً لنا . وعن شبيب بن حرب قال : رأيت الرشيد في طريق مكة فقلت في نفسي : قد وجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فغوفني فقلت : إنه الآن يضرب عنقك . فقلت : لا بد من ذلك ، فناديته فقلت : يا هارون ! قد أتبت الأمة والبهائم . فقال : خذوه . فأدخلت عليه وفي يده لت من حديد يلعب به وهو جالس على كرسى ، فقال : ممن الرجل ؟ فقلت : رجل من المسلمين . فقال شكلك أمك ممن أنت ؟ فقلت : من الأنهار . فقال : ما حملك على أن دعوتني باسمي ؟ قال : نغطر ببالي شيء لم يخطر قبل ذلك ، فقلت : أنا أدعو الله باسمه يا الله ، أفلا أدعوك باسمك ؟ وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه بأسمائهم : يا آدم ، يا نوح ، يا هود ، يا صالح ، يا إبراهيم ، يا موسى يا عيسى ، يا محمد ، وكنتي أبنض خاتمه إليه فقال : ثبت يدا أبي هلب . فقال الرشيد : أخرجوه أخرجوه .

وقال له ابن السكك يوماً : إنك تموت وحدك ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث منه وحدك ، فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل ، والوقوف بين الجنة والنار ، حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ، ويقع الندم ، فلا توبة تقبل ، ولا عثرة تقال ، ولا يقبل فداء بـال . لجعل التمسيد يبكي حتى علا صوته فقال بجي بن خالد له : يا ابن السكك ! لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة . فقام ففرج من عنده وهو يبكي . وقال له الفضيل بن عياض - في كلام كثير ليس له وعظه بمكة - : يا صبيح الوجه إنك مسؤل عن هؤلاء كلهم ، وقد قال تعالى [وتقطعت بهم الأسباب] قال حينئذ ليث عن مجاهد : الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا ، فبكي حتى جعل يشق . وقال الفضيل : استدعاني الرشيد يوماً وقد رخرف منزله وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها ، ثم استدعني أبا العتاهية فقال له : صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال : -

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِماً * فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ
تَسْعَى عَلَيْكَ بِمَا أَشْتَمِي * مَتَّ لَدَى الرُّوَّاحِ إِلَى الْبُكُورِ
فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَمَّقَتْ * عَنْ ضَيْقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
فَإِنَّا نَكْتُبُ مَوْقِئاً * مَا كُنْتُ إِلَّا فِي غُرُورِ
قال : فبكى الرشيد بكاءً كثيراً شديداً . فقال له الفضل بن يحيى : دعاك أمير المؤمنين تسمر .
فأحزنه ؟ فقال له الرشيد : دعه فإنه رأى في عَمِي فكره أن يزيدنا عَمِي . ومن وجه آخر أن الرشيد
قال لأبي العتاهية : عظمى بأبيات من الشعر وأوجز فقال : -

لَا تَأْمَنْ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ * وَلَوْ تَحْتَمَّتْ بِالْحِجَابِ وَالْحَرَسِ
وَأَعْلَمُ أَنَّ سَهَامَ الْمَوْتِ صَائِبَةٌ * لِكُلِّ مَدْرَعٍ مِنْهَا وَمَسْتَرَسٍ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا * إِنَّ السُّفِينَةَ لَا تُجْرِي عَلَى الْيَبَسِ
قال : نغر الرشيد معشياً عليه . وقد حبس الرشيد مرة أبا العتاهية وأرصد عليه من يأتيه بما
يقول ، فكتب مرة على جدار الحبس :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شَوْمٌ * وَمَا زَالَ الْمَسِيُّ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمَضَى * وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
قال : فاستدعاه واستجده في حل ووهبه ألف دينار وأطلقه . وقال الحسن بن أبي الفهم : ثنا
محمد بن عباد عن سفيان بن عيينة قال : دخلت على الرشيد فقال : ما خبرك ؟ فقلت :
بمين الله ما تخفى البيوت * فقد طال التحملُ والسكوتُ
فقال : يا فلان مائة ألف لابن عيينة تغنيه وتغني عقبه ، ولا تضر الرشيد شيئاً . وقال الأصمعي
كنت مع الرشيد في الحج فررنا بوا . فإذا على سفيره امرأة حسناء بين يديها قصعة وهي تسال
منها وهي تقول : -

طَحَطَحَتْنَا طَحَاطُحُ الْأَعْوَامِ * وَرَمَتْنَا حَوَادِثُ الْأَيَّامِ
فَأَتَيْنَاكُمْ نَمْسِدُ أَكْفًا * فَاتَّالَتْ لِرِزَادِكُمْ وَالْعَطَامِ
فَاطْلُبُوا الْأَجْرَ وَالْمَثُوبَةَ قَيْنَا * أَيُّهَا الزَّائِرُونَ بَيْتَ الْحَرَامِ
مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى وَرَحِلَى * فَارْحَمُوا غَرِيقِي وَذُلِّ مَقَامِي
قال الأصمعي : فذهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحها وبكى
وأمر مسروراً الخادم أن يملأ قصعتها ذهباً ، فسلأها حتى جعلت تفيض يمينا وشمالاً . وسمع مرة
الرشيد أعرابياً يحدو إبله في طريق الحج :

أَيُّهَا الْجَمْعُ هُمَا لَا يَهْمُ * أَنْتَ تَقْضِي وَلَكَ الْحَيَى نَحْمُ
كَيْفَ تَرْقِيكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ * حَطَّتْ الصَّحْفَةُ مِنْكَ وَالسَّكَمُ

فقال الرشيد لبعض خدمه : ما معك ؟ قال : أربعمائة دينار ، فقال : ادفعها إلى هذا الأعرابي . فلما قبضها ضرب رقبته بيده على كتفه وقال متمثلاً :

وَكُنْتُ جَالِسَ قَمْعَانَ بْنِ عَمْرٍو * وَلَا يَشُقُّ بَقَمْعَانَ جَلِيسُ

فأمر الرشيد بعض الخدم أن يعطى المتمثل ما معه من الذهب فاذا معه مائتا دينار . قال أبو عبيد [أصل] هذا المثل أن معاوية بن أبي سفيان أهديت له هدية جامات من ذهب فرقها على جلسائه وإلى جانبه قمعان بن عمرو ، وإلى جانب القمعان أعرابي لم يفضل له منها شيء . فأطرق الأعرابي حياء فدفع إليه القمعان الجلام الذي حصل له ، فنهض الأعرابي وهو يقول وكنت جالس قمعان بن عمرو إلى آخره .

وخرج الرشيد يوماً من عنده زبيدة وهو يضحك فقبل له مم تضحك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : دخلت اليوم إلى هذه المرأة - يعني زبيدة - فأقلت عندها وبت ، فما استيقظت إلا على صوت ذهب يصب ، قالوا : هذه ثلثمائة ألف دينار قدمت من مصر ، فقالت زبيدة : هبالي يا ابن عم ، فقلت : هي لك ، ثم ما خرجت حتى عربدت على وقالت : أي خير رأيته منك ؟ وقال الرشيد مرة للمفضل الضبي : ما أحسن ما قيل في الذئب ، ولك هذا الخاتم ، وشراؤه ألف وستمائة دينار ، فألشد قول الشاعر :
يَنَامُ بِأَحَدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي * بِأُخْرَى الرِّزَايَا فَهُوَ يَقْظَانُ نَائِمُ
فقال : ما قلت هذا إلا لتسلبنا الخاتم . ثم ألقاه إليه فبعت زبيدة فاشتريته منه بألف وستمائة دينار ، وبعت به إلى الرشيد وقالت : إني رأيتهك معجباً به . فردده إلى المفضل والدنانير ، وقال : ما كنا نذهب شيئاً ونرجع فيه .

وقال الرشيد يوماً للعباس بن الأخنف : أي بيت قالت العرب أرق ؟ فقال : قول جميل في بئينة :

أَلَا لَيْتَنِي أَعْمَى أَعْمَى تَوَدُّنِي * بُبَيْتِنَا لَا يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا

فقال له الرشيد : أرق منه قولك في مثل هذا :

طَافَ الْهَوَى فِي عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ * حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفَا

فقال له العباس : فقولك يا أمير المؤمنين أرق من هذا كله :

أَمَّا يَكْفِيكَ أَنْكَ تَمْلِكُنِي * وَأَنْ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَيْسِي

وَأَنْكَ لَوْ قَطَعْتَ يَدِي وَرَجَلِي * لَقُلْتُ مِنَ الْهَوَى أَحْسَنَ زَيْدِي

قال : فضحك الرشيد وأعجبه ذلك . ومن شعر الرشيد في ثلاث حظيات كن عنده من الخوص :

نزله • ثلاث الثلاث الناشأت هناك • وحقق من قلب بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها • وأطيعني وعن في عصباني
ماذا لك إلا أن سلطان الهوى • وبه قوين أعز من سلطاني
وبما أورد له صاحب المقد في كتابه :

تبدى الصدود ونفى الحب عاشقة • فالنس راضية والطرف غصبان

وذكر ابن جرير وغيره أنه كان في دار الرشيد من الجوارى والحطايا وخدعهن وخدعهن زوجته
وأخواته أربعة آلاف جارية ، وأثنى حضرن يوما بين يديه فغنته المطربات منهن فطرب جعداً ،
وأمر بمال شتر عليهن . وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم في ذلك اليوم .
رواه ابن عساکر أيضاً

وروي أنه اشترى جارية من المدينة فأحبب بها جداً فأمر باحضار موالها ومن يلوذ بهم لبغض
حوالهم ، فقدموا عليه بثالين نفساً فأمر الحاجب - وهو الفضل بن الربيع - أن يتلقاهم ويكتب
حوالهم ، فكان فيهم رجل قد ألام بالمدينة لأنه كان يهوى تلك الجارية ، فبشت إليه فأنى به فقال
له الفضل : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يجلس أمير المؤمنين مع ثلاثة عشر من ثلاثه أوطال من
غيره ، وتفتني ثلاثة أصوات . فقال : أجهنون أنت ؟ فقال : لا ولكن أعرض حاجتي هذه على
أمير المؤمنين . فذكر الرشيد ذلك فأمر باحضاره وأن يجلس معه الجارية بحيث ينظر إليهم ما ولا يربانه
فجلس على كرسي وألغى بين يديها ، وأجلس على كرسي فشرب رطلاً وقال لها غنى
خليلي قوماً بارك الله فيكما • وإن لم تكن هنك بأرضكم فعدا
وقولا لما ليس الضلال أجارنا • وواكنا جزنا لنقناكم فعدا
غداً يكثر البادون منا ومنكم • ونزداد داري من دياركم فعدا
قال : فغنته ثم استمطه الخدم فشرب رطلاً آخر ، وقال : غنى حلفت فعداك :

تكلم منافي الوجوه عيوننا • غنم سكوت والهوى ينكلم

وننصب أحياناً ونرضى بطرنا • وفلك فبا بيننا ليس يعلم

قال : فغنته : ثم شرب رطلاً ثالثاً وقال : غنى جلى الله فعداك :

أحسن ما كننا نمرقنا • وخاننا الهوى وما شنا

فليت لنا الهوى لنا مرة • عدا لنا يوماً كما كنا

قال ثم قام الشب إلى درجة هناك ثم ألقى منه من أعلاها على أم رأسه فقتل . فقال الرشيد :

جلى الحق ، والله لو لم يسبل لوجهها له .

وفضائل الرشيد ومكارمه كثيرة جداً . قد ذكر الأئمة من ذلك شيئاً كثيراً فذكرنا منه أنموذجاً صالحاً . وقد كان الفضيل بن عياض يقول : ليس موت أحد أعز علينا ، من موت الرشيد ، لما نخوف بعده من الحوادث ، وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمرى قالوا : فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات ، وظهر القول بمحاق القرآن ، فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك . وقد تقدمت رؤياه لتلك الكف وتلك التربة الحمراء وقائل يقول : هذه تربة أمير المؤمنين فكان موته بطوس . وقد روى ابن عساكر أن الرشيد رأى في منامه قائلاً يقول : كأني بهذا القصر قد باد أهل . الشعر إلى آخره .

وقد تقدم أن ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي . وأبوه محمد المهدي فأنه أعلم . وقسمنا أنه أمر بحفر قبره في حياته ، وأن تقرأ فيه ختمه تامة ، وحمل حتى نظر إليه فجعل يقول : إلى هنا تعير يا ابن آدم . ويبيكى ، وأمر أن يوسع من صدره وأن يمد من عنقه رجله ، ثم جعل يقول : [ما أغنى عنى ماله هلاك عنى سلطانيه] ويبيكى . وقيل : إنه لما احتضر قال : اللهم انقنا بالاحسان ، واغفر لنا الاساءة ، يا من لا يموت ارحم من يموت . وكان مرضه بالدم ، وقيل بالسل ، وجبريل الطبيب يكتّم ما به من الدلة ، فأمر الرشيد رجلاً أن يأخذ ماءه في قارورة وينهب به إلى جبريل فيريه إياه ، ولا يذكر له بول من هو ، فان سأله قال : هو بول مريض عندنا . فلما رآه جبريل قال لرجل عنده : هذا مثل ماء ذلك الرجل . ففهم صاحب القارورة من عنى به ، فقال له : بالله عليك أخبرنى عن حال صاحب هذا الماء . فان لى عليه مالا ، فان كان به رجاء وإلا أخفت مالى منه . فقال : اذهب فتخلص منه فانه لا يديش إلا أيلما . فلما جاء وأخبر الرشيد بعث إلى جبريل فتغيب حتى مات الرشيد . وقد قال الرشيد وهو في هذه الحال :

إني بطوس مقيم مالى بطوس حميم أرجو إلهى لما بى فأنه بى رحيم
لقد أتى بى طوساً قضاؤه المحتوم وليس إلا رضائى والصبر والتسليم

مات بطوس يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل إنه توفى في جمادى الأولى ، وقيل في ربيع الأول ، وله من العمر خمس ، وقيل سبع ، وقيل ثمان وأربعون سنة . ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية عشر يوماً . وقيل ثلاثة أشهر . وصلى عليه ابنه صالح ودفن بقرية من قرى طوس يقال لها سناباذ . وقال بعضهم : قرأت على خيام الرشيد بسناباذ والناس منصورون من طوس من بعد موته .

منازل المسكر معمورة * والمنزل الأعظم مهجور
خليفة الله بدار البلى * تسمى على أجدائه المور

أقبلت العيرُ تباهى به * وانصرفت تندبة العيرُ

وقد رثاه أبو الشيص فقال :

غربت في الشرقِ شمسٌ * فلها العينان تدمعُ

ما رأينا قطاً شمساً * غربت من حيث تطلعُ

وقد رثاه الشعراء بقصائد . قال ابن الجوزي : وقد خلف الرشيد من الميراث ما لم يخلفه أحد من الخلفاء ، خلف من الجواهر والأثاث والأمتعة سوى الضياع والدور ما قيمته مائة ألف ألف دينار ، وخسة وثلاثون ألف دينار . قال ابن جرير : وكان في بيت المال سبعة آلاف ألف ونيّف .

ذكر زوجاته وبنه وبناته

تزوج أم جعفر زبيدة بنت عمه جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وتزوجها في سنة خمس وستين ومائة في حياة أبيه المهدي ، فولدت له محمداً الأمين . وماتت زبيدة في سنة ست عشرة ومائتين كما سيأتي . وتزوج [أمة العزيز] أم ولد كانت لأخيه موسى الهادي فولدت له علي بن الرشيد . وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين ، والعباسة بنت عمه سليمان بن أبي جعفر فزفنا إليه في ليلة واحدة سنة سبع وثمانين ومائة بالرقّة ، وتزوج عزيزة بنت الغطريف ، وهي بنت خاله أخى أمه الخيزران ، وتزوج ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الثمانيّة ، ويقال لها الجُرْشِيّة ، لأنها ولدت بجرش باليمن . وتوفى عن أربع : زبيدة ، وعباسة ، وابنة صالح ، والتمانيّة هذه . وأما الخطايا من الجوار فكثير جداً حتى قال بعضهم : إنه كان في داره أربعة آلاف جارية سرارى حسان .

وأما أولاده المذكور فحمد الأمين بن زبيدة ، وعبد الله المأمون من جارية اسمها مارجل ، ومحمد أبو إسحاق المعتصم من أم ولد يقال لها ماردة ، والقاسم المؤمن من جارية يقال لها قصف . وعلى أمه أمة العزيز . وصالح من جارية اسمها رثم . ومحمد أبو يعقوب . ومحمد أبو عيسى . ومحمد أبو العباس . ومحمد أبو علي كل هؤلاء من أمهات أولاد . وكان من الإناث سكينّة من قصف . وأم حبيب من ماردة . وأروى . وأم الحسن . وأم محمد وهي حمدونة وفاطمة وأما غصص . وأم سلمة . وخديجة . وأم القاسم رملة . وأم علي . وأم الغالية . وريطة كلهن من أمهات أولاد .

خلفته محمد الأمين

لما توفى الرشيد بطوس في جمادى الآخرة من هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وتسعين ومائة - كتب صالح بن الرشيد إلى أخيه ولي العهد من بعد أبيه محمد الأمين بن زبيدة وهو ببغداد يعلمه بوفاة أبيه ويعزّيه فيه ، فوصل الكتاب صهبة رجاء الخادم ومعه الخاتم والقضييب والبردة ، يوم

الخمس الرابع عشر من جمادى الآخرة ، فركب الأمين من قصره الخلد إلى قصر أبي جعفر المنصور - وهو قصر الذهب - على شط بغداد ، فعلى بالناس ثم صعد المنبر فخطبهم وعزام في الرشيد ، وبسط آمال الناس ووعدهم الخير . فبايعه الخواص من قومه ووجوه بني هاشم والأمراء ، وأمر بصرف أعطيات الجند عن سنتين ، ثم نزل وأمر عمره سليمان بن جعفر أن يأخذ له البيعة من بقية الناس فلما انتظم أمر الأمين واستقام حاله حسده أخوه المأمون ووقع الخلف بينهما على ماسند كره إن شاء الله تعالى .

اختلاف الأمين والرشيد

كان السبب في ذلك أن الرشيد لما وصل إلى أول بلاد خراسان وهب جميع ما فيها من الخواص والدواب والسلاح لولده المأمون ، وجدد له البيعة ، وكان الأمين قد بعث بكر بن المظفر بكتب في خفية ليوصلها إلى الأمراء إذا مات الرشيد ، فلما توفى الرشيد نفثت الكتب إلى الأمراء وإلى صالح بن الرشيد ، وفيها كتاب إلى المأمون يأمره بالسمع والطاعة ، فأخذ صالح البيعة من الناس إلى الأمين ، وأرسل الفضل بن الربيع بالجيش إلى بغداد وقد بقي نفوسهم تخرج من البيعة التي أخذت للمأمون ، وكتب إليهم المأمون يدعوهم إلى بيعته فلم يجيبوه ، فوقعت الوحشة بين الأخوين ، ولكن تحول عامة الجيش إلى الأمين ، فمند ذلك كتب المأمون إلى أخيه الأمين بالسمع والطاعة والتفكير ، وبث إليه من هدايا خراسان وتحفها من الدواب والمسك وغير ذلك ، وهو نائب عليها ، وقد أمر الأمين في صبيحة يوم السبت بعد أخذ البيعة يوم الجمعة ببناء ميدانين للصيد ، فقال في ذلك بعض الشعراء : -

بنى أمين الله ميدانا * وصير الساحة إستانا

وكانت الفزلا فير بانا * يهدي إليه فيه غزلانا

وفي شعبان من هذه السنة قدمت زبيدة من الرقة بالخزائن وما كان عندها من التحف والقمماش من الرشيد ، فتلقتها ولدها الأمين إلى الأنبار ومعه وجوه الناس . وأقر الأمين أخاه المأمون على ما تحت يده من بلاد خراسان والرى وغير ذلك ، وأقر أخاه القاسم على الجزيرة والنغور ، وأقر عمال أبيه على البلاد إلا القليل منهم .

وفيها مات تقفور ملك الروم ، قتله البرجان ، وكان ملكه تسع سنين ، وأقام بعده ولده استبراق شهرين فمات ، فملكهم ميخائيل زوج أخت تقفور لعنهم الله . وفيها توقع هرثة نائب خراسان ورافع ابن الليث فاستجاش رافع بالترك ثم هربوا وبقي رافع وحده فضعف أمره . وحج بالناس نائب الحجاز داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وفيها توفى :

إسماعيل بن عليّة

وهو من أئمة العلماء والمحدثين الرفعاء ، روى عنه الشافعي وأحمد بن حنبل ، وقد ولي المظالم ببغداد ، وكان ناظر الصدقات بالبصرة ، وكان ثقة جليلاً كبيراً ، وكان قليل التبسم وكان يتجبر في البرز وينفق على عياله منه ويحج منه ، ويبر أصحابه منه مثل السفينيين وغيرهما ، وقد ولاه الرشيد القضاء فلما بلغ ابن المبارك أنه تولى القضاء كتب إليه يلومه نظماً ونثراً ، فاستغنى ابن عليّة من القضاء فأعفاه . وكانت وفاته في ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن في مقابر عبد الله بن مالك وفيها مات :

محمد بن جعفر

الملقب بغندر . روى عن شعبة وسعيد بن أبي عروبة وعن خلق كثير ، وعنه جماعة منهم أحمد بن حنبل ، وكان ثقة جليلاً حافظاً متقناً . وقد ذكر عنه حكايات تدل على تفهيمه في أمور الدنيا ، كانت وفاته بالبصرة في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها . وقد لقب بهذا القلق جماعة من المتقدمين والمتأخرين . وفيها توفي :

أبو بكر بن العياش

أحد الأئمة ، شجع أبا إسحاق السبيعي والأعشى وهشام وهمام بن عروة وجماعة . وحدث عنه خلق منهم أحمد بن حنبل . وقال يزيد بن هارون : كان حبراً فاضلاً لم يضع جنبه إلى الأرض أربعين سنة ، قالوا : ومكث ستين سنة يختم القرآن في كل يوم ختمة كاملة ، وصام ثمانين رمضاناً ، وتوفي وله ست وتسعون سنة . ولما احتضر بكى عليه ابنه فقال : يا بني علام تبكي ؟ والله ما أنى أبوك فاحشة قط .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

فيها خلع أهل حمص نائبهم فبرز له عنهم الأمين وولى عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي فقتل طائفة من وجوه أهلها وحرق نواحيها ، فأسأله الأمان فأمنهم ثم هاجوا ف ضرب أعناق كثير منهم أيضاً . وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن الجزيرة والثغور ، وولى على ذلك خزيم بن خازم ، وأمر أخاه بالمقام عنده ببغداد . وفيها أمر الأمين بالدعاء لولده موسى على المنابر في سائر الأمصار ، وبالامرة من بعده ، وسماه الناطق بالحق ، ثم يدعى من بعده لأخيه المأمون ثم لأخيه القاسم ، وكان من نية الأمين الوفاء لأخويه بما شرط لهما ، فلم يزل به الفضل بن الربيع حتى غير بيته في أخويه ، وحسن له خلع المأمون والقاسم ، وصغر عنده شأن المأمون . وإنما حمله على ذلك خوفاً من المأمون إن أفضت إليه الخلافة أن يخلعه من الحجابة . فوافقه الأمين على ذلك وأمر بالدعاء لولده موسى وبولاية العهد من بعده ، وذلك في ربيع الأول من هذه السنة . فلما بلغ المأمون قطع البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكة والطرذ ، وتشكر للأمين . وبعث رافع بن الليث إلى المأمون يسأل منه الأمان فأمنه

فسار إليه بمن معه فأكرمه المأمون وعظمه ، وجاء هرثمة على إثره فتلقاه المأمون ووجوه الناس وولاء الحرس ، فلما بلغ الأمين أن الجنود التفت على أخيه المأمون ساءه ذلك وأنكره ، وكتب إلى المأمون كتابا وأرسل إليه رسلا ثلاثة من أكابر الأمراء ، سأله أن يجيبه إلى تقديم ولده عليه ، وأنه قد سمعه الناطق بالحق ، فأظهر المأمون الامتناع فشرع الأمراء في مطايبته وملايقته ، وأن يجيبهم إلى ذلك فأبى كل الإباء ، فقال له العباس بن موسى بن عيسى : فقد خلع أبى نفسه فلماذا كان ؟ فقال المأمون إن أباك كان امرءاً مكرهاً ، ثم لم يزل المأمون يعد العباس ويمنيه حتى بايعه بالخلافة ، ثم لما رجع إلى بغداد كان يراجله بما كان من أمر الأمين ويناصحه ، ولما رجع الرسل إلى الأمين أخبروه بما كان من قول أخيه ، فعند ذلك صمم الفضل بن الربيع على الخلع المأمون ، فخلعه وأمر بالدعاء لولده في سائر البلاد ، وأقاموا من يتكلم في المأمون ويذكر مساويه ، وبعثوا إلى مكة فأخذوا الكتاب الذى كتبه الرشيد وأودعه في الكعبة ، فزقه الأمين وأكد البيعة إلى ولده الناطق بالحق على ما ولاء من الأعمال ، وجرت بين الأمين والمأمون مكاتبات ورسل يطول بسطها . وقد استنصها ابن جرير في تاريخه ، ثم آل بهما الأمر إلى أن احتفظ كل منهما على بلاده وحصنها وهيا الجيوش والجنود وتألف الرعايا . وفيها غسدت الروم بملكهم ميخائيل فراءوا خلعه وقتله فترك الملك وترهب وولوا عليهم اليون . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود بن عيسى ، وقيل على بن الرشيد . وفيها توفى من الأعيان :

سالم بن سالم أبو بحر البلخى

قدم بغداد وحديث بها عن إبراهيم بن طهمان والثورى . وعنه الحسن بن عرفة . وكان عابداً زاهداً ، مكث أربعين سنة لم يفرش له فراش ، وصامها كلها إلا يومى العيد ، ولم يرفع رأسه إلى السماء ، وكان داعية الارعاء ضعيف الحديث ، إلا أنه كان رأساً فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان قد قدم بغداد فأنكر على الرشيد وشنع عليه فحبسه وقيده باثني عشر قيداً ، فلم يزل أبو معاوية يشفع فيه حتى جمعوه فى أربعة قيود ، ثم كان يدعو الله أن يرده إلى أهله . فلما توفى الرشيد أطلقته زبيدة فرجع . وكانوا بمكة قد جاؤا حجاجاً . فرض بمكة . واشتهى يوماً برداً فسقط فى ذلك الوقت برد حين اشتهاه فأكل منه . مات فى ذى الحجة من هذه السنة .

وعبد الوهاب بن عبد المجيد

الثقى كانت غلته فى السنة قريباً من خمسين ألفاً ينفقها كلها على أهل الحديث . توفى عن أربع وثمانين سنة .

وأبو النصر الجبى المصاب

كان مقبياً بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد فى الحائط الشمالى منه ، وكان طويلاً السكوت ، فإذا سئل أجاب بجواب حسن ، ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتكتب ، وكان يخرج يوم الجمعة

قبل الصلاة فيقف على بجامع الناس فيقول : [يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا] و [يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منه عدل] ثم ينتقل إلى جماعة أخرى ثم إلى أخرى ، حتى يدخل المسجد فيصلّي فيه الجمعة ثم لا يخرج منه حتى يصلّي العشاء الآخرة .

وقد وعظ مرة هارن الرشيد بكلام حسن فقال : اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه فأعد لذلك جوابا ، وقد قال عمر بن الخطاب لو ماتت سخة بالعراق ضياغا لخشيت أن يسألني الله عنها . فقال الرشيد : إني لست كعمر ، وإن دهرى ليس كدهره . فقال : ما هذا بمن عنك شيئا . فأمر له بثلاثمائة دينار ، فقال : أنا رجل من أهل الصفة فربها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

فيها في صفر منها أمر الأمين الناس أن لا يتعاملوا بالدرهم والدنانير التي عليها اسم أخيه المأمون ونهى أن يدعى له على المنابر ، وأن يدعى له ولولده من بعده : وفيها تسمى المأمون بامام المؤمنين . وفي ربيع الآخر فيها عقد الأمين لعل بن عيسى بن ماهان الامارة على الجبل وهمذان واصهبان وقم وتلك البلاد ، وأمره بحرب المأمون وجيزه معه جيشا كثيرا ، وأنفق فيهم نفقات عظيمة ، وأعطاه مائتي ألف دينار ، ولولده خمسين ألف دينار وألفي سيف محلي ، وستة آلاف ثوب للخلع . فخرج على بن موسى بن ماهان من بغداد في أربعين ألف مقاتل فارس ، ومعه قيد من فضة ليأتي فيه بالمأمون . وخرج الأمين معه مشيعا فصار حتى وصل الرى فلقاه الأمير طاهر في أربعة آلاف ، فجرت بينهم أمور آل الحال فيها أن اقتتلوا ، فقتل على بن عيسى وانهمز أصحابه وبحمل رأسه وجثته إلى الأمير طاهر فكتب بذلك إلى وزير المأمون ذي الرياستين ، وكان الذي قتل على بن عيسى رجل يقال له طاهر الصغير فسمى ذا اليمينين ، لأنه أخذ السيف بيديه الثلاثين فذبح به على بن عيسى بن ماهان ، وفرح بذلك المأمون وذووه ، وانتهى الخبر إلى الأمين وهو يصيد السمك من دجلة ، فقال : ويحك دعني من هذا فإن كثرأ قد صاد سمكتين . ولم أصد بعد شيئا . وأرجف الناس ببغداد وخافوا غائلة هذا الأمر ، وندم محمد الأمين على ما كان منه من نكث العهد وخلع أخيه المأمون ، وما وقع من الأمر الفظيع . وكان رجوع الخبر إليه في شوال من هذه السنة . ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في عشرين ألفا من المقاتلة إلى همدان ليقاتلوا طاهر بن الحسين بن مصعب ومن معه من الخراسانية ، فلما اقتربوا منهم تواجبوا فتقاتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتل بينهم ، ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن ابن جبلة فلجئوا إلى همدان فحاصروهم بها طاهر حتى اضطروهم إلى أن دعوا إلى الصلح ، فصالحهم وأمنهم ووفى لهم ، وانصرف عبد الرحمن بن جبلة على أن يكون راجعا إلى بغداد ، ثم غدروا بأصحاب

طاهر وحملوا عليهم وهم غافلون فقتلوا منهم خلقاً وصبر لهم أصحاب طاهر ثم نهضوا إليهم وحملوا عليهم فمزموهم وقتل أميرهم عبد الرحمن بن جبلة ، وفر أصحابه خائبين .

فلما رجعوا إلى بغداد اضطربت الأمور وكثرت الأراجيف ، وكان ذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، وطرد طاهر عمال الأمين عن قزوین وتلك النواحي ، وقوى أمر المأمون جداً بتلك البلاد . وفي ذى الحجة من هذه السنة ظهر أمر السفينائي بالشام ، واسمه علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فعزل نائب الشام عنها ودعا إلى نفسه ، فبعث إليه الأمين جيشاً فلم يقدموا عليه بل أقاموا بالركة ، ثم كان من أمره ما سندر . وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود ابن عيسى . وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان منهم :

إسحاق بن يوسف الأزرق

أحد أئمة الحديث . روى عنه أحمد وغيره . ومنهم :

بكار بن عبد الله

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، كان نائب المدينة للرشيد ثلثي عشرة سنة وشهراً ، وقد أطلق الرشيد على يديه لأهلها ألف دينار ومائتي ألف دينار ، وكان شريفاً جواداً عظيماً . وفيها توفي :

أبو نوح

واسمه الحسن بن هاني بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن هنب بن داود بن غنم بن سليم ، ونسبه عبد الله بن سعد إلى الجراح بن عبد الله الحنكي ، ويقال له أبو نوح البصري ، كان أبوه من أهل دمشق من جند مروان بن محمد ، ثم صار إلى الأهواز وتزوج امرأة يقال لها خلبان ، فولدت له أبا نوح وابناً آخر يقال له أبا معاذ ، ثم صار أبو نوح إلى البصرة فتأدب بها على أبي زيد وأبي عبيدة ، وقرأ كتاب سيبويه ولزم خلفاً الأحمر ، ومحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي . وقد قال القاضي ابن خلكان : محب أبا أسامة وابن الحباب الكوفي ، وروى الحديث عن أزهر بن سعد وحامد بن زيد وحامد بن سلمة وعبد الواحد بن زياد ومعتز بن سليمان ، ويحيى القطان . وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي . وحدث عنه جماعة منهم الشافعي وأحمد بن حنبل وغندر ومشاهير العلماء ومن مشاهير حديثه ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله (ص) : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » ، فان حسن الظن بالله ممن الجنة . وقال محمد بن إبراهيم : دخلنا عليه وهو في الموت فقال له صالح بن علي الهاشمي : يا أبا علي ! أنت اليوم في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ، وبينك وبين الله هنات ، فكتب إلى الله من عمك . فقال : إياي تخوف ؟ بالله استندوني . قال : فأستندناه فقال : حدثني حماد بن سلمة

عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) : « لكل نبي شفاعته وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » . ثم قال : أفلا تراني منهم . وقال أبو نواس : ما قلت الشعر حتى رويت عن ستين امرأة منهن خنساء ولبلى ، فما الظن بالرجال ؟ وقال يعقوب بن السكيت : إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهلية ، ومن المسلمين جرير والفرزدق ، ومن المحدثين عن أبي نواس فحسبك . وقد أثنى عليه غير واحد منهم الأصمعي والجاحظ والنظام . قال أبو عمرو الشيباني : لولا أن أبا نواس أفسد شعره بما وضع فيه من الأقدار لاحتججنا به - يعني شعره الذي قاله في الحرثيات والمردان ، وقد كان يميل إليهم - ونحو ذلك مما هو معروف في شعره . واجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون فقبل لهم : أيكم القائل :

فلما تحسناها وقفنا كأننا * نرى قرأاً في الأرض يبلغ كوكبا

قالوا : أبو نواس . قال : فأيكم القائل : -

إذا نزلت دون اللهاة من الفتى * دعى همه عن قلبه برحيل

قالوا أبو نواس . قال : فأيكم القائل : -

فدشت في مفاصلهم * كشمسي البرؤ في السقيم
قالوا : أبو نواس . قال : فهو أشعركم . وقال سفيان بن عيينة لابن مناذر : ما أشعر ظريفكم أبا نواس في قوله :
يا قرأ أبصرت في مائم * يندب شجوا بين أتراب
أبرزه المائم لي كارهأ * يرغم ذيه باب وحجاب
يبكي فيندري اللذن عينه * ويلطم الورد بعتاب
لا زال موتاً دأب أحبابه * ولم تزل رؤيته دابي

قال ابن الأعرابي أشعر الناس أبو نواس في قوله : -

تسرت من دهري بكل جناحه * فميتي ترى دهري وليس براني

فلو تسأل الأيام عني ماذرت * وأين مكاني ما عرفت مكاني

وقال أبو العتاهية : قلت في الزهد عشرين ألف بيت ، وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة

التي قالها أبو نواس وهي هذه ، وكانت مكتوبة على قبره :

يا نواسي توقر * أو تغير أو تصبر

إن يكن ساءك دهر * فلما سرك أكثر

يا كثير الذنب * عفو الله من ذنبك أكبر

ومن شعر أبي نواس يمدح بعض الأمراء : -

أَوْجَدَهُ اللهُ فَا مَثَلُهُ * بِطَالِبِ ذَاكَ وَلَا نَاشِدِ
لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَسْكِرٍ * أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وَأَنشَدُوا سَفِيَانُ بْنُ عَيِّنَةَ قَوْلَ أَبِي نَوَاسٍ :

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ * يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَبُ
فَنَلَّتْ قَلْبِي حَبَابَةٌ * وَجَهَهَا بِالْحَسَنِ مِنْتَقِبُ
خَلَّتْهُ وَالْحَسَنُ تَأْخُذُهُ * تَقْتَنِي مِنْهُ وَتَنْتَجِبُ
فَا كَتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ * وَاسْتَرَدَّتْ بِمَضَى مَا تَهَبُ
فَهِيَ لَوْ صَبَّرْتُ فِيهِ لَهَا * عَوْدَةٌ لَمْ يُقْنِيهَا أَرْبُ
صَارَ جِدًّا مَا مَزَحْتُ بِهِ * رَبِّ جَدِّ جُرَّةِ اللَّعَبِ

فَقَالَ ابْنُ عَيِّنَةَ : أَمِنْتُ بِالَّذِي خَلَقَهَا . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : لَوْ أَنَّ الْعَامَةَ بَدَلَتْ هَذَيْنِ
الْبَيْتَيْنِ كَتَبْتُهُمَا بِمَاءِ الذَّهَبِ :

وَلَوْ آتَى اسْتَزِدْتُكَ فَوْقَ مَا بِي * مِنْ الْبَلَوِ لِأَعْوَزَكَ الْمَزِيدُ
وَلَوْ عَرَضْتُ عَلَى الْمَوْتِ حَيَاتِي * بِعَيْشٍ مِثْلَ عَيْشِي لَمْ يُرِيدُوا

وَقَدْ سَمِعَ أَبُو نَوَاسٍ حَدِيثَ سَهِيلَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) قَالَ : « الْقُلُوبُ
جُنُودٌ بِجُنْدَةٍ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » . فَنَظَمَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ فَقَالَ :

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادَ بَجُنْدَةٍ * لَقَدْ فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ تَعَرُّفُ
فَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلَفٌ * وَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلَفٌ

وَدَخَلَ يَوْمًا أَبُو نَوَاسٍ مَعَ جَعَاةٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ عَلَى عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْوَاحِدِ
لِيُخْتَرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَشْرَةُ أَحَادِيثَ أَحَدُثَهَا بَهَا ، فَاخْتَارَ كُلُّ وَاحِدٍ عَشْرَةَ إِلَّا أَبَا نَوَاسٍ ، فَقَالَ لَهُ :
مَالِكٌ لَا يُخْتَارُ كَمَا اخْتَارُوا ؟ فَأَنشَأَ يَقُولُ :

وَلَقَدْ كُنَّا رَوَيْنَا * عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ * عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ * بِحَيْثُمْ سَعِيدٌ بِنِ عِبَادَةٍ
وَعَنِ الشَّعْبِيِّ وَالشَّعْبِ * بِي شَيْخٍ ذُو جِلَادَةٍ * وَعَنِ الْأَخْيَارِ فَهَكَذَا * وَعَنِ أَهْلِ الْإِفَادَةِ
أَنْ مَاتَ مُحِبًّا * فَلَهُ أَجْرُ شَهَادَةٍ

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْوَاحِدِ : قُمْ عَنِّي يَا فَاجِرُ ، لِأَحَدِثْتُكَ وَلَا حَدَّثْتُكَ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ أَجْلَكَ ، فَيُبْلَغُ
ذَلِكَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي يَحْيَى فَقَالَا : كَانَ يُبْنِي أَنْ يُحَدِّثَهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلَحَهُ .
قَالَ : وَهَذَا الَّذِي أَنشَدَهُ أَبُو نَوَاسٍ قَدْ رَوَاهُ ابْنُ عَدَى فِي كَامِلِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا
« مِنْ عَشْقٍ فَمَفَّ فَمَكْتَمٌ فَاتَ مَاتَ شَهِيدًا » . وَمَعْنَاهُ أَنْ مَنْ ابْتَلَى بِالْعَشْقِ مِنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْهُ فَصَبَرَ

وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك حصل له أجر كثير . فان صح هذا كان ذلك له نوع شهادة والله أعلم .

وروى الخطيب أيضاً أن شعبة لقي أبان نواس فقال له : حدثنا من طرفك ، فقال مرتجلاً : حدثنا الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر وسمر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر قالوا جميعاً : إنما حلفتها ذو خاق طاهر فواصلاته ثم دامت له على وصال الحافظ الذي ذكر ، كانت له الجنة مفتوحة يرتفع في مرتعها الزاهر ، وأى معشوق جفا عاشقاً بهد وصال دائم ناصر في عذاب الله بعداً له نعم وسحقاً دائم ذاهر . فقال له شعبة : إنك لجيل الأخلاق ، وإنى لأرجو لك . وأنشد أبو نواس أيضاً

يا ساحرَ المقلتين والجيد * وقاتلي منك بالمواعيد
نوعدي الوصل ثم تخلفني * ويلاي من خلفك موعودي
حدثني الأزرق المحدث عن * شهر وعوف عن ابن مسعود
ما يخلف الوعد غير كافرة * وكافر في الجحيم مصفود

فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال : كذب عبد الله على وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد . وعن سليم بن منصور بن عمار قال : رأيت أبان نواس في مجلس أبي يبيك بكاء شديداً فقلت : إنى لأرجو أن لا يذهبك الله بمد هذا البكاء فأنشأ يقول :

لم أهلك في مجلس منصور * شوقاً إلى الجنة والحدود
ولا من القبر وأهواله * ولا من النفخة في الصور
ولا من النار وأغلالها * ولا من الخلدان والجور
لكن بكائي لبتك شادين * تقيت نفسي كل محذور

ثم قال : إنما بكيت البكاء هذا الأمر الذي إلى جانب أبيك - وكان صبيها حسن الصورة يسمع الوعد فيبكي خوفاً من الله عز وجل -

قال : أبو نواس : دعاني يوماً بعض الحماكة وألح علي ليضيفني في منزله ، ولم يزل بي حتى أجبتته فصار إلى منزله وسرت معه فاذا منزل لا بأس به ، وقد احتفل الحائك في الطعام ونجم جمعاً من الحياك ، فأكلنا وشربنا ثم قال : ياسيدي أشتنى أن تقول في جاريتي شيئاً من الشعر - وكان مغرمًا بمجارية له - قال فقلت أرنيها حتى أنظم على شكها وحسنها ، فكشفت عنها فاذا هي أسمى خلق الله وأوحشهم ، سوداء شمطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها . فقلت لسيدها : ما اسمها ؟ فقال تسليم ، فألشأت

أقول : أسهر ليلى حب تسليم * جارية في الحسن كالبحر
كانما نكمتها كالمخ * أو حزمة من حزم الثوم

صَرَطْتُ مِنْ حَبِّي لَهَا صُرْطَةً * أَفْزَعْتُ مِنْهَا مَلِكَ الرُّومِ
قال فقام الحائك برقص و يصفق سائر يومه و يفرح و يقول : إنه شبهها والله بملك الروم . ومن
شعره أيضاً (١) أُرْمَى النَّاسُ يَقُولُونَ * بِرُءُوسِهِمْ كَثُرَتْ أَوْزَارِيهِ
إِنْ كُنْتُ فِي النَّارِ أَمْ فِي جَنَّةٍ * مَاذَا عَلَيْكُمْ يَا بَنِي الزَّانِيَةِ
وبالجملة فقد ذكروا له أموراً كثيرة ، ويجونا وأشعاراً منكرة ، وله في الخريات والقافورات
والتشبيب بالمردان والمنسوان أشياء بشعة شنيعة ، فمن الناس من يفسقه ويرميه بالفاحشة ، ومنهم من
يرميه بالزندقة ، ومنهم من يقول : كان إنما يجرب على نفسه ، والأول أظهر ، لما في أشعاره . فلما
الزندقة فبهيدة عنه ، ولكن كان فيه مجون وخلاعة كثيرة . وقد عزوا إليه في صغره وكبره أشياء
منكرة الله أعلم بصحتها ، والعمامة تنقل عنه أشياء كثيرة لا حقيقة لها . وفي صحن جامع دمشق قبة
يفور منها الماء يقول الدماشقة قبة أبي نواس ، وهي مبنية بعد موته بأزيد من مائة وخمسين سنة ، فما
أدري لأى شيء نسبت . إليه فالله أعلم بهذا .

وقال محمد بن أبي عمر : سمعت أبا نواس يقول : والله ما فتحت سراويلي لحرام قط . وقال له
محمد الأمين بن الرشيد : أنت زنديق . فقال : يا أمير المؤمنين لست بزنديق وأنا أقول :
أصلى الصلاة الحسن في حين وقتها * وأشهد بالتوحيد لله خاضعا
وأحسن غسلي إن ركبت جنابة * وإن جاءني المسكين لم أك مانعا
وإني وإن حانت من الكاس دعوة * إلى بيعة الساق أجبت مسارعا
وأشربها صبراً على جنب ما عز * وجدي كثير الشحم أصبح راضعا
وجوزاب حواري ولوز وسكره * وما زال للخمار ذلك نافعا
وأجعل تخليط الرواقص كلهم * لنفخة بختيشوع في النار طائفا
فقال له الأمين : ويحك ! وما الذي ألك إلى نفخة بختيشوع ؟ فقال : به تمت القافية . فأمر له
بجائزة . وبختيشوع الذي ذكره هو طبيب الخلفاء . وقال الجاحظ : لا أعرف في كلام الشعراء أرق
ولا أحسن من قول أبي نواس حيث يقول :

أَيُّ نَارٍ قَدْ حُجِّقَ الْقَادِحُ * وَأَيُّ جَدِيدٍ بَلَغَ الْمَازِحُ
لِلَّهِ دُرُّ الشَّيْبِ وَنِ وَاعْظِ * وَنَاصِحٍ لَوْ خَطِئَ النَّاصِحُ
يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتَّبَعَ الْهَوَى * وَمَنْبِجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحُ
فَأَسْمُ بِمِثْلِكَ إِلَى نِسْوَةٍ * مُهَوَّوْنَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
لَا يَجْتَنِي الْحَوَارَاءُ فِي خَيْرِهَا * إِلَّا أَمْرُؤُا مِيزَانُهُ رَاجِحُ

بُنِ اتقى الله فذاك الذى * سبى إبسه المتجر الرابع
 فاغذ فم فى الدين أغلوطه * ورخ لما أنت له رانح
 وقد استلشده أبو عثان قصيدته التى فى أولها : لاتنس ليلى ولانتظر إلى هند . فلما فرغ منها
 سجد له أبو عثان ، فقال له أبو نواس : والله لا أكلك مدة . قال : فمضى ذلك ، فلما أردت
 الانصراف قال : متى أراك ؟ قلت : ألم تقسم ؟ فقال : الدهر أقصر من أن يكون معه هجر .
 ومن مستجاد شعره قوله :

ألا رب وجه فى التراب عتيق * ويارب حسن فى التراب رقيق
 ويارب حزم فى التراب ونجدة * ويارب رأى فى التراب وثيق
 قتل لقريب الدار إنك طاعة * إلى سفر نائي المحلل سحيق
 أرى كل جبي هالك وابن هالك * وذا نسب فى الهالكين عريق
 إذا امتحن الدنيا لبيت تكشفت * له عن عدو فى لباس صديق
 لا تشبهن فان الذل فى الشر * والعز فى الحلم لافى العيش والسقم
 وقل لمفتبط فى التبع من حق * لو كنت تعلم ما فى التبع لم تنه
 التبع مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فلتنبه
 وجلس أبو الناهية القاسم بن إسماعيل على دكان وراق فكتب على ظهر دفتر هذه الأبيات :
 أيا عجبا كيف يعصى الال * أنه أم كيف يجحد الجاحد
 وفى كل شئ له آية * تدل على أنه الواحد
 ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال : أحسن قائله والله . والله لوددت أنها لى بجميع شئ قلتسه ، لمن
 هذه ؟ قيل له : لأبى الناهية ، فأخذ فكتب فى جانبها :

سبحان من خلق الخلق * ق من ضعف مهين
 يسوقه من قرار * إلى قرار مهين
 بخلق شيئا فشيئا * فى الحجب دون العيون
 حتى بدت حركاته * مخلوقة فى سكون

ومن شعره المستجاد قوله :

انقطعت شدتى ففنت الملامى إذ * رمى الشيب مفرق بالدوامى
 ونهتني النسي فمئت إلى المدل * وأشفت من مقالة ناهى
 أيا الغافل المقر على السهو * ولا يندر فى المعاد رساى

لا بأعمالنا نُطيقُ خلاصاً • يومَ تبدو السماءُ فوقَ الجبابرِ
على آثامنا على الاساءةِ والثقة • ريطرُ نرجو من حسنِ عفوِ الاله
وقوله : نموتُ ونبلى غيرَ أنْ ذُنوبنا • إذا نحنُ متنا لا نموتُ ولا تبلى
ألا ربُّ ذي عَيْنينِ لا تنفعانِهِ • وما تنفعُ العَيْنانِ مَنْ قلبُهُ أعمى
وقوله : لو أنَّ عينا أوهنتها نفسها • يومَ الحسابِ ممثلاً لم تطرفِ
سبحانَ ذى الملكوتِ أيةَ ليلَةٍ • محنتُ صبيحتها بيومِ الموقفِ
كتبَ الفناءَ على البريةِ ربها • فالناسُ بينَ مقدمٍ وخلفٍ
وذكر أن أبا نواس لما أراد الاحرام بالحج قال :

يامالكأما أعذلكَ ملكك كل من ملك • لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك
عبدك قد أهلك لك أنت له حيث سلك • لولاك يارب هلك لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك والليل لما أن حلك • والسباحات في الفلك على مجاري تلك
كل لبي وهلك وكل من أهلك • سبح أو صلى فلك لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك يا مخطئاً ما أجهلك • عصيت رباً عدلك وأفكرتك وأهلك
مجهلاً وباهلاً أهلك واختمه بخير علك • لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك

وقال المعافى بن زكريا الحريري : ثنا محمد بن العباس بن الوليد سمعت أحمد بن يحيى بن ثعلب
يقول : دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلاً نهمه نفسه لا يحب أن يكثر عليه كأن النيران قد
سمرت بين يديه ، فما زلت أترقب به وتوسلت إليه أنى من موالى شيبان حتى كفى ، فقال : فى أى
شئ نظرت من المصوم ؟ فقلت : فى اللغة والشعر . قال : رأيت بالبصرة جماعة يكتبون عن رجل
الشعر ، قيل لى هذا أبو نواس . فتخلت الناس ورأى فلما جلست إليه أملى علينا :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل • خلوت ولكن فى الظلام رقيب
ولا تحسبن الله يفتل ساعة • ولا آثماً يخفى عليه يغيب
لهو ناعمٍ إلا نام حتى تنابت • ذنوبى على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يفتر ما مضى • ويأذن فى ثوبتنا فتنوب

وزاد بعضهم فى رواية عن أبي نواس بعد هذه الأبيات :

أقول إذا ضاقت على مذاهى • وحلت بقلبي لهموم ندوب
لطول رجائى وعظم خطيئتي • هلك وما لى فى التائب نصيب
واغرق فى بحر الخافة آيساً • وترجع نفسى تارة فتنوب

وتذكرني عفو الكريم عن الوري • فأحيا وأرجو عفو فأنيب
وأخضع في قولي وأرغب سائلاً • عسى كاشفت البلوى على يتوب
قال ابن طراز الجريري : وقد رويت هذه الآيات لمن ؟ قيل لأبي نواس وهي في زهدياته .
وقد استشهد بها النحاة في أماكن كثيرة قد ذكرناها . وقال حسن بن الداية : دخلت على أبي نواس
وهو في مرض الموت فقلت : عظمي . فأنشأ يقول :

فكثرت ما استطلعت من الخطايا • فأنك لاقياً رباً غفوراً
ستبهر إن وردت عليه عفوآ • وتلقى سيداً ملكاً قديراً
تمض ندامة كفئك مما • تركت مخافة النار الشرورا

فقلت : ويحك ! يمثل هذا الحال تعظي بهذه الموعظة ؟ فقال : اسكت حدثنا حماد بن سلمة عن
ثابت عن أنس قال قال النبي (ص) : « ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » . وقد تقدم بهذا
الاسناد عنه « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » . وقال الربيع وغيره عن الشافعي قال :
دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه فقلنا : ما أعددت لهذا اليوم ؟ فأنشأ
يقول :

لما ظنني ذنبى فلما قرنته • بعفوك ربى كأن عفوك أعظما
وما زلت ذاعفوه عن الذنب لم تزل • نجومك وتمفو منة وتكرما
ولولاك لم يقدر لابلis عابته • وكيف وقد أغوى صنيك آدمآ

رواه ابن عساكر . وروى أنهم وجدوا عند رأسه رقعة مكتوبا فيها بخطه :

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة • فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك ربى كما أمرت تضرعاً • فاذا رددت يدي فن ذا رحم
إن كان لا يرجوك إلا بحسن • فن الذي يرجو المسى المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا • وجميل عفوك ثم أنى مسلم

وقال يوسف بن الداية : دخلت عليه وهو في السياق فقلت : كيف تجدك ؟ فأطرق ملياً ثم رفع
رأسه فقال :

دب في الغناء سفلاً وعلواً • وأرائي أموت عضواً فعضواً
ليس يمضي من لحظة بي إلا • نقصتني بمرها في جزواً
ذهبت جدتي بلدت عيشي • وتذكرت طاعة الله لنصواً
قد أسأنا كل الإساءة فلا • هم صفحاً عنا وغفراً وعفواً

ثم مات من ساعته ساعداً الله وإياه آمين .

وقد كان نقش خاتمه لا إله إلا الله مخلصاً ، فأوصى أن يجعل في فمه إذا غسلوه فغسلوا به ذلك . ولما

مات لم يجدوا له من المال سوى ثلثمائة درهم وثيابه وأثاثه ، وقد كانت وفاته في هذه السنة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي في تل اليهود . وله خمسون سنة . وقيل ستون سنة ، وقيل تسع وخمسون سنة . وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي بأبيات قلتها في الترجس :

تفكر في نبات الأرض وانظر * إلى آثار ما صنع المليك
عيون من تجلجج شخصات * بأبصار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

وفي رواية عنه أنه قال : غفر لي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي فجاءوا فوجدوها برقة في خطه يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت أن عفوك أعظم

الأبيات . وقد تقدمت . وفي رواية لابن عساكر قال بعضهم : رأيته في المنام في هيئة حسنة ونبعة عظيمة فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت : بماذا وقد كنت مخطئا على نفسك ؟ فقال : جاء ذات ليلة رجل صالح إلى المقابر فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيها ألقى قل هو الله أحد ثم أهدى ثواب ذلك لأهل تلك المقابر فدخلت أنا في جنتهم ، فغفر الله لي . وقال ابن خلسكان : أول شعر قاله أبو نواس لما صحب أبا أسامة والبة بن الجباب :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب * إن بكى يحق له ليس ما به لعب
تضحكين لاهية والمحبة ينتحب * تعجيبن من سمي صحتي هي العجب
وقال المأمون : ما أحسن قوله :

وما الناس إلا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عذو في لباس صديق

قال ابن خلسكان : وما أشد رجاءه بربه حيث يقول :

تحمل ما استطعت من الخطايا * فانك لاقيا ربنا غفورا
ستبصر إن قدمت عليه عفوا * وتلقى سيذا ملكا كبيرا
تضئ ندامة كفيك بما * تركت مخافة النار الشرورا

ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

فيها توفي أبو معاوية الضرير أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين . والوليد بن مسلم الدمشقي تلميذ الأوزاعي . وفيها حبس الأمين أسد بن يزيد لأجل أنه نغم على الأمين لعنه ونهائه في أمر الرعية ، وارتكابه للصيد وغيره في هذا الوقت . وفيها وجه الأمين أحمد بن يزيد وعبد الله بن حميد ابن قحطبة في أربعين ألفا إلى حلوان لقتال طاهر بن الحسين من جهة المأمون ، فلما وصلوا إلى قريب

من حلوان خندق طاهر على جيشه خندقاً وجعل يعمل الحيلة في إيقاع الفتنة بين الأميرين ، فاختلعا فرجما ولم يقانلا ، ودخل طاهر إلى حلوان وجاءه كتاب المأمون بتسليم ما تحت يده إلى هرثمة بن أعين ، وأن يتوجه هو إلى الأهواز . ففعل ذلك . وفيها رفع المأمون وزيره الفضل بن سهل وولاه أعمالاً كباراً وسماه ذا الرياستين . وفيها ولي الأمين نيابة الشام لعبد الملك بن صالح بن علي - وقد كان أخرجه من سجن الرشيد - وأمره أن يبعث له رجلاً وجنوداً لقتال طاهر وهرثمة ، فلما وصل إلى الرقة أقام بها وكتب إلى رؤساء الشام يتألفهم ويدعوهم إلى الطاعة ، فقدم عليه منهم خلق كثير ، ثم وقعت حروب كان مبدؤها من أهل حمص ، وتفاقم الأمر وطال القتال بين الناس ، ومات عبد الملك ابن صالح هناك فرجع الجيش إلى بغداد محبة الحسين بن علي بن ماهان ، فقتلوا أهل بغداد بالأكرام ، وذلك في شهر رجب من هذه السنة . فلما وصل جاء رسول الأمين يطلبه فقال : وإنا ما أنا بمسامر ولا مضحك ، ولا وليت له عملاً ولا جبي على يدي مالا ، فلماذا يطلبني في هذه الليلة ؟ .

سبب خلع الأمين وكيف افضت الخلافة إلى أخيه المأمون

لما أصبح الحسين بن علي بن ماهان ولم يذهب إلى الأمين لما طلبه ، وذلك بعد مئذنه بالجيش من الشام ، قام في الناس خطيباً وألّبهم على الأمين ، وذكر لبعه وما يتعاطاه من اللهو وغير ذلك من المعاصي ، وأنه لا تصلح الخلافة لمن هذا حاله ، وأنه يريد أن يوقع البأس بين الناس ، ثم حنهم على القيام عليه والنهوض إليه ، وندبهم لذلك ، فالتف عليه خلق كثير وجم غفير ، وبعث محمد الأمين إليه خيلاً فاقتتلوا ملياً من النهار ، فأمر الحسين أصحابه بالترجل إلى الأرض وأن يقتالوا بالسيوف والرماح ، فانهمز جيش الأمين وخلعه وأخذ البيعة لعبد الله المأمون ، وذلك يوم الأحد الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة ، ولما كان يوم الثلاثاء نقل الأمين من قصره إلى قصر أبي جعفر وسط بغداد ، وضيق عليه وقيده واضطرده ، وأمر العباس بن عيسى بن موسى أمه زبيدة أن تنتقل إلى هناك فامتنعت فضر بها بالسوط وقهرها على الانتقال فانتقلت مع أولادها ، فلما أصبح الناس يوم الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أعطيتهم واختلفوا عليه وصار أهل بغداد فرقتين ، فرقة مع الأمين وفرقة عليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فنلب حزب الخليفة أولئك ، وأسروا الحسين بن علي ابن عيسى بن ماهان وقيده ودخلوا به على الخليفة فذكروا عنه قيوده وأجلسوه على سرير ، فعند ذلك أمر الخليفة من لم يكن معه سلاح من العامة أن يعطى سلاحاً من الخزان ، فانهب الناس الخزائن التي فيها السلاح بسبب ذلك ، وأمر الأمين فأتى بالحسين بن علي بن عيسى الفلام على ما صدر منه فاعتذر إليه بأن عفو الخليفة حمله على ذلك ، فمعا عنه وخلع عليه واستوزره وأعطاه

اغلام وولاه ما وراءه ، وولاه الحرب وسيره إلى حلوان ، فلما وصل إلى الجسر هرب في حاشيته وخدعه فبعث إليه الأميين من برده ، فركبت الخيول وراه فأدركوه فقاتلهم وقتلوه فقتلوه لمتصف رجب ، وجازوا برأسه إلى الأميين ، وجدد الناس البيعة للأميين يوم الجمعة ، ولما قتل الحسين بن علي بن عيسى هرب الفضل بن الربيع الحاجب واستحوذ طاهر بن الحسين على أكثر البلاد المأمون ، واستناب بها النواب ، وخلع أكثر أهل الأقاليم الأميين ويايعوا المأمون ، ودنا طاهر إلى المدائن فأخذها مع واسط وأعمالها ، واستناب من جهته على الحجاز واليمن والجزيرة والموصل وغير ذلك ، ولم يبق مع الأميين من البلاد إلا القليل . وفي شعبان منها عقد الأميين أربعمائة لواء مع كل لواء أمير ، وبعثهم لقتال هرثة ، فالتقوا في شهر رمضان فكسروهم هرثة وأسر مقدمهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وبعث به إلى المأمون . وهرب جماعة من جنده طاهر فصاروا إلى الأميين فأنعمهم أموالا كثيرة ، وأكرمهم وغاف لحام بالغالية فسموا جيش الغالية . ثم ندبهم الأميين وأرسل معهم جيشا كثيفا لقتال طاهر فهزمهم طاهر وفرق شملهم ، وأخذ ما كان معهم . واقترب طاهر من بغداد فحاصرها وبعث القصاد والجواسيس يلقون الفتنة بين الجند حتى تفرقوا شيئا ، ثم وقع بين الجيش وتشعبت الأصاغر على الأكبر واختلفوا على الأميين في سادس ذي الحجة فقال بعض البغدادية :

قل للأميين الله في نفسه * ما شئت الجند سوى الغالية
وطاهر نفسى فدا طاهر * برسله والعدو الكافية
أضحي زمام الملك في كفه * مقاتلا للفتنة الباغية
يا ناكثا أسلمه نكثه * عيوبه في خبيثه فاشية
قد جاءك الليث يشد أثره * مستكبرا في أسد ضارية
فاهرب ولا مهرب من مثله * إلا إلى النار أو المساوية

فتفرق على الأميين شملة ، وحار في أمره ، وجاء طاهر بن الحسين بجيشه فنزل على باب الأنبار يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، واشتد الحال على أهل البلد وأخاف الدعار والشطار أهل الصلاح ، وخربت الديار ، ونارت الفتنة بين الناس ، حتى قاتل الأخ أخاه للاهواء المختلفة ، والابن أباه ، وجرت شرور عظيمة ، واختلفت الأهواء وكثر الفساد والقتل داخل البلد .

وحج بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي من قبل طاهر ، ودعا للمأمون بالخلافة بمكة والمدينة ، وهو أول موسم دعى فيه للمأمون .
وفيهما توفي بقية بن الوليد الحمصي إمام أهل حمص وقتيها ومحدثها .

وحفص بن غياث القاضي

عاش فوق القسمين ، ولما احتضر بكى بعض أصحابه فقال له : لا تبك ! والله ما حلت سراويلي على حرام قط ، ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من وقع الحكم عليه منهما ، قريبا كان أو بعيداً ، ملكاً أو سوقاً .

وعبد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد ، كان وزيراً للرشيدي فترك ذلك كله وتزهد وأوصى عند موته أن يطرح قبل موته على مزبلة لعل الله أن يرحمه .

أبو شيب

الشاعر محمد بن رزين بن سليمان ، كان أستاذ الشعراء ، وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه من شرب الماء ، كذا قال ابن خلكان وغيره . وكان هو وأبو مسلم بن الوليد - الملقب صريع الفوائ - وأبو نواس ودعبل يجتمعون ويتناشدون . وقد عى أبو شيب في آخر عمره ، ومن جيد شعره قوله :

وقفت الهوى في حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هوائك للذينة * حباً لذكرك فليعلمني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنت نفسي صاغراً * ما من بهون عليك من تكرم

ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

استهلت هذه السنة وقد ألع طاهر بن الحسين وهرثة بن أعين ومن معهما في حصار بغداد والتضييق على الأميين ، وهرب القاسم بن الرشيد وعنه منصور بن المهدي إلى المأمون فأكرهما ، وولى أخاه القاسم جرجان ، واشتد حصار بغداد ونصب عليها الحائيق والعزادات . وضاق الأميين بهم ذرعا ، ولم يبق معه ما ينفق في الجند ، فاضطر إلى ضرب آنية الفضة والذهب دراها ودينارين ، وهرب كثير من جنده إلى طاهر ، وقتل من أهل البلد خلق كثير ، وأخذت أموال كثيرة منهم ، وبعث الأميين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأما كن ومحال كثيرة فخرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة ، فمل كل هذا فراراً من الموت ولتدوم الخلافة له فلم تدم ، وقتل وخربت دياره كما سيأتي قريباً ، وفعل طاهر مثل ما فعل الأميين حتى كادت بغداد تخرب بكاملها ، فقال بعضهم في ذلك :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين * ألم تسكوني زماناً قرّة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم * وكان قريتهم زيناً من الزين
صاح الغراب بهم بالبين فافتروا * ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوماً ما ذكرتهم * إلا تحدر ماء العين من عيني

كانوا يفرقهم دهرٌ وصدمهم * والدهرُ يصنعُ ما بينَ الفريقين

وقد أكثر الشعراء في ذلك . وقد أورد ابن جرير من ذلك طرفاً صالحاً ، وأورد في ذلك قصيدة طويلة جداً فيها بسطاً ما وقع ، وهي هول من الأهوال اقتصرناها بالكلية .

واستجوز طاهر على ما في الضياع من الغلات والحواصل للأمرء وغيرهم ، ودعاهم إلى الأمان والبيعة للمأمون فاستجابوا جميعهم ، منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة ، ويحيى بن علي بن ماهان ، ومحمد بن أبي العباس الطوسي ، وكاتبه خلق من الهاشمين والأمرء ، وصارت قلوبهم معه . واتفق في بعض الأيام أن ظفر أصحاب الأئمين ببعض أصحاب طاهر فقتلوا منهم طائفة عند قصر صالح ، فلما سمع الأئمين بذلك بطر وأشر وأقبل على اللهو والشرب واللعب ، ووكل الأمور وتدبيرها إلى محمد بن عيسى بن نهيك ، ثم قويت شوكة أصحاب طاهر وضمت جانب الأئمين جنداً ، وانحاز الناس إلى جيش طاهر . وكان جانبه آمناً جداً لا يخاف أحد فيه من سرقة ولا نهب ولا غير ذلك . وقد أخذ طاهر أكثر محال بغداد وأرباضها ، ومنع الملاحين أن يحملوا طعاماً إلى من خلفه ، فغلت الاسعار جداً عند من خلفه ، وندم من لم يكن خرج من بغداد قبل ذلك ، ومنعت التجار من القدوم إلى بغداد بشيء من البضائع أو الدقيق ، وصرفت السفن إلى البصرة وغيرها ، وجرت بين الفريقين حرب كثيرة ، فمن ذلك وقعة درب الحجارة كانت لأصحاب الأئمين ، قتل فيها خلق من أصحاب طاهر كان الرجل من العيارين والحرافشة من البغاددة يأتي عريانا ومعه بارية مقيرة ، وتحت كتفه محلاة فيها حجارة ، فإذا ضربه الفارس من بعيد بالسهم اتقاء بباريته فلا يؤذيه ، وإذا اقترب منه رماه بحجر في المقلاع أصابه ، فمزوم لذلك . ووقعة الشامية أسرف فيها هرثة بن أعين ، فشق ذلك على طاهر وأمر بعقد جسر على دجلة فوق الشامية ، وعبر طاهر بنفسه ومن معه إلى الجانب الآخر فقاتلهم بنفسه أشد القتال حتى أزالهم عن مواضعهم ، واسترد منهم هرثة وجماعة ممن كانوا أسروهم من أصحابه ، فشق ذلك على محمد الأئمين وقال في ذلك : -

منيتُ بأشجعِ الثقلين قلباً * إذا ما طالَ ليسَ كما يطولُ

له مع كل ذي بدرٍ رقيبٌ * يشاهدهُ ويعلمُ ما يقولُ

فليسَ بمغفلٍ أصرأُ عناداً * إذا ما الأمرُ ضيعةُ الغلولُ

وضمف أمر الأئمين جداً ولم يبق عنده مال ينمقه على جنده ولا على نفسه ، وتفرق أكثر أصحابه عنه ، وبقي مضطهداً ذليلاً . ثم انقضت هذه السنة بكاملها والناس في بغداد في قلاقل وأهوية مختلفة ، وقتال وحريق ، وسراقات ، وساءت بغداد فلم يبق فيها أحد يرد عن أحد كما هي عادة الفتن . وحج بالناس فيها العباس بن موسى الهاشمي من جهة المأمون . وفيها توفي شعيب بن حرب أحد

الزهاد . وعبد الله بن وهب إمام أهل الديار المصرية . وعبد الرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر .
وعثمان بن سعيد الملقب بورش أحد القراء المشهورين الرواة عن نافع بن أبي نعيم . ووكيع بن
الجراح الرواسي أحد أعلام المحدثين . مات عن ست وستين سنة .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة

فيها خامر خزيم بن خازم علي محمد الأمين وأخذ الأمان من طاهر . ودخل هرمة بن أعين من
الجانب الشرقي . وفي يوم الأربعاء ثمان خلون من المحرم وثب خزيم بن خازم ومحمد بن علي بن
عيسى على جسر بفسداد قطعاه ونصبا رايتهما عليه . ودعوا إلى بيعة عبد الله المأمون وخلع محمد
الأمين ، ودخل طاهر يوم الخميس إلى الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه ، ونادى بالأمان لمن لم
منزله ، وجرت عند دار الرقيق والسكرخ وغيرهما وقعات ، وأحاطوا بمدينة أبي جعفر والخلد وقصر
زبيدة ، ونصب المنجنيق حول السور وحذاء قصر زبيدة ، ورماه بالمنجنيق ، ونجح الأمين بأمه
وولده إلى مدينة أبي جعفر ، وتفرق عنه عامة الناس في الطريق ؛ لا يلوى أحد على أحد ، حتى دخل
قصر أبي جعفر وانتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمى المنجنيق ، وأمر بتحريق ما كان فيه
من الأثاث والبسط والأمتعة وغير ذلك ، ثم حصر حصراً شديداً . ومع هذه الشدة والضيق وإشرافه
على الهلاك خرج ذات ليلة في ضوء القمر إلى شاطئ دجلة واستدعى بنبذ وجارية فغنته فلم يطلق
لسانها إلا بالفراقيات وذكر الموت وهو يقول : غير هذا ، وتذكر نظيره حتى غنته آخر ما غنته :

أما ورب السكون والحرك * إن المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل السلطان من ملك * قد انقضى ملكه إلى ملك
وملك ذي العرش دائم أبداً * ليس بفاني ولا بمشترك

قال : فسبها وأقامها من عنده فثرت في قدح كان له من بلور فكسرت فتطير بذلك . ولما ذهبت
الجارية سمع صارخاً يقول [قضى الأمر الذي فيه تستفتيان] فقال لجليسه : ويحك ألا تسمع ،
فتسمع فلا يسمع شيئاً ، ثم عاد الصوت بذلك فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل في رابع صفر يوم
الأحد ، وقد حصل له من الجهد والضيق في حصره شيئاً كثيراً بحيث إنه لم يبق له طعام يأكله
ولا شراب يبيث إنه جاع ليلة فإتى برغيف ودجاجة إلا بعد شدة عظيمة ، ثم طلب ماء فلم يوجد
له فبات عطشاً فلما أصبح قتل قبل أن يشرب الماء .

كيفية مقتله

لما اشتد لأمراؤه عنده من بقي معه من الأمراء والخدم والجند ، فشاوهم في أمره فمالت

طائفة : تذهب بمن بقي مملك إلى الجزيرة أو الشام فتتقوى بالأموال وتستخدم الرجال . وقال بعضهم
تخرج إلى طاهر وتأخذ منه أماناً وتبايع لأخيك ، فإذا فعلت ذلك فإن أخاك سيأمر لك بما يكفيك
ويكفي أهلك من أمر الدنيا ، وغاية مرادك الدعة والراحة ، وذلك يحصل لك تماماً . وقال بعضهم : بل
هرثة أولى بأن يأخذ لك منه الأمان فإنه مولاكم وهو أحنى عليكم . قال إلى ذلك ، فلما كانت ليلة
الأحد الرابع من صفر بعد عشاء الآخرة واعد هرثة أن يخرج إليه ، ثم لبس ثياب الخلافة
وطيلساناً واستدعى بولديه فشمهما وضهما إليه وقال : أستودعكما الله ، ومسح دموعه بطرف كفه ، ثم
ركب على فرس سوداء وبين يديه شجرة ، فلما انتهى إلى هرثة أكرمه وعظمه وركبا في حراقة في دجلة ،
وبلغ ذلك طاهر آفغضب من ذلك وقال : أنا الذي فعلت هذا كله ويذهب إلى غيري ، وينسب
هذا كله إلى هرثة ؟ فلحقهما وهما في الحراقة فأمالها أصحابه ففرق من فيها ، غير أن الأمين سبج إلى
الجانب الآخر وأسره بعض الجند . وجاء فأعلم طاهر آفبعث إليه جنداً من المعجم لجأوا إلى البيت
الذي هو فيه وعنده بعض أصحابه وهو يقول له : ادن مني فأجد وحشة شديدة ، وجعل يلتفت في
ثيابه شديداً وقلبه يخفق خفقاناً عظيماً ، كاد يخرج من صدره . فلما دخل عليه أولئك قال : إنا لله
وإنا إليه راجعون . ثم دنا منه أحدهم فضر به بالسيف على مفرق رأسه فجعل يقول : وبحكم أنا ابن
عم رسول الله ، أنا ابن هارون ، أنا أخو المأمون ، الله الله في دمي . فلم يلتفتوا إلى شيء من
ذلك ، بل تكاثروا عليه وذبحوه من قفاه وهو مكبوب على وجهه وذهبوا برأسه إلى طاهر وتركوا جثته ،
ثم جاؤا بكرة إليها فلماوها في جل فرس وذهبوا بها . وذلك ليلة الأحد لأربع ليال خلت من صفر
من هذه السنة .

شيء من ترجمته

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور ، أبو عبد الله ويقال أبو موسى
الهاشمي الباسي ، وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، كان مولده بالرصافة سنة
سبعين ومائة [قال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا عياش بن هشام عن أبيه قال : ولد محمد الأمين بن
هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومائة ^(١)] . وأنته الخلافة بمدينة السلام بغداد ثلاث عشرة
ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وقيل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم ، وقتل
سنة ثمان وتسعين ومائة ، قتله قریش الدنداني ، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فذصبه على رمح
وتلا هذه الآية [قل اللهم مالك الملك وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام ، وكان
طويلاً سمينا أبيض أفنى الأنف صغير العينين ، عظيم الكراديس بعيداً ما بين المنكبين . وقد رماه
بعضهم بكثرة اللعب والشرب وقلة الصلاة . وقد ذكر ابن جرير طرفاً من سيرته في إكثاره من
(١) زيادة من المصرية .

فتشاء السودان والخصيان ، وإعطائه الأموال والجواهر ، وأمره بإحضار الملاحى والمغنين من سائر
البلاد ، وأنه أمر بعمل خمس حراقات على صورة الفيل والأسد والعقاب والحية والفرس ، وأنفق
على ذلك أموالاً جزيلاً جداً ، وقد امتدحه أبو نواس بشعر أقيس في معناه من صليح الأمين فإنه قال
في أوله :
سخر الله للأمين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ماركابه سرن برأ * سار في الماء راكباً ليث غلب

ثم وسف كلاً من تلك الحراقات . واعتنى الأمين ببنايات هائلة للنزهة وغيرها ، وأنفق في ذلك
أموالاً كثيرة جداً . فكثير النكير عليه بسبب ذلك .

وذكر ابن جرير أنه جلس يوماً في مجلس أنفق عليه مالا جزيلاً في الخلد ، وقد فرش له بأنواع
الحريز ، ونضد بآنية الذهب والفضة ، وأحضر ندماءه وأمر القهرمان أن تهيئ له مائة جارية حسناء
وأمرها أن تبعثن إليه عشراً بعد عشر يغنيهن ، فلما جاءت العشر الأول اندفعن يغنين بصوت واحد :
هـو قتلوه كي يكونوا مكانه * كما غدرت يوماً بكسرى مرزبة
فغضب من ذلك وتبرم وضرب رأسها بالكأس ، وأمر بالقهرمان أن تلقى إلى الأسد فأكلها .
ثم استدعى بعشرة فاندفعن يغنين :

من كان مسروراً بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبهن * يلقن قبل تبليج الأسرار
فطردهن واستدعى بعشر غيرهن ، فلما حضرن اندفعن يغنين بصوت واحد :
كأب لعمرى كان أكثر ناصرأ * وأيسر ذنباً منك ضرج بالدم
فطردهن وقام من فوره وأمر بتخريب ذلك المجلس وتحويل مافي .

وذكر أنه كان كثير الأدب فصيحاً يقول الشعر ويعطى عليه الجوائز الكثيرة ، وكان شاعره
أبا نواس ، وقد قال فيه أبو نواس مدائح حسنا ، وقد وجده مسجوناً في حبس الرشيد مع الزنادقة
فأحضره وأطلقه وأطلق له مالا وجعله من ندمائه ، ثم حبسه مرة أخرى في شرب الخمر وأطال حبسه
ثم أطلقه وأخذ عليه العهد أن لا يشرب الخمر ولا يأتي الذكور من المردان فامتنل ذلك ، وكان
لا يفعل شيئاً من ذلك بعد ما استنابه الأمين ، وقد تأدب على الكسائي وقرأ عليه القرآن . وروى
الخطيب من طريقه حديثاً أورده عنه لما عزى في غلام له توفي بمكة فقال : حدثني أبي عن أبيه
عن المنصور عن أبيه عن علي بن عبد الله عن أبيه قال : سمعت رسول الله -س- يقول . « من
مات محرماً حشر مليباً » .

وقد قدمنما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفرقة ، حتى أفضى ذلك إلى خلعه وعزله ، ثم

إلى التضيق عليه ، ثم إلى قتله ، وأنه حصر في آخر أمره حتى احتاج إلى مصافحة هرثمة ، وأنه ألقى في حراقة ثم ألقى منها فسبح إلى الشط الآخر فدخل دار بعض العامة وهو في غاية الخوف والدهش والجوع والعري ، فجلس الرجل يلقنه الصبر والاستنفار ، فاشتغل بذلك ساعة من الليل ، ثم جاء الطلب وراه من جهة طاهر بن الحسين بن مصعب ، فدخلوا عليه وكان الباب ضيقاً فتدافعوا عليه وقام إليهم فجلس يدافعهم عن نفسه بمخدة في يده ، فما وصلوا إليه حتى عرقبوه وضربوا رأسه وأخاضرته بالسيف ، ثم ذبحوه وأخذوا رأسه وجثته فأتوا بهما طاهراً ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وأمر بنصب الرأس فوق رمح هناك حتى أصبح الناس ينظروا إليه فوق الرمح عند باب الأنبار ، وكثر عدد الناس ينظرون إليه . ثم بعث طاهر برأس الأمين مع ابن عمه محمد بن مصعب ، وبعث معه بالبردة والتضييب والنمل - وكان من خواص مبطن - فسله إلى ذى الرياستين ، فدخل به على المأمون على ترس ، فلما رآه سجد وأمر لمن جاء به بألف درهم . وقد قال ذو الرياستين حين قدم الرأس يؤلب على طاهر : أمرناه بأن يأتي به أسيراً فأرسل به إلينا عقيراً . فقال المأمون : مضى ما مضى . وكتب طاهر إلى المأمون كتاباً ذكر فيه صورة ما وقع حتى آل الحال إلى ما آل إليه . ولما قتل الأمين هدأت الفتن وخمدت الشرور ، وأمن الناس ، وطابت النفس ، ودخل طاهر بغداد يوم الجمعة وخطبهم خطبة بليغة ذكر فيها آيات كثيرة من القرآن ، وأن الله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد ، وأمرهم فيها بالجماعة والسمع والطاعة ثم خرج إلى مسكره فأقام به وأمر بتحويل زبيدة من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد ، فخرجت يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، وبعث موسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون بخراسان ، وكان ذلك رأياً شديداً . وقد وثب طائفة من الجند على طاهر بعد خمسة أيام من مقتل الأمين وطلبوا منه أرواقهم فلم يكن عنده إذ ذاك مال ، فتحزبوا واجتمعوا ونهبوا بهض متاعه ونادوا : يا موسى يا منصور ، واعتقدوا أن موسى بن الأمين الملقب بالناطق هناك ، وإذا هو قد سيره إلى عمه . وانحاز طاهر بمن معه من القواد حاجة وعزم على قتالهم بمن معه ، ثم رجعوا إليه واعتذروا وندموا ، فأمر لهم برزق أربعة أشهر بعشرين ألف دينار اقترضها من بعض الناس ، فطابت الخواطر . ثم إن إبراهيم بن المهدي قد أسف على قتل محمد الأمين بن زبيدة ورثاه بأبيات ، فبلغ ذلك المأمون فبعث إليه يعنفه ويلومه على ذلك . وقد ذكر ابن جرير مرأى كثيرة للناس في الأمين ، وذكر من أشعار الذين هجوه طرفاً ، وذكر من شعر طاهر بن الحسين حين قتله قوله : —

ملكْتَ الناسَ قسراً واقتداراً * وقتلتَ الجبارةَ السكباراً
ووجهتَ الخلافةَ نحو صري * إلى المأمون تبندراً ابتداراً

خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون

لما قتل أخوه محمد في ربيع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في المحرم ، استوسقت البيعة شرقاً وغرباً للمأمون : فولى الحسن بن سهل نيابة العراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن ، وبعث نوابه إلى هذه الأقاليم ، وكتب إلى طاهر بن الحسين أن ينصرف إلى الرقة لحرب نصر بن شبث ، وولاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب . وكتب إلى هرثمة بن أعين بنيابة خراسان . وفيها حج بالناس العباس بن عيسى الهاشمي . وفيها توفي سفيان بن عيينة . وعهد الرحمن ابن مهدي . وبجى القطان . فهؤلاء الثلاثة سادة العلماء في الحديث والفقه وأسماء الرجال .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة .

فيها قدم الحسن بن سهل بغداد نائباً عليها من جهة المأمون ، ووجه نوابه إلى بقية أعماله ، وتوجه طاهر إلى نيابة الجزيرة والشام ومصر وبلاد المغرب . وسار هرثمة إلى خراسان نائباً عليها ، وكان قد خرج في أواخر السنة الماضية في ذى الحجة منها ، الحسن الهرشي يدعو إلى الرضى من آل محمد ، فنجى الأموال وانتهب الأنعام وعلث في البلاد فساداً فبعث إليه المأمون جيشاً فقتلوه في المحرم من هذه السنة . وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة ، يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وهو الذي يقال له ابن طباطبا ، وكان القائم بأمره وتدير الحرب بين يديه أبو السرايا السري بن منصور الشيباني ، وقد اتفق أهل الكوفة على موافقته واجتمعوا عليه من كل فج عميق ، ووفدت إليه الأعراب من نواحي الكوفة ، وكان النائب عليها من جهة الحسن بن سهل سليمان ابن أبي جعفر المنصور ، فبعث الحسن بن سهل يولمه ويؤنبه على ذلك ، وأرسل إليه بعشرة آلاف فارس صحبة زاهر بن زهير بن المسيب ، فقتلوا خارج الكوفة فهزموا زاهراً واستباحوا جيشه ونهبوا ما كان معه ، وذلك يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة ، فلما كان الغد من الواقعة توفي ابن طباطبا أمير الشيعة فجأة ، يقال إن أبا السرايا سمعه وأقام مكانه غلاماً أحمداً يقال له محمد بن محمد بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن طالب . وانزل زاهر بمن بقي معه من أصحابه إلى قصر ابن هبيرة ، وأرسل الحسن بن سهل مع عبدوس بن محمد أربعة آلاف فارس ، صورة مدد زاهر ، فالتقوا وأبو السرايا فهزمهم أبو السرايا ولم يفلت من أصحاب عبدوس أحد ، وانتشر الطالبيون في تلك البلاد ، وضرب أبو السرايا الدرهم والدنانير في الكوفة ، ونقش عليه (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) الآية . ثم بعث أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط والمدائن فهزموا فيها من النواب ودخلوها قهراً ، وقويت شوكتهم ، فأمر ذلك الحسن بن سهل وكتب إلى هرثمة يستدعيه لحرب أبي السرايا

فتمنع ثم قدم عليه فخرج إلى أبي السرايا فهزم أبا السرايا هزيمة شديدة وطرده حتى رده إلى الكوفة
ووثب الطالبيون على دور بني العباس بالكوفة فمبهاوخر بواضياعهم ، وفعلوا أفكالا قبيحة .
وبعث أبو السرايا إلى المداين فاستجابوا ، وبعث إلى أهل مكة حسين بن حسن الأفطس ليقيم لهم
الموسم فخاف أن يدخلها جبهة ، ولما سمع فائب مكة - وهو داود بن عيسى بن موسى بن علي بن
عبد الله بن عباس - هرب من مكة طالبا أرض العراق ، وبقى الناس بلا إمام فشدل مؤذنها أحمد
ابن محمد بن الوليد الأزرق أن يصلى بهم فأي ، فقبل لقاضيا محمد بن عبد الرحمن الخزومي
فامتنع ، وقال : لمن أأدعو وقد هرب نواب البلاد . فقدم الناس رجلا منهم فصلى بهم الظهر والعصر ،
وبلغ الظهر إلى حسين الأفطس فدخل مكة في عشرة أنفس قبل الغروب فطاف بالبيت ، ثم وقف
بعرفة ليلا وصلى بالناس الفجر بمردلفة وأقام بقية المناسك في أيام منى ، فدفع الناس من عرفة بغير
إمام . وفيها توفى إسحاق بن سليمان . وابن نمير . وابن سابور . وعمر والعنبري ، والد مطيع البلخي .
ويونس بن بكير .

ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة

في أول يوم منها جلس حسين بن حسن الأفطس على طنفسة مثقلة خلف المقام وأمر بتجريد
الكمبة مما عاين من كساوى بني العباس ، وقال : نظرها من كساويهم . وكساها ملاءتين صفراوتين
عليهما اسم أبي السرايا ، ثم أخذ ما في كنز الكمبة من الأموال ، وتبع ودائع بني العباس
فأخذها ، حتى أنه أخذ مال ذوى المال ويزعم أنه للسودة . وهرب منه الناس إلى الجبال ، وسبك
ما على رؤس الأساطين من الذهب ، وكان ينزل مقدار يسير بعد جهد ، وقلدوا ما في المسجد الحرام
من الشبايك وباعوها بالبخس ، وأساذ السيرة جدآ . فلما بلغه مقتل أبي السرايا كنم ذلك وأمر
رجلا من الطالبين شبيخا كبيرا ، واستمر على سوء السيرة ، ثم هرب في سادس عشر الحرم منها ،
وذلك لما قهر هرثة أبا السرايا وهزم جيشه وأخرجه ومن معه من الطالبين من الكوفة ، ودخلها
هرثة ومنصور بن المهدي فأمّنوا أهلها ولم يتعرضوا لأحد . وسار أبو السرايا بمن معه إلى القادسية ، ثم
سار منها فاعترضهم بعض جيوش المأمون فهزمهم أيضا وجرح أبو السرايا جراحة منكرا جدآ ،
وهربوا يريدون الجزيرة إلى منزل أبي السرايا برأس العين ، فاعترضهم بعض الجيوش أيضا فأسروهم
وأثوا بهم الحسن بن سهل وهو بالتهروان حين طرده الحرابية ، فأمر بضرب عنق أبي السرايا فجزع
من ذلك جزعا شديدا جدآ وطيف برأسه وأمر بجسده أن يقطع اثنتين وينصب على جسرى
بفداد ، فكان بين خروجه وقتله عشرة أشهر . فبعث الحسن بن سهل بن محمد إلى المأمون مع
رأس أبي السرايا . وقال بعض الشعراء :

ألم تضر به الحسن بن سهل * بسيفك يا أمير المؤمنين

؛ بحث المأمون في هذه السنة يطلب من يقي من العباسيين ، وأحصى كم العباسيون قبلوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ، ما بين ذكور وأنثى . وفيها قتل الروم ملكهم اليون ، وقد ملكهم سبع سنين ، وملكوا عليهم ميخائيل نائبه . وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل ، لأنه قال للمأمون : يا أمير الكافرين . فقتل صبرا بين يديه . وفيها حج بالناس محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد . وفيها توفي من الأعيان :

أسباط بن محمد ، وأبو ضمرة أنس بن عياض ، ومسلم بن قتيبة ، وعمر بن عبد الواحد ، وابن أبي فديك ، وميشر بن إسماعيل ، ومحمد بن جبير ، ومماذ بن هشام .

ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

فبها راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك ، فراودوه على أن يكون نائباً للأموه يدعو له في الخطبة فأجابهم إلى ذلك ، وقد أخرجوا على بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين أظهرهم بمسد أن جرت حروب كثيرة بسبب ذلك ، وفيها عم البلاء بالعمارين والشطار والفساق ببغداد وما حولها من القرى ، كانوا يأتون الرجل يسألونه مالا يقرضهم أو يضلهم به فيمنع عليهم فيأخذون جميع ما في منزله ، وربما أترضوا للفلان واللسوان ، ويأتون أهل القرية فيساقون من أدنعام والمواشي ويأخذون ما شاؤوا من الفلن واللسوان ، ونهبوا أهل قطر بل ولم يدعوا لهم شيئاً أصلاً ، فاشتد بهم رجل يقال له خالد الدريوش ، وآخر يقال له سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري من أهل خراسان . والنف عليهم جماعة من العامة فكفروا شرهم وقابلوهم ومنعهم من الفساد في الأرض ، واستقرت الأمور كما كانت ، وذلك في شعبان ورمضان . وفي شوال منها رجع الحسن بن سهل إلى بغداد وصالح الجند ، وانفصل منصور بن المهدي ومن وافقه من الأمراء . وفيها بايع المأمون لعل الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب أن يكون ولي العهد من بعده ، وسماه الرضى من آل محمد ، وطرح لبس السواد وأمر بالفس الخضر ، فلبسها هو وجنوده ، وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم ، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء ليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين ، وذلك أن المأمون رأى أن علياً الرضى خير أهل البيت وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه ، فجعله ولي عهده من بعده .

بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي

لما جاء الخبر أن المأمون بايع لعل الرضى بالولاية من بعده اختلفوا فيها بينهم ، فمن مجيب مبايع ، ومن آب ممانع ، وجهور العباسيين على الامتناع من ذلك ، وقام في ذلك ابن المهدي إبراهيم ومنصور ، فلما كان يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذي الحجة أظهر العباسيون البيعة لإبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك . وكان أسود اللون . ومن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ، وخلفوا المأمون . فلما كان يوم الجمعة ليلتين بقيتا من ذي الحجة أرادوا أن يدعو للأموه ثم من بعده لإبراهيم فقالت العامة : لا تدعوا إلا إلى إبراهيم فقط ، واختلفوا واضطربوا فيها بينهم ، ولم يصلوا الجمعة ، وصلى الناس فرادى أربع ركعات .

وفيها افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز . وذكر ابن حزم أن سلمة الخاسر

قال في ذلك شعرا . وقد ذكر ابن الجوزي وغيره أن سلماً توفي قبل ذلك بسنتين فأنه أعلم .
وفيهما أصاب أهل خراسان والري وأصبهان جماعة شديدة وغلا الطعام جداً . وفيها تحرك بابك
الخرمي وأتبعه طوائف من السفلة والجهلة وكان يقول بالناسخ ، وسيأتي ما آل أمره إليه . وفيها حجج
بالناس إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي .

وفيهما توفي من الأعيان : أبو أسامة حماد بن أسامة . وحماد بن سمعة . وحرسى بن عمارة .
وعلى بن عاصم . ومحمد بن محمد صاحب أبي السرايا الذي قد كان بإيمه أهل الكوفة بعد ابن طباطبغا .

ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين

في أول يوم منها يبيع لأبراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون ، فلما كان يوم الجمعة
خامس المحرم صعد إبراهيم بن المهدي المنبر فبايعه الناس ولقب بالمبارك ، وغلب على الكوفة وأرض
السواد ، وطلب منه الجنود أرزاقهم فطالهم ثم أعطاهم مائتي درهم لكل واحد ، وكتب لهم بتهويض
من أرض السواد ، فخرجوا لا يعرفون بشيء إلا التهبوه ، وأخذوا حاصل الفلاح والسلطان ، واستتاب
على الجانب الشرقى العباس بن موسى الهادي ، وعلى الجانب الغربي إسحاق بن موسى الهادي .
وفيهما خرج خارجي يقال له مهدي بن علوان ، فبعث إليهم إبراهيم جيشاً عليهم أبو إسحاق المتعمم
ابن الرشيد في جماعة من الأمراء فكسره ورد كيده . وفيها خرج أخو أبي السرايا فيبيض بالكوفة
فأرسل إليه إبراهيم بن المهدي من قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم ، ولما كان
ليلة أربع عشرة من ربيع الآخر من هذه السنة ظهرت في السماء حمرة ثم ذهبت وبقي بسدها
عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل ، وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب
المأمون ، واقتتلوا قتالاً شديداً . وعلى أصحاب إبراهيم السواد ، وعلى أصحاب المأمون الخفصرة ،
واستمر القتال بينهم إلى أواخر رجب .

وفيهما ظفر إبراهيم بن المهدي بسول بن سلامة المطوع فسجنه ، وذلك أنه التفت عليه جماعة من الناس
يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن كانوا قد جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان
ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة ، وصار باب داره كأنه باب دار السلطان ، عليه السلاح والرجال
وغير ذلك من أهبة الملك ، فقاتله الجنود فكسروا أصحابه فألقى السلاح وصار بين النساء والنظارة
ثم اختفى في بعض الدور ، فأخذ وجيء به إلى إبراهيم فسجنه سبعة أشهر . وفيها أقبل المأمون من
خراسان قاصدا العراق ، وذلك أن علي بن موسى الرضي أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتن
والاختلاف بارض العراق ، وبأن الهاشميين قد أقبلوا إلى الناس بأن المأمون مسحور ومسجون ،
وأنهم قد تقوموا عليكم ببيتك لعل بن موسى ، وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم

ابن المهدي . فاستدعى المأمون بجماعة من أمرائه وأقربائه فسألهم عن ذلك فصدقوا عليها فيما قال ، بعد أخذهم الأمان منه ، وقالوا له : إن الفضل بن سهل حسن لك قتل هريرة ، وقد كان ناصحاً لك . فمأجله بقتله ، وإن طاهر بن الحسين مهد لك الأمور حتى قاد إليك الخلافة بزمائها فطردته إلى الرقة ففعل لا عمل له ولا تستمضه في أمر ، وإن الأرض تفتت بالشرور والفتن من أقطارها . فلما تحقق ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد ، وقد فطن الفضل بن سهل بما آتاه عليه أولئك الناصحون ، فضرب قوماً وتنفح إلى بعضهم . وسار المأمون فلما كان بسر خس عبداً قوم على الفضل بن سهل وزير المأمون وهو في الحمام فقتلوه بالسيوف ، وذلك يوم الجمعة ليلتين خلتا من شوال وله ستون سنة ، فبعث المأمون في آثارهم فجئ بهم وهم أربعة من الماليك فقتلهم ، وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يعزبه فيه ، وولاه الوزارة مكانه ، وارتحل المأمون من سرخس يوم عيد الفطر نحو العراق وإبراهيم بن المهدي بالمداين ، وفي مقابلته جيش يقاثلونه من جهة المأمون .

وفيها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل ، وزوج علي بن موسى الرضى بابنته أم حبيب وزوج ابنه محمد بن علي بن موسى بابنته الأخرى أم الفضل . وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو علي الرضى ، ودعا لأخيه بعد المأمون ، ثم انصرف بعد الحج إلى اليمن ، وقد كان تغلب عليها حمدويه بن علي بن موسى بن ماهان . وفيها توفي : أيوب بن سويد . وضمرة . وعمر بن حبيب . والفضل بن سهل الوزير . وأبو يحيى الجاني .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

فيها وصل المأمون العراق ومصر بطوس فنزل بها وأقام عند قبر أبيه أياماً من شهر صفر ، فلما كان في آخر الشهر أكل علي بن موسى الرضى عنباً فأت فجأة فصلى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد ، وأسف عليه أسفاً كثيراً فيما ظهر ، وكتب إلى الحسن بن سهل يعزبه فيه ويخبره بما حصل له من الحزن عليه ، وكتب إلى بني العباس يقول لهم : إنكم إنما نتمتع على بسبب توليت العهد من بعد علي بن موسى الرضى ، وما هو قد مات فارجعوا إلى السمع والطاعة . فأجابوه بأغلظ جواب كتب به إلى أحمد . وفيها تغلبت الثوار على الحسن بن سهل حتى قيد بالحديد وأودع في بيت ، فكتب الأمراء بذلك إلى المأمون ، فكتب إليهم إلى واصل على إثر كتابي هذا . ثم جرت حروب كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد ، وتنكروا عليه وأبغضوه . وظهرت الفتن والشطار والفاسق ببغداد وتفاقم الحال ، وصلوا يوم الجمعة ظهراً ، أمسم المؤذنون فيها من غير خطبة ، صلوا أربع ركعات ، واشتد الأمر واختلف الناس فيما بينهم في إبراهيم والمأمون ، ثم غلبت المأمونية عليهم .

خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي

لما كان يوم الجمعة المقبلة دعا الناس المأمون وخلعوا إبراهيم ، وأقبل حميد بن عبد الحميد في جيش

من جهة المأمون فخاصر بغداد . وطمع جندها في العطاء إذا قدم فطارعوه على السمع والطاعة للمأمون .
وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة إبراهيم بن المهدي ، ثم احتال عيسى حتى
صار في أيدي المأمونية أسيراً ، ثم آل الحال إلى اختفاء إبراهيم بن المهدي في آخر هذه السنة .
وكانت أيامه سنة وإحدى عشر شهراً واثني عشر يوماً . وقدم المأمون في هذا الوقت إلى همدان
وجيوشه قد استنقذوا بغداد إلى طاعته . وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان
ابن علي . وفيها توفي من الأعيان :

علي بن موسى

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي الهاشمي العلوي الملقب
بالرضي ، كان المأمون قد سم أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك ، فجعله ولي العهد من بعده كما
قدمنا ذلك . توفي في صفر من هذه السنة بطرس . وقد روى الحديث عن أبيه وغيره ، وعنه جماعة
منهم المأمون وأبو السلت الهروي وأبو عثمان المازني النحوي ، وقال سمعته يقول : الله أعدل من أن
يكلف العباد مالا يطيقون ، وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون . ومن شعره :

كلنا يأملُ مدّاً في الأجل * والمتنايا هنْ آفاتُ الأملِ
لاتفرنكُ أباطيلُ المنى * والزمِ القصدَ ودعْ عنك المللَ
إنما الدنيا كظلي زائل * حلّ فيه راكبٌ ثم ارتحلُ

ثم دخلت سنة أربع ومائتين

فيها كان قدوم المأمون أرض العراق ، وذلك أنه مر بجرجان فأقام بها شهراً ، ثم سار منها وكان
ينزل في المنزل يوماً أو يومين ، ثم جاء إلى النهر وان فاقم بها ثمانية أيام ، وقد كتب إلى طاهر بن
الحسين وهو بالركة أن يوافيه إلى النهر وان فوافاه بها وتلقاه رؤس أهل بيته والقواد وجهور الجيش ،
فلما كان يوم السبت الآخر دخل بغداد حين ارتفع النهار لأربع عشرة ليلة خلت من صفر ، في
أبهة عظيمة وحيش عظيم ، وعليه وعلى جميع أصحابه وفتيان الخضر ، فلبس أهل بغداد وجميع
بنى هاشم الخضر ، ونزل المأمون بالرصافة ثم تحول إلى قصر على دجلة ، وجعل الأمراء وجوّه
الدولة يترددون إلى منزله على العادة ، وقد تحول لباس البغادجة إلى الخضر ، وجعلوا يحرقون كل
ما يجذونه من السواد ، فسكنوا كذلك ثمانية أيام . ثم استمرض حوائج طاهر بن الحسين فكان
أول حاجة سألها أن يرجع إلى لباس السواد ، فانه لباس آبائه من دولة ورثة الأنبياء . فلما كان
السبت الآخر وهو الثامن والعشرين من صفر جلس المأمون للناس وعليه الخضر ، ثم إنه أمر بخلع
سوداء فلبسها طاهراً ، ثم ألبس بمده جماعة من الأمراء السواد ، فلبس الناس السواد وعادوا إلى

ذلك ، فلم ينبس بذلك الطاعة والموافقة ، وقيل إنه مكث يلبس الخضره بعد قدومه بغداد سبعاً وعشرين يوماً ، فله أعلم .

ولما جاء إليه عمه إبراهيم بن المهدي بعد اختفائه ست سنين وشهوراً قال له المأمون : أنت الخليفة الأسود ، فأخذ في الاعتذار والاستغفار ، ثم قال : أنا الذي مننت عليه يا أمير المؤمنين بالعفو ، وأنشد المأمون عند ذلك :

ليس يزري السواد بالرجل الشهر * ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسواد منك نصيب * فببأس الأخلاق منك نصيب

قال ابن خلدون : وقد نظم هذا المعنى بعض المتأخرين وهو نصر الله بن قلاؤنس الاسكندري فقال :

رب سودة وهي بيضاء فعل * حسد المسك عندها الكافور
مثل حب العيون بحسبه الناس * سواداً وإنسا هو نور

وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي بعض أصحابه فقال له أحمد بن خالد الوزير الأحول : يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظراء في ذلك ، وإن عفوت عنه فلك أمير . ثم شرع المأمون في بناء قصور على دجلة إلى جانب قصره ، وسكنت الفتن والزاحات الشريرة ، وأمر بمقاسمة أهل السواد على الحسين ، وكانوا يقاسمون على النصف . واتخذ القفيز المالحم وهو عشرة مكاي بالملك الأهوازي ، ووضع شيئاً كثيراً من خراجات بلاد شتى ، ورفق بالناس في مواضع كثيرة ، وولى أخاه أبا عيسى بن الرشيد الكوفة ، وولى أخاه صالحاً البصرة ، وولى عبيد الله بن الحسين ابن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب نيابة الحرمين ، وهو الذي حج بالناس فيها . وواقع يحيى بن معاذ بابك الخرمي فلم يظفر به . وفيها توفي من الأعيان جماعة منهم :

أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي

وقد أوردنا له ترجمة مطولة في أول كتابنا طبقات الشافعيين ، ولنذكر ههنا ما يخصاً من ذلك وبالله المستعان .

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، القرشي المطلبي ، والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر ، وابنه شافع ابن السائب من صفار الصحابة ، وأمه أزدية . وقد رأته حين حملت به كأن المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ، ثم وقع في كل بلد منه شظية . وقد ولد الشافعي بغزة ، وقيل بمسقلان ، وقيل باليمن سنة خمسين ومائة ، ومات أبوه وهو صغير لما أنه إلى مكة وهو ابن سنين ثلاث يصعب نسبه ، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر ، وأفتى وهو ابن

خمس عشرة سنة . وقيل ابن ثمانى عشرة سنة ، أفن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي ، وعنى بالغة
والشعر ، وأقام في هذيل نحواً من عشر سنين ، وقيل عشرين سنة ، فتعلم منهم لغات العرب
وفصاحتها ، وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة ، وقرأ بنفسه الموطأ على مالك من
حفظه فأعجبه قراءته وحمته ، وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم بن خالد الزنجي . وروى
عنه خلق كثير قد ذكرنا أسماء مرتبين على حروف المعجم ، وقرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين
عن شبل عن ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله (ص) عن
جبريل عن الله عز وجل .

وأخذ الشافعي الفقه عن مسلم بن خالد عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس وابن الزبير
بغيرهما عن جماعة من الصحابة ، منهم عمرو بن علي وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم .
وكاهم عن رسول الله (ص) . وتفقه أيضاً على مالك عن مشايخه ، وتفقه به جماعة قد ذكرناهم ومن
بعدهم إلى زماننا في تصديف مفرد . وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي بشر الدولابي عن محمد بن
إدريس وراق الحميدي عن الشافعي أنه ولي الحكم بنجران من أرض اليمن ، ثم تمصّبوا عليه
وشوا به إلى الرشيد أنه يروم الخلافة . فحمل على بفل في قيد إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين
ومائة وعمره ثلاثون سنة ، فاجتمع بالرشيد فتنناظر هو ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد ، وأحسن
القول فيه محمد بن الحسن ، وتبين للرشيد براءته مما نسب إليه ، وأنزله محمد بن الحسن عنده . وكان
أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنة ، وقيل بسنتين ، وأكرمه محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعي
وقر بدير ، ثم أطلق له الرشيد ألفي دينار وقيل خمسة آلاف دينار . وعاد الشافعي إلى مكة ففرق عامة
ما حصل له في أهله وذوي رحمه من بني عمه ، ثم عاد الشافعي إلى العراق في سنة خمس وتسعين ومائة ،
فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو نوح والحسين بن علي الكرابيسي ،
والخارث بن شريح البقال ، وأبو عبد الرحمن الشافعي ، والزعفراني ، وغيرهم . ثم رجع إلى مكة ثم
رجع إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة ، ثم انتقل منها إلى مصر فأقام بها إلى أن مات في هذه
السنة ، سنة أربع ومائتين . وصنف بها كتابه الأم وهو من كتبه الجديدة لأنها من رواية الربيع
ابن سليمان ، وهو مصري . وقد زعم إمام الحرمين وغيره أنها من القديم ، وهذا بعيد ومجيب من
مثله والله أعلم .

وقد أتني على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله أن يكتب له
كتاباً في الأصول فكتب له الرسالة ، وكان يدعو له في الصلاة دائماً ، وشيخه مالك بن أنس وقتيبة
ابن سعيد . وقال : هو إمام . وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان ، وكان يدعو له أيضاً في

صلاته . وأبو عبيد ، وقال : ما رأيت أفصح ولا أعتل ولا أروع من الشافعي . ويحيى بن اكنم القاضي ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن الحسن ، وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم .

وكان أحمد بن حنبل يدعوله في صلاته نحواً من أربعين سنة ، وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن شر أحبل بن يزيد عن أبي غلقة عن أبي هريرة عن النبي (ص) : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » . قال فعمربن عبد المزيز على رأس المائة الأولى ، والشافعي على رأس المائة الثانية . وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا جعفر بن سليمان عن نصر بن معبد الكندي - أو العبدى - عن الجارود عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله (ص) : « لا تسبوا قرىشان عالمها بملأ الأرض علماً ، اللهم إنك إذ أذقت أولها عذاباً ودبالاً فأذق آخرها نوالاً » . وهذا غريب من هذا الوجه ، وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة عن النبي (ص) بنحوه . قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد الأسفراييني : لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعي . حكاه الخطيب . وقال يحيى بن معين عن الشافعي : هو صدوق لا بأس به . وقال مرة : لو كان الكلب له مباحاً مطلقاً لكانت مروءته تمنحه أن يكذب . وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : الشافعي فقيه البدن ، صدوق اللسان . وحكى بمضهم عن أبي زرعة أنه قال : ما عند الشافعي حديث غلط فيه . وحكى عن أبي داود نحوه .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة - وقد سئل هل سنة لم تبلغ الشافعي ؟ - فقال : لا . ومعنى هذا أنها تارة تبلغه بسندها ، وتارة مرسله ، وتارة منقطعة كما هو الموجود في كتبه والله أعلم . وقال حرمله : سمعت الشافعي يقول : سميت ببغداد ناصر السنة . وقال أبو نور : ما رأينا مثل الشافعي ولا هو رأى مثل نفسه . وكذا قال الزعفراني وغيره . وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي : للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره ، من شرف نسبه ، وصحة دينه ومعتقده ، وسخاوة نفسه ، ومعرفته بصحة الحديث وسقمة وناسخه ومفسوخه ، وحفظه الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصليف ، وجودة الأصحاب والتلامذة ، مثل أحمد بن حنبل في زهده وورعه ، وإقامته على السنة . ثم سرد أعيان أصحابه من البغدادية والمصريين ، وكذا عبد أبو داود من جملة تلاميذه في الفقه أحمد بن حنبل . وقد كان الشافعي من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة ، وأشد الناس نزوعاً للدلائل منها ، وكان من أحسن الناس قصداً وإخلاصاً ، كان يقول : وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إلى شيء منه أبداً فأوجر عليه ولا يحمدوني . وقد قال غير واحد عنه : إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله (ص) ، فقولوا به ودعوا قولي ، فأني أقول به ، وإن لم تسمعوا مني .

وفي رواية فلا تقلدوني . وفي رواية فلا تلتفتوا إلى قولي . وفي رواية فاضربوا بقولي عرض الحائط ، فلا قول لي مع رسول الله (س) . وقال : لأن ياتي الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء . وفي رواية خير من أن يلقاه بعلم الكلام . وقال : لو علم الناس مافى الكلام من الأهواء لغروا منه كما يغرون من الأسد . وقال : حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید ، ويطاف بهم في القبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال ابو يعقوب : سمعت الشافعي يقول : عليكم بأصحاب الحديث فانهم أكثر الناس صواباً . وقال : إذا رأيتم رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيتم رجلاً من أصحاب رسول الله (س) ، جزاهم الله خيراً ، حفظوا لنا الأصل ، فلهم علينا الفضل . ومن شعره في هذا المعنى قوله :
كل العلوم سوى القرآن مشغلة * إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا * وما سوى ذا . وسواس الشياطين
وكان يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر . وقد روى عن الربيع وغير واحد من رؤس أصحابه ما يدل على أنه كان يربى بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ، على طريقة السلف . وقال ابن خزيمة : أنشدني المزي وقال أنشدنا الشافعي لنفسه قوله :

ما شئتَ كان وإن لم أشأ * وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت * ففي العلم يجري الفتى والمن
فهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تمن

وقال الربيع : سمعت الشافعي يقول : أفضل الناس بعد رسول الله (س) ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . وعن الربيع قال : أنشدني الشافعي :

قد عوج الناس حتى أخذوا بآعاً * في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم * وفي الذي حملوا من حق شغل

وقد ذكرنا من شعره في السنة وكلامه فيها وفيما قال من الحكم والمواعظ طرفاً صالحاً في الذي كتبه في أول طبقات الشافعية . وقد كانت وفاته بمصر يوم الخميس ، وقيل يوم الجمعة ، في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ، وعن أربع وخمسين سنة ، وكان أبيض جليلاً طويلاً مهيباً يخضب بالحناء ، مخالفًا لاشيعة رحمة الله وأكرم مشواه .

وفيهما توفي : إسحاق بن الفرات ، وأشهب بن عبد العزيز المصري المالكي . والحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي الحنفي . وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند ، أحد الحفاظ . وأبو بدر شجاع بن الوليد . وأبو بكر الحنفي . وعبد الكريم . وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف . والنضر بن شمير أحد أئمة اللغة . وهشام بن محمد بن السائب الكلبي أحد علماء التاريخ .

ثم دخلت سنة خمس ومائتين

فبها ولى المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نيابة بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى عمل المشرق ، ورضى عنه ورفع منزلته جداً ، وذلك لأجل مرض الحسن بن سهل بالسواد . وولى المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن معاذ . وقدم عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى بغداد في هذه السنة ، وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نصر بن شبث . وولى المأمون عيسى ابن يزيد الجلودى مقاتلة الرط . وولى عيسى بن محمد بن أبي خالد أذربيجان . ومات نائب مصر السرى بن الحكم بها ، ونائب السند داود بن يزيد ، فولى مكانه بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف درهم . وحج بالناس فيها عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها توفي من الأعيان : إسحاق بن منصور السلولى . وبشر بن بكر الدمشقي . وأبو عامر العقدي . ومحمد بن حبيب الطنافسى . ويزعوب الحضرى . وأبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن عطية ، وقيل عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية ، وقيل عبد الرحمن بن عسكر أبو سليمان الداراني ، أحد أئمة العلماء العاملين ، أصله من واسط سكن قرية غربي دمشق يقال لها داريا .

وقد سمع الحديث من سفيان الثوري وغيره ، وروى عنه أحمد بن أبي الخوارى وجماعة . وأسند الحفاظ ابن عساكر من طريقه قال : سمعت على بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد يقول سمعت إبراهيم بن آدم يقول سمعت ابن عجلان يذكر عن القمطاع بن حكيم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) : « من صلى قبل الظهر أربعمائة غفر الله ذنوبه يومه ذلك » . وقال أبو القاسم القشيري : حكى عن أبي سليمان الداراني قال : اختلفت إلى مجلس قاص فأنثر كلامه في قلبي ، فلما قلت لم يبق في قلبي منه شيء ، فعدت إليه ثانية فأنثر كلامه في قلبي بعد ما قلت وفي الطريق ، ثم عدت إليه ثالثة فأنثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي ، فكسرت آلات المخالقات ولزمت الطريق ، فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال : عصفور اصطاد كركيا - يعنى بالعصفور القاص والكركي أبا سليمان - وقال أحمد بن أبي الخوارى سمعت أبا سليمان يقول : ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر ، فإذا سمع به في الأثر عمل به فكان نوراً على نور . وقال الجنيد قال أبو سليمان ربما يقع في قلبي الشكنة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهد من عدلين : الكتاب والسنة .

قال : وقال أبو سليمان : أفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال لكل شئ علم وعلم الخلدان ترك البكاء من خشية الله . وقال : لكل شئ صدأ وصدأ نور القلب شيع البطن . وقال كل ما شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو شؤم . وقال : كنت ليلة في الحراب أدعو ويداى ممدودتان فغلبنى البرد فضممت إحداهما وبيت الأخرى مبسوطة أدعوبها ، وغلبتني عيني فممت ففتفت بي هاتفت : يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها ، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها . قال : فأليت على نفسى ألا أدعو إلا ويداى خارجتان ، حرآ كان أو بردآ . وقال : تمت ليلة عن وردى فاذا أنا بحوراء تقول لى : تنام وأنا أربى لك في الخدور منذ خمسمائة عام ؟ وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول : إن في الجنة أنهارآ على شاطئها خيام فيهن الخور ، يلشئ الله خلق الحوراء إنشاء ، فاذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهم الخيام ، الواحدة منهن جالسة على كرسى من ذهب ميل في ميل ، قد خرجت هيجزتها من جانب الكرسى ، فيجس أهل الجنة من قصورهم ينزهون على شاطئ تلك الأنهار ما شاؤا ثم يخلو كل رجل بواحدة منهن . قال أبو سليمان : كيف يكون في الدنيا حال من يريد افتضاض الأبقار على شاطئ تلك الأنهار في الجنة .

وقال : سمعت أبا سليمان يقول : ربما مكثت خمس ليال لا أقرأ بعد الفاتحة بآية واحدة أتفكر في معانيها ، وربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل ، فسبحان من يرد به . وسمعت يقول : أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ، ومفتاح الدنيا الشيع ، ومفتاح الآخرة الجوع . وقال لى يوماً : يا أحمد جوع قليل وعزى قليل وفقر قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا . وقال أحمد : اشتهى أبو سليمان يوماً رغيفاً حارآ بملح لجنته به فعض منه عضه ثم طرحه وأقبل يبكي ويقول : يارب محبت لى شهوى ، لقد أطمت جهدى وشقوتى وأنا نائب ؟ فلم يبق الملع حتى لحق بالله عز وجل . قال : وسمعت يقول : ما رزيت عن نفسى طرفه عين ، ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضعونى كاتضاعى عند نفسى ما قدروا . وسمعت يقول : من رأى لنفسه قيمة لم يبق حلاوة الخدمة . وسمعت يقول : من حسن ظنه بالله ثم لم يخفه ويطمه فهو مخدوع . وقال : يلبنى للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء ، فاذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب . وقال لى يوماً : هل فوق الصبر منزلة ؟ فقالت : نعم - يعنى الرضا - فصرخ صرخة فشى عليه ثم أفاق فقال : إذا كان الصابرون يوفون أجورهم بنير حساب ، فما ظنك بالآخرى وهم الذين رضى عنهم . وقال : ما يسرى أن لى الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أنفقه في وجوه البر ، وإنى أغفل عن الله طرفه عين . وقال : قال زاهد زاهد : أوصنى ، فقال : لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ، فقال : زدنى . فقال : ما عندى زيادة . وقال من أحسن في نهاره كوفى في ليله ، ومن أحسن في ليله كوفى في نهاره ، ومن صدق في

ترك شهوة أذهبها الله من قلبه ، والله أكرم من أن يمنب قلباً بشهوة تركت له . وقال : إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة ، وإذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة ، لأن الدنيا لثيمة والآخرة كريمة ، وما يلينى للكرم أن يراحم لثمتها .

وقال أحمد بن أبي الخوارى : بت ليلة عند أبي سليمان فسمعته يقول : وعزتك وجلالك لمن طالبتنى بذنوبى لأطالبنك بمفوك ، وأثن طالبتنى ببخل لأطالبنك بكرمك ، وأثن أمرت بى إلى النار لأخبرن أهل النار أنى أحببك . وكان يقول : لو شك الناس كلهم فى الحق ما شككت فيه وحدى . وكان يقول : ما خلق الله خلقاً أهون على من إبليس ، ولولا أن الله أمرنى أن أتموذه منه .

اتموذت منه أبداً ، ولو تبدى لى ما علمت إلا صفة وجهه . وقال : إن الصل لا ينجى إلى خربة ينتب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أى مكان شاء ، وإنما ينجى إلى البيت المعمور ، كذلك إبليس لا ينجى إلا إلى كل قلب عامر ليستنزله ويتزله عن كرسية ويسلبه أعز شئ . وقال : إذا أخلص العهد انقطعت عنه الوسوس والرؤيا . وقال : الرؤيا - يعنى الجنابة - قال : مكثت عشرين سنة لم أحتمل فدخلت مكة فماتتني صلاة المشاء فاحتلمت تلك الليلة . وقال : إن من خلق الله قوماً لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشغلون بالدنيا عنه ؟ وقال : الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة فما الزهد فيها ، وإنما الزهد فى الجنان والخور المين ، حتى لا يرى الله فى قلبك غيره . وقال الجنيد : شئ يروى عن أبي سليمان أنا استحسنته كثيراً قوله : من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ، ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس . وقال : خير السخاء ما وافق الحاجة . وقال : من طلب الدنيا حلالاً واستغناء عن المسألة واستغناء عن الناس لقي الله يوم يلقاه وجهه كالقمر لisle البدر ، ومن طلب الدنيا حلالاً وما خيراً ومكائراً لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان . وقد روى نحو هذا مرفوعاً . وقال : إن قوماً طلبوا الغنى فى المال وجمعوا فأخطأوا من حيث ظنوا ، ألا وإنما المعنى فى القناعة ، وطلبوا الراحة فى الكثرة وإنما الراحة فى القلة ، وطلبوا الكرامة من انطلق وإنما هى فى التقوى ، وطلبوا التنعم فى اللباس الرقيق اللين ، والطعام الطيب ، والمسكن الأنيق المنيف ، وإنما هو فى الاسلام والايمان والعمل الصالح والستر والعافية وذكر الله . وقال : لولا قيام الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وما أحب الدنيا لغرس الأشجار ولا لكرى الأنهار . وإنما أحبها لصيام المواجر وقيام الليل . وقال : أهل الطاعة فى ليلىهم أذن أهل اللهو فى لحوهم . وقال : ربما استقبلنى الفرح فى جوف الليل ، وربما رأيت القلب يضحك ضحكاً . وقال : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً فأقول : إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لافى عيش طيب .

وقال أحمد بن أبي الخوارى : سمعت أبا سليمان يقول : بينا أنا ساجد إذ ذهب بى النوم فاذا

أنا بها - يعنى الحوراء - قد ركضتني برجلها فقالت : حبيبي أترقد عينك والملك يقظان ينظر إلى المتهمجين في تهجدهم ؟ يؤسا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز ، قم فقد دنا الفراغ ولقي الحبون بعضهم بعضا ، فما هذا الرقاد ؟ حبيبي وقرة عيني أترقد عينك وأنا أترقب لك في الحدو ومنذ كذا وكذا ؟ قال : فوثبت فزعا وقد عرقت حياء من تو بيخها إياي ، وإن حلاوة منطقة ما لي سمعي وقلبي . وقال أحمد : دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي فقلت : مالك ؟ فقال : زجرت الباهرحة في منامي . قلت : ما الذي زجرك ؟ قال : بينا أنا نائم في محرابي إذ وقعت على جارية تفوق الدنيا حسنا ، وبيدها ورقة وهي تقول : أننام يا شبيب ؟ فقلت : من غلبت عينه نام . قالت : كلا إن طالب الجنة لا ينام ، ثم قالت : أترأ ؟ قلت : نعم ، فأخذت الورقة من يدها فإذا فيها مكتوب :

لمت بك لذة عن حسن عيش * مع الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها * وتنعّم في الجنان مع الحسان
تتقّط من منامك إن خيرا * من النوم التهجد في القرآن

وقال أبو سليمان : أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم ؟ وقال أيضا : لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه ، فإذا لم يبق في قلبه شيء من الشهوات جازله أن يظهر إلى الناس الزهد بلبس العبا فإنها علم من أعلام الزهاد ، ولو لبس ثوبين أبيضين ليستر بهما أبصار الناس عنه وعن زهده كان أسلم زهده من لبس العبا . وقال : إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف فليس بصوفي ؛ وخيار هذه الأمة أصحاب القطن ، أبو بكر الصديق وأصحابه ، وقال غيره : إذا رأيت ضوه الفقير في لباسه فاغسل يديك من فلاحه . وقال أبو سليمان : الأخ الذي يهظك برؤيته قبل كلامه ، وقد كنت أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فأتفجع برؤيته شهرا . وقال أبو سليمان قال الله تعالى : عبادي إنك ما استحيت مني أنسيت الناس عيوبك ، وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت زلاتك من أم الكتاب ولم أناقشك الحساب يوم القيامة . وقال أحمد : سألت أبا سليمان عن الصبر فقال : والله إنك لا تقدر عليه في الذي تحب فكيف تقدر عليه فيما تكره ؟ وقال أحمد تنهدت عنده يوما فقال : إنك مسؤول عنها يوم القيامة ، فإن كانت على ذنب سلف فطوبى لك ، وإن كانت على فوت دنيا أو شهوة فويل لك . وقال إنما رجعت من رجعت من الطريق قبل وصول ، ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا . وقال إنما عصي الله من عصاه لموانهم عليه ، ولو عزوا عليه وكرموا لحجزهم عن مفاصيه وحال بينهم وبينها . وقال : جالساه الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصالا الكرم والحلم والملم والحكمة والرأفة والرحمة والفضل والصنح والاحسان والبر والمعو واللفظ .

وذكر أبو عبد الرحمن السلي في كتاب عن المشايخ أن أبا سليمان الداراني أخرج من دمشق

وقالوا : إنه يرى الملائكة ويكلمونه ، فخرج إلى بعض النخور فرأى بعض أهل الشام في منامه أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا . فخرجوا في طلبه وتشفعوا له وتذللوا له حتى رده .
وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال فقيـل : مات سنة أربع ومائتين ، وقيل سنة خمس ومائتين ، وقيل خمس عشرة ومائتين ، وقيل سنة خمس وثلاثين ومائتين فله أعلم . وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان : لقد أصيب به أهل الاسلام كاهم . قلت : وقد دفن في قرية داريا في قبلتها ، وقبره بها مشهور وعاليه بناء ، وقبانه مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر النهرواني ، ووقف على المتيبين عنده وفقاً يدخل عليهم منه غلة ، وقد جدد مزاره في زماننا هذا . ولم أر ابن عساكر تعرض لموضع دفنه بالكليـة ، وهذا منه عجيب . وروى ابن عساكر عن أحمد بن أبي الحواري قال كنت أشتـمى أن أرى أباسلميان في المنام فرأيتـه بعد سنة فقلت له : ما فعل الله بك يا معلم ؟ فقال : يا أحمد دخلت يوماً من باب الصغير فرأيت حمل شيخ فأخذت منه عوداً فخادري فخلت به وأورميتـه ، فأناني حسابه إلى الآن . وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحو من سنتين رحمهما الله تعالى

ثم دخلت سنة ست ومائتين

فيها ولي المأمون داود بن ماسجور بلاد البصرة وكور دجلة والجمامة والبحرين ، وأمره بمحاربة الزط . وفيها جاء مد كثير ففرق أرض السواد وأهلك للناس شيئاً كثيراً . وفيها ولي المأمون عبد الله ابن طاهر بن الحسين أرض الرقة وأمره بمحاربة نصر بن شيبث ، وذلك أن نائبه يحيى بن معاذ مات وقد كان استخلف مكانه ابنه أحمد فلم يمض ذلك المأمون ، واستناب عليها عبد الله بن طاهر لشهامته وبصره بالأمر ، وحنه على قتال نصر بن شيبث ، وقد كتب إليه أبوه من خراسان بكتاب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الكتاب والسنة . وقد ذكره ابن جرير بطوله ، وقد تداوله الناس بينهم واستحسنوه ونهادوه بينهم ، حتى بلغ أمره إلى المأمون فأمر فقرأ بين يديه فاستجاده جـداً ، وأمر أن يكتب به نسخ إلى سائر العمال في الأقاليم . وحج بالناس عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين . وفيها وفي إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حنيفة صاحب كتاب المبتدأ . وحجاج بن محمد الأعور . وداود بن المحبر الذي وضع كتاب العقل . وسبابة بن سوار (شهابية) ومهاضر بن المورـد . وقطرب صاحب المثلث في اللغة . ووهـب بن جرير . وبزيد بن هارون شيخ الامام أحمد .

ثم دخلت سنة سبع ومائتين

فيها خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد ، وذلك لما أساء العمال السيرة وظلموا الرعايا ، فلما ظهر بأيمه الناس فبعث إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب أمان لعبد الرحمن هذا إن هو سمع

، أطاع ، لحضروا الموسم ثم ساروا إلى اليمن وبعثوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع وأطاع وجاء حتى وضع يده في يد دينار ، فساروا به إلى بغداد ولبس السواد فيها .
وفي هذه السنة توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق وخراسان بكاملها ، وجد في فراشه ميتاً بعد ما صلى العشاء الآخرة والنف في الفراش ، فاستبطل أهل خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه أخوه وعنه فوجداه ميتاً ، فلما بلغ موته المأمون قال : لا يدين ولا نعم الحمد لله الذي قدمه وأخرنا . وذلك أنه بلغه أن طاهراً خطب يوماً ولم يدع المأمون فوق المنبر ، ومع هذا ولي ولده عبيد الله مكانه وأضاف إليه زيادة على ما كان ولده أبيه الجزيرة والشام نيابة فاستخلف على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبع سنين . ثم توفي طلحة فاستقل عبد الله بجميع تلك البلاد ، وكان نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم وكان طاهر بن الحسين هو الذي انتزع بغداد والعراق من يد الأميين وقتله ، وقد دخل طاهر يوماً على المأمون فسأله حاجة فقضاها له ، ثم نظر إليه المأمون واغترى عيناها فقال له طاهر : ما يبيحك يا أمير المؤمنين ؟ فلم يجبه ، فأعطى طاهر حسينا الخادم مائتي ألف درهم حتى استلم له مما بكى أمير المؤمنين فأخبره المأمون وقال لا تخبر به أحداً (وإلا) أفنك ، إلى ذكرت قتله لأخى وما ناله من الإهانة على يدي طاهر ، والله لا تفوته مني . فلما تحقق طاهر ذلك سعى في النقلة من بين يدي المأمون ، ولم يزل حتى ولده خراسان وأطلق له خادماً من نخدمه ، وعهد المأمون إلى الخادم إن رأى منه شيئاً يريه أن يسمه ، ودفع إليه سما لا يطلق . فلما خطب طاهر ولم يدع للمأمون سمه الخادم في كاخ فأت من ليلته . وقد كان طاهر هذا يقال له ذو اليمينين ، وكان أعور بفرد عين . فقال فيه عمرو بن نباتة :

يا ذا اليمينين وعين واحدة * نقصان عين ويمين زائدة
واختلف في معنى قوله ذو اليمينين فقيس لأنه ضرب رجلاً بشماله فقد نصفين ، وقيل لأنه ولي العراق وخراسان . وقد كان كريماً ممدحاً يحب الشعراء ويعطيهم الجزيل ، ركب يوماً في حراقة فقال فيه شاعر : -

حجبت لمراقبة ابن الحسين * لا غرقت كيف لا تفرق
وبحرائر من فوقها واحدة * وآخر من فتحها مطبق
وأعجب من ذلك أعوادها * وقد مشها كيف لا تورق
فأجازته بثلاثة آلاف دينار . وقال ابن زدنك : قال ابن خلدكان : وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بعض الرؤساء وقد ركب البحر :
ولما امتطى البحر ابتهل نصراً * إلى الله يا مجري الرياح بلطف

جملت النداء من كفر مثل وجهه * فسلمه واجمل موجه مثل كفره

مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لحس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين ، وكان مولده سنة سبع وخمسين ، وكان الذي سار إلى ولده عبد الله إلى الرقة يعز به في أبيه ويهنيه بولاية تلك البلاد ، القاضي يحيى بن أكنم عن أمر المأمون . وفيها غلا السمر ببغداد والكوفة والبصرة ، حتى بلغ سعر القفيز من الخنطة أربعين درهما . وفيها حج بالناس أبو علي بن الرشيد آخر المأمون . وفيها توفي بشر بن عمر الزهراني . وجعفر بن عون . وعبد الصمد بن عبد الوارث . وقراد ابن نوح . وكثير بن هشام . ومحمد بن كناسة . ومحمد بن عمر الواقدي قاضي بغداد وصاحب السير والمغازي . وأبو النصر هاشم بن القاسم . والهيثم بن عدي صاحب التصانيف .

يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور

أبوزكريا الكوفي نزيل بغداد مولى بني سعد المشهور بالفراء شيخ النجاة واللغويين والقراء ، كان يقال له أمير المؤمنين في النحو ، وروى الحديث عن حازم بن الحسن البصري عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك . قال : « قرأ رسول الله ص » ، وأبو بكر وعمر وعثمان مالك يوم الدين بألف » رواه الخطيب قال : وكان ثقة إماماً . وذكر أن المأمون أمره بوضع كتاب في النحو فأملأه وكتبه الناس عنه ، وأمر المأمون بكتبه في الخزانة ، وأنه كان يؤدب ولديه ولبي العهد من بعده ، فقام يوماً فابتدأهما أيهما يقدم لعليه ، فتنازعا في ذلك ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما أملاً ، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار ، والفراء عشرة آلاف درهم . وقال له : لا أعز منك إذ يقدم لعليك ولدا أمير المؤمنين ووليا العهد من بعده . وروى أن بشر المريسي أو محمد بن الحسن سأل الفراء عن رجل سها في سجدتي السهو فقال : لا شيء عليه . قال : ولم ؟ قال : لأن أحماذا قالوا المصفر لا يصفر . فقال : ما رأيت أن امرأة تلد مثلك . والمشهور أن محمد آ هو الذي سأله عن ذلك وكان ابن خالة الفراء ، وقال أبو بكر بن محمد بن يحيى الصوكي : توفي الفراء سنة سبع ومائتين . قال الخطيب : كانت وفاته ببغداد ، وقيل بطريق مكة ، وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنفاته .

ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

فيها ذهب الحسن بن الحسين بن مصعب أخو طاهر طاراً من خراسان إلى كرمان فقص بها ، فسار إليه أحمد بن أبي خالد فحاصره حتى نزل قهرآ ، فذهب به إلى المأمون ففنا عنه فاستحسن ذلك منه . وفيها استغنى محمد بن سباعة من القضاء فأعفاه المأمون وولى مكانه إسماعيل بن حاد بن أبي حنيفة . وفيها ولى المأمون محمد بن عبد الرحمن الخزومي القضاء بمسكر المهدي في شهر المحرم ، ثم عزله عن قريب وولى مكانه بشر بن سعيد بن الوليد الكندي في شهر ربيع الأول منها . فقال الخزومي في ذلك : -

ألا أيها الملك الموحد ربّه • قاضيك بشر بن الوليد حار
ينفى شهادة من يدين بما يد • نطق الكتاب وجاءت الأخبار
وإمد عدلاً من يقول بانه • شيخ تحيط بجسمه الأقطار
وفيه حج بالناس صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون .

وفيه توفى من الأعيان : الأسود بن عامر . وسعيد بن عامر . وعبد الله بن بكر أحد مشايخ
الحديث . والفضل بن الربيع الحاجب . ومحمد بن مصعب . وموسى بن محمد الأمين الذى كان قد
ولاه العهد من بعده ولقبه بالناطق فلم يتم له أمره حتى قتل أبوه وكان ما كان كما تقدم . ويحيى بن
أبي بكر . ويحيى بن حسان . ويعقوب بن إبراهيم الزهرى . ويونس بن محمد المؤدب .

وفاة السيدة نفيسة

وهى نفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبي طالب ، القرشية الهاشمية ،
كان أبوها نائباً للمنصور على المدينة النبوية خمس سنين ، ثم غضب المنصور عليه فزله عنها وأخذ
منه كل ما كان يملكه وما كان جمعه منها ، وأودعه السجن ببغداد . فلم يزل به حتى توفى المنصور
فأطلقه المهدي وأطلق له كل ما كان أخذ منه ، وخرج معه إلى الحج فى سنة ثمان وستين ومائة ، فلما
كان بالحاجر توفى عن خمس وثمانين سنة . وقد روى له النسائى حديثه عن عكرمة عن ابن عباس
« أن رسول الله (س) ، احتجم وهو محرم » . وقد ضمه ابن معين وابن عدى ، ووقع ابن حبان .
وذكره الزبير بن بكار وأثنى عليه فى رياسته وشهامته . والمقصود أن ابنته نفيسة دخلت الديار
المصرية مع زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر ، فأقامت بها وكانت ذات مال فأحصلت إلى النباه والجفدى
والزمنى والمرضى وعموم الناس ، وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير . ولما ورد الشافعى مصر أحسنت
إليه وكان ربهما صلى بها فى شهر رمضان . وحين مات أمرت بمجازته فأدخلت إليها المنزل فصلت
عليه . ولما توفيت عزم زوجها إسحاق بن جعفر أن ينقلها إلى المدينة النبوية ففهم أهل مصر من
ذلك وسألوه أن يدفنها عندهم ، فدفنت فى المنزل الذى كانت تسكنه بمحلة كانت تعرف قديماً بدرب
السباع بين مصر والقاهرة ، وكانت وفاتها فى شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكره ابن خلكان .
قال : ولأهل مصر فيها اعتقاد . قلت : وإلى الآن قد بالغ العامة فى اعتقادهم فيها وفى غيرها كثيراً
جداً ، ولا سيما عوام مصر فأنهم يطلقون فيها عبارات بشيمة مجازفة تؤدى إلى الكفر والشرك ،
واللفظ كثيرة ينبى أن يعرفوا أنها لا تجوز . وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من
سلالته . والذى ينبى أن يعتد فيها ما يلىق بمثلها من النساء الصالحات ، وأصل عبادة الأصنام من
المغلاة فى القبور وأصحابها ، وقد أمر النبي (س) بتسوية القبور وطمسها ، والمغلاة فى البشر حرام .

ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بذيئ مشيئة الله فهو مشرك . رحما الله وأكرمها .

الفضل بن الربيع

ابن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان ، كان الفضل هذا متمكناً من الرشيد ، وكان زوال دولة البرامكة على يديه ، وقد زرمرة للرشيد ، وكان شديد التشبه بالبرامكة ، وكانوا يتشبهون به ، فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم . وذكر ابن خلكان أن الفضل هذا دخل يوماً على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه ، ومع الفضل عشر قصص فلم يقص له منها واحدة ، فجمعهم الفضل بن الربيع وقال : ارجعن خائبات خاسبات ثم نهض وهو يقول :

عَسَى وَعَسَى يَنْقِي الزَّمَانُ عِثَانَهُ * بتصرفٍ حالٍ والزمانُ عنورُ

فَتَقْضَى لِبَنَاتٍ وَتَشْفَى حَزَانَتُهُ * ويُحَدِّثُ مِنْ بَعْدِ الْأُمُورِ أُمُورُ

فسمعه الوزير يحيى بن خالد فقال له : أقسمت عليك لما رجعت ، فأخذ منه القصص فوقع عليها . ثم لم يزل يحفر خافهم حتى تمكن منهم وتولى الوزارة بعدهم ، وفي ذلك يقول أبو نواس :

ما رعى الدهر آلَ برمكٍ لما * أن رمى ملكهم بأمرٍ فظيعٍ

إن دهرآ لم يرعْ ذمّةً ليحيى * غير راعٍ ذمّام آلِ الربيع

ثم وزر من بعد الرشيد لابنه الأمين فلما دخل المأمون ببغداد اختفى فأرسل له المأمون أماناً فخرج فجاء فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه ، ثم لم يزل خاملاً حتى مات في هذه السنة ، وله

ثمان وستون سنة . ثم دخلت سنة تسع ومائتين

فيها حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شيبث بعد ما حارب به خمس سنين وضيق عليه جداً حتى أُلجأه إلى أن يطلب منه الأمان ، فكتب ابن طاهر إلى المأمون يعلمه بذلك ، فأرسل إليه أن يكتب له أماناً عن أمير المؤمنين . فكتب له كتاب أمان فترّل فأمر عبد الله بتخريب المدينة التي كان متحصناً بها ، وذهب شره ، وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأسر بابك بعض أمراء الأسلام وأحد مقدمي المساكير ، فاشتد ذلك على المسلمين . وفيها حج بالناس صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي مكة . وفيها توفي ملك الروم ميخائيل بن توفيق (جرجس) وكان له عليهم تسع سنين ، فهلكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل .

وفيها توفي من مشايخ الحديث : الحسن بن موسى الأشيب ، وأبو علي الحنفي . وحفص بن عبد الله القاضي ليسابور . وعثمان بن عمر بن فارس . ويعلى بن عبيد الطنافسي .

ثم دخلت سنة عشر ومائتين

في صفر منها دخل نصر بن شيبث ببغداد ، بهته عبد الله بن طاهر فدخلها ولم يتلقاه أحد من

الجندبل دخلها وحده ، فأنزل في مدينة أبي جعفر ثم حول إلى موضع آخر . وفي هذا الشهر غفر المأمون بجماعة من كبراء من كان بايع إبراهيم بن المهدي فمأقهم وحبسهم في المطبق ، ولما كان ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر اجتاز إبراهيم بن المهدي - وكان مخفياً مدة ست سنين وشهوراً متتالية في زى امرأة ومعه امرأتان - في بعض دروب بغداد في أثناء الليل ، فقام الحارس فقال : إلى أين هذه الساعة ؟ ومن أين ؟ ثم أراد أن يمسك فاعطاه إبراهيم خاتماً كان في يده من ياقوت ، فلما نظر إليه استراب وقال : إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن ، فذهب بهن إلى متولى الليل فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن ، فتمنع إبراهيم فكشفن عن وجهه فاذا هو هو ، ففرقه فذهب به إلى صاحب الجسر فسلمه إليه فرفعه الآخر إلى باب المأمون ، فأصبح في دار الخلافة وتقا به على رأسه والملمعة في صدره ليراه الناس ، وليلعوا كيف أخذ . فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراس عليه مدة ، ثم أطلقه ورضى عنه . هذا وقد ضلّب جماعة ممن كان سجنهم بسببه لكونهم أرادوا الفتك بالموكبين بالسجن ، فصلب منهم أربعة .

وقد ذكرنا أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون أقبه على ما كان منه ففرق له عنه إبراهيم كثيراً ، وقال : يا أمير المؤمنين إن تعاقب فيحققك ، وإن لم تفب فبفضلك . فقال : بل أعفوا إبراهيم إن القسرة تذهب الحفيظة ، والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل ، وهو أكبر مما تسأله ، فكبر إبراهيم وسجد شكراً لله عز وجل .

وقد امتدح إبراهيم بن المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالغ فيها ، فلما سمعها المأمون قال : أقول كما قال يوسف لأخوته [لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين] وذكر ابن عساكر أن المأمون لمدة عفا عن عه إبراهيم أمره أن يغنيه شيئاً فقال : إني تركته . فأمره فأخذ العود في حجره وقال : هذا مقام سرور خربت منازل ودوره • • • نمت عليه عدائته كئيباً فمأقبة أميره . ثم عاد فقال :

فحببت من الدنيا وقد ذهبت عني • لوى الدهر بي عنها وولى بها هـ
فإن أبك نفسي أبك نفساً عزيزة • وإن أحقرها أحقرها على ضنني
وإني وإن كنت المسيء بعيني • فأني بربي موقن حسن الظن
فكوت على نفسي فساداً بمقوم • علي فساد العود منك على من

قتل المأمون : أحسنت يا أمير المؤمنين حقاً . فرمى العود من حجره ووثب قائماً فزحاً من هذا الكلام ، فقال له المأمون : اجلس واسكن مرحباً بك وأهلاً ، لم يكن ذلك لشئ تنوهم ، والله لا رأيت طول أيامي شيئاً تنكره . ثم أمر له بعشرة آلاف دينار وخلع عليه ، ثم أمر له برذ جميع

ما كان له من الأموال والضياع والدور فردت إليه ، وخرج من عنده مكرماً معظماً .

عمر بن لؤي

وفي رمضان منها بنى المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل ، وقيل إنه خرج في رمضان إلى معسكر الحسن بن سهل بضم الصلح ، وكان الحسن قد عوفي من مرضه ، فنزل المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم ، فدخل بيوران في شوال من هذه السنة في ليلة عظيمة وقد أشعلت بين يديه شموع المنبر ، ونثر على رأسه الدر والجوهر ، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر . وكان عدد الجوهر منه ألف درة ، فأمر به لجمع في صينية من ذهب كان الجوهر فيها فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا نثرناه لتتلقطه الجوارى ، فقال : لا أنا أعوضن من ذلك . لجمع كله ، فلما جاءت العرس ومعها جدتها زبيدة أم أخيه الأمين - من جملة من جاء معها - فأجلست إلى جانبه فصب في حجرها ذلك الجوهر وقال : هذا نحلة مني إليك وسلي حاجتك ، فأطرقت حياء . فقالت جدتها : كلّي سيدك وسلي حاجتك فقد أمرك . فقالت : يا أمير المؤمنين أسألك أن ترضى عن عمك إبراهيم بن المهدي ، وأن ترده إلى منزله التي كان فيها ، فقال : نعم ، قالت : وأم جعفر - تعني زبيدة - تأذن لها في الحج . قال نعم ، فخلعت عليها زبيدة بذلتها الأميرية وأطلقت له قرية مقورة . وأما والد العروس الحسن بن سهل فانه كتب أسماء قراه وضياعه وأملاكه في رقاع ونثرها على الأمراء ووجوه الناس ، فن وقعت بيده رقعة في قرية منها بحث إلى القرية التي فيها نوابه فسلمها إليه ملكا خالصا . وأنفق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة إقامته عنده سبعة عشر يوما ما يعادل خمسين ألف ألف درهم . ولما أراد المأمون الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف ألف درهم ، وأقطع له البلاد الذي هو نازل بها ، وهو إقليم قم الصلح مضافاً إلى ما بيده من الاقطاعات . ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة . وفي هذه السنة ركب عبيد الله بن طاهر إلى مصر فاستقدها بأمر المأمون من يد عبيد الله بن السري بن الحكم المتغلب عليها ، واستعادها منه بعد حروب يطول ذكرها . وفيها توفي من الأعيان أبو عمرو والشيباني اللغوي واسمه إسحاق بن مراد . ومروان بن محمد الطاطري . ويحيى بن إسحاق والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين

فيها توفي أبو الجواب . وطلق بن غنام . وعبيد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب المصنف والمسند . وعبد الله بن صالح المجل .

أبو العتاهية الشاعر المشهور

واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أصله من الحجاز ، وقد كان تمشق جارية المهدي

اسمها عتبة ، وقد طلبها منه غير مرة فاذا سمح له بها لم تردده الجارية ، وتقول للخليفة : أتعطيني لرجل
ديم الخلق كان يبيع الجرار ؟ فكان يكثر الشغل فيها ، وشاع أمره واشتهر بها ، وكان المهدي
يفهم ذلك منه . واتفق في بعض الأحيان أن المهدي استدعى الشعراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو
العتاهية و بشار بن برد الأعمى ، فسمع صوت أبي العتاهية . فقال بشار للجليسه : أئمه هنا أبو العتاهية ؟
قال : نعم . فانطلق يذكر قصيدته فيها التي أولها :

ألا ما لسيدي مبالها * أدلت فأجمل إدلالها

فقال بشار لجليسه : ما رأيت أجسر من هذا . حتى انتهى أبو العتاهية إلى قوله :

أنته الخلافه منقادة * إليهم تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها

ولورامها أحد غيره * لرزالت الأرض زلزالها

ولولم تلعنه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها

فقال بشار لجليسه : انظروا أطار الخليفة عن فراشه أم لا ؟ قال : فوالله ما خرج أحد من
الشعراء يومئذ بجائزة غيره . قال ابن خلكان : اجتمع أبو العتاهية بأبي نواس - وكان في طبقة
وطبة بشار - فقال أبو العتاهية لأبي نواس : كم تعمل في اليوم من الشعر ؟ قال : بيتاً أو بيتين .
فقال : لكني أعمل المائة والمائتين . فقال أبو نواس : لملك تعمل مثل قولك :

يا عتبت مالي ولك * يا ليعني لم أرك

ولو عملت أنا مثل هذا لعملت الألف والألفين وأنا أعمل مثل قولي :

من كفر ذات حر في زئي ذي ذكر * لها محبوب لو طي وزناه

ولو أردت مني لأعجزك الدهر . قال ابن خلكان : ومن لطيف شعر أبي العتاهية :

إني صبروت إليك - * قى صرت من فرط التصابي

يحد الجليس إذا دنا * ربح التصابي في ثيابي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة . وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وقيل
ثلاث عشرة ومائتين ، وأوصى أن يكتب على قبره ببغداد :

إن عيشاً يكون آخره الموت * ت ليش معجل التنفيس

ثم دخلت سنة ثلثي عشرة ومائتين

فيها وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لمحاربة بابك الخرمي في أرض
أدر بيجان ، فأخذ جماعة من الملتفين عليه فبعث بهم إلى المأمون . وفي ربيع الأول أظهر المأمون

في الناس بدعتين فظيعتين إحداهما أطعم من الأخرى ، وهي القول بخلق القرآن ، والثانية تفضيل
على بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله . . . وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيراً فاحشاً ،
وأنتم إنما عظماء ، وفيها حجج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي . وفيها توفى أسد بن
موسى الذي يقال له أسد السنة . والحسن بن جعفر . وأبو عاصم النبيل واسمه الضحاك بن مخلد . وأبو
المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي الدمشقي . ومحمد بن يونس الفريابي شيخ البخاري .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

فيها نار رجلان عبد السلام وابن جليس نغلمان المأمون واستحوذا على الديار المصرية ، وتابعهما
طائفة من القيسية واليمانية ، فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام ، وولى ابنه العباس نيابة
الجزيرة والثغور والعواصم ، وأطلق لكل منهما ولعبد الله بن طاهر ألف ألف دينار وخمسمائة ألف
دينار . فلم يروم أكثر إطلاقاً منه ، أطلق فيه لهؤلاء الأمراء الثلاثة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف
دينار . وفيها ولى السند غسان بن عباد . وحج بالناس أمير السنة الماضية . وفيها توفى عبد الله بن
داود الجرجاني . وعبد الله بن يزيد المقرئ المصري . وعبد الله بن موسى العبسي . وعمر بن أبي سلمة
الدمشقي . وحكى ابن خلكان أن بعضهم قال : وفيها توفى إبراهيم بن ماهان الموصل النديم . وأبو
العتاهية . وأبو عمرو الشيباني النحوي في يوم واحد ببغداد : ولكنه صحح أن إبراهيم النديم توفى سنة
ثمان وثمانين ومائة . قال السهيلي : وفيها توفى عبد الملك بن هشام راوى السيرة عن ابن إسحاق .
حكاه ابن خلكان عنه ، والصحيح أنه توفى سنة ثمان عشرة ومائتين كما نص عليه أبو سعيد بن
يونس في تاريخ مصر .

العمكوك الشاعر

أبو الحسن بن علي بن جبلة الخراساني يلقب بالعمكوك ، وكان من الموالي ولد أعمى وقيل بل
أصابه جدرى وهو ابن سبع سنين ، وكان أسود أبرص ، وكان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً ، وقد أنشأ
عليه في شعره الجاحظ فن بعده . قال : ما رأيت بدويّاً ولا حضريّاً أحسن إنشاءً منه . فن ذلك قوله :

أبي من زارني مُسَكِّمًا * حَذَرًا من كل شيء جزعا
زاراً نَمَ عليه حُسْنُهُ * كيف يُخْفِي الليلُ بدرًا طلعا
رصدَ الخلوّةَ حتى أمكنتُ * ورعى السامرَ حتى هجما
ركبَ الأهوالَ في زَوْرَتِهِ * ثمَّ ما سلَّمَ حتى رجما

وهو القائل في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي :

إنما الدنيا أبو دلفٍ * بينَ مغزاهُ ومُخَضَّرِهِ
فإذا وَلَّى أبو دلفٍ * وَلَّتِ الدنيا على أثرِهِ

كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضرة
برنحيد • قبل • بكرم • بالتي • يوم • حضرة
لما بلغ المأمون هذه الأنباء • وهي قصيدة طويلة • فاحس فيها أنها لو اسقطناه المأمون فرب
منه ثم أحضر بين يديه فقال له : ويحك فصلت الناس من عيسى عليه السلام فقال : ما أغير المأمون من
أهل بيت اسعدكم الله من بين عباده ، وآثركم ما كانا عابدين ، إنما عبادته على أشكته وأقرانه
قال : والله ما أبقيت أحداً حيث تقول

كل من في الأرض من عرب • بين يديه إلى حضرة
ومع هذا فلا أستحل فذلك بهذا ، ولكن بشرتك وكفرك حيث تقول في عهد ذليل :
أنت الذي تنزل الأيام منزلاً • وتقل الدهر من حال إلى حال
وبهذه دلت على طرفي إلى أحد • إلا فصبت مرقاقي وآحل
ذلك الله بملكه ، أحسنوا السنة من • فكل حيا السنة في • وها السنة في • وفيه تودع
حبيب من عهد الحبيب الطوسي :

إنما الدنيا حبيب • وألدير حسام • فإذا آل حبيب • على الحرب السلام
ولامات حبيب هذا رثاء أبو المناهية قوله :

أما عالم أما ذاك فواسع • وفكرك • دور الجواب يحكم
وما ينفخ القبور عمران قبر • إذا كان فيه جسم بينهم
وقد أورد ابن خلكار لكوك هذا أشعرا حيدة تركناها انحصارا .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

في يوم السبت لحس ثمان من ربيع الأول منها التقى محمد بن حبيب وبالك الخرمي لعنه الله ،
مثل الخرمي خلفا كثيرا من حبشه ، وقتله أيضا ، وانهم خبة أصحاب ابن حبيب ، وبعث المأمون
إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكرم إلى عبيد الله من طاهر بغيره بين خراسان ، وبناء الجبال
وأفد يبعث وأردنية ومخارمة بالك ، فأغار القام بخراسان لكثرة أحبها إلى الصدق ، وخوف
من طاهر الطوارج . وفيه دخل أبو إسحاق بن الرشيد الديار المصرية فأنزها من يد عبيد السلام
، ابن حليس وقتلها ، وفيها خرج رجل يقال له ملال الصابي فبعث إليه المأمون اسمه العباس بن
حاجلة من الأراء فخلوا ملالا وحبوا إلى بغداد . وفيه روى المأمون على بن هشام الجليل وفم
وأفد يبعث وأفد يبعث . وفيها جمع بالنس إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عباس
وفيها تولى أحمد بن خلف الموهبي .

أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح

أبو جعفر الكاتب ولي ديوان الرسائل المأمون ، ترجمه ابن عساکر وأورد من سمره قوله
تدبر زقي المرة من غير حيلة صدرت * ويصرف الرزق عن ذني الحيلة الداهي
مأسى من غنى يوماً ولا عدم * إلا وقول عليه الحمد لله
وله أيضاً إذا قلت في شيء نعم فأتمه * فإن نعم دين على البحر واجب
وإلا قل لا تسرع بها * لثلاثة أول الناس إنك كاذب
وله : إذا المرة أفشى سره بلسانه * فلأم عليه غيره فهو أحق
إذا ضلقت صدر المرو عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر اضيق

وحسن بن محمد المروزي شيخ الامام أحمد ، وعبد الله بن الحكم المصري ، ومعاوية بن عمر

أبو محمد عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع المصري

أحد من قرأ الموطأ على مالك وتفق بهنجه ، وكان معظما ببلاد مصر ، وله بها ثروة وأموال
وافرة . وحين قدم الشافعي مصر أعطاه ألف دينار ، وجعل له من أصحابه ألفي دينار ، وأجرى عليه
وهو والد محمد بن عبد الله بن الحكم الذي صحب الشافعي ، ولما توفى في هذه السنة دفن إلى جانب
قبر الشافعي ، ولما توفى ابنه عبد الرحمن دفن إلى جانب قبر أبيه من القبلة . قال ابن خلسكان فوفى
ثلاثة أقبر الشافعي شاميهما ، وهما قبلته . رحمهم الله .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

في أواخر المحرم منها ركب المأمون في العساكر من بغداد قاصداً بلاد الروم لغزوم . واستخلف
على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلما كان بشكرية تلقاه محمد بن علي بن موسى
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من المدينة النبوية ، فأذن له المأمون في
الدخول على ابنته أم الفضل بنت المأمون . وكان معقود العقد عليها في حياة أبيه علي بن موسى ،
فدخل بها ، وأخذها معه إلى بلاد الحجاز . وتلقاه أخوه أبو إسحاق بن الرشيد من الديار المصرية قبل
وصوله إلى الموصل . وسار المأمون في جهافل كثيرة إلى بلاد طرسوس فدخلها في جمادى الأولى ،
وفتح حصنها هناك عنوة وأمر بهدمه ، ثم رجع إلى دمشق فنزلها وعمر دير مرات بسفح قيسون ، وأقام
بدمشق مدة . وحج بالناس فيها عبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي .

وفيها توفى أبو زيد الأنصاري . ومحمد بن المبارك الصوري . وقبيصة بن عقبة . وعلي بن الحسن بن
شقيق . ومكي بن إبراهيم . أبو زيد الأنصاري

فهو سعيد بن أنس بن ثابت البصري اللغوي أحمد الثقات الانبيات ويقال إنه كان يرى ليلة

القدر . قال أبو عثمان المازني : رأيت الأصمعي جاء إلى أبي زيد الأنصاري وقبل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة . قال ابن خلكان : وله مصنفات كثيرة ، منها خلق الانسان ، وكتاب الابل ، وكتاب المياه ، وكتاب الفرس والفرس ، وغير ذلك توفي في هذه السنة ، وقيل في التي قبلها أو التي بعدها ، وقد جاوز التسعين ، وقيل إنه قارب المائة . وأما أبو سليمان فقد قدمنا ترجمته .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

فيها عدا ملك الروم وهو توفيل بن ميخائيل على جماعة من المسلمين فقتلهم في أرض طرسوس نحو آ . من ألف وستمائة إنسان ، وكتب إلى المأمون فبدأ بنفسه ، فلما قرأ المأمون كتابه نهض من فوره إلى بلاد الروم عوداً على بدء وصحبته أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب الشام ومصر ، فافتتح بلاداً كثيرة صلحا وعدوة ، وافتتح أخوه ثلاثين حصناً ، وبعث بجي إلى أكنم في سرية إلى طوا . فافتتح بلاداً كثيرة وأسر خلقاً وحرق حصوناً عدة ، ثم عاد إلى المسكر . وأقام المأمون ببلاد الروم من نصف جمادى الآخرة إلى نصف شعبان ، ثم عاد إلى دمشق وقصد وثب رجل يقال له عبدوس الفهرى في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر ، فقتل على نواب أبي إسحاق بن الرشيد واتبه خلق كثير ، فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء لثمة ليلته خلت من ذى الحجة إلى الديار المصرية ، فكان من أمره ما سذكركه

وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير هقيب الصلوات الخمس ، فكان أول ما بدئ بذلك في جامع بغداد والرافقة يوم الجمعة لأربع عشر ليلة خلت من رمضان ، وذلك أنهم كانوا إذا قضاوا الصلاة قام الناس قياماً فكبروا ثلاث تكبيرات ، ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات . وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضاً بلا مستند ولا دليل ولا معتمد ، فان هذا لم يفعله قبله أحد ، ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله (ص) ، ليعلم حين ينصرف الناس من المكتوبة ، وقد استحب هذا طائفة من العلماء كابن حزم وغيره . وقال ابن بطال : المذاهب الأربعة على عدم استحبابه . قال النووي : وقد روى عن الشافعي أنه قال : إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع ، فلما علم ذلك لم يبق للجهر معنى . وهذا كما روى عن ابن عباس أنه كان يجهر في الفاتحة في صلاة الجنازة ليعلم الناس أنها سنة ، ولهذا نظر الله أعلم

وأما هذه البدعة التي أمر بها المأمون فانها بدعة محدثة لم يعمل بها أحد من السلف . وفيها وقع برد شديد جداً . وفيها حج بالناس الذي حج بهم في العام الماضي ، وقيل غيره والله أعلم . وفيها توفي جبان ابن هلال . وعبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب اللغة والنحو والشعر وغير ذلك . وعبد بن بكار بن

هلال . وهودة بن خليفة . زبيدة امرأة الرشيد وابنة عمه

وهي ابنة جعفر أم العزيز الملقبة زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية ، كانت أحب الناس إلى الرشيد ، وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر ، وكان له معها من الخطايا والجوارى والزوجات غيرها كثيراً كما ذكرنا ذلك في ترجمته ، وإنما لقب زبيدة لأن جدّها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها ويرقصها وهي صغيرة ويقول : إنما أنت زبيدة ، لبياضها ، فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به ، وأصل اسمها أم العزيز . وكان لها من الجلال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كثير . وروى الخطيب أنها حجت فباغت نفقتها في سنتين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف درهم ، ولما هنأت المأمون بالخلافة قالت : هنأت نفسي بها عنك قبل أن أدرك ، وإني كنت فقدت ابناً خليفة لقد عوضت ابناً خليفة لم أده ، وما خسر من اعتناض . تلك ، ولا شككت أم ملأت يدها منك ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ ، وإمتاعاً بما عوض . توفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين .

ثم قال الخطيب : حدثني الحسين بن محمد الخلال لفظاً قال : وحدث أبا الفتح القواس قال ثنا صدقة بن هبيرة الموصلي ثنا محمد بن عبد الله الواسطي قال قال عبد الله بن المبارك : رأيت زبيدة في المنام فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقالت غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة . قلت : فما هذه الصفرة ؟ قالت : دفن بين ظهراييننا رجل يقال له بشر المريسى زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جسدي فم هذه الصفرة من تلك الزفرة . وذكّر ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية كلن يحفظن القرآن العظيم ، غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ ، وكان يسمع لمن في القصر دوى كدوى النحل ، وكان ورد كل واحدة عشر القرآن ، وورد أنها رؤيت في المنام فسلت عما كانت تصنع من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت : ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله ، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركع في السحر . وفيها جرت حوادث وأمور يطول ذكرها .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين

في الحرم منها دخل المأمون مصر وظفر بعبدوس الفهرى فأمر فضربت عنقه ، ثم كر راجعاً إلى الشام . وفيها ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضاً فحاصر لؤلؤة مائة يوم ، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها هجيباً فخذعته الروم فأسروه فأقام في أيديهم ثمانية أيام ، ثم انفلت منهم واستمر محاصراً لهم ، فجاء ملك الروم بنفسه فأحاط بجيشه من ورائه ، فبلغ المأمون فساد إليه ، فلما أحس توفيل بقدمه هرب وبعث وزيره صنفل فسأله الأمان والمصالحة ، ولكنه بدأ بنفسه قبل المأمون فرد عليه المأمون كتاباً بليغاً مضمونه التفرغ والتوب بيبخ ، وإني إنما أقبل منك الدخول في الخليفة

والإسلاف والقتل والسلام على من اتبع الهدى وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان ابن علي . وفيها توفى الحجاج بن منهال . وشرح بن النعمان . وموسى بن داود الضبي والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين .

في أول يوم من جمادى الأولى وجه المأمون ابنه العباس إلى بلاد الروم لبناء الطرانة وتجهيز هراتها . وبعث إلى سائر الأقاليم في تجهيز الفعلة من كل بلد إليها ، من مصر والشام والعراق ، فاجتمع عليها خلق كثير ، وأمره أن يجعلها ميسلا في ميل ، وأن يجعل سودها ثلاث فراسخ ، وأن يجعل لها ثلاثة أبواب .

ذكر أول المحنة والفتنة

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والحمديين بالقول بخلق القرآن . وأن يرسل إليه جماعة منهم ، وكتب إليه يستحثه في كتاب طوله بكتب غيره قد سردها ابن جرير كلها ، ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وكل محدث مخلوق ، وهذا احتجاج لا يوافق عليه كثير من المتكلمين فضلا عن المحدثين ، فإن القائلين بأن الله تعالى تقوم به الأفعال الاختيارية لا يقولون بأن فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق ، بل لم يكن مخلوقا ، بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق ، بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة ، وما كان قائما بذاته لا يكون مخلوقا ، وقد قال الله تعالى [ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث] وقال تعالى [ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم] فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق آدم ، فالكلام القائم بالذات ليس مخلوقا ، وهذا له موضع آخر . وقد صنف البخاري كتابا في هذا المعنى سماه خلق أفعال المباد . والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد ببغداد قرئ على الناس ، وقد عين المأمون جماعة من الحمديين ليحضرهم إليه ، وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم المستملي ، يزيد بن هارون^(١) ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وإسماعيل بن أبي مسعود . وأحمد ابن الدودي . فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فانتحبهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك وأظهروا موافقته . ثم كارهون ، فرددوا إلى بغداد وأمر بأشهار أمرهم بين الفقهاء ، ففعل إسحاق ذلك . وأحضر خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء وأئمة المساجد وغيرهم ، فدعاهم إلى ذلك عن أمر المأمون ، وذكر لهم موافقة أولئك الحمديين له على ذلك ، فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم ، ووقعت بين الناس فتنة عظيمة فأن الله وإنا إليه راجعون . ثم كتب المأمون إلى إسحاق أيضا بكتاب ثان يستدل به على القول بخلق القرآن شبه من الدلائل أيضا لا نحتاج فتحها ولا حاصل لها ، بل هي من التشابه

(١) قد ذكر المؤلف وفاة يزيد بن هارون في سنة ست ومائتين ، ثم ذكره هنا في الحضرين فلا وجه إلا أن يكون خالفا هنا أو هناك .

وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه . اورد ابن جرير بذلك كله . وأمر نائبه أن يقرأ ذلك على الناس وأن يدعوه إليه وإلى القول بخلق القرآن ، فأحضر أبو إسحاق جماعة من الأئمة وهم أحمد بن حنبل ، وقتيبة ، وأبو حيان الزبدي . وبشر بن الوليد السكندی . وعيسى بن أبي مقاتل . وسعدويه الواسطي . وعلى بن الجعد . وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهرش ، وابن علي الأكبر ، وبجي ابن عبد الحميد العمري . وشيخ آخر من سلالة عمر كان قاضيا على الرقة ، وأبو نصر الثمار ، وأبو معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون . ومحمد بن نوح الجندیسابوري المضروب ، وابن الفرخان ، والنضر بن شعل . وأبو علي بن عاصم ، وأبو العوام البارد ، وأبو شجاع ، وعبد الرحمن بن إسحاق وجماعة . فلما دخلوا على أبي إسحاق قرأ عليهم كتاب المأمون . فلما فهموه قال لبشر بن الوليد : ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله . قال : ليس عن هذا أسألك . وإنما أسألك أهو مخلوق ؟ قال : ليس بمخلوق . قال : ولا عن هذا أسألك . فقال : ما أحسن غير هذا . وصمم على ذلك . فقال : تشهد أن لا إله إلا الله أحد آفرد آ لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه ؟ قال : نعم . فقال للسكاكيب : اكتب بما قال ، فكتب . ثم امتحنهم رجلا رجلا فأكثرهم امتنع من القول بخلق القرآن ، فسكان اذا امتنع الرجل منهم امتحنه بالرقعة التي وافق عليها بشر بن الوليد السكندی ، من أنه يقال لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول : نعم كما قال بشر . ولما انتهت النوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل فقال له : أتعول إن القرآن مخلوق ؟ فقال : القرآن كلام الله لا أزيد على هذا . فقال له : ما تقول في هذه الرقعة ؟ فقال أقول [ليس كمثل شيء وهو السميع البصير] فقال رجل من المعتزلة : إنه يقول : سميع بأذن بصير بعين . فقال له إسحاق : ما أردت بقولك سميع بصير ؟ فقال : أردت منها ما أراد الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك . فكتب جوابات القوم رجلا رجلا وبعث بها إلى المأمون . وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصالفة مكرها لأنهم كانوا يهزلون من لا يجيب عن وظائفه ، وإن كان له رزق على بيت المال قطع ، وإن كان مفتيا منع من الافتاء ، وإن كان شيخ حديث ردع عن الاسماع والأداء . ووقعت فتنة صماء ومحنة شتماء وداهية دهياء فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فَضِيحَةُ الْمَأْمُونِ

فلما وصلت جوابات القوم إلى المأمون بعث إلى نائبه يمدحه على ذلك ويرد على كل فرد فرد ما قال في كتاب أرسله . وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضا فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس ، ومن لم يجيب منهم فابته إلى عسكر أمير المؤمنين مقيدا محتفظا به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه

رأيه ، ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقل بقوله . فمئذ ذلك عتقد النائب ببغداد مجلساً آخر وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهدي ، وكان صاحباً لبشر بن الوليد الكندي ، وقد نص المأمون على قتلها إن لم ينجبها على الفور ، فلما امتحنهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى [إلا من أكره وقلبه معطئن بالإيمان] الآية . إلا أربعة وهم : أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، والحسن ابن حماد سجاده ، وعبيد الله بن عمر القواريري . فقبضهم وأرصد لهم ليبيت بهم إلى المأمون ، ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم فأجاب سجاده إلى القول بذلك فأطلق . ثم امتحنهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك فأطلق قيده . وآخر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجنديسابوري لأنهما أصرا على الامتناع من القول بذلك ، فأكد قيودهما وجههما في الحديد وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس ، وكتب كتاباً بارسالهما إليه . فسارا مقيدين في محارة على جمل متعادلين رضي الله عنهما . وجعل الأمام أحمد يدعو الله عز وجل أن لا يجمع بينهما وبين المأمون ، وأن لا يراه ولا يراها . ثم جاء كتاب المأمون إلى نائبه أنه قد بلغني أن القوم إنما أجابوا مكرهين متأولين قوله تعالى [إلا من أكره وقلبه معطئن بالإيمان] الآية . وقد أخطأوا في تأويلهم ذلك خطأ كبيراً ، فإرسالهم كلهم إلى أمير المؤمنين . فاستدعاهم إسحاق والزهمهم بالمسير إلى طرسوس فساروا إليها ، فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون فردوا إلى الرقة ، ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد . وكان أحمد ابن حنبل وابن نوح قد سبقا الناس ، ولكن لم يجتمعا به . بل أهلكه الله قبل وصولهما إليه ، واستجاب الله سبحانه دعاء عبده وولي الأمام أحمد بن حنبل ، فلم يريا المأمون ولا رأهما ، بل ردوا إلى بغداد . وسبأ في تمام ما وقع لهم من الأمر الفظيع في أول ولاية المعتصم بن الرشيد ، وتمايم باقي الكلام على ذلك في ترجمة الأمام أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين وبالله المستعان .

جبر الله المأمون

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين ، وأمه أم ولد يقال لها مارجل الباذغيسية ، وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفى عمه الهادي ، وولى أبوه هارون الرشيد ، وكان ذلك ليلة الجمعة كما تقدم ، قال ابن عساكر : روى الحديث عن أبيه وهاشم بن بشر ، وأبي معاوية الضرير ، ويوسف بن قحطبة ، وعبد بن الوام ، وإسماعيل بن علية ، وحجاج بن محمد الأعور . وروى عنه أبو حذيفة إسحاق بن بشر - وهو أسن منه - ويحيى بن أكرم القاضي وابنه الفضل بن المأمون ومعمربن شبيب وأبو يوسف القاضي وجعفر بن أبي عثمان العلياني وأحمد بن الحارث الشعبي - أو البزدي - وعمر بن مسعدة وعبد الله بن طاهر بن الحسين ، ومحمد بن إبراهيم السلي ودعبل بن علي الخزاعي . قال : قدم دمشق مرات وأقام بها مدة ، ثم روى ابن عساكر

من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي قال : سمعت المأمون في الشمامسة وقد أجرى الحلبة فجعل ينظر إلى كثرة الناس فقال ليحيى بن أكرم : أما ترى كثرة الناس ؟ قال : حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن النبي (ص) قال : « لا تخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفعهم لمياله » . ومن حديث أبي بكر المنابحي عن الحسين بن أحمد المالكي عن يحيى بن أكرم القاضي عن المسامون عن هشيم عن منصور عن الحسن عن أبي حنيفة أن رسول الله (ص) قال : « الحياء من الإيمان » . ومن حديث جعفر بن أبي عثمان الطيالسي أنه صلى العصر يوم عرفة خلف المأمون بالرصافة فلما سلم كبر الناس فجعل يقول : لا يا غوغاء لا يا غوغاء ، غدا التكبير سنة أبي القاسم (ص) . فلما كان الغد صعد المنبر فكبر ثم قال : أنبا هشيم بن بشير ثنا ابن شبرمة عن الشعبي عن البراء بن عازب عن أبي بردة بن دينار . قال قال رسول الله (ص) : « من ذبح قبل أن يصلي قائما هو لحم قدمه لأهله ، ومن ذبح بعد أن يصلي الغداة فقد أصاب السنة » . الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصولا ، اللهم اصلحني وأصلحني وأصلح على يدي . تولى المأمون الخلافة في الحرم لحسن بقاء منه بعدد الـ أخيه سنة ثمان وتسعين ومائة ، واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر . وقد كان فيه تشيع واعتزال وجعل بالسنة الصحيحة ، وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية العهد من بعده على الرضا بن موسى السكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وخلع السواد ولبس الخضرة كما تقدم ، فأعظم ذلك العباسيون من البغاددة وغيرهم ، وخلعوا المأمون وولوا عليهم إبراهيم بن المهدي ، ثم ظفر المأمون بهم واستقام له الحال في الخلافة ، وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المدائني فغدهوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل ، وكان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنده الباطل . ودعا إليه وحمل الناس عليه قهرا . وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته . وقال ابن أبي الدنيا : كان المأمون أبيض ربعة حسن الوجه قد خطه الشيب يعلوه صفرة أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين ، على خده خال . أمه أم ولد يقال لها مراجل . وروى الخطيب عن القاسم بن محمد بن عباد قال : لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون ، وهذا غريب جدا لا يوافق عليه ، فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء . قالوا : وقد كان المأمون ، لو في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة ، وجلس يوما لأملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى ابن أكرم وجماعة فألقى عليهم من حفظه ثلاثين حديثا . وكانت له بصيرة بعلوم متعددة ، فقها وطبا وشعرآ وفرائض وكلامآ ونحوآ وغريبه ، وغريب حديث ، وعلم النجوم . وإليه ينسب الزيج المأموني . وقد اختبر مقدار الدرجة في وطنه سنجار فاختلف عمله وعمل الأوائل من الفقهاء . وروى ابن عساکر

أن المأمون جلس يوماً للناس وفي مجلسه الأصراء والعلماء ، فجاءت امرأة تتظلم إليه فذكرت أن أخاها توفي وترك ستائة دينار ، فلم يحصل لها سوى دينار واحد . فقال لها المأمون على البديهة : قد وصل إليك حثك ، كأن أخاك قد ترك بلتين وأما وزوجة واثني عشر أخاً وأختاً واحدة وهي أنت ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين . فقال : للبنتين الثلاثان أربعائة دينار ، وللأم السدس مائة دينار ، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً ، بقي خمسة وعشرون ديناراً لكل أخ ديناران ديناران ، ولك دينار واحد . فعجب العلماء من فطنته وحده ذهنه وسرعة جوابه . وقد رويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب . ودخل بعض الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتاً من الشعر يراه عظيماً ، فلما ألتهم إياه لم يقع منه موقماً طائلاً ، فخرج من عنده محروماً ، فلقبه شاعر آخر فقال له : ألا أجيبك ! ألتشد المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأساً . فقال : وما هو ؟ قال قلت فيه :

أضفى إمام الهدى المأمون مشتغلاً * بالدين والناس بالدنيا مشاغلاً

فقال له الشاعر الآخر : ما زدت علي أن جعلته مجوزاً في محرابها . فهلا قلت كما قال جرير في عبد العزيز بن مروان :

فلا هو لي الدنيا مُضَيِّعٌ لَصِيْبَةٌ * ولا عَرَضٌ لِدُنْيَا عَنِ الدِّينِ شَاغِلَةٌ

وقال المأمون يوماً لبعض جلسائه : بيتان اثنان لاثنين ما يلحق بهما أحد ، قول أبي نواس :

إذا اختبر الدنيا لبيبٌ تكشفت * له عن عِدْوٍ في لباسٍ صديقٍ

وقول شريح : تهوُّ على الدنيا الملامة إنه * حريصٌ على استصلاحها من يلومها

قال المأمون : وقد ألقاني الزحام يوماً وأنا في الموكب حتى خالطت السوق فرأيت رجلاً في دكان عليه أبواب خلقة ، فنظر إلى نظار من يرحمى أو من يتمجب من أمرى فقال :

أرى كلَّ مغرورٍ تَمْنِيهِ نَفْسُهُ * إذا ما مضى علم سلامة قَابِلٍ

وقال يحيى بن أكنم : سمعت المأمون يوم عيّد خطب الناس لحمد الله وأثنى عليه وصلى على

الرسول (ص) ، ثم قال : عباد الله ! أعظم أمر الدارين وارتفع جزاء العالمين ، وطالت مدة الفريقتين ،

فوالله إنه لا جد لا للعب ، وإنه لا حق لا للكنب ، وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والميزان

والصراط ثم المقاب أو الثواب ، فمن نجا يومئذ فقد فاز . ومن هوى يومئذ فقد خاب . ثم أظفر كلامه في

الجنة ، والشركة في النار . وروى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال : دخلت على المأمون

فقال : كيف أصبحت يا نضر ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين . فقال : ما الارجاء ؟ فقلت دين يوافق

الملك يصيبون به من دنياهم وينقصون به من دينهم . قال : صدقت . ثم قال : يا نضر أتندري

ما قلت في صبيحة هذا اليوم ؟ قلت : إني لمن علم الغيب لمعيد . فقال قلت أبيتاً وهي :

أصبح ديني الذي أدين به • ولست منه الغداة ممتدرا
حب علي بعد النبي ولا • أشتم صديقا ولا عمرا
ثم ابن عفان في الجنان مع الـ • أبرار ذاك القتل مصطبرا
ألا ولا أشتم الزبير ولا • طلحة إن قال قائل غدرا
وعائش الام لست أشتمها • من يفتريها فنحن منه برا

وهذا المذهب ثلث مراتب الشيعة وفيه تفضيل علي على الصحابة . وقد قال جماعة من السلف والدارقطني : من فضل عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأَنْصار - يعني في اجتهادهم ثلاثة أيام ثم اتفقوا على عثمان وتقدمه على علي بعد مقتل عمر - وبعد ذلك ست عشرة مرتبة في التشيع ، على ما ذكره صاحب كتاب البلاغ الأكبر ، والناموس الأعظم ، وهو كتاب يفتى به إلى أكر الكفر . وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : لا أوتي بأحد فضلي على أبي بكر وعمر إلا جلده جلد المفترى . وتواتر عنه أنه قال : خير الناس بعد النبي -ص- ، أبو بكر ثم عمر . فقد خالف المأمون الصحابة كلهم حتى علي بن أبي طالب . وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأَنْصار ، البدعة الأخرى والطامة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على تعاطي المسكر وغير ذلك من الأفعال التي تعدد فيها المسكر . ولكن كان فيه شهامة عظيمة وقوة جسيمة في القتال وحصار الأعداء ومصارعة الروم وحصرهم ، وقتل رجالهم وسبي نسائهم ، وكان يقول : كان لعمر بن عبد العزيز وعبد الملك حجاب وأنا بنفسي ، وكان يتحرى العدل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل ، جاءت امرأة ضعيفة قد تظلمت على ابنه العباس وهو قائم على رأسه ، فأمر الحاجب فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه ، فادعت عليه بأنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها ، فتناظرا ساعة فجعل صوتها يملو على صوته ، فزجرها بعض الخاضعين فقال له المأمون : اسكت فان الحق أنطقها والباطل أسكته ، ثم حكم لها بحقتها وأغرم ابنه لها عشرة آلاف درهم

وكتب إلى بعض الأمراء : ليس المروءة أن يكون بينك من ذهب وفضة وغريمك عار ، وجارك طاو والفقر جائع . ووقف رجل بين يديه فقال له المأمون : والله لأقتلنك . فقال : يا أمير المؤمنين تأن على فان الرفق نصف ألعو ، فقال : ويلك ويحك اقد جلعت لأقتلنك ، فقال : يا أمير المؤمنين إنك إن تلق الله حائشا خير من أن تلقاه قاتلا . فمعا عنه . وكان يقول : ليت أهل الجرائم يعرفون أن منهي المفوح حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم . وركب يوما في حراقة فسمع ملاحا يقول لأصحابه : ترون هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه الأمين - يقول ذلك وهو لا يشعر بمكان المأمون - لجمع المأمون يتبسم ويقول : كيف ترون الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل

القدر؟ وحضر عند المأمون هدية بن خالد ليتغدى عنده فلما رفعت المائدة جعل هدية يلتقط ما تنثر منها من اللباب وغيره ، فقال له المأمون : أما شبعث يا شيخ؟ فقال : بلى ، حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله (ص) قال : « من أكل ماتحت مائدته أمن من الفقر » . قال فأمر له المأمون بألف دينار .

وروى ابن عساكر أن المأمون قال يوماً ل محمد بن عباد بن المهلب : يا أبا عبد الله قد أعطيتك ألف ألف ، وألف ألف ، وألف ألف وأعطيتك ديناراً . فقال : يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء ظن بالمعبود . فقال : أحسنت يا أبا عبد الله ! أعطوه ألف ألف وألف ألف وألف ألف . ولما أراد المأمون أن يدخل بيوران بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيهم الأشياء النفيسة ، وكان من جملة من يعتز به رجل من الأدباء . فأهدى إليه مژوداً فيه ملح طيب ، ومژوداً فيه أشنان جيد ، وكتب إليه : أتى كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا أذكر فيها ، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته ، وبالختوم به لطيبه ونظافته . وكتب إليه :

بِضَاعَتِي تَقْصُرُ عَنْ هَمِّي * وَهَمِّي تَقْصُرُ عَنْ مَالِي
فَالْمَلْحُ وَالْأَشْنَانُ يَأْسِدِي * أَحْسَنُ مَا يَهْدِيهِ أَمْثَالِي

قال : فدخل بها الحسن بن سهل على المأمون فأعجب به ذلك وأمر بالمزودين ففرغوا ومثلها دنانير وبعث بهما إلى ذلك الأديب . وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنئونه بصنوف التهانى ودخل بعض الشعراء فقال يهنئه بولده :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَبْنًى * حَتَّى تَرَى ابْنَكَ هَذَا جَدًّا
نَمْ يُفَدِّيْ مِثْلَ مَا تُفَدِّي * كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى
أَشْبَهُ مِنْكَ قَامَةً وَقَدْ * مَوْزَرًّا بِمَجْدِهِ مُرْدًّا

قال فأمر له بعشرة آلاف درهم . وقدم عليه وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس وشكى إلى أخيه المصمم ذلك ، فوردت عليه خزان من خراسان ثلاثون ألف ألف درهم ، ففرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال ، ومعه يحيى بن أكنم القاضي ، فلما دخلت البلد قال : ليس من المروءة أن نحوز نحن هذا كله والناس ينظرون . ثم فرق منه أربعة وعشرين ألف ألف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه . ومن لطيف شعره : -

لِسَائِي كُنْتُمْ لِأَسْرَارِكُمْ * وَدُمِّي نَحْوُ لِسَائِي مَذْبِغٍ
فَلَوْلَا دُمُوعِي كُنْتُ لِهَوْي * وَلَوْلَا هَوْيِي لَمْ تَكُنْ لِي دُمُوعٌ

بعث خادماً ليلة من الليالي ليأتيه بجارية فأطال الخادم عندها المكث ، وتمنعت الجارية من

الحجى* إليه حتى يأتى إليها المأمون بنفسه ، فانشأ المأمون يقول :

بمشتك مشتاقاً ففرت بنظرة * وأغفلتني حتى أسأت بك الظن
فناجيت من أهوى وكنيت مباحداً * فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
ورددت طرفاً في محاسن وجهها * ومثقت باستماع لغمها أذناً
أرى أثراً منه بعينيك يديناً * لقد سرقت عينك من عينيها حسناً

ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال ، فرح بذلك بشر المر يسى - وكان بشر
هَذَا شيخ المأمون - فانشأ يقول :

قد قال مأموننا وسيدنا * قولاً له في الكتب تصديق
إنّ علياً أعني أبا حسن * أفضل من قد أفلت الذوق
بعد نبي الهدى وإنّ لنا * أعمالنا ، والقراء مخلوق
فأجابه بعض الشعراء من أهل السنة :

يا أيها الناس لا قول ولا عمل * لمن يقول : كلام الله مخلوق
ما قال ذلك أبو بكر ولا عمر * ولا النبي ولم يذكره صديق
ولم يقل ذلك إلا كل مبتدع * على الرسول وعند الله زنديق
بشر أراد به إحقاق دينهم * لأنّ دينهم والله محقوق
يا قوم أصبح عقل من خليفتم * مقيداً وهو في الأغلال موثق

وقد سأل بشر من المأمون أن يطلب قائل هذا فيؤدبه على ذلك ، فقال : ويحك لو كان قعياً
لأدبته ولكنه شاعر فاستعرض له . ولما نهجز المأمون للغزو في آخر سفرة سافرها إلى طرسوس
استدعى بجارية كان يحبها وقد اشتراها في آخر عمره ، فضعها إليه فبكت الجارية وقالت : قتلني
يا أمير المؤمنين بسفرك ثم أنشأت تقول :

سأدعوك دعوة المضطر رباً * يثيب على الدعاء ويستجيب
لعل الله أن يكفيك خوفاً * ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضعها إليه وانشأ يقول متمثلاً : -

فيا حسناً إذ يفسل الدمع كحلها * وإذ هي تدرى الدمع منها الأنامل
صبيحة قالت في المتاب قتلني * وقتلي بما قالت هناك فحاول
ثم أمر سروراً بالاحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع ، ثم قال : نحن كما قال الأخطل
قوم إذا حاربوا شدوا مآزهم * دون اللسام ولو باتت باطهار

ثم ودعها وسار فرضت الجارية في غيبته هذه ، ومات المأمون أيضاً في غيبته هذه ، فلما جاء نعيه إليها تنفست الصعداء وحضرتها الوفاة وأنشأت تقول وهي في السباق :

إن الزمان سقانا من مرارتهم * بعد الحلاوة كاسات فاروانا
أبدى لنا نارة منه فأضحكننا * ثم انثى نارة أخرى فأبكنا
إننا إلى الله فيما لا يزال بنا * من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا تراها ترينا من تصرفها * ما لا يدوم بمصافاة وأحزاننا
ونحن فيها كأننا لا نزالنا * للعيش أحياء وما يسكون موتانا

كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد العصر ، ثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب من سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرًا ، وصلى عليه أخوه المعتصم وهو ولي العهد من بعده ، ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم ، وقيل كانت وفاته يوم الثلاثاء ، وقيل يوم الأربعاء لعنه الثمان بقين من هذه السنة . وقيل إنه مات خارج طرسوس بأربع مراحل فحمل إليها فدفن بها ، وقيل إنه نقل إلى أذنة في رمضان فدفن بها فالله أعلم . وقد قال أبو سعيد الخزومي : —

هل رأيت النجوم أغمت عن المأ * مون شيئاً أو ملكي المأسوس
خلفوة برصتي طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس

وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم وكتب وصيته بحضوره وبخبرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتّاب . وفيها القول بخناق القرآن ولم يثب من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يثب منه ، وأوصى أن يكبر عليه الذي يصلى عليه خمساً ، وأوصى المعتصم ببقوى الله عز وجل والرفق بالرقية ، وأوصاه أن يعتقد ما كان يعتقد أخوه المأمون في القرآن ، وأن يدعو الناس إلى ذلك ، وأوصاه بعبد الله بن طاهر وأحمد بن إبراهيم وأحمد بن أبي دواد ، وقال شاورة في أمورك ولا تفارقه ، وإياك ويحى بن أكرم أن تصحبه ، ثم نهاه عنه وذمه وقال : خائن ونفر الناس عنى ففارقته غير راض عنه . ثم أوصاه بالعلوين خيراً ، أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة

وقد ذكر ابن جرير للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة لم يذكرها ابن عساكر مع كثرة ما يورده ، وفوق كل ذي علم عليم .

خلفه من المعتصم بالله إلى ركن بن هارون

بويح له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من سنة

ثمانى عشرة ومائتين ، وكان إذ ذاك مريضاً ، وهو الذى صلى على أخيه المأمون ، وقد سعى بعض الأمراء فى ولاية العباس بن المأمون فخرج عليهم العباس فقال : ما هذا الخلف البارد ؟ أنا قد بايعت عمى المعتصم ، يسكن الناس وخذت الفتنة وركب البرد بالبيعة المعتصم إلى الأساقى ، وبالتعزية بالمأمون . فأمر المعتصم بهم ما كان بناء المأمون فى مدينة طوّانة ، ونقل ما كان حول إليها من السلاح وغيره إلى حصون المسلمين ، وأذن الفعلة بالانصراف إلى بلدانهم ، ثم ركب المعتصم بالجند قاصداً بغداد ومحبته العباس بن المأمون ، فدخلها يوم السبت مستهل رمضان فى أبهة عظيمة وتجمّل تام . وفيها دخل خلق كثير من أهل همدان وأصبهان وماسبذان وهرجان فى دين الخرمية ، فتجمع منهم بشر كثير ، فجهز إليهم المعتصم جيوشاً كثيرة آخرهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فى جيش عظيم ، وعقد له على الجبال ، فخرج فى ذى القعدة وقرئ كتابه بالفتح يوم التروية ، وأنه قهر الخرمية وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وهرب بقيتهم إلى بلاد الروم ، وعلى يدي هذا جرت فتنة الامام أحمد وضرب بين يديه كما سيأتى بسط ذلك فى ترجمة أحمد فى سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفيها توفى من الأعيان :

بشر المريسي

وهو بشر بن غياث بن أبى كريمة أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة ، وأحد من أضل المأمون ، وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً فى شيء من الفقه ، وأخذ عن أبى يوسف القاضي ، وروى الحديث عنه . حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ، ثم غلب عليه علم الكلام ، وقد نهى الشافعى عن تعلمه وتعلمه فلم يقبل منه ، وقال الشافعى : لئن يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلى من أن يلقاه به علم الكلام . وقد اجتمع بشر بالشافعى عند ما قدم بغداد . قال ابن خالكان : جدد القول بخاق القرآن وحكى عنه أقوال شذوية ، وكان مرجئياً وإليه تنسب المريسية من المرجئة ، وكان يقول : إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر ، وإنما هو علامة للكفر ، وكان ينظر الشافعى وكان لا يحسن النحو ، وكان يلحن لحناً فاحشاً . ويقال : إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المريسي ببغداد . والمريسي عندهم هو الخبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر . قال : ومريسي ناحية ببغداد الذوبة تهب عليها فى الشتاء ريح باردة . وفيها توفى عبد الله بن يوسف الشيبى ، وأبو مسهر عبد الأهل بن مسهر الفسائى الدمشقى . ويحيى بن عبد الله البالبلى .

وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الماعافري

راوى السيرة عن زياد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحاق مصنفها ، وإنما نسبت إليه فيقال سيرة ابن هشام ، لأنه هذبها وزاد فيها ونقص منها ، وحرر أماكن واستدرك أشياء . وكان إماماً فى

اللغة والنحو ، وقد كان متنبيا بمصر واجتمع به الشافعي حين و ردها ، وتناشدا من أشعار العرب شيئا كثيرا . كانت وفاته بمصر لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة ، قاله ابن يونس في تاريخ مصر . وزعم السهيلي أنه توفي في سنة ثلاث عشرة كما تقدم فآله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائين

فيها ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدهو إلى الرضى من آل محمد ، واجتمع عليه خلق كثير وقاتله قواد عبد الله بن طاهر مرات متعددة ، ثم ظهر وا عليه وهرب فأخذ ثم بحث به إلى عبد الله بن طاهر فبعث به إلى المعتصم فدخل عليه للنصف من ربيع الآخر فأمر به فحبس في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين ، فكث فيه ثلاثا ، ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه ، فلم يزل محبوسا هناك إلى ليلة عيد الفطر فاشتغل الناس بالعيد فدل له حبل من كوة كان يأتيه الضوء منها ، فذهب فلم يدركه فذهب إلى أين صار من الأرض .

وفي يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد واجما من قتال الخرمية ، ومعه أسارى منهم ، وقد قتل في حر به منهم مائة ألف مقاتل . وفيها بحث المعتصم محبة في جيش كثيف لقتال الزط الذين عاثوا فسادا في بلاد البصرة ، وقطعوا الطريق ونهبوا القنابل ، فكث في قتالهم تسعة أشهر فقهرهم وقمع شرهم وأباد خضراهم . وكان القائم بأمرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ومعه آخر يقال له سحاق ، وهو داهيتهم وشيطانهم ، فأراح الله المسلمين منه ومن شره .

وفيها توفي سليمان بن داود الهاشمي شيخ الإمام أحمد . وعبد الله بن الزبير الحيدري صاحب المسند وتلميذ الشافعي . وعلي بن غياش . وأبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري . وأبو بحر الهندي .

ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من الهجرة

في يوم عاشوراء منها دخل محيف في السفن إلى بغداد ومعه من الزط سبعة وعشرون ألفا قد جاوزوا بالآمان إلى الخليفة ، فأنزلوا في الجانب الشرقي ثم نفاهم إلى عين رومة ، فأغارت الروم عليهم فاجتاحهم من آخرهم ، ولم يفلت منهم أحد . فكان آخر العهد بهم . وفيها عقد المعتصم للأفشين واسمه حيدر بن كلوس على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي لعنه الله ، وكان قد استنفل أمره جذا ، وقويت شوكته ، وانتشرت أتباعه في أذربيجان وما والاها ، وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين ، وكان زنديقا كبيرا وشيطانا رجيا ، فسار الأفشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وحصارة الحصون وإرصاد المدد ، وأرسل إليه المعتصم مع بغا الكبير أموالا جزيلة نفقة لمن معه من

الجند بالاتباع ، فالتقى هو وبابك فاقتتلا قتالا شديداً ، فقتل الأفشين من أصحاب بابك خلقاً كثيراً
أزيد من مائة ألف ، وهرب هو إلى مدينته فأوى فيها مكسوراً ، فكان هذا أول ما تضمنه من
أمر بابك ، وجرت بينهما حروب يطول ذكرها ، وقد استقصاها ابن جرير .
وفيها خرج المعتصم من بغداد فزل القاطول فأقام بها . وفيها غضب المعتصم على الفضل بن
مروان بعد المسكنة العظيمة ، وعزله عن الوزارة وحبسه وأخذ أهله ووجله مكانه محمد بن عبد الملك
ابن الزيات . وحجج بالناس فيها صالح بن علي بن محمد أمير السنة الماضية في الحجج .
وفيها توفي آدم بن أبي إياس . وعبد الله بن رجاء . وغفران بن مسلمة . وقانون أحد مشاهير
القراء . وأبو حذيفة الهندي .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

فيها كانت وقعة هائلة بين بغا الكبير وبابك فهزم بابك بغا وقتل خلقاً من أصحابه . ثم اقتتل
الأفشين وبابك فهزمه الأفشين وقتل خلقاً من أصحابه بمسد حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير .
وحجج بالناس فيها نائب مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى العباسي .

وفيها توفي عاصم بن علي . وعبد الله بن مسلم القعنبى . وعبدان . وهشام بن عبيد الله الرازى .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين

فيها جيز المعتصم جيشاً كثيراً مدداً للأفشين على محاربة بابك وبمات إليه ثلاثين ألف ألف
درهم نفقة للجند ، فاقتتلوا قتالا عظيماً ، واقتتحت الأفشين البلد مدينة بابك واستباح ما فيها ، وذلك
يوم الجمعة لعشر بقرين من رمضان . وذلك بعد محاصرة وحروب هائلة وقتال شديد وجهد جهيد .
وقد أطال ابن جرير بسط ذلك جداً . وحاصل الأمر أنه اقتتحت البلد وأخذ جميع ما فيه من الأموال
مما قدر عليه .

ذكر مسك بابك

لما احتوى المسلمون على بلده المسمى بالبند وهي دار ملكه وسر سلطنته هرب من معه من أهله
وولده ومعه أمه وامراته ، فانفرد في شردمة قليلة ولم يبق معهم طعام ، فاجتازوا بحراث فبعث غلامه
إليه وأعطاه ذهباً فقال : أعطاه الذهب وخسده ما معه من الخبز ، فنظر شريك الحراث إليه من بعيد
وهو يأخذ منه الخبز ، فظن أنه قد اغتصبه منه ، فذهب إلى حصن هناك فيسه نائب للخليفة يقال له
سهل بن سباط ليسندى على ذلك الغلام ، فركب بنفسه وجاء فوجد الغلام فقال : ما خبرك ؟
فقال : لا شيء ، إنما أعطيت دنانير وأخذت منه الخبز . فقال : ومن أنت ؟ فأراد أن يمس عليه
الخبز فألح عليه فقال : من غلمان بابك ، فقال : وأين هو ؟ فقال : ها هو ذا جالس يريد الغداء . فسار
إليه سهل بن سباط فلما رآه ترجل وقبل يده وقال : يا سيدى أين تريد ؟ قال : أريد أن أدخل بلاد

الروم ، فقال : إلى عند من تذهب أحرز من حصني وأنا غلامك وفي خدمتك ؟ وما زال به حتى خدعه وأخذته معه إلى الحصن فأنزله عندده وأجرى عليه النفقات السكينة والنحف وغير ذلك ، وكتب إلى الأفشين يعلمه ، فأرسل إليه أميرين لقبضه ، فنزلا قريباً من الحصن وكتبها إلى ابن سباط فقال : أقباً مكانكما حتى يأتيكما أمرى . ثم قال لبابك : إنه قد حصل لك هم وضيق من هذا الحصن وقد عزمت على الخروج اليوم إلى العديد وممنا بزاة وكلاب ، فإن أحببت أن تخرج ممنا لتشرح صدرك وتذهب همك فافعل . قال : نعم انخرجوا وبعث ابن سباط إلى الأميرين أن كونوا مكان كذا وكذا في وقت كذا وكذا من النهار ، فلما كانوا بذلك الموضع أقبل الأميران بمنهم من الجنود فأحاطوا ببابك وهرب ابن سباط ، فلما رأوه جاؤا إليه فقالوا : رجل عن دابتك : فقال : ومن أنا ؟ فذكر أنهما من عند الأفشين ، فترجل حينئذ عن دابته وعليه دراعة بيضاء وخف قصير وفي يده باز ، فنظر إلى ابن سباط فقال : قبحك الله فهل طلبت . في من المال ما شئت كنت أعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء . ثم أركبه وأخذوه معهم إلى الأفشين ، فلما اقتربوا منه خرج فلقاه وأمر الناس أن يصطفوا صفين ، وأمر بابك أن يترجل فيدخل بين الناس وهو ماش ، ففعل ذلك ، وكان يوماً مشهوداً جدياً . وكان ذلك في شوال من هذه السنة . ثم احتفظ به وسجنه عنده . ثم كتب الأفشين إلى المعتصم بذلك فأمره أن يقدم به وبأخيه ، وكان قد مسكه أيضاً . وكان اسم أخى بابك عبد الله ، فتجهز الأفشين بهما إلى بغداد في تمام هذه السنة ففرغت ولم يصل بهما إلى بغداد . وحج بالناس فيها الأمير المنتقم ذكره في آتئ قلبه .

وفيهما توفى أبو اليمان الحكيم بن نافع . وعمر بن حفص بن عياش . ومسلم بن إبراهيم . ويحيى بن صالح الوحاظي . ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

في يوم الخميس ثالث صفر منها دخل الأفشين ومحبته بابك على المعتصم سامرا ، ومعه أيضاً أخو بابك في تجم عظيم ، وقد أمر المعتصم ابنه هارون الوائز أن يثلق الأفشين وكانت أخباره تفد إلى المعتصم في كل يوم من شدة اعتناء المعتصم بأمر بابك ، وقد ركب المعتصم قبل وصول بابك بيومين على البريد حتى دخل إلى بابك وهو لا يعرفه ، فنظر إليه ثم رجع ، فلما كان يوم دخوله عليه تأهب المعتصم واصطف الناس ساطين وأمر بابك أن يركب على فيل ليظهر أمره ويعرفوه ، وعليه قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة ، وقند هيثوا الفيل وخضبوا أطرافه ولبسوه من الحرير الأمتة التي تليق به شيئاً كثيراً ، وقد قال فيه بعضهم :

قد خُصِبَ الفيلُ كعادته * يحملُ شيعنانَ خُراسانِ
والفيلُ لا تُخْصَبُ أعضاؤه * إلا الذي شأنُ من الشأنِ

ولما أحضر بين يدي المعتصم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه ، ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان وصلب جثته على خشية بسامراً ، وكان بابك قد شرب الخمر ليلة قتله وهي ليلة الخميس لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة . وكان هذا الملعون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره - وهي عشرون سنة - مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان - قاله ابن جرير - وأسر خلقاً لا يحصون ، وكان جملة من أسقنقذه الأتشي من أمره نحواً من سبعة آلاف وستمائة إنسان ، وأمر من أولاده سبعة عشر رجلاً ، ومن حلائله وحلائل أولاده ثلاثة وعشرين امرأة من الخواتين ، وقد كان أصل بابك من جارية زرية الشكل جداً ، فأل به الحال إلى ما آل به إليه ، ثم أراح الله المسلمين من شره بعد ما افتتن به خلق كثير وجم غفير من العوام الطغام .

ولما قتله المعتصم توج الأتشي وقلده وشاحين من جوهر ، وأطلق له عشرين ألف ألف درهم ، وكتب له بولاية السند ، وأمر الشراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين ، وعلى تخريبه بلاد بابك التي يقال لها البند وتركه إياها قيماناً خراباً . فقالوا في ذلك فأحسنوا ، وكان من جملتهم أبو تمام الطائي وقد أورد قصيدته بتأنيدها ابن جرير وهي قوله :

بَدَّ الْجَلَادُ الْبَدَّ فَهُوَ دَفِينٌ * مَا إِنْ بَهَا إِلَّا الْوُحُوشُ قَطِينٌ
لَمْ يَقْرَهْ السَّيْفُ هَذَا الصَّبْرَ فِي * هَبْجَاءَ إِلَّا عَزَّ هَذَا الدِّينُ
قَدْ كَانَ عُدَّةً سَوْدَرًا فَاقْتَضَاهَا * بِالسَّيْفِ فَعُتِلَ الْمَشْرِقُ الْأَشْقِينُ
فَأَعَادَهَا تَعْوِي الثَّعَالِبِ وَشَطَّهَا * وَلَقَدْ تَرَى بِالْأَمْسِ وَهَى عَرِينُ
هَطَلَتْ عَلَيْهَا مِنْ جَاهِجِ أَهْلِهَا * دِيمٌ إِمَارَتُهَا طَلَّتْ وَشُؤُونُ
كَانَتْ مِنَ الْمُهْجَاتِ قَبْلَ مَفَازَةٍ * عُسْرًا فَأَضَحَّتْ وَهَى مِنْهُ مَعِينُ

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث وعشرين ومائتين - أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة ، قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين ، وأسر مالا يحصون كثرة ، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات . ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع آذانهم وأنوفهم وحمل أعينهم قبحه الله . وكان سبب ذلك أن بابك لما أحيط به في مدينة البند استوسقت الجيوش حوله وكتب إلى ملك الروم يقول له : إن ملك العرب قد جهز إلى جمهور جيشه ولم يبق في أطراف بلاده من يحتفظها ، فإن كنت تريد الفدية فانهض سريعاً إلى ماحولك من بلاده ففدنا فانك لا نجد أحداً يمانك عنها . فركب توفيل بمائة ألف وانضاف إليه الحمرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال وقاتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فلم يقدر عليهم لأنهم تحصنوا بتلك الجبال فلما قدم ملك الروم صاروا معه على المسلمين فوصلوا إلى ملطية فقتلوا من أهلها خلقاً كثيراً

وأُسروا نساءهم ، فلما بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جداً وصرخ في قصره بالنفير ، ثم نهض من فوره وأمر بتمشية الجيوش واستدعى القاضي والشهود فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة وثلثه لولده وثلثه لمواليه . وخرج من بغداد فمسكر غربي دجلة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى ووجه بين يديه عجيماً وطائفة من الأمراء وهمهم خلق من الجيش إعانة لأهل زبارة ، فأسرعوا السير فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وأشمر راجعاً إلى بلاده ، وتفارط الحال ولم يكن الاستدراك فيه ، فرجعوا إلى الخليفة لأعلامه بما وقع من الأمر ، فقال للأمراء : أي بلاد الروم أمنع ؟ قالوا : عمورية لم يمرض لها أحد منذ كان الاسلام ، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية .

فتح عمورية على بركة المعظم

لما تفرغ المعتصم من بابل وقتله وأخذ بلاده استدعى بالجيوش إلى بين يديه وتجهز جهازاً لم يجهزه أحد كان قبله من الخلفاء ، وأخذ معه من آلات الحرب والآجال والجمال والقرب والدواب والنفط والخيل والبغال شيئاً لم يسمع بمثله ، وسار إلى عمورية في جمادى الأولى لليلتين خلتا من جمادى الأولى حيدر بن كلاس من ناحية سروج ، وعبي جيوشه تعبئة لم يسمع بمثلهما ، وقدم بين يديه الأمراء المعروفين بالحرب ، فانتهى في سيره إلى نهر اللسي وهو قريب من طرسوس ، وذلك في رجب من هذه السنة . وقد ركب ملك الروم في جيشه فقصد نحو المعتصم فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ ، ودخل الأتقيين بلاد الروم من ناحية أخرى ، فجاءوا في أثره وضاق ذرعهم بسبب ذلك إن هو ناجز الخليفة جاءه الأتقيين من خلفه فالتقيا عليه فيهلك ، وإن اشتغل بأحدهما وترك الآخر أخذه من خلفه . ثم اقترب منه الأتقيين فسار إليهم ملك الروم في شزيمة من جيشه واستخلف على بقية جيشه قريباً له فالتقيا هو والأتقيين في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان منها ، فثبت الأتقيين في ثاني الحال وقتل من الروم خلقاً وجرح آخرين ، وتغلب على ملك الروم وبلغه أن بقية الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه فأمرع الأوبة فاذا نظام الجيش قد انحل ، فنضب على قرابته وضرب عنقه وجاءت الأخبار بذلك كله إلى المعتصم فسره ذلك وركب من فوره وجاء إلى أنقرة ووافاه الأتقيين بمن معه إلى هناك ، فوجدوا أهلها قد هربوا منه فتقوا منها بما وجدوا من طعام وغيره ، ثم فرق المعتصم جيشه ثلاث فرق فالميمنة عليها الأتقيين ، والميسرة عليها أشناس ، والمعتصم في القلب ، وبين كل عسكري فرسخان ، وأمر كل أمير من الأتقيين وأشناس أن يجعل لجيشه ميمنة وميسرة وقلبا ومقدمة وساقة ، وأنهم مهمامروا عليه من القرى حرقوه وخربوه وأسروا وغنموا ، وسار بهم كذلك قاصداً إلى عمورية ، وكان بينها وبين مدينة أنقرة سبع مراحل ، فأول من وصل إليهما من الجيش أشناس أمير الميسرة فحوى يوم الخميس لخمس خلون من رمضان

من هذه السنة ، فدار حولها دورة ثم نزل على ميلين منها ، ثم قدم المعتصم صبيحة يوم الجمعة بعده ، فدار حولها دورة ثم نزل قريباً منها ، وقد تحصن أهلها تحصناً شديداً وملأوا أبراجها بالرجال والسلاح ، وهي مدينة عظيمة كبيرة جداً ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كثيرة . وقسم المعتصم الأبراج على الأمراء فنزل كل أمير نجاة الموضع الذي أقطعه وعينه له ، ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشد إليه ، أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين ، وكان قد تنصر عندهم وتزوج منهم ، فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين رجع إلى الأسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعلمه بمكان في السور كان قد هدسه السيل وبني بناء ضخماً بلا أساس ، فنصب المعتصم المجانيق حول عمورية فكان لولم . وضع انهم من سورها ذلك الموضع الذي دلهم عليه ذلك الأسير ، فبادر أهل البلد فسدوه بالخشب الكبار المتلاصقة فألق عليها المنجنيق فجعلوا فوقها البرادع ليردوا حدة الحجر فلم تقن شيئاً ، وانهم السور من ذلك الجانب وتفسخ . فكتب نائب البلد إلى ملك الروم يعلمه بذلك ، وبعث ذلك مع غلامين من قومه فلما اجتازوا بالجيش في طريقهما أنكر المسلمون أمرهما فسألوهما من أتاها ؟ فقالا : من أصحاب فلان - لا أمير سموه من أمراء المسلمين - فجاءا إلى المعتصم فقرهما فاذا معهما كتاب مناطس نائب عمورية إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار ، وأنه عازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بغتة على المسلمين ومناجزهم القتال كائناً في ذلك ما كان . فلما وقف المعتصم على ذلك أمر بالغلامين فخلع عليهما ، وأن يعطى كل غلام منهما بدره ، فأسلما من فورهما فأمر الخليفة أن يطاف بهما حول البلد وعليهما الخلع ، وأن يوقفا تحت حصن مناطس فينظر عليهما الدراهم والخلع ، ومعهما الكتاب الذي كتب به مناطس إلى ملك الروم فجعلت الروم تلعبهما وتسبهما . ثم أمر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتياط والاحتفاظ من خروج الروم بغتة ، فضافت الروم ذرعاً بذلك ، وألح عليهم المسلمون في الحصار ، وقد زاد المعتصم في المجانيق والديابات وغير ذلك من آلات الحرب . ولما رأى المعتصم عرق خندقها وارتفاع سورها ، أعمل المجانيق في مقاومة السور ، وكان قد غنم في الطريق غنماً كثيراً جداً ففرقها في الناس وأمر أن يأكل كل رجل رأساً ويحشى بملء جوده تراباً فيطرحه في الخندق ، ففعل الناس ذلك فتساوى الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حق صار طريقاً ممهداً ، وأمر بالديابات أن توضع فوقه فلم يحوج الله إلى ذلك . وبينما الناس في الجسر المردوم إذ هدم المنجنيق ذلك الموضع المعيب ، فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس هدة عظيمة فظنوا من لم يرها أن الروم قد خرجوا على المسلمين بغتة ، فبعث المعتصم من نادى في الناس : إنما ذلك سقوط السور . ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً ، لكن لم يكن ما هدم يسع الخيل والرجال إذا دخلوا . وقوى الحصار وقد وكلت الروم بكل برج من أبراج السور أميراً يحفظه ،

فضم ذلك الأمير الذي هدمت ناحيته من السور عن مقاومة ما يلقيه من الحصار ، فذهب إلى مناطس فسأله نجيحة فامتنع أحد من الروم أن ينجده وقالوا : لا نترك ما نحن موكلون في حفظه . فلما يئس منهم خرج إلى المعتصم ليجمع به . فلما وصل إليه أمر المعتصم المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد خلت من المقاتلة ، فركب المسلمون نحوها فجمعت الروم يشيرون إليهم ولا يقفرون على دفاعهم ، فلم يلتفت إليهم المسلمون ، ثم تنكثوا عليهم ودخلوا البلد قهراً وتنازع المسلمون إليهم يكبرون ، وتفرقت الروم عن أماكنها فجعل المسلمون يتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم ، وقد حشروهم في كنيسة لهم هائلة ففتحوها قسراً وقتلوا من فيها وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فاحترقت فأحرقوا عن آخرهم ، ولم يبق فيها موضع حصن سوى المكان الذي فيه النائب ، وهو مناطس في حصن منيع ، فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بمحذاء الحصن الذي فيه مناطس فناداه المنادى وبمك يا مناطس ! هذا أمير المؤمنين واقف بجأحك . فقالوا : ليس بمناطس ههنا مرتين . فنضب المعتصم من ذلك وولى فنادى مناطس هذا مناطس ههنا مناطس . فرجع الخليفة ونصب السلام على الحصن وطلعت الرسل إليه فقالوا له : وبمك انزل على حكم أمير المؤمنين . فتمنع ثم نزل مثلاً سيفاً فوضع السيف في عنقه ثم جرى به حتى أوقف بين يدي المعتصم فضر به بالسوط على رأسه ثم أمر به أن يمشى إلى مضرب الخليفة ههنا إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل ، فأوثق هناك . وأخذ المسلمون من عمورية أموالاً لاتحد ولا توصف فحملوا منها ما أمكن حمله ، وأمر المعتصم بإحراق ما بقي من ذلك ، وإحراق ما هنالك من المجانيق والدبابات وآلات الحرب المشلاية توى بها الروم على شيء من حرب المسلمين ، ثم انصرف المعتصم راجعاً إلى ناحية طرسوس في آخر شبال من هذه السنة . وكانت إقامته على عمورية خمسة وعشرين يوماً .

مقتل العباس بن المأمون

كان العباس مع عمه المعتصم في غزوة عمورية ، وكان مجيف بن عنبسة قد نذمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون بطرسوس حين مات بها ، ولامه على مبايعته عمه المعتصم ، ولم يزل به حتى أجابه إلى الفتك بعمه وأخذ البيعة من الأمراء له ، وجهر رجلاً يقال له الحارث السمرقندي وكان نديماً للعباس . فأخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن ، واستوثق منهم وتقدم إليهم أنه يلى الفتك بعمه ، فلما كانوا بدرب الروم وهم قاصدون إلى أنقرة ومنها إلى عمورية ، أشار مجيف على العباس أن يقتل عمه في هذا المضيق ويأخذ له البيعة ويرجع إلى بغداد ، فقال العباس : إلى أكره أن أعطل على الناس هذه الغزوة ، فلما فتحوا عمورية واشتغل الناس بالمغانم أشار عليه أن يقتله فوعده مضيق الدرب إذا رجعوا ، فلما رجعوا فطن المعتصم بالخطر فأمر بالاحتفاظ وقوة الحرس وأخذ بالحزم

واجتهد بالعزم ، واستدعى بالحارث السمرقندي فاستقره فأقر له بمجدة الأمر ، وأخذ البيعة للعباس بن المأمون من جماعة من الأمراء أسماهم له ، فاستكثرهم المعتصم واستدعى بابن أخيه العباس فقيد ، وغضب عليه وأهانته ، ثم أظهر له أنه قد رضى عنه وعفا عنه ، فأرسله من القيد وأطلق سراحه ، فلما كان من الليل استدعاه إلى حضرته في مجلس شرابه واستخلى به حتى سقاء واستحكاك عن الذي كان قد دبره من الأمر ، فشرح له القضية ، وذكر له القصة ، فأذا الأمر كما ذكر الحارث السمرقندي . فلما أصبح استدعى بالحارث فأخلاه يسأله عن القضية ثانياً فذكرها له كما ذكرها أول مرة ، فقال : ويحك إني كنت حريصاً على ذلك فلم أجِد إلى ذلك سبيلاً بصدقك إياي في هذه الفضة . ثم أمر المعتصم حينئذ بابن أخيه العباس فقيد وسلم إلى الأفشين ، وأمر بجيف وبقية الأمراء الذين ذكروهم فاحتفظ عليهم ، ثم أخذهم بأنواع الذمات التي اقترحها لهم ، فقتل كل واحد منهم بنوع لم يقتل به الآخر ، ومات العباس بن المأمون بمنجى فدفن هناك ، وكان سبب موته أنه أجاعه جوعاً شديداً ، ثم جىء بأكل كثير فأكمل منه وطلب الماء فنع منه حتى مات ، وأمر المعتصم بلمنه على المنبر وسماه الممين ، وقتل جماعة من ولد المأمون أيضاً

وحج بالناس فيها محمد بن داود . وفيها توفى من الأعيان . بابك الخرمي قتل وصلب كما قدمنا . وخلد بن خراش . وعبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد . ومحمد بن سنان العوفي . وموسى ابن إسماعيل . ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

فيها خرج رجل بأمل طبرستان يقال له مازيار بن قارن بن يزداهرمز ، وكان لا يرضى أن يدفع الخراج إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين ، بل يدهشه إلى الخليفة ليقبضه منه ، فبعث الخليفة من يتلى الحل إلى بعض البلاد ليقبضه منه ثم يذمه إلى ابن طاهر ، ثم آل أمره إلى أن وثب على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمعتصم . وقد كان المازيار هذا ممن يكتب بابك الخرمي ويعدده بالنصر . ويقال إن الذي قوى رأس مازيار على ذلك الأفشين ليهجر عبد الله بن طاهر عن مقاومته فيوليه المعتصم بلاد خراسان مكانه ، فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب - أخا إسحاق بن إبراهيم - في جيش كثيف مجرت بينهم حروب طويلة استقصاها ابن جرير ، وكان آخر ذلك أسر المازيار وحمله إلى ابن طاهر ، فاستقره عن الكتب التي بعثها إليه الأفشين فأقر بها ، فأرسله إلى المعتصم وما معه من أهواله التي احتفظت للخليفة ، وهي أشياء كثيرة جداً ، من الجواهر والذهب والسياب . فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها ، فأمر به فضرب بالسياط حتى مات وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد ، وقتل عيون أصحابه وأتباعه . وفيها تزوج الحسن بن الأفشين بالترجة بنت أشناس ودخل بها في قصر المعتصم بسامرا في جمادى ،

وكان عرساً حافلاً ، ولية المعتصم بنفسه ، حتى قيل إنهم كانوا يحضبون لحا العامة بالعالية . وفيها خرج منكجور الأشروسي قرابة الأفشين بأرض أذربيجان وخلع الطاعة ، وذلك أن الأفشين كان قد استنابه على بلاد أذربيجان حين فرغ من أمر بابك ، فظفر منكجور ، بال عظيم مخزون لبابك في بعض البلدان ، فأخذه لنفسه وأخفاه عن المعتصم ، وظهر على ذلك رجل يقال له عبيد الله بن عبيد الرحمن ، فكتب إلى الخليفة في ذلك فكتب منكجور يكذبه في ذلك ، وم به ليقته فامتنع منه بأهل أردبيل . فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث إليه بهذا الكبير فحار به وأخذه بالأمان وجاء به إلى الخليفة . وفيها مات مناظس الرومي نائب عمورية ، وذلك أن المعتصم أخذه معه أسيراً فاعتقله بسامرا حتى مات في هذه السنة . وفي رمضان منها مات إبراهيم بن المهدي بن المنصور عم المعتصم ويعرف بابن شكلة ، وكان أسود اللون ضخماً فضيحاً فاضلاً ، قال ابن ماكولا : وكان يقال له الصبي - يعني لسواده - وقد كان ترجمه ابن عساكر ترجمة حافلة ، وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن الرشيد أخيه مدة سنتين ثم عزله عنها ثم أعاده إليها الثانية فأقام بها أربع سنين ، وذكر من عدله وصرامته أشيياء حسنة ، وأنه أقام للناس الحج سنة أربع وثمانين ، ثم عاد إلى دمشق ، ولما بويع بالخلافة في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومائتين قاتله الحسن بن سهل نائب بغداد ، فهزمه إبراهيم هذا ، فقصده حميد الطوسي فهزم إبراهيم واختفى إبراهيم ببغداد حين قدمها المأمون ، ثم ظفر به المأمون فعفا عنه وأكرمه . وكانت مدة ولايته الخلافة سنة وإحدى عشر شهراً وأثنا عشر يوماً ، وكان بدء اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين ، فكث محتفياً ست سنين وأربعة أشهر وعشرا . قال الخطيب : كان إبراهيم بن المهدي هذا وافر الفضل غزير الأدب واسع النفس سخي الكف ، وكان معروف بصناعة الفناء ، حاذقاً فيها وقد قل المال عليه في أيام خلافته ببغداد فألح الأعراب عليه في أعطياتهم فجعل يسوف بهم . ثم خرج إليهم رسوله يقول : إنه لا مال عنده اليوم ، فقال بعضهم : فليخرج الخليفة إلينا فليغن لاهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ، ولا لاهل هذا الجانب ثلاثة أصوات . فقال في ذلك دعبل شاعر المأمون يذم إبراهيم بن المهدي :

يا معسر الأعراب لا تفلطوا • خذوا عطايكم ولا تسخطوا
فسوف يعطيك حنينية • لا تدخل الكيس ولا تربط
والمعبدات لقوادكم • وما هذا أحد يقبط
فهكذا برزق أصحابه • خليفة مصحفة البربط

وكتب إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء : ولي النار محكم في القصاص والمفو
أقرب للتقوى ، وقد جعل الله أمير المؤمنين فوق كل عفو ، كما جعل كل ذي نسب دونه ، فان عفا

فبفضله وإن عاتب فبحقته . فوقع المأمون في جواب ذلك : القدرة تذهب الحفيظة وكفى بالندم إنابة
وعفو الله أوسع من كل شيء . ولما دخل عليه أنشأ يقول :

إن أكن مذنباً لخطي أخطأت * فندعُ عنك كثرةَ التأنيبِ
قلْ كما قال يوسف ليبي يعقوب * بَلِّمْنَا أُنُودَ لَا تَنْزِيبِ

فقال المأمون : لا تنريب . وروى الخطيب أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون شرع يؤنبه
على ما فعل فقال : يا أمير المؤمنين حضرت أبي وهو جدك وقد أتى برجل ذنبه أعظم من ذنبي فأمر
بقتيله فقال مبارك بن فضالة : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تؤخر قتل هذا الرجل حتى أحدثك
حديثاً ، فقال : قل . فقال : حدثني الحسن البصري عن عمران بن حصين أن رسول الله (س) قال :
« إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطان العرش : ليقيم العافون عن الناس من الخلفاء إلى أكرم
الجزء ، فلا يقوم إلا من عفا . فقال المأمون : قد قبلت هذا الحديث بقبوله وعفوت عنك يا عم .
وقد ذكرنا في سنة أربع ومائتين زيادة على هذا . وكانت أشماره جيدة بليفة سامحه الله . وقد ساق
من ذلك ابن عساکر جانباً جيداً .

كان مولد إبراهيم هذا في سهل ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومائة ، وتوفى يوم الجمعة لسبع
خلون من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة .

وفيها توفى سميد بن أبي مريم المصري . وسليمان بن حرب . وأبو معمر المقعد . وعلى بن محمد
المدائني الأخباري أحد أئمة هذا الشأن في زمانه . وعمر بن مرزوق شيخ البخاري . وقد تزوج
هذا الرجل ألف امرأة . وأبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي أحد أئمة اللغة والفقه والحديث .
والقرآن والأخبار وأيام الناس ، له المصنفات المشهورة المنتشرة بين الناس ، حتى يقال إن الامام
أحمد كتب كتابه في التريب بيده ، ولما وقف عليه عبيد الله بن طاهر رتب له في كل شهر خمسمائة
درهم ، وأجراها على ذريته من بعده ، وذكر ابن حليكان أن ابن طاهر استحسن كتابه وقال : ما ينبغي
لعقل بعث صاحبه على تصنيف هذا الكتاب أن نحوج صاحبه إلى طلب المعاش . وأجرى له عشرة
آلاف درهم في كل شهر . وقال محمد بن وهب المسعودي : سمعت أبا عبيد يقول : مكثت في تصنيف
هذا الكتاب أربعين سنة . وقال هلال بن المعلل الرقي : من الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة : الشافعي
تفقه في الفقه والحديث ، وأحمد بن حنبل في الحجة . ويحيى بن معين في نفي الكذب . وأبو عبيد في
تفسير غريب الحديث . ولولا ذلك لافتحم الناس المهالك .

وذكر ابن خليكان أن أبا عبيد ولي القضاء بطرسوس ثمانين سنة ، وذكر له من العبادة
والاجتهاد في العبادة شيئاً كثيراً . وقد روى التريب عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي

عبيدته معمر بن المثنى ، وابن الأعرابي ، والفراء والكسائي وغيرهم . وقال إسحاق بن راهويه : نحن محتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا . وقدم بغداد وسمع الناس منه ومن تصانيفه . وقال إبراهيم الحاربي : كان كأنه جبل نفخ فيه روح ، يحسن كل شيء . وقال أحمد بن كامل القاضي : كان أبو عبيد قاضيا دينا رابانيا عالما متقنا في أصناف علوم أهل الإيمان والاتقان والاسلام : من القرآن والفقه والعربية والأحاديث ، حسن الرواية صحيح النقل ، لا أعلم أحدا طعن عليه في شيء من علمه وكتبه ، وله كتاب الأموال وكتاب فضائل القرآن ومعمانيه ، وغير ذلك من الكتب المنتفع بها رحمه الله . توفي في هذه السنة قاله البخاري . وقيل في التي قبلها بمكة ، وقيل بالمدينة . وله سبع وستون سنة . وقيل جاوز السبعين فله أعلم .

ومحمد بن عثمان أبو الجواهر الدمشقي الكفرتوي أحد مشايخ الحديث . ومحمد بن الفضل أبو النعمان السدوسي الملقب بإمام شيخ البخاري ومحمد بن عيسى بن الطباع . ويزيد بن عبد ربه الجرجسي الحمصي شيخها في زمانه :

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

فيها دخل بنا الكبير ومعه منكمجور قد أعطى الطاعة بالأمان . وفيها عزل المعتصم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وغضب عليه وولى اليمن أيتاخ . وفيها وجه عبد الله بن طاهر بالمأزير فدخل بغداد على بفل بالكاف فضر به المعتصم بين يديه أربعمائة وخمسين سوطاً ثم سقى المساء حتى مات ، وأمر بإصلايه إلى جنب بابك ، وأقر في ضربه أن الأفشين كان يكاتبه ويحسن له خلع الطاعة ، فغضب المعتصم على الأفشين وأمر بسجنه ، فبقي له مكان كالمنارة من دار الخلافة تسمى السكوة ، إنما تسعه فقط ، وذلك لما تحقق أنه يريد مخالفته والخر وج عليه ، وأنه قد عزم على الذهاب لبلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فعاجله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك كله ، وعقد له المعتصم مجلساً فيه قاضيه أحمد ابن أبي دؤاد الممترلي ، ووزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات ، ونائبه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فاتهم الأفشين في هذا المجلس بأشياء تدل على أنه باق على دين أجداده من الفرس . منها أنه غير محتئن فاعتذر أنه يخاف ألم ذلك ، فقال له الوزير - وهو الذي كان يناظره من بين القوم - فأنت تطامن بالرماس في الحروب ولا تخاف من طعننا وتخاف من قطع قلعة بيدك ؟ ومنها أنه ضرب رجلين إماماً وموذنًا كل واحد ألف سوط لأنهما هدمتا بيتاً أصناماً فأتخذهما مسجداً . ومنها أنه عنده كتاب كايه ودمنه مصوراً فيه الكفر وهو محلى بالجواهر والذهب ، فاعتذر أنه ورثه من آبائهم . واتهم بأن الأعاجم يكتبونه وتكتب إليه في كتبها : أنت إله الآلهة من العبيد ، وأنه يقرم على ذلك . فجل يهتذر بأنه أجرام على ما كانوا يكتبون به أباه وأجداده ، وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتضعضع عندهم

فقال له الوزير: ويحك فإذا أبقيت لفرعون حين قال: أنا ربكم الأعلى؟ وأنه كان يكتب المازيار بأن يخرج عن الطاعة وأنه في ضيق حتى ينه ردين المجوس الذي كان قديماً ويظهره على دين العرب، وأنه كان يستطيع المنخقة على المذبوحة، وأنه كان في كل يوم أربعمائة يستدعى بشاة سوداء فيضربها بالسيف لصدين ويمشي بينهما ثم يأكلها، فعند ذلك أمر المتعمم بهذا الكبير أن يسجنه مهانا ذليلاً لجل يقول: إني كنت أتوقع منكم ذلك.

وفي هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وزوجته أترجة بنت أشناس إلى سامرا. وجمع بالناس فيها محمد بن داود.

وفيهما توفي من الأعيان أصبغ بن الفرج، وسعدويه، ومحمد بن سلام البيكندی شيخ البخاري، وأبو عمر الجرمي. وأبودلف المعجل النخعي الأمير أحد الأجواد.

وسعيد بن مسعدة

أبو الحسن الأخفش الأوسط البليخي ثم البصري النحوي، أخذ النحو عن سيبويه وصنف كتباً كثيرة منها كتاب في معاني القرآن، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخليل على الخليل، وسمى الأخفش أصغر عليه وضعف بصره، وكان أيضاً أدلع، وهو الذي لا يغم شفتيه على أسنانه، كان أولاً يقال له الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير، أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد الهجري، شيخ سيبويه وأبي عبيدة، فلما ظهر على بن سليمان ولقب بالأخفش أيضاً صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط، والمجري الأكبر، وعلى ابن سليمان الأصغر. وكانت وفاته في هذه السنة، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين.

الجرمي النحوي

وهو صالح بن إسحاق البصري، قدم بغداد وناظر بها الفراء، وكان قد أخذ النحو عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وصنف كتباً منها الفرخ - يعني فرخ كتاب سيبويه - وكان فيها فاضلاً نصوياً بارعاً عالماً بالغة حافظاً لها، ديناً ورعاً حسن المذهب، صحيح الاعتقاد وروى الحديث. ذكره ابن خلكان وروى عنه المبرد، وذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان.

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

في شبين منها توفي الأفشين في المجلس فأمر به المتعمم فصلب ثم أحرق وذرى رماده في دجلة واحتبط على أمواله وحواصله فوجدوا فيها أصناماً مكحلة بذهب وجواهر، وكتباً في فضل دين المجوس والشياخ كثيرة كان ينهم بها، تدل على كفره وزندقته، وتحقق بسببها ما ذكر عنه من الانبعاث إلى

دين آباؤه المجوس . وحج بالناس فيها محمد بن داود .

وفيهما توفى إسحاق القروي . وإسماعيل بن أبي أوس . ومحمد بن داود صاحب التفسير . وغسان ابن الربيع . ويحيى بن يحيى النخعي شيخ مسلم بن الحجاج . ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين

وأبو دلف العجلي

عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن داف ابن جشم بن قيس بن سعد بن مجل بن لحيم الأمير أبو دلف العجلي أحد قواد المأمون والمعتصم وإليه ينسب الأمير أبو نصر بن ماكولا ، صاحب كتاب الأكمال . وكان القاضي جلال الدين خطيب دمشق القزويني يزعم أنه من سلالة ، ويذكر نسبه إليه ، وكان أبو دلف هذا كريما جوادا ممتحا ، قد قصده الشعراء من كل أرب ، وكان أبو تمام الطائي من جملة من يفشاه ويستمنح نداءه ، وكانت لديه فضيلة في الأدب والفناء ، وصنف كتباً منها سياسة الملوك ، ومنها في الصيد والنبذة . وفي السلاح وغير ذلك . وما أحسن ما قال فيه بكر بن النطاع الشاعر :

يا طالباً للكيمايا وعلمها * مدح ابن عيسى الكيمايا الأعظم
لوم يكن في الأرض إلا درم * ومدحتة لآتاك ذلك الدرهم

فيقال : إنه أعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، وكان شجاعا فائكا ، وكان يستدين ويعطى ، وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكرخ فمات ولم يتمها فأتتها أبو دلف ، وكان فيه تشيع ، وكان يقول : من لم يكن متغاليا في التشيع فهو ولد زنا . فقال له ابنه دلف : لست على مذهبك يا أبة . فقال : والله لقد وطئت أمك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذلك . وقد ذكر ابن خلكان أن ولده رأى في المنام بعد وفاة أبيه أن آتيا أنه فقال : أجب الأمير ! قال فتمت معه فأدخلني داراً وحشة وعرة سوداء الحيطان مغلقة السقوف والأبواب . ثم أصعدني في درج مهائم أدخلني غرفة ، وإذا في حيطانها أثر الثيران ، وفي أرضها أثر الرماد ، وإذا بأبي فيها وهو عريان واضح رأسه بين ركبتيه فقال لي كالستفهم : أدلف ؟ قلت دلف . فألشأ يقول :

أبلدن أهلنا ولا تخف عنهم * ما لقينا في البرزخ الخلق
قد سئلتنا عن كل ما قد فعلنا * فآرحوا وحشي وما قد ألقى

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ! ثم ألشأ يقول :

فلو أنا إذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا * ونسأل بعده عن كل شيء

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم . وانتهت .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

فيها خرج رجل من أهل النور بالشام يقال له أبو حرب المبرقع البماني ، فخلع الطاعة ودعا إلى نفسه . وكان سبب خروجه أن رجلا من الجند أراد أن ينزل في منزله عند امرأته في غيبته فأنهت المرأة ففرض بها الجندى في يدها فأنرت الضربة في مصلها . فلما جاء بهلما أبو حرب أخبرته فذهب إلى الجندى وهو غافل فقتله ثم تحصن في رؤس الجبال وهو مبرقع ، فاذا جاء أحد دعاه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذم من السلطان ، فاتبعه على ذلك خلق كثير من الحرائين وغيرهم ، وقالوا : هذا هو السباني المذكور أنه ملك الشام ، فاستنحل أمره جسداً ، واتبعه نحو من مائة ألف مقاتل ، فبعث إليه المعتصم وهو في مرض موته جيشا نحواً من مائة ألف مقاتل ، فلما قدم أمير المعتصم عن معه وجدهم أمة كثيرة وطائفة كبيرة ، قد اجتمعوا حول أبي حرب ، فحشى أن يواظبه والحالة هذه ، فانتظر إلى أيام حرث الأراضى فتفرق عنه الناس إلى أراضيتهم ، وبقي في شردمة قليلة فناهضه فأمره وتفرق عنه أصحابه ، وحمله أمير السرية وهو رجاء بن أيوب حتى قدم به على المعتصم ، فلامه المعتصم في تأخره عن مناجزته أول ما قدم الشام ، فقال : كان معه مائة ألف أو يزيدون ، فلم أزل أطاوله حتى أمكن الله منه ، فشكره على ذلك .

وفيها في يوم الخميس الثامن عشر من ربيع الأول من هذه السنة كانت وفاة أبي إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور .

وهذه ترجمته

هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العبدي يقال له المشن لأنه ثامن ولد العباس ، وأنه ثامن الخلفاء من ذريته ، ومنها أنه فتح ثمان فتوحات ، ومنها أنه أقام في الخلافة ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام . وقيل ويومين ، وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة ، وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون سنة ، ومنها أنه خلف ثمانية بنين وثمان بنات ، ومنها أنه دخل بغداد من الشام في مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة بعد موت أخيه المأمون ، قالوا : وكان أمياً لا يحسن الكتابة ، وكان سبب ذلك أنه كان يتردد معه إلى الكتاب غلاماً فأتاه الغلام فعاتبه فقال له أبوه الرشيد : ما فعل غلامك ؟ قال : ماب تأسرأح من الكتاب ، فقال الرشيد : وقد بلغ منك كراهه الكتاب إلى أن تجعل للوث راحة منه ؟ والله يا بني لا تذهب بعبد اليوم إلى الكتاب . فتركوه فكان أمياً ، وقيل بل كان يكتب كتابة ضميقة . وقد أسند الخطيب من طريقه عن آبائه حديثين منكرين أحدهما في ذم بني أمية ومدح بني العباس من الخلفاء . والثاني في النهي عن الحجامة يوم الخميس . وذكر بسنده

عن المتعم أن ملك الروم كتب إليه كتابا يتهدده فيه فقال للكتاب اكتب : قد قرأت كتابك ونهت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيلم الكفار لمن عتبي الدار . قال الخطيب : غزا المتعم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، فألقى نكايه عظيمة في العدو ، وفتح عمورية وقتل من أهلها ثلاثين ألفا وسبى مثلهم ، وكان في سببه ستون بطريقا ، وطرح النار في عمورية في سائر نواحيها فأحرقها وجاء بنائها إلى العراق وجاء ببائنها أيضا معه وهو منصوب حتى الآن على أحد أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر . وروى من أحد بن أبي دؤاد القاضي أنه قال : ربما أخرج المتعم ساعده إلى وقال لي : عض يا أبا عبد الله بكل ما تقدر عليه ، فأقول إنه لا تطيب نفسي يا أمير المؤمنين أن أعض ساعدك ، فيقول : إنه لا يضرك . فأكدم بكل ما أقدر عليه فلا يؤثر ذلك في يده . وروى في خلافة أخيه بمخيم الجند فإذا امرأة تقول : ابني ابني ، فقال لها : ما شأنك ؟ فقالت : ابني أخذه صاحب هذه الخيمة . لجاء إليه المتعم فقال له : أطلق هذا الصبي ، فامتنع عليه فقبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ، ثم أرسله فسقط ميتا وأمر بأخراج الصبي إلى أمه . ولما ولي الخلافة كان شهما وله همة عالية في الحرب ومهابة عظيمة في القلوب ، وإنما كانت نهته في الاتفاق في الحرب لافي البناء ولا في غيره .

وقال أحمد بن أبي دؤاد : تصدق المتعم على يدي وذهب ما قيمته مائة ألف ألف درهم . وقال غيره : كان المتعم إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل . وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلت يوما على المتعم وعنده قينة له تغنيه فقال لي : كيف تراها ؟ فقلت له : أراها تقهره بمجنق ، ونجته برقى ، ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه ، وفي صوتها قطع شذور ، أحسن من نظم الحداد على النحور . فقال : والله لصفك لها أحسن منها ومن غنائها . ثم قال لابنه هارون الوائق ولي عهده من بعده : اجمع هذا الكلام . وقد استخدم المتعم من الأتراك خلقا عظيما كان له من الماليك الترك قريب من عشرين ألفا ، وملك من آلات الحرب والدواب ما لم يتفق لغيره . ولما حضرته الوفاة جعل يقول [حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون] وقال : لو علمت أن حمري قصير ما فعلت . وقال : إني أحدث هذا الخلق ، وجعل يقول : ذهبت الحيل فلا حيلة . وروى عنه أنه قال في مرض موته : اللهم إني أخافك من قبلي ولا أخافك من قبلك ، وأرجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلي .

كانت وفاته بسر من رأى في يوم الخميس ضحى اسبعة عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذا السنة - أعني سنة سبع وعشرين ومائتين - وكان مولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة ، وولي الخلافة في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، وكان أبيض أصهب اللحية

طويلها مربوعاً مشرب اللون ، أمه أم ولد اسمها ماردة ، وهو أحد أولاد سنة من أولاد الرشيد ، كل منهم اسم محمد ، وهم أبو إسحاق محمد المعتصم ، وأبو العباس محمد الأمين ، وأبو عيسى محمد ، وأبو أحمد ، وأبو يعقوب ، وأبو أيوب . قاله هشام بن الكلبي . وقد ولي الخلافة بعده ولده هارون الواثق . وقد ذكر ابن جرير أن وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات رثاه فقال :

قد فلت إذ غيبتك واصطفقت * عليك أيدي التراب والطين
إذهب فنعم الحفيظ كنت على الـ * دنيا ولهم الظهير للدين
لا جبر الله أمة فقدت * مثلك إلا بمنل هارون

وقال مروان بن أبي الجنوب - وهو ابن أخي حفصة - :

أبو إسحاق مات ضحى فننا * وأمسينا بهارون حيننا
إن جاء الخيس بما كرهنا * لقد جاء الخيس بما هوينا

خلافة هارون الواثق بن المعتصم

يبيع له بالخلافة قبل موت أبيه يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة - أعني سنة سبع وعشرين ومائتين - ويكنى أبا جعفر ، وأمّه أم ولد رومية يقال لها قراطيس ، وقد خرجت في هذه السنة قاصدة الحج فانت بالحيرة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى ، وذلك لأربع خلون من ذي القعدة من هذه السنة ، وكان الذي أقام للناس الحج فيها جعفر بن المعتصم وفيها توفي ملك الروم توفيل بن ميخائيل ، وكانت مدة ملكه ثلثي عشرة سنة ، فملك الروم بعده امرأته تدورة . وكان ابنها ميخائيل بن توفيل صغيراً . وفيها توفي :

بشر الحافي الزاهد المشهور

وهو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي ، نزيل بغداد . قال ابن خلكان : وكان اسم جده عبد الله الغيور ، أسلم على يدي علي بن أبي طالب . قلت : وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة ، وسمع بها شيئاً كثيراً من حماد بن زيد ، وعبد الله بن المبارك ، وابن مهدي ، ومالك ، وأبي بكر بن عياش ، وغيرهم . وعنه جماعة منهم أبو خيثمة ، وزهير بن حرب ، وسري السقطي ، والعباس بن عبد العظيم ، ومحمد بن حاتم . قال محمد بن سعيد : سمع بشر كثيراً ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث ، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهادته وورعه ونسكه وتقشفه . قال الأمام أحمد يوم بلغه موته : لم يكن له نظير إلا عاصم بن عبيد قيس ، ولو تزوج لثم أمره . وفي رواية عنه أنه قال : ماترك بعده مثله . وقال إبراهيم الحاربي : ما أخرجت بغداد أمة عقلا منه ، ولا أحفظ لسانه منه ، ما عرف له غيبة

لسلم ، وكان في كل شعرة منه عقل . ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء . وذكر غير واحد أن بشراً كان شاطراً في بدء أمره ، وأن سبب توبته أنه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في أنون حمام فرفعها ورفع طرفه إلى السماء وقال : سيدي اسمك ههنا ملق يداس انهم ذهب إلى عطار فاشترى بديهم غالبية وضخ تلك الرقعة منها ووضعها حيث لا تنال ، فاحيي الله قلبه وأطمه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة .

ومن كلامه : من أحب الدنيا فليتهياً للذل . وكان بشرياً كل الخبز وحده فقيل له : أما لك آدم ؟ فقال : بلى أذكر المأفية فأجعلها أدماً . وكان لا يلبس نعلاً بل يمشي حافياً ، فجاء يوماً إلى باب فطرقة فقيل من ذا ؟ فقال : بشر الحافي . فقالت له جارية صغيرة : لو اشترى نعلاً بديهم لذهب عنه اسم الحافي . قالوا : وكان سبب تركه النعل أنه جاء مرة إلى حذاء فطلب منه شراكا لئله فقال : ما أكثر كائنكم يافترء على الناس ؟ فطرح النعل من يده وخلع الأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلاً أبداً .

قال ابن خلدن : وكانت وفاته يوم عاشوراء ، وقيل في رمضان ببغداد ، وقيل بمر . قلت : الصحيح ببغداد في هذه السنة ، وقيل في سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم . وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم ، فأخرج بعد صلاة العجر فلم يستقر في قبره إلا بعد العتمة . وكان على المدافني وغيره من أئمة الحديث يصبح بأعلا صوته في الجنائز : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة . وقد روى أن الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكنه . وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ولكل من أحبني إلى يوم القيامة . وذكر الخطيب أنه كان له أخوات ثلاث وهن : حجة . ومضفة ، وزبدة . وكلهن عابدات زاهدات مثله وأشد ورعاً أيضاً . ذهبت إحداهن إلى الإمام أحمد بن حنبل فقالت : إني ربما طفت السراج وأنا أغزل على ضوء القمر فهل على عند البيع أن أميز هذا من هذا ؟ فقال : إن كان بينهما فرق فبزي للمشتري . وقالت له مرة إحداهن : ربما تمر بنا مشاعل بنى طاهر في الليل ونحن نغزل فنغزل الطاق والطاقين والطاقات فغصني من ذلك . فأمرها أن تنصديق بذلك الغزل كله لما اشتبه عليها من معرفة ذلك المقدر . وسألته عن ابن المريض أفييه شكوى ؟ قال لا ! إنما هو شكوى إلى الله عز وجل . ثم خرجت فقال لابنه عبد الله : يا بني اذهب خلفها فاعلم لي من هذه المرأة ؟ قال عبد الله : فذهبت وراها فاذا هي قد دخلت دار بشر ، وإذا هي أخته حجة .

وروى الخطيب أيضاً عن زبدة قالت : جاء لييلة أشى بشر فدخل برجله في الدار وبقيت

الأخرى خارج الدار ، فاستمر كذلك ليلته حتى أصبح ، فقيل له فبم تفكرت ليلتك ؟ فقال :
تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي وفي نفسي لأن اسمي بشر ، فقلت في
نفسى : ما الذى سبق لى من الله حتى خصنى بالاسلام من بينهم ؟ ففكرت في فضل الله على وحدته
أن هدانى للاسلام ، وجعلنى ممن خصه به ، وألبسنى لباس أحبائه . وقد ترجمه ابن عساکر فأطنّب
وأطيب وأطال من غير ملال ، وقد ذكر له أثماراً حسنة ، وذكر أنه كان يتمثل بهذه الأبيات :

تغافُ الغدَى في الماء لا تستطيعُ * وتكرعُ من حوض الذنوب فتشربُ
وتنورُ من أكل الطعامِ أذه * ولا تذكرُ الخنثارُ من أين يكسبُ
وترقدُ يامسكينُ فوقَ نمارق * وفي حشوها نازةٌ عليكِ تلهبُ
لنحى متى لا تستفيقُ جماله * وأنتَ ابنُ سبعينَ بدينك تلهبُ

ومن توفي فيها أحمد بن يونس ، وإسماعيل بن عمرو البجلي . وسعيد بن منصور صاحب السنن
المشهورة لا يشاركه فيها إلا القليل . ومحمد بن الصباح الديلمي . وله سنن أيضاً ، وأبو الوليد
الطبراني . وأبو الهذيل العلاف المتكلم المعتزلي . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

في رمضان منها خلع الواثق على أشنابس الأمير ، وتوجه وألبسه وشاحين من جوهر وحبج بالناس
فيها محمد بن داود الأمير . وغلا السعر على طريق مكة جداً ، وأصابهم حر شديد وهم
بعرفة ، ثم أعقبه برد شديد ومطر عظيم ، كل ذلك في ساعة واحدة ، ونزل عليهم وهم بمنى مطر لم ير
مثله ، وسقطت قطعة من الجبل عند جرة العقبة فقتلت جماعة من الحجاج .

قال ابن جرير : وفيها مات أبو الحسن المدائني أحد أئمة هذا الشأن في منزل إسحاق بن إبراهيم
الموصلى . وحبيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر
قلت أما أبو الحسن المدائني فاسمه على بن المدائني أحد أئمة هذا الشأن ، وإمام الأخباريين في
زمانه ، وقد قدمنا ذكر وفاته قبل هذه السنة . وأما

أبو تمام الطائي الشاعر

صاحب الحماسة التي جمعها في فضل النساء بهمدان في دار وزيرها ، فهو حبيب بن أوس بن
الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى أبو تمام الطائي الشاعر الأديب . ونقل الخطيب عن محمد بن
يحيى الحمولى أنه حكى عن بعض الناس أنهم قالوا : أبو تمام حبيب بن تدرس النصراني ، فسماه
أبوه حبيب أوس بدل تدرس . قال ابن خلكان : وأصله من قرية جاسم من عمل الجديدر بالقرب من
طبرية ، وكان يهشقى يعمل عند حائك ، ثم سار به إلى مصر في شبينة . وابن خلكان أخذ ذلك

من تاريخ ابن عساكر ، وقد ترجم له أبو تمام ترجمة حسنة . قال الخطيب : وهو شامي الأصل ، وكان عصر في حدائقه يسقى الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس بعض الأدياء فاخذ عنهم وكان فطناً فمماً ، وكان يحب الشعر فلم يزل يماييه حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره وبلغ المعتمد خبره فحمله إليه وهو بسر من رأى ، فعمل فيه قصائد فاجازته وقدمه على شعراء وقته ، قدم بغداد فجالس الأدياء وعاشر العلماء ، وكان موصوفاً بالطرف وحسن الأخلاق . وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر أخباراً بسنده . قال ابن خلكان : كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع وغير ذلك ، وكان يقال : في طي ثلاثة : حاتم في كرمه ، وداد الطائي في زهره ، وأبو تمام في شعره . وقد كان الشعراء في زمانه جماعة فمن مشاهيرهم أبو الشيخ ، ودعبل ، وابن أبي قيس ، وكان أبو تمام من خيارهم ديناً وأدباً وأخلاقاً . ومن رقيق شعره قوله : -

يَا حَلِيفَ النَّدى وَيَا مَعِينَ الجودِ * وَيَا خَيْرَ مَنْ حَوَيْتَ القَرِيضَا
لَيْتَ لِحَاكٍ بِي وَكَانَ لَكَ الْأَج * رُفْلَا تَشْتَكِي وَكُنْتُ المَرِيضَا

وقد ذكر الخطيب عن إبراهيم بن محمد بن عرفة أن أبا تمام توفي في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وكذا قال ابن جرير . وحكى عن بعضهم أنه توفي في سنة إحدى وثلاثين ، وقيل سنة ثلثين وثلاثين فأنه أعلم . وكانت وفاته بالموصل ، وبلدت على قبره قبة ، وقد رثاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات فقال :
نَبَأَ أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ الْأَنْبَاءِ * لَمَّا أَلَمْتُ مَقْلَقَ الْأَحْشَاءِ
قَالُوا حَبِيبٌ قَدْ تَوَى فَأَجَبْتُهُمْ * نَاشِدْتُكُمْ لَا تَجْلُوهُ الطَّائِي
وَقَالَ غَيْرُهُ : رُجِعَ الْقَرِيضُ بِخَاتَمِ الشُّعْرَاءِ * وَغَدِيرٌ رَوْضَتُهَا حَبِيبُ الطَّائِي
مَا نَا مَعًا فَتَجَاوَرَا فِي حُفْرَةٍ * وَكَذَلِكَ كَانَا قَبْلُ فِي الْأَعْيَاءِ
وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم . قال ابن خلكان : وقد امتدح أحمد بن المعتصم ويقال ابن المأمون بقصيدته التي يقول فيها :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَهَابَةِ حَاتِمٍ * فِي جِلْمٍ أَحْنَفٍ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ

فقال له بعض الحاضرين : أتقول هذا لأمير المؤمنين وهو أكبر قدراً من هؤلاء ؟ فأنك ما زدت على أن شبيهته بأجلاف من العرب البوادي . فأطرق إطرقة ثم رفع رأسه فقال :
لَا تُنْكِرُوا مَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ * مَثَلُ شُرُودَا فِي النَّدى وَالبَّاسِ
فَأَلْفُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِلنَّوْرِ * مَثَلًا مِنَ الْمَشَاكِرِ وَالنَّبَّاسِ
قال : فلما اخذوا القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين ، وإنما قالهما أرنهالا . قال : ولم يعيش بعد هذا إلا قليلاً حتى مات . وقيل إن الخليفة أعطاه الموصل لما مدحه بهذه القصيدة ، فأقام بها أربعين

بوماً ثم مات . وليس هذا بصحيح ، ولا أصل له ، وإن كان قد لحج به بعض الناس كالزحرفي وغيره . وقد أورد له ابن عساكر أشياء من شعره مثل قوله : -

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا * هلكن إذا من جهلن البهائم
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا الجهد في كتب امرئ الذمام
ومنه قوله : وما أنا بالفرسان من دون غريب * إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلم
طبيب فوادي منذ ثلاثين حجة * ومذهب همي والمفرج للغم

وفيهما توفى أبو نصر الفارابي . والمبسى . وأبو الجهم . وسدد . وداد بن عمرو الضبي . وبمحي بن عبد الحميد الحناني . ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

فيها أمر الواثق يعقوبة الدواوين وضربهم واستخلاص الأموال منهم ، لظهور خيانتهم وإسرافهم في أمورهم ، فنهى من ضرب ألف سوط وأكثر من ذلك وأقل ، ومنهم من أخذ منه ألف ألف دينار ، ودون ذلك ، وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاية الشرطة بالمدواة فسفوا وجبسا ولقوا شراً عظيماً ، وجهناً جليلاً ، وجاسراً إسحاق بن إبراهيم للنظر في أمرهم ، وأقيموا للناس واقتضوا هم والدواوين فضيحة بليغة . وكان سبب ذلك أن الواثق جلس ليلة في دار الخلافة وجلسوا يسمرون عنده ، فقال : هل منكم أحد يعرف سبب عقوبة جدى الرشيد للبرامكة ؟ فقال بعض الحاضرين : نعم يا أمير المؤمنين ! سبب ذلك أن الرشيد عرضت له جارية فأعجبها جمالها فساوم سيدها فيها فقال : يا أمير المؤمنين إني أقسمت بكل يمين أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار ، فاشتراها منه بها ودمت إلى بمحي بن خالد الوزير ليعت إليه بالمال من بيت المال ، فاعتل بأنها ليست عنده ، فأرسل الرشيد إليه يؤنبه ويقول : أما في بيت مالى مائة ألف دينار ؟ وألح في طلبها فقال بمحي بن خالد : أرسلوها إليه درهم ليستكثرها ، ولعله يرد الجارية . فبعثوا بمائة ألف دينار درهم ووضعوها في طريق الرشيد وهو خارج إلى الصلاة ، فلما اجتاز به رأى كوماً من دراهم ، فقال : ما هذا قالوا : ثمن الجارية ، فاستكثر ذلك وأمر بخزنها عند بعض خديمه في دار الخلافة ، وأعجبه جمع المال في حواصله ، ثم شرع في تتبع أموال بيت المال فإذا البرامكة قد استهلكوها ، فجعل يهيم بهم نارة يريد أخذهم وهلاكهم ، ونارة يحجم عنهم ، حتى إذا كان في بعض الليالي سمر عنده رجل يقال له أبو الود فاطلق له ثلاثين ألفاً من الدراهم ، فذهب إلى الوزير بمحي بن خالد بن برمك فطلبها منه فاطله مدة طويلة ، فلما كان في بعض الليالي في السمر عرض أبو الود بذلك للرشيد في قول عمر بن أبي ربيعة : وعدت هند وما كادت تمدا * ليت هنداً أنجزتنا ما كمدت واستبدت مرة واحدة * إنما العاجز من لا يستبد

لجمال الرشيد يكرر قوله : إنما العاجز من لا يستبد ، ويمجبه ذلك . فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأشده الرشيد هذين البيتين وهو يستحسنهما ، ففهم ذلك يحيى بن خالد وخاف وسأل عن من أنشد ذلك لرشيد ؟ فقيل له أبو الدود . فبعث إليه وأعطاها الثلاثين ألفاً وأعطاها من عنده عشرين ألفاً ، وكذلك ولداه الفضل وجمهر ، فما كان عن قريب حتى أخذ الرشيد البرامكة ، وكان من أمرهم ما كان .

فلما سمع ذلك الواثق أعجبه ذلك وجعل يكرر قول الشاعر : إنما العاجز من لا يستبد . ثم بعث بالكتاب وهم الدواوين على إثر ذلك ، وأخذ منهم أموالاً عظيمة جداً . وفيها حجج بالناس أمير السنة الماضية وهو أمير الحليج في السنتين الماضيتين .

وفيها توفي خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء ، وعبد الله بن محمد السندي ، ونعيم بن حماد الخزازي أحد أئمة السنة بسد أن كان من أكابر الجهمية ، وله المصنفات في السنن وغيرها ، وبنار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكنونة عنه أو منه ، وليكنها عالية الاسناد إليه ، وليكنها موضوعة . ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

في جمادى منها خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فعاثوا في الأرض فساداً ، وأخافوا السبيل ، وقتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة من المناهل والقرى ، فبعث إليهم الواثق بغا الكبير أبا موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان فقتل منهم خمسين فارساً وأسر منهم . وانهمز بقيتهم ، فدعاهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أمير المؤمنين ، فاجتمع إليه منهم خلق كثير ، فدخل بهم المدينة وسجن رؤسهم في دار يزيد بن معاوية وخرج إلى الحج في هذه السنة ، وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب نائب العراق . وفيها حج بالناس محمد بن دواد المتقدم . وفيها توفي : عبد الله بن طاهر بن الحسين

نائب خراسان وما والاها . وكان خراج ما تحت يده في كل سنة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم ، فولى الواثق مكانه ابنه طاهر . وتوفي قبله أشناس التركي بقسمة أيام ، يوم الاثنين لأحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة . وقال ابن خلكان : توفي سنة ثمان وعشرين ومجرو ، وقيل بنيسابور . وكان كريماً جواداً ، وله شعر حسن ، وقد ولي نيابة مصر بعد العشرين ومائتين . وذكر الوزير أبو القاسم بن المعزى أن البطيخ العبدلوى الذي بعصر منسوب إلى سدد الله بن طاهر هذا . قال ابن خلكان : لأنه كان يستطيعه ، وقيل لأنه أول من زرعه هناك والله أعلم . ومن جيد شعره :

اغتنر زائي لتحرز فضل الشئ • كرمي ولا يفوتك أجري

لا تَكَلِّبْنِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْعَدُوِّ * رَأَيْتُ أَنْ لَا أَقُومَ بِمَذْرِي
وَمِنْ شَرِّهِ قَوْلُهُ: نَحْنُ قَوْمٌ يُكَلِّفُنَا الْخُلُقَ وَالنُّحْ * رَأَيْتُ عَلَى أُنْثَى الْخُلُقِ
طَرِخَ أَيْدِي الْقَبَا تَصْنَعُنَا الْعِي * رَأَيْتُ شَأْنَنَا نَصِيحُ الْأَسْوَدَا
تَمْلِكُ النَّصِيحَ ثُمَّ تَمْلِكُنَا إِلَيْهِ * ضَرْفُ الْمَضِيئَاتِ أَغْنَيْنَا وَخُدُودَا
تَقْنِي سَخَطُنَا الْأَسْوَدُ وَنَخْشَى * سَقَطَ الْخُشْفُ حِينَ تَبْدِي الْقَعُودَا
فَتَرَانَا بِوَجْهِ السَّكْرِ هَتَرَ أَحْرَا * رَأَى فِي السَّكْرِ لَلْفَوَائِي عَيْبِدَا

قال ابن خلكان : وكان خزاعياً من موالى طلحة الطلحات الخزاعي ، وقد كان أبو تمام يمدحه ،
فدخل إليه مرة فأضافه الملح بهمدان فصنف له كتاب الحماسة عند بعض نساء . ولما ولاه المأمون
نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رسم له بمافي ديار مصر من الجوابل ، فحمل إليه وهو في أثناء الطريق
ثلاثة آلاف ألف دينار ، ففرقها كلها في مجلس واحد ، وأنه لما واجه مصر نظر إليها فاحتقرها وقال :
بيعت الله فرعون ، ما كان أخسه وأضغف همته حين تبجح وتعاظم بملك هذه القرية ، وقال : أنا ربكم
الأعلى . وقال : أليس لي ملك مصر . فكيف لورأى بغداد وغيرها .

وفيهما توفي علي بن جعد الجوهري . ومحمد بن سعد كاتب الواقدي مصنف كتاب الطبقات
وغیره . وسعيد بن محمد الجرمي

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

ففيها وقعت مفاداة الأسارى المسلمين الذين كانوا في أيدي الروم على أيدي الأمير خاقان الخادم
وذلك في الحرم من هذه السنة ، وكان عدة الأسارى أربعة آلاف وثلثمائة واثنين وستين أسيراً .
وفيها كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه

وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن إلهيم الخزاعي وكان جده مالك
ابن إلهيم من أكابر الدعاة إلى دولة بني العباس الذين قتلوا ولده هذا ، وكان أحمد بن نصر هذا له
وجاهة ورياسة ، وكان أبوه نصر بن مالك يشاه أهل الحديث ، وقد بايعه العامة في سنة إحدى
ومائتين على القيام بالأمر والنهي حين كثرت الشطار والدعار في غيبة المأمون عن بغداد كما تقدم
ذلك ، وبه تعرف سوية نصر ببغداد ، وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح
والاجتهاد في الخير ، وكان من أئمة السنة الأسمرين بالمروءة والناهيين عن المنكر ، وكان ممن يدعو
إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، وكان الواقفي من أشد الناس في القول بخلق
القرآن ، يدعو إليه ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، استناداً على ما كان عليه أبوه قبله وعه المأمون ، من

غير دليل ولا برهان ، ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن . فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، و أشياء كثيرة دعا الناس إليها . فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد ، والنزاع عليه من الألوف أعداد ، وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلان وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي ، وآخر يقال له طالب يدعو أهل الجانب الغربي فاجتمع عليهما من الخلائق ألوف كثيرة ، وجماعات غزيرة ، فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السر على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والخروج على السلطان لبدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن ، ولما هو عليه وأمرؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها . فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان - وهي ليلة الجمعة - يضرب طبل في الليل فيجتمع الذين يابعدوا في مكان اتفقوا عليه ، وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه ديناراً ديناراً ، وكان من جملة من أعطوه رجلان من بني أشرس ، وكانا ينماطيان الشراب ، فلما كانت ليلة الخميس شراباً في قوم من أصحابهم واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد ، وكان ذلك قبله ليلة ، فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس ، فلم يجرى أحمد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة ، وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب ، وكان نائباً لأخيه إسحاق بن إبراهيم ، لغيبته عن بغداد ، فأصبح الناس متخبطين ، واجتهد نائب السلطنة على إحضار ذينك الرجلين فاحضرا فماتهما فأقرا على أحمد بن نصر ، فطلبه وأخذ خادماً له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان ، فجمع جماعة من رؤس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة بسر من رأى ، وذلك في آخر شعبان ، فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد الممتزلي ، وأحضر أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد ابن نصر عتب ، فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الوائق لم يماثبه على شيء مما كان منه في مبايعته الدوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره ، بل أعرض عن ذلك كله وقال له : ما تقول في القرآن ؟ فقل : هو كلام الله . قال : أخلق هو ؟ قال هو كلام الله . وكان أحمد بن نصر قد استنقل وباع نفسه وحضر وقد تمهط وتنور وشد على عورته ما يسترها فقال له : فما تقول في ربك ، أنزاه يوم القيامة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك ، قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وقال رسول الله ص : « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته » . فنحن على الخبر . زاد الخطيب قال الوائق : ويحك ! أبرى كابرى المحدث المنجم ؟ ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟ أنا أ كفر برب هذه صفته .

قلت : وما قاله الوائق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم . ثم قال أحمد بن

نصر الوائقي : وحدثنى سفيان بإحدى يرفعه « إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقلبه كيف شاء » وكان النبي اسـ، يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » . فقال له إسحاق بن إبراهيم : ويحك ، انظر ما تقول . فقال : أنت أمرتني بذلك . فأشفق إسحاق من ذلك وقال : أنا أمرتك ؟ قال : نعم ، أنت أمرتني أن أضحك له . فقال الوائقي لمن حوله : ماتقولون في هذا الرجل ؟ فأكثروا القول فيه . فقال عبيد الرحمن بن إسحاق - وكان قاضياً على الجانب الغربي لعزل وكان مواداً لأحمد بن نصر قبل ذلك - يا أمير المؤمنين هو حلال الدم . وقال أبو عبد الله الأرمي صاحب أحمد بن أبي دؤاد : استقى دمه يا أمير المؤمنين . فقال الوائقي : لا بد أن يأتي ما تريد . وقال ابن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاة أو نقص عقل . فقال الوائقي : إذا رأيتموني قتل إليه فلا يقوم أحد معي ، قال أحسب خطاي . ثم نهض إليه بالصمصامة - وقد كانت سيفاً لعمر بن معديكرب الزبيدي أهدب لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صديعة مسحورة في أسفلها مسمورة بمسامير - فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بجعل قد أوقف على نطع ، ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فستط سريماً رحمه الله على النطع ميتاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . رحمه الله وعفا عنه . ثم انتهى سبب الدمشقي سيفه فضرب عنقه وحز رأسه وحمل معترضا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها ، وفي رجله زوج قيود وعليه سراويل وقيص ، وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياماً ، وفي الغربي أياماً ، وعنده الحرس في الليل والنهار ، وفي أذنه رقعة مكتوب فيها : هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخراساني ، ممن قتل على يدى عبد الله هارون الامام الوائقي بالله أمير المؤمنين بعد أن أظلم عليه الحجة في خلق القرآن ، ولقي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا الممانعة والتصريح ، فالله الله الذي مجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر ، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه .

ثم أسر الوائقي بتتبع رؤس أصحابه فأخذ منهم نحواً من تسع وعشرين رجلاً فأودعوا في السجون وسعوا الظلمة ، ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد ، ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين ، وهذا ظلم عظيم .

وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسمع الحديث من حماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وهاشم بن بشير ، وكانت عنده مصنفاته كلها ، وسمع من الامام مالك بن أنس أحاديث جيدة ، ولم يحدث بكثير من حديثه ، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي ، وأخوه يعقوب بن إبراهيم ويحيى بن معين ، وذكره يوماً فترحم عليه وقال : قد ختم الله له بالشهادة ، وكان لا يحدث ويقول إني لست أهلاً لذلك . وأحسن يحيى بن معين الثناء

عليه جداً . وذكره الامام أحمد بن حنبل يوماً فقال : رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله ، لقد جاد بنفسه له . وقال جعفر بن محمد الصائغ : بصرت عيناي وإلا فقتلنا وصحمت أذناي وإلا فصمتنا أحمد ابن نصر الخزاعي حين ضربت عنقه يقول رأسه : لا إله إلا الله . وقد سمعته بعض الناس وهو مصلوب على الجذع وزأسه يقرأ [ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون] قال : فاقشعر جلدي . ورآه بعضهم في النوم فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلي . ورأى بعضهم رسول الله (ص) في المنام ومعه أبو بكر وعمر ، قد مروا على الجذع الذي عليه رأس أحمد بن نصر ، فلما جاوزوه أعرض رسول الله (ص) بوجهه الكريم عنه فقيل له : يا رسول الله مالك أعرضت عن أحمد بن نصر ؟ فقال : « أعرضت عنه استحياء منه حين قتل رجل يزعم أنه من أهل بيتي » .

ولم يزل رأسه منصوباً من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة - أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين - إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فجمع بين رأسه وجنته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المرووفة بالملايكة رحمه الله . وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق ، وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكنتاني - صاحب كتاب الحيدة - على المتوكل وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصليح لأهل السنة ، بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعنه المأمون ، فانهم أسأوا إلى أهل السنة وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم ، فأمره أن ينزل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل ، وقد كان المتوكل يكرم الامام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً جداً كما سيأتي بيانه في موضعه . والمقصود أن عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة قال للمتوكل : يا أمير المؤمنين ما رأيت أو مارفت أعجب من أمر الواثق ، قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ القرآن إلى أن دفن . فوجل المتوكل من كلامه وساء ما سمع في أخيه الواثق ، فلما دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات قال له المتوكل : في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر . فقال : يا أمير المؤمنين أحرقتني الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرآ . ودخل عليه هرمة فقال له في ذلك فقال : قطعني الله إرباً بلبا إن قتله إلا كافرآ . ودخل عليه القاضي أحمد بن أبي دؤاد فقال له مثل ذلك فقال : ضربني الله بالفالج إن قتله الواثق إلا كافرآ . قال المتوكل : فأما ابن الزيات فأنا أحرقت بالنار . وأما هرمة فانه حرب فاجتاز بقبيلة خزاعة فرفه رجل من الحنظلي فقال : يا مشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمك أحمد بن نصر فقطعوه . فقطعوه إرباً إرباً . وأما ابن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلدته - يعني بالفالج - ضربه الله قبل موته بأربع سنين ، وصودر من صلب ماله بمال جزيل جداً كما سيأتي بيانه في موضعه .

وروى أبو داود في كتاب المسائل عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن أحمد بن نصر قال : سألت
سفيان بن عيينة « القلوب بين إصبعين من أصابع الله ، وإن الله يضحك من بذرك في الأسواق » .
فقال : أروها كما جاءت بلا كيف .

وفيها أراد الواثق أن يحج واستعد لذلك فذكر له أن الماء بالطريق قليل فترك الحج عامداً .
وفيها تولى جعفر بن ^(١) دينار نائب اليمن فسار إليها في أربعة آلاف فارس . وفيها عدا قوم من العامة
على بيت المال فأخذوا منه شيئاً من الذهب والفضة ، فأخذوا وسجنوا . وفيها ظهر خارجي ببلاد
ريمية فقاتله نائب الموصل فكسره وانهزم أصحابه . وفيها قدم وصيف الخادم بجماعة من الأكراد نحو
من خمسمائة في القيود ، كانوا قد أفسدوا في الطرقات وقطعوا ، فأطلق الخليفة لوصيف الخادم خمسة
وسبعين ألف دينار ، وخلع عليه . وفيها قدم خاقان الخادم من بلاد الروم وقد تم الصلح والمفاداة بينه
وبين الروم ، وقدم معه جماعة من رؤس الثغور ، فأمر الواثق بامتناعهم بخلق القرآن وأن الله لا يرى
في الآخرة فأجابوا إلا أربعة فأمر بضرب أعناقهم إن لم يجيبوا بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى
في الآخرة . وأمر الواثق أيضاً بامتناع الأسارى الذين فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن
وأن الله لا يرى في الآخرة فن أجاب [إلى القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فودى
وإلا ترك في أيدي الكفار ، وهذه بدعة صلحاء شعاء عمية صماء لا تستند لها من كتاب ولا سنة ولا
عقل صحيح ، بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في موضعه . والله المستعان] ^(٢)
وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له اللامس ، عند سلوقية بالقرب من طرسوس ، ببل كل مسلم
أو مسلمة في أيدي الروم أو ذى أو ذمية كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين
ممن لم يسلم ، فنصبوا جسرين على النهر فاذا أرسل الروم مسلماً أو مسلمة في جسرهم فأنهى إلى المسلمين
كبر وكبر المسلمون ، ثم يرسل المسلمون أسيراً من الروم على جسرهم فاذا أنهى إليهم تكلم بكلام
يشبه التكبير أيضاً . ولم يزالوا كذلك مدة أربعة أيام بدل كل نفس نفس ، ثم بقي مع خاقان جماعة
من الروم الأسارى فأطلقهم للروم حتى يكون له الفضل عليهم .

قال ابن جرير : وفيها مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بطبرستان في شهر رمضان . وفيها مات
الخطاب بن وجه الفلس . وفيها مات أبو عبد الله بن الأعرابي الراوية يوم الأربعاء لثلاث عشرة
خلت من شعبان ، وهو ابن ثمانين سنة . وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى أخت علي بن موسى الرضا .
وفيها مات غمارق المغني . وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصمى ، وعمر بن أبي عمرو الشيباني .
ومحمد بن سمدان النحوي . قلت : ومن توفى فيها أيضاً أحمد بن نصر الخزاعي كما تقدم . وإبراهيم

(١) في المصرية أحمد بن دينار (٢) زيادة من المصرية .

ابن محمد بن عريرة . وأمية بن بسطام . وأبو تمام الطائي في قول . والمشهور ما تقدم . وكامل بن طلحة . ومحمد بن سلام الجعي . وأخوه عبد الرحمن . ومحمد بن منهل الضرير . ومحمد بن منهل أخو حجاج . وهارون بن معروف . والبويعلى صاحب الشافعي مات في السجن مقيدا على القول بخلق القرآن فامتنع من ذلك . ويحيى بن بكير راوى الموطأ عن مالك .

ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين

فيها عانت قبيلة يقال لها بنو نمير بالجماعة فساداً فكتب الوراق إلى بنو السكبر وهو مقيم بأرض الحجاز فغار بهم قتل منهم جماعة وأسروهم آخرين ، وهزم بقيتهم ، ثم التقى مع بني تميم وهو في ألني فارس وم ثلاثة آلاف ، فحرت بينهم حروب ثم كان الظفر له عليهم آخر ، وذلك في النصف من جمادى الآخرة . ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد ومعهم من أعيان رؤسهم في القيود والأسر جماعة ، وقد قدم من أعيانهم في الواقع ما ينيف على ألني رجل من بني سليم ونمير ومرة وكلاب وفزارة وعلبة وطى وقيم وغيرهم . وفي هذه السنة أصاب الحجبيج في رجوعهم عطش شديد حتى بيعت الشربة بالدينار الكبيرة ، ومات خلق كثير من العطش . وفيها أمر الوراق بتترك جباية أعشار سفن البحر . وفيها كانت وفاة الخليفة الوراق بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد أبي جعفر هارون الوراق . كان هلاكه في ذى الحجة من هذه السنة بيلة الاستسقاء ، فلم يقدر على حضور العيد عائداً ، فاستناب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي ذؤاد الأيادي المنزلي . توفي لست بقين من ذى الحجة ، وذلك أنه قوى به الاستسقاء فأفقد في تنور قد أحى له بحيث يمكنه الجلوس فيه ليسكن وجهه ، فلان عليه بعض الشيء اليسير ، فلما كان من اللد أمر بأن يحمي أكثر من المادة فأجلس فيه ثم أخرج فوضع في محفة لحمل فيها وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه ، فمات وهو محمول فيها ، فاشد رواحى سقط جبينه على المحفة وهو ميت ، فدمض القاضى عليه بعد سقوط جبينه ، وولى غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهادى ، عليهما من الله ما يستحقانه . وكان أبيض اللون مشرباً حمرة بجيمل المنظر خبيث القلب حسن الجسم سى الطوية ، قائم العين اليمرى ، فيها نكتة بيضاء ، وكان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة ، فمات وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخسة أيام ، وقيل سبعة أيام وثلث عشرة ساعة . فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة . وقد جمع الوراق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته ، وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعى ليلحقه إلى بين يدى الله ، فلما جمعهم أمرهم أن ينظروا في مولده وما تقهضيه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته ، فاجتمع عنده من رؤسهم جماعة منهم الحسن بن سهل والفضل ابن إسحاق الهاشمي ، وإسماعيل بن نوبخت . ومحمد بن موسى الخوارزمي الجوسى القطر بلى وسند

صاحب محمد بن المهيم، وعامة من ينظر في النجوم، فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندئذ فاجمعوا على أنه يعيش في الخلافة دهرًا طويلا، وقدروا له خمسين سنة مستقبلة من يوم نظروا نظار من لم يمصر، فانه لم يمض بعد قوفهم وتقديرهم إلا عشرة أيام حتى هلك. ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله.

قال ابن جرير: وذكر الحسين بن الضحاك أنه شهد الوائق بعد أن مات المعتصم بأيام وقد قدم مجلسا كان أول مجلس قومه، ولكن أول ما غنى به في ذلك المجلس أن غنثه شارية جارية إبراهيم بن المهدي: **مادري الحاملون يوم استقلوا * نعتهم لتقوار أمه لقار**
فليل فيك يا كياتك ما شئ * نصياحا في وقت كل مساء

قال: فبكى وبكى حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه. ثم اندفع بعضهم ينفى:
وقع هزيمة إن الركب مرتحل * وهل تليق وداعا أنبا الزجل

فازداد بكاءه وقال: ما سمعت كالיום قط تمزية بأب وبني نفس، ثم أرفض ذلك المجلس. وروى الخطيب أن دهل بن علي الشاعر لما تولى الوائق حمد إلى طومار فكتب فيه أبيات شعر ثم جاء إلى الخطيب فدفعه إليه وقال: اقرأ أمير المؤمنين السلام وقل: هذه أبيات امتدحك بها دهل فلما فضها الوائق إذا فيها:

الحمد لله لا صبر ولا جلة * ولا عزاء إذا أهل الهوى رقدوا
خليفة مات لم يمزق له أحمه * وآخر قام لم يفرخ به أحد
فرا هذا ومر الشوم يقبمه * وقام هذا فقام الويل والنكته

قال: فتطلبه الوائق بكل ما يقدر عليه من الطلب فلم يقدر عليه حتى مات الوائق. وروى أيضا أنه لما استخلف الوائق ابن أبي دؤاد على الصلاة في يوم العيد ورجع إليه بعد أن قضاها قال له: كيف كان عيذك يا أبا عبد الله؟ قال: كنا في نهار لا شمس فيه. فضحك وقال: يا أبا عبد الله أنا مؤيد بك. قال الخطيب: وكان ابن أبي دؤاد استولى على الوائق وحمله على التشديد في الهنة ودعا الناس إلى القول بخناق القرآن. قال ويقال: إن الوائق رجع عن ذلك قبل موته فأخبرني عبد الله بن أبي الفتح أنبا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة حدثني حامد بن العباس عن رجل عن المهدي أن الوائق مات وقد تاب من القول بخلق القرآن. وروى أن الوائق دخل عليه يوما وودبه فأكرمه إكراما كثيرا فقبل له في ذلك فقال: هذا أول من فتق لساني بك الله وأدناى برحمة الله. وكتب إليه بعض الشعراء:

جذبته دواعي النفس عن طلب النفي * وقلت لماعني عن الطلب التزدد

فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَفَرٍ * مدارُ رَحَا الْأَرْزَاقِ دائمةٌ تَجْرِي
فَوَقِعَ لَهُ فِي رَقْمَتِهِ جَذْبَتَكَ نَفْسِكَ عَنْ امْتِنَانِهَا ، وَدَعَتْكَ إِلَى صَوْنِهَا نَغْدَ مَا طَلَبَتْهُ هِينًا . وَأَجْزَلَ
هَذَا طَاءَ . وَهَذَا شِعْرُهُ قَوْلُهُ :
هِيَ الْمَقَادِيرُ تُجْرِي فِي أَعْنَتِهَا * فَصَبْرٌ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالٍ
وَمِنْ شِعْرِ الْوَائِقِ قَوْلُهُ :

نَتَحَنَّ عَنْ الْقَبِيحِ وَلَا تُرْذَلُ * وَمِنْ أَوْلَيَّتِهِ حُسْنًا فُرْذَلُهُ
مُسْتَكْنَى مِنْ عَدْوِكَ كُلِّ كَيْدٍ * إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ
وَقَالَ الْقَاضِي بِمَجِيئِ بْنِ أَكْثَمٍ : مَا أَحْسَنَ أَحَدٍ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى آلِ أَبِي طَالِبٍ مَا أَحْسَنَ
إِلَيْهِمُ الْوَائِقُ : مَا مَاتَ وَفِيهِمْ قَبِيرٌ . وَلَمَّا احْتَضَرَ جَعَلَ يَرُدُّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
الْمَوْتُ فِيهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ مُشْتَرِكٌ * لَا سَوْفَةً مِنْهُمْ يَبْقَى وَلَا مَلِكٌ
مَا ضَرَّ أَهْلَ قَلِيلٍ فِي تَفَاقُرِهِمْ * وَلا يَسْ يَنْفَى عَنْ الْأَمَلِكِ مَا مَلَكَوا

ثُمَّ أَمَرَ بِالْبَسْطِ فَطَوِيَتْ ثُمَّ أُلْقِيَ خَدَهُ بِالْأَرْضِ وَجَعَلَ يَقُولُ : يَا مَنْ لَا يَزُولُ مَلِكُهُ أَرْحَمَ مَنْ قَدْ
زَالَ مَلِكُهُ . لَمَّا احْتَضَرَ الْوَائِقُ وَنَحْنُ حَوْلَهُ غَشِيَ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ : انْظُرُوا هَلْ
قَضَى ؟ قَالَ : فَدَنَوْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَيْهِ لَأَنْظُرَ هَلْ هَذَا نَفْسُهُ ، فَأُلْقَى فَلَحَظْتُ إِلَى بَعِيْنِهِ فَرَجَعْتُ الْقَهْمَرِي
خَوْفًا مِنْهُ ، فَتَعَلَّقَتْ قَائِمَةً سَبِيحِي بِشَيْءٍ فَكِدْتُ أَنْ أَهْلِكَ ، فَمَا كَانَ عَنْ قَرِيبٍ حَتَّى مَاتَ وَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِ
الْبَابَ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَبَقِيَ فِيهِ وَجَدُهُ وَاشْتَمَلُوا عَنْ نَجِيرِهِ بِالْبَيْعَةِ لِأَخِيهِ جَعْفَرِ الْمُتَوَكِّلِ ، وَجَلَسَتْ أُمَّا
أَحْرَسَ الْبَابَ فَسَمِعَتْ حَرَكَةً مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ فَدَخَلَتْ فَإِذَا جَرَذٌ قَدْ أَكَلَ عَيْنَهُ الَّتِي لَحَظْتُ إِلَى بِهَا ،
وَمَا كَانَ حَوْلَهَا مِنَ الْخَلْدِينَ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَرْمَنِ رَأَى الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا فِي الْقَعْرِ الْهَارُونِي ، فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ
ذِي الْحِجَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْلَى سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ - عَنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَقِيلَ ثَلَاثِينَ
وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ خَمْسَ سِنِينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَخَمْسَةَ أَيَّامٍ ، وَقِيلَ خَمْسَ سِنِينَ وَشَهْرًا
وَإِحْدَ عَشْرِينَ يَوْمًا ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَخُوهُ جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

خِلَافَةُ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ

بَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ الْوَائِقِ وَقَدْ زَالَ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ لَسْتُ بِقَيْنٍ مِنْ ذِي الْحِجَةِ .
وَكَانَتْ الْأَنْزَاكُ قَدْ هَزَمُوا عَلَى تَوَلِيَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَائِقِ فَاسْتَصَفَرُوهُ فَتَرَكُوهُ وَعَدَلُوا إِلَى جَعْفَرِ هَذَا ،
وَكُنَ عَمْرُهُ إِذْ ذَٰلِكَ سِتًّا وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ الَّذِي أَلْبَسَهُ خِلْمَةَ الْخِلَافَةِ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَّادٍ الْقَاضِي ،
وَكُنَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَبَايَعَهُ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ ، وَكَانُوا قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى تَسْمِيَّتِهِ بِالْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ،

إلى صبيحة يوم الجمعة فقال ابن أبي دؤاد رأيت أن يلقب بالمتوكل على الله ، فاتفقوا على ذلك ، وكتب إلى الآفاق وأمر بإعطاء الشاكرية من الجند ثمانية شهور ، وللعنابة أربعة شهور ، ولغيرهم ثلاثة شهور ، واستبشر الناس به . وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه هارون الواثق كأن شيئاً نزل عليه من السماء مكتوب فيه جعفر المتوكل على الله ، فعبره فتيل له هي الخلافة ، فبلغ ذلك أخاه الواثق فسجنه حينئذ وأرسله .

وفيها حج بالناس أمير الحجيج محمد بن داود . وفيها توفي الحكم بن موسى . وعمر بن محمد .

الناقد

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك ابن الزيات ووزير الواثق ، وكان المتوكل يفضله لأمر ، منها أن أخاه الواثق غضب على المتوكل في بعض الأوقات وكان ابن الزيات يزيده غضباً عليه ، فبقى ذلك في نفسه ، ثم كان الذي استرضى الواثق عليه أحمد بن أبي دؤاد فخطى بذلك عنده في أيام تملكه ، ومنها أن ابن الزيات كان قد أشار بخلافة محمد بن الواثق بدد أبيه ، ولف عليه الناس ، وجعفر المتوكل في جنب دار الخلافة لم يلتفت إليه ولم يتم الأمر إلا لجعفر المتوكل على الله ، رغم أنف ابن الزيات . فلهذا أمر بالقبض عليه سريعاً فطلبه فركب بعد غدائه وهو يظن أن الخليفة يبعث إليه ، فأنهى به الرسول إلى دار إيتاخ أمير الشرطة فاحتبط به وقيد وبعثوا في الحال إلى داره فأخذ جميع ما فيها من الأموال والآلات والجواهر والحواصل والجواري والأثاث ، ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشرب ، وبعث المتوكل في الحال أيضاً إلى حواصله بسمرا وضياعه وما فيها فاحتاط عليها ، وأمر به أن يمسب ومنعه من الكلام ، وجعلوا يساهرونه كلما أراد الرقاد فحس بالحديد ، ثم وضعه بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامر قائمة في أسفلها فاقم عليها واكل به من يمنعه من القعود والرقاد ، فبكك كذلك أياماً حتى مات وهو كذلك . ويقال إنه أخرج من التنور وفيه رمق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرب ، ويقال إنه أحرق ثم دفنت جثته إلى أولاده فدفنوه ، فنبشت عليه السكلاب فأكلت ما بقى من لحمه وجلده . وكانت وفاته لاحدى عشرة من ربيع الأول منها . وكان قيمة ما وجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف دينار . وقد قسمنا أن المتوكل سأله عن قتل أحمد بن نصر الخراساني فقال : يا أمير المؤمنين أحرقت الله بالنار إن قتل الواثق إلا كافراً . قال المتوكل : فأنأ أحرقت النار .

وفيها في جمادى الأولى منها بعد مهلك ابن الزيات فليج أحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزى .

فلم يزل مغلوباً حتى مات بعد أربع سنين وهو كذلك ، كما دعا على نفسه حين سأله المتوكل عن

قتل حمد بن نصر كما تقدم . ثم غضب المتوكل على جماعة من الدواوين والعمال ، وأخذ منهم أموالاً جزيلة جداً . وفيها ولي المتوكل ابنه محمد المنتصر الحجاز واليمن وعقد له على ذلك كله في رمضان منها .

وفيها عهد ملك الروم ميخائيل بن توفيل إلى أمه تدور فأقامها بالشمس وأزمها الديار وقتل الرجل الذي أتمها به ، وكان ملكها ست سنين . وفيها حج بالناس محمد بن داود أمير مكة .

وفيها توفي إبراهيم بن الحجاج الشامي . وحيان بن موسى العربي . وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي وسهل بن عثمان السكري . ومحمد بن جماعة القاضي . ومحمد بن عائذ الدمشقي صاحب المغازي . ويحيى المقابري . ويحيى بن معين أحد أئمة الجرح والتعديل ، وأستاذ أهل هذه الصناعة في زمانه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

فيها خرج محمد بن البعيث بن حلبس عن العاعة في بلاده أذربيجان ، وأظهر أن المتوكل قد مات والنف عليه جماعة من أهل تلك الرساتيق ، ولجأ إلى مدينة مرند لمصنفا ، وجاءته البحوث من كل جانب ، وأرسل إليه المتوكل جيوشاً يقيع بعضها بعضاً ، فنصبوا على بلده المجانيق من كل جانب ، وحاصروه محاصرة عظيمة جداً ، وقتلهم مقاتلة هائلة ، وصبر هو وأصحابه صبراً بليفاً ، وقدم بغا الشراقي لمحاصرته ، فلم يزل به حتى أسره واستباح أمواله وحريمه وقتل خلقاً من رؤس أصحابه ، وأسر سائرهم وانحسرت مادة ابن البعيث . وفي جمادى الأولى منها خرج المتوكل إلى المدائن .

وفيها حج إيتاخ أحد الأمراء السكبار وهو والي مكة ، ودعى له على المنابر ، وقد كان إيتاخ هذا غلاماً خزياً طبائفاً ، وكان لرجل يقال له سلام الأبرش ، فاشتراه منه المصمم في سنة تسع وتسعين ومائة ، فرفع منزلته وحظي عنده ، وكذلك الوائق من بعده ، ضم إليه أعمالاً كثيرة ، وكذلك عامله المتوكل وذلك لفر وسيته ورجلته وشهامته ، ولما كان في هذه السنة شرب ليلة مع المتوكل فمر به عليه المتوكل فهم إيتاخ بقتله ، فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له : أنت أبي وأنت ربيتي ، ثم دس إليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج فاستأذن فأذن له ، وأمره على كل بلدة يحمل بها ، وخرج القواد في خدمته إلى طريق الحج حين خرج ، ووكّل المتوكل الحجابة لوصيف الخادم هوزان عن إيتاخ . وحج بالناس فيها محمد بن داود أمير مكة وهو أمير الحبيص من سنين متقدمة .

وفيها توفي أبو خيشمة زهير بن حرب . وسليمان بن داود الشاركوني أحد الخطاط . وعبد الله ابن عبد النبيل . وأبو ربيع الزهراني . وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني شيخ البخاري في صناعة الحديث . ومحمد بن عبد الله بن عمير . ومحمد بن أبي بكر المديني . والمماقا الرسيقي . ويحيى بن يحيى لبيثي راوي الموطأ عن مالك .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

في جمادى الآخرة منها كان هلاك إبنناخ في السجن ، وذلك أنه رجع من الحج فتلفته هدايا الخليفة ، فلما اقترب يريد دخول سامرا التي فيها المتوكل بحث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه وجوه الناس وبنى هاشم ، فدخلها في أجرة عظيمة ، فقبض عليه إسحاق بن إبراهيم وعلى أبيه مظفر ومنصور وكاتبه سليمان بن وهب وقدامة بن زياد النصراني فأسلم تحت العقوبة ، وكان هلاك إبنناخ بالعطش ، وذلك أنه أكل أكلا كثيرا بسد جوع شديد ثم استسقى الماء فلم يسق حتى مات ليلة الأربعاء الخامس خلون من جمادى الآخرة منها . ومكث ولده في السجن مدة خلافة المتوكل ، فلما ولي المنتصر ولد المتوكل أخرجهما . وفي شوال منها قدم بغا سامرا ومعه محمد بن البعيث وأخوه صقر وخالد ، ونائبه العلاء ومعهم من رؤس أصحابه نحو من مائة وثمانين إنسانا فأدخلوا على الجلال لإبراهيم الناس ، فلما أوقف ابن البعيث بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه ، فأحضر السيف والنطع فجاء السياطون فوقفوا حوله ، فقال له المتوكل : وبلك نادعاك إلى ما فعلت ؟ فقال : الشقوة يا أمير المؤمنين ، وأنت الجبل الممدود بين الله وبين خلقه ، وإن لي فيك لغلظين أسبقهما إلى قلبي أولا هما بك ، وهو الغفور . ثم اندفع يقول بديهة :

أبى الناس إلا أنك اليوم قاتلي * إمام الهدى والصفوح بالمرء أجل
وهل أنا إلا جيلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة يعجبك
فالك خير السابقين إلى العلى * ولا شك أن خير الدعاة الذين تغفل

فقال المتوكل : إن معه لأذبا . ثم عفا عنه . ويقال بل شفع فيه المعتز بن المتوكل فشفعه ، ويقال بل أودع في السجن في قيوده فلم يزل فيه حتى هرب بعد ذلك ، وقد قال حين هرب : -
كم قد قضيت أمورا كأن أهلها * غيري وقد أخذ الأفلاس بالكظم
لا تدبريني فيما ليس ينفذني * إليك عني جرى المنعور بالقلم
سألتك المال في عسر وفي يسر * إن الجواد الذي يعطي على العدم

وفيها أمر المتوكل أهل الامة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمامهم وبيابهم ، وأن يتطيلوا بالمصبوغ بالقلى وأن يكون على عمامهم رقع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم ومن بين أيديهم ، وأن يلزموا بالزناير الخاصرة لثيابهم كزناير الفلاحين اليوم ، وأن يحملوا في رقابهم كرات من خشب كثيرة ، وأن لا يركبوا خيلا ، ولتكن ركبتهم من خشب ، إلى غير ذلك من الأمور المنذلة لهم المهينة أنفسهم ، وأن لا يستعملوا في شيء من الدواوين التي يكون لهم فيها حكم على مسلم ، وأمر بتخريب كنائسهم المحدثه ، وبتضييق منازلهم المقدسة ، فيؤخذ منها الدهش ، وأن يعمل مما كان مفسما من منازلهم

مسجد ، وأمر بتسوية قبورهم بالأرض ، وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والأقاليم ، وإلى كل بلد ورستاق .

وفيها خرج رجل يقال له محمود بن الفرج النيسابوري ، وهو ممن كان يتردد إلى خشية بابلك وعبر مصلوب فيقعد قريباً منه ، وذلك بقرب دار الخلافة بسر من رأى ، فادعى أنه نبي ، وأنه ذو القرنين وقد أتبعه على هذه الضلالة وواقفه على هذه الجاهالة جماعة قليلون ، وهم تسعة وعشرون رجلاً ، وقد نظم لهم كلاماً في مصحف له فبجّه الله ، زعم أن جبريل جاء به من الله ، فأخذ يرفع أمره إلى المتوكل فأمر فضرب بين يديه بالسياط ، فاعترف بما نسب إليه وما هو معمول عليه ، وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه ، فأمر الخليفة كل واحد من أتباعه التسعة والعشرين أن يصفعه فصفعوه عشر صفعات فعليه وعليهم لعنة رب الأرض والسماوات . ثم اتفق موته في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي الحجة من هذه السنة .

وفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة أخذ المتوكل على الله العهد من بعده لأولاده الثلاثة وهم : محمد المنتصر ، ثم أبو عبد الله المعتز ، واسمه محمد ، وقيل الزبير ، ثم إبراهيم وسماه المؤيد بالله ، ولم يل الخلافة هذا . وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً عليها ويستنيب فيها ويضرب له السكة بها ، وقد عين ابن جرير مالكل واحد منهم من البلدان والأقاليم ، وعقد لكل واحد منهم لواءين لواء أسود للعهد ، ولواء للعائلة ، وكتب بينهم كتاباً بالرضى منهم ومبايعته لأكثر الأئمة على ذلك وكان يوماً مشهوداً . وفيها في شهر ذي الحجة منها تغدير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء الدردى ففرع الناس لذلك . وفيها أتى المتوكل ببجي بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي ، وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه فضرب ثماني عشرة مفرقة ثم حبس في المطبق . وحج بالناس محمد بن داود .

قال ابن جرير : وفيها توفي إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر - يعني نائب بغداد - يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وجعل ابنه محمد مكانه ، وخلع عليه خمس خلع وقلعه سيفاً . قلت : وقد كان نائباً في العراق من زمن المأمون ، وهو من الدعاة تبعاً لسادته وكبرائه إلى القول بخلق القرآن الذي قال الله تعالى فيهم [ربنا إنا أطمنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل] الآية . وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون . وفيها توفي :

إسحاق بن ماهان

الموصل النديم الأديب ابن الأديب النادر الشكل في وقته ، المجموع من كل فن يعرفه أبناء عصره ، في اللغة والحديث والجدل والكلام واللغة والشعر ، ولكن اشتهر بالفناء لأنه لم يكن له في الدنيا

نظير فيه . قال المتعم : إن إسحاق إذا غنى بخيل لي أنه قد زيد في ملكي . وقال المؤمن : لولا
اشتغاله بالدنيا لوليت القضاء لما علمه من عفته ونزاهته وأمانته . وله شعر حسن وذبيان كبير .
وكانت عنده كتب كثيرة من كل فن . توفي في هذه السنة وقيل في التي قبلها ، وقيل في التي بعدها .
وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة حافلة وذكر عنه أشياء حسنة وأشعاراً رائعة وحكايات مدحثة يطول
استقصاؤها . فن غريب ذلك أنه غنى يوماً يحيى بن خالد بن برمك فوقع له بألف ألف ووقع له ابنه
جمعز بمنلها ، وابنه الفضل بمنلها ، في حكايات طويلة .

وفيهما توفي شريح بن يونس . وشيبان بن فروخ . وعبيد الله بن عمر الفواريري . وأبو بكر بن
أبي شيبة أحد الأعلام وأئمة الإسلام وصاحب المصنف الذي لم يصنف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده .
ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

ففيها أضر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والدور ، ونودي
في الناس من وجدوها بعد ثلاثة أيام فذهبت به إلى المطبق . فلم يبق هناك بشر ، واتخذ ذلك الموضع
منزعة فحرق وتشتغل . وفيها حج بالناس محمد بن المنتصر بن المتوكل . وفيها توفي محمد بن إبراهيم
ابن مصعب سمع ابن أخيه محمد بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان محمد بن إبراهيم هذا من الأصمراء
السكرار . وفيها توفي الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تتقدم ذكرها ، وكان من
سادات الناس ، ويقال إن إسحاق بن إبراهيم الملقب توفي في هذه السنة فافقه أعلم . وفيها توفي أبو سعيد
محمد بن يوسف المروزي نجاة ، فولى ابنه يوسف مكانه على نيابة أرمينية . وفيها توفي إبراهيم بن المنذر
الحرابي . ومصعب بن عبد الله الزبيري . وهديبة بن خالد القيسي . وأبو الصلت الهروي أحد
الضعفاء . ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

ففيها قبض يوسف بن محمد بن يوسف نائب أرمينية على البطريق الكبير بها وبمنه إلى نائب
الخليفة ، واتفق بعد يمنة أيامه أن سقط تلج عظيم على تلك البلاد ، فتحرب أهل تلك الطريق وجاؤا
لغاصروا البلد التي بها يوسف فخرج إليهم ليقاتلهم فقتلوه وطائفة كبيرة من المسلمين الذين معه وهلك
كثير من الناس من شدة البرد ، ولما بلغ المتوكل ما وقع من هذا الأمر الفظيع أرسل إلى أهل تلك
الناحية بغا الكبير في جيش كثيف جداً فقتل من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة نحواً من
ثلاثين ألفاً وأسر منهم طائفة كبيرة ، ثم سار إلى بلاد ألباني من كور البُسُترُجان وسلك إلى مسكن
كثيرة بنار ومهد الممالك ووطد البلاد والدواحي . وفي صفر منها غضب المتوكل على ابن أبي دؤاد
القدسي المعتزل وكان على المظالم ، فمزله عنها واستدعى يحيى بن أكرم فولاه قضاء القضاة والمظالم
أيضاً . وفي ربيع الأول أمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دؤاد وأخذ ابنه أبا الوليد محمد

نفسه في يوم السبت ثلاث خلون من ربيع الآخر ، وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف وعشرين ألف دينار ، ومن الجواهر النفيسة ما يقوم بعشرين ألف دينار ، ثم صولح على ستة عشر ألف ألف درهم . وكان ابن أبي دؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ، ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين قال ابن جرير فقال في ذلك أبو العتاهية :

لو كنت في الرأي منسوبا إلى رشد * وكان عزمك عزما فيؤ توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به * عن أن تقول كتاب الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم * ما كان في الفرع لولا الجهل والموق

وفي عيد الفطر منها أمر المتوكل بانزال جثة أحمد بن نصر الخزازي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه ، ففرح الناس بذلك فرحا شديدا ، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا ، وأجمعوا يدهم يحسون بها وبأعواد نعشه ، وكان يوما مشهودا . ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فعملوا يدهم يحسون به ، وأرهج العامة بذلك فرحا وسرورا ، فكتب المتوكل إلى نائبه يأمره بردهم عن تعامل مثل هذا وعن المغالاة في البشر ، ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكيف عن القول بخلق القرآن ، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فاعطى مأوا إلى أن يموت . وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير ، ثم أظهر إكرام الامام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بجائزة سنوية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلع سمية من ملبسه فاستحيا منه أحمد كثيرا فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزع عذيفا وهو يبكي رحمه الله تعالى . وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ويظن أنه يأكل منه ، وكان أحمد لا يأكل لهم طعاما بل كان صائما مواعدا طوايا تلك الأيام ، لأنه لم يتيسر له شيء يرضى أكله ، ولكن كان ابنه صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك ، ولولا أنهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد أن يموت جوعا ، وارتفعت السنة جمة في أيام المتوكل عفا الله عنه ، وكان لا يولى أحدا إلا بعد مشورة الامام أحمد ، وكان ولاية يحيى بن أكنم قضاء القضاة . وضع ابن أبي دؤاد عن مشورته ، وقد كان يحيى بن أكنم هذا من أئمة السنة ، وعلماء الناس ، ومن المعظمين للفقه والحديث وأتباع الأثر ، وكان قد ولي من جهته حبان بن بشر قضاء الشرقية ، وسوار ابن عبد الله قضاء الجانب الغربي ، وكان كلاهما أعورا . فقال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي دؤاد :

رأيت من العجائب قاضيين * هما أحدهما في الخاقين
هما اقتسما المعى نصمين قدآ * كما اقتسما قضاء الجانبين
ويحسب منهما من هز رأسا * لينظر في واديين

كَانَكَ قَدْ وَضَعْتَ عَلَيْهِ دَنَا * فَتَحَتْ بِزَالِهِ مِنْ فُورِ عَيْنِ
هَامَا لَ الزَّمَانِ بِهَلِكِ بِحِجِّي * إِذَا افْتَتَحَ الْقَضَاءُ بِأَعْوَرَيْنِ

وغزا الصائفة في هذه السنة على بن يحيى الأرمني . وحج بالناس على بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور أمير الحجاز . وفيها توفي حاتم الأصم . ومن توفي فيها عبد الأعلى بن حماد . وعبيد الله ابن معاذ المنبري . وأبو كامل الفضيل بن الحسن الجحدري .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

في ربيع الأول منها حاصر بفارس مدينة تفليس وعلى مقدمته زبرك التركي ، فخرج إليه صاحب تفليس إسحاق بن إسماعيل فقاتله فأسر بفارس إسحاق فأمر بفارس بضرب عنقه وصلبه ، وأمر بإلقاء النار في النفط إلى نحو المدينة ، وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر ، فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحواً من خمسين ألفاً ، وطفئت النار بعد يومين ، لأن نار الصنوبر لا يلبث لها ، ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا المواشي . ثم سار بفارس إلى مدن أخرى ممن كان يمالئ أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف ، فأخذ بتأريده وعاقب من تجرأ عليه .

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلثمائة مركب قاصدين مصر من جهة دمياط ، فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقاً وحرقوا المسجد الجامع والمنبر ، وأسروا من النساء نحواً من ستمائة امرأة ، من المسلمات مائة وخمسة وعشرين امرأة ، وسائرهن من نساء القبط ، وأخذوا من الأمتعة والمال والأسلحة شيئاً كثيراً جداً ، وفر الناس منهم في كل جهة ، وكان من غرق في بحيرة تديس أكثر ممن أسروه ، ثم رجموا على حية ولم يمرض لهم أحد حتى رجموا بلادهم لهم الله . وفي هذه السنة غزا الصائفة على ابن يحيى الأرمني . وفيها حج بالناس الأمير الذي حج بهم قبلها .

وفيها توفي إسحاق بن راهويه أحد الأعلام وعلماء الإسلام ، والمجاهدين من الأتباع . وبشر بن الوليد الفقيه الحنفي . وطالون بن عباد . ومحمد بن بكار بن الزيات . ومحمد بن البرجاني . ومحمد بن أبي السرى المستلاني . ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

في المحرم منها زاد المتوكل في التغليب على أهل الذمة في القبر في اللباس وأكد الأمر بتخريب الكنائس المحدث في الإسلام . وفيها نفى المتوكل على بن الجهم إلى خراسان . وفيها اتفق شمانين النصراني ويوم النيروز في يوم واحد وهو يوم الأحد لمشرين ليلة خلت من ذي القعدة ، وزعمت النصراني أن هذا لم يتفق مثله في الإسلام إلا في هذا العام . وغزا الصائفة على بن يحيى المذكور . وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد بن داود وإلى مكة .

قال ابن جرير : وفيها توفي أبو الوليد محمد بن القاضى أحمد بن أبي دؤاد الأيادي المعتزلي .

قلت.. ومن توفى فيها داود بن رشيد . وصفوان بن صالح مؤذن أهل دمشق . وعبد الملك بن حبيب الفقيه المالكي ، أحد المشاهير . وعثمان بن أبي شيبة صاحب التفسير والمسنند المشهور . ومحمد بن عمران الرازي . ومحمود بن غيلان . ووهب بن نفيه . وفيها توفى :

أحمد بن عاصم الأنطاكي

أبو علي الواعظ الزاهد أحد العباد والزهاد ، له كلام حسن في الزهد ومعاملات القلوب ، قال أبو عبد الرحمن السلمي : كان من طبقة الحارث المحاسبي ، وبشر الحافي . وكان أبو سليمان الداراني يسميه جاسوس القلوب لحدة فراسته . روى عن أبي معاوية الضرير وطبقته ، وعنه أحمد بن الحواري ، ومحمود بن خالد ، وأبو زرعة اللدني . وغيرهم . روى عنه أحمد بن الحواري عن مخلد ابن الحسين عن هشام بن حسان قال : نزلت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر فقلت : يا أبا سعيد مثلك يجلس في هذا الوقت ؟ قال : إني توضأت وأردت نفسي على الصلاة فأبى علي ، وأرادني علي أن تنام فأبيت عليها . ومن مستجاد كلامه قوله : إذا أردت صلاح قلبك فاستمع من عليه يحفظ جوارحك . وقال : من الفئيمة الباردة أن تصلح ما بقي من عمرك فيغفر لك ما مضى منه . وقال : يسير اليقين يخرج الشك كله من قلبك ، ويسير الشك يخرج اليقين كله منه . وقال : من كان بالله أعرف كان منه أخوف . وقال : خير صاحب لك في دنياك الهمة ، يقطعك عن الدنيا ويوصلك إلى الآخرة . ومن شعره :

هممت ولم أعزم ولو كنت صادقاً * عزمت ولكن الفطام شديد
ولو كان لي عقل وإيقان موقن * لما كنت عن قصد الطريق أحميد
ولو كان في غير السلوك مطامعي * ولكن عن الأقدار كيف أميد
ومن شعره أيضاً :

قد بقينا مذنبين حيارى * نطالب الصديق ما إليه سبيل
فدواعي الهوى تخفت علينا * وخلاف الهوى علينا ثقل
فقد الصديق في الأماكن حتى * وضعه اليوم ما عليه دليل
لا نرى خائفاً فيلزمنا الخوف * ولشنا نرى صادقاً على ما يقول
ومن شعره أيضاً :

موت عليك فكل الأمر ينقطع * وخلّ عنك ضباب الهم يندفع
فكل هم له من بعد فرج * وكل كرب إذا ما ضاق يتسع
إن البلاد وإن طال الزمان به * الموت يقطع أو سوف ينقطع

وقد أطل الحافظ ابن عساكر ترجمته ولم يؤرخ وفاته ، وإنما ذكرته ههنا تقریباً والله أعلم .

ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

فيها عدا أهل حمص على عاملهم أبي الغيث موسى بن إبراهيم الرافقي لأنه قتل رجلاً من أشرافهم ففتلوا جماعة من أصحابه وأخرجوه من بين أظهرهم ، فبعث إليهم المتوكل أميراً عليهم وقال للسفير معه : إن قبلوه وإلا فأعلنى . فقبلوه فعمل فيهم الأعايب وأهانهم غاية الإهانة . وفيها عزل المتوكل يحيى بن أكنم القاضي عن قضاء القضاة وصاد به بما يبلغه ثمانون ألف دينار ، وأخذ منه أراضى كثيرة في أرض البصرة ، وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة . قال ابن جرير : وفي الحرم منها توفي أحمد بن أبي دؤاد بعد ابنه بعشرين يوماً .

وهذه ترجمته

هو أحمد بن أبي دؤاد واسمه الفرج - وقيل دعى ، والصحيح أن اسمه كنيته - الأيادي المعتزلى . قال ابن خلكان في نسبه : هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد فرج بن جرير بن مالك بن عبد الله بن عباد بن سلام بن عبد هند بن عبد نجم بن مالك بن فيض بن منعة بن برجان بن دوس الهذلي بن أمية بن حذيفة بن زهير بن إياد بن أد بن معد بن عدنان . قال الخطيب : ولى ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للواثق . وكان موصوفاً بالجود والسجاء وحسن الخلق وفور الأدب ، غير أنه أعلن عندهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى في الآخرة . قال الصولي : لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ، ولولا ما وضع من نفسه من محبة الحنة لاجتمعت عليه الانس . قالوا : وكان مولده في سنة ستين ومائة ، وكان أسن من يحيى بن أكنم بعشرين سنة . قال ابن خلكان : وأصله من بلاد قدسرين ، وكان أبوه تاجراً يفسد إلى الشام ثم وفد إلى العراق وأخذ ولده هذا معه إلى العراق ، فاشتغل بالعلم وصحب هياج بن العلاء السلي أحد أصحاب واصل بن عطاء فأخذ عنه الاعتزال ، وذكر أنه كان يصحب يحيى بن أكنم القاضي ويأخذ عنه العلم . ثم سردله ترجمة طويلة في كتاب الوفيات ، وقد امتدحه بعض الشعراء فقال : -

رسولُ الله والخلفاءُ منا • ومنا أحمدُ بنُ أبي دؤادٍ

فرد عليه بعض الشعراء فقال :

قلْ للفاخرين على نزارٍ • وهم في الأرضِ ساداتُ العبادِ

رسولُ الله والخلفاءُ منا • ونبرأ من دعَى بغيرِ إيادٍ

ومنا إيادُ إذا أقرتْ • بدعوةِ أحمدَ بنِ أبي دؤادِ

قال : فلما بلغ ذلك أحمد بن أبي دؤاد قال : لولا أنى أكره العقوبة لما قبلت هذا الشاعر عقوبة

ما فعلها أحد . وعفا عنه . قال الخطيب : حدثني الأزهرى ثنا أحمد بن عمر الواعظ حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك حدثني جرير بن أحمد أبو مالك قال : كان أبي - يعني أحمد بن أبي دؤاد - إذا صلى رفع يديه إلى السماء وخطب ربه وأنشأ يقول :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما * نجيح الأمور بقوة الأسباب
واليوم حاجتنا إليك وإنما * يدعى الطيب لساعة الأوصاف

ثم روى الخطيب أن أبا تمام دخل على ابن أبي دؤاد يوماً فقال له : أحسبك عاتباً ، فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعاً . فقال له : أنى لك هذا ؟ فقال : من قول أبي نواس :
وليس على الله بمتشكر * أن يجمع العالم في واحد
وامتدحه أبو تمام يوماً فقال :

هذه أبيت مساوى كل دهر * محاسن أحمد بن أبي دؤاد
وما استعرت في الآفاق إلا * ومن جدواك راحلي وزادي
دم الظن عندك والأمانى * وإن قلقت ركابي في البلاد

فقال له : هذا المعنى تفردت به أو أخذته من غيرك ؟ فقال : هو لي ، غير أني ألحيت بقول أبي نواس :
وإن جرت الألفاظ يوماً بمدح * لغيرك إنساناً فانت الذي لعي
وقال محمد بن الصولي : ومن مختار مدح أبي تمام لأحمد بن أبي دؤاد قوله :

أحمد إن الحاسدين كثير * ومالك إن عدو الكرام نظير
حلت محلاً فاضلاً متفادماً * من الجبر والفخر القديم غفور
فكل غني أو فقير فانه * إليك وإن قال السماء فقير
إليك تنهى المجد من كل وجهة * يصير فما يمدوك حيث يصير
وبدو إياهم أنت لا ينكرونه * كذلك إياهم للأنام بدور
تجنب أن تدعى الأمير تواضاً * وأنت لمن يدعى الأمير أمير
فما من يد إلا إليك ممدّة * وما رفعة إلا إليك تشير

قلت : قد أخطأ الشاعر في هذه الأبيات خطأ كبيراً ، وألغش في المبالغة غشاً كثيراً ، ولعله إن اعتقد هذا في مخلوق ضعيف مسكين ضال مضل ، أن يكون له جهنم وساءت مصيراً . وقال ابن أبي دؤاد يوماً لبعضهم : لما لم لاتسألني ؟ فقال له : لأنني لو سألتك أعطيتك ممن صلتك . فقال له : صدقت . وأرسل إليه بخمسة آلاف درهم .

وقال ابن الأعرابي : سألت رجلاً من بني دؤاد أن يحمله على غير قتال : يا غلام اعطه هيراً وبغلاً

ورذونا وفرسا وجارية . وقال له : لو أعلم من كوّبا غير هذا لأعطيتك . ثم أورد الخطيب بأسانيد
عن جماعة أخباراً تدل على كرمه وفصاحته وأدبه وحلمه ومبادرته إلى قضاء الحاجات ، وعظيم منزلته
عند الخلفاء . وذكر عن محمد المهدي بن الوائلي أن شيخاً دخل يوماً على الوائلي فسلم فلم يرد عليه
الوائلي بل قال : لا سلم الله عليك . فقال : يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك مملك . قال الله تعالى
[إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها] فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها . فقال ابن أبي
دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل منكلم . فقال : ناظره . فقال ابن أبي دؤاد : ماتقول يا شيخ في القرآن
أخلاق هو ؟ فقال الشيخ : لم تنصفني ، المسألة لي . فقال : قل . فقال : هذا الذي تقوله علمه رسول الله
(ص) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى أو ما علموه ؟ فقال ابن أبي دؤاد : لم يعلموه . قال : فأنت علمت ما لم
يعلموا ؟ فنجعل رسك . ثم قال أقلني بل علموه ، قال : فلم لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت ، أما
يسبك ما وسهم ؟ فنجعل رسك وأمر الوائلي له بمجازة نحو أو بمائة دينار فلم يقبلها . قال المهدي :
فدخل أبي المنزل فاستأق على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول : أما وسك
ما وسهم ؟ ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار وردّه إلى بلاده ، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد
ولم يمتحن بعده أحد . ذكره الخطيب في تاريخه بأسناد فيه بعض من لا يعرف ، وساق قصته
مطولة . وقد أُنشد ثعلب عن أبي حجاج الأفرابي أنه قال في ابن أبي دؤاد :

نكسك الدين يا ابن أبي دؤاد * فأصبح من أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقاً * أما لك عند ربك من معاد
كلام الله أنزل به سلم * على جبريل إلى خير العباد (١)
ومن أسى يبابك مستضيفاً * كن حلّ الفلاة بنير زار
لقد أطرفت يا ابن أبي دؤاد * بقولك إنني رجل إيلاد

ثم قال الخطيب : أنبأ القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال : أنشدنا المعاني بن
زكريا الجربري عن محمد بن يحيى الصولي لبعضهم يهجو ابن أبي دؤاد :

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رشيد * وكان عزمك عزماً فيه توفيق

وقد تقدمت هذه الأبيات .

وروى الخطيب عن أحمد بن الموفق أبو يحيى الجلاء أنه قال : ناظرني رجل من الواقفية في خلق
القرآن فقالني منه ما أكره ، فلما أمسيت أتيت امرأة فوضعت لي الدشاء فلم أقدر أن أنال منه شيئاً ،
فذهت فرأيت رسول الله (ص) في المسجد الجامع وهناك حلقة فيها أحمد بن حنبل وأصحابه ، فجعل
رسول الله (ص) يقرأ هذه الآية [فإن يكفر بها هؤلاء] ويشير إلى حلقة ابن أبي دؤاد [فقد كنا

(١) كذا في الأصل والوزرة غير مستقيم .

بها قوماً ليسوا بها بكافرين] ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه . وقال بعضهم : رأيت في المنام كأن قاتلاً يقول : هلك الأئمة أحمد بن أبي دؤاد . فقلت له : وما سبب هلاكه ؟ فقال : إنه أغضب الله عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات . وقال غيره : رأيت ليلة مات ابن أبي دؤاد كأن النار زفرت زفرة عظيمة تغرج منها لهب فقلت : ما هذا ؟ فقيل هذا أنجزت لابن أبي دؤاد .

وقد كان هلاكه في يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة ، وصلى عليه ابنه العباس ودفن في داره ببغداد وعمره يومئذ ثمانون سنة ، وابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى نقي طريحاً في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده ، وحرّم لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك . وقد دخل عليه بعضهم فقال : والله ما جئتك عائدًا وإنما جئتك لأعزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ، ثم خرج عنه داعياً عليه بأن يزيد الله ولا ينقص مما هو فيه ، فازداد مرضاً إلى مرضه . وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيلة جداً ، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل . قال ابن خلكان : كان مولده في سنة ستين ومائة . قلت : فلي هذا يكون أسن من أحمد بن حنبل ومن يحيى بن أكرم الذي ذكر ابن خلكان أن ابن أكرم كان سبب اتصال ابن أبي دؤاد بالخليفة المأمون ، فغفل عنه بحيث إنه أوصى به إلى أخيه المتعمم ، فولاه المتعمم القضاء والمظالم ، وكان ابن الزيت الوزير ينفذه ، وجرت بينهما منافسات وهجو ، وقد كان لا يقطع أمراً بدونه . وعزل ابن أكرم عن القضاء وولاه مكانه ، وهذه الحنة التي هي أس ما بعدها من الحن ، والفئة التي فتحت على الناس باب الفتن .

ثم ذكر ابن خلكان ما ضرب به الفالج وما صودر به من المال ، وأن ابنه أبا الوليد محمد صودر بألف دينار ومائتي ألف دينار ، وأنه مات قبل أبيه بشهر . وأما ابن عساكر فانه بسط القول في ترجمته وشرحها شرحاً جيداً . وقد كان الرجل أديباً فصيحاً كريماً جواداً ممدحاً يؤثر المطاء على المنع ، والترفقة على الجمع . وقد روى ابن عساكر بأسناده أنه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون خروج الوائقي فقال ابن أبي مرزاد إنه ليحجنني هذان البيتان :

ولي نظرة لو كان يُجبلُ ناظرٌ * بنظرته أنى لقد جُبلت مني
فإن ولدت بينَ تسعة أشهرٍ * إلى نظري ابنًا فإنَّ ابنها مني

وعن توفي فيها من الأعيان أبو نور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء المشاهير . قال الامام أحمد : هو هنداني مسلاخ الثوري . وخليفة بن خياط أحد أئمة التاريخ وسويد بن سعد الحداني وسويد بن نصر . وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون أحد فقهاء المالكية المشهورين . وعبد الوحد ابن غياث . وقتيبة بن سعيد شيخ الأئمة والسنة . وأبو العميل عبد الله بن خالد كاتب عبد الله بن

طاهر وشاعر ، كان عالماً باللغة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها ابن خلكان جملة ، ومن شعره
يبحر عبد الله بن طاهر :

يا مَنْ يَحاولُ أنْ تَكُونَ صفاتُهُ • كصفاتِ عبدِ اللهِ أَنْصَحْتَ واسْمِعْ
فلاَ نَصَحْتِكَ في خِصالِي والذي • حَيَّ الحَبيبُ إِلَيَّ فَاسْمَعْ أوْ دَعِ
أَصْدُقْ وَهَفْؤُوبٌ وَأَصْبِرْ واحْتَمِلْ • واصْفَحْ وكافِي دارِ واحِلْ واشْجِعْ
والطَفْ وَلَنْ تَتَأَنَّ ، وارْفُقْ واتَّشَدْ • واحْزَمْ وَجَدٌ وَحامِ واحْمِلْ وادْفَعْ
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي • وهديت لنهيج الأسر المبيع
أما سحنون المالكي صاحب المدونة

فهو أبو سعيد عبد السلام بن سعيد بن جندب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي ،
أصله من مدينة حمص ، فدخل به أبوه مع جندبها بلاد المغرب فأقام بها ، وانتهت إليه رئاسة مذهب
مالك هناك ، وكان قد تفقه على ابن القاسم ، وسببه أنه قدم أسد بن الفرات صاحب الإمام مالك
من بلاد العرب إلى بلاد مصر فسأل عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك عن أسئلة كثيرة فأجابته
عنها ، فقلها عنه ودخل بها بلاد المغرب فانتسخها منه سحنون ، ثم قدم على ابن القاسم مصر فأعاد
أستلثه عليه فزاد فيها ونقص ، ورجع عن أشياء منها ، فرتبها سحنون ورجع بها إلى بلاد المغرب ،
وكتب معه ابن القاسم إلى أسد بن الفرات أن يمرض نسخته على نسخة سحنون ويصلحها بها
فلم يقبل ، فدعى عليه ابن القاسم فلم يفتض به ولا بكتابه ، وصارت الرحلة إلى سحنون ، وانتشرت
عنه المدونة ، وساد أهل ذلك الزمان ، وتولى القضاء بالقيروان إلى أن توفي في هذه السنة من ثمانين
سنة رحمه الله وإيانا .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

في جمادى الأولى أو الآخرة من هذه السنة وثب أهل حمص أيضاً على عاملهم محمد بن عبدويه
فأرادوا قتله ، وساعدهم نصارى أهلها أيضاً عليه ، فكتب إلى الخليفة يطلبه بذلك ، فكتب إليه بأمره
بمناعتهم ، وكتب إلى منولى دمشق أن يمدد بجيش من عنده لمساعدته على أهل حمص ، وكتب
إليه أن يضرب ثلاثة منهم معروفين بالشر بالسياط حتى يموتوا ، ثم يصلبهم على أبواب البلد ، وأن
يضرب عشرين آخرين منهم كل واحد ثلثائة ، وأن يرسلهم إلى سامرا مقيدين في الحديد ، وأن
يفرج كل نصراني بها ويهدم كنيستها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع ، وأن يضيقها إليه ،
وأمر له بخمسين ألف درهم ، وللأمراء الذين ساعدوه بصلات سلية . فامتثل ما أمره به الخليفة
فيهم . وفيها أمر الخليفة بالتوكل على الله بضرب رجل من أهليان أهل بغداد يقال له عيسى بن

جعفر بن محمد بن عاصم ، فضرِب ضرباً شديداً مبرحاً ، يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات .
وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزياتي أنه يشتم أبا بكر وعمر
وعائشة وحفصة رضى الله عنهم . فرفع أمره إلى الخليفة نجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن
طاهر بن الحسين نائب بغداد يأمره أن يضرب به بين الناس حد السب ، ثم يضرب بالسياط حتى
يموت ويلقى في دجلة ولا يصل عليه ، ليرتدع بذلك أهل الاتحاد والمماندة . ففعل مع ذلك تدببه
الله ولعنه . ومثل هذا يكفر إن كان قد قذف عائشة بالاجماع ، وفيمن قذف سواها من أمهات المؤمنين
قولان ، والصحيح أنه يكفر أيضاً ، لأنهم أزواج رسول الله ص ، ورضى عنهم .

قال ابن جرير : وفي هذه السنة انقضت الكواكب ببغداد وتناثرت ، وذلك ليلة الحثين ليلة
خلت من جمادى الآخرة . قال : وفيها مطر الناس في آب مطراً شديداً جداً . قال : وفيها مات من
الدواب شيء كثير ولاسيما البقر . قال : وفيها أغارت الروم على عين زربة فأثروا من بها من الزط
وأخذوا نساءهم وذرايعهم ودوابهم . قال : وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم في بلاد طرسوس
بمحضرة قاضي القضاة جعفر بن عبد الواحد ، عن إذن الخليفة له في ذلك ، واستتابته ابن أبي الشوارب .
وكانت عدة الأسرى من المسلمين سبعمائة وخمسة وثمانين رجلاً ، ومن النساء مائة وخمسة وعشرين
امراً ، وقد كانت أم الملك تنورة لعنها الله عرضت النصرانية على من كان في يدها من الأسارى ،
وكانوا نحواً من عشرين ألفاً فن أجابها إلى النصرانية وإلا قتلته ، قتلت اثني عشر ألفاً وتنصر
بعضهم ، وبقي منهم هؤلاء الذين فودوا وهم قريب من التسعمائة رجلاً ونساء .

وفيها أغارت البجة على جيش من أرض مصر ، وقد كانت البجة لا يفرزون المسلمين قبل ذلك ،
لهذه كانت لهم من المسلمين ، فنقضوا الهدنة وصرحوا بالخلاف . والبجة طائفة من سودان بلاد
المغرب ، وكذا النوبة وشنون وزغير ويكسوم وأم كثيرة لا يعلمهم إلا الله . وفي بلاد هؤلاء معادن
الذهب والجوهر ، وكان عليهم حل في كل سنة إلى ديار مصر من هذه المعادن ، فلما كانت دولة
المتوكل انتنمو من أداء ما عليهم سنين متعددة ، فكتب نائب مصر - وهو يعقوب بن إبراهيم
البادغيسي مولى الهادي وهو المعروف بقوصرة - بذلك كله إلى المتوكل ، فنضب المتوكل من ذلك
غضباً شديداً ، وشاور في أمر البجة قتيلاً له : يا أمير المؤمنين إنهم قوم أهل إبل وبادية ، وإن بلادهم
بميدة ومطشة ، ويحتاج الجيش الذاهبون إليها أن يترودوا لمقامهم بها طعاماً وماء ، فبيده ذلك عن
البدن إليهم ، ثم بلغه أنهم يفرزون على أطراف الصعيد ، ويخشي أهل مصر على أولادهم منهم ،
فجهز لهم محمد بن عبد الله القمي ، وجعل إليه نيابة تلك البلاد كلها المتاخلة لأرضهم ، وكتب إلى
عمال مصر أن يمينوه بكل ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك ، فتخلص وتخلص معه من الجيوش

الذين انضافوا إليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألف فارس وراجل ، وحمل معه الطعام
الآدم في مراكب سبعة ، وأمر الذين هم بها أن يلجؤا بها في البحر فيوافوه بها إذا توسط بلاد
البحر ، ثم سار حتى دخل بلادهم وجاوز معانهم وأقبل إليه ملك البجة - واسمه علي بابا - في جمع
عظيم أضاف من مع محمد بن عبد الله القمي ، وهم قوم مشركون يعبدون الأصنام ، فجعل الملك يطاول
المسلمين لعله تنفذ أزوارهم فيأخذونهم بالأيدى ، فلما نفذ ما عند المسلمين طمع فيهم السودان فبصر
الله وله الحمد بوصول تلك المراكب وفيها من الطعام والتمر والزيت وغيره . فلكم مما يحتاجون إليه شيء
كثير جداً فقصه الأمير بين المسلمين بمحسب حاجاتهم ، فيئس السودان من هلاكة المسلمين
جوعاً فشرعوا في التأهب لقتال المسلمين ، ومركبهم الابل شبيهة بالهجن زعرة جملاً كثيرة التفار ،
لا تكاد ترى شيئاً ولا تسمع شيئاً إلا جعلت منه . فلما كان يوم الحرب محمد أمير المسلمين إلى جميع
الأجراس التي معهم في الجيش لجمعها في رقاب الخيول ، فلما كانت الوقفة حمل المسلمون حملة رجل
واحد ، وفترت بهم إبلهم من أصوات تلك الأجراس في كل وجه ، وتفرقوا شذو مذبر ، واتبهم
المسلمون يقتلون من شأوا ، لا يمنع منهم أحد ، فلا يعلم عدد من قتلوا منهم إلا الله عز وجل . ثم
أصبحوا وقد اجتمعوا رجالاً فكبسهم القمي من حيث لا يشعرون فقتل عامة من بقي منهم وأخذ
ملكهم بالأمان ، وأدى ما كان عليه من الحل ، وأخذ معه أسيراً إلى الخليفة . وكانت هذه الوقفة
في أول يوم من هذه السنة ، فولاه الخليفة على بلاده كما كان ، وجعل إلى ابن القمي أمر تلك الناحية
والنظر في أمرها وله الحمد والمنة .

قال ابن جرير : ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جادى الآخرة .
قلت : وهذا الرجل كان نائباً على البيار المصرية من جهة المنوك . وفيها حج بالناس عبد الله بن محمد
ابن داود ، وحج جعفر بن دينار وهو والى طريق مكة وأحداث الموسم ، ولم يترض ابن جرير لوفاء
أحد من المحدثين في هذه السنة ، وقد توفى من الأعيان الأمام أحمد بن حنبل . وجبارة بن الفضل
الحلبي . وأبو ثوبة الحلبي . وعيسى بن حماد سجادة . ويعقوب بن حميد بن كاسب . ولذكرك شيئاً من

للإمام المكي محمد بن حنبل

فنقول والله المستعان : هو أحمد بن محمد بن حنبل بن حلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن
حيان بن عبد الله بن أنس بن هوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن فهد بن قلبية بن حكاية بن
مسب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة
ابن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الميسع بن حل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن
إبراهيم الخليل عليهما السلام - أبو عبد الله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي ، هكذا ساق نسبه

الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي جمعه في مناقب أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبد الله الحاكم صاحب المستدرک، وروى عن صالح ابن الامام أحمد قال: رأى أبي هذا النسب في كذاب لي فقال: وما تصنع به؟ ولم ينكر النسب. قالوا: وقدم به أبوه من مرو وهو حل فوضعت أمه بيغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه. قال صالح عن أبيه: فنقبت أذني وجعلت فيها لؤلؤتين فلما كبرت دفعتهما إلى فبعتهما بثلاثين درهما. وتوفي أبو عبد الله أحمد بن حنبل يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله.

وقد كان في حدائثه يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث، فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة سبع وثمانين ومائة، وقد بلغ من العمر ست عشرة سنة، وأول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومائة، ثم سنة إحدى وتسعين. وفيها حج الوليد بن مسلم، ثم سنة ست وتسعين، وجاور في سنة سبع وتسعين، ثم حج في سنة ثمان وتسعين، وجاور إلى سنة تسع وتسعين سافر إلى عند عبد الرزاق إلى اليمن، فكتب عنه هو ويحيى بن ميمون وإسحاق بن راهويه. قال الامام أحمد: حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا، أنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما. قال: وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق. قال: وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأس لبنة، ولو كان عندي تسعون درهما كنت ذهلت إلى جري بن عبد الحميد إلى الري وخرج بهض أصحابنا ولم يمكن الخروج لأنه لم يمكن عندي شيء. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه عن حرملة: سمعت الشافعي قال: وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر فلم يقدم. قال ابن أبي حاتم: يشبه أن تكون خفة ذات اليد منعت أن يفي بالعدة. وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والآفاق، وجمع من مشايخ العصر، وكانوا يجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، وقد سرد شيخنا في تهذيبه أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم، وكذلك الرواة عنه. قال البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الامام أحمد: وقد ذكر أحمد بن حنبل في المستدرک وغيره الرواية عن الشافعي، وأخذ عنه جملة من كلامه في أنساب قريش، وأخذ عنه من اللغة ما هو مشهور، وحين توفي أحمد وجدوا في تركته رسائل الشافعي القديمة والجديدة.

قلت: قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثا، ومن أحسن ما روياه عن الامام أحمد عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه قال قال رسول الله (ص): «نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه

إلى جسده يوم بلث ». وقد قال الشافعي لأحمد لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد سنة تسعين^(١) ومائة وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثون سنة . قال له : يا أبا عبد الله إذا صحح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازياً كان أو شامياً أو عراقياً أو يمنياً - يعني لا يقول بقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون إلا رواية الحجازيين وينزلون أحاديث من سوام منزلة أحاديث أهل الكتاب - وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيم لأحمد وإجلال له وأنه عنده بهذه المناوبة إذا صحح أو ضعف يرجع إليه . وقد كان الإمام أحمد بهذه المناوبة عند الأئمة والعلماء كما سيأتي ثناء الأئمة عليه واعترافهم له ببلو المسكنة في العلم والحديث ، وقد بعد صيته في زمانه واشتهر اسمه في شيعته في الآفاق .

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الإيمان وأنه قول وعمل ويزيد وينقص ، وكلامه في القرآن كلام الله غير مخلوق ، وإنكاره على من يقول : إن لفظه بالقرآن مخلوق يريد به القرآن . قال : وفيها حكى أبو عمار وأبو جعفر أخبرنا أحمد شيخنا السراج عن أحمد بن حنبل أنه قال : اللفظ محدث . واستدل بقوله [ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد] قال : فاللفظ كلام الآدميين . وروى غيرهما عن أحمد أنه قال : القرآن كيف ما تصرف فيه غير مخلوق ، وأما أفعالنا فهي مخلوقة . قلت : وقد قرر البخاري في هذا المعنى في أفعال العباد وذكره أيضاً في الصحيح ، واستدل بقوله عليه السلام : « زينوا القرآن بأصواتكم » . ولهذا قال غير واحد من الأئمة : الكلام كلام الباري ، والصوت صوت القاري . وقد قرر البيهقي ذلك أيضاً .

[وروى البيهقي من طريق إسماعيل بن محمد بن إسماعيل السلمي عن أحمد أنه قال : من قال : القرآن محدث فهو كافر . ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى : [ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون] . قال : يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث ، لا الذكر نفسه هو المحدث . وعن حنبل عن أحمد أنه قال : يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن ، وهو ذكر رسول الله (س) ، أو وعظه وإمام . ثم ذكر البيهقي كلام الإمام أحمد^(٢) في رؤية الله في الدار الآخرة ، واحتج بمحدث صهيب في الرؤية وهي زيادة ، وكلامه في نفى التشبيه وترك الغلو في الكلام والنسك بما ورد في الكتاب والسنة عن النبي (س) . وعن أصحابه [وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السلك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى : [وجاء ربك] أنه جاء نوابه . ثم قال البيهقي : وهذا إسناد لاخبار عليه]^(٣) . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن عياش ثنا طلحة عن زر عن عبد الله - هو ابن مسعود -

(١) تقدم أن الرحلة الثانية لشافعي كانت سنة ثمان وتسعين ومائة .

(٢) ، (٣) زيادة من المصرية .

قال : ما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيئ . وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخافوا أبا بكر رضي الله عنه إسناد صحيح . قلت : وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق . والأمر كما قاله ابن مسعود ، وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة . وقد قال أحمد حين اجتاز بمحضر وقد حمل إلى المأمون في زمن الهنة ودخل عليه عمرو بن عثمان الحصى فقال له : ما تقول في الخلافة ؟ فقال : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ومن قدم علياً على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى لأنهم قدموا عثمان رضي الله عنه .

ورعه وتقشفه وزهده رحمه الله

روى البيهقي من طريق المزني عن الشافعي أنه قال للرشيد : إن اليمين يحتاج إلى قاض ، فقال له : اختر رجلاً نوله إياها . فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه : ألا تقبل قضاء اليمين ؟ فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً وقال للشافعي : إني إنما أختلف إليك لأجل العلم المزهّد في الدنيا ، فنامرتني أن ألي القضاء ؟ ولولا العلم لما أكلت بعد اليوم . فاستحى الشافعي منه . وروى أنه كان لا يصلي خلف عمه إسحاق بن حنبل ، ولا خلف بنيه ولا يكلمهم أيضاً ، لأنهم أخذوا جائزة السلطان . ومكث مرة ثلاثة أيام لا يجد ما يأكله حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقتاً فعرف أهله حاجته إلى الطعام فمجلوا وعجنوا وخبزوا له سريعاً فقال : ما هذه العجلة ! كيف خبزتم ؟ فقالوا : وجدنا تنور بيت صالح مسجوراً فخبزنا لك فيه . فقال : ارفعوا ، ولم يأكل وأمر بسد بابه إلى دار صالح . قال البيهقي : لأن صالحاً أخذ جائزة السلطان ، وهو المتوكل على الله . وقال عبد الله ابنه : مكث أبي بالمسكر عند الخليفة ستة عشر يوماً لم يأكل فيها إلا ربيع مدسويقاً ، يفطر بعد كل ثلاث ليال على سفة منه حتى رجع إلى بيته ، ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر . وقد رأيت موقيه دخلاً في حديثه . قال البيهقي : وقد كان الخليفة يبعث إليه المائدة فيها أشياء كثيرة من الأنواع وكان أحمد لا يتناول منها شيئاً . قال : وبعث المأمون مرة ذهباً يقسم على أصحاب الحديث فما بقي منهم أحد إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبي .

وقال سليمان الشاذكوني : حضرت أحمد وقد رهن سطلا له عند فامي باليمن ، فلما جاءه بفسكاكه أخرج له سطلين فقال : خذ متادك منهما . فاشتبه عليه أيهما له فقال : أنت في حل منه ومن الفسك ، وتركه وذهب . وسكى ابنه عبد الله قال : كنا في زمن الوراق في ضيق شديد ، فكسب رجل إلى أبي : إن عندي أربعة آلاف درهم ورثتها من أبي وليت صدقة ولازكة ، فإن رأيت أن تقبلها . فامتنع من ذلك ، وكرر دمايه فأبى ، فلما كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال أبي : لو كنا قبلناها كانت ذهبت وأكلناها ، وعرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة حملها

باسمه فأبى أن يقبلها وقال : نحن في كفاية وجزاك الله عن قصدك خيراً . وعرض عليه تاجر آخر ثلاثة آلاف دينار فامتنع من قبولها وقام وتركه . ونفدت نفقة أحمد وهو في اليمن فمرض عليه شيخه عبد الرزاق . مل كفه دنانير فقال : نحن في كفاية ولم يقبلها . وسرقت ثيابه وهو باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب وبقده أصحابه فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم فمرضوا عليه ذهباً فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ليكتب لهم به فيكتب لهم بالأجر رحمه الله . وقال أبو داود : كانت مجالس أحمد بمجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط . وروى البيهقي أن أحمد سئل عن التوكل فقال : هو قطع الاستشراف باليأس من الناس ، فقيل له : هل من حجة على هذا ؟ قال : نعم ! إن إبراهيم لما رمى به في النار في المنجنيق عرض له جبريل فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال : فسل من لك إليه حاجة . فقال : أحب الأمرين إلى أحبهما إليه . وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفار قال : كنا مع أحمد بن حنبل بسر من رأى فقلنا : ادع الله لنا فقال : اللهم إني أعلم أنك على أكثر مما نحب فاجعلنا على ما نحب دائماً . ثم سكت . فقلنا : زدنا فقال : اللهم إنا نسألك بالقعدة التي قلت للسماوات والأرض [أثديا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين] اللهم وفقنا لمرضايتك ، اللهم إنا نموذك بك من الفقر إلا إليك ، ونموذك بك من الدل إلا لك ، اللهم لا تكثر لنا فطنى ولا تقل علينا فنفسى ، وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغا لنا في ديانا ، وغنى من فضلك . قال البيهقي : وفي حكاية أبي الفضل التميمي عن أحمد : وكان يدعو في السجود : اللهم من كان من هذه الأمة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق . وكان يقول : اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد (ص) فداء فاجعلنى فداء لهم . وقال صالح بن أحمد : كان أبى لا يدع أحداً يستقى له الماء للوضوء ، بل كان يلى ذلك بنفسه ، فإذا خرج الدلو ملأ قال : الحمد لله . فقلت : يا أبة ما الفائدة بذلك ؟ فقال : يا بنى أما سمعت قول الله عز وجل [أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين] والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جداً . وقد صنف أحمد في الزهد كتاباً حافلاً عظيماً لم يسبق إلى مثله ، ولم يلحقه أحد فيه . والمخطون بل المتطوع به أنه إنما كان يأخذ بما أمكنه منه رحمه الله .

وقال إسحاق بن إسحاق السراج : قال لى أحمد بن حنبل : هل تستطيع أن تزيى الحارث الهاشمي إذا جاء منزلك ؟ فقلت : نعم ! وفرحت بذلك ، ثم ذهبت إلى الحارث فقلت له : إني أحب أن تمضى الليلة عندي أنت وأصحابك . فقال : إنهم كثير فأحضر لهم التمر والكسب . فلما كان بين العشاءين جاؤا وكان الأمام أحمد قد سبقهم فجلس في غرفة بحيث يرام ويسمع كلامهم ولا يرونه ، فلما صلوا العشاء الآخرة لم يصلوا بعدها شيئاً ، بل جاؤا فجلسوا بين يدي الحارث سكوتاً

مطرق الرأس ، كأنما على رؤسهم الطير ، حتى إذا كان قريبا من نصف الليل سأله رجل مسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها من الزهد والورع والوعظ ، فجعل هذا يبكي وهذا يئن وهذا يزعم ، قال : فصدت إلى الأمام أحمد إلى الغرفة فإذا هو يبكي حتى كاد ينفش عليه ، ثم لم يزالوا كذلك حتى الصباح ، فلما أرادوا الانصراف قلت : كيف رأيتم هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما رأيتم أحدا يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل ، وما رأيتم مثل هؤلاء ، ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم . قال البيهقي : يحتمل أنه كره له مصيبتهم لأن الحارث بن أسد ، وإن كان زاهداً ، فإنه كان عنده شيء من علم الكلام ، وكان أحد يكره ذلك ، أو كره له مصيبتهم من أجل أنه لا يطبق سلوك طريقتهم ومأم عليه من الزهد والورع . قلت : بل إنما كره ذلك لأن في كلامهم من التشفي وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع والتدقيق والحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أمر ، ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية قال : هذا بدعة . ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب : عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث ، ودع عنك هذا فإنه بدعة . وقال إبراهيم الحربي : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب فدم له على ما يهيب . وقال : الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر . وقال : الفقر أشرف من النفي ، فإن الصبر عليه مرارة وانزعاج أعظم حالا من الشكر . وقال : لا أعدل بفضل الفقر شيئا . وكان يقول : على العبد أن يقبل الرزق بعد اليأس ، ولا يقبله إذا تقدمه طمع أو استشراف . وكان يحب التقلل من الدنيا لأجل خفة الحساب . وقال إبراهيم قال رجل لأحمد : هذا العلم تعلته لله ؟ فقال له أحمد : هذا شرط شديد ولكن حبيب إلى شيء فجمعت . وفي رواية أنه قال : أما لله فمزيه ، ولكن حبيب إلى شيء فجمعت . وروى البيهقي أن رجلا جاء إلى الأمام أحمد فقال : إن أمي زمنة مقعدة منذ عشرين سنة ، وقد يشتاق إليك لتدعو لها ، فكأنه غضب من ذلك وقال : نحن أحوج أن ندعو هي لنا من أن ندعو لها . ثم دعا الله عز وجل لها . فرجع الرجل إلى أمه فدق الباب فخرجت إليه على رجلها وقالت : قد وهبني الله العافية . وروى أن سائلا سأل فأعطاه الأمام أحمد قطعة فقام رجل إلى السائل فقال : هبني هذه القطعة حتى أعطيك عوضها ، ما تساوى درهما . فأبى فزاده إلى خمسين درهما وهو يأبى وقال : إني أرجو من بركتها ما أرجوه أنت من بركتها . ثم قال البيهقي رحمه الله :

ذكر ما جاء في محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل

في أيام المأمون ثم المنتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والاضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء المذاب وأليم العقاب ، وقلة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه وصبر . عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين التويم والصراط المستقيم ، وكان أحمد عالما بما ورد بمنزل حاله من

الآيات المتنبئة ، والأخبار الماثورة ، وبلغه ما أوصى به في المنام واليقظة فرضى وسلم بإيمانا واحتسابا ، وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة ، وهياه الله بما آتاه من ذلك ليلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أوليائه ، وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى إن شاء الله من غير بلية وبالله التوفيق والعصمة .

قال الله تعالى [بسم الله الرحمن الرحيم ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين] وقال الله تعالى [واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور] في سواها في معنى ما كتبنا . وقد روى الامام أحمد الممتحن في مسنده قائلا فيه : حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن بهدلة سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال : سألت رسول الله (ص) : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء » ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الله الرجل على حسب دينه ، فإن كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذلك ، وإن كان صلب الدين ابتلى على حسب ذلك ، وما يزال البلاء بالرجل حتى يجشى على الأرض وما عليه خطيئته . وقد روى مسلم في صحيحه قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أبو بوب عن أبي قلابة عن أنس . قال قال رسول الله (ص) : « ثلاثة من كن فيه فقد وجد حلالة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » . أخرجه في الصحيحين :

وقال أبو التاسم البغوي : حدثنا أحمد بن حنبل ثنا أبو المعيرة ثنا صفوان بن عمرو السكسكي ثنا عمرو بن قيس السكوني ثنا عاصم بن حميد قال : سمعت معاذ بن جبل يقول : « إنكم لم تروا إلا بلاء وفتنة ، ولن يزداد الأمر إلا شدة ، ولا الأنفس إلا شعا » . وبه قال معاذ : « لن تروا من الأئمة إلا غلظة ولن تروا أمرا يهولكم ويشد عليكم إلا حضر بعده ما هو أشد منه » . قال البغوي : سمعت أحمد يقول : اللهم رضنا . وروى البيهقي عن الربيع قال بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل ، فأتيته وقد أنفلت من صلاة الفجر فدفعته إليه الكتاب فقال : أقرأته ؟ فقلت : لا فأخذته فقرأه فدمعت عيناه ، فقلت : يا أبا عبد الله وما فيه ؟ فقال : يذكرك أنه رأى رسول الله (ص) في المنام فقال : اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه من السلام وقل له : إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجهس ، يرض الله لك علما إلى يوم القيامة . قال الربيع : فقلت حلالة البشارة ، فطلع قبضه الذي يلج جلداه فأعطانيه ، فلما رجعت إلى الشافعي أخبرته قال : إني لست أجمعك فيه ، ولكن به المأه وأعطيليه حتى أتبرك به

ملخص الفتنة والحنة من كلام أئمة السنة

قد ذكرنا فيها تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاعوه عن طريق الحق

إلى الباطل ، وزينوا له القول بخلق القرآن ونفى الصفات عن الله عز وجل . قال البيهقي : ولم يكن في الخلفاء قبله من بنى أمية وبنى العباس خليفة الا على منهج السلف ومنهجهم ، فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء لعمولهم على ذلك وزينوا له ، وانفق خروجه إلى طرسوس ونزوا الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، وانفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثمان مائة وثمانين . فلما وصل الكشاف كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدخلهم إلى ذلك فامتنعوا ، فتهدم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين : واستمر على الامتناع من ذلك الامام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح الجند يسابوري ، فحملوا على بدير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك ، وهما مقيمان متعادلان في مجل على بدير واحد فلما كانا ببلاد الرقة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر ، فسلم على الامام أحمد وقال له : يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شوماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فأبأك أن نجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا ، فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه ، فانه ما بينك وبين الجنة إلا أن تثنى ، وإنك إن لم تثنى تمت ، وإن عشت هشت حياً . قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعوني إليه . فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحضة جاء خادم وهو يسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يمز على يا أبا عبد الله إن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك ، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ص . لئن لم نجبه إلى القول بخلق القرآن ليقطعك بذلك السيف . قال : لجئ إلى الامام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال : سيدي غر حلتك هذا العاجر حتى فجعراً على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم هل يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته . قال : فجاءهم الصريح بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل . قال أحمد : ففرحنا ، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد ، وأن الأمر شديداً ، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى ، وقاتل منهم أذى كثير ، وكان في رجله القيود ، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد ، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان ، فأودع في السجن نحو من ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل ثلثاً وثلاثين شهراً ، ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم . وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصل في أهل السجن والقيود في رجله .

ذكر جزيه رضي الله عنه بين يدي المعتصم

لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده ، قال أحمد : فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في

النسكة وحماتها بيدي ، ثم جاؤني بدابة فحملت عليها فسكنت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود
وليس معي أحد يسكني ، فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم ، فأدخلت في بيت وأغلق عليّ وليس
عندي سراج ، فأردت الضوء فددت يدي فاذا إناء فيه ماء فتوضأت منه ، ثم قمت ولا أعرف القبلة ،
فلما أصبحت إذا أنا على القبلة والله الحمد . ثم دعيت فأدخلت على المعتصم ، فلما نظر إلىّ وعنده ابن
أبي دؤاد قال : أليس قد زعمت أنه حدث السن وهذا شيخ مكمل ؟ فلما دنوت منه وسلمت قال لي :
أدنه ، فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال : اجلس ! فجلست وقد أمهلني الحديد ، فسكنت ساعة
ثم قلت : يا أمير المؤمنين إلى م دعا إليه ابن حمك رسول الله (ص) ؟ قال : إلى شهادة أن لا إله
إلا الله . قلت : فاني أشهد أن لا إله إلا الله . قال : ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس
ثم قلت : فهذا الذي دعا إليه رسول الله (ص) . قال : ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه ، وذلك
أني لم أمتقه كلامه ، ثم قال المعتصم : لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أعرض إليك ، ثم قال :
يا عبد الرحمن ألم آمرك أن ترفع الحنة ؟ قال أحد : فقلت ، الله أكبر ، هذا فرج للمسلمين ، ثم قال :
ناظره يا عبد الرحمن ، كله . فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن ؟ فلم أجبه ، فقال المعتصم : أجبه
فقلت : ما تقول في العلم ؟ فسكت ، فقلت . القرآن من علم الله ، ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد
كفر بالله ، فسكت فقالوا فيما بينهم : يا أمير المؤمنين كفرنا وكفرنا ، فلم يلتفت إلى ذلك ، فقال
عبد الرحمن : كان الله ولا قرآن ، فقلت : كان الله ولا علم ؟ فسكت . فجعلوا يتكلمون من ههنا
وههنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به ، فقال :
ابن أبي دؤاد : وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا ؟ فقلت : وهل يقوم الاسلام إلا بهما . وجرت مناظرات
طويلة ، واحتجوا عليه بقوله [ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث] وبقوله [الله خالق كل شيء]
وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله [تدمر كل شيء بأمر ربها] فقال ابن أبي دؤاد : هو والله
يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع ، وهنا قضاتك والفقهاء فسلمهم ، فقال لهم : ما تقولون ؟ فأجابوا
بمثل ما قال ابن أبي دؤاد ، ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً ثم في اليوم الثالث ، وفي ذلك
كله يملو صوته عليهم وتطلب حجته حججهم . قال : فاذا سكتوا ففتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد ،
وكان من أجبلهم بالعلم والكلام ، وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل ، فجعلوا
يسكرون الاسكار ويردون الاحتجاج بها ، وصحمت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها ، وقد
تكلم معي ابن فوثن ^(١) بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه ، فقلت : لا أدرى
ما تقول ، إلا أني أعلم أن الله أحد صمد ، ليس كمثل شيء ، فسكت عني . وقد أوردت لهم حد ث

(١) في هامش الأصل : لعله ابن غياث وهو المريسى .

لروية في الدار الآخرة غاولوا أن يضعفوا إسناده ويلفقوا عن بعض المحدثين كلاماً يتسلقون به إلى العطن فينه ، وهبهات ، وأنى لهم التناول من مكان بعيد ؟ وفي غبون ذلك كله يتلطف به للليفة ويقول : يا أحد أجبني إلى هذا حتى أجمعك من خاصي ومن يطاء بساطي . فأقول : يا أمير المؤمنين يأتوني بآية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله س ، حتى أجبهم إليها .

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى [يا أيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً] وبقوله [وكلم الله موسى تكليماً] وبقوله [إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني] وبقوله : [إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون] ونحو ذلك من الآيات . فلما لم يقيم لهم منه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل . وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلى سبيله ويغلب خليفتين ، ضد ذلك حمى واشتد غضبه ، وكان ألينهم مريكة ، وهو يظن أنهم على شيء . قال أحد عند ذلك قال لي : لعنك الله ، طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني ، ثم قال : خلوه واخلموه واسحبوه . قال أحمد : فأخلفت وضجبت وخلمت وجي بالمعاقبين والسياط وأنا أنظر ، وكان معي شعرات من شعر النبي س ، معروضة في ثوبي ، فجدوى منه وصرت بين المعاقبين ، قلت : يا أمير المؤمنين الله الله ، إن رسول الله س ، قال : « لا يحمل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بأحدي ثلاث » وتلوت الحديث ، وأن رسول الله س ، قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصوا حتى دماءهم وأموالهم » : فبم تستحل دمي ولم آت شيئاً من هذا ؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين الله كرفوف بين يديك ، فكأنه أمسك . ثم لم يزالوا يقولون له : يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر ، فأمر بي قدمت بين المعاقبين وجي بكرسى فأثت عليه وأمرني بمضهم أن آخذ يدي بأي الخشبين فلم أفهم ، فتخلعت يداي وجي بالضرايين ومهم السياط فجعل أحدم يضربني سوطين ويقول له - إمى المتصم - : شد قطع الله يديك ، ويحين الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك ، فضربوني أسواطاً فأغى على وذعب عقلي مراراً ، فإذا سكن الضرب يعود على عقلي ، وقام المتصم إلى يدهوني إلى قولهم فلم أجبه ، وجعلوا يقولون : وبمك الخليفة على رأسك ، فلم أقبل وأعدوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه ، فأعادوا الضرب ثم جاء إلي الثالثة ، فدعاني فلم أعتل ما قال من شدة الضرب ، ثم أعدوا الضرب فدعيت عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمرى وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت ، وقد أطلقت الأقياد من رجل ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين ، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله ، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً ، وقيل ثمانين سوطاً ، لكن كان ضرباً مبرحاً

شديداً جداً . وقد كان الامام أحمد رجلاً طويلاً رقيقاً أصغر اللون كثير التواضع رحمه الله .
ولما حل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم ، أتوه بسويق ليفطر من الضمير
فامنع من ذلك وأثم صومه ، وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن سماعة القاضي
وصلبت في دمك ! فقال له أحمد : قد صلى عمر وجرحه يشب دماً ، فسكت . وبروى أنه لما أقيم
ليضر ب انقطعت تسكة سراويله فغشى أن يسقط سراويله فتكشف عورته فحرك شفثيه فدعا الله
فماد سراويله كما كان ، وبروى أنه قال : يا غياث المستغيثين ، يا إله العالمين ، إن كنت تعلم أنى عالم
لك بحق فلا تنك لي عورة .

ولما رجع إلى منزله جاءه الجراحي ففعل لهما ميتاً من جسده وجعل يداويه والنائب في كل وقت
يسأل عنه ، وذلك أن المعتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندماً كثيراً ، وجعل يسأل النائب عنه
والنائب يستعلم خبره ، فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك ، ولما شفاه الله بالعافية بقى مدة
وإبهامه يؤذيها البرد ، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة ، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى
[ولیمفوا ویصنفوا] الآية . ويقول : ماذا يفعلك أن يعذب أخوك المسلم بسببك ؟ وقد قال تعالى
[فن عما وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين] وينادي المنادي يوم القيامة : « ليقيم من
أجره على الله فلا يقوم إلا من عما » وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) :
« ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال من صدقة ، وما زاد الله عبداً بغو إلا عزاً ، ومن تواضع لله رفعه الله »
وكان الذين ثبتوا على الفتن فلم يجيبوا بالكلية أربعة (١) : أحمد بن حنبل وهو رئيسهم ، ومحمد بن
نوح بن ميمون الجند يسابوري ، ومات في الطريق . ونعيم بن حماد الخزازي ، وقد مات في السجن ،
وأبو يعقوب البويطي وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن . وكان مثقلاً بالحديد .
وأحمد بن نصر الخزازي وقد ذكرنا كيفية مقتله .

ثناء الأئمة على الامام أحمد بن حنبل

قال البخاري : لما ضرب أحمد بن حنبل كناً بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول :
لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان أحدوته . وقال إسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد في بني إسرائيل
لكان نبياً . وقال المزني : أحمد بن حنبل يوم الحنة ، وأبو بكر يوم الردة ، وعمر يوم السقيفة ، وعثمان
يوم الدار ، وعلي يوم الجمل وصفين . وقال حرمة : سمعت الشافعي يقول : خرجت من العراق فإ
تركتم رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أنقى من أحمد بن حنبل . وقال شيخ أحمد يحيى بن سعيد
القطان : ما قدم على بفسداد أحد أحب إلى من أحمد بن حنبل . وقال قتيبة : مات سفيان الثوري
ومات الورع ، ومات الشافعي ومات السنن ، ويموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع . وقال إن أحمد

ابن حنبل قام في الأمة مقام النبوة . قال البيهقي - يعني في صبره على ما أصابه من الأذى في ذات الله - وقال أبو عمر بن النحاس - وذكر أحمد يوماً - فقال رحمه الله : في الدين ما كان أبصره ، ومن الدنيا ما كان أبصره ، وفي الزهد ما كان أخبره ، وبالصلحين ما كان ألحقه ، وبالمؤمنين ما كان أشبهه ، عرضت عليه الدنيا فأبأها ، والبدع فنفأها . وقال بشر الحافي بعد ما ضرب أحمد بن حنبل : أدخل أحمد الكبير فخرج ذهاباً أحمر . وقال الميموني قال لي علي بن المديني بعد ما امتحن أحمد وقيل قبل أن يمتحن : يا ميمون ما قام أحد في الاسلام ما قام أحمد بن حنبل : فمجتبت من هذا مجباً شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال : صدق ، إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً ، وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان . ثم أخذ أبو عبيد يطري أحمد ويقول : لست أعلم في الاسلام مثله . وقال إسحاق بن راهويه : أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه . وقال علي بن المديني : إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان . وقال أيضاً : إني اتخلفت أحمد حجة فيما بيني وبين الله عز وجل ، ثم قال : ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبد الله ؟ وقال يحيى بن معين : كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيته في عالم قط ، كان محدثاً ، وكان حافظاً ، وكان عالماً ، وكان ورعاً ، وكان زاهداً ، وكان عاقلاً . وقال يحيى بن معين أيضاً : أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل ، والله ما نقوى أن نكون مثله ولا نطيق سلوك طريقه . وقال الذهلي : اتخدت أحمد حجة فيما بيني وبين الله . وقال هلال بن المصل الرقي : من الله على هذه الأمة بأربعة : بالشافعي فهم الأحاديث وفسرها ، وبين مجملها من مفصلها ، والخاص العام والناسخ والمنسوخ . وبأبي عبيد بن غريبها . وبيحيى بن معين في الكذب عن الأحاديث ، وبأحمد بن حنبل ثبت في الهنة لولا هؤلاء الأربعة لهلك الناس . وقال أبو بكر ابن أبي داود : أحمد بن حنبل مقدم على كل من يحمل بيده قلماً ومحررة - يعني في عصره - وقال أبو بكر محمد بن عبد بن رجاء : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأيت من رأى مثله . وقال أبو زرعة الرازي : ما أعرف في أصحابنا أسود الرأس أفقه منه . وروى البيهقي عن الحاكم عن يحيى بن محمد المنبري قال : أنشدنا أبو عبد الله البوسندي في أحمد بن حنبل رحمه الله : -

إِنَّ ابْنَ حَنْبَلٍ أَنْ سَأَلْتُ إِمَامَنَا • وَبِهِ الْأُئِمَّةُ فِي الْأَنَامِ تَحْتَكُوا
خَلْفَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا بَعْدَ الْأُولَى • خَلَفُوا الْخُلَافَةَ بَعْدَهُ وَاسْتَهْلَكُوا
حَقَّوْا الشَّرَاكَ عَلَى الشَّرَاكِ وَإِنَّمَا • يَحْتَكُوا الْمَثَالَ مِثْلَهُ الْمُسْتَمْسِكُ

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله (ص) أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » . وروى البيهقي عن

أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن أبي القاسم البغوي عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن بقة بن الوليد عن معاذ بن رفاع عن إبراهيم بن عبد الرحمن العنزي ح . قال البغوي : وحدثني زياد بن أيوب حدثنا مبشر عن معاذ عن إبراهيم بن عبد الرحمن العنزي ح . قال البغوي قال قال رسول الله ص : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » وهذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف . والمعجب أن ابن عبد البر رحمه واحتج به على عدالة كل من حل العلم ، والامام أحمد من أئمة أهل العلم رحمه الله وأكرم مثواه .

ما كان من أمر الامام احمد بعد المحنة

حين خرج من دار الخلافة صار إلى منزله فدوى حتى برأ والله الحمد ، ولزم منزله فلا يخرج منه إلى جمعة ولا جماعة ، وامتنع من التحديث ، وكانت غلته من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهما ينفقها على عياله وينفق بذلك رحمه الله صابراً محتسباً . ولم يزل كذلك مدة خلافة المتصم ، وكذلك في أيام ابنه محمد الوائق ، فلما ولي المتوكل على الله إخلافة استبشر الناس بولايته ، فانه كان محباً للسنة وأهلها ، ورفع المحنة عن الناس ، وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن ، ثم كتب إلى نائبه ببغداد - وهو إسحاق بن إبراهيم - أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه ، فاستدعى إسحاق بالامام أحمد إليه فأكرمه وعظمه ، لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه ، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن فقال له أحمد : سؤالك هذا سؤال تمنيت أو استرشاد . فقال : بل سؤال استرشاد . فقال : هو كلام الله منزل غير مخلوق ، فسكن إلى قوله في ذلك ، ثم جهزه إلى الخليفة إلى سر من رأى ثم سبقه إليه . وبلغه أن أحمد اجتاز بابنه محمد بن إسحاق فلم يأت به ولم يسلم عليه ، فغضب إسحاق بن إبراهيم من ذلك وشكا إلى الخليفة فقال المتوكل : يرد وإن كان قد وطئ بساطي ، فرجع الامام أحمد من الطريق إلى بغداد . وقد كان الامام أحمد كرها له حيثه إليهم ولكن لم يبن ذلك على كثير من الناس وإنما كان رجوعه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه . ثم إن رجلاً من المعتصم يقال له ابن البلخي وشى إلى الخليفة شيئاً فقال : إن رجلاً من العلويين قد أوى إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبايع له الناس في الباطن . فأمر الخليفة نائب ببغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل . فلم يشعروا إلا والمشاعل قد أحاطت بالدار من كل جانب حتى من فوق الأسطحة ، فوجدوا الامام أحمد جالساً في داره مع عياله فسألوه عما ذكر عنه فقال : ليس عندي من هذا علم ، وليس من هذا شيء ولا هذا من نيتي ، وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية ، وفي عسري ويسري ومنشطلي ومكرمي ، وأثره علي ، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق ، في الليل والتهار ، في كلام كثير . ففتشوا منزله حتى مكان الكتب وبيوت النساء والأسطحة وغيرها فلم يروا شيئاً . فلما بلغ

المتوكل ذلك وعلم براءته مما نسب إليه علم أنهم يكذبون عليه كثيراً ، فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المر وف بقوصرة - وهو أحد الحجبة - بمشرة آلاف درهم من الخليفة ، وقال : هو يقرأ عليك السلام ويقول : استنق هذه ، فامتنع من قبولها . فقال : يا أبا عبد الله إني أخشى من ردك إياها أن يقع وحشة بينك وبينه ، والمصلحة لك قبولها ، فوضهها عنده ثم ذهب . فلما كان من آخر الليل استدعى أحمد أهله وبنى عمه وعياله وقال : لم أنم هذه الليلة من هذا المال ، فجلسوا وكتبوا أسماء جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ، ثم أصبح ففرقها في الناس مابين الحسين إلى المائة والمائتين ، فلم يبق منها درهما ، وأعطى منها لأبي أيوب وأبي سعيد الأشج ، وتصديق بالكيس الذي كانت فيه ، ولم يمتط منها لأهله شيئاً وهم في غاية الفقر والجهد ، وجاء بنو ابنه فقال : اعطى درهما . فنظر أحمد إلى ابنه صالح فتناول صالح قطعة فأعطاهما الصبي فسكت أحمد . وبلغ الخليفة أنه تصديق بالجائزة كلها حتى كيسها ، فقال على بن الجهم : يا أمير المؤمنين إنه قد قبلها منك وتصديق بها عنك ، وماذا يصنع أحمد بالمال ؟ إنما يكفيه رغيف فقال : صدقت .

فلما مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد ولم يكن بينهما إلا القريب ، وتولى نيابة بغداد عبد الله ابن إسحاق ، كتب المتوكل إليه أن يحمل إليه الامام أحمد ، فقال لأحمد في ذلك فقال : إني شيخ كبير وضعيف ، فرد الجواب على الخليفة بذلك ، فأرسل يعزم عليه لتأني ، وكتب إلى أحمد : إني أحب أن آتس بقربك وبالنظر إليك ، ويحصل لي بركة دعائك . فصار إليه الامام أحمد - وهو عليل - في بنيه وبمضى أهله ، فلما قارب المسكر تلقاه وصيف الخادم في موكب عظيم ، فسلم وصيف على الامام أحمد فرد السلام وقال له وصيف : قد أمكنك الله من عدوك ابن أبي دؤاد . فلم يرد عليه جواباً ، وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف . فلما وصلوا إلى المسكر بسر من رأى ، أنزل أحمد في دار إيتاخ ، فلما علم بذلك ارتحل منها وأمر أن يستكرى له دار غيرها . وكان رؤس الأسماء في كل يوم يحضرون عنده ويلفون عن الخليفة السلام ، ولا يدخلون عليه حتى يقلعون ما عليهم من الزينة والسلاح . وبعث إليه الخليفة بالفارش الوطنية وغيرها من الآلات التي تليق بتلك الدار العظيمة ، وأراد منه الخليفة أن يقيم هناك ليعحدث الناس عوضاً عما قطعهم منه في أيام الحنة وما بعدها من السنين المتطاولة ، فاعتذر إليه بأنه عليل وأسنانه تتحرك وهو ضعيف فكان الخليفة يبعث إليه في كل يوم مائة فيها ألوان الأطعمة والفاكهة والتلج ، مما يقاوم مائة وعشرين درهماً في كل يوم ، والخليفة يحسب أنه يأكل من ذلك ، ولم يكن أحمد يأكل شيئاً من ذلك بالكلية ، بل كان صائماً يطوى ، فسكت ثمانية أيام لم يستطع بطعام ، ومع ذلك هو مريض ، ثم أقسم عليه ولده حتى شرب قليلاً من السويق بعد ثمانية أيام . وجاء عبيد الله بن يحيى بن خاقان بمال جزيل من الخليفة جائزة له فامتنع

من قبله ، فألح عليه الأمير فلم يقبل . فأخذها الأمير ففرقها على بنيها وأهلها ، وقال : إنه لا يمكن ردها على الخليفة . وكتب الخليفة لأهلها وأولاده في كل شهر بأربعة آلاف درهم ، فأنفق أبو عبد الله الخليفة ، فقال الخليفة : لا بد من ذلك ، وما هذا إلا لولدك . فأمره أبو عبد الله عن مما نعتة ثم أخذ يلوم أهل وعده ، وقال لهم : إنما بقي لنا أيام قلائل ، وكأننا قد نزل بنا الموت ، فلما إلى جنة وإما إلى نار ، فنخرج من الدنيا وبطوننا قد أخذت من مال هؤلاء . في كلام طويل يعظمهم به . فاحتجوا عليه بالحديث الصحيح « ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشف نفعه » . وأن ابن عمر وابن عباس قبل جوائز السلطان . فقال : وما هذا وذاك سواء ، ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس بظلم ولا جور لم أبال .

ولما استمر ضعفه جعل المتوكل يبعث إليه ابن ماسويه المتطبيب لينظر في مرضه ، فرجع إليه فقال : يا أمير المؤمنين إن أحمد ليس به علة في بدنه ، وإتباعه من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة . فسكت المتوكل ثم سألت أم الخليفة منه أن ترى الامام أحمد ، فبعث المتوكل إليه يسأله أن يجتمع بابنه المعتز ويدعوه له ، وليكن في حجره . فتمنع من ذلك ثم أجاب إليه رجا أن يجعل يرجوه إلى أهل بيته . وبعث الخليفة إليه بخمسة سنية ومركوب من مراكبه ، فتمنع من ركوبه لأنه عليه ميثة تمر ، فجئى ببغل لبعض التجار فركبه وجاء إلى مجلس المعتز ، وقد جلس الخليفة وأمه في ناحية في ذلك المجلس ، من وراء ستور رقيق . فلما جاء أحمد قال : سلام عليكم . وجلس ولم يسلم عليه بالأمرة ، فقالت أم الخليفة : الله يا بني في هذا الرجل ردة إلى أهلها ، فان هذا ليس ممن يريد ما أتم فيه . وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه : يا أمه قد تأنست الدار . وجاء الخادم ومعه خمسة سنية مبطنة وثوب وقطنسوة وطيلسان ، فألبسها أحمد بيده ، وأحمد لا يتحرك بالكيفية . قال الامام أحمد : ولما جلست إلى المعتز قال مؤدبه : أصلح الله الأمير هذا الذي أمر الخليفة أن يكون مؤدبك . فقال : إن علمي شيئا تعلمته ، قال أحمد : فتعجبت من ذلك في صغره لأنه كان صغيراً جداً فخرج أحمد عنهم وهو يستغفر الله ويستعيد الله من مقتته وغضبه .

ثم بعد أيام أذن له الخليفة بالانصراف وهياً له خزاقة فلم يقبل أن ينحدر فيها ، بل ركب في زورق فدخل بغداد مخفياً ، وأمر أن تباع تلك الخلفة وأن يتصدق بشمها على الفقراء والمساكين . وجعل أياماً يتألم من اجتماعهم ويقول : سلمت منهم طول عمري ثم ابتليت بهم في آخره . وكان قد جاع عندهم جوعاً عظيماً كثيراً حتى كاد أن يقتله الجوع . وقد قال بعض الأمراء للمتوكل : إن أحمد لا يأكل لك طعاماً ، ولا يشرب لك شراباً ، ولا يجلس على فرشك ، ويحرم ما تشربه . فقال : والله لو نشر المعتصم وكلني في أحمد ما قبلت منه . وجمعت رسل الخليفة فعد إليه في كل يوم تستلم أخباره

وكيف حاله . وجعل يستغثيه في أموال ابن أبي دؤاد فلا يجيب بشئ ، ثم إن المتوكل أخرج ابن أبي دؤاد من سر من رأى إلى بغداد بعد أن أشهد عليه نفسه ببيع ضياعه وأملاكه وأخذ أمواله كلها . قال عبيد الله بن أحمد : وجبن رجوع أبي من سامرا وجدنا هيليه قد دخلنا في موقيه ، وما رجعت إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر ، وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتنا فم فيه أو يلتفت بشئ مما هم فيه لأجل قبولهم أموال السلطان .

وكان مسير أحمد إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم مكث إلى سنة وفاته وكل يوم إلا ويسأل عنه المتوكل ويوفد إليه في أمور يشاوره فيها ، ويستشير به في أشياء تقع له . ولما قدم المتوكل بغداد بعث إليه ابن خاقان ومعه ألف دينار ليفرقها على من يرى ، فامتنع من قبولها وتفرقها ، وقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره فردها . وكتب رجل رقعة إلى المتوكل يقول : يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم آباءك ويرمهم بالزندقة . فكتب فيها المتوكل : أما المأمون فانه خلط فسلط الناس على نفسه ، وأما أبي المنتصم فانه كان رجل حرب ولم يكن له بصير بالكلام ، وأما أخى الوائق فانه استحق ما قيل فيه . ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرقعة مائتي سوط ، فأخذ عبيد الله بن إسحاق ابن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط . فقال له الخليفة : لم ضربته خمسمائة سوط ؟ فقال : مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله ، ومائة لكونه قلف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل .

وقد كتب الخليفة إلى أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تمنع ولا امتحان ولا عناد . فكتب إليه أحمد رحمه الله رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم ، وأحاديث مرفوعة . وقد أوردتها ابنه صالح في الحنة التي ساقها ، وهي مروية عنه ، وقد نقلها غير واحد من الحفاظ .

وفاة الإمام أحمد بن حنبل

قال ابنه صالح : كان مرضه في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف ، فقلت : يا أبت ما كان غداؤك ؟ فقال : ماء الباقلا . ثم إن صالحا ذكر كثرة محبة الناس من الأكابر وعموم الناس لميادته وكثرة حرج الناس عليه ، وكان معه خريقة فيها قطيعات ينفق على نفسه منها ، وقد أمر ولده عبيد الله أن يطالب سكان مملكته وأن يكفر عنه كفارة يمين ، فأخذ شيئا من الأجرة فاشترى تمرا وكفر عن أبيه ، وفضل من ذلك ثلاثة دراهم . وكتب الإمام أحمد وصيته :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل ، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العبادين ، وأن يعبدوه في

الحامدين ، وأن ينصحوا جماعة المسلمين ، وأوصى أنى قد رضى الله ربا وبالإسلام ديننا ومحمد نبيا ، وأوصى لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحواً من خمسين دينارا وهو مصدق فيها فيقضى ماله على من غلة الدار إن شاء الله ، فاذا استوفى أعطى ولد صالح كل ذكر وأنتى عشرة دراهم . ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يندعوهم ، وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يوماً فسماه سعيدا ، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض فدعا ، فالتزمه وقبله ثم قال : ما كنت أصنع بالولد على كبر السن ؟ فقيل له : ذرية تكون بك يدعون لك . قال وذلك إن حصل . وجعل يحمد الله تعالى . وقد بلغه في مرضه عن طاوس أنه كان يكره أن ينال المريض فتركه إلا أن ينال حتى كانت الليلة التي توفى في صبيحتها أن ، وكانت ليلة الجمعة الثاوى عشر من ربيع الأول من هذه السنة ، فأن حين اشتد به الوجع . وقد روى عن ابنه عبد الله وروى عن صالح أيضاً أنه قال : حين احتضر أبى جعل يكثر أن يقول : لا بعد ، لا بعد ، فقلت : يا أبة ماهذه اللفظة التي تلهج بها في هذه الساعة ؟ فقال : يا بنى إن إبليس واقف في زواية البيت وهو عاض على أصبعه وهو يقول : فنى يا أحمد ؟ فأقول لا بعد لا بعد - يعنى لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد - كما جاء في بعض الأحاديث قال إبليس : يارب هزئك وجلالك ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم . فقال الله : وعزى وجلالى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى .

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضؤوه فجعلوا يوضؤوه وهو يشير إليهم أن خلوا أصابعى وهو يذكر الله عز وجل في جميع ذلك ، فلما أكلوا وضؤوه توفى رحمه الله ورضى عنه . وقد كانت وفاته يوم الجمعة حين مضى منه نحو من ساعتين ، فاجتمع الناس في الشوارع وبعث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان ومعهم مناديل فيها أكفان ، وأرسل يقول : هذا نياية عن الخليفة ، فانه لو كان حاضراً لبعث بهذا . فأرسل أولاده يقولون : إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره وأبوا أن يكفونوه بذلك الأكفان ، وأتى بشوب كان قد غزلته جاريته فكفونوه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطا ، واشتروا له راوية ماء وامتنعوا أن يفسأوه بماء بيوتهم ، لأنه كان قد هجر بيوتهم فلا يأكل كل منها ولا يستعير من أمتعتهم شيئا ، وكان لا يزال متنضباً عليهم لأنهم كانوا يقتلون ما رتب لهم على بيت المال ، وهو في كل شهر أربعة آلاف درهم . وكان لهم عيال كثيرة وهم فقراء . وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بنى هاشم ، فجعلوا يقبلون بين عيفيه ويدعون له ويترحمون عليه رحمه الله . وخرج الناس بنمشة والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لم يعلم عددهم إلا الله ، ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في جملة الناس ، ثم تقدم فمضى أولاد الامام أحمد فيه ، وكان هو الذى أم الناس في الصلاة عليه ، وقد أعاد جماعة الصلاة عليه عند القبر وعلى القبر بعد أن دفن من أجل

ذلك ، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق .

وقد روى البيهقي وغير واحد أن الأمير محمد بن طاهر أمر بحزر الناس فوجدوا ألف ألف وثلاثمائة ألف ، وفي رواية وسبعمائة ألف سوى من كان في السفن . وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبا زرعة يقول يلتقي أن المثلث كل أمر أن يسمح الموضع الذي وقف الناس فيه حيث صلوا على الامام أحمد بن حنبل فبلغ مقاسه أثنى ألف وخمسمائة ألف . قال البيهقي عن الحاكم سمعت أبا بكر أحمد بن كامل القاضى يقول سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الوراق يقول : ما بلغنا أن جرماً في الجاهلية دلا في الاسلام اجتمعوا في جنازة أكثر من الجمع الذي اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل . قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سمعت أبي يقول حدثني محمد بن العباس المكي سمعت الوردكاني - جاز أحمد ابن حنبل - قال : أسلم يوم مات أحمد عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وفي بعض النسخ أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفاً والله أعلم .

وقال الدارقطني : سمعت أبا سهل بن زياد سمعت عبد الله بن أحمد يقول سمعت أبي يقول : قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تمر . وقد صدق الله قول أحمد في هذا ، فانه كان إمام السنة في زمانه ، وعبود مخالفيه أحمد بن أبي دؤاد وهو قاضى قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ، ولم يلتفت إليه . ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان . وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زعمه وورعه وثقه يده ومحاسناته نفسه في خطراته وحركاته ، لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس . وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جداً ، فله الأمر من قبل ومن بعد . وقد روى البيهقي عن حجاج بن محمد الشاعر أنه قال : ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على الامام أحمد . وروى عن رجل من أهل العلم أنه قال يوم دفن أحمد : دفن اليوم سادس خمسة ، وم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وأحمد . وكان عمره يوم مات سبعاً وسبعين سنة وأياماً أقل من شهر رحمه الله تعالى .

ذكر ما رثي له من المنامات

وقد صنع في الحديث : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات » . وفي رواية « إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له » . وروى البيهقي عن الحاكم سمعت علي بن محشاد سمعت جعفر بن محمد بن الحسين سمعت سلمة بن شبيب يقول : كنا عند أحمد بن حنبل وجاءه شيخ ومعه عكازة فسلم وجلس فقال : من منكم أحمد بن حنبل ؟ فقال أحمد : أما ما حاجتك ؟ فقال ضربت إليك من أربعمائة فرسخ ، أريت الخضر في المنام فقال لي : سر إلى أحمد بن حنبل وسل عنه وقل له : إن ساكن العرش والملائكة راوضون بما صبرت نفسك لله عز وجل . وعن أبي عبد الله محمد بن خزيمة الاسكندراني . قال : لما

مات أحمد بن حنبل اغتممت غما شديداً فرأيتني في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت له : يا أبا عبد الله أي مشية هذه ؟ فقال : مشية الخدام في دار السلام . فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : أغفر لي وتوحي وألبسني لعلمين من ذهب ، وقال لي : يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي ، ثم قال لي : يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلفتك عن سفغيان الثوري وكنت تدعو بهن في دار الدنيا ، فقلت : يارب كل شيء ، بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء حتى لا تسألني عن شيء . فقال لي : يا أحمد هذه الجنة تم فادخلها . فدخلت فإذا أنا بسفغيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة ، ومن شجرة إلى شجرة ، وهو يقول [الحمد لله الذي أورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين] . قال فقلت له : ما فعل بشر الحافي ؟ فقال يخ بخ ، ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول : كل يا من لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب ، والنعم يا من لم ينعم ، أو كما قال . وقال أبو محمد بن أبي حاتم عن محمد بن مسلم ابن وارة قال : لما مات أبو زرعة رأيته في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال قال الجبار : ألحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله ، مالك والشافعي وأحمد بن حنبل . وقال أحمد بن خرزاد الانطاكي : رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد برز الرب جل جلاله ، لفصل القضاء ، وكان منادياً ينادي من تحت العرش : أدخلوا أبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله الجنة . قال فقلت للملك إلى جنبي : من هؤلاء ؟ فقال : مالك ، والثوري ، والشافعي وأحمد بن حنبل . وروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب المقدسي قال : رأيت رسول الله (س) في النوم وهو قائم وعليه ثوب مغطى به وأحمد بن حنبل ويحيى بن ميمون يذبان عنه . وقد تقدم في ترجمة أحمد بن أبي دؤاد عن يحيى الجلاء أنه رأى كأن أحمد بن حنبل في حلقة بالمسجد الجامع وأحمد بن أبي دؤاد في حلقة أخرى وكان رسول الله (س) واقف بين الحلقتين وهو يتلو هذه الآية [فإن يكفر بها هؤلاء] ويشير إلى حلقة ابن أبي دؤاد [فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين] ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه

ثم دخلت سنة ثلثين وأربعين ومائتين

فيها كانت زلازل هائلة في البلاد ، فيها ما كان بمدينة قوس ، تهدمت منها دور كثيرة ، ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً . وكانت باليمن وخراسان وبارس والشام وغيرها من البلاد زلازل منكزة . وفيها أغارت الروم على بلاد الجزيرة فانهبوا شيئاً كثيراً وأسروا نحواً من عشرة آلاف من الدراري . فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي نائب مكة .

وفيها توفي من الأعيان الحسن بن علي بن الجهم قاضي مدينة المنصور .

وأبو جسر الزياتي

قاضى الشرقية ، واسمه الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي ،
 مع الويلد بن سلم ، ووكيع بن الجراح ، والواقدي ، وخلقاً سوام . وعنه أبو بكر بن أبي الدنيا وعمل
 ابن عبد الله الفرغاني الحافظ المعروف بطل ، وجماعة . ترجمه ابن عساكر في تاريخه . قال : وليس
 هو من سلالة زياد بن أبيه ، إنما تزوج بعض أجداده بأمة ولد لزياد ، فقبل له الزياتي . ثم أورد من
 حديثه بسنده عن جابر ، الحلال بين والحرام بين . الحديث . وروى عن الخطيب أنه قال :
 كان من العلماء الأفاضل من أهل المعرفة والثقة والأمانة ، ولى قضاء الشرقية في خلافة المتوكل ، وله
 تاريخ على السنين ، وله حديث كثير . وقال غيره : كان صالحاً ديناً قد حمل الكتب ، وكانت له
 معرفة جيدة بأيام الناس ، وله تاريخ حسن ، وكان كريماً مفضلاً . وقد ذكر ابن عساكر عنه أشياء
 حسنة ، منها أنه أفند إليه بعض أصحابه يذكر له أنه قد أصابته ضائقة في عيده من الأعياد ، ولم يكن
 عنده غير مائة دينار ، فأرسلها بصرتها إليه ، ثم سأل ذلك الرجل صاحب له أيضاً وشكا إليه مثلاً
 شكاً إلى الزياتي ، فأرسل بها الآخر إلى ذلك الآخر . وكتب أبو حسان إلى ذلك الرجل الأخير
 الذي وصلت إليه أخيراً يستقرض منه شيئاً وهو لا يشعر بالأمر ، فأرسل إليه بالمائة في صرتها ، فلما
 رآها تعجب من أمرها وركب إليه يسأله عن ذلك فذكر أن فلاناً أرسلها إليه ، فاجتمعوا الثلاثة
 وانقسموا المائة الدينار رحيم الله وجزام عن مروءتهم خيرآ .

وفيها توفى أبو مصعب الزهري أحد رواة الموطأ عن مالك ، وعبد الله بن ذكوان أحد القراء
 المشاهير . ومحمد بن أسلم الطوسي . ومحمد بن ربيع . ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصل أحد أئمة
 الجرح والتعديل . والقاضي يحيى بن أكثم .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

في ذي القعدة منها توجه المتوكل على الله من المراق قاصداً مدينة دمشق ليجعلها له دار إقامة
 ومحلة إمامة فأدركه عيب الأحمى بها ، وتأسف أهل المراق على ذهاب الخليفة من بين أظهرهم ، فقال
 في ذلك يزيد بن محمد المهلب :

أظنَّ الشامَ نَشَتْ بالمراق • إذا عَزَمَ الإمامُ على انطلاقِ

فإنَّ يَدَعَ المراقَ وسارَ كُنْهَها • فقدْ تُبْلِ الملبعةُ بالطلاقِ

وحج بالناس فيها الذي حج بهم في التي قبلها وهو نائب مكة .

وفيها توفى من الأعيان كما قال ابن جرير :

إبراهيم بن العباس

منزول ديوان الضبع . قلت هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الصولي الشاعر الكاتب ،

وهو عم محمد بن يحيى الصولى ، وكان جده صول بكر ملك جرجان وكان أصله منها ، ثم تعمس ثم أسلم على يدى يزيد بن المهلب بن أبى صفرة ، ولا إبراهيم هذا ديوان شعر ذكره ابن خلكان واستجاد من شعره أشياء منها قوله :

ولربك نازلقة يضيئ بها الفنى * ذُرْعًا وعند الله منها مخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنت أظنها لا تفرج
ومنها قوله : كنت السواد لملقى * فبكى عليك الناظر
من شاة بمدك فليت * فملك كنت أحاذر

ومن ذلك ما كتب به إلى وزير المعنصم محمد بن عبد الملك بن الزيات .

وكنت أخى بإخاء الزمان * فلما نى صرت حرباً عوانا
وكنت أذم إليك الزمان * فأصبحت منك أذم الزمان
وكنت أعدك للنائب * فما أنا أطلب منك الأمان
وله أيضاً : لا يمتنعك خفض العيش في دعة * نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حلت بها * أهلاً بأهل وأوطاناً بأوطان

كانت وفاته بمنصف شعبان من هذه السنة . بسر من رأى . والحسن بن محمد بن الجراح خليفة إبراهيم بن شعبان . قال : ومات هاشم بن فيجورى ذى الحجة . قلت : وفيها توفى أحمد بن سعيد الرباطى . والحارث بن أسد المحاسنى . أحد أئمة الصوفية . وحرمة ابن يحيى التجيبى صاحب الشافى . وعبد الله بن معاوية الجمعى . ومحمد بن عمر العدنى . وهارون ابن عبد الله الحامى . وهناد بن السرى .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

في صفر منها دخل الخليفة المتوكل إلى مدينة دمشق في أجرة الخلافة وكان يوماً مشهوداً ، وكان عازماً على الإقامة بها ، وأمر بنقل دواوين الملك إليها ، وأمر ببناء القصور بها فبنيت بطريق داريا ، فأقام بها مدة ، ثم إنه استوحشها ورأى أن هواها يرد ندى واهمه فتيل بالنسبة إلى هواه العراق ومائه ، ورأى الهواء بها يتحرك من بعد الزوال في زمن الصيف ، فلا يزال في اشتداد وغبار إلى قريب من ثلث الليل ، ورأى كثرة البراغيث بها ، ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمراً حيباً ، وغلت الأسعار وهو بها لكثرة الخلق الذين معه ، وانقطعت الأجلا ب بسبب كثرة الأمطار والثلوج ، ففصر منها ثم جهر بها إلى بلاد الروم ، ثم رجع من آخر السنة إلى سامرا بعد ما أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام ، ففرح به أهل بغداد فرحاً شديداً . وفيها أتى المتوكل بالحرية

التي كانت تحمل بين يدي رسول الله (س)، ففرح بها فرحاً شديداً ، وقد كانت تحمل بين يدي رسول الله (س)، يوم العيد وغيره ، وقد كانت لتنجأى فورها لفرح بير بن العوام ، فورها الزبير للنبي (س)، ثم إن المتوكل أمر صاحب الشرطة أن يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله (س)، وفيها غضب المتوكل على الطليب بختيشوع ونفاه وأخذ ماله . وحج بالناس فيها عبد الصمد المتقدم ذكره قبلها . واتفق في هذه السنة يوم عيد الأضى وخيس فطر اليهود وشعائين النصراني وهذا عجيب غريب .

وفيها توفي أحمد بن منيع ، وإسحاق بن موسى الخطمي . وحيد بن مسمدة . وعبد الحميد بن سنان . وعلى بن حجر . والوزير محمد بن عبد الملك الزيت . ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق . ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

فيها أمر المتوكل ببناء مدينة الماحوزة وحفر نهرها ، فيقال إنه أُنفق على بنائها وبناء قصر الخلافة بها الذي يقال له « اللؤلؤة » ألفي ألف دينار . وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى ، فمن ذلك بمدينة إنيكية سقط فيها ألف وخمسمائة دار ، وانهدم من سورها نيف وتسعون برجاً ، وسمعت من كوى دورها أصوات مزججة جداً فخرجوا من منازلهم سراعاً يهرعون ، وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له الاقرع فساخ في البحر ، فهاج البحر عند ذلك وارتفع دخان أسود مظلم منقث ، وغار نهر على فرسخ منها فلا يدرى أين ذهب . ذكر أبو جعفر بن جرير قال : وسمع فيها أهل تنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير . قال : وزلزلت فيها الرها والرقعة وحران ورأس العين وحص ودمشق وطرسوس والمصيصة ، وأذنة وسواحل الشام ، ووجفت اللاذقية بأهلها فابقي منها منزل إلا انهدم ، وما بقي من أهلها إلا اليسير . وذهبت جيلة بأهلها . وفيها غارت مُشاش - عين - مكة حتى بلغ ثمن القربة بمكة ثمانين درهماً . ثم أرسل المتوكل فأُنفق عليها مالا جزيلاً حتى خرجت . وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله القاضي . وهلال الرازي .

وفيها هلك نجاح بن سلمة وقد كان على ديوان التوقيع . وقد كان حظياً عند المتوكل ، ثم جرت له حكاية أفضت به إلى أن أخذ المتوكل أمواله وأملاكه وحواصله ، وقد أورد قصته ابن جرير مطولة . وفيها توفي أحمد بن عبدة الضبي ، وأبو الحليس القواس مقرئ مكة ، وأحمد بن نصر النيسابوري . وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وإسماعيل بن موسى ابن بنت السدي . وذوالنمصر المصري ، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ، ومحمد بن رافع ، وهشام بن عمار ، وأبو تراب النخيشي .

وأبن الراوندي

الزنديق ، وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي ، نسبة إلى قرية ببلاد قاشان

ثم نشأ ببغداد ، كان بها يصنف الكتب في الزندقة ، وكانت لديه فضيلة ، ولكنه استعملها فيما يضره ولا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة . وقد ذكرناه له ترجمة مطولة حسب ما ذكرها ابن الجوزي في سنة ثمان وتسعين ومائتين وإنا ذكرناه هنا لأن ابن خلكان ذكر أنه توفي في هذه السنة ، وقد تلبس عليه ولم يجرحه بل مدحه فقال : هو أبو الحسين أحمد بن إسحاق الراوندي العالم المشهور ، له مقالة في علم الكلام ، وكان من الفضلاء في عصره ، وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشرة كتاباً ، منها فضيحة المعتزلة ، وكتاب التاج ، وكتاب الزمردة ، وكتاب القصب ، وغير ذلك . وله محاسن ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام ، وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكلام . توفي سنة خمس وأربعين ومائتين ، برجة مالك بن طوق التغلبي ، وقيل ببغداد . نقلت ذلك عن ابن خلكان بمرهفه وهو غلط . وإنا أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين كما سيأتي له هناك ترجمة مطولة .

خو النون المصري

'نوبان بن إبراهيم ، وقيل ابن الفيض بن إبراهيم ، أبو الفيض المصري أحد المشايخ المشهورين ، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات ، وذكر شيئاً من فضائله وأحواله ، وأرخ وفاته في هذه السنة ، وقيل في التي بعد ' ، وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فأنه أعلم . وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن مالك . وذكره ابن يونس في تاريخ مصر ، قال : كان أبود نوبياً ، وقيل إنه كان من أهل اخميم ، وكان حكيماً فصيحاً ، قيل وسئل عن سبب توبته فذكر أنه رأى قبرة عمياء نزلت من وكرها فأنشقت لها الأرض عن سكرجيتين من ذهب وفضة في إحداهما تمسم وفي الأخرى ماء ، فأكلت من هذه وشربت من هذه . وقد شكى عليه مرة إلى المتوكل فأحضره من مصر إلى العراق ، فلما دخل عليه وعظه فأبكاها ، فرده مكروماً . فكان بعد ذلك إذا ذكر عند المتوكل يثنى عليه

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

في يوم عاشوراء منها دخل المتوكل الماحوزة فغزل بقصر الخلافة فيها ، واستدعى بالقراء ثم بالمطربين وأعطى وأطلق ، وكان يوماً مشهوداً ، وفي سمرتها وقع الفداء بين المسلمين والروم ، فقتل من المسلمين نحو من أربعة آلاف أسير . وفي شعبان منها أمطرت ببغداد مطراً عظيماً استمر نحواً من أحد وعشرين يوماً ، ووقع بأرض بلخ مطر ماؤه دم عبيط . وفيها حج بالناس محمد بن سليمان الزنبي ، وحج فيها من الأعيان محمد بن عبد الله بن طاهر وولي أمر الموسم .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن إبراهيم الدورقي . والحسين بن أبي الحسن المروزي . وأبو عمرو الدورقي . أحد القراء المشاهير . ومحمد بن مصنف الحمصي .

ودعبل بن علي

ابن رزين بن سليمان الخزازي ، مولاهم الشاعر الماجن البليغ في المسح ، وفي الهجاء أكثر . حضر يوماً عند سهل بن هارون الكاتب وكان بخيلاً ، فاستدعى بغداده فإذا ديك في قصعة ، وإذا هو قاس لا يقطعه سكين إلا بشدة ، ولا يعمل فيه ضرس . فلما حضريين يديه فقد رأسه فقال للطباخ ويلك ، ماذا صنعت ؟ أين رأسه ، قال : ظننت أنك لا تأكله فألقينته ، فقال : وبحك ، والله إني لأعيب على من يلقي الرجلين فكيف بالرأس ، وفيه الحواس الأربع ، ومنه يصوت وبه ، بفضل عينيه وبهما يضرب الثل ، وعرفه وبه يتبرك ، وعظمه أهنى العظام ، فإن كنت رغبته عن أكله فأحضره . فقال : لا أدري أين هو ؟ فقال : بل أنا أدري ، هو في بطنك فأنك الله . فجهاه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه .

أحمد بن أبي الحواري

واسمه^(١) عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث أبو الحسن التغلبي الفطفاي ، أحد العلماء الزهاد المشهورين ، والعباد المذكورين ، والأبرار المشكورين ، ذوى الأحوال الصالحة ، والكرامات الواضحة ، أصله من الكوفة وسكن دمشق وتخرج بأبي سليمان الداراني رحمه الله . وروى الحديث عن سفيان بن عيينة ووكيع وأبي أسامة وخلق . وعنه أبو داود وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة الدمشقي ، وأبو زرعة الرازي وخلق كثير . وقد ذكره أبو حاتم فأثنى عليه . وقال يحيى بن معين : إني لأظن أن الله يسقى أهل الشام به . وكان الجنيد بن محمد يقول : هو ريحانة الشام .

وروى ابن عساكر أنه كان قد عاهد أبا سليمان الداراني ألا يفضيه ولا يخالفه ، فجاء يوماً وهو يحدث الناس فقال : يا سيدي هذا قد سجدوا للتنور فإذا تأمر ؟ فلم يرد عليه أبو سليمان ، لشغله بالناس ، ثم أعادها أحمد ثانية ، وقال له في الثالثة : اذهب فاقدم فيه . ثم اشتغل أبو سليمان في حديث الناس ثم استفاق فقال لمن حضره : إني قلت لأحمد : اذهب فاقدم في التنور ، وإني أحسب أن يكون قد فعل ذلك ، فقوموا بنا إليه . فذهبوا فوجدوه جالساً في التنور ولم يحترق منه شيء ولا شعرة واحدة . وروى أيضاً أن أحمد بن أبي الحواري أصبح ذات يوم وقد ولد له ولد ولا يملك شيئاً يصلح به الولد ، فقال لخادمه : اذهب فاستدن لنا وزنة من دقيق ، فبينما هو في ذلك إذ جاءه رجل بمائة درهم فوضمها بين يديه ، فدخل عليه رجل في تلك الساعة فقال : يا أحمد إنه قد ولد لي الليلة ولد ولا أملك شيئاً ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : يا مولاي هكذا بالمجلة . ثم قال للرجل : خذ هذه الدراهم ، فأعطاه إياها كلها ، ولم يبق منها شيئاً ، واستدان لأهله دقيقاً . وروى عنه خادمه أنه خرج للتنور لأجل الرباط فما زالت الهدايا تند إليه من بكرة النهار إلى الزوال ، ثم فرقها كلها إلى وقت

(١) أي إسم أبي الحواري والد أحمد .

الغروب ثم قال لي : كن هكذا لا ترد على الله شيئاً ، ولا تدخر عنه شيئاً .

ولما جاءت المحنة في زمن المأمون إلى دمشق بخلق القرآن عين فيها أحمد بن أبي الحواري وهشام ابن عمار ، وسليمان بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن ذكوان ، فكلهم أجابوا إلا ابن أبي الحواري فغيب بدار الحجارة ، ثم هدد فأجاب تورية مكرها ، ثم أطلق رحمه الله . وقد قام ليلة بالشعر يكرره هذه الآية [إياك نعبد وإياك نستعين] حتى أصبح . وقد ألقى كتيبه في البحر وقال : نعم الدليل كنت لي على الله وإليه ، ولكن الاشتغال بالدليل بعد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال . ومن كلامه لا دليل على الله سواء ، وإنما يطلب العلم لا آداب الخدمة . وقال : من عرف الدنيا زهد فيها ، ومن عرف الآخرة رغب فيها ، ومن عرف الله آثر رضاه . وقال : من نظر إلى الدنيا نظر لإرادة حب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه . وقال : قلت لأبي سليمان في ابتداء أمرى : أوصني ، فقال : اتستوص أنت ؟ فقلت نعم إن شاء الله تعالى . فقال : خالف نفسك في كل مراداتها فانها الأمانة بالسوء ، وإياك أن تحترق إخوانك المسلمين ، واجمل طاعة الله دناراً ، وانظف منه شعاراً ، والاخلص له زاداً ، والصدق حسنة ، واقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تفعل عنها : من استحيى من الله في كل أوقاته وأحواله وأفعاله ، بلغه الله إلى مقام الأولياء من عبادته . قال فجعلت هذه الكلمات أمانى في كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها . والصحيح أنه توفي في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاثين ومائتين ، وقيل غير ذلك فله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يد ولده المنتصر ، وكان سبب ذلك أنه أمر ابنه عبد الله المنذر الذي هو ولي العهد من بعده أن يخطب بالناس في يوم جمعة ، فأذاها أداء عظيماً بليغاً ، فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ ، وحنق على أبيه وأخيه ، فأحضره أبوه وأهانه وأمر بضربه في رأسه وصفعه ، وصرح بعزله عن ولاية العهد من بعده أخيه ، فاشتد أيضاً حنقه أكثر مما كان . فلما كان يوم عيد الفطر خطب المتوكل بالناس وعنده بعض ضعف من علة به ، ثم عدل إلى خيام قد ضربت له أربعة أميال في مثلها ، فنزل هناك ثم استدعى في يوم ثالث شوال بندمائه على عادته في سمه وحضرته وشربه ، ثم تمالأ ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فدخلوا عليه ليلة الأربعاء خلون من شوال ، ويقال من شعبان من هذه السنة ، وهو على السباط فابتدروا ، بالسيف فقتلوه ثم ولوا بعده ولده المنتصر .

ترجمة المتوكل على الله

جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي ، وأم المتوكل أم ولد يقال لها

شجاع ، وكانت من سراوات النساء سنحاً وحزماً . كان مولده بقم الصلح سنة سبع ومائتين ، وبيع له بالخلافة بعد أخيه الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة لسنة ثنتين وثلاثين ومائتين . وقد روى الخطيب من طريقه عن يحيى بن أكرم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حرم الرفق حرم الخير » . ثم أنشأ المتوكل يقول :

الرفقُ يمينٌ والأناةُ سعادةٌ * فاستأن في رفيقٍ تلاقى نجاحاً
لا خير في حزمٍ يغير رويتهُ * والشكُّ وهنٌ إن أردت سراحاً

وقال ابن عساكر في تاريخه : وحدث عن أبيه المتنعم ويحيى بن أكرم القاضي . وروى عنه على ابن الجهم الشاعر ، وهشام بن عمار البمشقي ، وقدم المتوكل دمشق في خلافته وبنى بها قصرأ بارض داريا . وقال يوماً لبعضهم : إن الخلفاء تنفض على الرعية لتطيعها ، وإلى أين لهم ليحبوني ويعطوني . وقال أحمد بن مروان المالكي : ثنا أحمد بن علي البصري قال : وجه المتوكل إلى أحمد بن الممئل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم إليه إلا أحمد بن الممئل . فقال المتوكل لعبيد الله : إن هذا لا يرى بيعتنا ؟ فقال : يا أمير المؤمنين بل لا ولكن في بصره سوء . فقال أحمد بن الممئل : يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء ، ولكن زهنتك من عذاب الله . قال النبي (ص) : « من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » . فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه . وروى الخطيب أن علي بن الجهم دخل على المتوكل وفي يده درتان يقلبهما فأأنشده قصيدته التي يقول فيها : —

وإذا مررت ببئر عروة فاستقي من ماؤها

فأعطاه التي في يمينه وكانت تساوي مائة ألف . ثم أنشده :

بُسْرٍ من رأى أميره * تعرف من بحرمر البحارة
يرجى ويخشى لكل خطيب * كأنه جنة وفاز
الملك فيه وفي بنيه * ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضربان * عليه كلناهما كفاز
لم تأت منه العين شيئاً * إلا أتت مثله اليسار

قال : فأعطاه التي في يساره أيضاً . قال الخطيب : وقد رويت هذه الأبيات لعلى بن هارون البحتري في المتوكل . وروى ابن عساكر عن علي بن الجهم قال : وقفت فتنية حظية المتوكل بين يديه وقد كتبت على خدنها بالنالفة جعفر فتأمل ذلك ثم أنشأ يقول :

وكتابة في الخلد بالمسك جعفرًا * بنفسى تحط المسك من حيث أنرا
لئن أودعت سطرًا من المسك خنثها * لقد أودعت قلبي من الحب أسطرًا
فيامن مناهي التريتر جعفر * سقا الله من سقيا ثناليك جعفرًا
ويامن لمسلوك بلك يمينه * مطيع له فيما أشر وأظها

قال ثم أمر المتوكل عرباً فقتل به . وقال الفتح بن خاقان : دخلت يوماً على المتوكل فإذا هو مطرق مفكر فقلت : يا أمير المؤمنين مالك مفكر ؟ فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشاً ، ولا أقم منك بالاً . قال : بلى أطيب مني عيشاً رجل له دار واسعة وزوجة سالحة ومعيشة حاضرة ، لا يمرنا فنؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزديه . وكان المتوكل محبباً إلى رعيته فأما في نصرة أهل السنة ، وقد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردة ، لأنه نصر الحق وردّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين . وبمرو بن عبد العزيز حين رد مظالم بنى أمية . وقد أظهر السنة بعد البدعة ، وأخذ أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتجارها فرحمه الله . وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور قال فقلت : المتوكل ؟ قال : المتوكل . قلت : فما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي . قلت : بماذا ؟ قال : بتلليل من السنة أحييتها . وروى الخطيب عن صالح بن أحمد أنه رأى في منامه ليلة مات المتوكل كأن رجلاً يصعد به إلى السماء وقائلاً يقول :

ملك يقاد إلى ملك عادل * متفضل في المعوليس بجائر

وروى عن عمرو بن شيبان الحلبي قال : رأيت ليلة المتوكل قائلاً يقول : -

يا نائم العين في أوطان جنان * أفض دموعك يا عمرو بن شيبان
أما ترى القبة الأرجاس ما فعلوا * بالهشيم وبالفتح بن خاقان
وإني إلى الله مظلوماً فضج له * أهل السموات من مثني ووجدان
وسوف يأتكم من بكرة فتنة * توقوها لما شأن من الشأن
فابكوا على جعفر وابكوا خليفكم * فقد بكاه جميع الألس والجنان

قال : فلما أصبحت أخبرت الناس برؤياي فجاء نعي المتوكل أنه قد قتل في تلك الليلة ، قال ثم رأيته بعد هذا بشهر وهو واقف بين يدي الله عز وجل فقلت : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفر لي . قلت بماذا ؟ قال : بتلليل من السنة أحييتها . قلت فما تصنع هنا ؟ قال : أنتظر ابني محمداً أخا صبه إلى الله الحليم العظيم الكريم .

وذكرنا قريباً كيفية مقتله وأنه قتل في ليلة الأربعاء أول الليل لأربع خلعت من شوال من هذه السنة - أعني سنة سبع وأربعين ومائتين - بالتوكلية وهي الماحوزية ، وصلى عليه يوم الأربعاء ،

ودفن بالمقبرة وله من العمر أربعون سنة، وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وثلاثة أيام . وكان أمير حسن الدين نجيب الجسم خفيف المأزق أقرب إلى القصر والله سبحانه اعلم .

خلاقة محمد المنتصر بن المتوكل

قد تقدم أنه عملاً هو وجماعة من الأمراء على قتل أبيه ، وحين قتل بويع له بالخلافة في الليل . فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخذت له البيعة من العامة وبعثت إلى أخيه المنذر فأحضره إليه فبايعه المنذر ، وقد كان المنذر هو ولي العهد من بعد أبيه ، واسكنه أكرهه وخافه فبايع . فلما أخذت البيعة له كان أول ما تكلم به أنه اتهم الفتح بن خاقان على قتل أبيه ، وقتل الفتح أيضاً ، ثم بعث البيعة له إلى الآفاق . وفي ثلثي يوم من خلافته ولي المظالم لأبي حمزة أحمد ابن سعيد مولى بني هاشم قتال الشاعر :

يا ضيعة الإسلام المأولي • مظالم الناس أبو حمزة
صبر مأموناً على أنتة • وليس مأثوماً على بئرة

وكانت البيعة له بالمتوكلية ، وهي المأخوذة ، فأقام بها عشرة أيام ثم تحول هو وجميع قواده وحشمه منها إلى سامرا . وفيها في ذي الحجة أخرج المنصور حمزة على بن المنصور من سامرا إلى بغداد وكل به . وحج بالناس محمد بن سلمان الزبلي . وفيها توفي من الأعيان إبراهيم بن سعيد الجوهري . وسفيان بن وكيع بن الجراح ، وسلة بن شبيب .

وأبو عثمان المازني النحوي

واسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النحاة في زمانه ، أخذ عنه أبي عبيدة ، والاصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم ، وأخذ عنه أبو الدياس المبرد وأكثر عنه ، ولما دنا من مصنفات كثيرة في هذا الشأن . وكان شبيهاً بالفتاه ووعا زاهداً ثقة ، أموناً . روى عنه المبرد أن رجلاً من أهل القمة طلب منه أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ويعطيه مائة دينار فامتنع من ذلك . فلامه بعض الناس في ذلك فقال : إنما تركت أخذ الأجرة عليه لما فيه من آيات الله تعالى . فانفق بعد هذا أن جارية غت بمحضرة الوائق :

أظلم إن مصابكم رجلاً • رد السلام نحيبة ظلم

فاختلف من بمحضرة الوائق في إعراب هذا البيت ، وهل يكون رجلاً مرفوعاً أو منصوباً ، وبم نصب ؟ أهواهم أو ماذا ؟ وأصرت الجارية على أن المازني حفظها هكذا هكذا . قال فأرسل الخليفة إليه ، فلما مثل بين يديه قال له : أنت المازني ؟ قال : نعم . قال من مازن تميم أم من مازن ربيعة أم مازن فليس ؟ فقلت من مازن ربيعة . فأخذ يكلمني بلنق ، فقال : يا سملك ؟ وهم يظلمون الباء بها والميم ما ، تكرهت أن أقول مكر فقلت : مكر ، فأجبه إعراضاً عن المكر إلى البكر ، وعرف ما أردت .

فقال : على م انتصب رجلاً ؟ فقلت : لأنه معمول المصدر بمصائبكم فأخذ البريدي يعارضه فعلاه المازني بالحجة فأطلق له الخليفة ألف دينار ورده إلى أهله مكرماً . فعوضه الله عن المائة دينار . لما تركها لله سبحانه ولم يمكن الذي من قراءة الكتاب لأجل ما فيه من القرآن . ألف دينار عشرة أمثالها . روى المبرد عنه قال : أقرأت رجلاً كتاب سيبويه إلى آخره ، فلما انتهى إلى آخره قال لي : أما أنت أيها الشيخ فجزاك الله خيراً ، وأما أنا فوالله ما فهمت منه حرفاً . توفي المازني في هذه السنة وقيل في سنة ثمان وأربعين .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

فيها أغزى المنتصر وصيفاً التركي الصائفة لقتال الروم ، وذلك أن ملك الروم فصد بلاد الشام ، فعند ذلك جهز المنتصر وصيفاً وجهز معه نفقات وعددا كثيرة ، وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيم بالشر أربع سنين ، وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتاباً عظيماً فيه آيات كثيرة في التحريض للناس على القتال والترغيب فيه . وفي ليلة السبت لسمع بقين من صفر خلع أبو عبد الله المعتز والمؤيد إبراهيم أنفسهما من الخلافة ، وأشهدا عليهما بذلك ، وأنهما عاجزان عن الخلافة ، والمسلمين في حل من بيعتهما ، وذلك بعد ما تهددهما أخوهما المنتصر وتوعدهما بالقتل إن لم يفعلوا ذلك ، ومقصوده تولية ابنه عبد الوهاب بأشارة أمراء الأتراك بذلك . وخطب بذلك على رؤس الأشهاد بمحضرة القواد والقضاة وأعيان الناس والعوام ، وكتب بذلك إلى الأفاق ليعلموا بذلك ويخطبوا له بذلك على المنابر ، ويتوالى على محال الكتابة ، والله غالب على أمره ، فأراد أن يسلمهما الملك ويجهله في ولده ، والأقدار تكذبه وتخالفه ، وذلك أنه لم يستكمل بعد قتل أبيه سوى ستة أشهر ، ففي أواخر صفر من هذه السنة عرضت له علة كان فيها حتفه ، وقد كان المنتصر رأى في منامه كأنه يصعد سلماً فبلغ إلى آخر خمس وعشرين درجة . فقصصها على بعض المعبرين فقال : تلى خمساً وعشرين سنة الخلافة ، وإذا هي مدة عمره قد استكملها في هذه السنة . وقال بعضهم : دخلنا عليه يوماً فإذا هو يبكي ويلتجب شديداً ، فسأله بعض أصحابه عن بكائه فقال : رأيت أبي المتوكل في منامي هذا وهو يقول : ويلك يا محمد قتلني وظلمتني وغصبتي خلافتي ، والله لا أمتعت بها بمدي إلا أياماً يسيرة ثم مصيرك إلى النار . قال : فما أملك عيني ولا جزعي . فقال له أصحابه من الغرايين الذين يفرّون الناس وينتوونهم : هذه رؤيا وهي تصدق وتكذب ، ثم بنا إلى الشراب ليذهب همك وحزنك . فأمر بالشراب فأحضر وجاء ندماؤه فأخذ في الخمر وهو منكسر الهمة ، وما زال كذلك مكسوراً حتى مات .

وقد اختلفوا في علته التي كان فيها هلاكه ، فقيل داء في رأسه فقطر في أذنه دهن فلما وصل

إلى دماغه عرجل بالموت ، وقيل بل ورمت معدته فأتته الورم إلى قلبه فأت ، وقيل بل أصابت
ذئبة فاستدريت به «شرة أيام فأت ، وقيل بل فصد الحجام بمقصده مسموم فأت من يومه . قال ابن
جرير أخبرني بعض أصحابنا أن هذا الحجام رجع إلى منزله وهو محوم فدعا تلميذا له حتى يفضده
فأخذ ، وضع أسناده ففضده به وهو لا يشعر وأتى الله سبحانه الحجام فذكر حتى رآه قد فصد به
ونجس فيه الدم ، فأوصى عند ذلك ومات من يومه . وذكر ابن جرير أن أم الخليفة دخلت عليه وهو في
مرضه الذي مات فيه فقالت له : كيف حالك ؟ فقال : ذهبت من الدنيا والآخرة ، ويقال إنه
أشد لما أحبط به وأيس من الحيلة :

فأفرحت نفسي بدنيا أصيبتها • ولكن إلى الرب الكريم أضر

فأت يوم الأحد لحسن يقين من ربيع الآخر من هذه السنة ، وقت صلاة العصر ، عن خمس
وعشرين سنة ، قبل وستة أشهر . ولا خلاف أنه إنما مكث بالخلافة ستة أشهر لا أربعين منها . وذكر
ابن جرير عن بعض أصحابنا أنه لم يزل يسمع الناس يقولون : العادة وغيرهم حين ولي المنصور - إنه
لا يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر ، وذلك مدة خلافة من قبل أبيه لأخاه ، كما مكث شرويه بن
كسرى حين قبل أبيه لأجل الملك . وكذلك وقع ، وقد كان المنصور أعين أبيه فصار آهياً حبيد
البدن ، وهو أول خليفة من بني المنصور أبو ربيعة ، بإشارة أمه حبشبة الرومية .
ومن حبيد كلامه قوله : والله ما عر ذو باطل قط ، ولو طاع الأمر من جيبة ، ولا ذل ذو حق قط
ولو صدق العالم عليه .

بَلَدُ بَلَدٍ بَلَدٌ

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء العاشر من البداية والنهاية وبلغه الجزء الحادي عشر
وأوله خلافة أحمد المستعين بالله . والله سأل المعونة والتوفيق .



فهرست الجزء العاشر من كتاب البداية والنهاية

صفحة	صفحة
٤٢	٢ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٤٤	٥ محمد بن علي
٤٦	٦ واما يحيى بن يزيد
٤٨	ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة
	فيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد
	الملك وهذه ترجمته
٥٢	مقتله وزوال دولته
٥٤	٨ قتل يزيد بن الوليد الناقص للوليد
	بن يزيد
٥٦	١٦ خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك
	بن مروان
٥٧	١٧ خالد بن عبد الله بن يزيد
	ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة
٥٨	٢٢ دخول مروان الحمار دمشق
	وولايته الخلافة
	ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة
٦١	٢٩ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة
	اول ظهور ابو مسلم الخراساني
	٣٢ مقتل ابن الكرماني
	سنة ثلاثين ومائة
٦٣	٣٤ مقتل شيبان بن سلمة الحزوري
٦٧	٣٥ ذكر دخول ابي حمزة الخارجي
	المدينة النبوية واستلانه عليها
٧٣	٣٧ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة
٧٤	ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة
٧٥	٣٨ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة
	ذكر مقتل ابراهيم بن محمد الامام
٧٧	٤٠ خلافة ابي العباس السفاح
	مقتل مروان بن محمد بن مروان
	صفة مقتل مروان
	وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار
	ما ورد في انقضاء دولة بني امية
	وابتداء بني العباس من الاخبار
	النوعية
	استقرار ابي العباس السفاح
	ذكر من توفي فيها من الاعيان
	ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة
	ثم دخلت سنة اربع وثلاثين ومائة
	ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة
	ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة
	ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة
	ترجمة ابي العباس السفاح اول
	خلفاء بني العباس
	خلافة ابي جعفر المنصور
	ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة
	ذكر خروج عبد الله بن علي
	ابن اخيه المنصور
	ملك ابي مسلم الخراساني
	ترجمة ابي مسلم الخراساني
	ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة
	ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة
	ثم دخلت سنة أربعين ومائة
	ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة
	ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة

- ٨٠ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة
٨٢ ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة
ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة
٨٦ **فضل بن**
مقتل محمد بن عبد الله بن حسن
٨٧ خروج إبراهيم بن عبد الله بن حسن
٩١ ذكر خروج إبراهيم بن عبد الله بن
حسن بالبصرة
٩٥ ذكر من توفي فيها من الأعيان
٩٦ وفيها توفي من المشاهير والأعيان
ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة
١٠١ ما ورد في مدينة بغداد من الآثار
وما فيها من الأخبار
١٠٢ **فضل بن**
محاسن بغداد ومساوئها وما روى
في ذلك عن الأئمة
١٠٣ ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة
١٠٥ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة
ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة
١٠٦ ثم دخلت سنة خمسين ومائة من الهجرة
١٠٧ **ذكر ترجمته**
١٠٨ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة
١٠٩ بناء الرصافة
ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسون ومائة
١١١ ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة
- صحيفة
أشعب الطامع
١١٣ ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة
بناء الرافقة وهي المدينة المشهورة
١١٤ حماد الراوية
ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة
١١٥ ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة
شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله
١٢٠ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة
١٢١ ترجمته المنصور
ثم دخلت سنة تسع وخمسين ومائة
١٢٨ أولاد المنصور
١٢٩ خلافة المهدي بن المنصور
١٣١ ثم دخلت سنة ستين ومائة
ذكر البيعة لموسى الهادي
١٣٣ ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة
أبو دلالة
١٣٥ ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة
إبراهيم بن أدهم
١٤٥ ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة
١٤٦ ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة
١٤٧ ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة
ثم دخلت سنة ست وستين ومائة
١٤٩ ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة
١٥٠ ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة
١٥١ ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة
١٥٧ خلافة موسى الهادي بن مهدي

صحيفة	صحيفة
١٥٨ ثم دخلت سنة سبعين ومائة	وعافية بن يزيد
١٥٩ وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي	سيبويه
١٦٠ خلافة هارون الرشيد بن المهدي	١٧٧ عفرة العابد
١٦١ ذكر من توفي فيها من الأعيان	ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة
١٦٢ ثم دخلت سنة احدى وسبعين ومائة	الحسن بن قحطبة
ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة	وعبدالله بن المبارك
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة	١٧٩ ومفضل بن فضالة
١٦٤ غادر	ويعقوب التائب
١٦٥ ثم دخلت سنة اربع وسبعين ومائة	ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة
ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة	ومعن بن زائدة
١٦٦ شعوانة العابد الزاهدة	١٨٠ والقاضي ابو يوسف
المنذر بن عبد الله بن المنذر	١٨٢ يعقوب بن داوود بن طهمان
١٦٧ ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة	١٨٣ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة
١٦٩ ابراهيم بن صالح	علي بن الفضيل بن عياض
١٧٠ صالح بن بشير المرسي	ومحمد بن سبيح
١٧١ ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة	وموسى بن جعفر
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة	هاشم بن بشير بن ابي حازم
١٧٣ ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة	١٨٤ ويحيى بن زكريا
اسماعيل بن محمد	ثم دخلت سنة اربع وثمانين ومائة
١٧٤ حماد بن زيد	احمد بن الرشيد
والامام مالك	١٨٥ عبدالله بن مصعب
١٧٥ ثم دخلت سنة ثمانين ومائة	عبدالله بن عبد العزيز العمري
اسماعيل بن جعفر بن ابي كثير يرم	ومحمد بن يوسف بن معدان
الانصاري	١٨٦ ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة
حسان بن ابي سنان	عبد الصمد بن حلي
١٧٦ عبد الوارث بن سعيد البهروتي أحد الثقات	ورابعة العدوية
	ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة
	١٨٧ وفيها توفي من الأعيان

- ١٨٨ وسلم الحاسر الشاعر
والعباس بن محمد
وبفطين بن موسى
- ١٨٩ ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة
١٩٤ ذكر من توفي فيها من الأعيان
١٩٧ حكاية غريبة
١٩٨ الفضيل بن عياض
١٩٩ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة
٢٠٠ أبو اسحاق الفزاري
وإبراهيم الموصلي
- ٢٠١ ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة
ذكر من توفي فيها من الأعيان
٢٠٢ محمد بن الحسن بن زفر
٢٠٣ ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة
من توفي فيها من الأعيان والمشاهير
٢٠٤ يحيى بن خالد بن برمك
٢٠٦ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين ومائة
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة
٢٠٧ اسماعيل بن جامع
٢٠٨ وعبد الله بن إدريس
٢٠٩ مصعب بن سلام
علي بن ظبيان
العباس بن الأحنف
٢١٠ عيسى بن جعفر بن أبي جعفر
١٨٣ المنصور
الفضل بن يحيى
٢١٢ ومنصور بن الزرقان
- ٢١٣ وفاة الرشيد
وهذه ترجت
٢٢٣ ذكر زوجاته وبنه ومائة
خلافة محمد الأمين ابن الرشيد
٢٢٢ اختلاف الأمين والمأمون
٢٢٤ اسماعيل بن حلية
محمد بن جعفر
أبو بكر بن القياش
ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة
٢٢٥ سالم بن سالم أبو بحر البلخي
٢٠١ وعبد الوهاب بن عبد المجيد
٢٠٦ وأبو النصر الجهلي المصاب
٢٢٦ ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة
٢٢٧ إسحاق بن يوسف الأزرق
٢١٠ بكار بن عبدالله
٢١٢ أبو نواس الشاعر
٢٢٥ ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة
٢٣٦ سبب خلع الأمين وكيف اغتصب
الخلافة إلى أخيه المأمون
٢٣٨ وحفص بن غياث القاضي
أبو شعيب
ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة
٢٤١ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة
كيفية مقتله
٢٤١ شيء من ترجمته

٢٤٤ خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد
 صيفة
 ٢٤٨ العكوك الشاعر
 ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين
 ٢٤٩ احمد بن يوسف بن القاسم بن
 صبيح
 أبو محمد عبد الله بن أعين
 بن ليث بن رافع المصري
 ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين
 أبو زيد الأنصاري
 ٢٧٠ ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين
 زبيدة امرأة الرشيد وابنة عمه
 ٢٧١ ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين
 ثم دخلت ثمان عشرة ومائتين
 ٢٧٢ ذكر أول المحنة والفتنة
 ٢٧٣ فضيلة
 ٢٧٤ عبد الله المأمون
 ٢٨١ بشر المريسي
 وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن
 أيوب الماعفري
 ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين
 ٢٨٢ ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من
 الهجرة
 ٢٨٣ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين
 ثم دخلت سنة ثلاثين وعشرين ومائتين
 ذكر مسك بابك
 ٢٨٤ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

٢٤٥ ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة
 ٢٤٥ ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة
 ٢٤٧ ثم دخلت سنة إحدى ومائتين
 بيعة أهل بغداد لأبراهيم بن المهدي
 ٢٤٨ ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين
 ٢٤٩ ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين
 خلع أهل بغداد لأبراهيم بن المهدي
 علي بن موسى
 ٢٥٠ ثم دخلت سنة أربع ومائتين
 ٢٥١ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي
 ٢٥٥ ثم دخلت سنة خمس ومائتين
 ٢٥٩ ثم دخلت سنة ست ومائتين
 ثم دخلت سنة سبع ومائتين
 ٢٦١ يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور
 ثم دخلت سنة ثمان ومائتين
 ٢٦٢ وفاة السيدة نفيسة
 ٢٦٣ الفضل بن الربيع
 ثم دخلت سنة تسع ومائتين
 ثم دخلت سنة عشر ومائتين
 ٢٦٥ عرس يوران
 ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين
 أبو العتاهية الشاعر المشهور
 ٢٦٦ ثم دخلت سنة ثلثي عشرة ومائتين
 ٢٦٧ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين

صيفة

٢٨٦ فتح عمورية على يد المعتصم

٢٨٨ مقتل العباس بن المأمون

٢٨٩ ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

٢٩٢ ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

وسعيد بن مسعدة

الجرمي النحوي

٢٩٣ ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

٢٩٤ وأبو دلف العجلي

٢٩٥ ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

وهذه ترجمته

٢٩٧ خلافة هارون الواثق بن المعتصم

بشر الحافي الزاهد المشهور

٢٩٩ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

أبو تمام الطائي الشاعر

٣٠١ ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين

٣٠٢ ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

٣١٥ عبد الله بن طاهر بن الحسين

٣٠٢ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

٣٠٨ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين

٣١٠ خلافة المتوكل على الله جعفر بن

المعتصم

٣١١ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

٣١٢ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

٣١٢ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين

٣١٤ إسحاق بن ماهان

٣١٥ ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

٣١٧ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائتين

Organization of the
Library (GOAL)

صيفة

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائتين

٣١٨ أحمد بن عاصم الأنطاكي

٣١٩ ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

٣٢٢ أما سجنون المالكي صاحب المدونة

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين

٣٢٥ الإمام أحمد بن حنبل

٣٢٨ ورعه وتشفه وزهده رحمه الله

٣٣٠ ذكر ما جاء في محنة أبي حنبل

٣٣١ ملخص الفتنة والمحنة

٣٣٢ ذكر ضربه رضي الله عنه بين يدي

٤٣ المعتصم

٣٣٥ ثناء الأئمة على الإمام أحمد بن حنبل

٣٣٧ ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة

٣٤٠ وفاة الإمام أحمد بن حنبل

٣٤٢ ذكر ما روي له من المنامات

٣٤٣ ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين

٣٤٤ وأبو حسان الزياتي

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

٣٤٩ إبراهيم بن العباس

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

٣٤٦ ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

وأبن الراوندي

٣٤٧ ذو النون المصري

٣٤٨ ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

ودعبل بن علي أحمد بن أبي الحوراني

٣٤٩ ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

٣٥٢ محمد المنتصر وأبو عثمان المازني النحوي

٣٥٣ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

انتهى الفهرس





